كتاب





محمد التابعى

الجزء الثانى

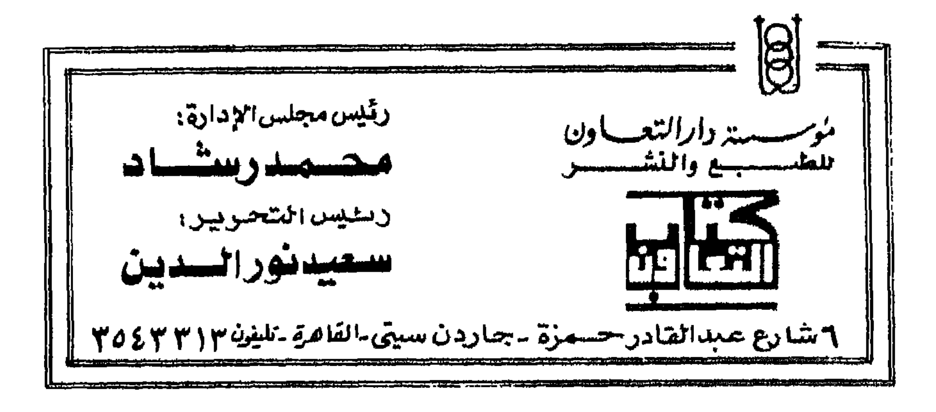
صبرى أبو المجد

الغــــلاف :

الفنـان : جـمـيـل شـفـيق

سكرتير التحرير التنفيذي :

نـزيـه عبـد الغنـى


مؤسسة دار التعاون
للطبع والنشر
كتاب التعاون
رئيس مجلس الإدارة:
محمد رشاد
رئيس التحرير:
سعيد نور الدين
٦ شارع عبد القادر حمزة - جاردن سيتي - القاهرة - تليفون ٣٥٤٣٣١٣

مقدمة

فى ملاحظات رقيقة ناعمة وجهت لى من أحد ملوك الرقة فى مصر ونعنى به استاذنا الكبير حافظ محمود ، وفى عبارات تتسم بالمحبة والمودة والزمالة الحلوة تلمسنا ثمة افكار تتعلق بالجزء الأول من كتابى « محمد التابعى » الذى كان بحق طاقة من الأهمية الفكرية إتسعت وقت صدور الكتاب فشملت بعض جوانبنا الثقافية فى مصر وفى خارج مصر .

كان من أهم هذه الملاحظات الحانية « أن كتاب التابعى لصبرى أبو المجد قد خلا من أى نقد لمحمد التابعى وأن هذا ماكان يرضى التابعى فى حياته » .

ولم أدر حقيقة ماذا كان يراد منى وأنا أكتب الجزء الأول من حياة التابعى واقدمه إلى القراء ؟ أكان مطلوبا منى كما فعل بعضهم أن احمل كتبى وأوراقى واقلامى إلى نيس وساقوى وضواحى باريس وبدرومات لندن أو أن أذهب إلى سويسرا والمانيا بلحثا عن مغازلات التابعى وقصصه الغرامية ومن كانت تكبره سنا ومن كانت تصغره سنا وما انتهى إليه كل عش غرامى . لا لست ياقوم قاضى الهوى ولا كاهن حب ولا أنا سمسار الملذات والشهوات .

محمد التابعى كبشر له أن يحب وله أن يعشق وله أن يتمادى فى حبه وله أن يقصر فيه هذا حقه المطلق كإنسان وكبشر لا أستطيع أبداً محاسبته عليه ككاتب وكإنسان .

فأنا أكتب عنه أولاً ككاتب واكتب عنه ثانيا كإنسان وأخيرا أكتب عنه كفنان . لست أبداً ممن يقيمون الوزن أى وزن لمثل هذه الأمور الشخصية البحتة . فى كل منا جوانب خاصة لو أخذ بها الناس لكى يحاسبوه عليها ، لما كان له أبداً أن يخرج من بيته .

ثم يأتى موضوع الإطالة ولقد شاء لى فى كثير من فصول هذا الكتاب أن ناقشت موضوع الإطالة . وفى البداية قلت وسأقول إن هذا ليس عيبا أدافع عنه ، وإنما هو من الأمور التى أعتز بها فى رسائلى وهو اننى أعمد دائماً إلى التعمق والتقصى .

وما أريد أن أطيل فيه لا أريد أن أملأ به صفحات كما يتصور البعض وإنما لكل صفحة بل لكل سطر بل لكل كلمة مغزى أريده دائماً من وراء الإطالة فى النقل .

مثلاً مقال لأمين الرافعى كان له أثره الكبير فى توجيه السياسة المصرية وكان عنصرا خطيرا فى خروج أمين الرافعى عن الخط الذى تعارف عليه منذ بداية قيام الثورة ، وأعنى به خط النهضة خط سعد زغلول . مثل هذا المقال التاريخى الذى هو جزء من التاريخ لا أستطيع أن أعبره فأنا إذا لم أثبته فى هذا الكتاب قد لايثبته أحد غيرى .

ثم إن المرجع الذى يوجد به المقال لايوجد له إلا أصل واحد عندى فقد ضاعت الأصول فى دار الكتب فماذا يراد منى ؟ أأمر عليه مر الكرام أم أتركه للزمن ؟

هناك فى بعض بطون روز اليوسف وثائق وأقوال ورسائل وأسرار ، وقد جاءت الفرصة لإثباتها فى كتاب بدلاً من أن تظل تائهة أو ضائعة فى بطون روز اليوسف . أليس من المصلحة الحفاظ على هذه الوثائق وإظهارها فى بطون كتب حديثة تكون فيها فائدة للباحثين .

وبهذه المناسبة أقول إن أوراق البحث التاريخى عندنا تضيع وتضيع كل يوم . ولقد قدر لبحثى عن التابعى الجزء الثانى أن يتعطل عامين كاملين لأننى لم أعثر على مجلدين لآخر ساعة لا فى دار الكتب ولا فى أخبار اليوم ولا فى أى مكان ، ومن عادتى أننى لا أستطيع مواصلة البحث مالم يكن البحث متصلا عندى حتى لو لم أستفد منه وبعد أن عثرت على المجلدين لم استفد منهما فقد كانت أوراقى التى بين يدى قد أكفتنى عن هذين المجلدين ، ولكنها الثقة فى الأوراق والرغبة فى الاعتماد على الوثائق إستفدنا منها أولم نستفد . المهم أن تكون بجانبنا ونحن نعد رسائلنا .

ومثال آخر عن الإطالة ، فقد وقعت تحت يدى نتيجة إسمها النتيجة القانية أى ذات اللون القانى وكاتبها صحفى مشهور وعملاق وبوهيمى كتبها فى شبابه وحالت الظروف بينى وبين الإشارة إلى صاحبها إلى أن جاءت الفرصة ، فقد كتبها الصحفى المشهور طوال اثنتى عشرة سنة كاملة ، أكان لمثلى أن يغفل مثل هذه المذكرة ويمر عليها مر الكرام فى سطرين أو ثلاثة .

ولن يرى التاريخ مرة أخرى لمثل هذه النتيجة القانية أى مجال للنشر فى أى صحيفة أو فى أى كتاب يمكن أن يصدر فى مصر .

هذه هى بعض الأسئلة التى أعرضها على القارىء وأترك له حرية الرد فإن كنت قد أذنبت فإنى كما قلت باستمرار على استعداد للاعتذار عن هذا الذنب دون وعد بعدم تكراره .

وتأتى ناحية أخرى أشار إليها الكثيرون بعضهم فى رفق وبعضهم فى عنف فقالوا إن هناك مسائل كثيرة صغيرة إهتم بها أبو المجدوما كان يجب أن يهتم بها . وهذا يؤكد على أننى اهتممت بكثير من الأمور البسيطة والصغيرة التى ما كان يجب أن تنال منى كل هذا الاهتمام . وقد حمل لواء هذا الـزعم الأخ الصديق أحمـد بهجت .. لست أدرى ماذا يراد منى وأنا أكتب تاريخا لهذه الفترة وعلىَّ أن أتناول الموضوعات الكبيرة والصغيرة على حد سواء هل المسألة تقاس بالأطوال أم تقاس بأرطال ورق أم تقاس بما تحتوى عليه من موضوعات .. انا أزعم مثلاً أن التابعى قضى فى حياته أربعة أشهر فى السجن ، كتب فيها أكثر من مائة رسالة وأن هـذه الرسائل شغلتنى أكثر مما شغلت التابعى شهور السجن الأربعة .

لقد درست هذه الأوراق بعد أن احتفظ بها صاحبها من ٣٤ إلى ١٩٨٤ أى أربعين سنة كاملة . كتب فيها الكثير من الأسرار التى حاولت معرفتها تناول فيها أشخاصا لم يرد عنهم إلا حروف من أسمائهم ،ولذلك عكفت على أن أجرى وراء هذه الحروف القليلة وأتتبعها فى محاولة منى لفهم مابين سطورها .

أكان مطلوبا منى أن ألقى بهذه الأوراق التى لا يزيد حجمها على الحجم الذى تتمتع به علب السجائر لأنها صغيرة وغير مهمة أو من الأفضل أن أعرضهـا على القارىء بعد أن أتيحت لى فرصة دراستها .

فى الوقت نفسه جـاءتنى تساؤلات كثـيرة عن سبب عدم إبـدائى الرأى فى التابعى ولهؤلاء أقول : إننى أحـرص دائما فى كتـاباتى وخـاصة كتبى عن رواد الصحافة المصرية أن ألتزم الموضوعية الشديدة وأن أقدم الشخصيات كما عرفها الناس . ولكننى أنوى إن كان فى العمر بقية أن أقول رأيى بالتفصيل فى التـابعى وفكرى أباظة والرافعى فى كتب أخرى وأجزاء جديدة إن شاء الله .

صبرى أبو المجد

إهـــداء

إلى روح الأستاذ الكبير .. صاحب القلب الكبير صبرى أبو المجد الذى وقف الى جانبى فى لحظة انعدم فيها الوفـاء .. وأوفى بوعده .. ولم ينسنى حتى وهو فى لحظاته الأخيرة .. وكان فى غرفة الإنعاش بباريس وطلب من ابنته الغالية رشا التى كانت تصحبه فى رحلة العلاج .. أن تحضر الورق والقلم .. ليملى عليها مقـدمة الجـزء الثانى من كتـاب « التابعى » رحمـة الله عليك ياصبرى .. وأبدا لن أنساك .. وليجعل الله الجنة مثواك ..

هدى التابعى

ديسمبر سنة ٩١

بيت الذكريات

تقـــديم

بقلم : هدى التابعي

من كان منا بلا جذور فهو كاللقيط منبوذ .. !!

عندما صدر الجزء الأول من كتاب « محمد التابعى » للكاتب الصحفى المؤرخ الراحل الأستاذ صبرى أبو المجد .. تساءل الكثيرون من هو الكاتب المجهول الذى كتب المقدمة التى بقلم هدى التابعى ؟ !!! واليوم أكشف السر وأرد على كل هذه التساؤلات .. والاتهامات .. فى صيف سنة ١٩٦٠ على وجه التحديد سافرنا الى لبنان بعد غياب طال فقد كان التابعى فى قائمة الممنوعين من السفر إلى الشقيقة لبنان .. وكان مهددا بالقتل من الرئيس اللبنانى كميل شمعون .. ولكن هذا حديث آخر !!!!

وبين التأهيل والترحيب طلب منى الصحفى اللبنانى الشهير سعيد فريحة صاحب دار الصياد أن أكتب قصتى مع التابعى .. وقدم لى شيكا على بياض وقال : اكتبى المبلغ الذى تريدين .. وطبعا رفضت ولم أرفض إلا .. لسبب بسيط وهو أنى أعتبر ان حياتى الخاصة وقصة حبى للتابعى ملك خاص لايهم إلا أصحابه أى التابعى وأنا .. !! أقول رفضت رغم الإغراءات المادية ولم أقبل رغم إلحاح الصديق سعيد فريحه بين وقت وآخر .. ورفضت عروضا كثيرة بعدها .. أريد أن أقول إن الكتابة ليست حرفتى ولكنها هوايتى .. وهى موهبة حبانى الله بها منذ طفولتى .. وظلت معى فى صباى ... وشبابى .. وحتى الآن .. صقلت هذه الموهبة بالدراسة .. وظلت تنمو وتترعرع وتنضج فى « مملكة محمد التابعى » التى تضم المدرسة .. والجامعة ... والاكاديمية ..

ومعروف لمن حولى .. من اصدقائى .. ومعارفى .. وأحبائى .. والمقربين إلىَّ أنى اكتب ولكن ليس للنشر وحجتى فى هذا اننى أكتب وأترجم مشاعرى - وأحاسيسى .. ونبضات قلبى وكلها ليست للعرض .. إنها ملك خاص لى وهى وجهة نظر إختلف فيها البعض واحترمها البعض الآخر وعلى رأسهم أستاذى ومعلمى ورفيق رحلة حياتى محمد التابعى والمرة الأولى التى كتبت فيها بقصد النشر كانت من أجل التابعى الغائب الحاضر .. وكان هذا فى الجزء الأول من هذا الكتاب الذى أهديت قصته إليه وكتبت له فى الإهداء .

إلى الذى كان .. ومازال .. وسيظل لى .. أبا ومعلما .. صديقا وحبيبا .. زوجا وأبا لأولادى .... إلى كل هؤلاء .. إلى محمد التابعى أهدى قصة هذا الكتاب .. أما الإهداء فى هذا الجزء الثانى فقد كتبته للأستاذ الكبير الراحل العزيز صبرى أبو المجد .. عفوا إذا كنت أطلت عليكم فى الحديث ولكن كان علىّ أن أكشف السر وأرد على التساؤلات .. وأقدم نفسى حتى تكون هناك علاقة طيبة بين القارىء والكاتب ..

فالكاتب أى كاتب .. رأس ماله الحقيقى .. صدقه فيما يقدم .. وعن نفسى فأنا ملتزمة بما أقول ..

فى مساء يوم الإثنين ٢٥ أغسطس سنة ١٩٨٦ أرسل إلى الأستاذ الكبير .. صاحب القلب الكبير صبرى أبو المجد أول نسخة من كتاب التابعى قبل أن ينزل الكتاب إلى الأسواق وعليها الإهداء الآتى سيدتى الجليلة هدى التابعى ..

تحيرت فيمن يهدى هذا الكتاب إلى الآخر .. أنا أم أنت .. وتصالحت مع نفسى على أن نتبادل الإهداء أنا أهديه إليك وأنت تهدينه إلىَّ ولست بحاجة إلى التأكيد أن هذا الكتاب فكرة وموضوعا يعود الفضل فيه إليك وحدك .. فلولا جهودك الشاقة ووفاؤك النادر المثال وحماستك وصبرك النموذجيان ماخرج هذا الكتاب إلى حيز الوجود ..

إسمحي لى أن أهدى كتابا عن رجل عظيم إلى إمرأة عظيمة وحسبى هذا إراحة لضميرى ووجدانى .. المخلص صبرى أبو المجد ١٩٨٦/٨/٢٥ .

وما أن امسكت الكتاب بين يدى ونظرت إلى الغلاف .. وقلبت الصفحات .. حتى ثرت ثورة عارمة كادت تنسينى أساسا الفكرة فى إصدار الكتاب وهى إنصاف التابعى .. وتقديم أعماله بالصورة التى تليق به كأستاذ للصحافة العربية الحديثة لا المصرية وحدها .. وكانت ثورتى لعدة أسباب أولا صورة الغلاف ليست هى المتفق عليها .. ثانيا كثرة الأخطاء المطبعية وسقوط عبارات من المقدمة التى كتبتها .. ثالثا عدم وجود فهرس للكتاب .. رابعا صور التابعى ومن معه الخاصة بالكتاب لم تنشر .

ورفعت سماعة التليفون وحادثت الأستاذ صبرى .. وأحس بثورتى .. وبهدوئه المعهود .. وقدرته على التحمل طيب خاطرى وطلب منى أن أملى عليه التصحيحات التى أريدها فى المقدمة التى كتبتها وفعلا نزلت ورقة خارجية مع الكتاب فيها (رجاء وإعتذار إلى القارىء) وبالتفصيل تصحيح الأخطاء .. أما عن صورة الغلاف .. وفهرس الكتاب .. وصور التابعى ومن معه التى لم تنشر فقد حاول جاهدا أن يهدىء من ثورتى ويعدنى بأن كل انتقاداتى سوف تكون محل اعتبار فى الجزء الثانى من كتاب التابعى .. وأنهينا المحادثة .. ولكن لم تهدأ ثورتى فلا ضمان لوجودى على قيد الحياة عندما يرى الجزء الثانى من الكتاب النور .. فقد مرت أربع سنوات طوال حتى قابلته للمرة الأولى لأقدم إليه مادة الكتاب .. وهى مادة غزيرة جدا ... وأربع سنوات أخرى حتى ظهر الكتاب .. وأعترف أننى ظللت لفترة ليست بالقصيرة أعانى معاناة شديدة فقد كنت أتمنى أن يكون إخراج الكتاب كما تخيلت .. ولكن !!!

وتوالت الأيام وبدأ الكتاب والنقاد يكتبون ويعلقون ولا اذكر أننى قرأت أو سمعت عن كتاب كتب عنه مثل ماكتب عن كتاب التابعى وهذا ليس تحيزا بل أرجو الا اتهم به – وأول من كتب يمهد لصدور كتاب التابعى كان الاستاذ الكبير إبراهيم الوردانى فى جريدة مايو فى « صواريخ الأسبوع » بتاريخ ١٩ أغسطس ٨٥ . كتب يقول ..

فى الطريق إلى المطبعة الآن كتاب عن « محمد التابعى » عنوانه رائد الصحافة العربية الحديثة يقدمه الزميل الكبير المثابر « صبرى أبو المجد » .

أبو المجد له أربع سنوات الآن يؤرخ فيه ويجمع له . ويبحث معه عن صناديق الأسرار والكنوز والمجهول مما تطوح من رجل – إذا أرخنا له عريض الحياة .. مما عاشر ومارس وباشر – فهو فى الصدارة من قائمة شوامخ مصر الحديثة .. أحد صناع مصر الحديثة ..

وإذا تصورت عزيزى أن التابعى كان مجرد ظاهرة صحفى برع فى شئون النقد والأسلوب والكتابة – فهذا فقط الغلاف منه أما المحتوى فقل عنه – ندرة مصرى ممن وهبهم الله مقدرة تحويل الشعوب .

لقد كان ريفيا مقتحما لمجتمع الأرستقراطية .. والطبقة المصرية فى عز غطرستها وكبستها – وبهراوة قلمه شتت فيهم وهشم فيهم وحولهم أمام العيون الشعبية إلى كاريكاتير إضحاك ونكت ولواذع قفشات وسخريات !... لقد كان فارسا شجاعا ضد الرجعية والجمود والتزمت والتخلف وجواده الأشهب هو الانطلاق والتحرر إنه أول مفجر للمصرية الصميمة فى ساحات غليظة تكتل فيها الشامى على المغربى على اليهودى على الجريكى على الأسكتلندى للبيع والشراء فى الفكر المصرى وقيادة الكلمة المصرية جرفهم .. نزحهم .. طردهم .. فمن تظن قد حرر الكلمة المصرية من لكنتها والتواء لسانها إلا هذا الفلاح الدقهلاوى المتميز كان التابعى رايات خفاقة عديدة إرتفعت على النصب المصرية – ربما لاتراها عينك الآن عزيزى الجيل الصحفى الجديد ولكنها ترفرف جدا وبكل لفح التواجد فى دمك وعروقك .

كتاب التابعى الجديد بقلم صبرى أبو المجد .. ولست أدرى ماذا سوف يكون حجمه أو سلاسل أجزائه فكل شهر من حياة هذا الرجل يمكن أن يؤلف ملحمة .

وسوف يدهشك أن تعلم أن عزيزنا المؤلف أبو المجد لم يعاشر التابعى عملا أو صداقة أو حياة ولم يشرب منه هذا الترياق السحرى من شجاعة التلم وواجب القلم بمثل كثيرين مازالوا يعيشون – فمن أين استمد المادة والمشاعر وحرارة الإقدام على

مثل هذا العمل الكبير ؟.. أقول لك فمن خلفه وقف الوفاء النادر والحار والغريب الذى يتمثل فى شريكة حياة التابعى .. أرملته السيدة هدى .. فهى على مدى تلك السنوات الأربع - إذا شئت أن أصفها لك - يمثل إيزيس الخالدة التى تفرغت بكل ذرة من حياتها لتجمع الناقص والبعيد من أشلاء زوجها أوزوريس التى تناثرت قبلى وبحرى .

تحية لها وانحناء .. ثم تحية لعزيزى صبرى .. ويبقى لك الشوق واللهفة عزيزى وولدى الجيل الصحفى الجديد ان تمسك لنفسك السيرة وشهادة الميلاد من أب لك فريد ونادر تفخر به على طول العصور .

ثم كتب فى عاموده اليومى الشهير صواريخ بجريدة الجمهورية بتاريخ الثلاثاء ٥/٩/١٩٨٦ .

صباح الخير

فى السوق بعد أيام كتاب « محمد التابعى رائد الصحافة المصرية الحديثة » ٦٠٠ صفحة من القطع الكبير والثمن ستة جنيهات ولا .. لاتبخل بها ياسن تدفع مثلها ثمنا لتذكرة سفر إلى الاسكندرية مثلا فسوف تكسب بها أن تسافر وتطوف فى رحلة حافلة ثرية مثيرة مشوقة طولها وعرضها ٤٠ سنة من سنوات مصرية حافلة وحاشدة !!

أشرطة نادرة من سنوات مصرية لامعة وملهمة ومفقودة لم يشاهدها ولم يعرفها الجيل المعاصر طبعا - وأجندة ذكريات حارة زاخرة لمن عاش فيها .. وشهادات ميلاد لجيل صحفى حائر ويتيم ومشرد ومازال لايعرف عمن كان له الأب والأم .. وأين كان له المهد والبيت .. ومن أعطاه رضاع الثدى وحنان الحمل على الصدر ؟ .

هذا الكتاب وإذا كان العمود الفقرى له هو مسلسل مشاهد الحياة الصحفية للرائد الصحفى العملاق فإن كسوة العظام له من اللحم والأوعية والشرايين والدم والحواس - هو مسلسل المشاهد من سنوات مصر كلها .. وهى تفرك العين بعد همود وخمود على عصر نهضتها وخفق صحوتها .. وهى أيضا تفرك اليد على المسلوبات منها ليس فى الصحافة فقط بل فى الادب والفن والسياسة - فى التعامل والتبادل فى الدياجير والأضواء . فى التسكع والصعلكة فى الطموح والاستطلاع فى الشحذ والزمح والجرى والقفز فى الشخوص والصالونات والخرابات : فقد كان هذا التابعى .. أول جذوة صميمة من مواهب ماانـدلع فى النفس البشرية كى تتمرد وتبدأ التحدى لواقعها المترامى التعس !.. واقعها الخواجاتى والبرنساتى والباشواتى وايضا الشامى واليهودى والمغربى ممن كانوا فوق الكتف بل فوق جلال الهامة !.. إنبرى التابعى بجذوته تلك .. شعلة قلم جرىء ومندفع ومغامر وكاسر .. مصرى صميم فى كل

الساحات يقتحم لايبالى فى النقد السياسى كما فى النقد الفنى كما فى النقد الطبقى كما فى النقد ضد أى شىء مما يهين الكرامة والكبرياء لمصر .. ويارياه ما أكثر ماكان يهين الكرامة والكبرياء لمصر ..

شكرا شكرا للجامع الكتاب صديقى العزيز والكبير « صبرى ابوالمجد » إذ يستدير مشمر الأكمام فى همة البسلاء على تلك الحفائر الغالية والثمينة مما ردم عصف الأحداث والسنوات ... سيرة عظماء الرجال الذين حملوا مشاعل الأقلام لإضاءة مصر ووجدان مصر !

ثم شكرا وانحناء وتقديرا للسيدة الرائعة « هدى التابعى » أرملة الراحل العظيم التى جندت نفسها منذ رحل وكأنها إيزيس الوفية تجمع ماتبعثر من لحم زوجها فى سحيق الوديان والمتاهات !.... ولسوف تأخذك عزيزى القارىء ملحمة هذا الوفاء فى المقدمة الطويلة المثيرة التى كتبتها فى مطلع الكتاب ومعلهش لما تفجر رذاذا من لوعة حزنها .وتأثر غضبتها على شخوص بيننا مازالت تعيش تصورت أنها تنكرت للتابعى فى حياته كما فى مماته ! ثم حار وجزيل الشكر أخيرا للدار القومية « التعاون » على تطوعها القومى المخلص فى نشر مثل هذا الكتاب الذى أرشحه ملكا يتبوأ العرش على أرفف المكتبة الصحفية الحديثة .

والأستاذ الكبير ابراهيم الوردانى له منزلة خاصة عندى فلم تمر سنة على ذكرى رحيل التابعى إلا وكتب عنه ومن أجمل ماكتب بتاريخ ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٨٦ كلمة هى أقرب ماتكون إلى لوحة مرسومة بالكلمات وتعالوا بنا نقرأ .

محمد التابعى ــ ٢٤ ديسمبر ليلة أطفأت الأنوار

ذكرى وتحية

من الأجندة الصحفية ديسمبر سنة ١٩٤٤

● .. ومازلت ناشئا جديدا فى آخر ساعة أشهر وأقوى مجلة سياسية فى ذلك الزمان وأشهر وأقوى مجلة سياسية فى ذلك الزمان كانت شقة صغيرة « فى عمارة بحرى » من أربع حجرات يشتغل فيها خمسة أو ستة محررين أو مندوبين ومعهم الرسام صاروخان ، ثم اربعة أو ثلاثة موظفين هم الخواجة روبير الذى يصرف الهاليا ومطلوبات الطبع والورق . والخواجة خورى الذى يأتى بالإعلانات وعبد الرحمن الذى يمسك التليفون ، وعم عابدين الساعى والفراش والبواب !

ناشىء وجديد فى آخر ساعة نعم ... ولكنى سريعا ماكنت قد نلت الحظوة عند التابعى المهيب الرهيب ... وبعد أول قصة ... وبعد أول صواريخ ... قربنى إليه حميما

أصبحت له ولعا وراح يعزمنى على أكلات السمان المشوى فى بلاطه الفاخر بحى الزمالك ثم يجلسنى ـ ياللهول ـ على مكتبه العريض ـ إذا ماغادر الدار أو سافر عن الديار .

وذات يوم . وآخر ساعة فى لهاث يوم الطبع ! فوجئت وأنا بشقة المجلة وحدى بأخينا « الرقيب » يشطب بقلمه الأحمر الغليظ كل الصفحات الثالثة والرابعة والخامسة !... فزعت واضطررت لايقاظ التابعى من النوم .. وعندما عرف بالأمر ثار وصخب وشتم ولعن سنسفيل جدود الرقباء والوزراء . وطلب منى أن أذهب بالمحذوف فورا إلى وزارة الداخلية وأكلمه من مكتب الوزير .

وزير ؟!! أنا لم أقابل وزراء فى حياتى .. وأنت تعرف طبع حيائى ومرهف شعورى .. و .. قاطعنى بأن أنتظره واقفا عند الباب فسوف يحضر بنفسه حالا !

وركبت بجواره ومعى البروفة فى الرولزويس الباهرة الفاخرة وطربوشه المائل على الحاجب يهتز من شدة ماهو منفعل وغاضب !...

ومرقت بنا السيارة من بوابة وزارة الداخلية والعساكر تعظيم سلام . والتابعى بأرستقراطيته النفاذة يقتحم الأدوار والردهات والحجرات والناس له ينحنون ويفسحون ... ثم تندفع خطوات حذائه نحو غرفة مكتب مزدحمة بأطقم من أفخر الناس والرياش وشاب فائح الأناقة هو مدير مكتب الوزير يقفز مهرولا منحنيا للتابعى ، وقبل أن يحاول الشاب أن يدخل وهو يفتح الباب مواربا على غرفة الوزير سبقته خطوات التابعى العصبية ـ وهو يجرنى من ذراعى ـ وبركلة من حذائه دفع الباب ليفتح على المصراعين نعم فتح الباب بركلة من حذائه ! ياله من منظر لا أنساه !... لأول مرة ياخال فرج وياعمتى أمينه وياعم الشيخ عبد الباسط أرى باشا !... فما بالكم إذا كان هذا الباشا هو ذائع الصيت المرعب « فؤاد باشا سراج الدين » وزير الداخلية والحاكم العسكرى والآمر الناهى فى كل مصر !

المنظر .. المشهد .. الباشا سراج الدين كالوهج . منجعص خلف مكتب مطعم بالقطيفة الخضراء والبللور الضاوى . له بريق الذهب ورائحة البنكنوت الطازج !.. فى فمه سيجار له حجم الفار . وفى أصبعه خاتم له شكل الفانوس ..!.. وأمامه يجلس كرشان فخمان الباشا عثمان محرم والباشا عبد المجيد صالح !.. هب الثلاثة الفخام العظام فى استقبال التابعى وأذرعهم تفرد نفسها لطويل العناق : ... ولكن التابعى توقف فى منتصف الحجرة متجاهلا الأذرع الممدودة . وانطلق مزمجرا معنفا مخيفا بكلام خلاصته هو الرفت الفورى لهذا الرقيب الوقح وأن يسمع الاعتذار من وزير الداخلية حالا :

ياله من مشهد انزرع فى العين حتى الآن والباشوات الفحول يهدئون الصحفى المنفعل الغضوب .. يدللون ويسترضون بل ويتزلفون .. وأهدأ يامحمد .. روق ياتابعى .. نرفت لك الرقابة كلهاً بل وتعتذر لك أجهزة الحكم كلها .!

أنا جالس على طرف المقعد منكمشا ومبهورا وذاهلا ... وريفيتى المفرطة لاتصدق أن يكون للقلم الصحفى مثل هذا السلطان !... أقول وأردد إنزرع هذا المشهد فى عينى وفى مشاعرى وعلى أسطر ضلوعى .. وكأنه التقييم الهائل لقيمة الصحفى فى بلاط الحكم والسلطان . وياإلهى كيف لايستعمله الصحفيون والكتاب بمثل هذا الشمم وتلك الكبرياء !... نعم إنطبع المشهد وشاع فى وجدانى ولم أسأل وقتها من أين هذا السلطان ومن اعطى هذا السلطان ولحساب من هذا السلطان !

إنه الشعب لا سواه . هو وحده الذى يعطى مثل هذا السلطان ، ومنذ يومها .. لا سلطة ولاسلطان أمامى ـ إلا أنت ياجمهورى العزيز !...

هذا المقال كتبه العزيز الغالى الراحل الأستاذ ابراهيم الوردانى فى صفحته فى جريدة مايو سنة ١٩٨٦ واليوم ٢٤ ديسمبر ١٩٩١ أى الذكرى الخامسة عشرة للتابعى العائش فى أضلعى وقلبى ووجدانى رغم رحيله .. رحمة الله عليك ياأستاذ إبراهيم إنى أقرأ لك الفاتحة كل يوم وأذكر أحاديثنا الصباحية .. وأسأل على أهل بيتك .. صدقنى عندما اقول برحيلك رحل الوفاء كله .. كم أفتقدك .. ولان الشىء بالشىء يذكر فقد ذكرنى وصف الوردانى للباشا « سراج » بواقعة حدثت فى أوائل هذا العام أن نشرت جريدة الوفد مقالا إعتبرته سبا وجرحا « للتابعى » فأرسلت إلى جريدة الوفد الرسالة التالية ـ

٧ يناير سنة ١٩٩١

السيد الأستاذ جمال بدوى رئيس تحرير جريدة الوفد

تحية طيبة وبعد

عملا بحرية النشر .. أرجو نشر هذا الرد كاملا فى جريدة الوفد وهو رد على مقال نشر فى العدد الصادر بتاريخ الخميس ٣ يناير ١٩٩١ وشكرا .

طلعت علينا جريدة الوفد يوم الخميس ٣ يناير ١٩٩١ بمقال فى كتاب جديد للكاتب أحمد ابو الفتح وفيه كلمات « ماسة » بالأستاذ التابعى حاول مؤلف الكتاب ان يلصق قولها بإنسان ليس على قيد الحياة وهو الرئيس الراحل « جمال عبد الناصر » وهى شجاعة يحسد عليها المؤلف !!ـ

سوف أنقل هنا الجزء الخاص بالتابعى .. إلخ ...

وفى صدر جريدة الأخبار مقال بإمضاء محمد التابعى .. وكل ما فى المقال سب وطعن فى فاروق ((اذكر أنى زرت جمال فى اليوم التالى فبادرنى بابتسامة عريضة وقال « هل قرأت جريدة أخبار اليوم » فأجبت بالإيجاب . فزاد اتساع ابتسامته وقال « قرأت مقال التابعى » ؟ .... ففهمت عندئذ غرضه . فقال .. هل تعرف ماذا فعلت بالمقال » ؟ فقلت ماذا فعلت به ؟ .... فابتسم بل قهقه وقال « لقد نزعتها من الجريدة ولصقتها بحجرة نومى » فلما لاحظ دهشتى أضاف مقهقها وكتبت عليها كلمة « النفاق » .

أردت أن أسجل هذه الحادثة العابرة لا لشىء إلا لأن محمد التابعى هذا قد نصبه جمال عبد الناصر مديرا لمؤسسة أخبار اليوم المؤممة وغدا من أهم الكتاب الذين أصبح يعتمد عليهم جمال عبد الناصر كل الاعتماد إلى هنا انتهى كلام المؤلف .

وأنا أقول هنا للحقيقة والتاريخ – ولمن يهمه الأمر .. ثم لمن يعيش فى غيبوبة . أفق يا هذا .. التابعى هو الذى أسس المدرسة الصحفية الحديثة وتتلمذت على يديه كل الأجيال الصحفية التى تعيش بيننا ومن قبلهم أساتذتهم .. وكان دائما أهم الكتاب منذ لحظة ظهوره على الساحة الصحفية وطوال سنوات عمره .. وكتاباته تشهد بذلك – تاريخه مشرف فقد تعرض للسجن .. القتل .. الاغتيال .. حتى عندما أرادوا إبعاده خارج البلاد كملحق صحفى حتى يريحهم من حدة قلمه الجرىء .. الشجاع .. رفض بإباء وشمم .. نعم قالوها بأعلى صوت .. ورفض عرضهم ..

عاب فى الذات الملكية .. أسقط بقلمه حكومات .. هز عروشا وتيجانا وظل يقاتل بقلمه الشريف .. وعاش على الأرض وطنه يدافع عنه .. ولم يذهب إلى وطن آخر .. رغم كل ما تعرض له .. وهو الذى كتب والملك فاروق يعتلى عرش مصر فى ١١ أكتوبر ١٩٥٠ مقالا بعنوان « يحيا الظلم » قال فيه .

نعم « يحيا الظلم » ظلم كل جبار عاتية ، معتز بسلطانه وسطوته يدوس القوانين ولايبالى .

وظلم كل كبير فاسق وكل عظيم فاجر يسرق ولايبالى ويختلس ولايبالى ويثلم الاعراض ولايبالى .

ويهدر الكرامات ودم الوطن ويجعل من مصر أمثولة السوء وبصقة كريهة فى فم الزمن . نعم « يحيا الظلم » ظلم كل مطالب باحترام القانون ولايحترمه .
وكل قادر على حماية القانون ولايحميه .

وظلم كل عابث ماجن مستهتر إباحى يضرب للناس أسوأ الأمثال نعم يحيا

الظلم لأنه خير مرب للنفوس ونفوس المصريين تجيش اليوم بمعنى واحد .

لقد صبرنا طويلا ولن نصبر بعد اليوم .

وتحملنا كثيرا ولن نتحمل بعد اليوم .

وقرأ فاروق المقال وأشر على هذه العبارات التى سبق ذكرها ثم سأل بعض رجال ديوانه الملكى من العظيم الفاجر الذى يسرق ويعتدى على الأعراض ؟

وسكتوا عن الرد .

وعاد يسألهم من الذى يعنيه التابعى ؟

ولم يجب أحد منهم وابتسم فاروق ابتسامة صفراء لأنه عرف بكل تأكيد من سكوت حاشيته أنه المقصود .. وصودرت أخبار اليوم .

ترى هل هذا مديح فى الحكم أو فى الملك الجالس على العرش ؟ ... إذن ما الغريب فى أن يكتب التابعى مقالا يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٢ يسب أو يطعن فى الملك ... أهذا هو النفاق ؟ .. أم النفاق هو أن يمدح فى الملك وهو جالس على العرش ويطعن فيه عند سقوطه ؟!!!

ليت الكتاب يستشهدون فى كتاباتهم بالأحياء ولكنهم دائما ... دائما .. يستشهدون بالأموات لأنهم لايردون .. وتحت التراب لايسمعون .. وعجبا لقوم لايفهمون !!....

على كل حال لقد قال التابعى عن نفسه يوما .. إن الكثير يعملون بقول « الخوارزمى » إذا عارضك تيار النهر فسر معه والا أغرقك ... ولكنى رفضت العمل بهذه الحكمة وعارضت تيار النهر فغرقت أو أوشكت على الغرق كثيرا ..

ومعنى هذه الحكمة .. فى بطن الشاعر ..!!!...

كلمة أخيرة أقولها لكل كاتب يتعرض لكتابة التاريخ .. كن أمينا وصادقا .. عادلا وملتزما . لا تفتر ولا تراء.. وابعد عن أهوائك أو أغراضك .. والا فاكسر القلم قبل أن تكتب به

إلى هنا وانتهت رسالتى .. فماذا فعلت جريدة الوفد التى على رأسها الباشا سراج ؟!! كتبت ماأرادت .. وحذفت ماأرادت .. ولتحيا حرية الرأى الآخر !!!....

وفى جريدة المساء بتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٨٦ كتب السيد هانى عرضا وتلخيصا ..

محمد التابعى ملك فى بلاط صاحبة الجلالة

قالوا عنه .. « ملك الصحافة المصرية الذى لم يخلعه أحد عن عرشه ولا حتى

وفاته خلعته عن عرشه فمازال بلاطه الضارب ممتدا وشامخا فى تلاميذه وتلاميذ تلاميذه » .

ولم يحظ أحد فى بلاط صاحبة الجلالة .. بلقب الملك سوى الاستاذ محمد التابعى .. أحد الذين أسسوا الصحافة الحديثة فى مصر .. والذى رحل عن عالمنا سنة ١٩٧٦ .

ورغم مرور عشر سنوات على رحيله .. كان من المتوقع خلالها ان يقوم بعض تلاميذ بكتابة تاريخ حياته .. فإن الذين تذكروه وكتبوا عنه قلة فقط .. ولأول مرة يصدر هذا الاسبوع كتاب عن الاستاذ « محمد التابعى » كتبه الاستاذ « صبرى ابو المجد » الكاتب الصحفى وأمين عام المجلس الأعلى للصحافة والكتاب صادر عن مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر وضمن سلسلة كتب عن أعلام الصحافة العربية بداتها بهذا الكتاب .

■ قصة الكتاب .

يقع الكتاب فى ٥٧٥ صفحة من القطع الكبير .. إستهلته السيدة هدى التابعى أرملة الاستاذ محمد التابعى فى ال ٢٧ صفحة الأولى بقصة صدور الكتاب .. ومن خلال روايتها لهذه القصة نلمس وفاءها النادر للأستاذ التابعى .

■ كتبت تصف حياته .

لقد عاش التابعى حياته .. طولا .. وعرضا .. وعمقا .. وارتفاعا .. وكل يوم فى حياته يصلح لأن يكون قصة .. وبالتالى فحياته كلها لابد وأن تكون مجلدا .. ضخما .. كبيرا .. مثيرا ..

وقد حرصت ان يخرج هذا المجلد الى النور .
وكان علىّ أن أبدأ .. »

أمس الأربعاء ١٥ ديسمبر ١٩٨٢ قبيل الذكرى السنوية السادسة للتابعى بأيام معدودات تقابلت مع الاستاذ صبرى ابو المجد الذى أكن له احتراما وأعطيه الثقة البالغة .. وأأتمنه على مذكرات .. وكتابات .. وخطابات .. ومستندات ومجلدات .. وعقود خاصة بأعمال التابعى أعتبرها كنزا لايقدر بمال لأنه تاريخ الصحافة العربية الحديثة والذى سيقدم حقيقة التاريخ للأجيال الحاضرة .. والاجيال القادمة دون تزييف .

ثم وهى تروى قصة صدور هذا الكتاب تراها غاضبة عاتبة على بعض الذى كتبوا عن محمد التابعى لكن البعض حاول بكل إمكانياته ان يصور التابعى « دون جوان »

« كازانوفا »ينفق كالملوك وينزل فى الجناح الملكى فى جميع فنادق أوروبا .. ويسلط الأضواء على هذا الجزء ويخفى المعالم التاريخية .. الوطنية .. والمعارك التى خاضها فى سبيل نصرة الحق .. بل ويخفى بصماته فى كل صحيفة من خلال تلاميذه .. بل لقد عز على البعض نجاح التابعى فأخذ ينسب هذا النجاح لنفسه بالباطل

وإزاء ذلك قررت ان تشكو الى نقيب الصحفيين .

وعندما تأزمت حالتى النفسية من كثرة ما قرأت من تزييف وتزوير وطمس للحقائق واعتداء على التاريخ امسكت بالقلم وكتبت الى السيد نقيب الصحفيين .

لكنها ايضا تذكر بالخير كل الذين كتبوا عن التابعى ولم يجرحوه كالأستاذ ابراهيم الوردانى فى جريدتى الجمهورية ومايو والاستاذ حازم فودة فى مجلة آخر ساعة ثم نراها تنشر بعض مذكراتها عن التابعى التى كتبت فيها تقول .

« أريد ان أحتضن كل أوراق التابعى بل أكثر من ذلك أريدها ان تكون كفنا لى اتخيلها تدفننى فى قبرى »

ويبدأ صبرى ابو المجد فى مقدمة الكتاب فيوضح ان علاقته بالاستاذ محمد التابعى لم تتجاوز لقاء عابرا مرتين فى دار نقابة الصحفيين .. ومكالمتين تليفونيتين فقط .. لكنه كان يقرأ للتابعى باستمرار :

« ما تركت كتابا ولامقالا ولاقصة له إلا وقرأتها بل واستوعبتها تماما » ثم يمضى فى المقدمة فيسرد بعض المواقف التى عرفها عن التابعى ويعرض بعض الأوراق التى ظل التابعى محتفظا بها طوال سنوات عمره .

ومن بين هذه الأوراق قرار صادر من رئيس مجلس النواب الاستاذ ويصا واصف جاء فيه : بناء على المذكرة المقدمة إلينا من حضرة السكرتير العام للمجلس بأنه فى يوم ١٤ ابريل سنة ١٩٢٨ صدر ضد محمد افندى التابعى الموظف بسكرتارية المجلس حكم من محكمة جنايات مصر بالحبس مع الشغل ستة اشهر مع إيقاف التنفيذ لأنه ارتكب جريمة « العيب » علنا فى حق بعض الملوك بأن اعطى سلسلة مقالات الى مجلة روزاليوسف نشرها بها وبناء على ما بلغ إلينا من أن الموظف المذكور لايزال مستمرا على مكاتبة المجلة المشار اليها قررنا إحالة محمد التابعى افندى أمام مكتب المجلس منعقدا بهيئة مجلس تأديب لمحاكمته على التهمتين المبينتين بعاليه .

ورقة أخرى صادرة من السكرتير العام لمجلس النواب الى محمد التابعى افندى بإخطاره بقرار رئيس المجلس وتحديد جلسة يوم الإثنين الموافق ١٨ يونيو سنة ١٩٢٨ الساعة ١٠ أفرنجى صباحا لمحاكمته .. و .. و ..

ومن بين الأوراق الخاصة بالأستاذ التابعي خطاب بخط مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصرى بتاريخ ٨ ذى الحجة سنة ١٣٥٨ / ٣ إبريل ١٩٣٣ يهنئه باتمام عشر سنوات فى خدمة الصحافة الحرة منها ثمان سنوات فى روزاليوسف .. ورسالة اخرى بعث بها الى التابعى « مكرم عبيد » سكرتير عام الوفد المصرى لتهنئته بنفس المناسبة .

ومن أوراق التابعى بالسجن ماكتبه بتاريخ ٦ يونيو ١٩٣٣ للسيدة « روز اليوسف » يسألها فى البداية ماذا فعلت فى النيابة ؟ لقد سمحوا لى أمس بدفتر وقلم رصاص بناء على طلبى أدون فيه ملاحظاتى الأدبية على ما اقرأ ولكن هذا الدفتر سوف يعرض على المصلحة قبل الافراج عنى ولكى تفحصه ثم ترده الى أو تبقيه عندها حسب ماترى .

ومن رسالة أخرى كتبها التابعى من السجن الى السيدة روزاليوسف :

ـ عزيزتى : اقبلك واقبل يديك وأرجو أن تكونى بخير ولقد علمت أنك قضيت يوما فى السويس وسررت جدا بأن هذا التغيير ينفعك ويفيد أعصابك .. مقال فكرى اباظة لابأس به من جهة الأسلوب وهو خفيف من جهة الموضوع خصوصا وأنه لم يذكر أهم نقطة وهى النقطة الخاصة بتصريح وزير الحقانية يوم زاره وفد الصحافة من أجل توفيق دياب فقد أبدى أسفه يومها لأن توفيق دياب محكوم عليه بالحبس مع الشغل والقانون لايجيز الامتيازات الخاصة بالسرير والاكل الا للمحكوم عليه بالحبس البسيط . وهذه النقطة مهمة جدا وكان فى ذكرها توريط للوزير .. الخ الرسالة ويمضى المؤلف صبرى ابو المجد فى عرض أهم الاوراق والخطابات التى ظل الاستاذ التابعى محتفظا بها .. ومنها مثلا صورة خطاب بعثت به الملكة نازلى الى صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا تشكو فيه من الملك فؤاد وسوء المعاملة التى تلقاها فى القصر حتى من الخدم ومربيات الأطفال ثم تعليقا للتابعى كتبه على صورة الخطاب : صدقى يقابل الملك . الملك يقول مش عاوزها : يحبسها ولا يطلقها : صدقى ينصح الملكة نازلى ان تهدأ :

ورسائل اخرى متبادلة بين التابعى الذى كان يعيش فى الخارج والموسيقار محمد عبد الوهاب ومحمود ابو الفتح وكريم ثابت وروزاليوسف وفاطمة رشدى .. وشقيقه حسين التابعى .. وشخصيات عامة كثيرة جدا منها الملك عبد الله ملك الأردن .

ثم مقتطفات من المذكرات السياسية التى كتبها التابعى والتى نشر بعضها فى مجلة الجيل الجديد وسطور من مقدمة كتاب « من أسرار الساسة والسياسة » ..

وبعض ما كتبه سعيد فريحه وفكرى أباظة عن التابعى .. حتى تنتهى مقدمة الكتاب صفحة ٨٣ ويبدأ المؤلف يتحدث فى الفصل الأول عن بواكر الصبا والشباب لمحمد التابعى .

■ البداية :

يقول المؤلف : كان الاستاذ محمد التابعى ضنينا للغاية فى الحديث عن ايام طفولته وشبابه ربما لأنه كان يرى أنها ايام عادية عاشها مثله الوف الأطفال والشبان المصريين الذين كانوا يعيشون فى مثل بيئته الاجتماعية والاقتصادية ثم ينقل ما كتبه الاستاذ عباس خضر عن طفولة التابعى فى مجلة التحرير ضمن سلسلة موضوعات عن أيام الطفولة لكبار ورواد الأدب والصحافة والثقافة نعرف منها ان محمد التابعى ولد فى الجميل قرب بورسعيد حيث كانت الاسرة تصيف هناك مقام الشيخ التابعى المشهور ببركاته وكراماته فسمى الوليد محمد التابعى تيمنا بالشيخ التابعى ويقال ان والدته بعد أن أنجبت اربع بنات نذرت إن أعطاها الله ولداً لتسمينه التابعى تبركا بالشيخ التابعى .

نشأ محمد التابعى بمدينة المنصورة والتحق بمدرسة المنصورة الابتدائية تلميذا عاديا فى دراسته ولم يتخلف سوى عام واحد وكان ضعيفا جدا فى الخط العربى وفى السنة الاولى كان ترتيبه الثامن والعشرين من ٩٢ تلميذا وبعد ان حصل على الشهادة الابتدائية جاء الى القاهرة والتحق بالمدرسة السعيدية الثانوية وتعرف فيها على زميله وصديق عمره فكرى أباظة وفى هذه الفترة اهتم التابعى بقراءة كتب المنفلوطى وقصص مسامرات الشعب التى يصدرها الصحفى « خليل صادق » وكانت قصصا مترجمة من روائع الأدب الغربى وذلك الى جانب قراءاته للقصص الانجليزية فى لغتها الاصلية التى كانت سببا فى تفوقه فى اللغة الانجليزية الى درجة انه كان يكتب بها اسهل مما يكتب باللغة العربية وبعد ان حصل التابعى على البكالوريا كان يود ان يدخل كلية الطب لولا انه زار مع صديق له المشرحة فاهتزت مشاعره وأيقن انه لن ينجح كطبيب ومن اجل ذلك اتجه الى دراسة الحقوق.

وهنا يقول التابعى : والتحقت بكلية الحقوق وزاملنى فيها شريف صبرى لكننى لم اكن صديقه لأنه كان ابن ذوات وكنت انا من عامة الطلبة كانت الحقوق على أيامنا غير هذه الايام بل الجامعة كلها بوجه عام فقد كان الطالب منا عندما يرى استاذه فى مكان يسرع بمغادرة المكان تأدبا أما لياليناً فى شارع عماد الدين فقد كنا نقضيها جماعة وكانت الجماعة تتألف من أربعة اصدقاء انا ، وفكرى أباظة ، والمرحوم الدكتور محمود حافظ ، وعلى شريف مسعود .. وكانت سهرتنا يوم الخميس من كل أسبوع وكان كل واحد منا مطالب بأن ينفق على السهرة مرة فى الشهر وكانت السهرة

تكلفنا جنيها كاملا نتعشى ثم نذهب الى احد المسارح وفى آخر الليل نسير الى ميدان الخازندار حيث نكترى أربعة حمير تحملنا الى بيوتنا .

وعن بداية كتاباته يقول التابعى :

فى إبان ثورة ١٩١٩ وما تلاها وعلى وجه التحديد عام ١٩٢١ إبان المظاهرات الوطنية التى قامت فى تلك السنة كتبت الاجيبشيان ميل مقالا هاجمت فيه المظاهرات وبأسلوب الشباب التحمسى إغتظت من تلك المقالة وتناولت القلم فكتبت اول مقال لى باللغة الانجليزية وأرسلته للجريدة وكم كانت دهشتى عندما نشرته الجريدة فى مكان بارز مع تعليق عليه ثم بعث رسالة الى الجريدة عن الموظفين الإنجليز الذين يستنزفون اموال الدولة ولا يقومون بأى عمل ولم يكن لدى فى الحقيقة اى أمل فى نشر تلك الرسالة ولكننى فوجئت بان الجريدة نشرتها وفى مكان بارز ايضا ثم أخذ التابعى يوالى الجريدة بمقالاته عن الانجليز حتى أصبح بعد ذلك صديقا لرئيس تحريرها مستر « أوفارول » وحدث ان دعاه الأخير الى مشاهدة مسرحية « غادة الكاميليا » التى كان يمثلها على مسرح رمسيس السيدة روزاليوسف وعزيز عيد ويوسف وهبى .. وطلب مستر « أوفارول » من التابعى ان يكتب نقدا للمسرحية لنشره فى مجلة سفنكس التى كان يشرف على تحريرها الى جانب جريدة الاجيبشيان ميل .. ولم يعجب النقد فرقة رمسيس فكتبت جريدة النظام تهاجم مقال التابعى واضطر التابعى ان يرد على جريدة النظام – فكتب اول مقال له باللغة العربية فى جريدة « السياسة » التى كان يصدرها حزب الاحرار الدستورى .

وهكذا بدأ التابعى يدخل عن طريق الهواية بلاط صاحبة الجلالة .. فى نفس الوقت الذى كان يتأهب فيه لترجمة مذكرات لورد سيسيل التى أثارت ضجة هائلة .

■ اول مطبوع :

كانت مذكرات اللورد سيسيل .. المستشار المالى الاسبق للحكومة المصرية هى أول مطبوع يحمل إسم محمد التابعى .. صدرت فى كتاب سنة ١٩٢٢ فى مائتين وعشر صفحات وتم طبعه فى مطبعة النهضةالمصرية بالمنصورة وكان ثمنه عشرين قرشا .. وقد تناول اللورد سيسيل فى هذه المذكرات من عرفهم من المصريين من وزراء وأعيان وموظفين بالهزءوالسخرية والتنديد والتشهير . وتلقفت الكتاب قبل ان يترجم ايدى الجالية البريطانية فى مصر حتى نفد من الاسواق واضطر التابعى الى الانتظار طويلا حتى أمكنه إبتياع نسخة وترجمتها .

وقد أثارت ترجمة هذا الكتاب ضجة كبيرة بين المصريين سببها ان اللورد سيسيل لم يكن موظفا من صغار موظفى الانجليز ولكنه كان المستشار المالى للحكومة.

المصرية اى انه كان أكبر موظف أجنبى له يد فى إدارة البلاد وقد كتب هذه المذكرات تحت عنوان « أوقات فراغ موظف مصرى »

التابعى رائد النقد المسرحى :

بدأ التابعى اشتغاله بالصحافة بكتابه النقد الفنى والمسرحى وتمثل مجموعة مقالاته التى كتبها فى هذا المجال فترة هامه من فترات تاريخ المسرح وتاريخ النقد المسرحى فى مصر .. وكان التابعى يوقع مقالاته باسم « حندس » ومرة واحدة وقع فيها باسم « دون جوان » .

يعرض كتاب « صبرى ابو المجد » عن التابعى فى فصل كامل .. هو الفصل الرابع .. نمادج من مقالات التابعى النقدية واكثرها كان بجريدة الاهرام .. ثم يبدأ الى الفصل الخامس فيروى قصة إصدار مجلة روزاليوسف وكيف شارك محمد التابعى فى تأسيسها .

قصة روزاليوسف فى سنواتها العشر الاولى هى قصة روزاليوسف ومحمد التابعى معا . لايمكن ان تذكر اسم روزاليوسف بدون إسم محمد التابعى والعكس صحيح .

وسنستمر فى تاريخنا لبدايات مجلة روزاليوسف على ما كتبه مؤسساها السيدة روزاليوسف والاستاذ محمد التابعى وكذلك على اوراق خطيه لم تر النور كتبها الاستاذ ابراهيم خليل الذى رأس لفترة من الوقت من الناحية الرسمية تحرير روزاليوسف . وكذلك إستعان المؤلف بما كتبه د . ابراهيم عبده فى كتابه عن « روزاليوسف » .

قالت السيدة روزاليوسف ان فكرة إصدار المجلة نبتت فى محل حلوانى إسمه « كساب » كان يوجد فى المكان الذى تشغله الان سينما ديانا وكانت جلسة ساعة العصر مع الاصدقاء « محمود عزى » و« احمد حسن » وابراهيم خليل » يتحدثون عن الفن .. وكان التابعى فى ذلك الوقت موظفا بمجلس النواب وكتب النقد المسرحى لجريدة الاهرام وقد علمت السيدة روزاليوسف انه يقضى اجازته فى الاسكندرية فاتصلت به تدعوه للحضور والاشتراك فى تحرير المجلة .. ولم يصدق التابعى لكنه لم يجد آخر الأمر بدا من ان يحضر الى القاهرة .. فى نفس الوقت كانت السيدة روزاليوسف تقدمت بطلب رسمى للحصول على ترخيص المجلة من وزارة الداخلية وقبل ان يصدر الترخيص أسرعت واعلنت فى الصحف عن نبأ صدور المجلة ولم يمض اسبوع واحد حتى حصلت على الترخيص – وبدأ العمل لإصدار العدد الأول من المجلة .. الذى خرج الى النور يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٢٥ .

وفى روزاليوسف قاد محمد التابعى معارك صحفية عديدة انتهى بعضها بدخوله السجن والبعض الاخر بتعطيل صدور المجلة لكنه فى كل هذه المعارك إستطاع ان يخدم وطنه وان يخدم شعبه منها هذا الموقف على سبيل المثال : حدث فى عام ١٩٣٠ ان عقدت حكومة صدقى باشا إتفاقا سريا مع شركة قناة السويس ينص على مد امتيازها لمدة ٦٠ سنة أخرى .. وكان التابعى قد حصل على نص هذا الاتفاق السرى عن طريق احد اصدقائه الذى كان خطيبا لابنة احد الوزراء فى حكومة صدقى باشا وقد وافق خطيب ابنة الوزير على طلب التابعى ان يسحب نص المشروع من حقيبة الوزير دون ان يشعر لمدة عشر دقائق يكون خلالها قد صور النص ونشر التابعى خبر هذا الاتفاق السرى .

وقامت الوزارة وقررت نشر بيان رسمى تكذب فيه كل ما نشره التابعى بعد أن تأكدت ان نص الاتفاق موجود فى مكتب الوزير وانه لم تصل اليه يد ولكن التابعى هدد بنشر صورة زنكوغرافية للاتفاق .. واضطرت الحكومة الى العدول عن نشر بيان التكذيب وان تطوى مشروعها .. واستطاع التابعى ان يجنب مصر مد امتياز قناة السويس لمدة ٦٠ عاما أخرى .

■ آخر ساعة :

أكثر من مرة قبل ان يدب الخلاف بين التابعى والسيدة روزاليوسف حاول التابعى ان يكون صاحب جريدة .. وكانت اولى محاولاته فى ٢٥ / ١١ / ١٩٢٨ حيث قدم الى مدير المطبوعات طلبا بالترخيص له بإصدار مجلة ادبية أسبوعية مصورة لاعلاقة لها بالدين والسياسة إسمها « النهاردة » وقبل أن تصدر المجلة طلب التابعى تغيير إسمها الى « أنا وأنت » وبعد ان صدر الترخيص بإصدار هذه المجلة فى ٢٥ يناير ١٩٣٠ الغى فى ١٨ سبتمبر ١٩٣٠ .

وفى ١٩ فبراير ١٩٣٤ تقدم التابعى بطلب إصدار جريدة أسبوعية سياسية مصورة باسم « الرئيس » مع قيام الاستاذ محمد على غريب برئاسة التحرير .. وبعد ان صدر الترخيص طلب التابعى إبدال إسم مجلة الرئيس باسم « آخر ساعة المصورة » وكانت تصدر فى مصر فى ذلك الوقت مجلة إسمها آخر ساعة لصاحبها « محمد عفيفى شاهين » الذى تقدم بشكوى ضد التابعى الى مدير ادارة الأمن بالقاهرة .. وبعد أن تم التحقيق والفحص إنتهى الإشكال بان تكون ملكية « آخر ساعة » للأستاذ شاهين وملكية « آخر ساعة المصورة » للاستاذ التابعى .. ووافقت على ذلك وزارة الداخلية وتولى الاستاذ محمد التابعى رئاسة تحرير مجلة « آخر ساعة المصورة » التى صدر العدد الأول منها يوم ١٤ يوليو ١٩٣٤ وكانت الافتتاحية .

قد يستطيع الانسان ان يجلس آمنا على ظهر التمساح وهو نائم ، ويأكل ويشرب ويقزقز اللب ، ويقرأ الصحف ويلعب الجمباز ، ويل لهذا اللاعب اللاهي عندما يستيقظ التمساح ففي مثل هذا اليوم من سنة ١٨٧٩ إستيقظ الشعب الفرنسي من غيبوبة طويلة هائلة إستغرقه فيها المقت والذل والحرمان والجوع فأمر الشمس فأشرقت لأول مرة على الأرواح التي قتلتها الظلمات في اقبية الباستيل وأمر القدر فأتاه بجلاديه فاغتسل من جناية الذل بأثارة من دمهم وسقى بالباقي الارض والذباب والكلاب وانتقم التمساح لنفسه في عدة أيام من مظالم عدة قرون .

وينتقل المقال الافتتاحي في العدد الاول من الحديث عن فرنسا الى الحديث عن مصر .

ثم يمضي بنا الكتاب فيروى تفاصيل كثيرة عن مجلة آخر ساعة .. وعن صاحبها محمد التابعي وعن أحداث تلك الفترة من واقع المقالات والخطابات المتبادلة بين التابعي والاخرين ويروى ايضا قصة صدور جريدة المصرى « البداية » كما جاءت في رسائل التابعي وابو الفتح وكريم ثابت .

لقد حاول « صبرى ابو المجد » في هذا الكتاب ... ان يتصف ملك الصحافة المصرية « محمد التابعي بعد عشر سنوات من رحيله ... !!

وفي جريدة اخبار اليوم بتاريخ ٦ سبتمبر ١٩٨٦ كتب الاديب الفيلسوف أنيس منصور تحت عنوان مصريون لايعرفهم المصريون .

محمد التابعي أمير الصحافة الحديثة .

توفي الاستاذ التابعي إبن الدقهلية يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٧٦ عن ثمانين عاما وفي السنوات العشر الاخيرة من حياته كان الكاتب الذى لاتراه الا نادرا ، طالعا أو نازلا .. سائرا على قدميه من بيته في الزمالك الى أخبار اليوم - ولم يكن له مكتب خاص ولذلك فالشباب لايعرفونه ولا يعرفون عنه الا القليل .. والقليل إنه كان أسطورة صحفية .. في حياته الخاصة وأكثر ما يعرفه الشباب انه رجل معجباني - أنيق يعيش بالطول وبالعرض ، او كان يعيش - وهي معلومات سريعة وطلاء خارجي لشخصية التابعي الذى كان الرائد الاول للصحافة الحديثة - اى العبارة السهلة واستثمار العلاقات الاجتماعية والسياسية ... وتوظيفها جميعا للفن الصحفي . وكان قادرا على ذلك .

وعندما ولد الاستاذ التابعي كانت في الدنيا احداث تحتاج الى قلمه والى جرأته والى بساطته ايضا . الحبشه هزمت ايطاليا - واغتيل شاه ايران . وحملة كتشنر ضد المهدى في السودان ... ومات الشاعر الفرنسي فيرلين .. والمؤرخ الألماني تريتشكة

وولد الاديب الامريكى دوس باسوس وظهر كتاب المفكر الصهيونى هرقل ، الدولة اليهودية وماتت كلارا شوبان زوجة الموسيقار شوبان وعشيقة الآخرين .. وظهرت أوبرا « البوهيمية » بوتشينى .. واكتشف العلماء غاز الهليوم .. ومات الفرد نوبل صاحب الجائزة المعروفة وصدر العدد الأول من صحيفة « الديلى ميل » وأقيمت اول دورة أوليمبية فى أثينا .. وظهرت حركة « تركيا الفتاة » لكمال أتاتورك .

وغير ذلك من الموضوعات الصحفية المثيرة التى تحتاج إلى مثل هذه الشخصية الجذابة محمد التابعى .

أما حياة الأستاذ محمد التابعى المليئة بالحياة والأحداث والخبطات والمعارك التى كان طرفا فيها فقد جاءت فى كتاب صدر أخيرا بعنوان « محمد التابعى » بقلم الصحفى الكبير صبرى أبو المجد .. والكتاب هو الأول من سلسلة « أعلام الصحافة العربية » .

وكتابه عن « الأستاذ التابعى » « ٦٠٠ » يكاد يكون بقلم التابعى نفسه .. حرصا من المؤرخ على أن يكون قريبا من الصدق لأن هذا هو هدفه من البداية . وصوت الأستاذ أبو المجد لايعلو على صوت الأستاذ التابعى . فكلاهما هادىء النبرة متحمس لما يقول .

وقد استطاع الأستاذ صبرى أبو المجد أن يكوّن مع الأستاذ التابعى « دويتو » مريحا للأذن ممتعا للعين منعشا للخيال فالأستاذ التابعى حياته الصحفية مليئة بالقصص والنوادر التى يلمع فيها تاريخ مصر الحديثة .. ولكن الذى ينساه القارىء هو اسلوب التابعى .. فلم يكن أسلوب التابعى مألوفا فى زمانه . وإن كان عاديا اليوم . لأن التابعى هو البداية السهلة الجميلة للعبارة التى تحررت من السجع والحشو والمحسنات البديعية التى تعترض أنسياب المعنى وتوقفنا لكى نتفرج على لعبة لغوية أو حيلة بلاغية ، وتفسد علينا متعة الانطلاق وملاحقة الانسياب ولايمكن تلخيص أو عرض ماجاء فى هذا الكتاب . فإن شئت أن تقرأه على أنه تاريخ فهو كذلك وإن شئت أن تقرأه لما لانهاية له من القصص والنوادر فهو أيضا . وإن شئت أن تتملى وتتأمل العبارة الثورية فهو نموذج لذلك ... إلا مقدمة الكتاب التى كتبتها السيدة هدى التابعى ، حرم الأستاذ التابعى ـ أو حرم الأستاذ كما كان يناديه الأستاذان مصطفى أمين وعلى أمين ـ لأنه أستاذهما باعترافهما . وأستاذ الصحافة الحديثة .. أوالتحرير الصحفى .. أما صناعة الصحافة وفن الصحافة وديناميكية الصحافة فمصطفى أمين وعلى أمين هما الأستاذان . فهذه المقدمة غاضبة عالية النبرة . متوعدة وسبب ذلك أن السيدة هدى التابعى قد ضايقها بعض الهجوم على الأستاذ التابعى وبعض الامتنان

له وكانت تتوقع الكثير والحق معها . ولا حق معها .. فهي تتوقع أن يلتفت كبار الكتاب إلى قيمة الأستاذ وأثره على الصحافة . وعلى بعضهم . ولكن حدث أقل ماكانت تتوقع فأغضبها ذلك .

ولكن لاحق معها أيضا أن تفترض أن يكون الاهتمام بالتابعي واجبا على كل صحفي فنحن في زمن نتساءل فيه إذا كان الواجب واجبا ، وإذا كان لأحد على أحد فضل وإن كان الامتنان ضروريا ؟ ! وأغضبها الا يذكر الناس للتابعي إلا أنه كان دون جوان - وقد كان التابعي كذلك باعترافه وقد أخرج التليفزيون مسلسلا عن الأستاذ العقاد على أنه دون جوان - مع أنه قد أحب واحدة فقط وكان حبا فاشلا . وهي غلطة للعقاد لأنه اعترف بذلك . مع أن أصغر قارىء ومشاهد له قد عرف أضعاف ذلك والعقاد هو الشاعر العظيم والناقد العظيم والمؤرخ الإسلامي العظيم .

ولو كان الشيخ متولي الشعراوي هو الذي كتب تاريخ التابعي لأدخله النار من أوسع أبوابها ولو كان د . أحمد عكاشة هو الذي كتب قصة حياة التابعي لجعله رمزا حيا للفتى نرجس الذي عشق نفسه حتى الموت ولأوديب زوجا لأمه وقاتلا لأبيه منتحرا في النهاية .

ولو كان الذي ألف عنه قصة حياته هو د . علي لطفي رئيس الوزراء لاختاره نموذجا للمواطن الذي صدرت من أجله قواعد ترشيد الاستهلاك في الداخل والخارج .

فتعدد جوانب التابعي من الممكن أن يكتفي كل إنسان بما يهمه فيها من حياته وفي حياته وأستاذنا العظيم سقراط عندما مات أخذ تلامذته عنه كل شيء إلا عبقريته .

بعضهم راح يمشي عاري الصدر حافيا . كما كان يفعل سقراط .. وبعضهم أطلق لسانه على الناس وكل الآلهة وكل العلاقات كما كان يفعل سقراط وقد أطلقوا على أنفسهم اسم « الكلبيين » أي الذين ينبحون الرذيلة كالكلاب !....

وواحد من تلامذته تزوج وأغرق زوجته في ليلة الزفاف - إنتقاما من زوجة سقراط التي كانت تلقي على رأسه بالماء القذر لأنه رجل عاطل بلا عمل ينفق عليه تلامذته الأغنياء ولايضايقه أن تذهب زوجته تتسول الطعام والملابس لأطفاله .

وكان الرئيس السادات يحب أن يقرأ كتاب التابعي عن « أسرار السياسة » لكي يعرف كيف كانت مصر فاسدة قبل الثورة . وكان يحب الأفلام المصرية القديمة ليعرف كيف تطورت مصر .

ولاتزال الأفلام المصرية القديمة متعة ففيها كل الذي لم نعد نجده بيننا وفي حياتنا وكذلك الأستاذ التابعي حياته وكتبه .

هذا الكتاب عنه - متعة متجددة للقارئ والكاتب والصحفي والسياسي والدون جوان أيضا .

سوف أتوقف هنا قليلا لأعلق على ماكتبه أنيس منصور فقد كان قاسيا في حكمه علىّ .. لأنه لو فهم كلامي لما كتب ماكتب .. ولكني لم أعاتبه .. بل غضبت منه وحزنت كثيرا وخاصمته .. وأراد أن يصالحني بعد ما أحس بخطئه وكان هذا في احتفال مدينة المنصورة التي أقامت مهرجانا للتابعي بمناسبة عشر سنوات على رحيله بقيادة محافظها - السيد اللواء سعد الشربيني في ذلك الوقت - وكان ذلك في ٣١ أغسطس ٨٧ .... وصالحني مرة ثانية بعدها بأيام في شهر سبتمبر سنة ٨٧ في عاموده الشهير بالأهرام (مواقف) كتب يقول - احتفلت المنصورة بمرور عشر سنوات على رحيل إبنها أستاذ الصحافة الحديثة محمد التابعي وقد حضرت السيدة هدى التابعي حرم الفقيد والحارسة على تراثه وتاريخه والغيورة بعنف على ذكراه ومعها إبنها الشاب الوسيم محمد محمد التابعي وأولاد أخته من أسرة الهمشري - الشاعر الرومانسي المعروف .

وكان للأستاذ محمد التابعي أثره العميق في الأسلوب الصحفي فهو صاحب العبارة السهلة السريعة المتألقة . وهو الرجل الذي عاش في الدنيا طولا وعرضا وعمقا .. وهو الذي بهرنا بحجم العلاقات السياسية والاجتماعية التي يعرفها فكنا نندهش عندما يقول : قال لي الملك فاروق .. قالت لي الملكة نازلي .. قلت لأحمد حسنين . وأغلقت الباب في وجه ماهر باشا ولم تعجبني الدعوة التي تلقيتها من مكرم عبيد باشا واتجهت إلى بيت أم كلثوم بعد أن طلبت تعديلا على قائمة الطعام ..

وكنا صغارا يأخذنا الأستاذ التابعي في دنياه ويتركنا صرعى على الأرض مذهولين لصاحب القلم الذي يهتز ويدوخ أصحاب الكراسي والتيجان .

وأدهشنا أكثر أن اثنين من ملوك الصحافة المصرية مصطفى وعلى أمين يقولان عن التابعي : أستاذنا .. وكنا نراهما ونسمعهما يقولان له .. ياأستاذ .. ياأستاذ ..

إذن هو أكبر وأعظم من مصطفى وعلى أمين .. وكنا نرى أن الأخوين هما قمة القمم الصحفية . إذن فالتابعي قمة فوق القمم ..

وقد جاءني من بين الصفوف طالب وقدم رزمة ورق . قلت ماهذا ؟ قال : إحدى المقالات .

إن هذا الطالب كتب مقالا واحدا بأساليب أشهر الأقلام . ثم عاد فكتب المقال الواحد بأشكال مختلفة ... إنه مفاجأة صحفية .. من يدري ربما كان هذا الصغير هو محمد التابعي التسعينيات أو القرن الواحد والعشرين إنه موهبة صاعدة - آمين .

وهكذا استطاع أنيس منصور أن يجفف دموعى بعد سنة من الخصام ـ وتصافينا وتصالحنا ....

وفى يوم السبت ١٣ سبتمبر سنة ١٩٨٦ بجريدة أخبار اليوم كتب الأستاذ محمود صلاح تحت عنوان ـ صاحب الجلالة التابعى يكتب من داخل الزنزانة ـ

يوم الجمعة ٢٤ ديسمبر ١٩٧٦ مات محمد التابعى وطوال ٦ سنوات كاملة لم تدخل أرملته السيدة هدى التابعى مكتبه .. ولم تلمس ورقة واحدة من أوراقه الخاصة .. ولم تسمح حتى لأولادها بالاقتراب من هذه الأوراق .. بل إنها وضعت على المقعد الذى كان يجلس عليه غطاء .. حتى يظل كما تركه آخر مرة جلس عليه !

وبعد ٦ سنوات كاملة .. وبالتحديد يوم الأحد ١٢ديسمبر سنة ١٩٨٢ .. دخلت السيدة هدى مكتب زوجها الراحل .. وبدأت بمفردها ـ رحلة عذاب لايعلم أحد مداها ...

كان يمكن أن تمزق أوراق ومذكرات ومقالات محمد التابعى .. فقد تعذبت وهى تحبه على قيد الحياه مرة .. وتعذبت عشرين مرة وهى تقرأ هذه الأوراق ..

تعذبت وهى تغوص فى ماضى الرجل الذى أحبته .. وارتعشت بعنف وهى تقرأ بخط يده .. أحداثا وقعت فى حياتها معه .. وأحداثا عاشها قبل أن تولد هى ...

نعم كان لإمرأه أخرى غير هدى التابعى أن تمزق هذه الأراق .. لكنها قالت وهى تمسح دموعها .. « أريد أن احتضن كل أوراق التابعى .. أريدها أن تكون كفنا لى .. اتخيلها تدفننى فى قبرى » !

قبل أن أتعرض لكتاب « محمد التابعى » الذى كتبه الكاتب الصحفى المعروف صبرى ابو المجد والذى اعتمد فى معظم مادته على الأوراق والمقالات والرسائل التى تركها محمد التابعى وجمعتها ارملته السيدة هدى التابعى وقدمتها امانه لصبرى ابو المجد ليقدم منها كتابه الضخم ٦٠٠ صفحة قبل ذلك لى تعليق بسيط على كلمات كتبها الاستاذ أنيس منصور فى مقالة « مصريون لايعرفهم المصريون » الذى نشرته اخبار اليوم فى الأسبوع الماضى . وفى نهاية المقال اشار الى كتاب محمد التابعى وذكر ان الشباب لايعرفونه وقال ان التابعى كان اسطورة صحفية .

لكن الاستاذ أنيس منصور قال لو كان الشيخ متولى الشعراوى هو الذى كتب تاريخ التابعى لأدخله النار من اوسع أبوابها ولو كان د . احمد عكاشة هو الذى كتب قصة حياة التابعى لجعلة رمزا حيا للفتى نرجس الذى عشق نفسه حتى الموت ولأوديب زوجا لأمه وقاتلا لأبيه منتحرا فى النهاية .ولو كان الذى الف عنه قصة حياته

هو د . على لطفى رئيس الوزراء لاختاره نموذجا للمواطن الذى صدرت من اجله قواعد ترشيد الاستهلاك فى الداخل والخارج .

وهذا منتهى الظلم لمحمد التابعى .. ومنتهى الظلم ايضا للشيخ الشعراوى وللدكتور احمد عكاشة والدكتور على لطفى .

فلا الشيخ الشعراوى نفسه يمكنه الزعم بأن فى قدرته الحكم بان فلانا سيدخل الجنة وعلانا سيلقى فى نار جهنم ولا الدكتور احمد عكاشة يجرؤ على تصنيف مرضاه بهذه الطريقة .

اما الدكتور على لطفى رئيس الوزراء فتكفيه المشاكل التى يلقاها من الصحفيين « الاحياء » وهو ليس بحاجة لإصدار قوانين تطبق على الصحفيين والكتاب « الاموات » .

ولكن هكذا انيس منصور : تلك هى طريقته التى عرفها القارىء واحبها والتى نحبها نحن ايضا وإن كنت شخصيا احبها واختلف معها ولذلك لايمكننى ان اقول ان الشيخ الشعراوى لو كتب قصة أنيس منصور لأصيب بحيرة شديدة ولما عرف الى اين يرسله . فقد امتع انيس منصور ملايين القراء وبذلك لايمكن إرساله الى النار وفى الوقت نفسه كان لسانه وقلمه مطرقا ومشرطا ـ دق ومزق ـ بآرائه الكثيرين .. وبذلك ايضا لن يكون « رضوان » بواب الجنة راضيا بأن يفتح له ابوابها بسهولة .

على أى حال نعود الى الكتاب « محمد التابعى » !

ويمكننى القول بضمير مستريح إن الكاتب الصحفى صبرى ابو المجد عثر على المفتاح السليم لتقديم هذا الكتاب الممتع فقد تحدث فى بدايته عن علاقته بمحمد التابعى لكنه بعد ذلك ترك محمد التابعى يتحدث عن نفسه وقد احسن اذ فعل ذلك لانه بالتأكيد محمد التابعى افضل من يتحدث عن محمد التابعى والكتاب فى مجمله يمكن اعتباره « رسالة اعتذار » للتابعى الراحل .

فقد شعر التابعى فى اواخر حياته .. كما شعرت اسرته بعد مماته .. بأن الذين يجب عليهم ان يعلنوا مآثر التابعى .. سكتوا بل ونكروا أفضال التابعى عليهم شخصيا : ومازلت اذكر يوم ان مات التابعى .. وذهبت كصحفى الى منزله بالزمالك لتغطية حادث الوفاه .. وبمجرد ان فتحت لنا أرملته السيدة هدى الباب .. حتى قام المصور بدون استئذان ـ بالتقاط صورتها وفى لحظة خاطفة كان وجهها قد اشتعل بالغضب لكنها تمالكت أعصابها .. وجعلتنا نصعد الى الشقة .. كان جثمان محمد التابعى يرقد فى حجرته ولا احد سوى ارملته وابنته وابنه :

مرة ثانية نعود للكتاب : فان صبرى ابو المجد يقول فى مقدمته ببداية الكتاب : حب التابعى لبلده وافتخاره وفخرة بها حرصه الشديد على ان تكون دوما اسعد الاوطان من الامور التى تكتشفها عند التابعى للوهلة الاولى كاتبا او متحدثا .. وقد عرف عن التابعى كبرياؤه وشموخه وكان ذلك نابعا من مصريته ووطنيته واعتزازه بالبلد الذى ينتسب اليه واذا كان من بين ما عرف عن التابعى انه فى خلال رحلاته الخارجية كان يحرص على ان يعيش كما يعيش الملوك .. ينفق كما ينفقون ويتصرف كما يتصرفون .. فما كان ذلك كله فى رأيى الا اعتزازا بمصريته ووطنيته .. والتابعى لم يرث ماكان ينفق منه بسخاء . بل كان ينفق من ثمرة جده وكده .. ولعله كان يود ان يقول للجميع : اذا كان هناك ملوك بالوراثة فإن هناك ملوكا بالعمل والجد .

ثم ينتقل للحديث عن اول الاعمال الادبية والوطنية التى قدمها محمد التابعى وقت ان كان مجرد موظف مغمور يعمل ليأكل وفى نفس الوقت يتابع دراسته الجامعية وذلك عندما اقتنع صاحب مطبعة متواضعة بالمنصورة بان يطبع له ترجمة لمذكرات ادوار سيسيل المستشار المالى البريطانى للحكومة المصرية وذلك عندما رأى التابعى - الوطنى - ان يكشف نظرة المحتل الانجليزى للوطن وان يكشف فى نفس الوقت الضعفاء الذين يتعاونون معه ونجح كتاب التابعى فى تعرية الاحتلال البريطانى لمصر وفى إثارة المصريين ضد هذا الاحتلال بأكثر مما اثارته عشرات المظاهرات .

ويعدد المؤلف أمثلة لمواقف التابعى الوطنى المخلص .. فقد انضم الى حزب سعد زغلول وقت أن كان خارج الحكم وخاض التابعى معارك صحفية عاتية ووقف أمام القضاء متهما بأبشع التهم وأشنعها من وجهة نظر قانون العقوبات من أجل المشاركة فى تحقيق آمال الشعب فى الحرية والديمقراطية والاستقلال .. ولأن قوانين البلاد لم تكن تسمح بتوجيه أى نقد للذات الملكية فقد عمد التابعى - وكان فى ذلك مبتكرا ومجددا - إلى الكتابة عن ملوك وملكات أوروبا فى الظلام والكتابة عن الخديو اسماعيل ومغامراته .. الامر الذى دفع الحكومة الى مصادرة روز اليوسف وتقديم محمد التابعى الى المحاكمة والحكم عليه بالسجن سته اشهر مع وقف التنفيذ فى قضية كانت من اهم القضايا الصحفية فى مصر .. فقد أولى الشعب هذه القضية إهتماما خاصا واحاط التابعى بكل حبه .

ولكن اكثر ما أثارنى فى الكتاب هو تلك القضية .. فقد تضمن الكتاب ما كتبه التابعى عنها بل وخصص فصلا كاملا وضع فيه ٣٥ رسالة كتبها التابعى من زنزانته .

وقد اشتهرت تلك القضية باسم « الحصاينة » وهى قرية تتبع مركز السنبلاوين وحدث ان رجال البوليس ذهبوا الى القرية وعطلوا وابوروا لطحن الغلال ومضربا للارز يمتلكهما الشيخ طلبة صقر وكان من الوفديين المعروفين فرفع دعوى

امام المحكمة ضد الحكومة فذهب البوليس ليمحو معالم ما افسده فى الوابور قبل ان تثبت المحكمة فتصدى أيضا الشيخ طلبة صقر للبوليس الذى أطلق عليهم النار وسقط ثلاثة قتلى وجرحى كثيرون وحوصرت القرية اياما والقى اهلها فى السجون .

وحققت النيابة الحادث وكتب النائب العام تقريرا يطلب فيه الافراج عن اهالى القرية ورفع الدعوى على مأمور المركز بتهمة التزوير فى اوراق رسمية .

لكن التابعى كتب فى روز اليوسف ساخرا على هذا الحادث وقال : ان وزير العدل احمد باشا على قرأ تقرير النائب العام .. ثم هز رأسه وقال : نفرج عن اهالى معلش .. اما أن نحاكم المأمور بتهمة التزوير فلا .. وأسبل القانون رمشه .. فصرف النظر عن الموضوع .

وهاجت الدنيا وماجت من مقالة التابعى ..

واحيل محمد التابعى الى محكمة الجنايات التى أصدرت حكمها بحبسه ٤ شهور .. ويقضى محمد التابعى قبل صدور الحكم يومين كاملين بالاسكندرية ليعيش قصه حب رومانسية مع فتاة إسمها « هرما » يكتب قصتها فيما بعد .. وينتهى اليومان بان يستقل القطار ليذهب لتسليم نفسه للشرطة حيث يقودونه الى زنزانته بسجن مصر قره ميدان وتودعة السيدة روزاليوسف على باب الزنزانه : هكذا دخل محمد التابعى السجن .. كان يرتدى بدله زيتية اللون مفصلة على احدث طراز .. وقد وضعت فى عروتها فلة جميلة وتدلى من جيبها منديل حريرى من النوع الرشيق .. وقد وضع على عينيه نظارة قاتمة ليتقى أشعة الشمس وكان يحمل فى جيبه عشرين جنيها وسبعين قرشا .. وفى يده كتابان من تأليف « اميل لود فيج » وكتاب الضاحك الباكى مهدى اليه من مؤلفه فكرى اباظة

يقول صاحب الكتاب الاستاذ صبرى ابو المجد : كان التابعى فى السجن متعبا لأصدقائه خارج السجن : وقالت السيدة روزاليوسف : ان التابعى وهو رجل مرفه رقيق المزاج وله اسلوبه الذى لايتخلى عنه فى الطعام والشراب والراحة لم يكن من الغريب ان يزعجه السجن ويضايقه ضيقا شديدا وكنا فى روزاليوسف نشعر بضيقه الشديد وراء القضبان فى الرسائل والطلبات التى كان يبعث بها الينا كل يوم كانت له طلبات كل يوم حتى عينا موظفا خاصا لكى يحمل إلىَّ خطاباته ويعود اليه بما يطلب .. وكان يطلب يوميا ـ تقريبا ـ كميات كثيرة من الحلاوة الطحينية !

وتحت عنوان « الحلاوة الطحينية وصلت » أرسل التابعى رسالة من زنزانته الى السيدة روزاليوسف قال لها فيها : عزيزتى بعد كتابة ماتقدم وقد كتبته فى الفجر

وصلت الحلاوة الطحينية ورواية « كامل » والحلاوة أكلتها حاف . لانه لم يكن عندى عيش ولم يكن فى وسعى إبقاؤها عندى طويلا :

وأرسل لها رسالة أخرى ساخرة يقول فيها مساء الجمعة .. عزيزتى . إن أعظم شيء فيك هو بلا شك الأثرة أو حب النفس الفخم .. فأنت وحدك الضحية وأنت وحدك التعبانة ومن عداك فى راحة ونعيم .. تقولين فى خطابك إنك تعبانة وأن الحكم جاء راحة لى وأنك تودين لو كنت فى مكانى .. مرحبا وها أنذا أتنازل لك راضيا طائعا مسرورا عن الراحة فى السجن ونعم السجن !

ويمضى التابعى ساخرا فى رسالته : لعلكم خدعتم بما تسمعونه عنى وهو أننى دائما أبتسم ودائما لطيف مع الجميع .. وربما أيضا خدعتم بما تلمسونه فى رسائلى فى نعمة وراحة أو عدم الاكتراث .. إذن فاعلموا أننى حقيقة أبتسم لكل من يحادثنى وأتظاهر دائما بعدم الاكتراث .. وأننى حرصت فى كافة رسائلى إليكم على أن لا أشكو .. هذا لأننى لا أريد أن أبدو أمام أحد سواء فى السجن - أو أمامكم - فى مظهر الضعيف .. ولا أريد أن أشكو لانه لافائدة من الشكوى وتعرفين من خلقى أننى لا أحرك ساكنا مادام لافائدة هناك من أمر لامفر منه .. وهناك أربعة أشهر لابد أن أقضيها فى هذا الجحيم ففيم إذن الشكوى وما الفائدة .. من أجل هذا أبتسم ومن أجل هذا يتحدثون عنى بأننى لطيف وشجاع وموزون ولكن هل تعرفين ما هى راحة السجن التى تحسدينني عليها ؟! أنا هنا فى راحة السجن « ونعيمه » .. فأينما وضعت يدى فى الغرفة أحسست نار الإسفلت أو حديد الباب أو النافذة التى لا أبواب لها .. كلها قضبان من الحديد وكل جزء منها تشع منه النار والبخار الساخن .. حقيقة أنا مرتاح بالنسبة للمسجونين الآخرين .. لان عندى سريرا من الحديد عرض نصف متر عليه مرتبة من القش ، لها تلال وجبال - ليس فيها شبر واحد ممهد أو مبسوط وعندى مخدة من القش - وعندى زجاجة من ماء « فيتل » تكاد تغلى من شدة الحرارة .. وهناك مسجون يخدمنى بدلا من أن أخدم نفسى .. فهو مثلا يغسل لى الجردل و « القصرية » وبنفس اليدين يغسل لى الملعقة والفنجان الذى أشرب فيه !

وعندى كذلك فى الصباح قطعة من الخبز الإفرنجى « البايت » من أمس الناشف ومعه قطعة من الجبن الأبيض الذى تخصص متعهدو السجون فى توريده .. مملح و « مدود » وعندى فى الظهر وفى المساء « سلطنية » شوربة عدس .. أجد أحيانا فيها « نملة » كما حدث أول أمس : وأجد أحيانا أشياء لا أعرفها وإن تكن تبدو غريبة .. ومع ذلك فإنى آكلها حامدا شاكرا !

ويمضى التابعى فى سخريته الرقيقة من روزاليوسف قائلا : أما أنت كان الله فى

عونك .. لادش عندك تبردين به عن نفسك حر النهار وضيق الغرف .. لا مروحة وكوبا من الماء البارد ولا قطعة من البطيخ المثلج .. ولاغرفة نوم مظلمة باردة تحميها الستاير من حر النهار .. ولاشيء من هذا .. بل ولاتستطيعين أن تخرجى فى المساء .. لاشيء من هذا عندكم .. أيتها التعبانة المسكينة .. إذا كان ولابد أن تكتبوا لى فاكتبوا فقط الاخبار ومايتعلق بالعمل .. أما راحتى وتعبكم فأؤكد لكم ليس فيها إلا ألم ان تثير فى كل شيء وكل غضب أحاول تهدئته !

وليست رسائل التابعى التى كتبها من سجنه هى الشيء المثير الوحيد فى الكتاب .. الذى يرسم أكثر من صورة لشخصية « أمير الصحافة المصرية » محمد التابعى وكفاحه وتأثيره فى العصر الذى عاشه ..

إذا زعم لك أحد أن فى قدرته عرض أو تلخيص كتاب يقع فى ٦٠٠ صفحة فى مثل هذه المساحة إما أن يكون « حاويا » .. أو محتالا :

وفى جريدة المساء الاسبوعية بتاريخ ١٣ سبتمبر ٨٦ كتب الاستاذ حافظ محمود تحت عنوان « التابعى بقلم صبرى » .

تحدث إلىّ عبقرى الصحافة محمد التابعى مرة فى العمر واحدة منذ عشرين عاما كان حديثا تليفونيا عاصفا لم يستغرق أكثر من ثلاث دقائق . لكن هذه الدقائق الثلاث كانت سببا فى أن أغير الكثير من ظنى بالنسبة للتابعى رغم أنه كان يهاجمنى .. كان يهاجمنى بوصفى آنذاك نقيبا للصحفيين ومن أجل مسألة لاعلاقة لها إلا بالعاطفة وهذه المسألة هى أن نقابة الصحفيين قد مرت مرور الكرام بذكرى الاربعين لوفاة الزميل الراحل كامل الشناوى .

قال التابعى : كيف يحدث هذا وأنت نقيب للصحفيين ؟ أليس معنى هذا أننى أنا أو أنت إذا متنا لا يحيى ذكرانا أحد ؟؟

ورغم أن التابعى كان يسمعنى هذه العبارات بشيء من العنف فإننى سعدت بهذا العنف لأننى اكتشفت ان محمد التابعى ليس هو الشخص الذى رأيته لأول مرة فى مجلس نقابة الصحفيين الأول الذى ضمنا معا وهو يخاطب اعضاء المجلس احيانا بشيء من السخرية دون أن يغضبوا منه ويبدو أنه كان صديقا حميما لغالبيتهم إذ لاحظت أنه يخاطب الباشوات منهم بأسمائهم المجردة من الألقاب .

تذكرت هذه الواقعة وأنا أقلب بين يدى صفحات الكتاب الضخم الفخم الذى ألفه ديدبان التاريخ الصحفى رفيق السلاح صبرى أبو المجد .. وتذكرت منها واقعة أخرى ليست لها هذه الخصوصية .. بل كانت واقعة ملأت أسماع دنيانا الصحفية

وهى واقعة موقف التابعى من الانتخابات الأولى فى تاريخ نقابة الصحفيين ..

وتتلخص هذه الواقعة فى مقال ملتهب نشره التابعى على صفحات جريدة المصرى ليلة الخامس من ديسمبر سنة ١٩٤١ وظهرت صبيحة ذلك اليوم الذى كانت ستجرى فيه الانتخابات .

قال التابعى بجرأة عجيبة عمن فيهم أصدقاؤه كفى للصحفيين المستمصرين ماحرزوه من أموال ورتب وجاه وألقاب وعليهم أن يتركوا لنا نحن المصريين الخلص كراسى مجلس النقابة .. وكانت نتيجة هذا المقال أن أولئك الزملاء الأجلاء لم ينجح منهم أحد لا أصحاب الأهرام ولا أصحاب المقطم ولا أصحاب دار الهلال . ودفع التابعى ثمن هذه الجرأة العجيبة أنه هو الآخر لم ينجح لأن أولئك السادة قد دفعوا الكثير مما نعلمه وما لانعلمه لكى يشاركهم التابعى هذه الهزيمة .. لكننا فى دوائر الصحافة الوطنية كنا نقول وماذا كان يستطيع التابعى أن يفعله أكثر مما فعل هذا المقال الساخر ؟؟

إن جرأة التابعى تستحق الدراسة خاصة مهد لها المؤلف العتيد صبرى أبو المجد فى « كتابه محمد التابعى » .

تمهيدا إستغرق ٥٧٥ صفحة من القطع الكبير ووعد فى النهاية بأن له عودة .. ويالصبر صبرى فإن قراءة هذا الكتاب تحتاج وحدها الى جهد جهيد كله ممتع فما بالنا بالجهد الذى بذله كاتب الكتاب .

هنا لابد أن نذكر فضل السيدة الفاضلة هدى التابعى قرينة الصحفى العبقرى الراحل .. فقد قدمت للمؤلف خزانة لا أعتقد أن لها مثيلا فى بيت أى صحفى آخر .. هذه الخزانة هى مذكرات التابعى ومراسلاته وتعليقاته وبريده اليومى ..!

ولقد دهشت وأنا أقرأ هذه الاوراق مطبوعة ومنشورة كيف احتفظت بها هذه السيدة الفاضلة طوال هذا العمر وكيف لم تراجع زوجها التابعى يوما فى بعض ماتحتويه من أسرار علاقاته وصداقاته بالناس رجالا ونساء .. لابد أن تكون هذه السيدة موهوبة مثل صاحبها المتعدد المواهب محمد التابعى .

إن أول مواهب التابعى فى نظرى كدارس صحافة هو اختراعه لأسلوب النقد المسرحى أسلوبا غير مسبوق حينما دعاه الصحفى الشاب عبد المجيد حلمى صاحب مجلة المسرح أول مجلة مسرحية فى أوائل العشرينات كى يشاركه فى تحرير واخراج هذه المجلة .

إننى أعتقد أن مجلة المسرح كانت نقطة البداية فى صحافة محمد التابعى لأنه

أوجد بها شيئا لم يكن موجودا من قبل وهو فن النقد الفنى الساخن الذى جعل الأوساط الفنية بلا استثناء تحسب له الف حساب لما كان التابعى الشاب يكتبه فى مجلة المسرح ومن هنا نستطيع أن نقول إن التابعى قد ساهم بذلك فى مسار النهضة الفنية فى بلادنا وبلاد العروبة جميعا .

أما لماذا أركز على هذه الجزئية الصغيرة فى صحافة التابعى الحافلة فلأن التابعى نفسه عندما تحول من ناقد مسرحى الى ناقد سياسى تصور بذكائه أن للسياسة مسرحا وأنه يستطيع أن يطبق على نجومها نفس الاسلوب الذى كان يطبقه على نجوم المسرح الفنى فجاء بشىء جديد كان يبهر به القراء وهو يصف أحد الوزراء مثلا بأنه وزير « الأذية » ووزير آخر بأنه وزير « الأسبرين » الخ الخ ..

وكتاب محمد التابعى لصبرى أبو المجد يضم الكثير من أنباء التقلبات السياسية فى عصر التابعى لاظهار دوره الصحفى فيها وليس من شك أن هذه عملية تنوير لناشئة عشاق التاريخ وان كان تناول هذه الناحية من زاوية واحدة لايكفى لكن المؤلف نفسه يعد بأنه سيعود فى كتاب تال الى تحليل كل شىء واعتقد أنه كفء لذلك .

وفى هذا المجال أرى من واجبى أن أضيف بعض الحقائق الى واقعة انفصال « روزاليوسف » الجريدة عن الوفد أو فصل الوفد لها .. فالمادة التى كانت أمامم مؤلف الكتاب « محمد التابعى » تشير إلى هذه القضية كانت قضية خلافية فى الرأى بين السيدة روزاليوسف والاستاذ التابعى . لكن الذى أعرفه عن كثير هو أن هذا الخلاف لم يكن خلافا صحفيا فى دار اليوسف بقدر ماكان خلافا حزبيا داخل حزب الوفد نفسه بسبب وزارة نسيم باشا التى كانت مؤيدة من الزعامة الوفدية بينما كان بعض أقطاب الوفد وفى مقدمتهم ثلاثى : ماهر والنقراشى وابراهيم عبد الهادى على غير رأى الزعامة فى مواجهة تلك الوزارة .

لقد كان نسيم باشا داهية من نوع خاص فكان كلما أقدم على شىء زار النحاس باشا وامتدح زعامته والتمس منه البركة لمشروعاته وكان هذا الأسلوب حصارا من رئيس الوزراء توفيق نسيم لزعيم الوفد مصطفى النحاس .

وقد حدث فى عيد الجهاد « ١٣ نوفمبر » ١٩٣٥ أن خطب زعيم المعارضة محمد محمود باشا خطابا خطيرا فى مؤتمر شعبى أقيم بسراى آل لطف الله فندق عمر الخيام فلقى لأول مرة تأييدا من جماهير الشباب وفى هذا الجو إنشق ماهر والنقراشى وعبد الهادى على الوفد وألفوا الهيئة السعدية وكانت الصحفية القوية السيدة روزاليوسف على علم بخلفيات كل هذا الموقف الذى أخذت فيه جانب المنشقين الذين كانت تؤازرهم بل كان أسبق منها عباس العقاد

إننى لاأسجل هذه الواقعة من عندى فقد تصادف فى يوم الذروة من أزمة روزاليوسف مع الوفد أن كنت فى بيتها لمقابلة زوجها آنذاك المرحوم زكى طليمات فى أمر من أمور جمعية الادباء المبشرين التى كنت أمين سرها .. وفى تلك الجلسة سمعت ثورة السيدة روز على تصريحات النحاس باشا وسمعت زوجها طليمات يقول لها : ماذا تنتظرين إذهبى فورا إلى مكرم باشا واحسمى معه هذا الموضوع فإذا بالسيدة روز ترفض ضاحكة لأنها كانت تعلم عن موقف مكرم مالم يكن زوجها على علم به .

أرجو الا أكون قد بعدت كثيرا عن كتاب « محمد التابعى » لصبرى أبو المجد فنحن أمام كتاب وثائقى يعرض لحياة نجم من نجوم الصحافة بالأسلوب الجامعى الذى يعتمد على تقديم العينات لما يريد الباحث أن ينقله الى الناس ـ وأحسب أن هذه عملية صحفية تذكر لصبرى أبو المجد لأنها غير مسبوقة .

وبنفس التاريخ ١٣ سبتمبر نشرت مجلة حواء ماكتبه أحمد زكى عبد الحليم تحت عنوان :

ـ قصة حياة قلم محمد التابعى وأسرار الصحافة فى ٥٠ سنة ـ عندما بدأ الكاتب الصحفى والمؤرخ السياسى الكبير الأستاذ صبرى ابو المجد كتابه تاريخ الصحافة المصرية فانه اختار فى البداية أن يكتب قصة أمين الرافعى وجريدة الأخبار ـ وهى قصة بطولة وطنية لإنسان نذر نفسه من أجل بلده . فلم يتردد فى أن يغلق جريدته .. حتى لايكتب فيها قرار إعلان الحماية البريطانية على مصر .

هذه صورة قد تكون غائبة عن أذهان الكثيرين ـ الذين يبحثون لأنفسهم عن مكان وعن دور بغض النظر عن مدى تأثير هذا الدور أو هذا المكان على قضايا الوطن والمستقبل .

أما الصورة الأخرى فهى صورة الكاتب الكبير الراحل محمد التابعى . الذى يعتبر بحق أستاذ المدرسة الصحفية الحديثة فى مصر . وهى تلك المدرسة التى تعتمد لنفسها أسلوبا يتمثل فى وضوح الأداء وإنجازه فى وقت واحد . وان كان قد تطور هذا الأسلوب فى بعض الأحيان ليجعل من الأداء وسيلة للاثارة وكان الخبر لايقرأ الا إذا كان غريبا وشاذا .

وقصة محمد التابعى يرويها صبرى ابو المجد ـ بالوثائق ـ فى نحو ستمائة صفحة وهى جهد لايقدر عليه الا أولئك الذين أعطوا أعمارهم لكلمة الحق والصدق والوفاء فى كل وقت . بغض النظر عن العائد الذى تحققه هذه الكلمة غالبا .

ولن ندع الحديث عن الكاتب يأخذنا بعيدا عن صاحب الكتاب وهو الاستاذ الكبير محمد التابعى الذى كان له فضل إنشاء وبناء ودعم ثلاث قلاع صحفية .

مازالت قلعتان منها قائمتين حتى اليوم . وهما مجلة روز اليوسف .. ومجلة آخر ساعة . أما القلعة الثالثة وهى جريدة المصرى فإنها لم تختف من الحياة لأسباب صحفية أو فنية أو اقتصادية . وانما لأسباب سياسية وبذلك تكون كل قلاع التابعى الصحفية هى قلاع أصيلة وشامخة ومتحدية للزمن .

ومحمد التابعى جاء من قرية نوسا البحر فى محافظة الدقهلية لكن شاءت الأقدار أن يولد فى مصيف الجميل . واختير له اسم محمد التابعى تيمنا بالشيخ التابعى الموجود فى هذه المنطقة أما والده فهو المهندس محمد وهبة وبذلك يكون اسمه كاملا هو محمد التابعى محمد وهبة ولقب التابعى مقصور عليه وحده أما شقيقه الذى كان الى جانبه فى أغلب مشروعاته فهو حسين وهبة .

وكل مافى حياة محمد التابعى يدل على انه شخصية متحدية وهذه السمة تبرز منذ مراحل الدراسة الثانوية فقد اعطاه مستر كروسبى مدرس اللغة الانجليزية بمدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية صفرا فى موضوعات الانشاء فإذا به يقبل التحدى . ويعكف على دراسة اللغة الانجليزية وعلى قراءة الصحف والمجلات بها ، إلى أن استطاع فى نهاية العام ان يحصل على الدرجة النهائية الى جانب تقدير ممتاز .

ومنذ ذلك الوقت أصبح التابعى حجة فى اللغة الانجليزية ، بل أكثر من ذلك أن أولى كتابات التابعى الصحفية كانت باللغة الإنجليزية ، وذلك قبل أن يكتب حرفا واحدا فى أية جريدة أو مجلة مصرية .

أما أول عمل مطبوع قدمه التابعى ، فهو ترجمة مذكرات اللورد سيسيل المستشار المالى الأسبق للحكومة المصرية . وهى التى سجل فيها انطباعاته عن الحياة والناس فى مصر وذلك بالطبع من وجهة نظر إنجليزية استعمارية .

وكان الباب الذى دخل منه محمد التابعى إلى عالم الصحافة المصرية هو باب المسرح والنقد المسرحى فى مصر . وكان يكتب النقد فى جريدة الأهرام بتوقيع « حُندس » لأنه كان فى ذلك الوقت مازال موظفا فى البرلمان المصرى .

وحتى نعرف قدر النقد المسرحى الذى كان يكتبه التابعى فيجوز لنا أن نعرف أصحاب الاقلام الذين كانوا يكتبون فى الصحف الأخرى فهناك الاستاذ ابراهيم المصرى يكتب فى مجلة التمثيل ، والدكتور محمود كامل المحامى يكتب فى جريدة « السياسة » والاستاذ محمد على حماد يكتب فى « البلاغ » والاستاذ زكى طليمات يكتب فى « المقطم » والاستاذ عبد المجيد حلمى يكتب فى « كوكب الشرق » وفى نفس ذلك الوقت كان يكتب أحيانا فى هذا الفن الاساتذة محمد صلاح الدين وزير الخارجية الأسبق والكاتب الكبير إبراهيم عبد القادر المازنى والصحفى القدير محمد توفيق

دياب .. وفى قلب هذا الخضم إستطاع محمد التابعى أن يصبح - على حد تعبير الاستاذ صبرى أبو المجد - رائد النقد المسرحى يقول المؤلف : أرجو ألا أتهم بالمبالغة إذا ماقلت إن مقالات التابعى فى النقد الفنى تعتبرفتحاً جديدا فى هذا المجال ، كما أرجو ألا أتهم بالتحيز للتابعى إذا ماقلت إن مقالاته فى النقد الفنى من خيرة ماكتب فى هذا المجال ايضا .. ثم يورد مجموعة من المقالات النقدية الهامة التى كتبها التابعى مابين عامى ١٩٢٢ و١٩٢٥ لينتهى منها إلى قوله : ولاتعليق لى على ماكتبه الناقد المسرحى « حُندس » محمد التابعى فقد أثبت بحق أنه ولد عملاقا ، وأن هذه المقالات التى تناولت حياتنا المسرحية بالنقد البناء وبأسلوب رشيق للغاية لم يسبق لكاتب آخر - حتى ذلك التاريخ - أن استخدمه لا فى الكتابة الفنية ولا فى الكتابة السياسية .

وتحدث الاستاذ صبرى أبو المجد عن روزاليوسف والتابعى والبداية الصعبة .. ويقول إن قصة روزاليوسف فى سنواتها العشر الأولى هى قصة روزاليوسف ومحمد التابعى معا ، لايمكن أن نذكر إسم روزاليوسف بدون اسم التابعى والعكس صحيح . ولم يكن التابعى فى تلك السنوات العشر الأولى محررا أول للمجلة وحسب . بل كان رئيسا فعليا للتحرير وشريكا بالنصف للسيدة روزاليوسف فى الخير وفى الشر ، فى تلك السنوات كان محمد التابعى يعطى لروزاليوسف بلا حدود وكان أهم هدف له هو نجاح المجلة وانتشارها وإزدهارها .

وقد حكى التابعى فى أوراقه قصة مجلة روزاليوسف بالتفصيل ومدى ماعانته من متاعب وماصادفته من عراقيل ، وكيف استطاعت أن تنتصر فى النهاية بعد أن تحولت الى مجلة سياسية وإن كان قد ترتب على هذا التحول أن دخل محمد التابعى السجن .. ومن هناك كتب التابعى ٣٥ رسالة الى أصدقائه وفى مقدمتهم السيدة روزاليوسف .

ويقول المؤلف عن هذه الرسائل إنها تعتبر كسبا أدبيا وصحفيا وسياسيا ، وقد حافظ التابعى عليها فلم تمتد اليها يد حتى وصلت إليه بحالتها الراهنة .

وبعد السجن - جاءت رحلة النفى الاختيارى إلى أوربا التى بدأت يوم ١٧ مارس ١٩٣٤ وامتدت نحو ثلاثة أشهر وبعد أن عاد التابعى وانقضت فترة وقع خلاف بين السيدة روزاليوسف والاستاذ التابعى بسبب سفر الاستاذ مصطفى أمين . ورغم أن هناك خلافات كثيرة ، كان أن سبق أن وقعت ، ورغم أن بين روزاليوسف والتابعى رحلة عمل طولها عشر سنوات ، ورغم أن بين التابعى وروزاليوسف صداقة عمرها ثلاثة عشر عاما رغم كل هذا فقد أصر التابعى على أن يقف الى جانب مصطفى أمين وأن يترك روزاليوسف ، وبذلك يكون التابعى قد وضع ثلاثة وعشرين عاما فى الكفة الأخرى ثم وجد أن الاخيرة هى الأرجح .

وكانت هذه القطيعة هى بداية محاولة جادة للأستاذ التابعى لكى يحقق حلمه القديم ، وهو أن يصدر جريدة لحسابه الخاص ، وكانت أولى محاولاته فى ٢٥ نوفمبر ١٩٢٨ لإصدار مجلة بعنوان « النهارده » وهى مجلة أسبوعية أدبية مصورة لاعلاقة لها بالدين والسياسة وتكررت المحاولات الى أن استطاع إصدار مجلة « آخر ساعة المصورة »وذلك تمييزا لها عن مجلة كانت تصدر من قبل باسم آخر ساعة .

ويعتبر العدد رقم ٣٠ من مجلة آخر ساعة التى كان يصدرها الاستاذ محمد عفيفى شاهين هو العدد الأول من مجلة آخر ساعة المصورة التى أصدرها الاستاذ التابعى .

وعن هذه القصة يكتب الاستاذ التابعى فى مذكراته : بعد عودتى من أوروبا بأربعة أيام جلست أنا والسيدة روزاليوسف وصديقى مصطفى أمين . وكان يشترك معى فى تحرير روزاليوسف ، واقترح مصطفى أن يسافر يومها إلى الاسكندرية لكى يجمع الاخبار للعدد القادم .. وعارضت السيدة روزاليوسف فى سفره وكانت مشادة تبودلت فيها عبارات شديدة ولمحت الدموع تجول فى عينى مصطفى ـ وهو شديد الحساسية سريع البكاء ـ فانضممت اليه ونصرته وهنا نالنى أيضا بعض الرشاش ، ونهضت وقلت لمصطفى هيا بنا وخرجنا نحن الاثنين . ولم نعد بعدها الى مجلة روزاليوسف .

ويوم صدر العدد الأول من مجلة آخر ساعة فى يوم ١٤ يوليو ١٩٣٤ وقد اخترنا هذا اليوم بالذات لأنه كان يوم عيد الحرية والثورة الفرنسية وطبعنا من هذا العدد خمسة عشر ألف نسخة فقط وقد تنازل التابعى عن مجلة آخر ساعة الى مصطفى وعلى أمين ونقل الامتياز اليهما .

وقد كتب فيما بعد يقول أعلن اليوم أنهما لم يدفعا لى قرشا واحدا فى مقابل تنازلى لهما عن آخر ساعة .

وكانت التجربة الصحفية الثالثة فى حياة محمد التابعى هى تجربة إصدار جريدة المصرى مع كريم ثابت ، ومحمود ابو الفتح ، وقد جاءت هذه الجريدة بديلا عن تفكير التابعى فى إصدار جريدة المصرى فى ١١ اكتوبر ١٩٣٦ .

وقد انتهت هذه الشركة ، أو هذه التجربة ، بالخطاب الذى أرسله التابعى الى شريكه محمود أبو الفتح وكريم ثابت والذى جاء فيه إنى حقيقة لآسف إذ أرى الآمال الكبيرة التى كنت عقدتها على التعاون معكما فى هذا العمل الصحفى تنهار ، وأن تتحقق مخاوف بعض الذين نصحوا إلى من أول الأمر بعدم الدخول فى هذه الشركة لأسباب لامحل لذكرها الآن .

وفى هذا الخطاب العام كشف التابعى كثيرا من الأسرار التى تتعلق بالعمل فى جريدة المصرى وهى أسباب تكشف عن جانب هام من تاريخ الصحافة المصرية الحديثة .

وبعد ، فإن كتاب « محمد التابعى » هو موسوعة تاريخية وصحفية ، تكشف لنا عن جوهر أستاذ كبير من أساتذة الصحافة ، ظلت صورته غير واضحة فى أذهان الكثيرين بمن فيهم العاملون فى المجال الصحفى ، حيث كانت النظرة مقصورة على التابعى الدون جوان دون أن تمتد الى التابعى الصحفى والتابعى الأديب والتابعى المترجم ، والتابعى الإنسان .

وأعتقد أن صبرى أبو المجد قد كتب قصة حياة التابعى بحياد وموضوعية ، حيث تكلمت الأحداث والوثائق ، دون أن تتدخل العوامل الشخصية والانفعالات الذاتية ، لأنه لحسن الحظ ولسوء الحظ فى الوقت نفسه لم يجمع العمل الصحفى بين الرجلين فى أى وقت من الأوقات ، وهكذا جاء الكتاب شهادة صادقة لتاريخ الصحافة ولتاريخ رجل من أهم رجالات الصحافة الحديثة .

وبتاريخ الإثنين ١٥ سبتمبر نشرت مجلة روز اليوسف بقلم الأستاذ عبد الفتاح رزق تحت العنوان التالى ـ من ملف صاحبة الجلالة الصحافة ـ

ـ التابعى رجل لعصر واحد ـ

ما أقل ماكتب عن « محمد التابعى » ـ بعد رحيله فى ديسمبر ١٩٧٦ ـ كرائد أول من رواد الصحافة وكمؤسس لأكبر مجلتين .. وأعرقهما فى الوطن العربى « روز اليوسف » و« آخر ساعة » ثم « جريدة المصرى » و ..وما أكثر ماكتب عنه بطريقة غير مباشرة ..

كان ذلك فى أعمال روائية .. ودرامية شهيرة .. حرص أصحابها على أن يقولوا كل شىء .. إلا اسمه وفى الحقيقة كان « محمد التابعى » أسطورة كان أعداؤه دائما أكثر من أصدقائه .. وهاهى أوراقه القديمة تقول الكثير .. وتحتفظ بجرأته التى صالت وجالت فى دنيا المسرح وأهله كما صالت وجالت فى دنيا السياسة وأوصلته الى المحاكمة أمام محكمة الجنايات أكثر من مرة !! تقول السيدة الفاضلة « هدى التابعى » أرملته تحت عنوان « قصة هذا الكتاب » لقد عاش التابعى حياته طولا وعرضا وعمقا وارتفاعا .. وكل يوم فى حياته يصلح لأن يكون قصة .. قالوا عنه إنه فنان أكثر مما هو صحفى .. وحاول البعض بكل إمكانياته أن يصوره « دون جوان » ـ كازانوفا ـ ينفق كالملوك .. وينزل فى الجناح الملكى فى جميع فنادق أوروبا .. ويتغافل المعالم التاريخية والمعارك التى خاضها فى سبيل نصرة الحق .. ومن أجلها دخل السجن !!

وتلك الأوراق الخاصة القديمة .. ومعها الأوراق المطبوعة التى صدرت فى مجلات وجرائد تؤكد أن « التابعى » كان رجلا لعصر واحد ..

ذلك العصر بالتحديد الذى واكب ثورة ١٩ .. والشعبية الطاغية لزعيمها « سعد زغلول » وحزب الوفد .. ثم بدايات «المجلات العربية » التى يملكها ويحررها المصريون .. والفورة المسرحية الكبيرة لجورج أبيض .. ويوسف وهبى .. ونجيب الريحانى .. وعلى الكسار .. ثم ظهور النجمات المسرحيات من وراء جدران البيوت المصرية .. وبالطبع على رأس القائمة « فاطمة اليوسف » أو « روز اليوسف » التى تحول اسمها ـ بفضل التابعى الى مجلة تصدر حتى الآن !!

لم يكن يصلح لذلك العصر .. إلا « التابعى » ولم يكن يصلح « التابعى » إلا لذلك العصر !! كان كاتبا « شاملا » وكانت عنده القدرة على أن يكتب عن فتاة تثير إعجابه .. فيكون رقيقا عذبا .. وفى الوقت نفسه يهاجم بضراوة .. وبقلم شرس .. ودون خوف .. الجالسين على كراسى الحكم .. وأمام أوراقه القديمة .. الخاصة .. وأوراق بعض تلاميذه توقفت « هدى التابعى » واستمدت منه « الجرأة » ـ رغم رحيله ـ لتوصل بين شتاتها .. وتقدمها للناس .. وتوقف معها السؤال : من الذى يقوم بالمهمة ؟ !

ولايفوت وقت طويل حتى يتصدى الكاتب الصحفى الكبير « صبرى أبو المجد » للمهمة .. وبعد المقدمة التى أراد بها أن تكون مدخلا للتعرف على شخصية محمد التابعى الكاتب الصحفى .. الإنسان .. يختار .. وبعناية فائقة المنهج العلمى لتتابع فصول هذا الكتاب الجاد الذى قد يثير « المعارك » أكثر من تلك التى أثارها التابعى فى حياته !!

تتوالى الفصول بداية من « بواكر الصبا والشباب والكتابة » .. ثم التابعى يترجم مذكرات اللورد سيسيل ثم « جذور المسرح والنقد المسرحى فى مصر » ثم التابعى رائد النقد المسرحى .. ثم « روز اليوسف والتابعى والبداية الصعبة » ومن « دولة المسرح الى دولة السياسة » ثم « التابعى أمام محكمة الجنايات » ثم « التابعى يخوض المعركة دفاعا عن الدستور .. وأول مصادرة « لروز اليوسف » وأول تعطيل لها !!

ثم فصول النهاية .. « إنفصال التابعى عن روز اليوسف » و « التابعى يصدر آخر ساعة .. ثم .. كيف صدرت جريدة المصرى » ؟

مهمة شاقة حقيقة .. ولكن صبرى أبو المجد » أنجزها بنجاح .. ولأننا لن نقول احسن مما قال .. فإننا نمد الجسور بينه وبين قارىء « روز اليوسف » فنعرض بعض

مقتطفات من هذا الكتاب القيم خاصة وأن اسمها جاء فى اكثر من « موضع » .. فى حياة محمد التابعى وفى فكره !!

ونترك للقارىء ـ بعدها ـ الإجابة على السؤال :

هل كان « التابعى » حقا ـ رجلا لعصر واحد ؟ !!!

وبتاريخ الخميس ١٨ سبتمبر سنة ١٩٨٦ نشرت مجلة صباح الخير تحت عنوان أقدمت روز اليوسف على الانتحار بقلم الأستاذ عبد العزيز خميس قبل سفرى من القاهرة الى لندن بيوم واحد ، أهدانى الزميل الصديق صبرى أبو المجد كتابه القيم « محمد التابعى » وفى كلمة الإهداء التى سطرها على الصفحة الأولى من الكتاب قال : انه يهدينى هذا الكتاب عن « الرجل الأول » فى حياة « دار روز اليوسف » وهى كلمة حق فموضوع الكتاب هو محمد التابعى الذى أعتبره الرائد الأول للصحافة المصرية المعاصرة وطوال خمس ساعات هى المدة التى تقطع فيها الطائرة المسافة بين القاهرة ولندن لم أترك الكتاب ، فقد شدنى بأسلوبه البسيط وبانسياب عباراته فى انسجام واضح مع سياق السرد ، بالرغم أنه من كتب المراجع التى يمكن ان تدرس لابنائنا طلبة كليات الاعلام .

ومن الطبيعى ـ بحكم انتمائى لأسرة روز اليوسف ـ أن أتوقف طويلا وأنا أقرأ الصفحات الكثيرة التى وردت بالكتاب عن نشأة مجلة روز اليوسف ، وعن تطورها فكما قال الأخ صبرى أبو المجد « لم يبق من المجلات السياسية التى صدرت بمصر فى العشرينيات سوى « المصور » لإميل وشكرى زيدان و« روز اليوسف » للسيدة فاطمة اليوسف والتابعى ، كما أن قصة روز اليوسف فى سنواتها العشر الأولى هى قصة روز اليوسف (السيدة) ومحمد التابعى معا . لايمكن أن نتذكر إسم روز اليوسف بدون اسم التابعى والعكس صحيح .. ففى تلك السنوات كان التابعى يعطى لروز اليوسف بدون حدود .. لم يكن الرجل يجد فارقا مابين السيدة روز اليوسف وبينه .. وانه لمن المشوق حقا أن يتابع قارىء الكتاب المعاناة الهائلة التى صادفتها السيدة روز اليوسف فى الميدان الصحفى .. فقد بدأت من الصفر .. واختارت بحكم عملها الفنى الطابع الفنى والأدبى للمجلة .. ثم تحولت الى السياسة ، لكى تتصدر مجلتها كافة المجلات السياسية فى ذلك العهد .

وبلغ من نجاح روز اليوسف أن جريدة السياسة التى كانت تنطق بلسان حزب الأحرار الدستوريين وتناصب الوفد العداء أطلقت على حزب الوفد اسم حزب روز اليوسف ، ولم يجد مصطفى النحاس زعيم الوفد خليفة سعد زغلول فى هذه التسمية غضاضة ، بل أنه وقف يخطب فى انصاره قائلا إنه من دواعى فخره أن يكون الوفد

حزب روز اليوسف المجلة المجاهدة الشجاعة التى لاتبالى بالاضطهاد .

- كتب محمد التابعى يقول عن روز اليوسف « كنت أشتغل رئيس تحرير فعليا لا إسميا رغم انها تحمل اسم شخص آخر . واستنكفت أن أكون موظفا حكوميا وأن أشتم رئيس الحكومة دون أن يظهر اسمى .. فقدمت استقالتى فى يوليو ١٩٢٨ ، وبدأت الاحتراف ووضعت اسمى كرئيس لتحرير المجلة ، واحترفت الصحافة ، أى أننى اشتغلت ثلاث سنوات كهاو قبل أن احترف الصحافة .

- وبالرغم من أن مجلة روز اليوسف كانت وفدية النزعة والطابع إلا أنها بفضل محمد التابعى حافظت على روحها الاستقلالية المتحررة ، وعلى آرائها الجريئة ، ففى العدد ٩٩ من روز اليوسف كتب التابعى يطالب مصطفى النحاس باشا بعد انتخابه رئيسا للوفد بأن يعتزل المحاماه .. لأن رئيس الوفد المصرى وخليفة سعد يجب أن يظل فى مقام عال يحوطه الإجلال والإكرام بعيدا عن الاحتكاك والتصادم والاختلافات التافهة على الاتعاب ومقدم الأتعاب ومؤخرها .. ومقابلة كل من هب ودب من أصحاب قضايا الجنح والجنايات ومن أجل هذا نشير على النحاس باشا أن يعتزل المحاماه وأن يقفل مكتبه ، وله من معاشه ومن ثروته الخاصة مايكفى ليعيش مستور الحال .

- وإذا كانت روز اليوسف قد دخلت باب السياسة فى تؤده ورفق فى البداية بتوجيه النقد لبعض أعضاء مجلس النواب ، وللمندوب السامى البريطانى إلا أنها تركت الرفق جانبا ومضت فى جراة وشجاعة تنتقد الملك فؤاد الأول حينما رشح الأحرار الدستوريين بالاتفاق مع الوفد زعيم الأغلبية البرلمانية حافظ عفيفى لمنصب وزارى فاعترض القصر على الترشيح .. وكتبت روز اليوسف عن ذلك تقول إن روح الدستور ونصه يقضيان بأن هذا الحق .. التعيين فى الوظائف العامة .. هو حق للحكومة لأن المسئولية الوزارية تعطى هذا الحق لها وحدها .

- ومضت روز اليوسف تنقد الملك وأسرته وجواريه مدافعة عن حقوق الشعب ، مطالبة باحترام الدستور والالتزام بنصوصه وبروحه حتى أنها انتقدت سفر الملك فؤاد الى الخارج فى رحلة رسمية دون اصطحاب بعض وزرائه معتبرة ذلك إفتئاتا على حقوق الأمة حتى أجبرت الملك على النزول عن رأيه واصطحب رئيس وزرائه ..

- وكانت « روز اليوسف » الرائدة فى انتقاد الحكم الملكى مستغلة فى ذلك وقائع التاريخ فكانت تنشر بين الحين والحين ، خاصة إبان الازمات الدستورية بعض الفصول عن الملك شارل الأول الذى اعتدى على سلطة البرلمان ، فكان مصيره الإعدام .. وكان من بين ما نشرت روز اليوسف رسما يبين الملك شارل بينما يقوده الجلاد الى المقصلة !!

ومن بين كتاب روز اليوسف فى عهدها الأول عبد القادر حمزة (باشا) ومحمود تيمور (بك) ومحمد توفيق يونس ، وابراهيم نصحى ، وعباس محمود العقاد ، ومحمود رمزى نظيم ، وعبد الرحمن صدقى وعبد الوارث عسر ، وابراهيم عبد القادر المازنى الذى كتب مقالا فى أول اعداد روز اليوسف وصف فيه اتجاه صاحبة المجلة إلى العمل الصحفى بأنه نزوة لا تلبث أن تعود بعدها روز اليوسف إلى المسرح .

■ ومن الطرائف التى يحكيها الكتاب عن السيدة فاطمة اليوسف قصة بكائها بينما هى موجودة فى مطابع البلاغ حيث كانت المجلة تطبع :

" كانت مجلة روز اليوسف ومجلة أخرى إسمها الأمل لصاحبتها منيرة ثابت تطبعان بمطابع البلاغ .. وذات صباح دخلت منيرة ثابت المطبعة وكانت فاطمة اليوسف موجودة ساعتئذ .. ووجدت فى طريقها بعض أعداد روز اليوسف فأزاحتها عن طريقها بحذائها .. وهنا انفجرت فاطمة اليوسف بالبكاء غيظا وكمدا .

ومن بين ذكريات محمد التابعى عن السيدة فاطمة اليوسف أنه استدعى ذات مساء من الفندق الذى يقيم به بميدان العتبة الخضراء لأن « الست » أى روز اليوسف تريد أن تنتحر .. أما سبب الانتحار فهو أنها سمعت باعة الصحف بشارع عماد الدين أمام مسرح رمسيس ينادون بالصوت العالى « روزاليوسف » بنكلة « أى مليمين » وشاهدت روزاليوسف زميلاتها السابقين بالمسرح يضحكون ويسخرون !!

■ ويعود الفضل فى تحول « روزاليوسف » من مجلة فنية أدبية الى مجلة سياسية الى المرحوم عبد القادر باشا حمزة الذى نصح السيدة فاطمة اليوسف بأن تحصل على الترخيص الذى يبيح لها الكتابة فى السياسة كمخرج من الأزمة المالية وأزمة التوزيع التى تعانى منها المجلة .. ولما رفض وكيل الداخلية حسن رفعت منحها الترخيص توجهت فاطمة اليوسف الى رئيس الوزراء زيوار باشا الذى اتصل بوكيل الداخلية قائلا له : اعطوها الترخيص خلوها تأكل عيش !!! »

■ ■ وبعد ، فكتاب .. محمد التابعى وهو الأول فى سلسة « أعلام الصحافة العربية » هو باكورة عمل كبير .. باكورة قيمة ، نرجو أن تتبعها كتابات أخرى على نفس المستوى ، فما أحوج المكتبة العربية إلى هذه الدراسات الشاملة المشوقة ، وما أحوج الجيل الجديد من الصحفيين الشبان الى التفكير والتذكر وأخذ العبر والمعرفة من السابقين الذين جاهدوا وكافحوا لكى ترتقى الصحافة وترتكز على أسس قوية وتقاليد راسخة .

وشكرا للزميل الصديق صبرى أبو المجد على المتعة التى أتاحها لى بهديته القيمة ..

وفى جريدة الجمهورية بتاريخ الاثنين ٢٢/٩/٨٦ نشر فى عاموده الاستاذ محسن محمد « من القلب » أن الصحفيين المصريين والعرب مظلومون وأن قصص كفاحهم تستحق تقدير الوطن .. وأن أدوارهم فى صياغة السياسة فى مصر لاتقل أهمية عن عمل السياسيين فقررت دار التعاون إصدار سلسلة شهرية عن أعلام الصحافة العربية بدأها الكاتب الكبير الاستاذ صبرى أبو المجد بمؤلف ضخم عن محمد التابعى

والمدرسة الصحفية الحديثة تأثرت بطريق مباشر ، أو غير مباشر بمحمد التابعى .. ومن هنا جاء هذا الكتاب ليقدم محمد التابعى بالوثائق والمستندات ومذكرات التابعى الخاصة ورسائله التى احتفظ بها وخطاباته التى كان يبعث بها ، أو يهربها من السجن بعدما أدين فى جرائم العيب فى الذات الملكية ..

وصبرى أبو المجد كباحث مدقق ، يقدم التابعى فى صورته الحقيقية ..

طلب الناشرون الى التابعى أن يكتب مذكراته عن بعض الزعماء العرب فاعتذر لأن من عرفهم كشفوا أمامه مكنون صدورهم ، وفى هذا فضيحة وخيانة للأمانة ، وهو يرى أن سرية المهنة مطلقة مؤبدة ولا يستطيع أن ينشر ما وعد بعدم نشره قبل عشرين سنه .. وهو يرى ألا يكتب كلاما قيل أمامه والزعيم أو رجل السياسة ، واثق منه .. وفى الصراع بين الصحفى والأمانة الصحفية إنتصرت الأمانة عند التابعى .. ويقدم صبرى أبو المجد التابعى باعتباره نصيرا للمرأة وحاملا لواء النقد المسرحى فارتفع مستوى الأعمال المسرحية والفنية .. واجتهد كبار رجال المسرح فى تجديد أعمالهم والاقتباس من الأعمال المسرحية بل إن التابعى قام بترجمة أكثر من مسرحية لفرقة رمسيس لصاحبها يوسف وهبى .

وهو كما يقول الكاتب مؤسس النقد الفنى فى مصر ..

ويقدم الكاتب أمثلة كثيرة لأسلوب التابعى فى النقد .. كتب على تمثيل يوسف وهبى لراسبوتين فقال اخرج يوسف وهبى راسبوتين وحشا قذرا « يهرش » فى رأسه ويبصق كثيرا حتى فى حضرة السيدات مع انه كان أمام الإمبراطور التقى الورع .

ولم يكن غليظ الصوت وإلا ما استطاع أن يؤثر فى النساء بحلو حديثه .. الخ ..

ومن البداية يشجع التابعى أم كلثوم فيكتب عنها .. سبحان من وهب للنغم أثره وسبحان من جعل للصوت الجميل سحره أحلى مافى صوتها طهارته .. وصدقه للنغمة والعاطفة التى يجب ان يثير لفظ القصيدة .

وعن عبد الوهاب « له أجمل صوت سمعته وأصدق ملحن عرفت »

ويهاجم التابعى الملك فؤاد فى عنفوان سلطاته بعد وفاة سعد زغلول قال .

« ملك انجلترا سيرد الزيارة لجلالة ملك مصر يا ألف مرحب وملك إيطاليا يا ألفين مرحب وملك بلجيكا ورئيس جمهورية فرنسا سوف يردان .. أربع زيارات ملكية فى عام واحد هى أربع ضربات ملكية فى نافوخ الميزانية المصرية وكفاية علينا مفلسون فى ديارنا كرماء لضيوفنا وعندما يسجن التابعى يعجز عن دفع خمسين جنيها كفالة لأنه صحفى شريف .

وتنجح مجلة روزاليوسف بفضل التابعى الذى يحارب بضراوة السفارة البريطانية والسراى الملكية ووزارتى محمد محمود وإسماعيل صدقى انه يحارب الاستعمار والديكتاتورية والحكم المطلق .. لايهادن ولايساوم لايضعف ولايتراجع .. لاينفع معه الوعد ولا الوعيد ويؤسس مجلة اخر ساعة فتنجح .. ويكتب فى الادب والسياسة .. يطلق على الوزير لقب وزير التقاليع وآخر وزير المصارين وثالث وزير الاوقاف والتكايا ورابع هو وزير المالية والراديو ووجع الدماغ ووزير العدل يسميه التابعى وزير الحقانية والفاصوليا ووزير الحربية هو على باشا بونابرت كل ذلك فى عهد كان فيه الوزراء يرتجفون من قلم اسمه محمد التابعى .

وفى « صندوق الدنيا » للاستاذ احمد بهجت نشر الاهرام بتاريخ الاثنين ٢٩ سبتمبر سنة ٨٦ تحت عنوان ـ محمد التابعى

فى الاربعينات من هذا القرن .. سألت آخر ساعة عددا من الكتاب والصحفيين عن الكتاب الذى يتمنى ان يكتبه .

قال توفيق الحكيم : أتمنى أن أكتب كتابا يصرفنا عن عبادة المال ويعيد الى نفوسنا الإيمان بالمثل العليا القديمة .

وقال كامل الشناوى : أتمنى أن اكتب تاريخ مصر السياسى منذ بدأت الحرب العالمية الثانية متحريا سرد الحقائق كما هى واضحة كالشمس .

أما عباس العقاد فتمنى أن يكتب كتابا عن الشاعر الألمانى هينى .

أما المازنى فيتمنى أن يكتب رواية لايمكن نشرها مع الأسف لصراحتها .

ويأمل مصطفى أمين أن ينشر مذكراته السياسية تحت عنوان « حان للصامت ان يتكلم »

أما محمد التابعى فقال : أتمنى أن أكتب يوما عن الذين أطعمتهم من يدى فأنكروا جميلى وخانونى ، والذين اخذتهم من المشارب والمقاهى وألبستهم ثوب الحشمة والاحترام ثم تنكروا لى وحاولوا أن يطعنونى .

واتمنى أن أكتب عن (الجيف) الراقية التى يسترها الحرير ، وعن الاسماء

الطنانة الرنانه التى كان يجب أن يكون عنوانها فى طره أو قره ميدان (سجون)
آه لوجاء اليوم الذى أكتب فيه كل ماأعرف .

ويعلق الاستاذ صبرى أبو المجد فى كتابه الجديد (محمد التابعى) على هذه القصة فيقول إن هذا اليوم لم يأت للأسف .. وبالتالى فإن التابعى لم يكتب بعد كل مايريد ان يكتبه .

ولقد احسست وأنا أقرأ كتاب (التابعى) أن مؤلفه صبرى ابوالمجد يحاول فيه أن يحقق أمنيات التابعى التى لم يستطعها فى حياته .. ومن هنا لجأ صبرى ابو المجد الى وضع أكبر كمية ممكنة من مذكرات التابعى وأوراقه ورسائله وحديثه أمام القارىء .. مايبدو منها مهما وما يبدو بلا أهمية . .

وأعترف أن هذا الاسلوب كان محيرا بعض الشىء لأنه يترك للقارىء مهمة الاختيار التى كان ينبغى على الكاتب أن يقوم بها .. ولعل صبرى ابو المجد قصد هذا واراد ان يشرك معه القارىء فى النظر الى أكبر قدر من زوايا التابعى المختلفة .

ولقد قال التابعى عن نفسه يوما .. إن الكثير يعملون بقول الخوارزمى : إذا عارضك تيار النهر فسر معه وإلا أغرقك .. ولكننى رفضت العمل بهذه الحكمة وعارضت تيار النهر وغرقت أو أوشكت على الغرق كثيرا .

إن كتاب (محمد التابعى) الذى كتبه صبرى أبو المجد هو دراسة وثائقية وإنسانية لنجم لامع من نجوم الصحافة المصرية وهو نجم كان مسئولا عن نشوء مدرسة جديدة فى الصحافة .. مدرسة لها أسلوبها ولها أدواتها .. ولعل كثيرين ممن يكتبون مدينون للتابعى واسلوبه بشكل او بآخر .. ومن هنا تأتى أهمية الكتاب بما ينطوى عليه من وفاء للصحافة ووفاء لسيد من سادتها .

وفى الاهرام الاقتصادى بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٨٦ ـ كتب الأستاذ كمال الملاخ .

- محمد التابعى : وقلمه المسحور
- مع الاسطورة أمير الصحافة ؟
- .. غريبة وعجيبة .. تلك الذاكرة التى يختزنها مخ الانسان

ما أن أهدانى زميلى وصديقى القديم جدا : صبرى ابو المجد : كتابه الجديد (محمد التابعى) : رائد صحافتنا الحديثة .. وحتى قبل ان أفتحه او اتصفحه .. إذا بهذا الكتاب الضخم (٥٧٥ص) وكأنه عصا مايسترو ساحر .. أو كاسيت فيديو .. يعيد الى ذاكرتى سريعا .. لقطات من محمد التابعى : شخصيته الأسطورية . أسلوبه

السلس الذى يجعلك سواء موافق على ما يكتبه أولا . فإنه يستطيع أن يجعلك دون أن تدرى .. تسرع بقراءة مقاله مهما قصر أم طال .. من بدايته حتى نهايته .. من الالف حتى الياء .

كان أسلوبه اشبه بالنغم الذى يسرى الى مشاعرك .. فلا تستطيع ان تنسحب قبل ان تستمع الى كل لحنة من سطور وفقرات وكلمات وأسطر وحروف .. وانت راض وسعيد ومقبل .. بل ما ان تنتهى .. حتى تنتظر فى لهفة العدد القادم لمقال قادم لمحمد التابعى .

كان محمد التابعى : أميرا بين اهل الصحافة ورجال القلم بل كان ملكا .. غير متوج .. عاش فى أفخم القصور .. ولكن تقلبات السياسة جعلته ايضا من نزلاء السجون . فقد حبسه الحكم الغاشم مرتين .. كان صاحب رأى .. وسيما . تمتد اليه الايدى .. تشير اليه .. معجبة به . وكأنه ملك ديمقراطى !

كان التابعى جريئا ألم يسم بعض الوزراء .. وزير الفاصوليا .. ووزير التقاليع .. لما اصدر الوزير حلمى عيسى امره بان تغطى التماثيل فى كلية الفنون الجميلة .. مما جعل طلابها يغطون تمثال كلب ببعض الاغطية .. حتى لايظهر عاريا .. وقد تعودنا أن نرى الكلاب والقطط عارية ؟

ان الكتاب الأنيق إخراجا وأسلوبا الذى اصدره صبرى أبو المجد له اكثر من حكاية وموقف من طفولة : التابعى حتى نهايته فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٦ . لقد قدمت السيدة هدى التابعى الكتاب بمقدمة تعرفنا سطورها كيف وضعت العديد من المذكرات الخاصة التى احتفظ بها التابعى فى حياته الخاصة .. بين يدى صبرى ابو المجد .. والذى اختار منها مايجوز نشره أو مايهم ان يقرأه .. محللا مذكرات التابعى وكيف ولماذا وأين كتبها ودبجها قلمه الساخر .. من مراسلات بين التابعى وأخيه او بين تلميذه : مصطفى امين وكان يستأمنه حتى على رأسماله .. وبين التابعى والسيدة فاطمة اليوسف صاحبة المجلة التى أسسها باسمها وقد دخلت بلاط صاحبة الجلالة الصحافة بعد ان اهتزت لها أجواء المسرح تصفيقا وإعجابا بفنها .

ترك التابعى الى جانب مذكراته الخاصة التى ضم بعضها الكتاب الذى قدمت له أرملته السيدة هدى التابعى ووضعت ماكتبه زوجها الصحفى الكاتب اللامع الاسلوب .. الساخر الجرىء من الفساد والبطش والديكتاتورية .. امام : زميلنا صبرى ابو المجد .. يختار منها مايضعه فى مؤلفه الاول وقد وعد فى كتابه .. أن هناك مؤلفا تاليا عن التابعى سيضم إليه بعض ماتركه التابعى .. وللتابعى ١٤ كتابا هى (من اسرار الساسة والسياسة) . و(بعض من عرفت) و(أسمهان تروى قصتها)

و(ألوان من القصص) و(عندما نحب) و (لماذا قتل) و(جريمة الموسم)
و(رسائل وأسرار) و(حكايات من الشرق والغرب) و(٣ قصص فى كتاب واحد)
و(ختام القصة ـ ليلة نام فيها الشيطان ـ قصة القصة والمؤلف) و(أحببت قاتلة)
و(صالة النجوم) اما الكتاب الـ ١٤ كان عن حياة نجاة الصغيرة وقد وسطتنى أن
أتحدث إلى استاذنا التابعى . ما بدأ يهم فى إعداده حتى ترددت نجاة . فتوقف
التابعى .. والذى بدأ حياته الصحفية ناقدا مسرحيا وكاتبا فنيا روائيا أحيانا .. وعرف
كل النجوم من كبيرهم الى صغيرهم .. ومهما لمعوا .. كانوا يعملون له الف حساب من
هيبته الصحفية وقلمه الساخر !! وهكذا كان مع رواد المسرح يوسف وهبى وروز اليوسف
وفاطمة رشدى وعشرات وعشرات بل مئات غيرهم وانتقل من عالم الفن إلى دهاليز الساسة
والسياسة وعرف الزعماء والصعاليك والافراد ، والملوك ، والملكات ، عرف مشاتى اوربا
ومصايفها ومغانيها . وكان يصف للقراء بعض من قابل وعاش وأين وهو صاحب التعبير
والذى نقله الى العربية ،كانت الكأس فى يدها غير مليئة وليست فارغة !! اى لا تطيق فراغها
بعد ملئها .

من غير عنوان ؟؟

■■ كنت واحدا من قرائه الذين يتلهفون على ما يكتب وكنت صغيرا أقف فى
المحلة الكبرى ـ ومازلت فى الثالثة الابتدائى ـ أقف على رصيف محطة المدينة لأشترى
مجلتين .. مجلة الاولاد .. وأسأل عن المجلة التى تنشر مقالات التابعى وكم كنت
سعيدا .

وكبرت وتركت مجلة الاولاد .. وتتبعت التابعى حيث يكتب .. ولازمنى فى
مراهقتى وشبابى الاول عندما تخرجت وعملت ..كنت أعرف ملامحه من صوره ..
وكان يحرص على نشر صورة محددة له .

عملت فى وقت واحد فى مجلة بنت النيل والاهرام وسندباد .. وهيئة الاثار بعد
ان تركت عملى الأول .. مدرسا بقسم العمارة بكلية الفنون الجميلة .. والتابعى ..
أضعه مع طه حسين والعقاد والحكيم والمازنى وسلامة موسى وأحمد أمين وشاعرنا
شوقى ومحمد حسين هيكل ومحمد حسنين هيكل وكامل الشناوى ... وكل واحد منهم
له فى أسلوبه وفكره... مذاق خاص... وقابلتهم كلهم إلا واحدا .هو محمد التابعى
حتى منتصف ١٩٥٢ .

هذا التاريخ . نقطة تحول فى حياتى الصحفية . وانتقال .

كان مصطفى وعلى أمين . عملاقا الصحافة المصريه على وشك إصدار .
﴿الاخبار﴾ جريدة يومية وكان اسمها فى بداية الامر ﴿الأخبار الجديدة﴾ وما لبثا أن

حذفا كلمة الجديدة . إذ كان هناك ترخيص سابق للرافعي عندما كان يصدر جريدته الأخبار مع مطلع هذا القرن وكان ذيوعها في العشرينات منه . كانت ركيزة مصطفى وعلى أمين وكامل الشناوى معهما ... أن يجذبوا أكبر عدد من شباب الصحافة المتمرس ليعملوا في مشروعهم الجديد ... وكانت «اخبار اليوم» مع «آخر ساعة» قد سبقت الأخبار فكانوا يتصلون بكل شاب له اسم في الصحافة ... أو يستشفون فيما يقرأون له أنه مفيد وله مستقبل مع الجريدة الجديدة الأخبار وهكذا اتصلوا بى وأحمد بهاء الدين وأحمد رجب وصلاح منتصر ومحمد وجدى قنديل وحامد دنيا وأحمد زين وتوفيق بحرى إلى جانب الأساتذة الكبار توفيق الحكيم والصاوى محمد ومحمد زكى عبد القادر ونجيب محفوظ ويحيى حقى أحيانا وأنيس منصور وسعيد سنبل وحمدى فؤاد وبشباب غيرنا وكان الأستاذ جلال الحمامصى رئيسا لتحرير الزمان وكانت مسائية يعمل معه فيها . موسى صبرى وعلى حمدى الجمال و... وقد ضمتهم الأخبار قبل أن تبدأ ... حيث انضم إليها صلاح هلال وصلاح جلال والمستشار عبد الحميد يونس والمستشار ممدوح عطية وكان نسيبا لمصطفى أمين وخال بناته وكان يجيد الغناء فصوته شجى يطرب من يستمع إليه وأيضا إنضمت تماضر توفيق التى أصبحت فيما بعد رئيسة التليفزيون مع عبد الحميد سرايا وصلاح ذهنى وجليل البندارى .

إتصل بي كامل الشناوى يعرض عليَّ أن اترك «الأهرام» وكنت رئيسا لقسمه الفنى وكاتبا ورساما وناقدا .. وكنت أجيبة لا أنا مستريح هنا . فيرد الشناوى متسائلا .. كيف تترك صديقك أنيس منصور وكل هذا الشباب وتجلس بين حكماء الأهرام .. وعزيز مرزا رئيس تحريرها .. وكيف ترضى أن تكون في شبابك عجوزا . يارجل تعالى واشترك في تطوير الصحافة . ويلح كامل الشناوى . وأرفض . وكأنه يطلق رصاصته المقنعه الأخيرة . طيب إيه رأيك .. ده التابعى ومصطفى وعلى أمين هم اللى موصيني إنى أضغط عليك لتترك «الأهرام» وتيجى معانا . ياراجل تعالى معانا .

لم أكن رافضا الفكرة ولكن «الأهرام» كان يشجعنى وبسرعة أصبح بيتى ولا أحد يضايقنى بل مشجعا لى . هكذا كنت بأرفض تركه .

إلا أن «ريمون شميل» المحامى المختلط المعروف - وقتئذ وكان وصيا على «الأهرام» بعد أن أصبح أصحابه الورثة ابناء جبرائيل تقلا وهم .. قصر.. تلفن لى لأقابله على وجه السرعة . تقابلنا .. في مكتبه بالأهرام في عصر ذلك اليوم . كان بريق عينيه يشع بالذكاء وقامته القصيرة تحمل رأسا متزنا وملامح وجهه الابيض يزداد حمرة وجنتيه ... كلما زاد ترحيبه فاتحا ذراعيه . مرحبا بلا لف ولا دوران .. دخل في الموضوع مباشرة بعد أن سألني .. شاى ولا قهوة .. ولم يضيع وقتا . قال لى .. أنا

عرفت الحكاية كلها .. واشكرك باسم الاهرام أنك لم توافق على ترك (الاهرام) وقد سألت إذاما كانت الخزينة تدفع لك عن كل ما تنشره إضافيا ف(الاهرام) وقالوا لى لا .. المرتب فقط .. وقد اتفقت . مع بشارة رئيس التحرير .. على أن يكون مقابل كل ركن ٥ جنيهات . أى أن هناك علاوة ٤٠ جنيها فوق مرتبك الشهرى لأنك تنشر مرتين فى الأسبوع . وكنت قد بدأت فى (الأهرام) فكرة الأركان .. أى ذلك المستطيل الذى يحتوى على الأخبار الثقافية الفنية . والذى أصبح فيما بعد من سمات (الأخبار) بعد أن تغيرت خصائصه . ثم اضافة ريمون شميل .. وكثيرا ماكان يضع القبعة فوق رأسه إذا ما خرج من (الأهرام) ويضعها على مكتبه إذا ما دخل . إلى أن أتى كامل الشناوى بالجنسية المصرية له فى ١٩٥١ عندما كان يعمل كامل فى (الأهرام) فكان يرتدى الطربوش الأحمر القانى فوق رأسه .. وهذا كان يلفت نظرنا جدا لهذا التحول المفاجىء وكأنه يضع جواز سفره الجديد حاملا جنسيته الجديدة وهو لبنانى الاصل . وقد ترك مصر بعد تأميم الصحافة وعاد إلى بيروت . ولكن ريمون شميل له تذوق فنى رفيع مع عميق الفكر والثقافة . وإن كان لايجيد العربيه تماما . إذ فى ثانى شهر من التحاقى بالأهرام .. دعانى إلى مكتبه قائلا لى إنه قرر ان يعطينى علاوة جديدة جعلت مرتبى مضاعفا .. وذلك بشرطين .. ألا أحلق شعرى وأن أتركه هكذا !!! أى بوهيمى المنظر وكان شعر رأسى كثيفا مثل رأس العبد أيامها .. وألا أطلب علاوة حتى نهاية العام .. ثم قال لى إنه يفهم فى الفن ولهذا فهو يقدر رسومى . أما عن كتابتى فقد صرح لى بان أصدقاءه الذين يثق

بهم قالوا له مديحا فى اسلوبى وما يحمل من افكار او ثقافة وانه سهل مسترسل للناس مهما ارتفع وعيهم او قل !! إلا أن هذا استرسال ذاكره .. قد اكون قد خرجت عن موضوع المقابلة الاخيرة ولكنه يعكس على كل حال كيف كان التقدير او اجواء الصحافة أيامها .

فى المقابلة .. قال لى د . شميل .. انه قرر لى ان تكون علاوتى عن الاركان بأثر رجعى .. يعنى مكافأة سخية . وكانت قيمة الجنيه المصرى اكثر من الاسترلينى الذهب بقرشين ونصف .. كانت ايام .

ثم توجه معى الى مكتب : بشارة تقلا : صاحب الاهرام وكان مكتبه يعلو مكتبه فى الدور الثانى من « الاهرام » الذى رحب بى .. قائلا اذهب الى .. فرحات افندى .

وكان هو المسئول عن الصرف المادى فى حسابات « الاهرام » وخذ منه مبلغ ١٥٠ جنيها تساعدك على رحلة تقوم بها الى اوربا .. لترى وتعيش هناك وتزور المتاحف ولتكتب للأهرام .. واذهب الى مكتب (كوك) للسفريات .. واجعلهم يحجزون لك الفنادق ووسائل السفر كله على حساب الاهرام حيثما ترغب ان تكون او تزور ..

خرجت سعيدا وفى اليوم التالى ذهبت الى الاستاذ فرحات واخذت العلاوة الأربعينية جنيها مضروبة فيما مضى من شهور مع الى ١٥٠ جنيها المكافأة كمصاريف يد من « الاهرام » توجهت الى « كوك » لأدرس رحلتى ولحجز كل ما يتعلق بها .

سافرت وتغيبت شهرين فى اوربا بادئا بإيطاليا ثم سويسرا والنمسا وفرنسا وعبرت الى بريطانيا ثم عدت .. وأثناء سفرى اخذت اكتب واكتب ما اشاهد وجعلت أسلوبى يتصل بأدب الرحلات وكنت أصور فوتوجرافيا واحمض وابعث بالصور .. واتابع ما قد ينشره « الاهرام » ولكن شيئا لم ينشر إطلاقا إلا لقطة صورة فوتوجرافية كنت قد التقطها لطيور الحمام المطمئن بين زوار ميدان سان ماركونى المدينة العائمة الايطالية مع سحرها (فينيسيا) تعجبت لهذه المعاملة واختصرت كتاباتى « الكرامة » الصحفية .. كيف ارسل ولا ينشرون شيئا فهمت ان واحدا من رئيسى التحرير كان السبب فقد اراد ان ينفرد بالاهرام هنا احتججت على هذا المعاملة الا ان صديقى وصاحب الفضل على الاستاذ نجيب كنعان مدير تحرير الاهرام وكان الى جانبى ومقتنعا بى كاتبا ان امر بجمع كل مقالاتى والبدء فى نشرها ولكنى قلت له ان المسألة مسألة كرامة .. إذ كرامتى جرحت .. هذا فى الوقت الذى كان يحدثنى فيه كامل الشناوى ويجذبنى ان اترك « الأهرام » .

وهذا هو الاستاذ التابعى يريد ان يحدثك .

وكم كان مشجعا لطيفا .. ثم اخذ الشناوى لى موعدا مع الاخوين ، مصطفى امين وعلى امين . وكانت المقابلة ١١ صباحا يوم جمعة وجريدة الاخبار قد بدأ ظهورها منذ أيام .

قال لى مصطفى امين .. إحنا عاوزينك ان تكون معنا هنا فى دار (اخبار اليوم) عاوز كام كعلاوة قلت لا مرتبى الذى تعودت ان اصرفه فى « الاهرام » وبعدين اذا اثبت وجودى .

سألنى على امين .. ان اكتب عنوانا للصفحة الاخيرة لاخبار اليوم وانه عاوز المقال بعد ساعة .. واتفضل اختار مكتب فى صالة التحرير او اجلس على اى مكتب وخرجت وكتبت وبعد نصف ساعة دخلت إليهما تصفح مصطفى امين مقالى فى سرعة البرق وهو حاد الذكاء ووزن المادة الصحفية ثم اعطاه لعلى امين وقرا بعض فقراته ايضا بسرعة .. ثم تطلع لى .. متسائلا : أمال فين العنوان .. انت نسيته ؟ ..

وراحت حبات عيونهما الاربعة تتحركان وكأنهما يتحدثان ويتفهمان بها :

فى هدوء وابتسامة رديت (من غير عنوان) .. هو عنوانى .. هل فى هذا غرابة ؟

وابتسم الاثنان وضحكا .. والله عال .. ده عنوان كويس .

ثم كانت (من غير عنوان) التى بدأتها بابا ثابتا فى اخبار اليوم كل سبت وايضا كل اسبوع ثم كتبت الى جانبه مقالا فى اخر ساعة عندما كان يرأسها التابعى ونائبه محمد حسنين هيكل والجيل الجديد والاخبار على مدى ٥ سنوات .. قبل ان اعود الى الاهرام مع هيكل .. وهذه قصة اخرى .

وكما قابلت محمد التابعى : كاتبنا الاسطورى وأستاذ الاسلوب الساحر فيما بعد والى الاثنين القادم باذن الله مع التابعى وكتابه الذى ألفه صبرى ابو المجد عن مذكرات التابعى ورسائله التى احتفظ بها والتى قدمت لها السيدة هدى محمد التابعى .

وفى يوم الاثنين ٦ اكتوبر ٨٦ كتب الاستاذ كمال الملاخ يكمل حديثه الاسبوعى على صفحات الاهرام الاقتصادى كتب يقول :

■■ أستميحك عذرا قارئى أن اؤجل الحديث عن الكاتب الصحفى محمد التابعى بمناسبة ما نشره زميلى صبرى ابو المجد من مذكرات خاصة وبعضها خاص جدا كتبها التابعى وحجزها التابعى ومن بينها اسرار وخطابات ومراسلات الى ما هو قادم من ايام .

اذ شعرت ان اترك مساحة اليوم لتحية استاذى : شعلة الفكر التى أطلت على قراء العربية وعشاق المسرح العربى إبتداء من عشرينيات هذا القرن . حتى الآن وأعنى به توفيق الحكيم .

وفى يوم الاثنين ١٣ اكتوبر ٨٦ يكتب الملاخ تحت عنوان .

■ يد من : يقبلها .

إحسان عبد القدوس ؟

■ عندما انتحل التابعى شخصية الكمسارى ! .

■■ ... ويترك : احسان عبد القدوس قلمه على ورق بقية قصته كان النهار ينتصف عندما دخلت مكتبه .

قال مرحبا .. أعذرنى .. فلا اجد شيئا أملأ به فراغى الا الكتابة كتابة القصة . إذ إلى جانب انها هوايتى التى احترفتها .. فلا اجد غير القلم والورق والخيال المسكوب .. يشغلنى ما أسعدك فانت مع تفرع اهتماماتك ربما لا تبحث عن شىء .. انك سعيد لانك بعيد عن ملل الفراغ لقد اصبحت الكتابة هى حياتى أبدؤها فى الصباح حتى الظهر زمان كان كل النهار وغالبية ساعات الليل .اما الآن فقد جعلت المساء .. للقراءة فقط .. والهدوء انا بعيد عن المجتمع والناس تقريبا .

أقول له : ولكنك اصبحت قريبا وجليسا لعائلتك .

يتحرك بنا الحوار حول حوار فلسفة الحياة .. ومحصلتها واحدة آخر الامر وجود وعطاء .. ثم نهاية محسوبة لنا من السماء فنجالا شاى أساله هل قرأت كتابا [عن التابعى] اصدره صبرى ابو المجد .. عن مذكرات خاصة احتفظت بها أرملته ؟ .

امسك إحسان سماعة التليفون طالبا مديرة مكتبه نيرمين .. التى تلازمه منذ ربع قرن اينما عمل او تنقل بين دوز الصحافة قائلا لها : على فكرة كمال فكرنى بكتاب [التابعى] عاوز تشترى لى نسخة وبينما يضع السماعة .. هز رأسه للآن لم أقراه وإن سمعت به .

هيكل قراه .. وقال لى إن التابعى كان قد توقف عن مذكراته مع بداية الخمسينيات ياترى.رأيك فى التابعى ايه وانا اعلم انك كنت قريبا جدا جدا منه .

قرب إحسان بقية سيجارة الى شفتيه .. ثم سحب نفسه وأسند ظهره إلى ظهر مقعده وكان الزمن قد راح به الى سنوات خلت .. ثم أمال رأسه نحوى : .. كان للتابعى تأثير كبير جدا علىّ .. لانه تقريبا منذ ولدت وفى الخامسة من عمرى عندما وعيت على دنيا عائلتى وعائلة مجلة روزاليوسف التى اصدرتها والدتى وقتئذ كنت متعودا ان اعامل كل افراد روزاليوسف تماما كأعضاء اسرتى وبالذات عندما كنت ارى التابعى .. كنت اقبل عليه مقبلا يده .. كما كنت اقبل يد والدى .

« وعشت طول عمرى » وانا متطلع الى التابعى كمثل اعلى فى الصحافة المصرية .. وفى كتابة المقال والاسلوب الصحفى واذكر فى بداية عهدى بالصحافة بعد ان حصلت على الليسانس ان تركت عملى فى روز اليوسف لخلاف بينى وبين والدتى وفضلت ان اذهب لاعمل فى اخر ساعة مع الاستاذ محمد التابعى .

واذكر ان اول مقال قدمته له وكان حديثا صحفيا لانه تولى بنفسه اعادة صياغته وكتبه من جديد محتفظا باسمى عليه وكان هذا فى رايى توجيها ودرسا واقعيا من الاستاذ التابعى فى اعداد مقال « عشت متتبعا حياة الاستاذ التابعى » .. حتى مرت فترة اقمت فيها بداخل بيته قبل ان اتزوج وكان له الفضل كموجه وبمثابة اب لى ، فى انه كان الوحيد الذى وافق على ان اتزوج وانا فى الثالثة والعشرين من عمرى ، رغم انه هو شخصيا لم يكن متزوجا بعد .

وتم عقد زواجى فى بيته والاستاذ التابعى دفع اتعاب المأذون ، وكان قدرها ٣ جنيهات تمتد انامل إحسان ضاغطة على عقب سيجارة رافعا ذراعه اليسرى الى فمه .. !! .. لكن الدرس الكبير الذى استفدته من الاستاذ التابعى هو ما تعرض له فى حياته الاجتماعية بعد ان كبر واصبح مصروفه اكبر من دخله .. فقد كنت ألاحظ .. انه

يواجه حالات مادية صعبة .. لذلك قررت بينى وبين نفسى منذ كنت صغيرا جدا .. ان لا اعرض نفسى لما تعرض له الاستاذ التابعى .. اى لا اعيش الا فى حدود قيمة دخلى وامكانياتى دون ان احتاج الى أحد .. وكنت أردد ايامها دائما شعار ان الغنى هو الغنى عن الناس .

لذلك اعتبرت الاستاذ التابعى لم يكن غنيا ابدا .. ولكن من الناحية الاساسية .. فالاستاذ .

التابعى .. كان له فضل أن اعيش انا وكل جيلى من الصحفيين فى حياة صحفية ابتكرها وخلقها الاستاذ التابعى قلت لإحسان : أراك دائما لا تنطق اسم التابعى .. إلا والأستاذية تسبقه .. تماما مثل ما كان يفعل على أمين وينطق مصطفى أمين وأحمد رجب حتى الآن .

« يرد احسان كان أستاذا فعلا بكل معانى هذا : اللفظ . المعجزة الاساسية له .. هو أنه كان كاتبا مبتكرا . صاحب أسلوب جديد ومذاق خاص فى الكتابة العربية .. وهذا الأسلوب هو الذى كان يميزه .. ككاتب مقال .. وكاتب خبر .. وكاتب قصة ايضاً » .

كان فى كل ما يكتبه جديدا فى صياغته .. بالنسبة الى لغة الصحافة .

.. لكن للأستاذ التابعى بعض التناقض فى حياته .. أفتكر اهتمامه بصغائر التفصيلات .. قدر اهتمامه بالموضوع نفسه .. فمثلا عندما كنت اعمل معه فى آخر ساعة ، كنت اسمع الجرس الذى يدقه لى يدقه بعنف وكثرة فيخيل لى .. انه حدثت مصيبه كبرى تخصنى ويريدنى ليحاسبنى عليها .. فأهرع اليه واجده يراجع ما قدمته له .. واذا به فى منتهى الغضب .. يصيح فى وجهى .. هاتفا أمال فين نقطة الياء .. تحت الحرف ده فى الكلمة دى فى مقالك .. فكل الهيصة والضجة لانى نسيت ان انقط نقطة تحت حرف الياء .. او نقطتين فوق حرف التاء .. وهكذا كان يهتم .. حتى عندما كنت اقيم معه فى بيته يقضى ساعات يحاسب الطباخ على : قروش يظن انها زيادة .. بينما اجده ينفق عشرات الجنيهات بكل بساطة فى جلسة لأصدقاء . فكانت هذه غريبة من غرائب الاستاذ التابعى ..

احب اضيف .. انه الى الآن .. تؤثر فى مشاعرى ذكرى الاستاذ التابعى .. نفس تأثير ذكرى والدى . فأحس بألم وفقدان اقرب واعز شخصية عشتها فى واقع حياتى منذ صباى كان يحبنى قوى وكنت احبه ويستحملنى .

الملاليم والملايين ؟ ! .

■■ .. أخرج عن الموضوع قليلا .. إذ انى تعودت بعد الغذاء عندما كان

يدعوني الموسيقار عبد الوهاب ، بعيدا عن الرسميات ، وعند سفر السيدة نهلة القدسى زوجته ، أن يتقدم اليه طباخه بورقة سطر عليها اصناف المشتروات وسعر كل ما ابتاعه امام اسم الخضار او الفاكهة او .... .

يخلع عبد الوهاب نظارته .. ثم يقرب ورقة الحساب الى ناظريه .. ثم اما ان يحس بالثقة فلا كلام ولا تعقيب .. والا فى حالات اخرى يبدأ معه بكل دقة عمليات حسابية وطرح وضرب .. وهى لقطة غير معروفة عن الفنان الكبير .. والذى كثيرا ما يقيم الولائم والعزائم فى بيته اذا كان هناك مناسبة حضور ضيف له قيمة واعتبار .

مرة سألت التابعي : عن قوة ذاكرته فى ذكر تواريخ وساعات من ايام وشهور ٥ سنوات ومطلع ومكان كذا ومدينة كذا فى البلد الفلانى .. من اين لك بكل هذه الذاكرة الحديدية .. فأخرج من جيب سترته الداخلى نوتة .. واشار اليها .. وقد لمحت ايضا فيها بعض ارقام لحسابات ما صرف او اشتراه .

منتهى الدقة فى التسجيل .. وفى تفاصيل التفاصيل .. كما وصفه احسان .. ومنتهى الاسراف اذا رغب او اراد .

اذكر للتابعى حرصه على صحته والنوم فى موعد لا يتعدى منتصف الليل تماما ..

وكم دعانا مع الصحاب وبينهم : انيس منصور وهيكل وكامل الشناوى وفتحى غانم واحمد رجب وجليل البندارى وعبد الحليم حافظ وكمال الطويل ومحمد وجدى قنديل . والصحن الرئيسى بط دمياط المشهور الصغير والمشهور باسم « خضيرى » والمحشو بالبصل والتوابل والارز .. ويستقبلنا ويرحب بنا .. ونسهر نتحدث ونحاور ويغنى عبد الحليم ويحلو السهر،ونمرح حين يلقى احدنا نكته لم تكن مكررة ولا معادة .. ولا ننتبه الى ساعاتنا الا عندما نفتقد وجود التابعى ـ صاحب الشقة ـ شقته فى الزمالك ـ وعندما نتطلع الى الوقت نراه قد فاتت الساعة ١٢ من هنا نأخذ بعضنا فى الانسحاب .. فقد تعود التابعى الا يجرح جلسة ضيوفه .. وانما هو ملتزم بالانسحاب الى حجرته لينام .

ثم اعود الى كتاب محمد التابعى : الذى قدمه مؤلفه صبرى ابو المجد .. لأجد بين ما ترك التابعى من خطابات احتفظ بها .. خطابا ارسله له : احسان عبد القدوس بتاريخ ١٩٤٢/٢/٢٣ اى من نحو ٤٤ سنة .. بعث به اليه من سراى الموم بك فى مغاغة .

وقد جاء فيها انه ـ احسان ـ كان فى حاجة الى الراحة منذ شهور اذ لم يسترح من امتحان الليسانس فى العام الماضى سوى ثلاثة ايام قضاها فى الاسكندرية وعاد

اشد حاجة الى الراحة مما ذهب الى ان يقول « كنت اخجل بينى وبين نفسى عندما احس بالحاجة الى الراحة وانا فى سن الشباب ولكننى وجدتك تستريح ثلاثة ايام فى الاسبوع فقلت انى لن اكون الشاب الوحيد الذى يطالب بالراحة فتشجعت واعطيت لنفسى اجازة .

استاذى ان اعز ما كسبته الى الآن فى اشتغالى فى آخر ساعة هو انى عرفت التابعى فقد كان شعورى نحو الاستاذ التابعى من قبل لايتعدى شعورى نحو منافس خطير لمجلة روزاليوسف وكاتب قوى نخشاه ويقتفى قلمى أثاره فى تردد وخوف وهو لايخشى ان ينقض عليه القلم الجبار . فيقتله قبل ان يكتمل نموه : حقيقة كان هناك فى قرارة نفسى شعور عائلى وروحى يربطنى بك ولكن عدم الاختلاط الشخصى بينى وبينك غطى على هذا الشعور وجعلنى لا انظر اليك الا من ناحية عملك الصحفى . اما الان فقد عرفت التابعى الذى رآنى طفلا وصبيا .. وشابا ويهمه ان يرانى رجلا واخيرا عرفت اخلاق التابعى ، واعجبت بهذه الاخلاق .

من هنا ارى ان رأى احسان عبد القدوس ثابت لم يتغير .. من يوم ان اعجب بأستاذه التابعى .. وحتي بعد مرور ٤٤ سنة ستزحف الى نصف قرن من الزمان .. وهنا الاثر الحميد الصادق الذى تركه التابعى لتلامذته .

اما كيف عمل التابعى فى الصحافة ثم تحول الى السياسة ودهاليزها .. فلذلك قصة طويلة احاول ان اختار لها موقفا من يوميات وذكريات تركها يضمها كتابه الذى يحمل اسمه عنوانا وصبرى أبو المجد .. مؤلفا . ولكن كيف وأين ولد التأثيرات التى كانت جسرا له فى حياته حتى أصبح أمير الصحافة المصرية حتى بداية الثورة .
عن مرحلة الطفوله يقول الاستاذ محمد التابعى إنه ولد فى عام ١٨٩٦ وكان أهله يصيفون وقتئذ بمصيف الجميل على شاطىء بحيرة المنزلة لذا فأنا من أهل السواحل مولدا ، أما اسرتى فمن المنصوره أطلقو على اسم (محمد التابعى) تبركا باسم (الشيخ التابعى) كرم الله وجهه .

التابعى ليس إسم أسرتنا ، فاسمى الاصلى هو (محمد التابعى محمد وهبه) وقد اختصرته إلى محمد التابعى اما لقب عائلتنا فهو « وهبه » وبه سمى شقيقى الوحيد حسين وهبه .

كنت رابع أخوتى ، واول الذكور فقد جئت بعد فاطمة وعائشة وزينب وجاء بعدى شقيقى حسين ــ وكان والدنا مهندسا يعمل مديرا لاحدى الدوائر ــ وقد تركنى رحمه الله فى السابعة من عمرى وخلف لى تركة كبيرة من البراجل والمساطر والاقلام والاوراق .

وفى الحارة قضيت طفولتى ألعب حافيا وأمسك بيدى سيفا من الصفيح ودرعا وخوذة كلفنى صنعها قرشين كاملين ، وتفننت فى مبارزة فريق الزير سالم ، بينما كان فريقى الزناتى خليفة وطبعا كنت انا الزناتى خليفة الذى ينتصر فى كل مرة وذلك بالحداقة والتفنن فى المقالب .

إلتحقت بعد ذلك بالمدرسة الابتدائية فى المنصورة وكنت فى نحو السابعة وكان المدرسون يتفننون فى نصحى بالإقلاع عن المشاغبة بلا طائل ، وفى الصيف كانت والدتى لا تتحمل الضجة التى أثيرها فكانت ترسلنى الى مدرسة صيفية .. وتنفحنى بقرش صاغ قبل خروجى ولكنى لم اكن اذهب الى تلك المدرسة ابداً بل كنت اذهب الى مكتبه فى « سوق الخواجات » يملكها الشيخ سعيد خليفة واعطيه القرش كله فيأتينى بمقعد أجلس عليه وابدأ القراءة . كنت أختار قصص سيف بن يزن والف ليلة وليلة وحمزة البهلوان كل تلك القصص قرأتها قبل ان ابلغ الحادية عشرة من عمرى وكنت اعود الى البيت فى موعد انصراف المدرسة حاملا حقيبتى فأتظاهر بالارهاق من الدرس حتى كان يوم بعثت فيه المدرسة خطابا الى امى يفيد اننى تخلفت عن الحضور مدة طويلة .

وزاد الطين بلة ان فتحت والدتى حقيبة كتبى وعثرت فيها على مجموعة كبيرة من القصص والكتب التى كنت اشتريهابمصروفى وفى ذلك اليوم منيت بعلقة مازلت اذكرها . وحصلت على الشهادة الابتدائية بتفوق .

وعن تلك الفترة ايضا يقول الاستاذ عباس خضر : محمد التابعى محمد هذا هو الاسم المدون فى شهادة الميلاد ولد فى الجميل قرب بور سعيد حيث كانت الاسرة تصيف وهناك مقام الشيخ التابعى المشهور ببركاته وكراماته فسمى الوليد محمد التابعى تيمنا بالشيخ التابعى . ويقال ان والدته بعد ان أنجبت اربع بنات نذرت إن أعطاها الله ولداً لتسميه التابعى تبركا بالشيخ التابعى ، ولا يذكر التابعى شيئا عن المصيف القديم الذى لم يعد مكانا للاصطياف فقد توفى الوالد ولم يعد من الميسور ماديا ان تصيف الاسرة ونشأ محمد التابعى بمدينة المنصورة موطن اسرته وكان رب القلم رب السيف فى صغره مع فارق هو ان قلمه الان ـ ١٩٥٩ ـ قلم حقيقى أما سيفه فكان سيفا تقليدا .

كان يصر على ان يمثل امام رفاقه اولاد الشارع ـ شخصية ابو زيد الهلالى سلامة ويترك لغيره ما يشاء من الادوار : دياب ، الزناتى خليفة أو أى بطل آخر .. وكان الفارس الكبير أبو زيد الهلالى ممثل فى شخص الطفل الصغير محمد

التابعى . يخرج إلى خصمه فى الميدان ، وقد آرتدى الزرد والخوذة النحاسية وعلق فى وسطه سيفا قد يكون من خشب او اوراق جريد النخل على نحو ما يرى صوره البطل الخالد كما تخيله ورسمه الفنان القديم .

وكأن الفارس الصغير كان يعد نفسه لان يجول ويصول فى ميادين اخرى حقيقية وبسلاح آخرحقيقى عندما يكبر ويصير كاتبا صحفيا يخوض معا مع السياسة ومعارك النقد المسرحى .

والتحق التابعى بمدرسة المنصورة الابتدائية تلميذا عاديا فى دراسته ولم يتخلف سوى عام واحد ـ وكان التابعى ضعيفا جدا فى الخط العربى حتى بعد ان كبر كان يقول انه لا يفرق فى خطه بين الرقعة والنسخ فالمهم ان تكون كتابة مقروأة .

شقاوة الكمسارى ؟ !!

جئت الى القاهرة والتحقت بالمدرسة السعيدية الثانوية وكنت لا ازال أرتدى البنطلون القصير ، وزاملنى هناك صديق عمرى فكرى اباظة .

وكان ناظر المدرسة انجليزيا اسمه مستر شارمان وكان وكيلها هو عبد الفتاح صبري ، ومن فرط شقاوتى لم يتحملنى الناظر والوكيل فقررا ابعادى عن المدرسة واذكر ان آخر حوادث « الشقاوة » التى أبعدت على اثرها ان شركة الترام كانت تحضر قاطرتين خاصتين للطلبة ساعة انصرافهم من المدرسة ، وكنت اركب مع الطلاب وكان الكمسارى يقطع تذاكر للجميع وفى يوم من الايام آخر الشهر ـ والحالة المالية متأزمة لدى الطلبة جميعا ـ تطوعت من نفسى فاختطفت حقيبة الكمسارى وقطعت للطلبة جميعا تذاكر مجانية وأبلغت شركة الترام المدرسة بما حدث فكان نصيبى الحبس ثلاثة ايام بزنزانة المدرسة والشكر العميق المشفوع بتحيات طيبة من زملائى الذين رحمتهم من نصف القرش الذى يجب ان يدفعوه فى ذلك اليوم .

ولكن التابعى اصر على ان يقوى نفسه فى اللغة الانجليزية.فبدأ يقرأ القصص الانجليزية خيالية كانت ام واقعية واوغل فى القراءة حتى اصبح متفوقا فى تلك اللغة .

وقد اهتم التابعى بقراءة كتب المنفلوطى كما كان يفعل محبو القراءة من المتعلمين فى هذا الجيل ، الذى تلا المنفلوطى ـ كما كان ميله شديدا الى قراءة القصص فقد وجد بغيته فى قصص مسامرات الشعب وهى سلسلة حافلة كان يصدرها الصحفى خليل صادق وكانت قصصا مترجمة من روائع الادب الغربى وكان يترجمها ادباء متمكنون امثال محمد السباعى واحمد حافظ عوض وغيرهما .. وذلك الى جانب قراءته للقصص الانجليزية فى لغتها الاصلية التى كانت سببا فى تفوقه فى اللغة

الانجليزية الى درجة انه كان يكتب بها اسهل مما يكتب بالعربية قال لى انه عندما كان يريد كتابة خطاب لصديق يجد نفسه ميالا الى الكتابة باللغة الانجليزية اكثر من الكتابة بالعربية .

وعن تلك المرحلة ايضا قال التابعى ، إنه كان يود ان يدخل كلية الطب لولا ان زار مع صديق له المشرحة فاهتزت مشاعره وأيقن انه لن ينجح كطبيب ومن اجل ذلك اتجه الى دراسة الحقوق وعن الحقوق يقول التابعى :

والتحقت بكلية الحقوق وزاملنى فيها شريف صبرى لكننى لم اكن صديقا له كان إبن ذوات ، وكنت انا من عامة الطلبة .

السهرة لأربعة على المسرح والعشاء بجنيه واحد !! .

كانت الحقوق على ايامنا غير هذه الايام بل الجامعة كلها بوجه عام فقد كان الطالب منا عندما يرى أستاذه فى مكان يسرع بمغادرة المكان تأدبا وكان بين أساتذتنا فى ذلك الوقت أستاذان يحبان السهر . هما الدكتور حسن نشأت واستاذ اسكتلندى اسمه « ملفيل » كنا نصادفهما احيانا فى احد مسارح عماد الدين فنسارع بالهرب قبل ان يرونا واذا وجدنا انفسنا أمامهما وجها لوجه كنا نصافحهما بأدب واحترام ونترك المكان لهما بدافع من الحياء والاحترام ، اما الان فان طلبة الجامعة عندما يرون استاذا لهم فى مكان عام يتبادلون معه السجائر ثم يعزمون على بعضهم بالويسكى .

أما ليالينا فى شارع عماد الدين فقد كنا نقضيها جماعة .. وكانت الجماعة تتألف من أربعة أصدقاء انا وفكرى أباظة ، والمرحوم الدكتور محمود حافظ ، وعلى شريف مسعود .

كانت سهرتنا يوم الخميس من كل اسبوع وكان كل واحد منا مطالبا بان ينفق على السهرة مرة فى الشهر .. وكانت السهرة تكلفنا جنيها كاملا ، نتعشى ثم نذهب الى احد المسارح ، وفى آخر الليل نسير الى ميدان الخازندار ، حيث نكترى اربعة حمير تحملنا الى بيوتنا .

وعن بداية كتاباته يقول التابعى فى إبان ثورة ١٩١٩ وماتلاها وعلى وجه التحديد عام ١٩٢١ إبان المظاهرات الوطنية التى قامت فى تلك السنة كتبت الاجبشيان ميل مقالا هاجمت فيه المظاهرات واسلوب الشباب المتحمس .. إغتظت من تلك المقالة وتناولت القلم فكتبت اول مقال لى باللغة الانجليزية وارسلته للجريدة وكم كانت دهشتى عندما نشرته الجريدة فى مكان بارز أيضا .

ثم أخذت أوالى الجريدة برسائلى عن الانجليز فى مصر واستبدادهم . واصرارهم على تخصيص أحد الاندية« نادى الترف » لهم وحدهم وحرمان المصريين من دخوله .

التابعى مع صاحبة الجلالة :

كما اننى كتبت فى رسائلى أنتقد احتكار الموظفين الانجليز للوظائف الهامة فى الدولة وكانت تلك الرسائل تنشر تباعا .

وكانت مقالاتى توقع بـ M - T - M وهى الحروف الاولى من محمد التابعى محمد وتشاء الظروف ان اصبح صديقا لرئيس تحرير الإجيبشيان ميل مستر اوڤارول ، وقد حدث انه دعانى الى مشاهدة مسرحية « غادة الكامليا » فى مسرح رمسيس ولم يكن قد مضى على افتتاحه بضعة اشهر .

وكانت تقوم بدور مرجريت السيدة روزاليوسف ويقوم بدور أرمان دوتال يوسف وهبى ويقوم عزيز عيد بدور دوڤال .

وعند الانصراف من المسرح سألنى مستر اوڤارول عن رأيى فى المسرحية فقلت ان روزاليوسف قامت بدورها فى مستوى لابأس به وان عزيز عيد أجاد اما يوسف وهبى فلا وطلب منى مستر او ڤارول ان اكتب نقدا للمسرحية لنشره فى مجلة سفنكس التى كان المشرف على تحريرها الى جانب جريدة الإجيبشيان ميل ولم يعجب النقد فرقة رمسيس فكتبت جريدة النظام التى كان يصدرها الاستاذ سيد على تهاجم المقال الذى كتبته باللغة الانجليزية .

واضطررت ان ارد على جريدة النظام فكتبت اول مقال لى باللغة العربية نشرته فى جريدة السياسة التى كان قد أصدرها حزب الاحرار الدستوريين منذ عام تقريبا .

وهكذا بدأت ادخل عن طريق الهواية بلاط صاحبة الجلالة وفى نفس الوقت كنت أتأهب لخوض مجال الترجمة عن طريق مذكرات لورد اداورد سيسيل التى كانت قد اثارت ضجة هائلة وكان قراء اللغة الانجليزية فى مصر قد اقبلوا عليها إقبالا شديدا .

وفى الاهرام الاقتصادى بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٨٦ كتب كمال الملاخ يقول :

■■ .. مازال كتاب صبرى ابو المجد عن (محمد التابعى) امير الصحافة المصرية مسلسل القلم والبيان الجرىء الاسلوب الساخر احيانا إبتداء من العشرينيات حتى بداية الستينيات من قرننا الذى نحياه .. تشدنى وتجذبنى تفاصيل يومياته ومذكراته التى تركها ورأت السيدة أرملته : هدى التابعى ان تنشرها فأسندت الى زميلى كى يلسقها ويؤلف منها فصولا .. وقد قدمت للكتاب بمقدمة طويلة .. وقد اهتزت مشاعرى وهى تكاد تختتم ما كتبت بأن دونت بعد رحيله بسبع سنوات وبعد ان توفى التابعى فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٦ عن ٨٠ سنة فذكرت وهذه هى كلماتها

لا اتصور ان هناك امرأة عذبها ماضى الرجل الذى احبته كما تعذبت !! .

هل من الممكن وبعد رحيله بسبع سنوات وتسعة عشر يوما ان انفعل وأتناثر .. وألملم بعضى .. لأشياء حدثت .. لأحداث وقعت قبل مولدى .. وأقرأ بعضا منها .. ويتصدع رأسى .. ويشتعل وجدانى .. ويدق قلبى .. ؟!! .

ما أعجب الحياة .. ؟ !! .

الطريق طويل .. طويل وشاق .. شاق ملىء بالآلام والدموع .. أحاول استرداد انفاسى بين لحظة واخرى .. ولا اقول بين الحين والحين فليس هناك وقت .

لوطاوعت نفسى واستسلمت لرميت كل هذه الاوراق بعيدا .. بعيدا .. وكفانئ ولكنه عهد قطعته على نفسى ووعد لابد من الوفاء به ..

فنم مستريحا يارفيق رحلة الحياة ..

صحوت على ضيق فى نفسى .. ودم من حلقى .. ترى ماذا تخبئه لى الايام ؟ .. خواطر وساوس شكوك تراودنى منذ ايام وتقتلنى نفسيا أريد التخلص منها .. كيف ؟ .. لا أدرى ؟ يارب كن معى .. كما كنت دائما .. فأنت لا تخذلنى ابدا ولكنك تمتحنى .

يارب لست قادرة هذه الايام على اداء الامتحان .. هلا خففت عنى قليلا اطلب رحمتك ؟ .

اريد ان احتضن كل اوراق التابعى بل اكثر من ذلك اريدها ان تكون كفنا لى اتخيلها تدفئنى فى قبرى .

■■ .. وفى الرثاء .. قرأت من قبل كتابا خصصه عزيز اباظة شعرا هو الحنين لزوجته الاولى التى فقدها .. ومن قبله الى الشاعر عبد الرحمن صدقى زوجته الاولى ايضا وكان يذهب مع زوجته الايطالية الثانية لزيارة مدفنها فى كل مناسبة او ذكرى وتحمل عروسه الاجنبية صحبة ورد تضعها عند شاهدها !! .

■■ .. ولعلى أتذكر هنا حين أقرا كلمات هدى التابعى .. عن غيرتها من ماضى التابعى .. ان حدث ذات يوم فى بداية الستينيات ان جاءنى صديقى ناقد اخبار اليوم الفنى .. جليل البندارى مهموما والمعروف لدى كل الزملاء ان جليل البندارى ضاحك باسم الوجه متهلل للدعابة والمرح البرىء ..

قلت له : مالك ياجليل .. شايل الدنيا فوق راسك ليه ؟ .. ايه اللى حصل .. اللى خلى وشك كاحد كومبارس فاجعة من اى دراما باكية ليوسف وهبى .. ؟ ! .

لم يضحك جليل .. ولم يسخر .. بل رأيت دمعتين حائرتين لاتقويان على البقاء ولا على ان تسيلا على خديه ؟ ! .

إحترمت حزنه .. ومع ذلك همست اليه .. ايه الحكاية ياجليل .. لم اتعود ان اراك وانت الضاحك دائما .. باكيا ؟ ! ! ..

قال جليل .. ياسيدى أصبحت ممنوعا من الكتابة .. مقالى اليوم السبت سوف لا ينشر إبتداء من بعد غد مع انه مجموع فى المطبعة مصطفى امين اتصل بى وقال انت زعلت عائلة الاستاذ التابعى عندما تناولت فى عدد سابق بعضا من مغامراته القديمة ؟ ! ولهذا فأنت ممنوع من الكتابة حتى ترضى مدام التابعى والتى اتصلت بى قلت لجليل طيب ما التابعى نشر فى كتابه بعض من عرفت .

رد .. ماهى دى الكارثة ما صاحب الموضوع معترف اكثر مما كتبت ! .

سألته : والمدة المقرر منعك من الكتابة عامة كم يوم او كم اسبوع ! .

قال جليل : قول كم شهر الحكاية تأديبيه كيف يجرؤ قلمى عن حكايات فى حياة التابعى ايام زمان اننا لم نسمع ولم يحك اى قصة او مغامرة بعد زواجه وكلنا نحترمه أستاذا كبيرا ..

قلت لجليل بعد ان رأيت تأثره انا عندى فكرة .. تعمل حديث مع د . عبد القادر حاتم وكان ايامها مسئولا عن الثقافة والاعلام ولا اتصور ان أحدا سوف يمنع نشره ولا يكون فيه من قريب او بعيد ما يمس التابعى يعنى تتحدث وتجرى حوارا مع د . حاتم عن التخطيط الجديد للثقافة وكل ما يتصل بها والجوائز التقديرية ورسالة الاعلام مع الوليد الجديد فى مصر التليفزيون .

فرح جليل بالفكرة التى ستنقذ الموقف .. دون ان يسىء النشر لاحد .

ذهبنا إلى د . حاتم فى مكتبه فى الدور التاسع بمبنى التليفزيون . ورحب بنا وبدأ جليل يسأل .. ود . حاتم لايجيب كما تعودنا . وإنما نظر إلى نظرة ثانية وتساءل : إيه الحكاية ياكمال ؟ ..

قلت له عن المأزق .. وكيف سنتخلص منه .. ضحك د . حاتم ثم اتجه بحواره مع جليل البندارى : قائلا فى هدوء مبتسم : طيب مش تقول لى ياجليل الحكاية أترك لى هذا الموضوع وسأحله مع مصطفى أمين والتابعى .

د . حاتم لم يجد الأستاذ التابعى .

إتصل بمصطفى أمين .. الذى رد بأن الحكم على جليل ٣ شهور .. لوقف نشر ما يكتب ـ كما اتفق معه أستاذنا التابعى .. ثم قال أترك الموضوع أسبوعين وسأحل الموضوع لنفرج عن قلمه : جليل البندارى .

قلت للدكتور حاتم .. يبدو أننا وصلنا إلى ربع أو منتصف طريق الحل ..

وسأترك لك الموضوع .. وسأنتبه لجليل البندارى فى أزمته وأنا واثق من أن حلا سعيدا سيتم . فعلا .. عاد جليل البندارى .. إلى الكتابة بعد أن أفرج عن قلمه وإن لم يعد إلى الكتابة عن محمد التابعى ولا عن ذكرياته ومغامراته . !!

وذكرتنى مقالات كمال الملاخ وماحكاه عن جليل البندارى بما حدث وكأنه اليوم ولأن القصة طريفه فسوف أسردها على القراء الكرام كما حدثت بتفاصيلها الكاملة .

فى اوائل الستينات قال لى التابعى اليوم بعد الظهر يزورنى جليل البندارى .. وكان لى رأى خاص فى المرحوم جليل البندارى !! ..

وقلت للتابعى هناك بعض أشخاص لاأحب أن يدخلوا بيتى ومن بينهم هذا الرجل ..

ـ إنه يحضر اليوم ليهدينى نسخة من كتابه « وداد الغازية » ثم انه يضحكنى كثيرا .

ـ قلت يعنى مضحك الملك .. ولكن حاذر منه فأنت طيب القلب كثيرا .

ـ يعنى .. ؟ ..

ـ يعنى حاسب وانت بتدردش بقلب مفتوح .. وأفاجأ بأنها منشورة .. كلمة من هنا .. كلمة من هناك .. يعنى مقال صالح للنشر .

ـ قال إطمئنى ..

ـ قلت لاتظن أن هناك مثلك من يؤمن ويتحدث عن الأمانه الصحفية .. فهناك من يلتقطون أى خبر لنشره ..

ـ وربت على كتفى .. وقال ثانية إطمئنى .

ـ قلت أريد أن أسألك هل تذكر عندما حضر جليل منذ سنوات ليشترى منك قصة .. وجئت لتخبرنى بالمبلغ الذى يريد أن يدفعه وقلت لك هل نحن نبيع ترمس ؟ !! . أرجوك انهى المقابله حالا مع هذا الرجل .. فأنا لاأرتاح إليه .. ولاأريده فى بيتى ..

وذهب التابعى وكان جليل يشرب قدحا من القهوة وفوجىء بأن التابعى يقول له .. إنتهت المقابلة .. قال جليل طب أكمل فنجان القهوة .. ولكن التابعى أصر على طرده .. وطبعا فهم جليل البندارى من وراء طرده من بيت التابعى شر طردة .. وظل البحث فى الوسط الصحفى من هو القريب منى ليصلح ماأفسده .. !!

كانت فى هذا الوقت من الزمان القريبة إلى قلبى ونفسى هى الصحفية اللامعة الراحلة فتحيه بهيج .. بحث عنها وذهب إليها ورجاها أن تكون واسطة خير وصلح ..

ولم اكن أستطيع أن أرفض لها طلبا .. وكنا فى مدينه الاسكندرية وقبلت آن يعتذر لنا بحضورها ـ وخارج المنزل .

ودارت الأيام والسنون . وإذا به يطلب الحضور .. وها هو ذا التابعى الطيب القلب .. يستقبله .. وكأنما نسى تماما ماحدث .. ألم أقل انه طيب القلب .. !!

طمأننى مرة ثالثة وخرجت .. وعندما عدت سألت التابعى : ماذا دار من حديث بينكما قال : دردشة ليست للنشر .. وانقبض قلبى .. وغيرنا الموضوع وكنا فى يوم الأربعاء .. وظهرت أخبار اليوم صباح السبت .. وقرأت .. وثرت .. ثورة عارمة .. فقد اعتبرت أن مانشره جليل هو جرح لكرامتى .. كزوجة .. وفى نفس الوقت صدق حدسى عندما قلت للتابعى .. إحذر من الدردشة مع هذا الشخص ..

وجاء التابعى ليفسر .. ورفضت أن أستمع .. وطلبت منه أن يتركنى وحدى وأنا ثائرة .. وظللت أفكر .. ماذا يمكن أن افعل .. كنا فى الثامنة والنصف صباحا عندما قرأت الجريدة وفى السابعة بعد الظهر قررت أن أحادث رئيس تحرير أخبار اليوم وكان فى هذا الوقت مصطفى أمين .

وأدرت قرص التليفون .. ودار الحوار التالى عندما سمع صوتى

ـ أهلا

ـ لاأهلا ولاسهلا

ـ إنت قريت أخبار اليوم النهارده ؟

ـ لا

ـ إنت رئيس تحرير إنت .. صدقت وآمنت إنكم عرايس ماريونيت بيحركها التابعى واغلقت الخط بانفعال شديد .

وجاءنى التابعى بعد قليل ليقول لى إن مصطفى أمين إتصل به ليقول إن الحق معى وأنه أصدر قرارا بوقف جليل البندارى عن الكتابة عقابا له على مانشره .. ولم أرد بكلمة ..

وقال التابعى ـ حرام .. كلمى مصطفى امين .. لتوقفى قرار الوقف ورفضت تماما .

وقلت ليذهب الجميع إلى الجحيم .. وكفانى ماأنا فيه .. وماتسببوا فيما وصلت إليه .. !!

وكعادة جليل البندارى عندما يخطىء يظل يبحث عن أقرب شخص لنا ليجعله الواسطة للصلح .. !!

ودق جرس التليفون .. ووجدت على الخط الآخر كمال الطويل

وكمال الطويل أخ عزيز كريم وصديق حميم .. وقال لى : لقد جاءنى جليل أمس فى الأستوديو فى وقت متأخر وهو يعتذر عما بدر منه ويطلب أن تسمحى له بالحضور .. ليقبل يديك .. وصرخت .. فأنا أمقت تقبيل الأيادى والأقدام .. وقلت لكمال أقسم بالله العظيم لو جاء ورأيته وكان بيدى مسدس لأطلقت عليه النار .. وليحدث مايحدث ..

وحاول كمال الطويل أن يخفف من ثورتى .. لكن دون فائدة .. ودارت الأيام والسنوات للمرة الثانية مع نفس الشخص .. ولم يترك أحدا إلا ووسطه .. ورفضت تماما ..

إلى أن كان شتاء سنه ١٩٦٦ وكنت أرقد بمستشفى الدكتور عبد الله الكاتب وجاءت لزيارتى المرحومة السيده نادية سيف النصر وكانت تربطنى بها معرفة .. وأعرف ظروفها واتعاطف معها .. قالت لى هدى عاوزه أطلب منك طلب بشرط ألا ترفضى .. وتصورت أنها تطلب طلبا شخصيا . قلت تحت أمرك يانادية . أرجوك تصفحى عن جليل البندارى .. !!

والحقيقة أنى فوجئت .. فقد مضت أربع سنوات على إرساله لى عن طريق جميع أصدقائنا ومعارفنا .. والرد رفض بات .

وكانت المرحومة نادية لها دور فى مسرحيه وداد الغازية (دور الاميرة) وانتهز جليل رحمه الله هذه الفرصة .. عندما عرف أنها سوف تزورنى فى المستشفى وطلب منها أن تتوسط له عندى ..

ولست أدرى .. أو ربما أدرى .. لماذا رددت على ناديه بأنى قبلت بل وحددت له ميعادا .. تكون هى بصحبته ..

ربما لأنى كنت سوف أجرى عمليه .. ودائما شعورى قبل إجراء أى عملية أننى ربما ألقى وجه ربى الأكرم .. ولا أريد أن أموت والناس غاضبة منى أو غاضبة أنا منها .. ربما لهذا السبب وحده قبلت وساطة ناديه سيف النصر رحمها الله ..

وجاء جليل .. واعتذر .. وقبلت .. وخرج فرحا يردد بصوته الأجش .. براءة .. براءة ..

وفى الأهرام بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٨٦ كتب الأستاذ صلاح منتصر فى عاموده (مجرد رأى)

ثلاثة ايام متتالية تحت عنوان الأستاذ التابعى _ لا أذكر أننى رأيت الاستاذ « التابعى » غير ثلاث مرات .. المرة الأولى وكنت يومها بالبنطلون

القصير فى رأس البر وكانت « عشته » فى طريق ذهابى كل يوم إلى البحر .. وفى أحد الأيام اقتربت من العشة وكان مستندا إلى سورها واستأذنته أن يكتب لى كلمة فى أوتوجراف اشتريته خصيصا لهذا الغرض .. وكانت كلماته .. « مع تمنياتى بالنجاح فيما تتمناه وبعد أن تكبر » هى أول عبارة يكتبها لى شخص مشهور مثل الأستاذ التابعى فى هذا الأوتوجراف ومرة ثانيه شاهدت الأستاذ التابعى بعد أن أصبحت عضوا فى أسرة أخبار اليوم .. كنت على مقربة من باب دار أخبار اليوم عندما شاهدته يسير بقوامه المشوق ويده اليسرى الموضوعة برشاقه فى جيب جاكتته وفم السيجار بين شفتيه الذى ينفث دخانه فى كبرياء وأنفه .. وأحسست بالخوف فى هذه المرة من رؤيته .. خوف التقدير والمهابة والاحترام لأستاذ كنت قد بدأت أعشق كتابته وأشعر بطعم الحلوى وأنا أستعذب كلماته وجمله الشهيرة ، تلك التى يفهمها طالب الابتدائى أو الثانوى ويهتز لها طربا طالب الجامعة وينحنى لها تقديرا كل صاحب فكر ورأى .

وكانت رؤيته للمرة الثالثه فى مكتب الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة وكان للاستاذ التابعى باب ثابت إسمه « من أسبوع لأسبوع » لكنه كان يرسله من بيته دون ان تراه .. ولكنه فى هذا اليوم أراد المرور على الأستاذ هيكل قبل ان يسافر للخارج ..

إن الإنسان لايذكر من كثير من المشاهد والصور والأحداث التى مرت به غير تلك التى تركت فى داخله تأثيرا عميقا .. وعندما أمسكت بلهفة المحب العاشق كتاب الصديق العزيز صبرى أبو المجد عن الأستاذ محمد التابعى إسترجعت ذاكرتى على الفور هذه المرات الثلاث التى رأيت فيها الأستاذ التابعى .. لاأذكر أن اسمه ورد على لسان أى واحد منا من غير أن تسبقه كلمة « الأستاذ » لدرجة خيل لى فى وقت من الأوقات أن هذا اللقب دخل اللغة العربيه خصيصا من أجله .. لم يحدث أن ناداه أحد أو أشار إليه بلقب التابعى بك أو التابعى باشا وإنما بالاستاذ التابعى بل كان يكفى كلمة الأستاذ ليفهم السامع من هو المقصود ..

كان هو فوق قمة الهرم الصحفى . وكنا يومها تلامذة على السفح أقصى أمانينا أن نطل إليه .. ولم اكن أقرأ عنه إلا مايصفه بأنه يعيش حياة الملوك والباشاوات وأحيانا المهراجات .

■■ وطوال السنوات التى مضت ظل الاستاذ التابعى لغزا غامضا فى تفكيرى إلى أن وجدت حله فى كتاب الصديق صبرى أبو المجد .

٢٢ / ١٠ / ١٩٨٦

لغز الأستاذ

كل الذين كتبوا عن الاستاذ التابعى كانوا يكتبون عن بذخه وإسرافه وأجنحة الملوك والرؤساء التى يقيم فيها فى الفنادق الأوربية . وسان مورتز التى كان يزورها شتاء للتزحلق على الجليد فى نفس البلدة التى كانت أميرات القصر الملكى بنات الملك فاروق يمارسن فيها رياضة الذين تسرى فى عروقهم دماء خاصة ليست من فصيلة مايسرى فى عروق الشعب .

ولسنوات طويلة ظل الأستاذ التابعى ـ من خلال الكتابات التى قرأتها عنه ـ لغزا محيرا ، إذ كيف يخرج من صالونات القصور والكراسى المذهبة والسجاجيد العجمى مثل هذا القلم الذى استطاع أن يحول الكلمات والعبارات إلى عجينة طيعة الشكل كما أراد فى الوقت الذى يريد ؟ !

إن الكتابة نوع من التعبير عن مشاعر تمتد جذورها إلى أرض عميقة من المعاناة والتعب والإجهاد بل الفقر والحاجة .. معظم أصحاب الأقلام بدأوا من القرية والحارة والزقاق والشوارع العادية يقطعونها سيرا على الأقدام وتوفيرا لتذكرة ترام .. !

كيف استطاع الاستاذ التابعى صديق الملوك والأمراء والرؤساء ونزيل أجنحتهم أن يشذ عن هذه القاعدة ؟ !

وأعترف أنى لم أجد إجابة على هذا السؤال ولا على لغز الاستاذ التابعى إلا من خلال كتاب الصديق صبرى أبو المجد عنه وهو من الخطأ قوله إنه كتاب فهو دراسة ورحلة وزيارة ليست فقط إلى حياة إنسان وإنما الى تاريخ وطن ـ حبذا لو قرأه كل شاب .

تبينت مثلا أن الاستاذ التابعى عاش طفولته بعيدا عن القصور والصالونات التى درجت العادة على إلصاقها به .. الابتدائيه كانت فى المدرسة الأميرية بالمنصورة . والثانويه فى القاهرة فى السعيديه ، والجامعة كلية الحقوق .

وعن الدراسة الأخيرة يقول الأستاذ التابعى « إلتحقت بكلية الحقوق وزاملنى فيها شريف صبرى (الذى أصبح رئيسا للوزراء فيما بعد) لكننى لم أكن صديقه لأنه كان ابن ذوات وكنت أنا من عامة الطلبة »

وفيما بعد عندما دخل الأستاذ التابعى بلاط صاحبة الجلالة الصحافة فى مجلة روزاليوسف فقد كان مألوفا رؤيته يسير قاطعا المسافة بين ورشة الزنكوغراف والمطبعة وقد انتفخت جيوبه بالكليشيهات وعندما استطاعت روز اليوسف شراء دراجة فلقد كان يوما عظيما بالنسبة للاستاذ التابعى الذى أصبح يتبادل ركوبها مع مدير الإعلانات والاشتراكات وهو يحمل البروفات والكليشيهات .

■■ ماالذى غيره وجعله يعيش حياة الملوك ؟ ..
صورة جديدة للصحفي

لم يكن دور الأستاذ التابعى ـ فقط ـ أنه كان صاحب أول مدرسة صحفية تعتزل شعر الفرزدق والبحترى ومخاطبة المواطنين بطريقة الخطب النارية البليغة وإنما بأسلوب يصل إلى العقل والقلب مباشرة وبكلمات يفهمها الصغير ويحترمها الكبير .. لم يكن دور الأستاذ التابعى ـ أيضا ـ أنه جعل قيمة للنقد الفنى الذى بدأ أول مابدأ ممارسته له ، ولا فى الكتابة السياسية التى تحول إليها غصبا بضغط وإكراه من السيدة روز اليوسف التى ظلت تطارده أسبوعا بعد أسبوع حتى إستجاب لها أخيرا وبدأ الكتابة فى السياسة لأول مرة فى يونيو سنة ١٩٢٦ قبل ٦٠ سنة .

لم يكن دور الأستاذ التابعى ـ كذلك ـ فى أنه إرتفع بأسلوب المهنة والمقال وإنما أيضا فى الارتفاع بشخصية الصحفى الذى جرت العادة أن يجرى وراء المصادر ويجلس آخر الصفوف ، وينفق بعضهم من جيب غيره .. أراد الاستاذ التابعى أن يعطى المجتمع صورة جديدة للكاتب الصحفى ولمهنة القلم وقدرتها على أن تضع صاحبها فى أجنحة الملوك والرؤساء ... فى الدرجة الأولى وليس فى السبنسة . المصادر هى التى تسعى إليه وتتقرب منه . لقد بدأ التابعى من تحت .. من السير فى الشوارع محملا بالأكليشيهات ومن ركوب الدراجة .. ثم بعد ذلك بالإقامة فى غرفة أحد الفنادق الشعبية فى ميدان العتبة الخضراء .. وعندما أصبح قلمه حديث الناس أراد ـ كما كان مترفعا بقلمه ـ أن يكون أيضا مترفعا بسلوكه المسرف الذى اعتقد أنه كان يتعمده عمدا ليؤكد لمجتمع أولاد الذوات أنهم إذا كانوا يمتلكون العزب والإقطاعيات ويصرفون منها على توفير أغلى إحتياجاتهم . فإنه بقلمه قادر على أن ينافس عزبهم وإقطاعياتهم وينفق إلى حد البذخ والإسراف بما يشع حوله جو الفخفخة والأبهة والانتماء إلى طبقة الموسرين .

ولم يكن التابعى ثريا .. ولكن إحساسه النفسى بالثراء كان كبيرا .. وإحساسه بذاته كان قويا .. ومن حسن حظ الأستاذ التابعى وتاريخ الصحافة المصرية أنه بدأ حياته الصحفية قبل ربع قرن من ثورة يوليو .. وإن كان قد مات بعد حوالى ربع قرن من بداية الثورة ففى عام ٦٣ كتب يقول .. كان أحد الزملاء قد قال عنى منذ حوالى ١٥ عاما أننى اكتب لأعيش ولم يكن ماقاله الرجل صحيحا يومئذ فقد كنت أعيش لأكتب ولكننى ـ كما قال الزميل منذ حوالى ١٥ عاما أصبحت أكتب لأعيش وإلا لكنت رميت القلم وهجرت الكتابة لأننى تعبت وأود أن استريح .

■■ إلا أن الأستاذ التابعى لم يسترح كما كتب الأستاذ صبرى أبو المجد فى كتابه الممتع عنه إلا بعد ١٣ عاما من هذه الكلمات !

ونشرت جريدة الجمهورية بتاريخ يوم الأحد ١٦ نوفمبر ٨٦ مقالا للأستاذ حسن عامر بعنوان .

■ صبرى أبو المجد

يكشف القصص المزيفة عن حياة محمد التابعى .

ملك الصحافة يصنع الأحداث بالكلمة والخبر .

الكتاب الذى يصدره عملاق عن عملاق آخر لايغرى فقط بالقراءة ، بل يغرى أيضا بالتحديق فى الأحداث . وتأمل المعانى والكلمات . واستشراف قيم العصر ومعارك الرجال .

مثل هذه الكتب ترتفع بمسافات طويلة فوق الأعمال التى يصدرها الكتاب العاديون .. الكاتب العملاق يتعامل مع الأحداث بمقاييس مركبة . ومفاهيم مترفعة بالخبرة والتجربة والموهبة ورؤى تسع الآفاق والأبعاد ... المرئية واللا مرئية .. بينما يظل الكاتب العادى محدودا ـ مسطحا .. مشدودا إلى القيم والمقاييس المتداولة .. مثل هذه الكتب النادرة أيضا تنتقى مكانها فى حياتنا ـ وفى وجداننا ... وتتحول فى معاهدنا العلمية إلى منهج وأداة بحث ودراسة . وشهادة يستعين بها الباحثون فى مختلف العلوم الانسانية ..

كتاب صبرى أبو المجد عن محمد التابعى يندرج بلا تحفظات سابقة أو لاحقة فى قائمة الكتب النادرة التى سيصدرها العمالقة عن العمالقة ـ فيه من التاريخ مايشبع رغبة المؤرخ الذى يبحث عن خفايا الأحداث الموثقة بالوثائق والشهادات والأفعال .

وفيه من وقائع الحياة مايكشف لعلماء الاجتماع عن شبكة العلاقات الاجتماعية فى عصرين أو ثلاثة .. ومايكشف أيضا عن القيم السائدة بين الطبقات .

وفيه من الخبرة مايضيف الكثير من العلم والمعرفة والخبرة للباحثين فى علوم الاتصال والصحافة .

■ **الشهادات الزائفة**

والمؤكد أن أحدا لم يكتب عن التابعى كما كتب صبرى أبو المجد الذين كتبوا عنه فى الماضى إكتفوا بمغامراته العاطفية . ودغدغوا مشاعرنا بقصص العشق والغرام الذى لاحقه ولاحقها .. كتب مصطفى أمين عام ١٩٧٦ قائلا : إنه كان معبودا للنساء ـ قضى حياته أشبه مايكون بقصة دون جوان أو كازانوفا ـ قلبه أشبه بمسرح تمثل فيه كل عام قصة غرامية عتيقة إذا أحب عشق ـ وإذا كره مشى ـ وإذا استمتع

بالحب كتب أحسن ماكتب وأروع ما ألف قصصه : هى قصص حياته ـ أبطالها هم شخص واحد هو التابعى . بطولتها هى نساء حياته .

ولكن المغامرات العاطفية كانت مجرد هامش محدود فى حياة التابعى . الذين كتبوا عنه فى الماضى أيضا ـ سلطوا أضواء كثيرة عن مغامراته المالية وقراراته الاستثمارية الطائشة ـ وكتبوا عن الأموال التى سكبت بين يديه ـ وتسللت ببساطة من بين أصابعه ـ وقالوا إنه كان يرتاد أندية الأمراء ويغشى فنادق الملوك .. ولايرضى إلا بحياة المليونيرية ...

■ صانع الأحداث

أبو المجد كتب عن التابعى ملك الصحافة الذى يتفوق بقدراته ومواهبه ورؤياه وعلمه وثقافته واتصالاته على كل أصحاب المناصب الرفيعة فى عصره ومابعد عصره : الأمراء ـ الباشوات ـ والبكوات وأصحاب العزة ـ والمعالى والسعادة ...

وكتب عنه كصانع للحكومات والوزراء .. الموحى بالسياسات والاتجاهات والقرارات بالكلمة والخبر والصورة والكاريكاتير ... والمقال ...!!!

وكتب أيضا عن التابعى المناضل الذى تعرف على السجن مرات .. ووقف متهما بالعيب فى الذات الملكية .. وإهانة الملوك أمام القضاء أصدقاء الملكية ومستخفا بالحكومات والوزراء وكلها اتهامات تحكيها السلطات العامة للإيقاع بالشرفاء والمناضلين الذين يحافظون على شرف الكلمة ، ودافعوا عن قيم الحرية ، واستبسل قتالا عن كرامة المهنة واستقلال الصحفى .. ومكانته فى المجتمع .

وكتب عن ملك الصحافة الذى أعلن استقلال الصحافة المصرية وأقام لها مدرسة وطنية متكاملة فنا وأسلوبا وتنظيما . وتفوق بمدرسته المستقلة على كل ماعداها حتى أصبحت أكاديمية يتعلم فيها أساتذة الصحافة فى الأقاليم المجاورة .

■ نهر الوفاء

قصة الكتاب غريبة

غريبة على عصرنا وزماننا الردىء !!

السيدة هدى التابعى الزوجة . نهر الوفاء المتدفق ـ تحس دوما أن من حق الأجيال أن تعرف من هو محمد التابعى دون تزييف أو مبالغات . ومن حق مصر عليها أن تكشف للأجيال الجديدة « عصر التابعى » وقيمه .. وبناءه القيمى والخلقى .. وشبكة العلاقات الاجتماعية الفوقية والتحتيةالتى صاغت صراعاته .. وأهدافه .. ومعاركه وساهمت فى صياغة الحاضر الذى نعيشه ونتنفس مناخه .

كانت السيدة هدى التابعى تدرك أن لديها كنزا من الوقائع ! مذكرات خطابات

متبادلة .. يوميات .. قرارات .. أحكام قضائية .. وثائق .. محاضر .. إجتماعات أوراق .. أوراق تختلف طولا وعرضا .. وتتفاوت أهمية وخطورة .

ظلت الأوراق فى مكتبه لم يمسسها بشر منذ وفاته فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٦ .. لماذا لاتخرج الأوراق إلى النور . ليست دفاعا عنه وليست تكريما له . ولكنها شهادة على عصر . شهادة للتاريخ المصرى .. والصحافة المصرية .. شهادة للأجيال .. فقد كان التابعى شاهدا أمينا .. صادقا .. له رؤياه ومواقفه وبطولاته .. ومن حق الأجيال أن تستمع إلى شهود الرؤية .

تأملت الأوراق .. من يقوم بهذا العمل .. من يكتب القصة .

تأملت هدى التابعى الأسماء .. عشرات الأسماء من الكتاب والصحفيين والمؤرخين .. استبعدت البعض منها فور طرحها .. واقتربت عن بعد من البعض الآخر .. إحتارت وتملكتها الحيره .. حتى ألهمها الله إلى من تأتمنه على أسرار زوجها .. أن تأتمنه على نهر الوفاء الذى يتدفق فى كيانها ...

■ **المهمة الصعبة**

كانت تدرك أن صبرى أبو المجد ليس مؤرخا . ولكنه كاتب مدقق .. خبير موهوب .. عملاق يفهم شئون العمالقة .. ويتذوق حياتهم .. ويرتاد آفاقهم .. كتب عن عبد الرحمن الرافعى ومحمد فريد وزكريا أحمد .. وكلهم من عمالقة النضال الوطنى الأدب والفن والموسيقى ..

وتزداد قصة الكتاب غرابة عندما يعترف أبو المجد أنه لم يقابل محمد التابعى فى حياته أكثر من مرتين .. وأنه لم يعمل معه ولم يتعرف عليه شخصيا ...

ولكنه كان تلميذا من بعيد لبعيد .. يقرأ كل مايكتب ويحترم كل مايكتب ويختلف مع بعض مايكتبه التابعى .

يقول أبو المجد : نعم كنت أختلف مع بعض مايكتبه لأنه كان وفديا وكنت مناهضا للوفد ولكنه كان وفديا منفردا لامثيل له بين الوفديين أو غير الوفديين .. كان يقف إلى جانب الوفد .. إذا كان الوفد إلى جانب الحق .. ويعاديه وينتقده ويجلده بكلمات مبرحة عندما يقف الوفد إلى جانب الخطأ والباطل أو عندما يميل الوفديون إلى الهوى ؟!!! بمقياس الصراط المستقيم كانت العلاقة بين التابعى والوفد .. ولهذا احترمته بعمق واحببته بعمق واحترمته أكثر لأنه كان مصريا وطنيا عميق الإحساس بمصريته ووطنيته .

ولهذا كم أسعدنى أن تختارنى السيدة هدى التابعى لتدفع إلى بأوراقه الخاصة .

■ أيام السهر والتأمل

مع هذه الأوراق قضيت أياما .. وسهرت ليالى بطولها .. أراجعها .. أقرأها بعمق .. أحدق فى كلماتها .. أفتش عن خفاياها .. أقلب الأوراق من جديد .. أربط بين هذا وذاك .. أتأمل الرجال والنساء .. أطارد الإشارات .. إشارة هنا وإشارة هناك أدون الملاحظات .. أراجعها .. أرفضها .. أعيد الصياغة .. أمزق الأوراق .. أكتب من جديد أرفض ما أكتبه . أعود إلى الأوراق .. أراجعها .... أدققها .. أختبرها .. أسهر ليالى .. باالله كم كانت المعاناةطويلة .. مجهدة .. مروعة .. ولكن حمدا لله ـ خرج الكتاب كما تخيلته .

الكتاب بين أيدينا الآن غير قابل للعرض .. أو التلخيص .. فالتاريخ لايلخص .. كما أن القضايا التى يعرضها الكتاب متصلة ـ الأحداث متشابكة تتساوى فى الأهمية لاحدث أقل من الآخر .. ولا معركة أقل من الأخرى .. ولاحوار أقل من سابقه أو لاحقه

■ أبطال العصر

أبطال الأحداث التى يرويها الكتاب .. كل رجال ونساء .. الثلاثينيات والاربعينيات والخمسينيات والستينيات وأيضا بعض السبعينيات ـ سعد زغلول ـ النحاس ـ مكرم عبيد ـ النقراشى ـ اسماعيل صدقى ـ حسن نشأت ـ محمد محمود العقاد ـ طه حسين ـ توفيق الحكيم ـ الملك فؤاد ـ الملك فاروق ـ الملكة فريدة ـ شاه إيران الأب والإبن . كبار الصحفيين ـ فاطمة اليوسف ـ إحسان عبد القدوس ـ الأخوين أمين ـ كل مصر فى هذا الكتاب .

بعد القراءة أشعر بالندم لأننى لم أقرأ الكتاب فى ذات اللحظة التى اشتريته فيها .. وأشعر بالندم لأننى لم أعش فى عصر التابعى .. ولكن صبرى أبو المجد أتاح لى رؤية هذا العصر ـ بكل تفاصيله .. وأشعر بالندم لأننى تعرفت على هذا العصر ـ الذى كان فيه الصحفى .. بطلا عظيما وعملاقا .. بشرط أن يكون أمينا وحرا وشريفا .. وأشعر بالندم عندما أقارن بين عصر التابعى .. وعصرنا الردىء ...

وفى يوم الخميس ١٢ ديسمبر ٨٦ كتب الأستاذ عبد المنعم قنديل فى جريدة الأخبار تحت عنوان محمد التابعى .

بين عبقرية صحفية مميزه ، وأمانة تاريخيه مبراه من الشوائب ، تستطيع أن تعيش فى عبق الصحافة والتاريخ على مسرح السياسة والفن والأدب فمثلا تلك الصور والأحداث والوقائع التى وعاها الزمن فى حقيبته ، ونقلها التاريخ إلى الأجيال ، ومن

حقك كوطنى مثقف أن تقارن وتوازن وتستخلص النتائج والأحكام على تلك الحقبة الخاصة بالتيارات السياسية الجانحة فى بحر الوطنية وأن تعرف ماكان يحدث وراء ستار .. وما أكثر الأسرار التى ظلت قابعة فى بؤرة التاريخ حتى وجدت من يجليها ويرفع عنها ستائر الكتمان والنسيان !

وهذا الكتاب حصيلة عبقريتين : عبقرية ملك الصحافة المصرية الأستاذ محمد التابعى الذى استوى على عرش الصحافة ردحا من الزمن . كان خلالها صوالا جوالا ، يزلزل بقلمه حكومات ويثل عروشا ، ويسقط تيجانا .. وعبقرية الأستاذ صبرى أبو المجد الذى استطاع بموهبة فريدة ، وملكة مبدعة ، وجهد لا يعرف الكلل والملل .. أن ينسق بين أطراف التابعى وذكرياته ومذكراته تنسيقاً يجمع بين أمانة المؤرخ ، ودقة الصحفى ، وبراعة الأديب .. حتى أن من يبدأ قراءة هذا الكتاب لايملك أن يرفع عينيه عنه حتى يفرغ منه .. رغم ضخامته إذ يبلغ عدد صفحاته خمسمائة وسبعين صفحة ..

وإذا كان الأستاذ صبرى أبو المجد قد نهض بهذا العمل الفريد المجيد ، ووفى الكتاب حقه من العرض الرائع ، والأداءالبديع ، فإنه ينبغى أن نشيد بصاحبة الفضل الأول فى هذا ، وهى السيدة هدى محمد التابعى أرملة ملك الصحافة ، فقد يسرت للأستاذ صبرى أبو المجد كل المواد والمراجع التى أعانته على إخراج هذا الكتاب العظيم .. الذى يعد وثيقة تاريخية يستعين بها كل من يتغيا الكتابة عن تلك الحقبة ، ويبحث عن الحقائق الدفينة والأسرار الخبيئة ..

وببراعة بارعة تمكن الأستاذ صبرى أبو المجد ، وهو أحد أعلام الصحافة المعاصرين ، أن يقسم الكتاب إلى فصول ، ليصحب القارىء فى رحلة مثيرة مع ملك الصحافة ، سواء وهو فى القمة ، أو فى السجن ، وحتى وهو فى السجن كان فى قمة فكره .. كان لاينقطع عن الكتابة ، ولا يكف عن التفكير وهكذا كل العباقرة والموهوبين ، لاينال السجن من عبقريتهم ومواهبهم بل على العكس تصقلهم المحنة ، وتدفعهم إلى الابداع والإمتاع .

ومن خلال هذا الكتاب يستطيع القارىء أن يتبين إلى أى مدى كافح التابعى بقلمه ، وناضل بفكره ، ووصل بكتاباته إلى حد المقامرة بحياته ، ومع ذلك لم يغمد قلمه ، ولم يتوقف عن خوض المعارك السياسية والادبية وكان يعتز بمصريته ، وينزلها من نفسه منزلة العقائد فمصر كانت حاضره ومستقبله ومجده وحياته كلها .. لم يساوم عليها يوما رغم إغراءات المستعمر وضغوطه ـ والعقائد دائما ليست محل مساومة ... وهكذا كان التابعى : مصريا لحما ودما وفكرا وقلما وعقيدة ..

وإلى جانب قلمه السياسى الأمين فقد كان قلمه الفنى مولعا بالبدائع والروائع .. فقد أزجى إلى الحياة المسرحية نقدا هادفا بناء ساخرا من كل عمل هزيل .. وكانت كتاباته النقدية تتسم بالفن الدقيق والرؤية الفنية .. وقد أزجى الأستاذ صبرى ابو المجد لمحات مما كتب التابعى عن المسرحيات والفرق التمثيلية فى عصره .

وهى كتابات تكشف عن مدى حبه للمسرح وغيرته عليه واهتمامه به ، وإذا كانت بعض مقالاته يشوبها العنف ، فلأن العمل الفنى الذى كان ينقده موصوم بالهزال .. فالتابعى كان واضح الطبع صريح القلم ، لاينافق ولا يجامل ولا يرائى ، لأنه لم يكن يتمسح فى حزب أو حكومة ، ولم يكن يبغى منصبا أو جاها ، ولم يكن يستهدف الحصول على مال أو يبحث عن ثروة .. وقد كان ينفق ببذخ مما تدره عليه كتاباته .. ولذلك لم تكن له ضياع أو قصور .. لأن مملكة الصحافة التى كان يتربع على عرشها أبهى فى عينيه من كل ملك وسلطان .

وإننى إذ أقدم هذا الكتاب للقراء ، فإنما أطلب إلى الصحفى الكبير الأستاذ صبرى أبو المجد أن يعيش فى عبق تاريخ الصحافة ، مقدما لنا العمالقة من رجالها حتى يعلم هذا الجيل والأجيال القادمة ماذا فعل هؤلاء الرواد من أجل بناء الصرح الصحفى الذى يفخر به الآن كل من يعمل فى هذا الحقل المثمر .

■ وفى جريدة الراى العام الكويتية بتاريخ ٥ مارس ١٩٨٧ كتب محمود الشربينى تحت عنوان قضية للمناقشة .

ماذا عن أعلام الصحافة العربية ؟

هل يحق كشف أوراق العاملين فيها بعد وفاتهم ؟

■ شجون صحفية كثيرة .. أثارها الكاتب الصحفى المخضرم صبرى ابو المجد .. أمين عام المجلس الأعلى للصحافة ورئيس مجلس ادارة ورئيس تحرير المصور قبل بلوغه سن الستين .. وذلك حين مس حياة الأستاذ « محمد التابعى » .. أحد الصحفيين المصريين .. الذين خدموا الصحافة وأعطوها الكثير .. له العديد من المؤلفات السياسية أبرزها « الصراع العربى الإسرائيلى » (فى جزأين) ..

لكن لماذا محمد التابعى .. ومن هو أساسا محمد التابعى .. وما هى حكايته مع الصحافة .. ومع آخر ساعة .. ومن هم الذين جرحوا التابعى .. ومن هم الذين حفظوا ذكراه .. وإن لم يعرفوه .. اللهم إلا على صفحات من ورق .. ؟.. !

إهتمت ـ أولا ـ الدوائر الصحفية .. بما كتبه صبرى أبو المجد عن محمد التابعى .. وتعرض الكثيرون للكتاب ..وأشاروا إلى أهميته ..

وقد نوهت عنه صحيفة الأخبار القاهرية .. فى صفحتها الثقافية التى يشرف

عليها الكاتب الروائى جمال الغيطانى .. كما اهتم أيضاً الكاتب الكبير « جلال عيسى » وكيل نقابة الصحفيين المصريين .. واعتبره حدثا هاما فى الاصدارات الصحفية الشابه ليعرفوا قدر رجالات المصريين .. كما نوهت صحيفة الجمهورية مرارا .. وقدمت عرضين للكتاب .. الذى يقع فى حوالى ٥٨٠ صفحة (بالغلاف) من القطع الكبير .. تصدرت صفحاته الأولى قصة فكرة هذا الكتاب .. وكيف رأى النور .. وذلك فى مقدمة لزوجة الراحل الكبير محمد التابعى .. وهى السيدة هدى التابعى ..

توضح السيدة هدى التابعى فى مقدمتها .. كيف أرهقها نفسياً وعصبيا فراق الرجل الذى كان كل شىء فى حياتها .. ولكن ما آلمها آلاما مضاعفة .. هو ما كان من أمر تجريح عدد من الصحفيين للتابعى .. الذى لم يتعد فى نظرهم كونه « دون جوان » أو كازانوفا يهيم عشقا بترف الحياة وتهيم أيضا به .. وكيف انه كان يحيا حياة الملوك .. فينفق أموالا طائلة فى هذا الصدد .. بل ويصر على أن يعيش حياتهم .. فهو لاينزل الا فى جناح الملوك .. حين يزور أوروبا .. وتروى هدى التابعى بدموعها قصة وفاء لرجل وقفت إلى جانبه .. وعاشت فى كنفه .. إنها تلخص حياتها مع التابعى .. فى عبارة .. صدرتها صفحات المقدمة .. هى إهداء للتابعى تقول فيه .. « إلى من كان .. ومازال .. وسيظل لى أبا .. ومعلما ـ و صديقا وحبيبا .. زوجا وأبا لأولادى .. إلى كل هؤلاء .. إلى محمد التابعى أهدى « قصة هذا الكتاب »

تكشف لنا السيدة هدى التابعى لماذا اختارت صبرى ابو المجد .. لتأتمنه على سر هذه المذكرات .. والقصص والأحاديث .. بالرغم أنه لم يكن صديقا للتابعى .. ولامشتغلا معه .. وكل معرفته به كانت على الورق .. تقول هدى التابعى : أعلم من خلال قراءاتى لصبرى ابو المجد .. انه مؤرخ سياسى ..

.. ومن خلال ما سمعته عنه .. عرفت فيه الأمانة .. الصدق ـ الأدب الجم .. عفة اللسان .. إننى أكن له احتراما لذلك .. وأعطيته الثقة البالغة وائتمنته على مذكرات .. وكتابات .. وخطابات ومستندات .. ومجلدات .. وعقود خاصة بأعمال التابعى .. ومن هنا كان اختيار صبرى أبو المجد .. ليكتب عن علم من أعلام الصحافة العربية وهو محمد التابعى .. فى ذلك الكتاب الذى أصدرته مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر .. فماذا قال صبرى أبو المجد عن محمد التابعى .. وعن آرائه وأفكاره وبماذا رد على الذين « جرحوا » محمد التابعى .

مقدمة المؤلف .

يوضح صبرى أبو المجد أن معرفته بالتابعى ليست وثيقة .. فهو لم يلتق به غير لقاءين عابرين فى نقابة الصحفيين .. ولم يجمع بينه وبين التابعى سوى حديثين

هاتفيين .. لكنه عرفه معرفة وثيقة على الورق .. فقد كان يقرأ كل ما يكتبه محمد التابعى .. كان ولايزال من المعجبين بأسلوبه .. وبتفكيره .. ويوضح أيضاً أن محمد التابعى كان يفرق بين خلافاته فى الرأى مع زملائه .. بحيث أنه يظل على صلته الوثيقة بهم.. ولا يقطعها .

ويشرح أهم صفاته فيؤكد على أنه كان مصريا ووطنيا .. يقول صبرى أبو المجد :

مصرية التابعى ووطنيته .. من النوع الأصيل العميق العطاء .. المصرية الوطنية عند التابعى تتجلى دائماً فى أحاديثه .. ومقالاته وكتبه .. وفى رسائله .

حب التابعى لبلده ..إفتخاره وفخره بها .. حرصه الشديد على أن تكون دوما أسعد الأوطان من الأمور التى تكتشفها عن التابعى لأول وهلة .

ويرد المؤلف على من صوروا حياة التابعى على أنها حياة بذخ .. وتشبه حياة الملوك .. فيقول :

ماكان ذلك إلا اعتدادا بمصريته ووطنيته .. بوصفه سفيراً لبلده وسفيراً لمهنته فى نفس الوقت وهذا الرأى صحيح إلى حد كبير فالواضح أن التابعى كان يصلى فى محراب الصحافة .. ويتعبد لها .. حبا وعشقاً .. ومادام الله قد أمرنا أن نلقاه فى أبهى صورة .. فلم لايكون لقاؤنا فى أبهى صورة مادمنا نستطيع ... !! وهل أحد يستطيع أن ينكر على الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل أنه يحب نفس هذه الطريقة فى حياته وهو المعنى الذى أكده الأستاذ أحمد حمروش فى « روزاليوسف » وأكده د . ميلاد حنا فى جريدة « الوفد » حين أكد أن هيكل كان يأكل فى السجن الحمام المحشو بالفستق .. ان كل إنسان حر فى حياته الشخصية .. السؤال الحقيقى هو من كان يتحمل هذه النفقات للتابعى .. من المؤكد أنه صاحبها .. هذا يكفى .

■ التابعى فى القفص

فى الكتاب الضخم الذى أصدره صبرى أبوالمجد عن حياة الأستاذ التابعى .. يحكى لنا قصة القضية التى أقتيد بسببها إلى ساحة القضاء فيقول :

.. حكم عليه بالسجن أربعة أشهر .. وهى القضية التى عرفت بقضية « الحصاينه » .. وقف فيها التابعى إلى جانب جماهير الشعب .. فى الحصاينه .. مركز السنبلاوين .. دقهلية .. ضد رجال الادارة .. وحمل على البوليس الذى أطلقت أياديهم فى التنكيل بالأهالى غير مراعين حرمة العدل والقانون .

ويوضح ابو المجد جانبا هاما عن حياة التابعى بقوله : والتابعى دقيق للغاية ..

حريص على الاحتفاظ بأوراقه كلها .. الهام منها وغير الهام .. إنه مثلا يحتفظ بخطابات لأصدقاء له .. تعرف عليهم .. في رأس البر .. مصيفه المختار .. في عام ١٩٢١ وهؤلاء أناس عاديون للغاية .. إنقطعت صلاته بهم .

ومن أوراق التابعي تستطيع أن تعرف القصة الحقيقية لصدور مجلة روزاليوسف منذ أن بدأ التابعي وروزاليوسف بنيان صرحهما ويكافحان معا إرهاب حكومتي محمد محمود .. و إسماعيل صدقي .

ومن بين الأوراق الخاصة بالأستاذ التابعي خطاب مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري بتاريخ ٨ ذى الحجة ١٣٥٨ هـ ابريل ١٩٣٣ يقول فيه :

يسرني أن أعلم أنك اجتزت عشر سنين في عالم الصحافة الحرة بأسلوبك الجديد الرائع الذي ابتدعته في فن التحرير وإني أهنئك على ثباتك واخلاصك لمبدأ الوفد القويم وسط الزوابع .. الهوجاء .. التي اكتسحت الصحافة الحرة .. واكتسحت حريات الأمة .. فوقاها الله شرها ووقانا معها فكانت خير أمة أخرجت للناس ، مصطفى النحاس .

ومن أهم الأوراق التي وجدها الأستاذ أبوالمجد في أوراق التابعي .. صورة خطاب للملكة نازلي كانت قد بعثت به إلى صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا عندما كان رئيسا للوزارة تشكو فيه الملك أحمد فؤاد وقدجاء في هذا الخطاب : ياصاحب الدولة : عندما علمت أنك مريض أحسست أن سوءالحظ مازال يتابعني .. إن أعدائي في القصر لم يضيعوا وقتهم .. وهم يستفيدون من عدم استقرار الأمور للقيام بدسائس ومؤامرات لتحقيق مصالحهم فمربيات الأطفال يتحكمن في اختيار ملابس أولادي .. والمربية « جانيت » وطدت مركزها في القصر وأصبحت هي ذات الكلمة مع الاولاد وهذا أمر يثيرني إلى أقصى درجة .. وأنا لن أقبل مطلقا أنني وأنا الأم أراقب في هدوء كل ما يجري حولي من الظلم الصارخ .

وفي جزء أخر من الخطاب تقول « نازلي » الملكة :

إن الأغا إدريس يطرد بمكر ودهاء جميع « الخياطات »الذين يحضرون لي موديلات الشتاء دون أن يكلف نفسه باخباري بحضورهن !!

وفي موضع ، آخر من الكتاب يورد صبري ابوالمجد حكايات أخرى مثل رسالة مصطفى أمين إلى التابعي وهو في الخارج عام ١٩٣٨ يقول مصطفى أمين :

أرجو أن تكون سياسة المجلة تعجبك الآن .. وأنا أجتهد أن أكون للجميع على أن أكون معارضا للجميع في الوقت نفسه وقد كان النقراشي باشا متضايقا لأنه اعتقد

أن آخر ساعة تدعو للدكتاتورية .. فقلت له إننا نرحب بأنصار الديكتاتورية وأعدائها على السواء .

ومن هنا دعوت العقاد للكتابة وقد طلب النقراشي باشا مقابلتي ليقول لى إنك تقيم فى فندق چورچ الخامس حيث تقيم الملكة نازلى .. وحذرنى من نشر أى أخبار عنها .. وقال لى إنه يفضل لو تركت هذا الفندق إلى فندق آخر منعا للقيل والقال فقلت له إنك إعتدت أن تقيم فى هذا الفندق من سنوات وأنك أنت الذى حذرتنا من نشر أخبار الملكة .. وبهذه الملامح يرسم صبرى أبو المجد صورة ذكية عن التابعى الرقيق .. المهذب .. صاحب الاخلاقيات الرفيعة .. واسع الصلات .. المهتم بقضايا مجتمعه .. الذى يدفع حريته فى سبيلها .. بل لعل هذا مادفع فاطمة رشدى أن ترسل إليه رسالة كتبت فيها أتقدم بخالص الشكر على شعورك الحى .. وإحساسك الراقى ..

يرصد المؤلف أيضاً جانبا من الحملات الصحفية التى شنت على التابعى فيؤكد أن حملة « النشاشيبى » على التابعى حملة مليئة بالمفتريات ـ ويورد قصة أخرى .. إتهم فيها التابعى بأنه تقاضى ثلاثة : آلاف جنيه من بغداد بسبب مقال كتبه عن ثورة العراق وكوفىء عليه .. وكيف أن التابعى كتب مقالاً بعنوان أغلى مقال فى العالم .. وهذا يوضح أيضاً أثر التابعى إتفاقا واختلافا مع أصعدة كثيرة .. ومع شخصيات متعددة .. تؤكد أنه كان صاحب حول وطول وباع كبير فى الصحافة العربية ويختم صبرى أبو المجد هذا المدخل إلى شخصية التابعى بقوله :

ربما من الأسباب التى دعتنى إلى الكتابة عن التابعى أن البعض فى كل ما يكتبونه عن التابعى ـ إذا ماكتبوا وقليلا ما يكتبون يحاولون إيهام القراء بأن التابعى لم يكن أكثر من كازانوفا أو دون جوان . وأن كل ما فى حياة التابعى التى عاشها بالعرض لا بالطول كما يقولون أيضاً مغامرات غرامية .. ومن بين هؤلاء الكتاب الأستاذ مصطفى أمين . الذى كتب عن التابعى غداة انتقاله إلى رحاب الله وفى (٢٥ ـ ١٢ ـ ٧٦) أنه كان معبودا للنساء قضى حياته أشبه ما يكون بقصة دون جوان ، أو كازانوفا اذا أحب عشق .. وإذا كره مشى واذا استمتع بالحب كتب أحسن ما كتب وأروع ما ألف .. قصصه هى قصص حياته أبطالهاهم شخص واحد .. هو التابعى .. بطلاتها هن نساء حياته ..

ويقول صبرى أبو المجد :

لاأحد يمكن أن ينفى عن التابعى أنه كانت له مغامرات كثيرة .. ولكن أكانت حياة التابعى مغامرات فى مغامرات .. ؟ ! كل إنسان حر فى حياته الشخصية .. ولكن

بالنسبة للتابعى لم يكن الأمر كذلك دائما وأبدا فإن التابعى صحفى عظيم .. وكاتب عظيم .. قبل أن يكون مقامرا فى دنيا الغرام ؟ !

ونقول فى هذا السياق أن الاستاذ صبرى ابو المجد لم ينف عن التابعى حياته الشخصية .. والتى هى حرة لصاحبها .. فماسر تحفظه على حياة التابعى الشخصية .. كان صحفيا نعم .. وكان إنسانا ايضا وماذا فى ذلك ؟ ! المهم الا تنفصل المبادىء عن الممارسات .

بواكر الصبا والشباب والكتابة

يقول المؤلف :

كان الأستاذ التابعى ضنينا للغاية فى الحديث عن طفولته وشبابه .. ربما لأنه كان يراها عادية .. وعن نشأته يوضح لنا المؤلف أنه كان منصوريا .. إلتحق بمدرسة المنصورة الابتدائية .. وكان تلميذا عاديا .. فى دراسته وان لم يتخلف فى أعوام الدراسة .. وكان خطه العربى غير جيد .. والتحق بالسعيدية الثانوية .. وفيها ارتبط بفكرى أباظة .. صديق عمره .. وبدأ فى التعرف على الثقافة والمثقفين .. فى مصر وأوروبا .. وبعد حصوله على البكالوريا أوشك أن يلتحق بكلية الطب .. لولا خوفه من منظر المشرحه .. ففر راجعا عن فكرته .. والتحق بكليه الحقوق ..

يرصد صبرى أبو المجد أولى كتابات التابعى فى أعقاب اندلاع ثورة ١٩ .. وكيف أنه نشر أولى مقالاته ردا على ماقالته جريدة « الإجيبشيان ميل » مهاجمة هذه المظاهرات .. وكيف انه نشر فى مكان واضح ..

ومضى التابعى فى خطه بعد ذلك مهاجما الإنجليز بضراوة على صفحات هذه المجلة بل وصادق رئيس تحريرها .. وعن طريقه بدأ يكتب نقدا مسرحيا فى مجلة سفنكس التابعة لدار « الاجيبشيان ميل » .. وقد كان نقده لفرقة رمسيس بمثابة هجوم من جانبها عليه فى جريدة تسمى « النظام » .. ومن هنا رد عليهم فى جريدة السياسة .. ليكون ذلك أول مقالاته باللغة العربية .. وهذه الجريدة كانت تابعة لحزب الاحرار الدستوريين .. ومارس التابعى الصحافة هاويا .. ! ثم احترفها : وبعد ذلك ظهرت أولى كتاباته بعنوان « مذكرات اللورد سيسيل » لكن بدا واضحا بعد ذلك أن التابعى إتجه لكتابة النقد المسرحى واشتهر بذلك .. ثم ارتبط بعد ذلك بالسيدة روز اليوسف .. التى أصدرت مجلة روز اليوسف .. واشترك معها التابعى فى إصدارها ومن روز اليوسف إلى السجن .. بسبب معاركه الضارية التى خاضها على صفحاتها خاصة مشروع مد امتياز قناه السويس ٦٠ عاما أخرى للأجانب .. بمباركة من حكومة صدقى باشا ! ويتعرض الأستاذ صبرى أبو المجد أيضا لقصة مجلة آخر

ساعة مع محمد التابعى .. فقد فكر التابعى قبل أن يختلف مع روز اليوسف فى إصدار جريدة خاصة به .. وقد انتهت محاولاته باستصدار ترخيص له بذلك الى الموافقة على إصدار جريدة أسبوعية مصورة باسم الرئيس ولكنه بعد ان حصل على الترخيص أطلق عليها آخر ساعة .. ويوضح صبرى أبو المجد العديد من القصص فى هذا المضمار .. فى فصول كتابه الممتع ، التى وصلت الى ستة عشر فصلا .. كتبها بأسلوبه الرشيق وأزاح فيها الستار عن قصص كثيرة فى حياة التابعى ..نتركها للقارىء كى يستمتع بها .. فهى أبلغ محاولة للتعبير عن هموم أحد اعلام الصحافة العربية .. والذين أحدثوا نقلة كبرى فى عالم الصحافة فنا وتكتيكا وإخراجا على حد تعبير الكاتب الاشهر صلاح حافظ .

إن صبرى أبو المجد يغسل فى هذا الكتاب هموما كثيرة .. حملتها أسرة التابعى على كاهلها .

وفى مجله أكتوبر بتاريخ ٢٢ مارس ٨٧ كتب الأستاذ المرحوم فتحى رزق تحت عنوان شموع فى بلاط صاحبه الجلالة .

محمد التابعى أسطوره الصحافه المصرية

ـ سوف انقل أسطر قلائل فهى صفحات كثيرة عن التابعى اختار منها مايتعلق بالكتاب

وعندما صدر قانون تنظيم الصحافة فى بداية الستينيات اختير محمد التابعى أول رئيس لمجلس إدارة دار اخبار اليوم بعد تحويلها لمؤسسة ، وظل محمد التابعى يواصل كتاباته ومقالاته الاسبوعية فى « اخبار اليوم وعقب هزيمة يونيو ١٩٦٧ كان التابعى أول قلم مصرى يكتب سطورا ملتهبة ينتقد فيها موقف الاتحاد السوفيتى ، ويطالبه بأن يمد مصر بالسلاح الكاف لمواجهة إسرائيل المعتدية .. كما تقف أمريكا وراء إسرائيل وتمدها بالسلاح المتقدم لكى تعتدى على مصر ..

إن محمد التابعى كان واحدا من شرفاء القلم وفرسانه .. وكان طائر الصحافة المغرد ، وأحد حراس الكلمة لمدة تزيد على ٥٠ سنه .. ولم يتوقف القلم فى يده حتى اللحظة الاخيرة عندما وافاه الاجل فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٦ ، حيث ترك لتلاميذه وأسرته وقرائه سيرة كاتب صحفى عملاق ، أعطى للصحافة ولوطنه حياته كلها ..

وربما كانت سيرة هذا الكاتب الصحفى العملاق .. هى مادفع كاتبا آخر من زملاء القلم هو صبرى أبو المجد ـ وهو من الجيل الذى قرأ فى شبابه المبكر للتابعى .. لأن يقوم بإعداد مؤلف ضخم فى ٦٠٠ صفحة عن حياة التابعى ودوره فى الصحافة المصرية .. وهو ماجعل الكاتب الصحفى والأديب المتميز الأسلوب ابراهيم الوردانى

أن يصفه فى مقاله المنشور فى ٢٢ ديسمبر ١٩٨٦ بأنه أحد زعماء مصر الحديثة .. وأنه تمكن خلال ٢٠ سنه من عمر آخر ساعة أن يمحو الألقاب وأن يسخر بالطبقية قبل أن يطاح بها .. وأن يخلخل أرجل الإقطاع قبل أن تقطع وأن يعلن الرأى الوطنى والحر فوق أعلى رأس تحمل التاج .. وأن تتفتح الأبواب سهلة أمام ثورات تريد أن تقوم .

وبعد .. شكرا وحمدا للمولى عز وجل أنى مازلت على قيد الحياة لأقدم للجيل الذى عاصر التابعى والجيل الحاضر وجيل المستقبل صورة صادقة وأمينة لما كانت عليه الصحافة فى « عصر التابعى » .. لأن الجيل الحاضر جيل حائر .. من كثرة ماقرأ من مفارقات .. وحتى الجيل الصحفى الحالى لايعرف من هو الأب الشرعى له ! ! كما قال الأستاذ الكبير ابراهيم الوردانى رحمة الله عليه .. لهذا قدمت بمنتهى الأمانة والصدق كل ماتجمع تحت يدى مما كتب عن الجزء الأول من كتاب « محمد التابعى » راجية من المولى عز وجل أن أكون قد وفقت .

هدى التابعى

الزمالك ـ بيت الذكريات

ديسمبر سنة ٩١

الفصل الأول

□ فى هذه الظروف القاسية الصعبة ولدت وترعرعت آخر ساعة المصورة

●

كان محمد التابعى يفضل باستمرار ان يكون كالطائر الحر غير المقيد الذى يغرد فى الفضاء بلا حدود ولا قيود ، وكان من الناحيتين المالية والاقتصادية ـ وهما شاء علماء الاقتصاد والمال أم أبوا ـ ناحية واحدة لاناحيتين إثنتين : لايعرف التابعى للمال قيمة ولا وزنا ، يوم ان يكون فى جيبه الالوف ينفقها بدون حساب لانه يفضل عيشة اللوردات دائما ، ويوم لايكون فى جيبه إلا الملاليم يظل فى انتظار الالوف يعيش بما معه ، وإن بدا عليه الضيق .

كان التابعى يؤمن بالمثل القائل : إصرف مافى الجيب يأتيك مافى الغيب ، ولم يكن التابعى يوما مامن أولئك الذين ينشئون مشروعات تجارية يمكن أن تدر عليه المال الوفير ، أو غير الوفير فعقليته ليست إقتصادية ، أو تجارية ولذلك لم يكن التابعى حريصا على أن يكون صاحب صحيفة ، كان باستمرار يفضل أن يكون محررا لا صاحب صحيفة لانه لايريد أن يربط نفسه بالادارة والحسابات ، وأرقام التوزيع ، وأرباح وخسائر الاعلانات وفواتير المطابع وورش الحفر وليس معنى ذلك ، انه لم يكن اداريا ناجحا ففى بعض الاحوال ، التى اجبرته الظروف على أن يكون صاحب صحيفة ، وفى الحاله التى رأى فيها أن ينشر ومحمود أبو الفتح وكريم ثابت صحيفة المصرى ، برزت عقليته الادارية فهو بطبيعته منظم ، ودقيق وذكى ، ولديه من الآخرين الكثير من التجارب . وقد كان فى استطاعة التابعى ومن البدايه ـ بداية اشتغاله بالصحافة أن يكون صاحب صحيفة ، ناجحة ولديه فى كثير من الاحيان كثير من أصدقائه الوزراء السابقين ، ورجال المال والاقتصاد الذين يودون باستمرار مساعدته ، ولكنه فى السنوات الاولى من بداية عمله الصحفى توصل مع السيدة روز اليوسف ـ وكان بينهما ود قديم وصداقة متينة ـ الى صيغة ملائمة يكون هو المسئول نهائيا عن التحرير وتكون السيدة روز اليوسف هى المسئولة عن التمويل والادارة وان تقسم بينهما الارباح مناصفة بعد استنزال تكاليف الطباعة والادارة والتحرير .

وقد كانت الامور وقتذاك فى الصحافة بسيطة وسهلة للغاية تستطيع ان تعرف ماحققه العدد الواحد من المجلة من الارباح من التوزيع ، أو الاعلانات وتستطيع فى نفس الوقت ان تعرف كم تكلفة ذلك العدد بالضبط ـ من تكاليف طباعة ومكافآت تحرير و . و .

ولان التابعى كان مسرفا للغاية ولان روز اليوسف ـ السيدة ـ كانت اقتصادية بارعة ، اومديره ناشفة كما يقال فقد كان التابعى ينفق ما يحصل عليه من ارباح وكانت روز اليوسف تقتصد حتى أصبح لديها رصيد مالى لابأس به عكس التابعى .. ثم كانت مصادرة روز اليوسف ـ المجلة ـ وايقافها ثم تعطلها وبدأ التابعى .. ففكر فى

ان تكون باسمه صحيفة تسد الفراغ عندما تتعطل مجلة روز اليوسف .

وكانت أولى محاولات التابعى فى إصدار صحيفة ـ على النحو الذى سبق ان اشرنا اليه فى الجزء الاول من هذا الكتاب ـ فى ١٩٢٨/١١/٢٥ ـ عندما قدم طلبا بالترخيص له باصدار مجلة اسبوعية ادبية مصورة لاعلاقة لها ـ كما جاء فى الاخطار المقدم منه ـ بالدين أو بالسياسة تصدر باللغة العربية ويكون اسمها « النهارده » وكان تقديم هذا الاخطار ـ فيما يبدو مؤكدا ـ بالاتفاق مع السيدة روز اليوسف وذلك بعد ان بدات المخاطر ، تحيط بمجلة روز اليوسف وتهدد بإغلاقها وتمسكات الجهات المسئولة عن الترخيص باصدار الصحف ، فى وزارة الداخلية وقتئذ ، فمحمد التابعى معارض قوى الشكيمة للوزارة القائمة ، وبعد ـ كما جاء فى تحرياتها ـ سيدى تتطرف كما ان الجريدة يراد بها ـ كما تقول التحريات ايضا ـ ان تكون بديلة لمجلة روز اليوسف عند تعطيلها وطلب التابعى ـ فى ١٥ ديسمبر ١٩٢٩ ـ وكانت الظروف السياسية قد تغيرت وراحت وزارة محمد محمود باشا ، التى كان يعاديها التابعى بقوة واصرار ان يستبدل اسم النهارده باسم انا وانت ، وكانت وزارة مصطفى النحاس ، الوفدية قد جاءت الى الحكم فابلغ الاستاذ محمد التابعى بالموافقة على الترخيص له باصدار مجلة انا وانت وذلك فى ١٩٣٠/١/٢٧ وكان مدير المطبوعات بالنيابه الذى ابلغ التابعى وقتئذ بالقرار هو الاستاذ الأديب الشيخ عبد العزيز البشرى .. وبدأت روز اليوسف أو المجلات التى كان يصدرها التابعى وروز اليوسف كبديل لروز اليوسف تعلن عن المجلة الجديدة فى براويز ، صغيرة ولكن ملفتة للنظر ، وبمجرد ان طارت وزارة النحاس باشا وفى ١٩٣٠/١٠/٤ أرسل سليم زكى بك نيابة عن حكمدار المباحث الى مدير المطبوعات مبلّغا إياه ان رخصة مجلة انا وانت للاستاذ محمد التابعى قد ألغيت ، وكان من سياسة وزارة اسماعيل صدقى باشا وقتئذ الغاء تراخيص الصحف المعارضة ، أو التى يمكن ان تعارض الوزارة واذا كانت رسالة سليم زكى بك الى ادارة المطبوعات خالية من ذكر السبب الذى الغيت الرخصة من أجله فاننى ارجح أن الوزارة ـ وزارة إسماعيل صدقى باشا قد عمدت الى الإلغاء بدعوى حصول الأستاذ التابعى على رخصة بإصدار مجلة ولم تصدر المجلة بعد مرور ثلاثة أشهر من الحصول على الترخيص وعندما اشتد الخلاف بين السيدة روز اليوسف والأستاذ محمد التابعى حول سياسة مجلة روز اليوسف وبعد أن بدا واضحًا للغاية أن بطانة السوء ، قد نجحت فى الإيقاع بين التوأمين اللذين ظلا جسدا واحدا من ١٩٢٤ حتى ١٩٣٤ وفصلهما عن بعض ، كما أن بعض رجال السراى قد نجحوا فى إقناع السيدة روز اليوسف بأن من مصلحتها ومصلحة مجلتها ، إبعاد الاستاذ التابعى عن تحرير مجلة روز اليوسف ، وقد فضلت السيدة روز

اليوسف أن تبقى المشاركة بينها وبين التابعى قائمة ، على أن يحصل على نصف الارباح كما هو الاتفاق ولكن شريطة ألا يكتب الأستاذ التابعى فى روز اليوسف بل ألا تكون له أية علاقة بالتحرير ، ولذلك بعثت إليه من ينصحه بالاستمرار فى الابتعاد عن القاهرة بعد رحلة النفى الاختيارى التى قام بها الى أوروبا وبعد وصوله الى الاسكندرية على ان تمده بما يحتاج إليه من أموال اذا ماواصل رحلته الى الشام وفلسطين ، غير أن التابعى ، لم يستمع الى تلك النصيحة .

وفضل العودة الى القاهرة ، حيث بدأت الأزمات بينه وبين السيدة روز اليوسف تأخذ طابع الحدة ،، وحيث تأكد له ان السيدة روز اليوسف مصممة تماما على إبعاده عن تحرير المجلة بأى سبب . ولذلك تحمس التابعى فى استعجال الترخيص له بإصدار مجلة جديدة مستقل بها عن السيدة روزاليوسف التى لم تكن تتصور أبدا ان التابعى يمكن أن يقبل ان يكون صاحب صحيفة منافسة لروز اليوسف .

كانت روز اليوسف على ثقة مطلقة من ان التابعى غير جاد فى إصدار صحيفة جديدة يكون هو رئيس تحريرها وصاحبها وكان لايساورها أدنى شك ، فى أن الأزمة التى قامت بينهما يمكن أن تكون قطيعة ولذلك ظلت على أمل التصالح معه وعودته الى روز اليوسف ويده مرفوعة عن المشاركة فى تحريرها .

ولكن التابعى كان قد اتخذ قراره النهائى بالانفصال التام عن روز اليوسف بعد ان احس ان كرامته قد جرحت وان السيدة روز اليوسف لم ترع له سابق جادة فى سبيل قيام مجلة روز اليوسف وإنجاحها واختار الأستاذ التابعى ، إسم « آخر ساعة » لمجلته الجديدة ، واتفق مع الأستاذ محمد عفيفى شاهين الذى كان يحمل ترخيصا بإصدار مجلة إسمها آخر ساعة على أن يقوم باصدار المجلة على ان يبقى اسم الاستاذ شاهين على المجلة ـ وفى صفحة الغلاف الاول ـ كصاحب ورئيس تحرير لها ، وان يكتفى بذكر اسم التابعى ـ فى الغلاف الأول ـ على أن يشترك فى التحرير ، وصدرت آخر ساعة فى ١٤ يوليو ١٩٣٤ .

ولكن فترة المخاض التى سبقت الصدور وفترة الريبة التى شابت العلاقات بين التوأمين وكذلك الفترة التى تلت صدور الاعداد الأولى من« آخر ساعة » : من أهم الأيام فى حياة التابعى وحياة مجلته « آخر ساعة » وفيما يلى محاولة من جانبنا لإلقاء بعض الاضواء على ماحدث فى تلك الأيام .

ضمن أوراق التابعى الهامة ـ وكل أوراقه هامة ـ مفكرة داكنة اللون عن عام ١٩٣٤ لا أعتقد لها مثيلا من قبل ولامن بعد فى دنيا « المفكرات » ، أصر صاحبها وهو أحد تلاميذ التابعى وقتئذ ـ على أن يكتب فيها كل مايحلو له أن يكتبه بصراحة تامة ، تبعث على الضحك مرة وتبعث على الحزن مرات ومرات ، ولو أن هذه المفكرة وقعت فى

يد أحد غير التابعى لاستطاع لو أراد أن يقضى على حياة ذلك التلميذ قضاء مبرما ، وكان أبرز مافى تلك المفكرة الى جانب اليوميات السياسية الوجيزة صور الحياة الشخصية لصاحب تلك المفكرة ، وهو كما يعترف على نفسه بوهيمى للغاية بل أحد زعماء ، البوهيمية فى العالم يقضى فى منزل الواحدة ، ليلة ، يكتب عنها وعنه أيضا لاعنا وذاكرًا أدق التفاصيل ويتغدى عند تلك ويستريح بعد الغداء عندها راحة القيلولة ثم يعود الى بيته ليكتب عنها مالم يقله جرير فى الفرزدق والفرزدق فى جرير وأقولها ـ بصراحة ووضوح ـ إننى كنت عندما أقرأ بعض صفحات من تلك المفكرة لا أستطيع الاستمرار فى القراءة لا لذكر التفاصيل الخاصة جدا ، جدا وكما حدثت بالضبط ، من وجهة نظر الكاتب ، وحسب وإنما لاشفاقى ، على أولئك الآنسات والسيدات اللاتى تعاملن مع كاتب المفكرة ، وهن لسنْ من القطط الجائعة ، وإنما من نجوم المجتمع وقتذاك : كل المجتمع الاقتصادى والسياسى ، والفنى ، والصحفى و . و . وذكرتنى المفكرة الخارجة على الآداب ، والذوق ، والأخلاق وكل مايمت الى الانسانية الحقة ، بأية صلة والتى تقترب بنا الى الغاية الواسعة ، الشاسعة التى تخلى فيها ـ من فيها ـ عن أوراق التوت ذكرتنى بالحُطيئة الذى قيل عنه ، إنه تعود على الهجاء ، فلقد هجا أمه ، وأهله ومن حوله ، ولما لم يجد من يوجه اليهم الهجاء هجا نفسه » حيث قال أرى لى وجها قبح الله ... الخ .

وقد يكون الذى اقصده الفرزدق فكل من الفرزدق والحطيئة أبرز شعراء الهجاء فى التاريخ العربى ، ثم جاء صاحب المفكرة وكاتبها ليصبح ـ بلامنازع ولامنافس ـ الثالث ، ثالث ملوك الهجاء فى لغة العرب : الفرزدق ، الحطيئة وهو ـ صاحب المفكرة اياها وسأحاول هنا أن أختار ـ ويالها من مهمة شاقة ـ بعض فقرات يمكن أن تصور الجو الذى سبق مولد « آخرساعة » والذى واكبها فى بدايتها الاولى نصف سنة ، أى ستة شهور ، قبل المولد ، وستة شهور بعده وسألتزم ، بما ورد من عبارات فى المفكرة وإن كنت سأسقط بعض الكلمات ، والأسماء وبمعنى أدق وأوضح ، أننى لن أضيف كلمة واحدة ، ولن أتصرف فى حرف واحد ، كل الذى أستطيع أن افعله ـ ولاعتبارات خاصة بالحياء وسمعة الافراد ـ سأسقط مايجب ـ من وجهة نظرى إسقاطه ، فلو أننى لم اسقط ماأود اسقاطه ، لما كتب لهذا الكتاب أن يظهر الى الملأ ، أو يدخل أى بلد عربى لان تلك الجزء منه إذا لم أسقط ماأود إسقاطه للظروف التى سبق أنْ أشرت اليها ، سيكون اقرب مايكون الى الكتاب إياه : رجوع الشيخ على أننى أصارحك ـ عزيزى القارىء ـ عزيزتى القارئة أن مهمة الاختيار والاسقاط تلك من أهم المشاق ، التى قمت بها منذ أن حملت القلم فى يدى :

٦ فبراير ١٩٣٤
خناقة بين ، المدام والاستاذ : المدام خايفة من التحقيق .

٨ فبراير
إتصلت بسكرتير رئيس مجلس الوزراء ويظهر أنى أفلحت فى اقناعه بعدم الحاجة الى تقديم المجلة الى محكمة الجنايات .

١٠ فبراير
نظرت محكمة مصر ، فى طلب النيابة تعطيل مجلة روز اليوسف أسبوعين وبعد مداولة خمس ساعات حكمت بتعطلها أسبوعاً ، وذلك لانها نشرت صورة لم تعجب رئيس الوزراء .. والنائب العمومى .

١١فبراير .
قابلت ابراهيم باشا فهمى وحادثته بخصوص المجلة ... كانت مقابله بديعة سمعت فى المساء أن مجلس الوزراء بحث فى إحالة روز اليوسف والتابعى الى المحكمة بتهمة السب فى الذات الملكية .. يانهار اسود !!
اذا حدث هذا فانى قررت أن اتقدم وأقول أنى المسؤول الأول والأخير .

١٢ فبراير :
قابلت شوقى باشا سكرتير الملك : الخلاف بينه وبين الابراشى ، : الابراشى متنرفز ومتضايق ، شوقى باشا يطلب كتمان المقابلة الاستاذ التابعى والمدام يقابلان ابراهيم باشا فهمى ، رئيس الوزراء لايستطيع أن يفعل شيئا فى تهمة العيب فى الذات الملكية .

خطاب النائب العمومى ، المدام ترفضه !

١٣ فبراير :
تغديت عند المدام ، الاستاذ والمدام قابلا القيسى باشا : محمد على باشا (علوبة) محامى المدام الجديد وسابا حبشى ووهيب دوس يقولون إن التهمة كلام فارغ فى كلام فارغ وكذلك فكرى أباظه .
النائب العمومى يريد أن يتصل بالسراى وتكون مجلة روز اليوسف الضحية : المرجع الاخير هم الانجليز فكرة بديعة ولكن غير وطنية !!!

١٤ فبراير :
قابلت ابراهيم باشا فهمى : التحقيق فى اخبار مثيرة للخواطر ، المدام تعتذر عن حضور التحقيق لمرضها يرفض النائب العمومى ، العذر ، يبدأ التحقيق فى غرفة

نومها : كانت إجابات المدام مدهشه أعجبت الاستاذ سابا حبشى .
التحقيق باكر ، مع الاستاذ يارب إستر !
السبت ١٧ فبراير :
كان عندنا اجتماع لاعداد مجلة « أنا » وضعت تبويباً لابأس به
١٨ فبراير :
ذهبت أنا والمدام وزرنا محمود وسعيد ، ثم ذهبنا وانتظرنا الاستاذ فى السباق ، الاستاذ بارد من ناحيتى : يقول إنى اختلقت الخبر : كم أحبه وكم يكرهنى !!
١٩ فبراير :
انتقلنا الى الادارة الجديدة : قابلت حسونه بك والاستاذ قابل ابراهيم باشا فهمى . يظهر ان مافيش فايده : الابراشى باشا يرفض مقابلة المدام .
٢٠ فبراير :
عيد ميلادى السعيد . قضيته كله مع والدى ، ووالدتى : حادثنى فى التليفون وقال ان أخى ارسل لى ثلاثين شلنا لأشترى هدية بمناسبة بلوغى العشرين : إن اخى أحبه ؟ بل اعبده : عبد الرحمن يشتغل فى (مجلة) نهضة الشبيبة سرا ..
٢٢ فبراير :
أهدانى الاستاذ كرافتات ومناديل بمناسبة عيد ميلادى ، قابلت اسماعيل سامى وعدلى فؤاد ... يريد سامى ، إصدار جريدة .. !
٢ مارس :
دعانى الاستاذ والمدام للذهاب الى ماتش الكورة بين مصر ويوغوسلافيا : جلست بجانبهم كان امامنا الغرابلى باشا ورآنى .
٣ مارس :
قابلت ابراهيم باشا فهمى فى مكتبه وشكرنى على المعروف .. ولامعروف ولاحاجة : بعثت له بنوار فى غادة الكاميليا .. !
٤ مارس
قابل الاستاذ ابراهيم باشا فهمى ليسأله عن المعلومات التى وصلتنا : يتهم هو « موظف » فى مكتبه .
الاستاذ التابعى يريد السفر الى أوروبا .. هل حفظت قضية المجلة ..؟
٥ مارس :
ارادت المدام ان تعطينى النقود بوصل فرفضت ذلك رفضا باتا : لاحظت من

روح الحديث لهجة لم تعجبنى فقلت لها أنى لن أشتغل وخرجت على هذا : كلمتنى فى التليفون فقلت لها ذلك مرة أخرى .

٦ مارس :

جاءتنى المدام فى سيارتها الى المنزل كان معى على عشماوى فذهبنا معها الى الادارة ثم عدنا أنا وعلى الى المنزل ..

فى المساء تفرجنا على بروفة : غادة الكاميليا فى الادارة ..!

١٣ مارس :

سيسافر الاستاذ يوم السبت القادم .. بدأ عبد الرحمن يرخى العنان من جديد .. خناقة بين بديعة مصابنى وزكي طليمات ، بديعة تهاجم المدام ......

١٧ مارس :

سافر الاستاذ الى أوروبا : المدام متضايقة لهذا السفر . !

١٩ مارس

أعطيت اثنين جنيه للسواق المخبر : خرج هذا المبلغ من عينى ولكن فى سبيل المجلة ما أنا فاعل

٢٠ مارس :

أحيلت قضية المدام الى محكمة الجنايات ومعها الاستاذ

٢١ مارس :

ذهبنا على وأحمد ، وأنا الى السيرك : كان لا بأس به .. !

٢٢ مارس :

ذهبنا أنا والمدام وعلى عشماوى وأحمد الى الباريزيانا

٢٣ مارس :

ذهبنا أنا وعلى والمدام وأحمد حسن الى السينما : عبد الرحمن نصر يمضى السياسة التى أنا .

٢٤ مارس :

ذهبت وقابلت زكريا ، وتغدينا معا أنا وهو وعلى عشماوى : نادتنا المدام فذهبنا اليها فى المنزل ، كان هناك قبلنا ف . ح ، وعاد ونحن خارجون : تكلمت مع المدام ، فى الزياده فاعطتنى ٢ جنيه : قلت لها إنى لاأريد ذلك : قالت لعلى عشماوى ، أنى دايما متضايق ، وأنها تود أن تقفل مجلتها لتستريح .

٢٥ مارس :

تغديت أنا والمدام ، وعلى عشماوى عند المدام ، ذهبنا الى السباق .... النحاس باشا وماكتبته عن مقابلة للمندوب السامى .

٢٧ مارس :

ذهبت مع زكريا وعلى عشماوى وزينب ع . أ الى المصوراتى أرمان : زكريا يتفق أن الفتاة ستمثل فى فيلم عبد الوهاب .

ذهبنا مع زينب وأختها إلى عزبة النخل ... خناقة مع المدام للتأخير : خرجت وقد عولت على الانقطاع .

٢٨ مارس : مساء

وصلنى خطاب من الاستاذ التابعى كان الخطاب بديعاً . .

يموت الزمار وصباعه بيلعب .. ذهبت الى السينما طول اليوم .

ماذا قالت المدام ، عنى لعلى عشماوى أخبارى كاذبة : كل شىء زفت !!!

٣٠ مارس ؛

سافرت مع سوسن ، إلى طنطا وقد قضيت وقتا بديعا فى القطار ، ذهبت الى المدام بمناسبة عودتى من السفر ... !

٣١ مارس :

ذهبت الى السباق فكسبت جنيها : صدر العدد الجديد من روز اليوسف لم يكن مدهشا

٥ ابريل :

ذهبت أنا والمدام وعلى عشماوى وسعد ، وأحمد حسن ، وتفسحنا فى الاهرام ..

٨ ابريل :

سافر أنا وعلى عشماوى وأحمد معبد ، الى الاسكندرية قضينا وقتا لذيذا .....

الاثنين ٩ إبريل :

عزمنا حسن نصار فى كازينو النزهة : كانت عزومة مدهشة ، ثم ذهبت الى السباق : المبلغ الذى خسرته تافه .. عدنا الى مصر بقطار المساء ..!

١٢ ابريل :

تفسحنا انا والمدام ، وعلى عشماوى ، وأحمد حسن فى الهواء الطلق ، ثم شربنا فى مطعم الكورسال دفعت أنا الحساب ثلاثين قرشا ، والمدام دفعت من جيبى ثمانية قروش بقشيش .

١٤ ابريل :

كان المقرر سفرى إلى الاسكندرية لحضور السباق ، وعرضت على المدام خمسين قرشا كمصاريف السفر مع أن أجرة السكة الحديد وحدها خمسة وستين .. رفضت طبعا مع انه كان معى ميعاد مع سوسو ..!

١٥ ابريل :

سرق خاتم المدام ، المصنوع من الماس .

لم يظهر ابن الحلال الذى سرقه .

وقد طردت المدام الطباخ ..!

إتهمت المدام فى اول الامر الاستاذ : ى . ح

١٧ ابريل :

حضرت المدام واحمد حسن الى منزلنا وتفرجوا عليه وحلق أحمد حسن ذقنه : انتحر استاذ فى كلية الحقوق .. لماذا ؟

١٨ ابريل :

رأيت يوسف ف راكبا السانت كروفت يسحب الابونية من على وحلفه بأقسى الايمان ألا يخبر أحدا وأعطاه ليوسف : سيارة المدام تحمل على ب الى كلية الحقوق لاحضار يوسف يوم الثلاثاء الماضى ، وتغيير الابونيه .

خناقة بينى وبين المدام بسبب نسخة من المصور : تغدينا عند المدام .

خطاب من الأستاذ الى عبد الله حسين .

١٩ ابريل :

المدام تخاصمنى ، وترفض أن تقابلنى يوم الخميس دائما : تفسحنا أنا والمدام واحمد حسن وعلى عشماوى على حسابى انا : عكننت على المدام كما عكننتنى ..!

٢٣ ابريل :

لم أذهب الى الكلية ، وقضيت الوقت اعمل فى المجلة .

٢٤ أبريل :

تغدينا عند المدام ، أنا وعلى عشماوى فى الساعة الثالثة بعد الظهر .

٢٦ ابريل :

تفسحنا انا والمدام ، وعلى عشماوى واحمد حسن وعثمان العشماوى فى سيارتنا وذهبنا إلى قهوة الكوبرى الاعمى .

٢٧ ابريل :

لم أذاكر ، جاءنا خروف من على عشماوى ، ذهبنا مع المدام الى حفلة تكريم الأستاذ العقاد

٢٨ ابريل :

صدرت المجلة وكانت مدهشة !

٣ مايو :

بدأ احمد حسن ، رئاسته للتحرير بداية عجيبة ، يقرأ الغلاف سبع مرات ، أو ثمانية !

١٠ مايو :

ذهبنا فى المساء ، الى بافيون روز : أنا وعلى عشماوى وأنطون الجميل ، ومحمود ابو الفتح ، واحمد الصاوى محمد ، واحمد حسن ، والشيخ العسكرى : فنجان القهوة بعشرة قروش ..!

١١ مايو :

رايت العدد الجديد من روزاليوسف أرى أنه عدد مدهش .

تغديت عند المدام .

١٣ مايو

تغديت انا والمدام واحمد حسن وأبو الفتح ، وأنطون الجميل والشيخ العسكرى واحمد الصاوى فى حديقة الحيوان .

١٨ مايو :

صدر العدد الجديد من المجلة : عدد مدهش حقيقة ، خناقة بين احمد حسن وعبد الرحمن نصر .. أحمد يصرح بأنه يكتب أحسن من عبد الرحمن ، ويقفل السكة فى وجهه : رئيس تحرير فعلى ومسئول .

١٩ مايو :

حصلت على أوراق بخط ف .. وبخط الاستاذ ، وبخط تيمور ، هى أوراق لذيذة يمكن نشرها فى المستقبل فى مجلتى .. أنا وف فى الهواء الطلق ...!

٢٠ مايو :

سافرت الى الاسكندرية : قابلت سوسو : ذهبت الى السباق ، كسبت ثمانين قرشا : قابلت النقراشى بك فى القطار ، المدام قابلتنى هى وأحمد حسن فى المحطة .. حماد كان معى فى القطار شكاويه من عبد الرحمن والتابعى : عبد الرحمن متغاظ لأن على يحضر الى الإدارة ..!

٢١ مايو :

جاء « س » الى الادارة : تضايقت ، المدام حادثتني في البيت .. ذهبت وحضرت جلسه مجلس النواب التي قدم فيها صدقي باشا اقتراحا بطلب تأليف لجنة برلمانية ورفض الاقتراح .

أول يونيو :

رأيته وكان على غير عادته : وهي سياسة احمد حسن ، وتقضي بإبعاد التابعي من المجلة لان السراى لاتريده : وساطة خليل ثابت في الموضوع .

٢ يونيو :

أرسلت الى الاستاذ التابعي ، أبين له الموقف صراحة وانصح له بالحضور وأخبره كل شيء

٣ يونيو

جاءت برقية بأن الاستاذ التابعي ركب المركب : ضربت المدام لخمة ، وتعكننت طول اليوم !

٤ يونيو :

قررت المدام إرسال احمد حسن الى الاسكندرية لمقابلته واقناعه بمواصلة السفر الى الشام من بره بره ..!

٥ يونيو :

حضر الاستاذ التابعي ، وأول سؤال سألته المدام : لماذا حضر .. قصصت على التابعي الموقف ، وظهر أنه لم يصله خطابي .. قابلنا النحاس باشا مصادفة وأمره بعدم السفر

٦ يونيو :

منعت المدام التابعي من الكتابة ويظهر انها وعدت السراى بألا يكتب التابعي في المجلة .. يفكر التابعي في إصدار جريدة .

٧ يونيو :

خرجت أنا والتابعي والمدام وعلى عشماوى ، وأحمد حسن سويا الى المعادى وصحبني الاستاذ التابعي في سيارتي حيث قضينا وقتا لا بأس به .

٢٨ يونيو :

إتفقت مع الاستاذ التابعي على السفر سويا الى الاسكندرية .

المدام ترفض سفر الاستاذ التابعي ليه ؟ ماتعرفش ، وقلت انى لن اسافر وطلبت مني الجنيه بحركة عصبية فألقيت به في وجهها .

نصرنى التابعى عليها وخرج غاضبا .

سافرت الى الاسكندرية انا وسبعة ، عبده والغمراوى وقضينا وقتا لذيذا مع (......) فى القطار .

٩ يونيو :

عزمنا حسن نصار على الغداء بالمكس

قابلت سوسو و .... و... فى المساء قابلت زكى وامتثال وتكلمت مع زكى طويلا لاقناعه بالعودة الى المدام التى فعلت فى مافعلت .

١٠ يونيو :

وصلت من الاسكندرية : ذهبت الى المكتب ورفضت أن أذهب لبيت المدام .. قابلت الاستاذ التابعى وسهرت معه عند بديعة .

١٢ يونيو :

كتبت اخبار وصوره فيها تهزئى للقيسى فرفضت المدام نشرها .. طلب منى احمد حسن ان اكتب مصلحيات سألته هل كتبوها هم قبل ذلك ثم ظهر أنها كتبت وتقرر نشر مقالتى فى الاسبوع القادم ثرت فى وجه المدام ، وقلت ان هذا مش شغل رجال ولا عيال وخرجت .

أحمد حسن ، وصاروخان ، وسعيد يعلنون استعدادهم للانضمام للاستاذ التابعى .

١٣ يونيو :

حادثتنى المدام فى الصباح تليفونيا وطلبت منى ان أحضر الساعة ١٢ الى الادارة .. ذهبت الى هناك فقابلتنى دون ان تركع على قدميها كما كنت اتصور .

قلت انى قررت الا اعمل وسألتنى المدام عن اصل حكاية اخبار هايفة فقصصتها عليها وكذبنى احمد حسن ، فلعنت له أبوه ولعنت ابو المدام ، وخرجت من المجلة بعد ان ارحت نفسى مما احمله على ظهرى .

١٥ يونيو :

سمعت من حسن شقيق الاستاذ التابعى ان هذه الاشاعة منتشرة جدا واعتقد انها صحيحة ..!

١٦ يونيو :

قابل صاروخان الدكتور سعيد عبده وقال إنه أصبح لايستطيع العمل مادام هدا الولد .. ف موجوداً ويظهر ان الجميع ، بدأوا يكرهونه : عرض عبد الرحمن نفسه على الاستاذ التابعى للعمل فى المجلة .. الاستاذ يخبره ان مصلحته الشخصية أن يعمل مع المدام .

١٧ يونيو :

ضربت (...) لى تليفون فضربت لها تليفون وكان حديثا بديعا ، فى الساعة الثالثة ضربت لى تليفونا ودعتنى للحضور وجلست معها جلسة ظريفة ... و.... وعدتنى انها ستذهب الى .. .. حضر على وعشماوى وتصالحنا .

١٨ يونيو :

ضربت لى التليفون فى الصباح ، كان فى ردها لهجة لم افهمها . ثبت أنها لم تذهب له كما اتفقنا لماذا : هذا لا أعرفه ، هى تكلمت معه وطلبت منه ان يحضر عندها رفض طبعا : قالت انها متضايقة لان المطبعة انكسرت ولاتستطيع الذهاب عنده وعرف هو ان المطبعة لم تنكسر هل هى سياسة جديدة ؟

١٩ يونيو :

حادثتنى المدام فى الصباح واخبرتنى انها لم تكن تنتظر منى هذه النذالة ، فقد سمعت ان التابعى وفكرى اباظة سيصدران جريدة وأن التابعى طلب رخصة وانه قابل بدوى خليفة فأكدت لها كذب هذه الشائعات وطلبت منى ألا اخبر التابعى ذهبت الى الاستاذ التابعى فوجدت (...) كلمت المدام فى المساء حديثا طويلا وكذبت لها الاشاعة ولكنها قالت لى : خربتها وقعدت على تلها وكلام آخر ضايقنى .

ناظر الاقباط بالنيابة يعطينى ثلاثة جنيهات للدعاية للمدرسة فى كل الجرائد .

٢٠ يونيو :

حادثت المدام فى الصباح ، وسألت عن صحتها : أخبرنى التابعى ان المدام اخبرت عبد الرحمن اننى أقسمت انه هو الذى ابلغ التابعى ان المدام عندها فلوس فى البنك حادثت المدام فى التليفون فأنكرت ثم اعترفت قلت لها : انت .. ى . ف حضر ليضربنى .. اخيرا تصالحنا ....

٢١ يونيو :

تكلمت فى التليفون عند المدام فردت على .. وتكلم معى زكى وطلب منى صور مستروب له ؟ علشان تتفرج عليها : المدام لاتتكلم ولكنى أسمع صوتها .

ذهبنا الى صالة بديعة ، وقضينا وقتا ظريفا : أتم الاستاذ استئجار جريدة الطيارة وأسميتها أنا إسما جديدا « آخر ساعة » ..

٢٢ يونيو :

بدأ التهلونى يحمرأ ، ولكنه دفع ثلاثه وعشرين جنيه وعرض عبد الوهاب على التابعى مائه جنيه وعلى عشماوى ــ على مايظهر ، واقع فى غرام ... دائما عندها ولكن سيفوق بعدها ارسل الى أخيه يطلب نقودا ليسافر اسكندرية طبعا معها ..!

٢٣ يونيو :

ذهبت مع الاستاذ التابعى : أمضينا كونتراتو مع صاروخان ثم ذهبت ودعوت عبد الرحمن الى مقابلة الاستاذ الذى عقد معه اتفاق بخمسة وعشرين جنيها ياله من طماع لو اتفق الاستاذ مع احمد احسن ، وصرف له مرتب نصف شهر أى صدمة للمدام ، يالها من سلبية !

٢٥ يونيو :

اقام الاستاذ مأدبة غداء حضرها صاروخان وعبد الرحمن ومحمد حسن وأنا وبعد دقائق ، وصل محمد عبد المجيد الفراش ؟ المدام غير منتبهة ويظهر ان السكينه سرقاها .

٢٦ يونيو :

طلب منى على عشماوى أن أحضر الكاريكاتير الاجنبى الذى عندى لتستشهد به المدام فى المحكمة ، منعنى الاستاذ من اعطائهم ذلك : تكلمت مع المدام ، واعطيتها أعدادا من المجلة مرسومه فيها نفس هذه الصور وقلت انى لا استطيع إعطاءهم الالبوم .

حسنى عبد المجيد كان فى الاداب ورأى (ى)يحادث (....) من وراء برافان هل كان يعطيها موعدا فى الليل .

٢٧ يونيو :

ذهبنا واستأجرنا الادارة واشترينا الاثاث : قابلنا حسنى عبد الحميد فعلمنا منه انها (......) ساخطة على ذهبت انا والتابعى وجوليت الى يانبون روز حيث شربنا ..

٢٨ يونيو :

بدأ اول مقلب ذهبت أنا وسعيد عبده الى على عشماوى فلم نجده واخبر سعيد شقيقه عثمان انه قرر ان يعمل فى مجلة التابعى كاد يتنقط : على يرسل خطابا يهنئنى بتخلصى من قذارة المدام .

٢٩ يونيو :

ظهر عبد الرحمن بالنذالة الهائلة بعد أن امضا كونتراتو مع التابعى خانه وعمل مع المدام وظهر للتابعى ان عبد الرحمن عاد يدبر المؤامرة ليتخلص منه ليحل مكانه وحرض كذلك صاروخان على عدم احترام عقد التابعى وأمضى معهم عقدا .. بحثنا عن صاروخان فوجدناه وعملنا معه عقدا ثالثا ترى هل يحترمه ؟ .. اعتقد ذلك والتابعى يعتقد .

٣٠ يونيو :

سافرت الى الاسكندرية للسعى فى فشل أى مؤامرة لإغراء الدكتور سعيد عبده .. ذهبت الى سوسو فلم استطع مقابلتها .

فى القطار تعرفت بفتاة جميلة تدعى سوزان قضيت معهاوقتا بديعا فى القطار واتفقنا على ان نتخاطب باللغة الفرنسية .

اول يوليو :

كلمت سوزان وتقابلنا الساعة الواحدة والنصف عند الحاتى ومعنا فتاة اخرى شربنا وأكلنا عند الحاتى ثم شربنا قهوة فى كوبرى الانجليز ثم شربنا ثم سهرنا فى بديعة ثم اكلنا كاستا فى ليمونيا .... كانت ثلاجة .

٢ يوليو :

كان معى ميعاد مع سوزان لتوديعها فضربتها مقلب لانها كانت ستذهب الى بعض المحلات التجارية ، قابلت على عشماوى فأخبرنى انه ذهب الى والدتى واخ رها ان المدام تريد ان تنتقم منى وانها عندها وصولات بخطى وشجعتها على ان اسافر الى مسجد وصيف .

٣ يوليو :

فاتحتنى والدتى فى حكاية المدام فشرحت لها الموضوع بصراحة وقلت لها انى لاستطيع ان اعد بعدم الكتابة فى مجلة التابعى قال حسن عبد الحميد للتابعى ان المدام كانت تبكى اليوم وتقول انها لم تكن تنتظر من التابعى ان يفتح جريدة وقد تأثرت انا من هذا الكلام .

٤ يوليو :

طلب النقراشى بك مقابلتى فى النادى السعدى وسألنى عن تهديد المدام لتسليم مقالاتى للمدرسة . النقراشى ينصحنى بترك الصحافة الهزلية لان الصحفى الهزلى لابد ان يكون هو خير واحد من نوعه : النقراشى متحمس للتابعى ولكن يخاف من الم والدتى . إتفقت معها على حل وقتى .

قابلت مكرم أنا والاستاذ التابعى . المدام أخبرت مكرم انى قلت عنها أنها .....

٧ يوليو :

سافر التابعى إلى الاسكندرية بعد أن كتب ردا مدهشا على ما جاء فى روز اليوسف .

٩ يوليو :

يقولون إن العدد الاخير من روز اليوسف بيع فى مساء الاحد بقرش تعريفه .

١١ يوليو :

قدمت روز اليوسف بلاغا ضد محمد حسن وجره القسم وذهب التابعى إلى القسم ثم حضر على النحاس ومعه خطاب من روز اليوسف تتنازل عن شكوها اكراماً لخاطر الاستاذ التابعى ... من إمتى ؟

١٤ يوليو :

صدر العدد الأول من آخر ساعة أعتقد أنه مدهش ولكن ينقصه التهويش فى كتابة الاخبار بيع فى القاهرة بقرشين وثلاثة قروش نفدت اعداد آخر ساعة فى نصف ساعة وكانت تباع النسخة بعد ذلك بثلاثة قروش طلب متعهد مصر ثلاثة الاف نسخة زيادة ومتعهد اسكندرية طلب الف نسخة زيادة .

١٥يوليو :

تكلمت مع المدام فى التليفون كانت تسيل رقة وظرفا وأبدت اسفها ان عددها سقط فى السوق إنى أتألم لما اسمع رأى الناس فى المدام ولا أعرف لماذا أتالم هكذا.

١٦ يوليو :

تعشى عندنا النقراشى وزوجته مبسوط من العدد . فكاهات طريفة طلب محيى الدين فرحات ان يحضر للمجلة مقالات مترجمة عندنا كفايه .

١٧ يوليو :

واقع فى .. أ .. وهو لهذا عصبى المزاج .

١٨ يوليو :

لم يصل ولا عدد مرجوع من الاسكندرية والوجه البحرى للمجلة . رفض الاستاذ أن أسافر للاسكندرية بحجة أنى اعتذرت أمس كنت أرجو السفر لأجل سوسو لا لأجل أ . أ .

١٩ يوليو :

حققت النيابة مع الأستاذ التابعى وصاحب المجلة الذى كان شهما جدا وقال إن التابعى غير مسئول عن شىء وقيل إن ... هى التى حرضت الحكومة على المجلة والمدهش أن أسئلة النيابة كانت لماذا تركت العمل فى روز اليوسف وهى مجلة مضمونة .

٢٠ يوليو :

سافرنا الى الاسكندرية انا والتابعى و أ . أ .. ونزلت أنا والتابعى فى وندسور . أخذنى التابعى لأنه يخشى التحقيق ولكى اتوسط فى الاسكندرية .

٢١ يوليو :

قابلت حسونه بك مدير مكتب رئيس الوزراء وهوشته وأخذت وعد من رئيس الوزراء بحفظ القضية قابلت سوسو فى بيتها كانت هناك اختها بطه وصديقاتها .

٢٢ يوليو :

عدنا من الاسكندرية بالبولمان وفى الطريق تفاهم . أ و أ . أ . على الغرام . وهى تبكى واوصلتها بعربية الى هناك .

٢٣ يوليو :

تصالحت أ . أ مع .... وقالت لى إنها تحبه وأكاد أصدق ذلك لانها تهتم أن تظهر جميلة أمامه هى تتمنى أن تكون مثلى تدخل عنده كل دقيقة سعيد عبده يرسل خطابا لـ أ . أ لم أكن أنتظر منه هذا وهو يعرف علاقتها بـ ....

كلمتنى ... بالتليفون وشكت لى من .. وطلبت منى أن اذاكر وانها مقابل ذلك ستهبنى كل شىء موقف خطير مؤلم بين الكرامة والعاطفة . كلمتنى ... فى التليفون وطلبت منى أن احضر للغذاء عندها وفعلا ذهبت وقلت لها إنى لا أستطيع ترك التابعى قبل شهرين وإذا تركته سأعتزل العمل كله . قال التابعى إنه يعتقد أن المدام إذا طلبت منى العمل عندها غدا سأذهب (تضايقت) .

٢٧ يوليو :

قالت .. إننى صاحب « أ . أ » تضايقت وتضايقت أ . أ .

٣١ يوليو :

اذهب اليها واقضى عندها بعض الوقت ولكن عندما اخرج من عندها وأذهب الى عملى أشعر بأننى سافل ونذل ولكنى فى الواقع لست سافلا ولا نذلا .

اول أغسطس .

كل ما يسرنى أننى قوى وانها لم تستطع أن تذلنى أو أن تستولى على إرادتى .

٣ أغسطس .

بحثت عنى المدام لأن والد بليغ مات وطلبت منى إحضار أخبار طبقة راقية أحضرتها ونقلها قاسم لقد كنت متضايقا عرضت على .. خمسة جنيهات لأدفع قسط السياره وقلت لها انى لا اقبل أن أخون استاذى .

١٤ أغسطس .

رأتنى ..... وأنا اسيرمع أ . أ . لم ترنى هى وإنما رآنى من كان معها . ذهبت وقابلتها فقالت لى إختر فاخترت طبعا أستاذى قالت لى إنى احترمك ويااليت لى صديق

مثلك يضحي ... و ... و ... فى سبيل صديقه وافترقنا وكلانا يبكى . عزائى أنى كنت رجلا .

١٥ أغسطس .

قابلت ... فى سيارتى ... وكانت اربعون قرنا تطل من فوق الاهرام .

١٦ أغسطس .

جاءنى فقال لى إنه يلاحظ .. أ . أ .. تعطلنى عن العمل فتضايقت وقررت أن أكتب خطابا أخبره بقرارى فى أن أعمل بالمنزل وفى ذلك الوقت كلمتنى المدام فأخبرتها بقرارى فنادانى واخبرنى ان المدام اخبرته بكل شىء وبأنى أقابلها وبأنى اعطيها اخبارا واخبرته أنى انوى الاستقالة وتصافينا وذهبت مع الاستاذ الى بار اللواء فما كادت المدام ترانا حتى انتقطت لنا الله .

١٧ اغسطس

تدعى المدام انى اكلمها فى التليفون وليست هى التى تكلمنى وقد حدث أن كان سعيد عبده يتغذى فتكلمت مرتين وسمعها تقول انها تكلمنى لكى تخشى جبروتى

١٩ أغسطس

سافرت الى الاسكندرية انا والشيخ العسكرى والاستاذ الصاوى بسيارة الصاوى كان الاستاذ الصاوى ظريفا كان معى أحمد حسن واجسان فى نفس القطار .

٢٠ أغسطس

حادثتنى المدام تليفونيا فقلت لها ارجوك الا تكلمينى مرة اخرى تليفونيا وهى تريد ان نصبح اصدقاء

انى اجد فى عداوتك لذة لا اجدها فى صداقتك .

٢٦ اغسطس

قابلت المدام فى الصباح أمام الجراج فسلمت على فوجدتها وكأنها كبرت فى ثلاث شهور ثلاثين سنه تأثرت لذلك .

٢٨ أغسطس

وجدت الاستاذ يشكو الخسارة ويهدد بقفل المجلة فاتفقت انا والدكتور سعيد عبده على ان اكلم المدام وطلبتها تليفونيا وطلبت مقابلتها وماكان اشد دهشتى لما اخبرتنى انها كلمته وقالت له ان مصطفى طلب مقابلتها فقلت لها انى لن اقابلها

٢٩ أغسطس

كلمتنى المدام فى الصباح واخبرتنى ان التابعى اخبرها انى أريد أن توسط عبد

الرحمن لتأخير قسط السيارة فقد عرضت على ان تدفع لى ما أريد فقلت لها إنى أكلمها لاالنقود بل للصلح بينها وبين التابعى وعاتبتها على سفالتها فاعتذرت .

١٥ سبتمبر

سافرت ومعى فاطمة للاحتفال بمرور عامين على علاقتنا ونزلنا فى فندق وندسور

١٦ سبتمبر

قضيت اليوم كله مع فاطمه وذهبت للنحاس باشا واستحممنا سويا فى الحمام

كلمتنى التى كانت قد انتقطت لما راتنى مع فاطمه .. ألفت لى زجلا كله عشق وهيام عشنا ويقينا محبوبين ولكن عند غيرنا مجهولين

٢٠ سبتمبر

قالت لى ...... لوكنت تحبنى اخرب آخر ساعة كما خربت روز اليوسف وقد نفذت الطلب فحصلت من شوقى باشا على اخبار عظيمة القيمة سأنشرها فى آخر ساعة الاسبوع القادم . يالها من مغفلة لم تفهمنى بعد

٢ اكتوبر :

طلبت منى ان اقابلها فاعتذرت لارتباطى بموعد فحضرت الى البيت بالرغم من ذلك فقابلتها وتفسحنا فى شارع الاهرام .

٥ اكتوبر :

عرضت على مرتب ٢٥ جنيها فى الشهر وتشترى لى سيارة على حسابها وتدفع لى ستة شهور مقدما وذلك لأمسك المجلة الاسبوعية لتتفرغ هى للجريدة اليومية .

كم هى مغفله هل أبيع نفسى إنى لن اخرج من آخر ساعة الا على اسنة الرماح كما يقولون

٦ اكتوبر

هزأنى التابعى لاننى تأخرت وكان قاسيا فى لهجته خصوصا وكان موجودا زائرون .

هل انا على السأعى لوكان يعرف العروض التى رفضتها وكيف انى رفضت سيارة واجرا خمسة وعشرين جنيها من اجله هل كان يفعل ذلك .

أنا .. أجد فى مرمطتها ولم تفعل لى شيئا إلا انها حاولت ان تدس بينى وبين التابعى وكادت تفلح .

١٢ اكتوبر :

هى مصممة على إصدار جريدة يومية وقالت ان بدوى خليفة وعدها بمساعدتها

فى هذا الامر وقالت إنها تعتمد على فى الاسبوعية وتقول انها ستطلب من زكى ان يستقل ويمسك جريدتها اليومية انها اشبه ببائعة اللبن .

١٣ اكتوبر :

قابلت عبد الفتاح باشا يحيى وأخبرته ان روز اليوسف ستصدر جريدة يومية تفضح الوزارة وان بدوى خليفة يساعدها وانه سوف يكون معها ابراهيم ومحمود رشيد فقال لى مش ممكن نعطى رخصة لها ..

١٤ اكتوبر :

تغديت عند عبد الفتاح باشا وذهبت مع ابنته الى السينما فكرت فى ان اتزوجها كان هناك عبد الحميد نافع فقال لى كيف أكلت عقل رئيس الوزراء .

١٥ اكتوبر :

حصلت من عبد الفتاح باشا على أخبار مدهشة وحصل ان كلمتنى .. ف .. وطلبت منى ولو خبر واحد فأبلغتها اسفى طبعا بعد .. ..

١٦ اكتوبر :

قابلت نسيم باشا وعرفت ان الامير محمد على كان عنده لما زاره بترسوف قضيت معه نصف ساعة وسألنى عن آخر ساعة ثم عن روز اليوسف فقلت له بتاخد فلوس من الابراشى فقال أنا عارف كده بكرهها جدا وكنت اعطيتها خبرا لتنشره والخبر يضايق نسيم باشا جدا .

قالت لى مصلحتك عندى لا عند التابعى انه يكرهك قلت لها ومع ذلك احبه .

٢٢ اكتوبر :

قرب آخر الشهر وحل السداد ، سداد قيمة المقابلات والمواعيد وخلافه وهو أن أترك التابعى اننى لا افكر فى هذا حصلت على نص مدهش لانذار من جرافى سميت نشرته مع شىء من التهويش .

٢٤ اكتوبر :

كم هى .. اعطتنى المبلغ أمس وطلبت منى ان ارسل لها صحيفة السياسة مكتوبة فرفضت قالت لى قلت لها ..

٢٥ اكتوبر :

كان معى موعد مع .. ف .. ولا عجب فأول الشهر على الابواب .

٢٦ اكتوبر :

كلمتنى فى التليفون فغيرت صوتى قالت أنا عارفة .. فقفلت السكة .

٢٧ اكتوبر :

حضرت هى الى البيت فقالوا لها انه مش موجود كنت فى ذلك الوقت مع ..... فى حديث مدهش .

٢٨ اكتوبر :

مازالت مستمرة فى مطارداتها ومازلت انا بعيد عن التليفون أقاطعه مقاطعة تامة .

٢٩ اكتوبر :

تشاجر معى الاستاذ التابعى وقال لى لو اشارت لك المدام بأصبعها لذهبت اليها بالمشوار .

٣١ اكتوبر :

دفعت خمسة جنيهات لسائق سيارة عبد الفتاح يحيى هل لو كنت أطلبهم من الاستاذ يدفعهم لا اظن اننى لو لم ادفعهم لكنت سددت دين روز اليوسف .

أول نوفمبر :

حادثتنى فى المنزل عشر مرات وطلبنى محمود يوسف مرتين وسعد مرتين وانا مش موجود .

٢ نوفمبر :

تكلم سعد مع التابعى وطلب محادثتى فلما سأله عن السبب قال ليخبرنى اذا كانت عندى الشجاعة الأدبية ان ادفع سبعة جنيهات أخذتها من روز اليوسف .

حاولت الانكار ولكن الاستاذ دفعها ورفع مرتبى ياله من عظيم ثم كأن شيئا لم يحدث .

قالت .. لعلى عشماوى أنت أسفل واحد فى الدنيا .. لها حق يا أخى .

٦ نوفمبر :

قررت ان أخبر التابعى بكل الحكاية وذهبت وجلست معه لاقول له السر الوحيد الذى لا يعرفه ثم تراجعت بانتظام .

١٩ نوفمبر :

عرض على أحمد شفيق صاحب المطرقة ان اكتب المسارح هناك يالى الشرف العظيم ، انا فى تقدم على كل حال .

٥ ديسمبر :

القسط الاخير .

٢١ ديسمبر :

بدأ التابعى يعطف على .. ف .. ياله من طيب القلب مع النساء لو كان هذا مع الرجال لتغير وجه التاريخ !!

ولاتعليق لى على ما اقتطفته من تلك المفكرة الداكنة الا الرجاء بالا يحاول اى قارىء أو قارئة الجرى وراء الاسماء الصحيحة ، التى أسقطتها مما نشرته فقد بذلت قصارى جهدى أن احبط اية محاولة من هذا القبيل والا يكون فيما نشر ما يمكن ان يقود الى الاسماء الصحيحة ومن بين ما يذكره الاستاذ محمد التابعى عن اصدار صحيفة روز اليوسف أنه بعد أن تضايق من طول الفترة التى قضاها فى اوروبا بعيدا عن الاجواء المصرية المضطربة وبعد ان ضاعفت السلطات المصرية مطاردتها لى قرر العودة الى مصر فركب الباخرة من مرسيليا فى يوم ٢١ مايو ١٩٣٤ بعد ان ابرق الى الزميلة السيدة روز اليوسف بموعد عودته الى ميناء الاسكندرية ، فوجىء ـ فى ميناء الاسكندرية بمندوب منها يستقبله على رصيف الميناء وهذه تذكرة سفر الى القنطرة ونصيحة منها بأن يواصل سفره رأسا الى سوريه ولبنان والا وقع له ، وللمجلة ـ روز اليوسف ـ مالا يحمد عقباه وانه رفض النصيحة وعاد الى القاهرة فوصلها فى ٢ يونيو وتأكد ـ التابعى ـ فور وصوله الى القاهرة أن عراقيل قد وضعت فى طريق تعاونه مع السيدة روز اليوسف بعد شركة تسع سنوات وانه أحس بعدم رغبة السيدة روز اليوسف فى استمرار التعاون بينهما الا اذا كان خارج البلاد .

ويذكر التابعى كيف ان خناقة نشبت بين السيدة روز اليوسف وبين الاستاذ مصطفى حول سفره الى الاسكندرية لكى يجمع الاخبار للعدد القادم وكيف ان مشادة عنيفة نشبت بينهما إنتهت بأن بكى الاستاذ مصطفى امين .. ومصطفى امين ـ محمد التابعى ـ شديد الحساسية سريع البكاء فانضممت اليه ونصرته .. وهنا نالنى ايضا بعض الرشاش ونهضت وقلت لمصطفى هيا بنا وخرجنا نحن الاثنين ولم يعد بعدها الى مجلة روز اليوسف ويقول التابعى انه بعد ان خرج الى الشارع مع مصطفى امين سأله مصطفى امين الى أين ؟ فقال التابعى نتناول الغذاء وبعدها نبحث عن مجلة نؤجرها أو نشتريها وان مصطفى امين قال له انه لا يحب ان يكون سبب الزعل بينه وبين روز اليوسف أو انهما سوف يصطلحان وأنه ـ التابعى قال له ومن قال اننى زعلان حتى نصطلح غدا وانه شرح له الموقف ذاكرا له ، انه منذ عودته من اوروبا لم يخط حرفا واحدا فى المجلة وان مقالا واحدا أو ورقة واحدة ، من اوراق التحرير قد عرضت عليه ليبدى رأيه فيها كما كان الحال قبل سفره الى اوروبا كما أنه قال له ، ان وجودى فى روز اليوسف قد اصبح خطرا عليها فلنترك روز اليوسف قبل ان نطرد منها .

ويقول الاستاذ التابعى ان شابا ثريا صادف نجاحا فى تجارة قدزاره ، وعرض عليه ٢٠٠ جنيه على شرط ان يكون شريكا فى المجلة ، وانه أى التابعى ـ قبل ولكن الشاب الثرى تركه ، على ان يعود فى اليوم التالى ولكنه لم يعد .

وقال التابعى ، ان صديقه المرحوم محمود العيسوى توسط له عند موظف كان ترك منصبه وقبض اربعة الاف جنيه مكافاة لكى يقرضه ـ يقرض التابعى ٢٠٠٠ جنيه ترد على ثلاثة اقساط والى ان ترد يكون شريكا فى ارباح المجلة ولكن الموظف رفض .

ويقول التابعى ، ان الايام كانت تمر ومحاولات البحث عن راس المال تفشل ، الواحدة بعد الاخرى وان احدهم عرض عليه ان يقترض مبلغا من المال من الوفد الذى خدمه التابعى ـ بقلمه وسجن من اجل قضية الوفد وانه رفض لان الوفد قرر الوقوف على الحياد بالنسبة للخلاف بينه وبين السيدة روز اليوسف ويقول التابعى ان طلعت حرب قرر ان يعطيه قرضا وانه كلف مصطفى محمود بك سكرتير عام بنك مصر ان يتخذ الاجراءات الخاصة بانهاء ذلك القرض ، وانه عندما قابل مصطفى محمود بك سأله عن المبلغ الذى يريده فلما قال له ثلاثمائة جنيه قال بسيطة ، ثم اضاف مصطفى بك الى ذلك قوله ان بنك مصر سوف ينشر بقيمة القرض اعلانات فى المجلة الجديدة .

ويضيف التابعى الى ذلك قوله ، ان الذى ابلغ طلعت حرب باشا باننى اريد اصدار مجلة كان احمد عبد الوهاب باشا .. لم يكن صديقا لى بل أننى ـ التابعى ـ اذكر تماما اننى حملت عليه مرة فى مجلة روز اليوسف ـ وكان يومئذ وكيلا لوزارة المالية ـ بسبب تصرف لم أوافق عليه وقد استدعانى الى مكتبه فى الوزارة عقب نشر هذا النقد وعاتبنى بشدة وان التابعى غضب كثيرا من هذا العتاب وانصرف غاضبا دون أن يجيبه .

ويصف التابعى احوال العالم وكيف كانت صورة مصر يوم ميلاد آخر ساعة فيقول : ـ وكانت المناسبة صدور العدد رقم ١٠٠٠ من اخر ساعة

سأحاول ان ارسم هنا صورة سريعة للجو السياسى العالمى فى عام ١٩٣٤ العام الذى ولدت فيه هذه المجلة لا لأننى أزعم ـ وانه لزعم سخيف ـ ان « آخر ساعة » مجلة عالمية .. ولكن لكى يفهم القارىء لماذا كنا نكتب فى السياسة المصرية وحدها .. داخلية وخارجية .. بينما نحن نكتب اليوم ـ جميع الصحف لا آخر ساعة فقط ـ نكتب فى السياسة الخارجية او سياسة الدول الكبرى .. والتيارات التى تجرى فى امريكا واوربا .. ومختلف المعسكرات بين كتلتى الشرق والغرب .

فى عام ١٩٣٤ لم تكن هناك حرب باردة ..
ولم تكن هناك كتلة غربية .. ولا كتلة شرقية ..

ولا خطر حرب ذرية .. بل ولا خطر حرب على الاطلاق .. ولا عملة صعبة ولا عملة سهلة ولا قيود على النقد أو خروج النقد من بلد الى بلد .

وكانت الحرب العالمية الأولى قد انتهت فى شهر نوفمبر ١٩١٨ .. ويوم انتهت احس العالم فورا بالسلام وهبطت اسعار الحاجات والسلع التى كانت ارتفعت اثناء الحرب .

كانت صفيحة الجاز مثلا تباع بستة قروش وكان ثمن الدجاجة ما بين ستة وعشرة قروش .. و « جوز » الحمام خمسة قروش .. وأقة التفاح بقرشين اثنين .. وست بيضات بقرش صاغ .. وزجاجة الويسكى بخمسة عشر قرشا .. وكان مرتب الطاهى البارع فى فنه ومهنته يتراوح بين ثلاثة وخمسة جنيهات فى الشهر ومرتب « السفرجى » جنيهين !

والموظف الذى كان مرتبه عشرين جنيها فى الشهر كان معدودا من الاثرياء !

وفى أمريكا ـ الولايات المتحدة ـ كان الرئيس فرانكلين ديلانو روزفلت قد انتخب للمرة الاولى منذ عامين .. وكانت امريكا قد عادت ـ بعد اشتراكها فى الحرب العالمية الاولى ـ عادت الى عزلتها ونفضت يدها من شئون اوربا بل ومن شئون العالم .. فلم يكن لها اذن شأن كبير أو قليل فى توجيه سياسة العالم فى الشرق أو فى الغرب ..

وكانت روسيا ـ أو الاتحاد السوفيتى ـ تعيش وراء حدودها الاولى .. التى وضعتها المعاهدات التى عقدت بعد الحرب العالمية الاولى .. فلم تكن روسيا قد احتلت دول البلطيق ولا توغلت فى قلب اوربا ولا بسطت نفوذها فوق دول البلقان فقد كانت رومانيا ملكية ومثلها بلغاريا والمجر التى كان يحكمها وصى على العرش ..

وتشيكوسلوفاكيا جمهورية مستقلة .. ويوجوسلافيا ملكية .. الى اخره .. الى اخره ..

ولم تكن روسيا ـ كما هى اليوم ـ دولة ذات بأس شديد ويخشاها العالم ويتقى شرها وأذاها .. وكان ستالين مشغولا حينئذ بحركات التطهير التى كان يجريها فى كل بضعة شهور .. و« يصفى » فيها وفى كل مرة بضعة من القادة والاقطاب ..

وكانت « التصفية » تتم باطلاق الرصاص على المتهمين .

كان هتلر قد تولى الحكم منذ عام واحد .. وكانت بريطانيا تنظر اليه يومئذ والى حكومته النازية بعين العطف والتأييد ! .. وكانت لندن تعتقد ان قيام حكومة قوية فى ألمانيا هو خير ضمان ضد مطامع فرنسا العسكرية ..

ولم يكن هتلر قد كشف عن نواياه .. الى ٧ مارس ١٩٣٦ عندما عبرت قواته العسكرية جسر « الراين » عند مدينة كولونيا واحتلت ضفة النهر الغربية التى كان مفروضا بحكم معاهدة فرساى أن تبقى منطقة محايدة بين ألمانيا وفرنسا وتوتر الموقف الدولى .. وخيف ان تقوم حرب .. وأن تركب فرنسا رأسها وتهاجم قوات هتلر .. ولكن بريطانيا أقنعت فرنسا يومئذ بالسكوت ..

يومئذ فقط - أى فى مارس ١٩٣٦ - بدأت اوروبا والعالم يعملان حسابا لهتلر وللنازية .. أو الاشتراكية الوطنية .

وكانت فرنسا - كما كانت حتى العام الماضى - تتطاحن فيها الاحزاب .. وفى كل شهر وزارة تسقط ووزارة تقوم .. وكان الفساد قد استشرى فى جهاز الدولة .. وفى البرلمان ..

وكان الملك اسكندر ملك يوغوسلافيا يزور فرنسا .. واستقبله فى ميناء مرسيليا عمدة المدينة وكبار الرسميين .. وبينما الملك فى عربة مكشوفة تسير به فى شوارع مرسيليا المزدانة بالاعلام اطلق عليه الرصاص فأرداه فى الحال !

وخلفه على العرش ابنه الطفل بطرس .. الذى خلعه فيما بعد الماريشال تيتو ..

وبطرس - الملك السابق - يطوف الآن بأرجاء العالم باحثا عن لقمة العيش !

وكان مؤسس تركيا الحديثة كمال أتاتورك - أو مصطفى كمال باشا - لا يزال على قيد الحياة .. وكان مثل ونستون تشرشل يدمن الشراب .. ولكنه كان فى ساعات صحوه يكشف عن آيات باهرات فى عبقرية الحكم والادارة والاصلاح .

وكانت تحكم بريطانيا يومئذ - فى ١٩٣٤ - وزارة تستند الى كثرة ضئيلة من حزب المحافظين .. والى قلة من العمال والاحرار ومع ذلك فقد كان رئيسها من حزب العمال ..

اما كيف كان ذلك فإنها قصة طويلة .. وأحاول ان أوجز فيها قدر الامكان .

قررت انجلترا ان تخرج من قاعدة الذهب .. وكان هذا القرار موضع خلاف شديد بين الاحزاب .. وأجريت الانتخابات ولم يفز حزب فيها بأغلبية تمكنه من الانفراد بالحكم . ولكن حزب المحافظين حصل على أكبر عدد من المقاعد .

وكان رئيس حزب العمال هو رامزى ماكدونالد .. وكان قد وقع فى غرام نبيلة ارستقراطية هى اللادى لوند ندرى زوجة احد الزعماء المحافظين . وكانت العلاقة بينهما معروفة مفضوحة .

وقد استطاعت النبيلة المحافظة ان تؤثر على الرامزى ماكدونالد وجعلته يتساهل فى مبادىء حزب العمال .. وأن ينضم الى ائتلاف المحافظين ..

وعهدوا اليه برئاسة الوزارة . ودخل زعيم المحافظين ستانلى بلدوين نائبا لرئيس الوزراء ولكن أغلبية حزب العمل تمردت على رامزى ماكدونالد وانشقت عليه ..

لم يكن هناك اذن فى احوال العالم أو فى سياسة العالم ما يحمل صحف مصر على الاهتمام بما يجرى فى امريكا أو فى روسيا .. كما هو الحال الآن ..

كان كل شىء هادئا فى الميدان الغربى .. وفى الميدان الشرقى وكان العالم يعيش فى أمان وسلام .

ونصل الى مصر

كان يجلس على عرش مصر الطاغية أحمد فؤاد ..
وكان يمرض ثم يشفى ثم يعاوده المرض من جديد .

وكان فى مصر برلمان « طبخة » وزور انتخاباته اسماعيل صدقى باشا .. ولكن اسماعيل صدقى اصيب بذبحة صدرية بينما كان يتناول الغذاء على مائدة سميراميس .. الكسندر كين يؤيد بويد الأمن العام فى مصر .

وخلف صدقى فى الرياسة عبد الفتاح يحيى باشا .

ولكن الحكم او السلطة الحقيقية لم تكن للوزارة أو لرئيسها بل كانت فى يدى ناظر الخاصة الملكية محمد زكى الابراشى باشا فهو الذى كان يحكم .. وكان يختار الوزراء ويقيل منهم من يشاء ويعين منهم من يختار .. ويصدر اوامره اليهم بالتليفون ..

كانت احزاب الاقلية هى التى تحكم فى مصر .. وتتلقى اوامرها وتعليماتها من دار المندوب السامى .. أو من زكى الابراشى ناظر الخاصة .. وكان الوفد فى المعارضة ..

وكنت انا قد خرجت من السجن فى سبتمبر ١٩٣٣ بعد ان امضيت فيه اربعة أشهر .. بسبب طول لسانى وطول لسان روز اليوسف على الحكم ونظام الحكم والمندوب السامى والوزارة .. ومحمد زكى الابراشى بصفة خاصة .

وكنت أعرف أن زكى الابراشى قد أعد « دوسيها » خاصا باسم محمد التابعى . وانه يضع بين دفتيه قصاصات مما يكتبه التابعى للرجوع اليها عند الحاجة وكانت دار المندوب السامى ووزارات ذلك العهد قد عطلت لنا ـ للسيدة روز اليوسف رحمها الله ولى ـ بضع عشر مجلة .. وخرجت كما قلت من السجن فى سبتمبر .. وعاودت الهجوم على الابراشى وبطانته .. ونفوذه .

وجاءنى من يهمس فى اذنى ويقول : (العين عليك حمراء ! ونصيحتى ان تحط كتف على اوروبا قبل ان يستدعوك للتحقيق ويزجوا بك فى السجن)

وعملت بالنصيحة وغادرت مصر الى اوروبا فى يوم ١٧ مارس عام ١٩٣٤ وعدت الى مصر فى ٤ يونيه : وشاءت الظروف ان اصدر مجلة تكون لى وحدى .

ولكن صداقتى لروز اليوسف بقيت كما كانت .. لم تؤثر فيها الاحداث .. ولم ينل منها التغيير والتبديل

ولكن كيف الحصول على مجلة تكون باسمى ؟ كان فى حكم المستحيل ان تمنحنى الوزارة ترخيصا بإصدار مجلة ..

ويقول التابعى إن افتتاحية العدد كانت عن ١٤ يوليو ـ عيد الحرية ، وكانت بقلم الدكتور سعيد عبده وان الموقف السياسى كان عنوانه الخلاف بين ماكدونالد لاوجون مسنجون حول الحالة الحاضرة وعن وزيرنا المفوض فى لندن وكانت صفحة كذب فى كذب : يحررها مصطفى امين . وكان باب اولاد الذوات واولاد الايه كان يحررها عند صدور آخر ساعة السيدة أمينة السعيد ، ومصطفى امين ومن بعدهما جلال الحمامصى ، اما باب اخبار الطلبة فكان يحرره د . قاسم فرحات وكان عنوانه : كده ، وكده ، العلم نورن وكان مقال بقلم الاستاذ محمد عبد الوهاب بعنوان لن اتزوج وقد تزوج صديقنا عبد الوهاب بعد هذا المقال بعشرة اعوام ومقال اخر بقلم الممثلة الكبيرة زينب صدقى .

وجاء فى صدر هذا المقال ان العامى والاسلوب والنحو من عندنا وللسيدة زينب صدقى الوقائع ، والعواطف والامضاء وصاحب المقال هو مصطفى امين هذا ، عدا الكاريكاتير وكانت الصورة تنشر على صحفة كاملة .. عدا الموال ، وعلى الارغول وقصة العدد ، وكانت كلها بقلم سعيد عبده ، وكان عدد صفحات المجلة ٥٠ صفحة ، وكانت تباع بقرش صاغ واحد .. يابلاش .

ويصف التابعى مشاعره يوم ١٤ يوليو ١٩٣٤ يوم صدر العدد الاول من آخر ساعة : فيقول انه كان قلقا للغاية وقد قطع التابعى المسافة من سكنه بجوار فندق سميراميس الى مكتبه بشارع الامير قد ادار حوالى الساعة التاسعة صباحا وقد هاله بانه لم يسمع احدا ينادى على مجلة اخر ساعة وعندما وصل الى مكتبه زاره اثنان من محررى الاهرام الشيخ عبد الحليم العسكرى وتوفيق حبيب ـ الصحفى العجوز ـ وسألاه لماذا لم تصدر آخر ساعة وكانت الاعلانات عن صدور العدد الاول فى صفحة يوم السبت ١٤ يوليو قد ملأت الصحف . ويقول التابعى ، ان الشك قد بدأ يساوره فالمعلم فهلوى ـ امبراطور توزيع الصحف فى مصر ، له سلطانه القوى ، فى مجال

التوزيع وفى استطاعته ، ان يقضى قضاء مبرما على اى مجلة جديدة اذا هو ركن اعدادها فى المخزن ، وفى بعض الاحياء كان يعمل على القضاء على صحيفة معينة لصالح صحيفة واحيانا لصالح حزب معين وقد تحدث التابعى مع المعلم فهلوى وسأله : لماذا لم توزع المجلة ؟ وان الفهلوى قال له : ما وزعتهاش يا أخى ... ركنت الإ تناشر ألف عدد اللى اخذتهم منك فى القهوة وانا حر » .. وكـان هناك مقهى لموزعى الصحف فى شارع الساحة ، وعندما احس المعلم فهلوى - وكان لايقرأ ولا يكتب وفى احيان يزن الصحيفة بيده فان كانت ثقيلة اتفق على توزيعها وان كانت خفيفة اعتذر عن عملية الشراء ، وعندما احس بحيرة التابعى قال له : مجلة ايه يا استاذ ؟ المجلة نفذت من السوق منذ نصف ساعة ، ولم يبق منها عدد واحد ، ثم اردف المعلم فهلوى قائلا : انا اخذت منك العدد ده اتناشر الف ، عاوز ١٣ الف نسخة فى العدد الثانى ولا اقول لك خليهم ١٥ الف .

وكان التابعى قد طبع من المجلة ١٥ الف نسخة اعطى المعلم فهلوى منها اثنى عشر الف نسخة واعطى الثلاثة الاف الاخرى لمتعهد الوجه القبلى .

ويقول التابعى ، وصل ما يباع من آخر ساعة الى ثلاثين الف نسخة بينما كان ما يباع من مجلة رزو اليوسف أربعين الف نسخة فى المتوسط .

وتلك الشهادة من التابعى لمجلة روز اليوسف التى وان كان قد خرج ، منها ولم يعد له بها أية علاقة الا انه لم ينس ابدا انها المجلة الوحيدة التى شارك فى انشائها مع السيدة روز اليوسف والتى قضى بها عشر سنوات هى ازهى سنوات عمره ، بل هى - كما كان يقول دائما - احلى سنوات عمره ، اذ كان فيها - كما قلنا - الطائر المغرد الذى لا تقيده ميزانية صحفية ولا مرتبات محررين ولا فاتورة مطبعة ولا أزمات تحريرية بينه وبين الدولة ، ولا بينه وبين دول اخرى !

من بين الازمات التحريرية التى تعرضت لها آخر ساعة فى بدايتها انها نشرت خبرا عن قاض يونانى بالمحاكم المختلطة ورغم انها لم تفصل حكايته فى الخبر ، الا انها قالت نمسك عن ذكر الحكاية انتظارا لما قد يسفر عنه التحقيق الدائر بشأنه الان ، وثارت ثائرة المحاكم المختلطة ، والمفوضية اليونانية ، واضطرت آخر ساعة بناء على اقتراح من مدير مكتب وزير الحقانية سليمان بهجت الى ان تنشر آخر ساعة نبذة تقول فيها وأشرنا فى الاسبوع الماضى ، الى حكاية قاض يونانى بالمحاكم المختلطة ، وقلنا اننا نمسك عن ذكرها انتظارا لما قد يسفر عنه التحقيق الدائر بشأنها الان ، وقد علمنا - آخر ساعة - من مصدر رسمى انه لا صحة لهذا الخبر وانه لايجرى تحقيق ما بشأن مسألة من هذا القبيل وقد ابلغ حضرة صاحب العزة حمدى محبوب بك المدير العام لادارة الأمن العام - من مكتب وزير الحقانية بالنيابة بالانعام على نشر تلك النبذة

فى أول عدد يصدر منها بناء على الامر ، الصادر الى ـ سليمان بهجت وزير الحقانية من حضرة صاحب المعالى الوزير وكان تبليغ حمدى محبوب بك فى ١٩٣٥/٢/١٦ وقد اشر عليه حمدى بك : يحفظ وقد تنفذ (١٩٣٥/٢/١٩)

ازمة اخرى حدثت بسبب صورة نشرت فى الصفحة السابعة من العدد ٣٣ عن المندوب السامى البريطانى ، وقد قرر وكيل وزارة الداخلية فى ١٩٣٥/٢/٢٤ لفت نظر الجريدة عن طريق مدير قسم المطبوعات مع الافادة بالنتيجة وفى اليوم التالى (١٩٣٥/٢/٢٥) افاد مدير قسم المطبوعات بمايلى :

تحدثت شخصيا مع الاستاذ التابعى بصدد الصورة التى نشرت فى الصفحة السابعة من العدد ٣٥ واخبرنى انه جرى فى اعداده السابقه على خطة الدفاع عن فخامة المندوب السامى ومع ذلك ونظرا لان الصورة رسمت بشكل رجوع مستعد للترضية اللازمة وسيتشرف بمقابلة سعادة الوكيل بعد ظهر اليوم وتنشر آخر ساعة فى العدد ٥٨ الصادر فى ١٨ أغسطس ١٩٣٥ خبرا عن مدير مدرسة البوليس والادارة وقد نفى الخبر مدير مدرسة البوليس والإدارة عزيز على المصرى ذلك فى ١٩٣٥/٨/٢٠ وقد طلب مدير المدرسة من مدير ادارة المطبوعات تكليف المجلة المذكورة بتكذيب تلك الكلمة العارية عن الصحة والتى تنم عن سوء نية وقصد وضيع ، وافادت ادارة المطبوعات بأنه قد تم التنبيه على الاستاذ محمد على غريب رئيس تحرير مجلة آخر ساعة باصلاح هذا الخطأ فى عدد قادم فوعد بذلك (١٩٣٥/٩/٢)

وقد سبق أن أشرنا ـ فى الجزء الأول من هذا الكتاب ـ الى الأزمة التى احدثها مقال نشر بالعدد ١٠٦ من آخر ساعة تحت عنوان سبعة أيام فى هوليوود .. وكانت شكوى قد رفعت الى شيخ الجامع الازهر ، بخصوص ما كتبه الاستاذ مصمص عن هوليوود وقوله : ولكن ذهبت الى هوليوود لرؤية تلك المدينة الساحرة التى طالما حلمت بها وقرأت عنها وتخيلتها مثل جنة عدن ، وتمتاز عنها بأنها فيها جريتا جاربو ومارلين ونبريش وكلودنيب كولبر .. لامشايخ الازهر وبعض كبار العلماء وغيرهم ويقول الشاكى : ليس هذا اول لغو من نوعه غير اننا نشاهد له مثيلا بين الفنية والفنية وان كان مثيله اخف وطأة فى وقت غير الوقت وظرف غير الظرف فنحن قاب قوسين أو أدنى من الاستقلال ومثل هذه الاقلام يجب الضرب عليها بقوة فى بلد أوشكت دول العالم كله ان تعترف انه بلد جدى بعيد عن النبذ المقوت والتغالى فى التطرف تغاليا ممجوجا .

وقد قدم الاستاذ احمد عبد الحق الفقى فى ١٩٣٦/٨/٨ ـ أحد العاملين فى ادارة الصحافة والنشر مذكرة ردا على الشكوى الواردة الى شيخ الازهر قائلا ، ان

العبارة المذكورة فى المقال إياه ـ لا تحتوى على طعن فى فضيلة شيخ الازهر ولا فى هيئة كبارالعلماء وانما اراد الكاتب معنى لائقا بهم ولكنه اساء التعبير ، ومع ذلك فقد اتصلنا بالمجلة لاقناعهم بمراعاة مقام فضيلة الاستاذ الاكبر وهيئة كبار العلماء بعين الاعتبار وسمو التقدير وقد ابلغ الاستاذ الاكبر بما جاء فى مذكرة الاستاذ الفقى .

وفى ٢٩ اغسطس ١٩٣٦ يقوم السيد ياسين الهاشمى رئيس وزراء العراق بابلاغ القائم بالاعمال للحكومة المصرية بانه تسلم خطاب النيابة المؤرخ فى ٢٧ أغسطس مع صورة المكاتبة من وزارة الداخلية المصرية ووزارة الخارجية بشأن مجلة آخر ساعة ويقول السيد ياسين الهاشمى فى نهاية رسالته الى القائم باعمال الحكومة المصرية فى بغداد ، لا يسعنى تجاه هذا الاهتمام الا تقديم الشكر لما أبدته حكومتكم المحترمة من العناية .

وكانت وزارة الخارجية المصرية ـ مكتب الوزير بطرس غالى باشا قد كتبت فى ٢٢ سبتمبر ١٩٣٦ الى وزير الداخلية بالنيابة تشير به الى خطاب ياسين باشا الهاشمى .. وقد طلب وزير الداخلية بالنيابة عرض الامر على دولة الباشا (رئيس مجلس الوزراء) عند عودته لاهتمام دولته بهذاالصدد وقد اطلع دولته على صورة الخطاب ونملى ما كانت آخر ساعة قد نشرته عن الاميرة عزة (العدد رقم ١٠٥ الصادر فى ٧ يونيو ١٩٣٦) .

ونستأذن القارىء ، والقارئة ـ بطبيعة الحال فى ان نسقط من العنوان ومن الموضوع ، بعض الاسماءوالعبارات التى يمكن ان تشير الى اسم الاميرة وأسرتها ، وقد يندد ذلك عزبنا ، أو كيف يسمح التابعى فى عام ١٩٣٦ بان يكتب الاسماء ، وينشرها ثم نجىء نحن فى عام ١٩٨٩ ونعتذر عن نشر الاسماء ولكن عندما نشرح فى ـ ايجاز ـ الظروف التى تدعونا الى عدم نشر الاسماء قد يعطينا القارىء ، والقارئة العذر فيما اتجهنا اليه ، ذلك ، اننا نرى ـ من وجهة نظر شخصية بحتة أن الموضوع الذى اثار غضب الحكومة العراقية لأنه تناول شخصية أميرة بعينها وتناول ـ بالتالى ـ سمعة الاسرة التى تنتسب اليها تلك الاميرة قد تسىء ـ ولو من بعيد ـ الى شخصية بعض أبناء أو أحفاد تلك الأسرة ممن يكونون قد بقوا احياء اليوم ، او يمكن ان يسىء الى بعض ممن ينتمون الى تلك الاميرة ، التى لم ندر هل نجح زواجها ام لا ، وهل طلقت ام لا ، ومن المحتمل ايضا ان تكون قد طلقت ومن المحتمل ان تكون قد تزوجت وأنجبت وبالتالى يؤذى النشر هؤلاء واولائك ونحن فى مجال التاريخ ، لا نحب ابدا ـ ولو على حساب حرية النشر ـ ان نسىء من قريب ، او من بعيد الى اى كائن كان ، وقد يرى بعض أنصار حرية النشر ، اننا نخطىء ، عندما نسلك هذا الطريق ، وأنه ما دامت الصحيفة

قد نشرت الواقعة فقد أصبحت جزءا من التاريخ لاسبيل الى اسقاط بعض اجزائها على أننا ـ حتى ولو كان اصحاب هذا الرأى على حق ـ فاننا لن نلتزم أبدا بهذا الخطر ، ونفضل ان نكون مقصرين علميا على ان نكون من المسيئين اخلاقيا ، لبعض الافراد حتى ولو كانوا بعيدين جدا عنا فالمسألة مسألة مبدأ ، لامسألة أشخاص .

وقد كان عنوان الموضوع :

كريمة .... صاحبة السمو ...... تصبح مدام خرا لمبو .

اميرة تتهم شقيقها بالسرقة

اما الموضوع فهو ـ بعد ان اسقطنا منه بعض الاسماء وبعض الاشارات والعبارات ـ مايلى :

هى مأساة من تلك المآسى ، التى لايمكن تفسيرها ، الا بأنها ضريبة القدر على الأسر الكريمة ولقد حدثت مأساة شبيهة ، منذ بضع سنوات ، يوم تزوجت صاحبة السمو الامبراطورى ، فيتكوريا شقيقة غليوم الثانى ، إمبراطور ألمانيا السابق ، من أفاق روسى ، كل رأس ماله أنه شاب جميل ، فى ربيع العمر ، بينما الاميرة كانت قد جاوزت الستين من عمرها ، وعلل الناس سقطة أميرة هوهو نزلرن ، على أنها ثورة النفس التى تأبى أن تنزل على حكم الشيخوخة . أو هى ثورة دم ، تطلب راحة الاعصاب واشباعها بأى ثمن !

وكان الزواج مأساة من صباحه الى مسائه ، وماتت شقيقة الامبراطور ، وهى فى فقر مدقع ، بعد أن دفعت من كرامتها ودمها ، ومالها ، ثمن الساعات القليلة ، التى تمرغت فيها أعصابها ، تشتهى الراحة حتى أصابها الكلل .

واليوم تقع مأساة ثانية ، هى فى اعتقادنا أدمى للفؤاد ، واشد جرحا ، لقلب كل شرقى كريم . ويعنى زواج الاميرة وعمرها ثلاثون سنة ، من جرسون يونانى الاصل ، ايطالى الجنسية ، إسمه انسطاسى خرالمبو ، وعمره ٢٥ سنة .. والى القارىء التفاصيل :

منذ عام تقريباً ، ذهبت الاميرة عزة الى جزيرة رودس ، للاصطياف ، ونزلت سموها فى فندق الورد وهناك بين خدم الفندق ، وقعت عينا الاميرة على خادم اسمه ، انسطاسى ... وكان غرام ، واتصال ، أساسه من طرف الحب الثائر الاعمى ، ومن الطرف الثانى الطمع فى جمال ، ومال ....

وعادت الاميرة الى بغداد ومنذ ثلاثة شهور ، ترك الجرسون عمله ، فى فندق الورد وتبع الاميرة الى بغداد ، وكان بينهما مايكون بين المحبين ولكن حاشية الاميرة ،

والمحيطين بها شكوا فى الامر ، فاحمرت منهم العيون ، وبيتوا شرا للجرسون الافاق ..

وأحست الاميرة بالخطر ، الذى يتهدد رجلها ، فأوعزت اليه أن يغادر بغداد ، حالا ، لان حياته فى خطر ...

وغادر خرالمبو ، بغداد ، الى ايطاليا .

كان هذا منذ ثلاثة شهور .

ومنذ عشرين يوما تقريبا ، غادرت الاميرة عزة ، وشقيقتها الصغرى : ومعها سكرتير خاص .... وغادروا بغداد الى أثينا . ولعل الاميرة عزة ـ أو من كانت تدعى كذلك ـ لعلها جعلت حجتها ، رغبتها فى الاصطياف ، ونزلوا ، جميعهم فى فندق « الاكروبول » .

وفى نفس الوقت الذى وصلت فيه الزائرات الملكيات عاصمة اليونان ، دخلها كذلك انسطاسى خرالمبو ، قادما من ايطاليا . وتفهم من هذا : أن عزة ، وخرالمبو كانا على موعد محدد من قبل ..

وراح خرالمبو ـ فى السر ـ يعد معدات الزواج ، ويستخرج الاوراق ، والمستندات بمساعدة محام ، خبير فى هذه الشئون .

وذات يوم ..... خرجت الاميرة عزة من الفندق .... وفى مكان معين ، قابلت خرالمبو ، وسافر الاثنان الى قرية . فيكسيا ، وهناك فى كنيسة القرية الصغيرة ، تم تنصير الاميرة ، ولاحول ، ولاقوة الا بالله ... وأجريت طقوس العتميد ، واتخذت حضرتها اسم (انسطاسيا) ..... وبعد التنصير أجريت مراسيم الزواج ، وغادرت انسطاسيا قرية فيكسيا ، ومعها زوجها انسطاسى خرالمبو ، وعاد الاثنان الى اثينا ونزلا فى فندق « الاطلانطيق » .

وذاع الخبر فى أثينا ، واتصل بصاحبة السمو شقيقتها ، فلم تصدق ، فى أول الامر ....

فلما أن ثبتت صحة الخبر ، أغمى على سموها .

أما السكرتير الخاص ، فقد حاول الانتحار ، حزنا ، وربما أيضا رهبة من المسئولية ، التى سيقدم عنها حسابا ، لمولاه ولكنهم حالوا بينه وبين الموت .

وذهبت الاميرة الشقيقة ، الى السفارة البريطانية ، فى أثينا ، تسألهم المعونة فى إنقاذ شقيقتها من هذا المجنون .

ولكن ماذا يستطيع السفير أن يفعل فى مأساة ، كهذه ، إتخذت شكلا قانونيا صحيحا ، من كل الوجوه ؟ ومع ذلك ، فقد ذهب كبير من رجال البوليس ، الى فندق

الاطلانطيق ، وفحص أوراق (العروسين) فوجدها تامة ، وصحيحة ، من كافة الوجوه فعملية التنصير قد استوفت كل مايطلبه القانون . والزواج قد تم طبقا لما يطلبه القانون ... !!

وبعد هذا تقدمت الاميرة ، ومعها الاستاذ مافريكس المحامى ، الى النائب العمومى ، فى اثينا ، ببلاغ تتهم فيه شقيقتها عزة ـ أو انسطاسيا ـ بسرقة مجوهرات قيمتها ٦٠٠٠ جنيه ، وهى مكونة من عقد من اللؤلؤ ومن خواتم ، وقروط ، وحلى أخرى من الماس .. وكذلك مبلغ ١٥٠٠ أوراقا ماليه .

وحقق النائب العمومى ، فى هذه التهمة ، واستدعى امامه انسطاسيا ، وزوجها ، فقالت هى : ان هذه المجوهرات ملكها ، لانها ورثتها عن المغفور لها ، والدتها .

وهنا استدعى النائب العمومى ، المدعية الاميرة وواجه الشقيقتين بعضهما ببعض ! .. ويإله من موقف !

وتبين أخيرا ، انه ليست هناك سرقة ، وانما هناك خلاف على تقسيم الميراث ... وهكذا حفظت الشكوى !

وقد تحدث بعض الصحفيين الاجانب ـ فى اثينا ـ الى انسطاسى خرالمبو ، فكان مما قاله لهم : إنه يحب الاميرة (كذا ؟) وانها تحبه ، وان حبهما قد صادف عقبات كثيرة ، ولكن الحب انتصر على كافة العقبات ... وان شملهما قد اجتمع ، فلا يفرق بينهما سوى الموت ...

وهنا سأله صحفى عما اذا كان لايخاف على حياته ، من الامراء وهم مشهورون بأنهم قوم لا يسكتون على الضيم ؟

وسكت خرالمبو ، ولم يجب ... ولكن وجهه علته صفرة الخوف !

ويعلن التابعى عزاءه الصادق للاسرة الكريمة ـ أسرة الاميرة عزة ـ فى هذه النكبة التى دونها الموت والتى تجل عن كل عزاء .

وكانت آخر ساعة قد تعرضت لأزمات عنيفة ، بسبب أخبار نشرتها عن الملك الاميرات ، ولكن هذه الازمات .. للعلاقات الطيبة التى كانت تربط الاستاذ التابعى برجال القصر وفى مقدمتهم احمد حسين ـ كانت تسرى بسرعة .

وقد تعرضت آخر ساعة ، ايضا للعديد من الازمات وعرضت الدولة أيضا للكثير من الازمات بسبب ماكانت تنشره عن بعض الدول الاجنبيه وخاصة المانيا وايطاليا .

وسنكتفى هنا بالاشارة الى بعض مانشرته آخر ساعة فى هذا الخصوص وإلى بعض الخطابات السرية ، المتعلقة بها .. ومن بين تلك الاخبار مانشر تحت عنوان :

ماذا يقول البروتوكول ؟
حول تشريف جلالة الملك الاحتفال بليلة الاسراء

مسكين هذا البروتوكول المظلوم ... ومساكين رجال القصر الذين يعانون من البروتوكول وقواعد البروتوكول التى لاتعرف الشفقة ولا الرحمة كثيراً من العناء والمشقة !

احتفل فى مساء الاثنين الماضى بليلة الاسراء بالمراسم الرسمية المألوفة ، وكان جلالة الملك قد أبدى رغبته السامية فى حضور الاحتفال الذى أقيم بهذه المناسبة فى مسجد البوصيرى بالاسكندرية ، وهنا تحرك رجال البروتوكول وقالوا ان هذا الاحتفال له صبغة رسمية وجلالة الملك لم يبلغ بعد سن الرشد السياسى والمادة كذا من باب كذا فى صفحة كذا . من معجم البروتوكول تنص على أن تشريف جلالته فى حفلة رسمية كهذه ان لم يكن متعذرا فعلى الاقل فيه قولان !!

واتصل هذا البحث الطريف بجلالة الملك فضحك وقال انه يحرص على حضور هذه الحفلة - لابصفته ملكا - ولكن كمصرى وكمسلم يهمه ألا يفوته حفل دينى كهذا الحفل المبارك .

وأمام رغبة جلالة المليك المحبوب تراجع رجال البروتوكول العتيق الى الوراء .

ولكن البروتوكول أبى أن يرضى بهذه الهزيمة فثار من جديد عندما أبدى صاحب السمو الملكى الامير محمد على رغبته فى حضور الاحتفال بليلة الاسراء فى مسجد الحسين بالقاهرة .

ذلك انه كان من المقرر ان يحضر هذه الحفلة مندوب عن جلالة الملك ، وله بهذه الصفة أن يتقدم على سائر الموجودين وأن يكون له المقام الأول بين الحضور .

وهنا قيل هل من الضرورى أن يحضر الحفلة مندوب عن جلالة الملك وهلا يكفى حضور رئيس مجلس الوصاية وعضويه ؟

وقيل لا .. تمثيل جلالة الملك أمر لامفر منه ... وتقدم ممثل شخصه الكريم على سائر الحضور مسألة لامفر منها .

وانتهى البحث الجديد بعدم حضور أعضاء مجلس الوصاية .

وفى ١٩ اكتوبر ١٩٣٦ رفع الاستاذ أحمد فريد رفاعى مدير ادارة الصحافة والنشر والثقافة إلى حضرة صاحب السعادة وكيل وزارة الداخلية المذكرة التالية .

بناء على المحادثة التليفونية التى جرت بالأمس بينى وبين حضرة صاحب السعادة أحمد محمد حسنين باشا بشأن مقال نشر فى مجلة آخر ساعة المصورة جاء فيه ذكر حضرة صاحب الجلالة الملك على وجه لا يصح صدوره أرفع لسعادتكم هذه المذكرة راجيا صدور الأمر بالاتصال وديا بالجرائد والمجلات كيلا تتناول ذاته الكريمة بما لا يليق بمقامه السامى الجليل .

ومرة أخرى - وفى ١٢ ديسمبر ١٩٣٦ قدم الدكتور رياض شمس من ادارة الصحافة والنشر والثقافة مذكرة الى الاستاذ احمد فريد رفاعى مدير الادارة بخصوص مجلة آخر ساعة العدد ١٢٧ بتاريخ ١٣٠ ديسمبر ١٩٣٦ هذا نصها :

اولا - نشر المحرر على الصفحة السادسة حديثا على لسان حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق الاول ذهب فيه الى حد ان جلالته ادلى برأيه فى الازمة الدستورية الانجليزية وصرح ان من واجب الملك ان يعدل عن هذا الزواج لان اول واجب للملك هو احترام القوانين والمحافظة عليها .. الخ .

ولما كنا نشك كثيرا فى ان جلالته أفضى بتصريح كهذا ، وكان فى نشر مثل هذا الحديث المزعوم اقحام لاسم جلالة الملك فى شئون تتصل بالسياسة العليا لدولة اجنبية صديقة فانا نرفع الامر الى سعادتك للنظر .

ثانيا - نشرت المجلة على الصفحة الحادية عشرة صورة امرأة تطالب زوجها بثمن كعك العيد فيخاطبها قائلا .. يعنى عايزه تخربى بيتى يامسز سميسون نمرة ٢ .

ولعل اتخاذ مصاب دولة صديقة وسيلة للتفكه ، امر ينأى عنه الذوق الصحفى العالى ، وربما كانت هذه السنة غير السليمة جديرة بعناية سعادتكم .

وقد اشر الاستاذ زيد رفاعى الى الاستاذ البنا بالتأشيرة التالية :

رجاء العرض على حضرة صاحب السعادة الوكيل بأمل التصرف فربما يرى سعادته ان يستدعى الاستاذ التابعى لإلقاء نظره الى خطورة نشر مثل مانشر والرأى مفوض .

ويرد سعادة الوكيل بأنه لامانع من ان يتصل حضرة مدير الادارة بالاستاذ موضحا له وجهة نظر الادارة ولاشك فى انها فلتة غير مقصودة وان حسن النيه متوفره .

وقد تم التنبيه فى اليوم التالى .

ويلاحظ هنا لاول مرة أن وكيل وزارة الداخلية يقف الى جانب الصحفى ويتلمس له المعاذير ويؤكد حسن نيته .

والجدير بالذكر ان الاستاذ الدكتور رياض شمس الذى ثار تلك الثورة من أجل الذات الملكية كان واحداً من الذى أدينو - فيما بعد - بتهمة العيب فى الذات الملكية. وقد دخل - بسبب تلك التهمة السجن بعد إدانته وقضى فى قره أرميدان شهوراً عديدة كسجين للعيب فى الذات الملكية .

وتقول أخر ساعة ايضا وفى نفس العدد ..

اهتزت اعصاب الناس فى مصر لما تواترت الأنباء من أن ايطاليا تنفق ببذخ على الدعاية فى مصر ضد انجلترا ، وضد المعاهدة وقد كتبنا فى هذه المجلة عن بعض ماكشف عنه التحقيق من اتصال احدى الجمعيات ببعض الايطاليين فى مصر وقد نشرت إحدى وكالات التلغراف تلغرافا ورد اليها من روما يفيد ان المجلس الفاشستى قد قرر مبلغا لنشر الدعاية فى مصر وقد علمنا انه فى الاسبوعين الماضيين قد هبطت شحنة من الاموال وارد روما وان احدى الصحف قد قبضت مبلغا من المال ينفخ فيها الحياة وان هذه المبالغ قد هيأت فرصة للمطابع التى أخذت تطبع الصحف والمجلات والمنشورات والكتب والرسائل طعنا فى المعاهدة فهل لنا ان نتساءل الى متى تظل الوزارة ساكتة متمسكة بهذه الحنبلية فى معاملة هؤلاء المعارضين الذين كان معقولا تركهم لوكان حسن النيه رائدهم ؟

وتمضى آخر ساعة قائلة : هلا يذكر هؤلاء الذين يستطيعون اخذ هذه الاموال من ايطاليا مافعلته هذه الدولة بطرابلس الغرب الاسلامية وبالحبشه المسيحية ...

افلا يفكرون فيما يمكن أن تجره هذه الحالة من دسائس أجنبية فى قلب هذه الامة الآمنة المطمئنة ؟

وهل يبلغ طيش أحلامهم ولدد خصومتهم للوفد حد إثارة الفتنة وإيقاظها ؟

خبر نشرته آخر ساعة تحت عنوان لحساب من يعارضون ؟

الضربة القاتلة للمعارضة تتمثل فى انه ليس هناك من يستمع اليها وعلى الرغم من صفاقة وجوه المعارضين فان هذه الوجوه قد استبدلت اليوم بطراز أشد صفاقة واقوى على احتمال اللطمات ولسنا نذيع سرا اذا قلنا ان دولة اجنبية - هى ايطاليا بالعربى الفصيح صرفت جهودها الى افساد علائق المودة بين مصر وانجلترا ومن غير حاجة الى ذكاء باهر نرجو ان يقرأ الناس معنا هذه العبارة فى كتاب المارشال اكيونزه وكانت الحملة الاولى ترمى الى كسب رؤساء القبائل الى جانبهم بواسطة المال الكثير وقد نجحت هذه الخطة الى حد انها استمالت اليهم ٢٠٠ الف رجل ..

هذا ماتم فى الحبشة والدولة التى تشترى مائتى الف رجال تظن انها قادرة على شراء عشرة أو عشرين ...

وواضح ان الخبر غير مقنع على الاطلاق فما ينجح فى الحبشة ، قد لاينجح بالضرورة فى مصر ولقد كانت اخر ساعة شديدة القسوة ـ وبدون دليل ـ على المعارضة والمعارضين بهذا الكلام وتعود اخر ساعة فى العدد ١١٩ الى نفس الموضوع ولكن تحت عنوان مستندات رسمية ، عن الدعاية الايطالية فى مصر ، وفيما يلى نص مانشرته آخر ساعة تحت ذلك العنوان ..

كنا اشرنا فى عدد سابق الى نشاط ادارة الدعاية الايطالية فى مصر واقترانها بنشاط حضرات المعارضين وتساءلنا من اين جاء هؤلاء المعارضون بالمال ينفقون منه على استئجار الدور لعقد الاجتماعات وطبع النشرات ودفع اجور الرسل الذين ينبثون بين بعض فئات العمال مع أنهم معروفون للناس بضيق ذات اليد .. ثم نشرنا تلغرافا يقول ان حكومة أجنبية قد وافقت على اعتماد مالى كبير لبث الدعاية فى الشرق ضد انجلترا ولتشجيع حركة المعارضة ضد المعاهدة فى مصر ، وقلنا نحن هل هناك صلة بين نشاط المعارضة وبسط يدها بالاتفاق .. وبين هذا الاعتماد المالى الكبير ؟ !

هذا مانشرناه منذ اسبوعين : والان نستطيع ان نقول ان دار المندوب السامى قد بعثت الى الجهات المصرية المختصة بصور مستندات حصل عليها قلم المخابرات البريطانية وهذه المستندات تثبت بالدليل القاطع وجود صلة بين ادارة الدعاية الاجنبية المذكورة وبين بعض المعارضين فى مصر (والحمد لله على ان هؤلاء المعارضين ليسوا من رجال مصر المعدودين) ـ وهذه المستندات لابد وان تكون قد عرضت الآن على صاحب الدولة رئيس الوزراء .

واذن فصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا لم يكن متجنيا على احد يوم قال فى مجلس النواب ان هناك هيئة متصلة باحدى الدول الاجنبية .

وفيما يلى بعض الاوراق الرسمية ، الخاصة باحتجاجات بعض الدول الاجنبية وخاصة ايطاليا ، على مانشرته آخر ساعة ، فى تلك الايام :

وفى ١٩٣٦/١٠/٢٢ رفعت الى حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء مذكرة من ادارة المطبوعات تخبره فيها ان مدير ادارة المطبوعات قد استدعى اليوم (١٩٣٦/١٠/٢٢) الاستاذ محمد التابعى الى مكتبنا وأفهمناه بوجهة نظر حضرة صاحب الدولة الوزير « وزير الداخلية هو رئيس مجلس الوزراء » فيما يختص بمقام جلالة الملك والملكة ومجلس الوصاية .

وقد بسطنا له وجهة النظر فيما يختص بالدول الاجنبية وان مصلحة البلد الكبرى تقتضى نوعا من المصادقة والمحاسبة فتقبل هذه الملاحظات راضيا ووعد بعدم التعرض لهذه الشئون مستقبلا .

وقد اشار دولة وزير الداخلية بعرض الشق الاول على سعادة وزارة القصر وذلك فى ١٩٣٦/١٠/٢٤ وقام حسن فهمى رفعت وكيل وزارة الداخلية بابلاغ زميله وكيل وزارة الخارجية باستدعاء الاستاذ التابعى والفتناه الى مانشر فى مجلته خاصا بالدول الاجنبية وان مصلحة البلد تقتضى نوعا من المجاملة فتقبل هذه الملاحظات راضيا ووعد بعدم التعرض لهذه الشئون فى المستقبل .

كما ابلغ حسن فهمى رفعت وكيل وزارة القصر البرلمانى باستدعاء الاستاذ التابعى والفتناه الى مانشر بمجلته بمقام حضرتى صاحبى الجلالة الملك والملكة وحضرات اصحاب السمو والشرف الرفيع اعضاء مجلس الوصاية فتقبل هذه الملاحظة راضيا ووعد بعدم التعرض لهذه الشئون فى المستقبل .

ومن الاخبار التى نشرتها آخر ساعة وتسببت فى احتجاجات شديدة من بعض المفوضات الاجنبية فى القاهرة ، وبالخصوص المفوضية الايطالية :

فى العدد ١١٧ من آخر ساعة نشرت المجلة تحت عنوان : المعارضة ومن الذى يغذيها بالاموال وقد جاء فى هذا الخبر الذى استغرق صفحة كاملة :

اهل الفضول فى عجب فهل من يجيبهم على هذا السؤال : من اين تنفق المعارضة ومن اين لها هذه السعة ، وهذا اليسر فى الانفاق على طبع النشرات والخطب وعقد الاجتماعات ومساعدة بعض الصحف لكى تنشر لها ماتريد :

هذا نشاط لابد له من مال ، وماعرفنا ولاعرف احد ولاسمعت أو سمع احد زعماء هذه المعارضة ، او افرادها ، جملة وقطاعى - قد عرفوا فى يوم من ايام حياتهم بالسعة وبسطة العيش ، او ان لهذه المعارضة ، حزبا منظما يجمع شملها ويحمل اعضاؤه عبء النفقات .

من اين هذا كله .. ؟

وحزب مصر الفتاه - ان جاز ان يترك لفظ حزب الى وصف هذه الجماعة - من اين له بهذه الاموال التى ينفقها ويغذى بها نشاطه المعووج ؟ .. فى كل هذه اسئلة تطلب جوابا والا فأهل الفضول فى عجب واعذروا من كان فى عجب اذا اتسعت اذنه للهمس والاشاعات ففى الاسكندرية - كما يقول قائل من أعيان المدينة فى خطاب يبذل رعايا ايطاليا الساكنون فى الاحياء الوطنية نشاطا عظيما فى اقناع الاهالى بضرر

المعاهدة والتحالف مع انجلترا وان الغرم، سيكون علينا والغنم للانجليز وبأساليب مختلفة يبذل آخرون عنايتهم فى إفهام بعض الاجانب بالانتقام من الاجانب اذا ما الغيت الامتيازات ولايخفا كم مايسبب لنا ذلك من الضرر فنرجو التفكير فى العمل .

فهل هناك علاقة بين المعارضة المصرية وهذه المعارضة الايطالية ؟

وهل هناك صلة بين نشاط حزبنا الوطنى وجماعة مصر الفتاه وبين نشاط هؤلاء الايطاليين .

ثم تقول آخر ساعة انه قد يقال إن للايطاليين مصلحة فى احباط المعاهدة وقد يقال ان للحزب الوطنى ومن يلف لفه كذلك مصلحة فى الغاء الاتفاق ، ولكن ليس من الضرورى أن تخل إيطاليا بالاتفاق ... ممكن هذا وأن يقال ان الامر ، صدفة . !!

أزمة اخرى اعنف واشد تعرضت لها آخر ساعة بسبب نشرها لخبر مؤداه ان شارلى شابلن ـ الفنان الساخر يقوم باعداد فيلم يسخر فيه من هتلر ، رئيس الدولة الالمانية .

وقد ثارت المفوضية الالمانية فى القاهرة ثورة عارمة لنشر هذا الخبر ـ وكان للمفوضية الالمانية وقتذاك ـ فبراير ١٩٣٩ ـ نفوذها القوى فى مصر وقد كتبت المفوضية الالمانية بالقاهرة الى وزارة الخارجية المصرية تحتج على نشر هذا الخبر .

وقد بعث سعادة وزير الخارجية المصرية ـ فى فبراير ١٩٣٩ الى حضرة صاحب العزة النائب العام ، الرسالة التالية :

أتشرف بأن أرسل لعزتكم مع هذا المذكرة الواردة الينا من المفوضية الالمانية المتضمنة شكواها مما نشرته مجلة آخر ساعة بعددها الصادر فى ١٢ فبراير الجارى بصدد الشريط السينمائى الذى قالت ان شارلى شابلن يزمع عمله للسخرية من رئيس الدولة الالمانية اذ ان فى نشر مثل هذا الخبر تعكير للصلات الودية بين البلدين ، وطلب ايقاف الجريدة المذكورة عند حدها .

فالمرجو التكرم باتخاذ اللازم نحو التحقيق مع المسئولين عن تحرير هذه المجلة والافادة بما يتم لإبلاغه الى المفوضية الالمانية ومرسل مع هذا المقال المشكو منه للاطلاع ..

والجدير بالذكر ، انه كان للمفوضية الالمانية فى القاهرة وكذلك للمفوضية الايطالية فى القاهرة ، نفوذهما الكبير الذى كان يضاهى ـ فى بعض الجهات ـ نفوذ السفارة البريطانية ، وقد كان للالمان وللايطاليين فى كثير من الجهات الرسمية نفوذهم الكبير وقد كان للفيرونس ـ الايطالى نفوذه القوى فى سراى عابدين . الأمر ،

الذى جعل مطلب الاستغناء عن فيرونس من المطالب الدائمة للمندوب السامى البريطانى عندما كان لبريطانيا مندوب سام بريطانى فى مصر وللسفير البريطانى عندما تحول المندوب السامى - فى مصر - الى سفير ، ومما يذكر انه عندما طلب احد المندوبين السامين البريطانيين من الملك فؤاد الاستغناء عن خدمات فيرونس ، طلب الملك فؤاد من المندوب السامى البريطانى الاستغناء عن واحد من كبار موظفى دار المندوب السامى البريطانى ، فى مصر ، وكان احراجا للمندوب السامى ماسبق قبله إحراج . !

وقد كانت هناك ازمات شبه دورية ، تواجه آخر ساعة وتؤخر نموها الى حد كبير ، وكانت تلك الازمات تقلق بال الاستاذ محمد التابعى الى حد كبير ، فقد كان من عادة التابعى ، أن يسافر الى اوروبا ٧ اشهر شبه مقررة من كل عام .. فقد كان يرى ان الصحفى الذى يجلس الى مكتبه صحفى فاشل ، وأنه لابد للصحفى من ان يتحرك ويسافر الى كثير من بلاد العالم ، وخاصة البلدان التى تصنع الاخبار كما انه كان يرى ايضا ، ان لجسمه عليه حقا فى الراحة ، والاستجمام وتغيير الهواء الى جانب أنه كانت هناك ظروف طارئة تحتم على محمد التابعى ان يكون على مقربة من الملك فى بعض جولاته الاوربيه سواء اكانت تلك الجولات والملك لم يباشر بعد سلطاته الدستورية أو بعد مباشرته سلطاته الدستوريه ، وقد كانت حاشية الملك فاروق ترتاح الى محمد التابعى وترى فيه صحفيا نموذجيا لايكتب الا ما فيه الصالح العام ولايلجأ الى الفبركة ، كما يلجأ غيره من الصحفيين وكان الشىء الذى يتميز به التابعى فى كل رحلاته انه كان ينفق ببذخ كما ينفق الامراء ، واصحاب العروش : كان ينزل - مثلا - فى الفنادق ، التى كان ينزل فيها الملوك والامراء ، وكبار الاغنياء وكان يغشى الاماكن التى لايرتادها الا هؤلاء ومرة خشى النقراش باشا ، من نزول التابعى - فى فرنسا - فى فندق كريون حيث تنزل الملكة الوافدة (نازلى) وخاطب رئيس تحرير آخر ساعة فى ذلك وخاطب رئيس التحرير بالانابة رئيس التحرير الأصلى محمد التابعى فى ذلك وأصر التابعى على ان يبقى فى ذلك الفندق ، لانه لاينزل عندما يكون فى باريس - الا فى ذلك الفندق وقد كان توزيع آخر ساعة يهبط عندما يكون التابعى فى الخارج وينشط عندما يكون بالقاهرة الامر الذى كان يؤثر فى نفسية التابعى الى حد كبير كما ان العلاقات كانت تسوء بين كبار العاملين فى آخر ساعة - وخاصة بين حسين التابعى ، ومصطفى امين - عندما يكون التابعى فى الخارج ، وذلك لاسباب تافهة وكان كل منهما - حسين ومصطفى - يكتب بتفاصيل الخلاف الى التابعى فى الخارج فتزعجه كثيرا .

هذا بالاضافة الى العديد من الازمات السياسيه التى كانت تطرأ والتابعى فى الخارج ويعجز خلفاؤه فى القاهرة فى ملافاتها كما حدث عند اشتداد الخلاف بين الوفد

وبين احمد ماهر والنقراشي ، وصعوبة الحفاظ بصداقة الطرفين امام مجلة وفدية كآخر ساعة الى اخرتلك الازمات التي كانت تقف حجر عثرة في سبيل انطلاقة اخر ساعة كما يريد التابعي .

وفيما يلي بعض الاسئلة على تلك الازمات :

في ٧ مارس ١٩٣٧ ومن سانت مورتيز كتب التابعي الى شقيقه حسين يقول انه قابل الملك فاروق بعد ان قدمه بعض رجال الحاشيه اليه وانه اى الملك تبسط معه في الحديث حول لبنان وسان مورتيز وشهيته للاكل وعدم شهيته وان رجال الحاشيه اقبلو يهنئونه بهذا اللطف .

قال التابعي هذا الخبر ليس للنشر ارجوكم لا في آخر ساعة ولا في المصرى ولم ابعث به لابى الفتح مخافة ان ينشروه والسبب في رغبتي في عدم النشر هو ماقد يعمله الامير محمد على الذى يلاحقنى باضطهاده حتى في أوربا وسوف اقص عليكم ماحدث ان شاء الله بعد عودتى وسوف ينزل الامير غضبه على حسنين باشا لانه قدمنى للمك .. وكأنما كان بين الأمير محمد على ومحمد التابعي تأثر بايت التابعي ينشر الاخبار غير السارة عن الامير محمد على والامير محمد على دائم الاضطهاد للتابعي في اوربا وفي مصر وقد انتهت الخلافات بين الامير محمد على ومحمد التابعي في محكمة الجنايات حيث حكم على التابعي بالسجن ٦ أشهر لعيبه في الامير محمد على .

وفي رسالة اخرى في ١٩يونيو ١٩٣٧ كتب التابعي الى شقيقه حسين رسالة يقول فيها كتبت لاحدكم انت او على او قاسم عن حكاية لامين البارودى وقلت انها قضت اول ليلة لها في باريس في الكوبول وكتبت في الخبر نفسه ان الخبر شخصى محض وليس للنشر لأنكم تعرفون علاقتى بها او على الاقل علاقتى بابن خالتها وولى امرها سمير ذو الفقار ووضعت يومها خطا تحت هذا التحذير لذلك تألمت وغضبت جدا حين وجدت الخبر منشورا في المجلة والمجلة لاتصلنى كما تعلم ولكنها تصل مولانا الملك وقد اطلع على الخبر حسن بك سكرتير الملك واخبرنى به فهل افلستم الى هذا الحد في الاخبار حتى انكم تنشرون كل مايصلكم ولو كان ضد رغبتي .

● مشكلة اخرى اثارتها آخر ساعة عندما نشرت في غياب التابعي ان الخديوى السابق عباس حلمى خلع بسبب غرامه بامرأة ولقد قال التابعي في رسالته تلك :

صحيح ان الحكاية التي نشرتموها مترجمة عن جريدة أجنبية ولكن المعلومات التي احتوتها خطأ في خطأ وسخيفة .

واسباب خلع الخديوى معروفة والخديوى خلع وهو خارج مصر لابعد عودته الى مصر فكان في وسعكم اذا ماكان ولابد لكم من نشر حكاية سخيفة كهذه ان تنشروها

وتعلقوا عليها بما يفيد ان المعلومات خطأ ويقول التابعي ان جميع من قابلتهم هنا من المصريين الذين اطلعوا على المجلة يقولون ان مستوى المجلة قد هبط كثيرا جدا ولا ادرى لهذا سببا اللهم الا عدم المراقبه وعدم انسجام اجزاء المجلة مع بعضها اى انه ليست هناك رأس توحد بين أجزاء المجلة وتراجعها .

● من المقالات التى آثارت غضب القراء على مجلة آخر ساعة هى تلك المقالات التى نشرتها فى آخر ساعة هيلين هولت الكاتبه الامريكيه وقد كانت هيلين صديقه مصطفى امين تعرف عليها فى الولايات المتحدة الامريكية ودعاها الى زيارة مصر ووضع لها برنامجا هائلا وسوف نعود الى هذا الموضوع عندما نناقش مهمة هيلين فى زيارتها لمصر والمقالات التى كتبتها عنها وعن الشباب المصرى بنوع خاص .

كتب الاستاذ محمد على حماد رئيس تحرير آخر ساعة رسالة الى الاستاذ محمد التابعي فى أوربا بتاريخ ٢ فبراير ١٩٣٨ يقول له فيها ان مكرم باشا غاضب على موقف المجلة من الخلاف الناشب بين الوفد وبين احمد ماهر والنقراشي وان موقف آخر ساعة مايع وانهما - آخر ساعة - لاتهاجم أحمد ماهر وأنصاره كما يجب - ويقول محمد على حماد للتابعي انه قال لمكرم باشا ان المسئولية فى هذا التقصير على الوفد الذى لايوافينا بالاخبار والمعلومات الصحيحه ونحن لم نقصر فى نشر اى خبر عن الوفد ويقول محمد على حماد فى رسالة أخرى للتابعي بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٣٨ ان مكرم باشا استدعاه هو وعلى أمين وحسين وهبه حيث صارحهم بعدم رضاهم عما تنشره المجلة عن الخلاف بين الوفد وبين ماهر والنقراشي وأنه سألهم بصراحة عما اذا كانت المجلة ستنفصل عن الوفد وتنضم الى ماهر والنقراشي ام لا .

ويقول محمد على حماد انه قال لمكرم باشا نحن باقون كما نحن وفكرة الانفصال عن الوفد او الخروج عليه لم تخطر لنا على بال وان مكرم باشا قال لهم ان آخر ساعة اذا كانت تريد ان يساهم فيها الوفد ويجعلها شركة كالمصرى فالوفد مستعد لها وانهم - حسين وعلى حماد - قالوا لهم ليس هناك مايدعو الى هذا ونحن مدينون من قمة الرأس الى أخمص القدم وبالعكس .

وربما كان اخطر الازمات التى تعرض لها التابعي و آخر ساعة هى تلك التى انتهت بمعاقبة محمد التابعي افندى ، ومصطفى امين افندى بالحبس مع الشغل لمدة ستة أشهر مع ايقاف التنفيذ وتعطيل جريدة آخر ساعة الاسبوعية لمدة ثلاثة شهور ونشر الحكم فى جريدة الاهرام اليوميه على نفقتها مع اعدام نسخ المجلة المذكوره باسباب الحكم التى ضبطت فيها او التى قد تضبط فيما بعد .

وكان الحكم قد صدر بتاريخ ٢١ اكتوبر ١٩٣٩ من محكمة جنايات مصر ونشر

بجريدة الاهرام فى ١٤ يناير ١٩٤٠ وكان هذا الحكم قد قام عقبة فى سبيل رئاسته لتحرير مجلة آخر ساعة وقد تم استفتاء ادارة قضايا الحكومه : قسم القضايا فى هذا الموضوع ، وقد افاد القسم ـ المستشار الملكى ـ بعد بحث الموضوع من كافة نواحيه بان صحة القذف المحكوم فيها من محمد التابعى افندى لاتمنع من اعتماده كرئيس تحرير عن مجلة ذلك وان ماقضت به الفقره (ثالثا) من الماده ١٢ من قانون المطبوعات من وجود توافر شرط حسن السمعة فى رئيس التحرير او المحرر المسئول من الامور التى يرجع التقدير فيها لوزارة الداخليه .

وانطلاقا من هذه الفتوى ـ بل تأسيسا عليها ـ لم تجد وزارة الداخلية ، مانعا من ان يتولى الاستاذ محمد التابعى رئاسة تحرير مجلة آخر ساعة ابتداء من ٥ فبراير ١٩٤٠ وسوف نعود الى هذه القضية ـ فيما بعد وربما فى دراسة مستقله ـ بالتفصيل .

اما المقالات التى نشرت فى آخر ساعة فى غياب التابعى وتسببت فى حدوث ازمات عدة وفى إغضاب التابعى فنشير فقط الى اثنتين منها : الاولى نشرت فى العدد ١٥٣ تحت عنوان راقصة كانت السبب فى خلع الخديو عباس وكانت مقدمتها :

« كاتب هذا المقال المسيو ارمان ميجان البوليس السرى سابقا بالسيروتيه أو سكوتلانديارد باريس وقد لازم جنابه سمو الخديوى عباس فى المدة القصيرة التى قضاها بأوربا قبل عزله » .

كلفتنى ادارة الأمن العام الفرنسى أن أراقب خطوات بولو باشا الجاسوس الألمانى المشهور ، واقتضت مهمتى أن أكتسب ثقة الجاسوس الداهية فتمكنت من ذلك حتى اختارنى لأكون سكرتيره الخاص !!

وساعدتنى هذه الثقة على القيام بمهمتى بسهولة مدهشة واستطعت ان أطلع على عدة أسرار كانت على درجة عظيمة من الخطورة والأهمية .

وبينما أقوم بمهمتى ظهر على المسرح الخديوى عباس الذى حضر إلى باريس ومعه يوسف باشا صديق للتفاهم مع بولو باشا على مساعدتهما فى تجديد امتياز شركة قنال السويس وبيع امتياز تصدير الدخان إلى مصر .

ولقد سمعت الخديوى يقول بان الملايين التى سوف يحصل عليها نظير تجديد الامتياز سيقتسمها مع بولو باشا وبعض أعضاء الجمعية التشريعية !

وتوثقت الصداقة بين الخديوى والجاسوس الألمانى بعد تعدد زياراتهما لأندية باريس الليلية أمثال كاباريهات آباى والفأر الميت وغيرها .. واشتدت الصداقة عندما قدم الجاسوس للخديوى عدداً كبيراً من أجمل بنات باريس .

وقال لى الخديوى عباس بأنه لايريد أن يكتشف أحد أمر وجوده بباريس وصرح بأنه لا يريد أن تعرف الحكومة الانجليزية انه قد غادر القاهرة .. لأن كل من فى مصر يعتقدون أن الخديوى ملازم فراشه بقصر عابدين بسبب المرض !

وكان للجاسوس بولو عشيقة اسمها مدموازيل السى بودران وكانت تعمل كراقصة فى احد كباريهات باريس .

ولقد أهمل الجاسوس عشيقته نظراً لملازمته للخديوى فى السهرات حتى أثار ذلك غضب الراقصة الفرنسية .

ومما زاد الطين بلة أن الخديوى كلف بولو بشراء عقد من اللؤلؤ يبلغ ثمنه ٢٠ الف جنيه وقدمه لفتاة إيطالية اسمها انيتا كتالدى تعرف بها فى احدى مقاهى باريس .

واعتقدت الراقصة الفرنسية خطأ أن عشيقها بولو هو الذى قدم العقد للفتاة الايطالية فاشتدت غيرتها وقررت الانتقام .

ولم يخبر بولو عشيقته بشخصية الخديوى حتى لا يكتشف الناس أمر وجوده بباريس .

وبعد أيام سافرت والخديوى وبولو إلى لندن وكان عباس متخفياً فنزلنا جميعاً بفندق كلاردج .

وذهب عباس وبولو للمفاوضة سرا فى أمر بيع امتياز تصدير الدخان نظير ربح شخصى قدره ٣ ملايين جنيه سنويا .

وكان الخديوى كثير التخوف من اكتشاف وزارة الخارجية البريطانية لأمره حتى أنه قال لى عدة مرات .

- يجب أن نحترس .. والا اكتشف امرى هؤلاء الانجليز الملاعين الذين اكرههم ويحقدون على !

وفهمت منه أن الانجليز لا يوافقوان على تلاعبه بامتياز قنال السويس .. ويعارضون فى حصوله على فائدة مادية من امتداد الامتياز .

وحدث بينما كان عباس وبولو يتأهبان للنزول إلى قاعة الطعام .. حدث أن دخل الجرسون وأعلن لبولو أن هناك سيدة رفضت التصريح باسمها وترغب فى مقابلته ..

وبينما كان بولو يتساءل عن شخصية السيدة إذا بالراقصة إلسى بودران تدخل من الباب ..

ونظرت الراقصة إلى عشيقها بولو بخبث وقالت :

ـ والآن .. هل سأتشرف بمعرفة خديوى مصر !

وصعقنا جميعاً لاكتشاف الراقصة لشخصية الخديوى مع احتياط عباس الشديد وكان أشدنا ارتباكا الخديوى عباس .

ولما طلب بولو من صديقته أن تحتفظ بالسر قالت باستخفاف :

ـ لاشك أن هناك معاملات غير مضبوطة يحب الخديوى أن لا يكتشفها الانجليز !

وحدث أن قابلت فى اليوم التالى صديقى المستر دبير رئيس بوليس سكوتلانديارد ، فاخبرنى بان الراقصة قد اخطرت وزارة الخارجية بمشاريع الخديوى الخطيرة وبوجوده فى فندق كلاردج .

واوفدت الخارجية أحد رجالها إلى الفندق للتحقق من شخصية الخديوى ! وكلفت اثنين من رجال البوليس بمراقبة حركاته .

وقال لى صديقى الانجليزى وهو يودعنى .

ـ ستكون هذه الراقصة الغيورة سبباً فى خلع عباس عن عرش مصر .

وعاد عباس بعد أيام إلى مصر وبعد أسابيع خلعت السلطات البريطانية الخديوى .

أما المقالة الثانية فقد كانت بالعدد ١٦٧ وكان عنوانها الدور الذى لعبته ماتا هارى فى حياة الخديوى عباس حلمى : ومقدمتها .

« يروى هنا المسيو ارمان ميجان البوليس السرى الفرنسى بادارة بوليس باريس .. يروى جنابه مقابلة سمو الخديوى عباس للجاسوسة المعروفة ماتا هارى وقد رأينا مع احترامنا لمقام الخديوى السابق أن ننقل لقرائنا الفصل التالى لما فيه من طرافة .. وخيال غريب ! » .

كان سمو الخديوى بطبيعته يكره الانجليز ويميل للالمان وكان اتصال سموه بالسلطات الألمانية فى أول الأمر عن طريق يوسف باشا صديق ثم أصبح وسيطه بعد ذلك الجاسوس الألمانى بولو باشا .

وبعد أن خلعت السلطات الانجليزية سمو الخديوى عن العرش اتصل سموه بالسلطات الالمانية ليستفسر منها عن مشاريعها لاعادته إلى عرش بلاده الذى ضحى به وهو ينفذ اغراض المانيا (كذا !) .

وأفهمت السلطات الألمانية سموه أن فى نيتها إعادته للعرش وتنصيبه سلطاناً

على مصر والسودان عند انتهاء الحرب . وأكدوا لسموه أن الحرب لن تعمر إلا شهوراً قلائل .

ولكن لم يكن الصبر من طباع الخديوى السابق وكان يعتقد بخلاف غيره من الناس أن الحرب سوف تطول وعلى ذلك كان يلح فى كل مناسبة طالباً من الألمان إعادته إلى عرش بلاده ..

وكثيراً ما كان سموه يحتد فى حديثه مع أصدقائه الألمان وكثيراً ما صاح فى وجوههم بأنهم قد أخلوا بتعهداتهم وسمعته يقول ذات مرة وقد تطرق اليأس الى نفسه :

ـ كلما تأخرت عودتى إلى بلادى كلما ضعفت سطوتى ..

ووصل إلى مسامع السلطات الألمانية نبأ تذمر الخديوى فوعدته خيراً ..

وفى مساء أحد الأيام أخبرنى بولو باشا وكنت قد اكتسبت ثقته وأسند إلى منصب سكرتيره الخاص .. أخبرنى جنابه انه ينتظر زيارة الخديوى من وقت لآخر .

وحضر سموه يصحبة يوسف باشا صديق الى قصر بولو باشا .. وكان عصبياً فى حديثه .. يلتفت بين ساعة وأخرى إلى ساعته !

وأثار ذلك دهشتى ورغبتى فى الاستطلاع وعندما أدخلت سموه الى مكتب بولو باشا لاحظت أن عند مخدومى عدداً من الرجال الذين ثبت أثناء محاكمته أنهم كانوا من مساعديه الجواسيس .

وبعد وصول سموه بنصف ساعة حضرت إلى القصر فتاة وإن لم تكن على درجة عظيمة من الجمال إلا أنها كانت ممشوقة القوام .. فى عينيها بريق جذاب يأسرك لاول وهلة .

وقد أعادتنى نظرتها الجميلة إلى شبابى وذكرتنى بفتاة اسمها فيفى كنت أحبها فى وقت من الاوقات .

وأخرجت الفتاة من حقيبة يدها بطاقة زيارة وطلبت منى أن أقدمها لبولو باشا .

ولما دققت النظر فى البطاقة وجدت أنها لا تحمل إسما بل كانت عبارة عن ورقة بيضاء !

وطلبت من الفتاة أن تكتب عليها اسمها .. ولكنها ابتسمت وطلبت منى أن أقدم البطاقة كما هى لمخدومى .

وعندما رأى بولو باشا البطاقة البيضاء صاح بى :

ـ دعها تدخل بسرعة .

ثم سألها باهتمام إن كانت قد انتظرت طويلا ؟ ! ثم أقفل الباب !

ومع أنني حاولت أن استرق السمع إلا أنني لم أفهم كل الحديث .. غير أنني لاحظت أن الفتاة المجهولة الاسم كانت تتحدث مع من بداخل الحجرة بنغمة رئيس يصدر الأوامر لمرؤوسيه .

ومن سياق الحديث فهمت أن الحكومة الالمانية قد رأت أن تشترى بعض الجرائد التى تصدر فى باريس لبث الدعوة لعودة الخديوى عباس إلى عرشه !

وسمعت الفتاة تهمس باسمى جريدتى البتى باريزيان والليبرتيه ويظهر أن الخديوى أعجب بحديث الفتاة لأنه خرج من المقابلة وعلى وجهه امارات الانشراح .

وأحب أن أقف هنا لأقول إن المانيا لم تقدم على شراء هذه الجرائد لمجرد خدمة الخديوى كما اعتقد سموه بل كان غرضها الرئيسى نشر الدعاية ضد بريطانيا ومحاولة اقناع الشعب الفرنسى بخطورة تحالفه مع الانجليز .

وحدث عندما قبض رجال البوليس الفرنسى على الجاسوسة ماتا هارى وقدمت للمحاكمة أن طلبتنى المحكمة التى تحاكمها للشهادة .

وكم كانت دهشتى عندما وجدت أن ماتا هارى الجاسوسة الخطيرة التى دوخت بوليس فرنسا لم تكن إلا الفتاة المشوقة القوام التى أسرتنى بجاذبيتها وذكرتنى بصديقتى القديمة فيفى !

كانت ماتا هارى وأنا جالس فى مقعد الشهود تسلط على جاذبيتها وتنظر إلى نظرة كلها طهر وبراءة فكان قلبى يهتف بى :

ـ ارحمها فقد تكون ضحية ظروف سيئة .

ولكن ضميرى كان أقوى فصاح بى :

ـ قل الحقيقة فهذه الفتاة الطاهرة البريئة قد أودت بآلاف من أبناء وطنك إلى الهلاك !

واشحت بوجهى عن ماتا هارى وسردت للمحكمة ما أعرفه عن هذه المرأة الخطرة وذكرت لها ما حدث فى قصر بولو باشا وما تطرق إلى أذنى من اطراف الحديث .

وقد جاء فى محاكمة بولو باشا بالملف رقم ٢١٧ أن بولو قد استلم بفضل مساعى ماتا هارى على ثلاث دفعات مبلغ مليونين ونصف من الجنيهات كدفعة أولى لشراء الجرائد الفرنسية السابقة الذكر .

وقد ذكر النائب العام ان بولو باشا بدلا من أن يصرفها فى الدعاية لالمانيا أو

الخديوى احتفظ بالمبلغ وصرف جزءا كبيراً منه فى إقامة المآدب وشراء هدايا لصديقاته الكثيرات .

وقد جاء فى هذا الملف أيضا ان سمو الخديوى لما لاحظ تلاعب بولو باشا طلب من السلطات الالمانية أن ترسل إلى سموه مبالغ الدعاية مباشرة .

وارسلت له السلطات شيكا على بنك سويسرا بمبلغ ٢٠ مليون فرنك و ٧٣ سنتيم !! أى ما يقرب من مليون جنيه (لان الفرنك كان محسوبا يومها على قاعدة الذهب) .

ولا أعرف للآن معنى الثلاثة وسبعين سنتيما !

وقد ذهب سمو الخديوى واستلم المبلغ بنفسه .

وسمع بولو باشا بذلك فكان يلاحق الخديوى فى كل مكان طالبا منه تسليم المبلغ بحجة انه هو ممثل الدعاية الالمانية الوحيد فى فرنسا .

ولكن الخديوى اختفى عن الأنظار حتى أثار ذلك ثورة بولو باشا فقال لى مرة :

- Il prit l argent et fila .

اى ان سموه اخذ النقود وهرب !

والمقالة ماخوذة عن كتاب بولو الجاسوس الفذ .

أما مقالات هيلين التى اثارت غضب الرأى العام والتي نشرت ـ ايضا ـ فى غياب الاستاذ التابعى يتخيل الى ـ مجرد تخيل ـ ان صحفيا شابا ـ وقتئذ ـ كان هو الذى يحرر تلك المقالات أو يعيد كتابتها من جديد بعد ان يضفى عليها الكثير من ارائه وافكاره فبصمة ذلك الصحفى الشاب واضحة تماما فى تلك المقالات بل ان الواحد منا ـ اذا مادرس جيدا أسلوب ذلك الصحفى وأسلوب تلك المقالات يجد تقاربا بين الاثنين ، ويخيل الى ـ مجرد تخيل ـ انه كان لهيلين هولت مهمة أخرى غير مهمة البحث عن المتاعب وقد تكون تلك المهمة ـ مثلا ـ التجسس على مصر والمصريين ومن الأمور التى لفتت نظرى ، كباحث مدقق ، ان آخر ساعة لم تشر من قريب أو من بعيد الى الصحف الامريكية التى تكتب لها هيلين ولا يعقل أبدا ان واحدة تجىء من امريكا الى مصر لتعيش ثلاثة أشهر على نفقتها ، كما اننى لم اقرأ فيما بعد فى آخر ساعة أى اسم لأية صحيفة أمريكية قامت بنشر مقالات لهيلين وقد يقال ان هيلين جاءت إلى مصر ، لتعد كتابا عنها واتساءل : اين هو الكتاب الذى ألفته ؟ الشك غامرنى فى هيلين هولت وفى مهمتها الى مصر : وقد كتبت آخر ساعة المقدمة التالية لأول مقالة لهيلين هولت ؛ العدد ٢٢١ .

وصلت إلى مصر فى الأسبوع الماضى الكاتبة الأمريكية الآنسة هيلين هولت وهى تنوى أن تمكث فى مصر ثلاثة شهور تدرس فيها أحوالها وتوافى الصحف الأمريكية بملاحظاتها ومشاهداتها .

وقد اتفقت معها مجلة آخر ساعة على أن يكون لها حقوق نشر مقالاتها باللغة العربية فى مصر ، على أن تنشر هذه المقالات فى مصر وأمريكا فى وقت واحد .

وهذا هو مقالها الأول .

هل هذه مصر ؟!

كدت لا أصدق عينى ، وأنا أرى المبانى الضخمة العالية ، والشوارع المرصوفة الواسعة ، والنساء الجميلات الفاتنات يقطعن الطريق فى أثواب على آخر طراز نيويورك وباريس !

حزنت لأننى رأيت مصر أمة متمدينة ، وليست الأمة التى قرأنا عنها فى القصص ورسمناهابألوان الخيال !

لم أشهد رمالا فوقها خيام بيضاء ، ولم أر العربان على رؤوسهم العمائم البيضاء الكبيرة يمتطون صهوة الجياد أو يعتلون ظهور الجمال !...

لم أجد فرقا بين القاهرة والاسكندرية وبورسعيد ، وبين نيويورك وواشنطون ولوس انجلوس وبوسطن !

الفرق الوحيد أن الأبنية عندنا عالية ،بينما هى فى مصر متناسبة الطول ، ثم إن أبنيتنا راعى فيها أصحابها الضخامة بينما راعى أصحاب البنايات المصرية الأناقة والبساطة وعدم الكلفة .. وعدم النظام !...

والمصريون يكرهون النظام ، ويعتقدون أن التقيد بالقواعد واللوائح هو عمل لايصح ولا يجوز !

فهم لايسيرون فى الطرق على الأرصفة مثلما نفعل فى نيويورك !

إنهم يعتقدون أن الرصيف لايسير عليا سوى المغفلين او الذين لايعرفون الحقوق التى خولها لهم الدستور !

والمصريون كما فهمت شديدو التمسك بكافة الحقوق التى يخولها لهم الدستور !

ولهذا يسير الناس عادة فى منتصف الطريق ويتركون الرصيف خاليا ينعى من بناه !

والمصريون إشتراكيون بالفطرة ، ولهذا يحتقرون أصحاب السيارات ويعتقدون أن السيارات هى التى يجب أن تسير على الرصيف !

وإلا فكيف تستطيع أن تشرح سر سيرهم بلا مبالاة فى الطرق ، فاذا نفخت فى بوق السيارة ، نظروا إليك باحتقار ، واذا عدت تنفخ من جديد نظروا اليك من جديد ، واذا وقفت سيارتك صاحوا فيك احتجاجا لأن صوت « الفرملة » أزعجهم !

ولايقرر المصرى أن ينتقل من رصيف إلى رصيف إلا عند مرور سيارة تقطع الطريق ، أما إذا فكر فى أن يعبر الطريق وليس فى الطريق سيارة مارة فإنه ينتظر حتى تجىء سيارة ثم يمر وذلك لكى يعطل حركة المرور !

والمار فى الطريق ينتظر من صاحب السيارة أن يتفاداه ، وهو لايقرر إذا كان يقف فى منتصف الطريق أو يعود إلى الرصيف الأيمن أو الرصيف الأيسر إلا فى المدالة الأخيرة ، عندما يكون بينه وبين السيارة ثلاث ياردات !

وهو لايقرر هذا بسرعة بل هو ينظر إلى اليمين وإلى اليسار ، ثم إلى السيارة ، ثم إلى السماء يستلهم منها الوحى والارشاد وبعد هذا يقرر إلى أين المسير !

وهو يتضايق إذا نفخت فى بوق السيارة فان صوت البوق يقطع عليه تفكيره ، ويزيد فى تردده بين اليسار وبين اليمين !..

واننى أتحدى أى سائق أمريكى إذا استطاع أن يسير عشرة أميال فى شوارع القاهرة دون حادث اصطدام ! وإننى أقترح أن ترسل أمريكا بعثة من سواقى السيارات إلى مصر ليتعلموا كيف يقودون السيارات فى الطريق !

وأولاد البلد يركبون الدراجات ويتمرجحون بها ذات اليمين وذات اليسار وقد أصر كل واحد منهم أن يلف شالا كبيرا على أذنيه لامن شدة البرد .. ولكن لكى لايسمع أبواق السيارت !

ثم تجد فى الشوارع حميرا وجمالا تسير كما تشاء وتنتقل من اليمين إلى اليسار بلا كلفة وبلا نظام وبلا اهتمام بالمساكين الذين يقودون السيارات !

وركبت الترام ..

ومصر متقدمة فى كل شىء إلا فى عربات الترام !

فهى من النوع القديم البالى الذى كنا نركبه فى نيويورك من عشرات السنين ، وهى مفتوحة من كل الجهات حتى يدخلها الحر والبرد بلا استئذان ، وهى قذرة مع أن أجرة الترام فى مصر ليست رخيصة والناس يزدحمون فى الترام مثل السردين ، ويقفون على السلم ، ويتعلقون من الخلف لأن شركة الترام المحتكرة لاتكلف نفسها أن تدفع نفقات بناء قطارات للترام حديثة تتناسب مع مايدفعه المصريون !

أما الحكومة فلا تهتم بالترام ، لأن الوزراء فى مصر لايركبون إلا السيارات !

ولقد لاحظت أن المصريين بطيئون فى كل شيء .. إلا فى تناول الطعام !

ولقد كنت جالسة فى مأدبة أخيرا فوجدت الجالس إلى يمينى قد أتى على فرخة بأكملها ، بينما كنت أنا مازلت أضع الفوطة على ركبتى واستعد لوضع الملح على الطعام !

ويمكن للمقارنة بين بطء المصريين وغيرهم من الأمم أن اذكر الملاحظات الآتية :

يركب الامريكى الترام فى نيويورك ، وإذا أراد النزول فى محطة معينة ، فإنه يضع قبعته على رأسه قبل المحطة بخمس دقائق ، ثم يذهب إلى باب الترام حتى يقف فيقفز منه فى الحال .

ويركب الانجليزى الترام فى لندن ، وإذا أراد النزول فى محطة معينة انتظر حتى يقف القطار فيضع قبعته على رأسه وينزل فى الحال !

ويركب المصرى الترام فى القاهرة ، وإذا أراد النزول فى محطة انتظر حتى يقف الترام ، ثم يبدأ فى جمع حاجاته « وعزاله » ثم يقف ، ثم ينظر من النافذة ليتأكد أن هذه هى المحطة التى يقصدها ، ثم يذهب إلى الباب وينظر مرة أخرى ليتأكد مرة ثانية أنها هى المحطة التى يقصدها بعينها ، ثم بعد ذلك يشرع فى النزول .. ثم يعود لأنه نسى أن يودع أحد الجالسين بجانبه .. كل هذا يحدث والترام واقف ينتظر ، والكمسارى يسخط ويلعن سنسفيل الركاب أجمعين !

والمصرى العادى طويل القامة بينما الأمريكى العادى قصيرها ، وهو متناسب التقاطيع ، يمتاز بالجسم القوى ، وفى عينيه بريق وسحر جذاب ، وكل الذين قابلتهم حتى الآن من الرجال ظرفاء ، وكلهم يجيدون الحديث ، وعندهم بديهة سريعة فى اطلاق النكتة !

بل اننى لاحظت أن كل شيء يضحك فى مصر !... البائع يضحك وهو يبيعك المانجو ، والكمسارى يضحك وهو يقطع التذكرة ، والسماء تضحك ، والشمس تبتسم ، وكل شيء فى مصر يلهو ويلعب !

فأنت لاترى الوجوه الجادة العابسة المتألمة الحزينة التى تراها فى اوربا الآن ، إنك تشهد الجميع يعيشون وكأنهم فى عطلة من العمل ، لا مشاغل ولا أفكار ، وكأن الحرب التى على الأبواب لاتشغلهم ، فهم يتحدثون عنها كما نتحدث نحن فى أمريكا عن مودات الخريف أو عن غرام الدوق وندسور وهل يدوم أو لا يدوم !...

والمصريون مؤدبون ، وهم فى رأيى أكثر الشعوب البيضاء أدباً ، والجنس الوحيد الذى ينافسهم فى الأدب هم الصينيون !

وليس أدل على أدب المصريين الجم ، وكرم ضيافتهم من انهم تركوا الانجليز

خمسين عاما أو تزيد ضيوفا ثقلاء عليهم لايقولون لهم أخرجوا أو لقد اطلتم الزيارة وحتى ثورة ١٩١٩ كان المصريون مؤدبين فيها فلم يستعملوا سوى الهتافات وسوى الطوب .

ويظهر أن موسولينى قد سمع عن كرم أخلاق المصريين ، ويظهر أنه عرف أنه ما يمر بهم زائر حتى يمسكون بيديه ، ويقسمون عليه إلا أن يدخل عندهم ويبيت يومين !

ولهذا فهو يطرق أبوابهم منذ ثلاث سنوات حتى الآن !

هيلين هولت

و « السياسة » فى مصر بضاعة رابحة ، فبينما نحن نعتقد فى امريكا أنها احقر المهن ، وبينما نجد عائلات كبيرة تأنف من أن يشتغل افرادها بالسياسة نجد السياسة فى مصر كل شىء .

فأنت تجد حديث السياسة على كل لسان وفى كل مجلس ، فى القرى لايعرفون إلا السياسة ، وفى المدن لايتحدثون إلا فى السياسة ، بل قالت لى فتاة مصرية تحب شابا من بنى جنسها إنه مايكاد يركع بين ذراعيها وتنتظر منه حديثا عن الهوى والغرام إلا ويسمعها حديثا عن محمد محمود باشا ومصطفى باشا النحاس .. ومحمد محمود هو رئيس الحكومة فى مصر .. ومصطفى النحاس هو رئيس المعارضة .

وبين الاثنين خلاف طويل ، حاولت أن اعرف سببه فلم استطع ، ولكن الشىء الوحيد الذى فهمته أن بين الاثنين مابين الروسيا وألمانيا .. وما بين هتلر وبنيش !

والمصريون لايعادون الأمم الأجنبية مثلما يعادون بعضهم بعضا .. ولقد طفت بالأندية السياسية أسأل وأنقب وأحاول أن أعرف تقدير الأحزاب للزعماء المصريين ..

قال الوفديون ـ حزب النحاس ـ إن محمد محمود باشا رجل بطال !

وقال الدستوريون ـ حزب رئيس الوزراء ـ إن مصطفى النحاس رجل بطال ..

وقال السعديون ـ حزب الوفديين المنفصلين ـ إن مكرم عبيد رجل بطال !

وقال الحزب الوطنى إن كل الزعماء المصريين لاقيمة لهم ولايصلحون لشىء !

وقال اعضاء حزب مصر الفتاة ـ وهو حزب فاشيستى جديد ـ إن مصطفى النحاس ومكرم عبيد ومحمد محمود أشقياء ويجب قطع رقابهم جميعا .. وتعليق رؤوسهم على قمة الأهرام !

فاذا صدقت هؤلاء جميعهم كان المصريون لصوصا غير نزيهين ، لايصلحون للسياسة ولا يؤتمنون على مال ! ...

ولكن الزعماء المصريين ليسوا لصوصا بل إذا قارنتهم بغيرهم من الزعماء فى البلاد الأخرى لكانوا أنبل وانظف يدا من كثيرين من الزعماء فى أوربا وأمريكا الذين نضع فوق رؤوسهم الهالات والأكاليل !

والمصرى سريع الحب ، سريع الشك ، سريع النسيان !

فهو إذا أحب عبد ، وإذا شك لم يدقق ولم يحقق ، ولم يسأل ، ولم يستجوب ، ولكنه يصدر حكما سريعاً ! ..

والمصرى ملول بطبعه ، يحب التغيير والتبديل ، فنحن فى امريكا مثلا نحب رئيس الجمهورية كل سنة أكثر من السنة الماضية ، وفى مصر تزيد كراهيتهم لرئيس الوزراء شهراً بعد شهر ! .. ورئيس الوزارة فى كل الوقت هو هو ، لم يتغير ولم يتبدل وقد يكون يخدم بلاده كل يوم أكثر من سابقه ، ولكن المصرى يكره صاحب السلطة ويمقت صاحب السلطان فهو يكره العسكرى الذى يحافظ على النظام ويكره الكونستابل الذى يقبض على المسرعين بالسيارات فى الطرق والمنعطفات !

ولكن من يحب إذن ؟

إنه يحب الضعيف حتى يقوى ، والصغير حتى يكبر ، والغائب حتى يعود ، والسياسى حتى يستوزر ، والمرشح البرلمانى حتى ينتخب ، والحقير حتى يرتفع ! .. وهو يكره القوى حتى يضعف والكبير حتى يموت ، والوزير حتى يسقط ، والنائب حتى يحل البرلمان ، والعظيم حتى يتدهور إلى الحضيض ! لهم نفسية عجيبة ، وعقلية جديرة بالاحترام والتقدير فهى العقلية الوحيدة التى اعرفها والتى لاتخضع للظلم ولا تستنيم للطغيان .

فى مصر مطربة إسمها أم كلثوم ، وهى تعتبر فى مصر - وفى الشرقى الأدنى أيضاً - مثل جريتا جاربو فى أمريكا ، مع فارق واحد وهو أن صوت جريتا جاربو أجش وإن كان مليئاً بالعاطفة الدفينة ، وملتهبا بالجاذبية والاغراء ، وصوت أم كلثوم هذه حنون رائق ، تسمعه كالهمس أحيانا ، وتسمعه أحيانا كالرنين .

وهم يعبدون فى مصر أم كلثوم هذه كما نعبد نحن جريتا جاربو ، ويتهامسون عنها كما نفعل ويخلقون حولها جواً من الاشاعات والروايات والاكاذيب .

وأنا لم أسمع فى حياتى غناء مصرية ، ولكن أصدقائى المصريين دعونى لأشهد حلفة تغنى فيها أم كلثوم ..

وإذا بحفلة الغناء تقام فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، ولعلها المرة الأولى التى يجلس فيها الناس - فى مدرج تلقى فيه المحاضرات العلمية - وهم يتابعون مايجرى بانتباه !

ويظهر ان الناس فى مصر يكرهون المحافظة على المواعيد فقد كان موعد الحفلة فى الساعة التاسعة مساء .. وحل الموعد ونصف الصالة خال ، ولم يبدأ إلا بعد أن بدأت أم كلثوم الغناء .

وكان الحاضرون يجهلون أين مقاعد جلوسهم ، وكذلك كان المشرفون على النظام يجهلون مكان هذه المقاعد .

وكثيراً ماكنت ترى سيدتين تتناقشان مع أحد المشرفين على النظام عن مكان مقاعدهما وهل هى فى اليسار أو فى اليمين ، وتشتد المناقشة ، وترتفع على نغمات الاوركستر فيقبل منظمان آخران ويشتركان فى المناقشة ، ثم يتدخل غضنفيان وينتصران لاحد الرأيين ، ويعرض المتفرجون عن المسرح ومن فيه ويلتفتون إلى المناقشة الحامية الوطيس .

وغنت أم كلثوم ..

وكانت تغنى باللغة العربية التى أجهلها ، وكان صديقى يترجم لى ماتقول ..

كان صوتها عذباً مملوءاً بالحرارة ، والعاطفة ، والانوثة الكاملة ، وكان إنشادها يرتفع تارة فيعم المكان وينخفض تارة فيصل إلى الهمس أو إلى المناجاة ! ..

وما لبثت أن فهمت غناءها بلا ترجمان ، فهمت أنها تتحدث عن الحب والهوى والغرام – وفى مصر لا يتغنون إلا بالحب والهوى والغرام – وكنت افهم نغمات صوتها وكأنه يقطر دماً فاعتقد انها تتلوى من الألم لذكرى الحبيب البعيد ، ثم أرى النغمة تتطور حتى تصبح كأنها ابتسامة حلوة فأحس بأن الحبيب قد عاد ، وأن أم كلثوم تتغنى بأيام اللقاء ! ...

واستوقف نظرى أمر لا نراه فى أى صالة من صالات الغناء فى العالم ... وهو جمهور المستمعين ! ..

ماكادت تغنى أم كلثوم حتى صاح أحد الجالسين وصرخ ، وظننت انه أصيب بمكروه ، ورجوت الجالس إلى جانبى – رجوته أن يخف لاسعاف المريض ، ولكن قيل لى إن الناس تصرخ فى صالات الغناء ، دليلا على الاعجاب باصوات المطربين والمطربات !

وإذا برجل آخر يتلوى من الألم ، وثالث يقف ويشير بيده ويقطع الغناء ليقول إنه من بلدة اسمها السنبلاوين ، وهى البلدة التى انجبت أم كلثوم ! ولو قام كل واحد من الجالسين وقدم نفسه واسم بلدته لكانت محاضرة جغرافية أكثر منها حفلة غنائية ! ..

وأقبل آخر على المسرح ليقول إنه أحد أعضاء وفد بنى سويف المكون من ستين

عضواً وقد حضر إلى القاهرة لتحية النحاس باشا ولهذا يطلب باسم وفد بنى سويف من أم كلثوم أن تغنى القطعة من أولها .. مع أنها كانت قد وصلت إلى آخرها ! ...

وكان كل من فى الصالة يصيح ويصخب ، وكان بعضهم يقاطع المطربة ليتحدث مع أحد رجال التخت ويبث له اعجابه أو يحدثه فى مسألة عائلية أو يسأله عن الساعة !

كانت الصالة فى الواقع أشبه بغرفة عمليات فى مستشفى كبير ، وكانت أم كلثوم هى الطبيب الذى يجرى هذه العمليات ، ويظهر أن أم كلثوم لم تستعمل البنج لأن صوت التأوه والتلوى والنحيب بلغ عنان السماء ... !

وذهبت فى اليوم التالى وزرت أم كلثوم فى دارها ، وتفضلت هى واستقبلتنى على رأس السلم ، وصافحتنى بحرارة كأننا صديقتان من زمن بعيد .

ولقد قيل لى إن أم كلثوم ليست جميلة ، ولكنى أعتقد انها جميلة ، وان جمالها فاتن ساحر غامض ، ولست أعرف كيف يتعذر كشف سره على عقول المصريين الأذكياء ! .

إنها المرأة المصرية الوحيدة التى فتنتنى حقاً ، كنت اشعر وأنا أحدثها انها ذكية وظريفة ، ولقد قابلت كواكب ونجوما سينمائية عالمية ، وقد امتازوا أمام الناس بالتمثيل ، ولكنهم فى الحقيقة أغبياء أدعياء متغطرسون ! ..

ولكن أم كلثوم هذه استطاعت أن تجمع بين جمال الصوت وهو هبة من أجمل الهبات والذكاء ، وهو أيضاً هبة من اثمن الهبات ، وقل أن تجتمع لامرىء واحد هبتان ! .

قلت لها :

ألا تضايقك هذه الأصوات المزعجة التى يبديها المستمعون فى أثناء غنائك ...

وضحكت وقالت :

بعضها يزعجنى وبعضها يسرنى ، اننى أكره الألفاظ النابية ، وأكره أن أكون مندمجة فى أحد المقاطع فيقاطعنى سخيف .

ولكن شعرت أنها لا تقول الحقيقة كلها وفهمت أن المطربات المصريات لا يندمجن فى الغناء إلا بين الضجة والمظاهرات والهتافات ، وتصور موريس شيفالييه أو جانيت ماكدونالد يغنيان فى أحد معامل الحديد أو فى إحدى مظاهرات العمال .. كيف يمكن أن يغنى الواحد منهما .. ولكنهم فى مصر يغنون هكذا ، والناس لا تنسجم إلا وهم فى مظاهرة من العويل والضجيج . وهذا يكذب كل ما تحدث به الشعراء عن أن نجوى الحب ونداء العشاق لا يكونان إلا فى الهدوء والسكون .

قلت لأم كلثوم :

أى أغانيك أحب إلى نفسك ؟ .

قالت : كلها سواء !

قلت : ولكن لاحظت أنك كنت تغنين أنشودة « انت فاكرانى والا نسيانى .. ياللى ظلمانى ياللى هاجرانى » خيرا من الأغنية الأولى ! .

قالت : لأن أغنيتى الأولى كانت جديدة فكان كل همى أن أؤديها كما يجب من الوجهة الفنية ، أما الثانية فقد تعودت إلقاءها وكنت متمكنة منها ! .

قلت : لابد وأن تكون لك أغنية مفضلة على سواها ؟ .

قالت : إن المعنى هو الذى أفضله .. أما المقطوعات من الوجهة الموسيقية فسواء لدى .

وكأنها لا تريد أن تغضب الملحنين ، لأنها كما فهمت تغنى للحنين عديدين ولكن لها مؤلف أغان واحد لاغير ! .

قلت : وأى نجوم السينما الامريكية تحبين ؟ .

قالت : قولى أسماءهم أقل من أحب ؟ .

قلت : كلارك جيبل ..

قالت : لا .. لاأحبه !

قلت : روبرت تيلور !

قالت : ولا هذا ! .

ولعلها المرأة الوحيدة فى العالم التى لا تحب كلارك جيبل ولا روبرت تيلور ! .

ثم قالت إنها تحب رونالد كولمان .

وفهمت من هذا أنها تحب فيه شخصية الرجل وقوام الرجل وتمثيل الرجل ..

وسألتها عن النجمة التى تحبها قالت : .

جريتا جاربو ونورما شيرر .

قلت لها :

إنك فى مصر مثل جريتا جاربو فى أمريكا .

فضحكت . وكأنها لا تصدق .. أو لعلها تخشى أننى أشير إلى ما قيل عن زواج جريتا جاربو السرى من شفنهسكى الموسيقار ! .

والذى أحب أن أؤكده أن ليس فى تخت أم كلثوم من يصلح لأن يكون شفنسكى بأى حال من الأحوال ! .

ولاحظت فى كل الأغانى التى سمعتها أنها لا تحوى سوى الحب والغرام والهجر والوصال والفراق والبعاد ، وجميعها تقريبا عن حبيبة تركت حبيبها وخانته وهجرته ، وخاصمته ، وهو يتأوه ويشكو ويضرب رأسه فى الحائط دون أن تلين أو تجيب ، وهى دعاية سيئة للفتيات المصريات ، وكأنهن كلهن غادرات لايرعين العهود ولا يحفظن المواثيق ! ..

ولما .. سألت عن هذا قالت أم كلثوم إن هناك كثيرين يسعدون بحبيبتهم وينعمون منها بالإخلاص والوفاء .. وهؤلاء طبعا ليس لديهم وقت لتأليف الاغانى والاشعار ، فهم يقضون الوقت بين القبلات والعناق ! .

أما المهجورون فهم الذين لديهم الوقت الكافى لتأليف الاغانى والاشعار وهذا منطق معقول ! .

وخرجت من عند أم كلثوم كما يخرج الكاتب من عند جريتا جاربو ، يقول لنفسه : ـ

ـ هذه امرأة عظيمة ولكن ما هو سر عظمتها ؟ .

وهذه هى أم كلثوم ، إنها عظيمة لأن الناس لا تعرف سر عظمتها ! ..

وعن بنات مصر وفى العدد ٣٢٨ من آخر ساعة كتبت الامريكية هيلين هولت .

إذا جلست الفتاة الأمريكية وحدها قرأت فى كتاب .

وإذا جلست الانجليزية وحدها أخذت تقطع الوقت بعمل « جيرسى » لزوجها أو حبيبها أو من تشاء .

وإذا جلست الألمانية وحدها طهت أو فكرت فى صنع « طبق » جديد .

وإذا جلست المصرية وحدها تكلمت فى التليفون ! .

والواقع ان الفتاة المصرية تحب التحدث فى التليفون أكثر من أى شىء سواء ، وحديث التليفون فى مصر حديث طويل ، ولقد قيل لى إن الخزانة المصرية شعرت يوما بعجز فى ايرادها فادخلت نظام العداد على التليفون .. ومن هنا زاد دخل الحكومة المصرية وأصبح عندها من الاحتياطى ٧٥ مليون دولار ! .

ذلك لأن الحديث يدوم بين نصف وثلاث ساعات ! .

وتسمع عن فتيات يتكلمن مع شبان فى التليفون دون معرفة سابقة ، ويوجهن إليهم حديث الغرام والهوى .. وسمعت ان شابا مكث ثلاثة شهور يحدث فتاة لايعرفها ، وكان صوتها جميلاً كصوت جانيت ماكدونالد .. ثم التقيا فاذا بالفتاة اشبه بوالاس بيرى بينما وزنها يزيد على المائة وعشرين كيلو جراما .

والفتاة المصرية جذابة ، خفيفة الدم ، مملوءة بالحياة والحرارة ، ولها شخصية مستقلة ، ولكنها تحب التقليد . ولا تجيد التقليد ! .

هى تحاول ان تنقل حرفيا كل ما تراه على لوحة السينما ، وهى تظن أن ما تراه على الشاشة هو صورة لما عليه الفتاة الامريكية أو الأوربية فهى تصبغ شعرها ، وتتصنع فى سيرها ، وتتكلف فى كلامها ، وكم كنت أود لو أنها احتفظت بطابعها القومى إذن لزادت جمالا على جمال وإغراء على إغراء .

إنها فاتنة ، ولكنها تغطى وجهها بالمساحيق ، وتملأ عينيها بالألوان والأصباغ المختلفة ، وتزحم صدرها بالمجوهرات ، وتغطى ذراعيها بالأساور والحلى ! وكأن المصريات خلعن الحجاب عن وجوههن ليرتدين حجابا آخر يغطى جمال عيونهن ويخفى لون بشرتهن ، ويحجب محاسن تقاطيعهن .

والمجتمع المصرى محروم من المرأة ، فهو مجتمع ناقص ، بل هو مجتمع ميت لأن المرأة فى عقيدتى هى حياة المجتمع إن لم تكن هى المجتمع كله .

تمر فى شوارع القاهرة ، فتجد عشرات ومئات من الناس جالسين فى المقاهى وليست بينهم امرأة مصرية واحدة لتحيل هذا الجو المقبض إلى جو باسم ضاحك مشرق مثل أيام الربيع ! .

قلت لصديق مصرى :

ـ كيف تعيشون بلا نساء ! ..

قال صديقى :

إنها التقاليد .. حرمت علينا النساء أمام الناس وأباحت لنا النساء وراء ظهور الناس ! .

دهشت .. فالمرأة المصرية تسير وقد كشفت عن وجهها النقاب « فعلا وعملا » ولكنها مازالت متحجبة « رسميا » فهى مسجونة فى غير زنزانة ، وهى مصفدة بلا قيود ، ومفروض انها تحررت مع أن قلبها يعامل معاملة الرقيق .

ولكن هل معنى هذا أن الفتاة المصرية لا ترى شبانا ولا تخرج مع شبان ، ولا نعرف الهوى والغرام ،

كلا إنها تحنى رأسها لحكم التقاليد ولكن لا تحنى قلبها لهذا الحكم القاسى الفظيع ، فهى تحب وتعشق وتعرف الحب والعشق ، ولكنها تفهمه فهما غير صحيح ، تفهمه على أنه خليط من الكذب والرياء ، ومزيج من الدسائس والمغامرات .

وليس هذا هو الحب كما نفهمه ؟ .

ولكنها مضطرة الى أن تكذب على أهلها لأنها لا تستطيع أن تصارحهم بأنها تخرج مع رجل ..

وهى مضطرة الى أن تكذب على صديقها وترائيه فتخفى صداقاتها للآخرين - لأن المرأة التى لاتعرف إلا رجلا واحدا لم تخلق بعد - فهى تقول لكل واحد منهم إنه صديقها الوحيد ، والشبان فى مصر لايفرقون بين كلمتى « صديق » و « حبيب » فكل رجل يخرج مع انه العشيق الخليل ! .

وهى تعيش فى جو مضطرب ، مملوء بدسائس الصديقات والخادمات هذه تحمل رسائل الغرام ، وتلك تحمل مواعيد اللقاء ، ولاشىء فى مصر يباع مجانا ، فالصديقة تنتهز الفرصة عادة لتحل مكان صديقتها فى قلب الشاب ، وهى تستطيع أن تفعل ذلك بسهولة ، لأن الغرام فى مصر سر .. وخيانة الغرام سر أيضاً .

والخادمة تهدد سيدتها باذاعة السر ، فتضطر الفتاة إلى شراء سكوتها باثمان تختلف باختلاف « قيمة السر » فيتطور الهوى من نعمة إلى نقمة ، ومن أحلام إلى كابوس ! .

ثم إن الفتاة ترى أن الحب مغامرة ، فهى تحب الشاب أحيانا قبل أن تعرفه وقد تحبه من حديث تليفونى ، أو من رؤيته فى احدى دور السينما ، أو من قصة قرأتها له فى مجلد ، أو تحبه بالسماع ! .

بينما نحن فى أمريكا لانحب الشاب قبل أن نعرفه طويلا ، وقبل أن نخرج معه مرات ومرات ، وقبل أن ندرس أخلاقه ونختبر طباعه ، وقبل أن نتصل بأسرته فنقابل أمه ونتناول العشاء مع افراد أسرته ، ثم بعد ذلك نسأل أنفسنا هل هذا هو الرجل الذى ولدنا لنحبه وولد ليحبنا .. وعندئذ نحبه .. أو نبدأ أن نحبه ! .

ولكنهم فى مصر لايفعلون هذا .. عرفت فتيات مصريات لم يقابلن حتى الآن والد صديقهن .. ولم يدخلن داره .. ولم يهتممن بشخصه المحبوب اهتمامهن بجماله وقوامه وبنوع السيارة التى يركبها ! .

ولهذا فالفتاة فى مصر تحب فجأة ، وتنسى فجأة ، ويعيش غرامها كوميض البرق فلا تعرف متى ابتدأ ولكنها تعرف متى انتهى .

ولكن الفتاة المصرية سيدة بيت من الطبقة الاولى ، فذوقها فى ترتيب منزلها بديع ، وهى ماهرة فى طهى الطعام واعداده ثم هى زوجة ممتازة إذا أمكنها أن تجند مواهبها للبيت الذى تعيش فيه .

ولا يمكن أن يؤخذ حكمى على الفتيات المصريات فى حياتهن الخاصة كحكم عام

على جميع الفتيات ، فإن بينهن المحافظات اللاتى لايشاهدن ازواجهن إلا فى ليلة الزفاف ، واللاتى لايذكرن كلمة الحب إلا ويذكرن معها اسم الشيطان ! .

وبين المصريات من يعيش على قدم المساواة فى حياتهن الخاصة مع الفتيات الأمريكيات والأوربيات ، يخرجن مع الشبان علنا ويظهرن فى المجتمعات علنا ، وهؤلاء يتحملن بشجاعة التهم التى تكال لهن ذات اليمين وذات اليسار ! .

ولقد قضيت حتى الآن نحو شهر ونصف فى مصر ، وكثيراً ما ساءلت نفسى :

ـ ترى لو عشت طول حياتى فى مصر فأية حياة كنت أفضل أن أعيش ؟ .

حياة المحافظات سجينات البيوت ، أو حياة المتمدينات الثائرات على التقاليد أو حياة انصاف المتمدينات انصاف المتأخرات انصاف الأحياء التى وصفتها فى هذا المقال :

ولكن هذا السؤال بقى طول هذه المدة بلا جواب ؟ !

وفى العدد ٢٢٩ وعن رمضان كريم كتبت هيلين هولت :

ماأجمل « رمضان » فى مصر ! .

إنه شهر يصومه المسلمون مرة كل عام ، من مطلع الفجر إلى ساعة الغروب ... ولكنه شهر عجيب لانظام له ولاميعاد .

ككل شىء ظريف ـ تارة يأتى فى الشتاء ، وطورا يأتى فى الصيف ـ وأحيانا ينبت مع زهور الربيع ، وسنين تبدأ ايامه فى فصل الخريف .

وهذا الشهر مفروض فيه أنه شهر الدين . لا رفاهية ، ولا مسرات ولا مراقص ولا ليالى حمراء .

ولكن القاهرة لاتبدو جميلة إلا فى رمضان ، السماء تلمع فيها المآذن المضاءة بالكهرباء ، والارض مملوءة بالمصابيح الصغيرة فى ايدى الأطفال يلوحون بها وينادون فرحين مهللين .

والقاهرة لا تسهر إلا فى رمضان ، فالمقاهى التى تقفل ابوابها فى منتصف الليل .

ـ فى غير رمضان ـ تفتح ابوابها فى هذا الشهر المبارك الى الصباح ! .

وهكذا كان شهر رمضان مصيبة على الزوجات المصريات فانه يعطى للازواج عذرا للتأخر كما يشاءون بلا رقيب ولا حسيب ! .

ومفروض أن هذا الشهر يتعود فيه ، الأغنياء الجوع ، فيتألمون مثل الفقراء ، ويجوعون مثلهم ، وهى فكرة عظيمة تليق بدين عظيم !

ولكن المصريين يطبقونها تطبيقا كله خطأ وكله خروج على روح الدين !
انهم لاياكلون فى شهر من الشهور كما يأكلون فى رمضان .
دعيت مرة إلى مأدبة افطار .
وبدأ الخادم يدور بالاصناف والألوان !
ورأيت الخادم يحمل طبقا يسمونه الفول المدمس !
فسألت ماهذا !
قالوا لى إنه طعام الفقراء فى مصر !
فسررت لأن المسلمين فى شهر رمضان يعودون أنفسهم على تناول طعام الفقير ...

ولكن تبع الفول المدمس ، خروف مشوى ، ثم ديك بالارز ، ثم حمام مشوى ، ثم قرع بالارز ، ثم بامية خضراء بالفراخ ، ثم طبق من الحلوى الدسمة ثم الفاكهة .. ثم القهوة !

تسعة أصناف فى مأدبة فى شهر الفقراء ثم بعد ذلك يقولون إنهم يعودون أنفسهم على الجوع !

ترى لو كانوا يعودون أنفسهم على الرخاء ماذا كانوا يأكلون ؟!....

ومفروض فى شهر رمضان ان لاتكذب وأن لاتشتم أحدا وأن تتطهر من الآثام ، وأن لاتشم زهرة ـ وليس فى هذا النهى الاخير أى ارهاق لأننى لاحظت أن المصريين لايفهمون كثيرا لغة الزهور ـ وأن لاتدخن سيجارة وان لاتشرب كأسا من الويسكى أو النبيذ ..!

فهل لايكذب المصريون فى رمضان ؟!

لقد مررت باجتماعين سياسيين في الاسبوع الماضي أحدهما للوفد والآخر للسعديين ، وكان اجتماع الوفد مملوءا بالناس ، وكان اجتماع السعديين مزدحما بالناس ، وفى اليوم التالى ظهرت صحف الوفد فقالت ان اجتماع السعديين كان خاليا من الناس ! وظهرت جرائد السعديين لتقول ان اجتماع الوفديين فشل فشلا ذريعا !...

ثم وقف الوفديون فى شهر رمضان يسبون السعديين ويقولون إنهم خونة مارقون .

ووقف السعديون يهاجمون الوفديين ويقولون إنهم مجرمون ونصابون !...
فلماذا لايمنع علماء الدين مثل هذا الكذب ومثل هذه الشتائم فى رمضان !...

إنهم لايفعلون .. ولعلهم هم الآخرون يشتمونني إذا قرأوا ترجمة هذا المقال !

قلت هذا لأحد أصدقائى فضحك وقال :

ـ إننا نصوم عن الشتائم فقط من الفجر إلى الغروب أما بعد الغروب فنحن أحرار نشتم من نشاء ونلعن من نشاء !

وليس معنى هذا ان كل المصريين صائمون !

كلا .. فبين المصريين فقراء ومحافظون ، فالفقراء يصومون لأن الدين والفقراء صنوان ، وصوت الله يدخل إلى قلب الفقير بلا استئذان ، ولكن قلب الغنى مثل داره له خدم وحشم وحاشية وبوابون !

والمحافظون يصومون لأنهم يجدونه فرضا ورثوه عن أجدادهم وهم يفعلون مايفعل أجدادهم .. وحسنا يفعلون .

ثم هناك أولئك الصائمون « رسميا » أى الذين يتظاهرون بالصوم أمام الناس ويفطرون خلف الجدران ، والمصريون يحبون المظاهر فبعضهم يخشى ألسنة الناس أكثر مما يخشى الله ، ولاعجب فقد نشرت صحيفة مرة صورة لوزير وهو يدخن سيجارة فى رمضان وفى صباح اليوم التالى وجد نفسه فى المعاش !

ولعل هذا هو السبب الذى جعلنى لم أر وزيرا مصريا واحدا يدخن سيجارة فى رمضان .

ثم هناك الفاطرون « رسميا » وهؤلاء أقلية ، وهى ظاهرة بديعة تدل على أن كثيرين من المصريين يخافون « الرأى العام » !

والرأى العام فى مصر يرى أن الذى لايصوم رمضان كافر مصيره النار .

وفى رمضان ينتهز الاغنياء الفرصة ويحسنون .. فتجد أمام بيوت بعض الاغنياء مآدب على الرصيف توزع فيها اللحوم على الجائعين ..

ولكن لاحظت أن « الخير » فى مصر غير منظم والناس فى مصر لايعرفون كيف يحسنون !....

إن الدين الاسلامى ينص على أن تعطى عشر مالك للفقير؟

فلو فعلوا ذلك لاستطاعت الحكومة أن تبنى ملاجىء للشحاذين الذين ينافسون القطط والذئاب فى عددها ، أو تدخل المياه النظيفة الى قرى الفلاحين ، أو تبنى بيوتا للمزارعين المساكين الذين يعيشون فى كهوف تأنف من سكناها البهائم ، أو تشترى بها أحذية لأولئك الملايين الذين يسيرون بأقدامهم العارية فى أقذار الطريق .

ولكن الناس فى مصر يظنون أن أموالهم يجب أن تنفق فى المساجد دون سواها ، وعلى قراءة القرآن دون سواه ، ولعلهم نسوا أن الله لايرضيه أن يذكر اسمه على شفاه جائعة ، او أن يدخل دينه إلى عقول فى حاجة إلى التعليم ، وأن يملأ الايمان أرواحا فى أجسام تشكو الأمراض والأوبئة !

لو كانت روح « الخير » هذه عندنا فى أمريكا لعرفنا كيف نستغلها ، ولعرفنا أن ننظم الخير ونجعله خيرا بالمعنى لا « خيرا » بالاسم .

ولكنهم فى مصر لايحبون النظام ، لا لأنهم أغنياء فهم من أذكى شعوب العالم على الإطلاق ، ولكن لأنهم « بوهيميون » يعيشون بلا حساب ويحبون بلا حساب ويكرهون بلا حساب ، ويجودون بلا نظام وبلا حساب ..!

ولكن شهر رمضان شهر كريم !

إنه يأتى فيذكر الناس بالدين ، وبالخير ، ويحب الفقراء والمساكين !

إنه كالنور يملأ ظلام القلوب ، ويضىء سواد الروح التى طغت عليها المادة وسدت أبوابها الشهوات !

فما أشد حاجتنا فى أمريكا إلى شهر مثل شهر رمضان لانكذب فيه ولانشتم فيه أحدا .. ولاندخن ولانشرب المسكرات !..

ترى هل نستطيع أن نطبقه كما أرادته الشريعة الاسلامية أم نفعل كما يفعل المصريون !؟

أغلب الظن أننا سنفعل مثلهم لأن طبيعة البشر سواء ..!

وعن الشبان المصريين كتبت هيلين هولت فى العدد ٣٣٢ تقول :

الكتابة عن الشبان المصريين ، ليست بالسهولة التى يتصورها الكتاب ، فهم فئة عجيبة من الناس ، لايجمعهم ناد ، ولاتوحدهم رابطة ، ولاتكاد تعرف ماذا يريدون ؟

وهم فى الوقت نفسه ثائرون دائما ، ساخطون دائما ، لايعجبهم أحد ، ولايرضيهم انسان ، يهتفون فى الصباح بحياة الوزارة ويهتفون فى المساء بسقوطها ، ينضمون فى الصباح إلى مبدأ من المبادىء ، وفى المساء يمسكون معاولهم ويبدأون فى هدم هذا المبدأ وهدم القائمين به .

اذن ماذا يريدون ؟

انهم لايريدون حزبا بذاته لأن الاحزاب كلها سواء فى عدم خدمة البلاد ، انها تبيع مصر للانجليز ، ولو صدقنا مايقوله الشبان المصريون لكانت مصر قد بيعت واشتريت للانجليز مرة على الأقل كل يوم !

وقد يكون معقولا أن يجمع شباب الأمة على الرغبة فى حكومة مثالية ، أى على رسم « مثل أعلى » للحكومة التى يريدونها ، ولكن الشبان المصريين يكتفون بالهدم .

انها نفسية خطرة ، لن يكون ضحيتها الشبان انفسهم ، بل مصر بأكملها ، فهذه النار التى تشتعل فى قلوب الشبان المصريين قد تحرق مثلما تستطيع أن تنير ، بل إن الذى تأكدته تماما أن رغبة الشبان فى « الحرق » تغلب رغبتهم فى انارة الطريق لبلدهم المسكين !

ونحن نرى فى امريكا نفوسا عديدة ، صاخبة غاضبة ، لا تهدأ ولاترضى ولاتستكين ، هذه النفوس التى اخرجتها المدارس والجامعات إلى ميدان العمل فلم تجد عملا ، ولم تفعل إلا أن تكون اصفارا وأرقاما الى يمين العدد الهائل الذى يتكون منه العمال العاطلون .

ولكن المسألة فى مصر غير هذا ، ففى مصر عمل لكل عاطل ، ولكن العيب كل العيب ان المصرى يعبد المجد ولايعمل من أجل هذا المجد ، ان الشاب المصرى فخور ، ذو كبرياء ، محب للغطرسة والسلطان ، وينظم فى هذه المعانى الشعر الكثير ـ ولكنه لايعمل لأجل هذه الغايات بل تجده ضعيفا متواكلا يستعذب الذل ويرضى بالهوان !

تسير فى شوارع القاهرة والاسكندرية فتجد بيوتا ضخمة فتسأل لمن هذه البيوت ؟. فتجد بين كل خمسة قصور قصرا واحدا يملكه واحد من المصريين ! وتتطلع إلى نوافذ المحلات التجارية فتجد أن أغلبها فى أيدى الأجانب !

وتركب الترام وتسأل عن الذين يديرونه فيقولون إنهم من الأجانب ...

والنور والغاز والراديو .. والبنوك .. والقهاوى ومحلات بيع السيارات .. وحتى محلات البقالة فى يد الأجانب !

ومع ذلك فالمصريون متحمسون ، وطنيون ثائرون ، لايرضيهم إلا أن يقال عنهم بأنهم سلالة الفراعنة الأمجاد ..

نسألهم لماذا لاتكون أموال البلد فى أيديهم فيهزون رؤوسهم أسفا ويقولون إن الحكومة لاتشجع المصريين !

والحكومة مظلومة فالمسئولية تقع على أولئك الشبان المصريين ، والذين يعيشون على أبواب الوزارات ينتظرون أن يلقى اليهم « الوزير المحسن » ببضع وظائف على سبيل الاحسان !

فجيل الشبان المصريين فى الوقت الحاضر هو جيل المتسولين ، العاطل يطلب وظيفة ، وصاحب الوظيفة يطلب ترقية ، ومن نال الترقية يطلب علاوة استثنائية !

وحياة الشاب المصرى فوضى .. منذ ان يغادر سن الطفولة إلى أن يقترب من عتبات الشيخوخة !

ان تربيته غير منتظمة ، وكذلك تعليمه ، وكذلك رياضته ، وكذلك غرامه ..

إن بعض هؤلاء الشبان يبلغ الاربعين ولايعرف كيف يتكلم مع سيدة ، ولاكيف يجلس فى مجلس به سيدة . إن بعضهم يظن أن كل النساء ـ إلا افراد أسرته ـ يبعن فى الطريق كالجاريات !

ولهذا تقف المراة وتحادث الرجل فى موضوع علمى فتجد ان الرجل يأكلها بنظراته بدلا من أن يستمع إلى ماتقول !

وشبان آخرون لا لذة لهم فى الحياة إلا القهاوى يجلسون فيها من وقت انصراف الدواوين إلى أن تقفل هذه القهاوى أبوابها !

أين الحياة العائلية الحقة ؟ أين النزهات الخلوية البريئة ؟ أين الألعاب الرياضية ؟ أين الكتب والمؤلفات الجديدة ؟

انهم لايعرفون عنها شيئا .. ولايريدون ان يعرفوا شيئا !

سرت ذات ليلة فى شارع فؤاد الأول بالقاهرة .

وكنت أسير وحيدة معتمدة على ان رجال البوليس أكثر عددا فى مصر من أى بلد آخر فى العالم ...

(وهنا جزء حذفناه)

وإذا بى أجد أناسا لا أعرفهم يتحدثون إلىَّ ويغازلوننى فى الطريق العام !

وصحيح أن بعض الناس فى امريكا يتكلمون مع نساء لايعرفونهن فى الطريق ، ولكن مايحدث نادرا جدا ، ولايحدث بالإجماع الذى تراه فى شوارع القاهرة ..

إن كل من فى الشوارع يغازل ، فهذا الطبيب الذاهب لانقاذ سيدة مريضة يوقف سيارته ليعرض على فتاة جميلة الركوب ، وهذا الضابط المنتقل بسرعة لضبط جناية لايتردد اذا رأى غادة هيفاء أن « يفرمل » السيارة ليغازل هذه الفتاة أو يسألها أن تجود عليه بميعاد ! ومن هنا تجد أن وقت الشبان مقسم بين الطريق والقهوة ، ففى الاولى يغازلون الفتيات ، وفى الثانية يقصون على أصدقائهم ماحدث لهم من المغامرات .

وفى شوارع القاهرة تجد كل شىء يباع .. الأطعمة .. الملابس .. الفاكهة .. النظارات .. الكتب .. حتى الحلاقة تستطيع أن تحصل عليها من حلاقين متجولين !

ويباع فى الشوارع ايضا الحب والغرام !

(وهنا جزء حذفناه) [آخر ساعه]

إن الشبان المصريين يستطيعون أن يجعلوا من مصر إمبراطورية ، ولو أرادوا لفعلوا .

وهم اليوم يريدون ذلك ... ولكن هل يفعلون !

اننى اعتقد انهم يستطيعون ان يفعلوا هذا لو أغلقوا القهاوى ومنعوا « البصبصة » للفتيات فى الطريق العام !

وأجرت : الكاتبة الأميريكية هيلين هولت حديثا مع مكرم عبيد نشر بالعدد ٣٣٣ من آخرساعة جاء فيه : .

سمعت باسمه قبل أن أراه ، فان اسمه على كل لسان ، فريق يؤمن به ، وفريق يكفر به ، قوم يرفعونه الى السماء وقوم يقولون إنه سبب كل فساد واساس كل خراب وإنه أنانى وانه متعصب وإنه « شيطان » .

ثم رأيته ينزل من سيارته ليدخل عيادة طبيب ، وإذا بالحلاق يترك الصابون فى ذقن زبونه ويسرع لتحيته ، واذا بالتاجر يغادر دكانه ليهتف باسمه ، واذا ببائع الصحف وبالسائرين فى الطريق يتجمعون للتصفيق له .

وأحببت أن أتعرف إلى هذا الرجل الذى استطاع أن يشغل حيا بأسره ، بل أن يشغل شعبا بأكمله .

وصحبنى الى زيارته عبد الحميد عبد الحق زعيم المعارضة فى مجلس النواب المصرى .

وصعدنا الى شقة متواضعة فى عمارة كبيرة فى حى وسط القاهرة ، وهناك مكتب المحامى مكرم عبيد سكرتير الوفد المصرى .. ورجال السياسة فى مصر ـ مثل زملائهم فى امريكا من طبقة المحامين .

وقف فى منتصف الغرفة رجل فى الخمسين من عمره ، فيه سمرة الفراعنة ، وفيه ابتسامة النيل ، وفى صوته نغمة تلك الطيور التى نسمعها تشدو ونحن ذاهبون الى زيارة الاهرام .

طويل القامة ، سريع الحركة ، سريع الكلام ، تشعر بأنه يجيد كسب القضايا كما يجيد كسب القلوب !

قال لى : إننى عرفتك قبل الآن !

قلت دهشة : كيف ذلك .. إنها المرة الأولى التى ترانى فيها !

قال عرفتك من مقالاتك وصورك فى مجلة أخر ساعة (وهى أكبر مجلة سياسية فى مصر وهى مثل الـ Time فى أمريكا وهى تترجم مقالاتى وتنشرها باللغة العربية) .

ومضى مكرم يتحدث فى انجليزية فصيحة عن مقالاتى واشعرنى انه يعرفنى من زمن طويل ، فشعرت بأنه « كسبنى » من اللحظة الأولى مثلما يكسب القضايا .. ومثلما كسب ذلك الشعب الذى يتجمع لتحيته كلما سار فى طريق !

قال لى : أنت أول كاتبة أجنبية درست المصريين دراسة عميقة وأنا أوافقك فى بعض آرائك وأخالفك فى البعض الآخر !

وجلس مكرم يدافع عن الشبان المصريين !
وكسب القضية الثانية .
قلت له : إنهم يقولون إنك دماغ الوفد والنحاس قلبه !

قال : إن هذا غير صحيح فان النحاس باشا هو دماغ الوفد ، فهو رجل ذكى جدا ، وقد كان أول تلاميذ فصله فى سنين الدراسة ، وكان قاضيا نابغا ومحاميا أنبغ .

قلت له : إن ماسمعته وماحققته بنفسى يدل على أن النحاس باشا رجل نزيه مستقيم ولكنه لايضبط عواطفه ، ثم إن النزاهة والإستقامة لاتكفيان لسياسة الدولة ، فاننا فى امريكا مثلا نغير الزعيم مرة كل أربعة أعوام ونضع على رؤوس الاحزاب وجها جديدا لأن الرأى العام يحب التجديد ولكنكم فى مصر تجعلون الزعيم كل شىء قبل المبدأ ويقول مكرم عبيد ان النحاس باشا لم يفشل فى سياسته بل ان الأيام اثبتت انه كان دائما على حق ويقول مكرم باشا ان الفلاح المصرى يعرف بالسياسة وله حاسة غريبة يفرق بين الطيب والخبيث وعن الخلاف مع الملك يقول مكرم ان الوفد يحب الملك والخلاف مع حاشيته التى ترى فى الدستور مالانرى ونحن نرى غير مايرون ونصوص الدستور تقضى بأن رئيس الوزراء مسئول امام البرلمان وتقول هيلين انها قابلت بعض الشبان الذين يرون ان لاخير فى مصر الا بقيام دكتاتورية وتقول هيلين ان هذه النغمة احزنتها فان الدكتاتورية لاتقوم الا حيث يراد القضاء على الشيوعية وليس فى مصر شيوعية يراد القضاء عليها .

ويهز مكرم باشا رأسه قائلا : ان نغمة الدكتاتورية لايمكن ان تجد آذاناً صاغية فى مصر فان مصر بلد ديمقراطى بطبيعته والاسلام أول دين أشار الى الديمقراطية وأمر باتباعها ثم أننا عودنا الشعب على ان تكون منه ، دمه وسياستنا قامت على هذا الاساس من سنة ١٩١٩ فكيف نستطيع ان ننكر ماضينا ونقيم فى مصر حكما دكتاتوريا ان سعد زغلول كان يستطيع ان يكون دكتوريا فقد كانت الأمة وراءه تسير حيث يسير وترى مايرى وتطيع ما يقول والنحاس باشا مثله كان يستطيع ان يكون دكتاتورا ولكنه لم يفعل لأنه يعتقد ان مصر ليست ارضا خصبة للدكتاتورية .

ثم نحن فى الصعيد اعتدنا أن نعامل خدمنا معاملة المساواة ، فأولاد خدم أبى كانوا يتربون معى ويلعبون معى ويذهبون الى المدرسة معى ، بل إن الخدم يطلقون على أسيادهم لقب « عمى » فكأنهم يشعرون أنهم ارتفعوا من مرتبة الخدم الى مرتبة

القرابة لسيد البيت .. ففى أمة ديمقراطية كهذه لاتعيش الدكتاتورية الا لتموت بعد لحظات .

قلت : ومتى تنتظر أن يعود الوفد الى الحكم ؟

قال : ان الامة هى التى ستعيدنا الى الحكم ، وإنى أرى فى اليوم الذى يضطر الرأى العام الحكومة الى عمل انتخابات حرة ستخضع الحكومة لنداء الرأى العام وتضطر الى عمل انتخابات جديدة .. واذا جاءت الاغلبية للوفد تولى الحكم .. وللوفد اليوم طلب واحد هو انتخابات حرة .

قلت : ما رأيكم فى تأليف وزارة قومية تجمع كل الأحزاب .

قال : ان الوفد ضد هذه الفكرة ، فان الحكم للاغلبية ، ولامعنى ان تفرض الأقلية نفسها على الأغلبية ، نحن نقبل الوزارة القومية فى حالة حرب طاحنة ، أو فى حالة عدم حصول الوفد على أغلبية كافية فى انتخابات حرة ، أما أن يحصل الوفد على تسعين فى المائة الباقية ويخضع لها فهذا مالا يقره عدل ولاانصاف .

قلت : ألا ترى ان العالم سيواجه حربا قريبة .

قال : اننى اعتقد ان الحرب على الأبواب وان العالم يسير الى الحرب بخطوات سريعة للأسف الشديد .

ثم دعانى مكرم الى الغداء فى داره مع أسرته . المكونة من زوجته ، وأشقائه وزوجاتهم .

وان كان مكرم من الرجال القلائل الذين استطاعوا ان يحلوا فى قلبى مكانا طيبا فان زوجة مكرم هى المرأة المصرية الأولى فى قلبى ...

إنها تتكلم الانجليزية بدرجة لابأس بها ، ولكن عينيها أفصح من لسانها فهما تتكلمان وتبتسمان وتأسران القلوب !

وتناولت الأطعمة الشهية ، ثم تفرجت على الصور الزيتية التى رسمتها زوجة مكرم واعتزت بها كما نعتز نحن بصور رفائيل أو ليناردو دافنشى .. وهى صور بسيطة مملوءة بالحياة .. وفى مصر كل شىء حى حتى احجار الأهرام !

ثم سرنا فى حديقة الدار ، وفيها بركة يسبح فيها البط المختلف الألوان ، ويسير حول الحديقة طاووس اختلفت ألوان ، أجنحته البهيجة .. وهو يفردها فى الهواء ..

ما أشبه ريش هذا الطاووس بالأحزاب السياسية فى مصر إن لكل منها لونا خاصا ..

وودعت مكرم دون أن أعرف لماذا يكرهه بعض المصريين .. وإن كنت عرفت لماذا يحبه كثير من المصريين !

حديث آخر مع النقراشي باشا استغرق ساعة ونصفا أجرته الكاتبة الأميريكية « هيلين هولت » جاء فيه :

قال لى بعض أصدقائى المصريين ليس من فائدة تعود على الصحفيين من رؤية محمود فهمى النقراشي باشا وزير الداخلية ، فهو صامت كأبى الهول ، صلب كأحجار الجرانيت عميق كالنيل عند أسوان !

قلت فليكن ، لقد رأيت أبا الهول فى مصر صامتا فى بلاغة ، جامدا باحجاره الصلبة وكأنه قطعة من الحياة ، فماذا يمنع أن أرى أبا الهول آخر من طراز جديد .

وكنت قد سمعت عنه من وزير الصحة الشاب ، وفهمت منه أنه رجل من أقوى الوزراء المصريين فى وزارتهم ، وأنه رجل مستقيم كالطريق الذى يوصل بين الجيزه والأهرام !

وسمعت أيضا من اعدائه الشيء الكثير ، قالوا انه رجل فظ غليظ القلب ، تغلب عليه طبيعته العسكرية ، فهو دكتاتور أكثر منه سياسى ، يكره المناقشة ، ويحب الانتقام .

وذهبت فى الموعد المحدد الى وزارة الداخلية وصعدت فى مصعد ضيق يتسع لاثنين من حجمى ولواحد من العمد المصريين وكلهم من الحجم الكبير .

وقادنى السعاة والحجاب والجنود الواقفون بالباب – والذين يزيدون على عشرة وكان يمكن أن يقوم بمهمتهم كلهم ساع واحد ولكن هذه بعض مظاهر الاسراف فى مصر – قادونى الى حجرة مدير مكتب الوزير ، وفى الوقت المحدد للمقابلة بالضبط دهشت لما قيل لى : تفضلى لمقابلة الوزير !

نعم دهشت أن يحدث هذا ، فقد كانت المرة الأولى فى مصر التى يحافظ احد العظماء على موعده ، فقد حدد لى مرة أحد الكبراء موعدا للغداء فى الساعة الثانية بعد الظهر ولم يحضر إلا فى الساعة الثالثة : واتفق معى أحد النبلاء على أن أقابله فى موعد ما ، وفى نفس الموعد ذهبت فعلمت انه سافر الى الاسكندرية ! وأصيب حذائى بعطب مرة فوعد صاحب محل الاحذية بإصلاحه فى ٢٤ ساعة ولم أتمكن من الحصول على الحذاء إلا بعد أربعة وعشرين يوما !

ولعل المصريين تعلموا من الانجليز عادة عدم المحافظة على المواعيد فهؤلاء الانجليز احتلوا مصر ليبقوا بها خمس سنوات فبقوا بها ستين عاما أو يزيد .

دخلت غرفة الوزير ، فاذا بوزير الداخلية رجل أنيق ارتدى سترة بنية اللون ، وأزاح طربوشه قليلا الى الوراء ، ومد يده مبتسما فعجبت أن أبا الهول يبتسم ،

وسمعته يحدثنى بانجليزية طليقة فدهشت أن أبا الهول يتكلم كما يتكلم الناس !

وجلست على كنبة واسعة من الجلد فى طرف الغرفة وجلس الوزير فى مقعد واسع بجانبها ، ولاحظت ان مكاتب الوزراء أشبه بالصالونات ، فالمقاعد وثيرة ، ولعل هذا هو السبب الذى جعل زوار الوزراء فى مصر يطيلون فى الزيارات .

وكانت الغرفة مفروشة بالسجاد الأحمر وعلقت فيها صورة للملك الشاب وهو فى السابعة من عمره ، وصورة للملك فؤاد ، وكان مكتب الوزير مغطى بأكوام الدوسيهات وثلاثة تليفونات وآلة للراديو وسبعة أجراس .

وعن امكانية عودة السعديين الى الوفد قال النقراشى باشا انه لايظن ان يقع ذلك فالخلاف بيننا وبين الوفد على طريقة الحكم والنحاس باشا لن يرضى باتباع الطريقة التى نريدها

ويقول النقراشى باشا لهيلين هولت انه لم يترك النحاس باشا ولكن النحاس باشا هو الذى تركه وقال ايضا انه كان فى المعارضة يحرص على ان يسن تقليدا جديدا فى المعارضة النظيفة واظن ـ النقراشى باشا ـ أنى قد نجحت وينفى النقراشى باشا ان يكون الاقباط مضطهدين فى وزارته ويعطى هيلين دوسيها ـ قرار اصدره اليوم فقط بترقيات فى الوزارة لستة اقباط وخمسة مسلمين وعن قلة عدد النواب الاقباط فى المجلس النيابى (مجلس النواب) قال النقراشى هذه غلطة المرشحين الاقباط انفسهم : لقد رشحنا كل الاقباط الذين تقدموا الينا فانتخبوا « اما باقى المرشحين فقد انضموا الى الوفد وبالتالى سقطوا فى الانتخابات وتقول هيلين ان النقراشى كان ظريفا فى حديثه وان تكلم عن المجلات الامريكية وقال انه كان يقرأها وهو خارج الوزارة اما اليوم فهو لا يستطيع لانه يعمل فى اليوم ١٧ ساعة

وتقول هيلين فى النهاية :

خرجت من عند النقراشى وانا واثقة انه رجل مستقيم وانه يعمل باخلاص انه على حق وانه يكره الرياء والنفاق

وهكذا ـهيلين هولت ـ تكلم ابو الهول وساءلت نفسى لماذا لا يتكلم فى الراديو ليقول للناس ماقاله لى ليعلم من لم يكن يعلم ان الصليب فى مصر لايزال معانا الهلال .

ويرد الشباب المصرى على هيلين هولت ، يقول مصطفى جلال يس ـ العدد ٢٣٣ ـ تحت عنوان : الشباب الامريكى يتجسس على زوجة ويصفعها على قارعة الطريق وقد جاء فى مقاله :

أتتبع بشغف المقالات الممتعة التى تنشرها آخر ساعة للصحفية الامريكية البارعة هيلين هولت عن المجتمع المصرى ويؤسفنى ان أقول انها غالت وشطت فى

تصوير عيوب المصريين وخانها التوفيق فى مقالها الأخير عن الشباب المصرى وإنى كأحد الشبان المصريين وقد درست فى المعاهد الامريكية وشربت العلم من مناهلها ودرست أخلاقهم عن كثب دراسة تمكننى من القول بأن الآنسة الفاضلة كانت امريكية فى مقالاتها أكثر منها صحفية مدققة ! فالامريكيون أكثر شعوب الأرض تشنيعا وأخصبهم خيالا فى تصوير الحقائق ، ولهم غرام عجيب فى « بهدلة » الوقائع .. فهم على حد تعبيرها الظريف « يخلقون من الحبة قبة ومن البرغوث فيل » ولا أحاول هنا فى معرض الرد على مقال الآنسة الأخير سرد عيوب الامريكيين التى لو ذكرت بعضها على سبيل المثال - لا الحصر - لكانت العيوب التى ذكرتها الآنسة عن الشبان المصريين خصوصا فى ما يتعلق « ببصبصتهم » فضائل بالنسبة اليها أى إلى هذه العيوب .. بل حسبى ان أشير هنا إلى معاملة الشباب الأمريكى للآنسات فان المصرى لايجرؤ على أن يصفع آنسة فى مكان عام أو مشرب أو يركلها كما يفعل الامريكى على قارعة الطريق دون ان يثير عمله فضول الصحفيين أو الصحفيات !! والمصرى يتعفف أن يعيش من عرق جبين آنسة أو يطالبها بثمن نزهاته معها فان أنكرت عليه فداحة هذا الثمن رفع أمرها إلى القضاء !! المصرى لايتجسس على امرأته ويوقف عليها جاسوسا يرصد حركاتها وسكناتها ويعاملها كأنها حيوان لا أمانة له ولا وفاء لأنه يثق فى امرأته ثقة عمياء أساسها الحب والوفاء !! المصرى لايرصد - بآلة اخترعها الامريكى ثبتها على آلة التليفون - حركات زوجته ليعرف أصدقاءها ويقف على أحاديثها معهم وحديثها البرىء مع صديقاتها حتى فشت ظواهر اجتماعية خطيرة كادت تهز المجتمع الامريكى هزا ... وسمى كاتب امريكى هذه الآلة بطاعون مخيف يهدد العائلة الامريكية !

والشاب المصرى يا آنستى الفاضلة إذا قيس بغيره من الشبان الغربيين لامتاز عنهم بخلقه الكريم وصفاته وطبيعته السخية وأدبه الوفير ! لم نسمع قط على شاب مصرى داعب فتاته فى السينما والتياترو تداعبات خارجة عن الآداب العامة والاعتبارات الأدبية ! لم نسمع قط عن شاب مصرى يقضى مع فتاته أوقاتا حمراء فى الحدائق العامة – على عينك يا تاجر – يحيمه البوليس بهراوته والجمهور بصهينته . المصرى رجل نبيل مؤدب يجيش صدره باسمى صفات الرجولة وتنطوى نفسه على أشرف الخصال وانبلها وأسماها ، غيور رحيم طيب القلب رجل مروءة يفيض حساسة وشعورا . شكت فتاة من السويد من معاملات الشباب الأمريكى للآنسات وقالت فى الديلى اكسبريس « وما حادثت شابا امريكيا عن امر من الأمور او سألته سؤالا مهما إلا اجابنى بفظاظة وولى وجهه عنى كشحا » أين هو من المصرى الذى يجيب الآنسة اجابة صريحة تفيض بمروءة ويضع نفسه تحت أمرها حتى ينهى لها ما تريده ؟ !

أنستى المحترمة خففى قليلا وانت تتحدثين عن مصر فى مقالاتك فان مقالاتك الرائعة قد تلاقى رواجا ونجاحا فى بلد كأمريكا ولكنها تسمم آبارا يرجو المصريون والامريكيون كما عبر بذلك الدكتور وطسون فى احدى خطبه البليغة أن يبنوا ويشيدوا عليها جسرا صلبا متينا يربط البلدين الكريمين الى الأبد .

وتنشر اخر ساعة فى العدد ٢٣٤ كلمة لكاتب لم تذكر اسمه بكل اسف ويحتمل ان يكون من اسرة تحرير المجلة ردا على كلمة الاستاذ مصطفى جلال يس ويأخذ جانب هيلين هولت وقد جاء فى تلك الكلمة :

قرأت فى العدد الأخير المقالة التى عنوانها الرد خالص . « الشبان المصريون يهاجمون الكاتبة هيلين هولت » وفى رأيى انه ما كان يجب ان تنشروا مثل هذه المقالة والسبب انها ثقيلة الظل دون أن أتحامل ولكنها الحقيقة التى أعتقدها .

إن مقالة الكاتبة الامريكية هيلين هولت عن الشبان المصريين هى اصرح المقالات التى قرأتها وهى فى الوقت نفسه تدل على نظرة عميقة وتفكير سليم .

ان الكاتبة هولت قد رفعتنا فى الحقيقة الى السماء وانى لأعجب كيف يكتب واحد من الناس يلومها بغلظة ؟

ان كل انسان منصف يقرأ مقالاتها عن الشبان المصريين يخرج منها حاملا للكاتبة النابغة كل تقدير واحترام وخلاصة القول أن المقال الذى انتقد فيه احد الكتاب ما كتبته الكاتبة هيلين هولت يعتبر خروجا على اللياقة فضلا على الخروج على كرامة الضيافة التى اشتهر بها المصريون .

وأخيرا أؤمل الا تغير الكاتبة رأيها فينا بعد هذا المقال .

ينقسم سكان مصر الى اربع طبقات :

طبقة الفلاحين وهم اناس طيبون

والأفندية وهم ليسوا طيبين جدا

والباشوات وهم فى غاية الفظاعة

ثم طبقة البدالين الاروام الذين يستشهدون من اجل انجلترا إذ أنهم يذبحون دائما كلما قام الغوغاء بمظاهرات عنيفة ضد الانجليز .

واسباب ذبحهم هى (أولا) لأن قتلهم اسهل من قتل الانجليز (ثانيا) لأنهم اغنى من الانجليز فمحلاتهم فيها غنائم واسلاب تستحق النهب (ثالثا) لأن كل المصريين مدينون لهم بالمال .

وهناك طبقة خامسة يصعب تعريفها وهى طبقة البكوات .

وقليلون من هؤلاء هم الذين ينعم عليهم الملك بلقب بك . أما الاغلبية العظمى

فانها تنعم على نفسها بنفسها بهذا اللقب . والقاعدة هى ان لكل رجل الحق فى أن يسمى نفسه « فلان بك » حينما يستدير كرشه ويبرز ويطير أول زرار من ازرار البنطلون .

وجميع كتبة وموظفى المصالح تقريبا الذين قضوا فى الخدمة خمسة عشر عاما أو تزيد هم بكوات من هذه الطبقة .

ولقد سمعنا عن بعض حالات نادرة لطباخين كانوا يعملون عند بعض أسرات الطبقة الراقية وقد استطاعوا أن يحصلوا على هذا اللقب بفضل الشحم والسمنة والأموال التى حصلوا عليها من باب السرقة ومغالطة أصحاب الدار فى أسعار اللحم والخضار .

قيام حكومة الطلبة استبدلوا الطرابيش بلفافات من الشاش الابيض الملوث بالدماء .

وخروج الطلبة الى الشوارع لكى يحكموا البلاد خمسة ايام فى كل سنة لا يؤثر كما قد يفهم فى مستوى التعليم بأى حال من الاحوال

قد يحدث هذا فى بلاد اخرى .. ولكن النتائج السيئة التى يمكن وقوعها فى مصر بسبب هذه الحال قد عولجت بمهارة وذلك بجعل الامتحانات على اسهل مايكون حتى توافق كل الظروف .

ولما لم يكن هناك حد اقصى فى تطبيق هذه الطريقة فان المرجو ان يجىء اليوم الذى يحصل فيه الطالب المصرى على شهادة الدبلوم فى مقابل امتحانه فى حروف الهجاء .

وبلغ عدد سكان القطر المصرى اربعة عشر مليونا منهم سبعة ملايين من الفلاحين او المزارعين والسبعة الملايين الاخرى من الموظفين .

والمأمول أن تسوى قريبا هذه النسبة ، ويبذل حكام البلاد جهودا مشكورة من أجل الوصول الى حد الكمال وذلك بأن يصبح عدد الفلاحين مليونا واحدا والثلاثة عشر مليونا الباقية من الموظفين .. حتى اذا حل عام ١٩٥٠ انقرضت تماما طبقة الفلاحين واصبحت البلاد من اقصاها الى اقصاها مكونة من امة واحدة هى امة الموظفين .

ولقد حصلت مصر الان على معاهدة عقدتها مع بريطانيا العظمى ، وهو حادث مهم جداً إذ أنه قد سويت بهذه المعاهدة وبصفة نهائية جميع الصعوبات الخاصة بالتحفظات الأربعة .

والتحفظات الأربعة المذكورة هى المسائل الأربع التى لم نستطع الاتفاق عليها فى سنة ١٩٢٢ ، وكانت دائماً مصدر قلق واضطراب بل لم يكن هناك أحد يذكر خلال الأربع عشرة سنة الأخيرة ماهى على وجه التحقيق هذه التحفظات الأربعة ... ويقال فى

هذا الصدد إنه لما عقدت الجلسة الأولى للمفاوضات التى انتهت بعقد المعاهدة ، وطرحت مسألة التحفظات الأربعة على بساط البحث تبين أنه لا المندوب السامى ولا رئيس المفاوضين المصريين يذكران شيئا عنها ، ولهذا أجلت الجلسة ريثما يعود كلاهما الى مكتبه ويراجع « الدفاتر القديمة » ليعرف منها ما هى التحفظات الأربعة المذكورة !

ويستعين الطلبة على تنفيذ آرائهم وحججهم بالحجارة وقطع الزجاج ، بينما يستعمل القمصان الزرق الخناجر والعصى الغليظة .

ولقد اتحد هذان الحزبان الرئيسيان البعيدا النظر ووحدا قواتهما تحت اسم « الجبهة المتحدة » وهذه الطريقة فى الحكم طريقة رخيصة نسبيا إذ ليست هناك مرتبات أو مكافآت تدفع لموظفى حكومة الطلبة والقمصان الزرق . وكل ماهنالك هو أن البلاد تدفع من وقت لآخر ، تعويضات الى شركة الترام فى مقابل قطاراتها المحترقة ، وتستبدل مرة فى كل اسبوع مصابيح الشوارع وتعويض رجال البوليس عن جماجمهم التى حطمتها الحجارة وقطع الزجاج .

ثم هناك باب صغير بين أبواب المصروفات فى هذه الحكومة وهو دفع أجر اضافى إلى الكناسين فى مقابل تنظيف الشوارع من الحجارة والزجاج المحطم وقطع الحديد وذلك عند غروب الشمس كل يوم بعد انتهاء العمل الحكومى وانصراف الدواوين .

وهناك قواعد معينة تراعيها حكومة الطلبة مثل القاعدة التى تنص على أنه ممنوع الشغب وقذف الحجارة قبل الساعة السابعة والنصف صباحا .

« يرتاح الطرفان ساعة فى نصف الليل »

« ممنوع قذف الطوب أو ضرب رجال البوليس بعد الساعة السادسة مساء »

وفى اليوم السابع من كل اسبوع يذهب طلبة المدارس الحكام ويتظاهرون أمام دار المندوب السامى ويهتفون بحياة بريطانيا العظمى والمندوب السامى ...

أما فى الأيام الستة الباقية فانهم يهتفون « يسقط هور » و« ليسقط ايدن » ويحطمون نوافذ القنصلية البريطانية .

والفريق الوحيد الذى لايحب حكومة الطلبة هم رجال البوليس ، وهذا أمر مفهوم إذ ان كل شخص عادى يسأم فى آخر الأمر من رؤية رأسه يحطم بمعدل مرتين فى كل شهر ولكن المنتظر ان يصدر قريبا قانون ينص على ان لكل عسكرى يصاب بتحطيم رأسه أكثر من ست مرات الحق فى علاوة يومية قدرها قرش صاغ واحد وإجازة اضافية كل عام لمدة اسبوع .

وقد نصت المعاهدة على نقل الجيش البريطانى من القاهرة ونادى الجزيرة إلى

ضفاف قناة السويس وهذا أمر لايقابل بالارتياح لأنه سوف يتدخل الى حد كبير فى لعبة البولو وتمرينات الجنود .

وفى المعاهدة كذلك نص قابله الأجانب بالارتياح وهو النص الخاص باختصاص المحاكم الاهلية فقد كانت جميع قضايا الأجانب قبلا تنظر فى المحاكم القنصلية ، لكن مصر قررت أن تمضى من اليوم إلى أقصى حدود الكرم والسخاء ومن ثم أحالت جميع قضايا الأجانب إلى المحاكم المصرية ...

ذلك لأن العدالة المصرية فيها اقتصاد كبير وهى كذلك مختلفة الألوان .

فيها اقتصاد كبير لأن القضية الواحدة تكفى المرء طول حياته لا عاما واحداً أو ستة شهور كما هى الحال فى العدالة الأوربية .

وهى مختلفة الألوان لأن درجة الادانة فى القضايا الجنائية أو درجة البراءة تتوقف إلى حد كبير على ماهية الحزب السياسى الذى يكون فى الحكم اثناء نظر القضية ، ومعنى هذا ان تحطيم رأس رجل بنبوت قد يعتبر جناية أو يعتبر عملا عظيما تتحدث به الركبان وهذا يتوقف تماما على أى الاحزاب ينتمى اليه (أ) المتهم و (ب) المجنى عليه وخصوصا (جـ) وهو القاضى الذى يحكم فى القضية .

كذلك إذا حدث ان اصطدم أحد رجال البوليس بمشاغب كان يحطم مصابيح الشوارع ويحرق عربات الترام فقد يحكم على رجل البوليس بالحبس ستة شهور لأنه تدخل فى حريات الشعب المشروعة .

نعم مامن شك فى ان الأوروبيين الذين كانوا يشكون فى الماضى من ان الحياة مملة فى مصر ، ما من شك فى أنهم سيرفعون اليوم أكف الشكر الى العناية التى أتاحت لهم ان يتمتعوا بمزايا العدالة المصرية مع أفراد الأمة التى اخترعت هذه العدالة وسجلت اختراعها ضد كل تقليد .

ولقد جاهد المصريون وتظاهروا عدة سنوات من أجل الحصول على ما يسمونه « الاستقلال » ويستطيع أى رجل متزوج أن يقول لك إن هذا اللفظ لامعنى له ولا وجود .

ولقد حصلت مصر أخيراً على استقلالها وذهب يومها جمع غفير من الناخبين فى إحدى المديريات وهم يهللون ويكبرون الى مركز البوليس ، وطلبوا من الضابط النوبتجى أن يريهم هذا « الاستقلال » الذى طالما هتفوا بحياته .

قالوا : نحن لانريد أن نأخذه معنا الى دورنا ولكن نريد فقط أن تتفضلوا وتأمروا أحد جنودكم بأن يحمله لنا خارجا هنا لنتمتع منه بنظرة !!

يجوز للمصرى المسلم أن يتخذ أربع زوجات . أما إذا كان قبطيا أو مسيحيا فان

المقطوعية هى زوجة واحدة ، وعلى حضرة الزوج أن يعمل حسابه على أن تكفيه هذه الزوجة طول حياته .

ويستطيع المسلم أن يتخلص من زوجته بكل سهولة إذ كل المطلوب منه هو أن يقول لها ثلاث مرات « أنت طالق » فيصبح الطلاق أمرا واقعا .

ولكن معظم سكان وادى النيل يؤثرون عدم استعمال حقهم كاملا فى اتخاذ أربع زوجات ويجدون من الأفضل أن يطلقوا زوجتهم القديمة ويتخذوا زوجة جديدة وهكذا كلما سئموا زوجتهم ... وهى بلا شك طريقة ماهرة تبعد عنهم شبهة أو تهمة أنهم من أنصار تعدد الزوجات كما انها طريقة أرخص من سواها ...

ولا يستطيع الذى لم يجرب الأمر بنفسه أن يتصور الضجة التى تستطيع امرأة واحدة أن تحدثها . والزوجة المصرية مملوءة الرئتين ، وهى مشهورة بعلو صوتها ، وقوة صرختها خصوصا عندما ترى زوجها مقبلا عليها يتهادى فجورا وقد تأبط الزوجة رقم ٢ أو رقم ٣ .

ولاشك أنه يكون زوجا مسرفا فى التفاؤل إذا كان يدور بخلده أنه قادر على أن يتمتع بليلة واحدة فى شهر العسل تحت سقف واحد بين زوجتيه القديمة والجديدة وكثيراً ما تحطمت كأس الشهد وهى فى يد العريس من جراء ضربة مسددة المرمى اصابته فى اللحظة المناسبة من اناء أو وعاء بينما كان يأخذ عروسه بين ذراعيه .

ويتكلم المصريون اللغة العربية ، ولكن الأمر الذى يستلفت النظر فى هذه اللغة هو أنهم يتكلمونها بطريقة ويكتبونها بطريقة ثانية .. أما فى الخطب فان هناك لغة ثالثة .

والشيء المزعج أن لا أحد هناك فيما يظهر يستطيع أن يفهم اللغة التى يتحدث بها زميله وقد تسمع رجلين يتحدثان فيقول أحدهما عبارة وهنا يقول له الثانى فورا « إيه ؟ » ومعناها أنه لم يفهم .

فاذا تكررت ثلاث مرات استطاع أخيرا أن يفهم ما يقوله صاحبه مستعينا فى ذلك بالحدس والتخمين والاشارات ثم يجيء دوره هو ويبدأ يقول « إيه ؟ » وتستمر المحادثة هكذا بأعلى صوت ومن هنا تدرك أن السر لفظ لامعنى له فى وادى النيل .

واللغة العربية المكتوبة تختلف تماما عن العربية كما يتكلمونها ومهما كان المرء متعلما فانه لا يستطيع أن يفهم تماما ولأول وهلة المعنى المقصود من أى مكتوب فهناك على الأقل ثلاثة معان مختلفة .

ولعل بين أسباب مخالفة القوانين فى مصر هو ان قليلين جدا هم الذين يفهمون من أى مادة قانونية أنه تشجع وتحرض على ارتكاب العمل الذى يحرمه نفس هذا القانون .

والعربية التى تستعمل فى الخطابة هى لغة طنانة رنانة يعجبك سماعها لأن كل ألفاظها تختم بمقطع ممدود يرن فى الأذن مثل « أون » والمطلوب من السامع إذا كان من ذوى اللياقة هو أن يهز رأسه إعجابا بالخطيب بين دقيقة وأخرى لكى يثبت انه يفهم كل ما يسمع وأنه يوافق الخطيب على ما يقول . بينما يكون السامعون فى الواقع لم يفهموا حرفا واحدا .

ولما كان معظم ظنى ان الخطيب نفسه لم يفهم شيئا مما قال فليس هناك كما ترى ضرر على الاطلاق .

وهذا هو ما يسمونه باللغة العربية العالية وكلما علا مستوى العربية التى تعرفها كلما قل فهم الناس لما تقول .

وهناك نوع رابع فى اللغة العربية وهى اللغة التى تستعمل للحديث بالتليفون .
وهذا النوع من العربية مرتفع صاخب جدا بل هو مرتفع إلى حد انه يهز آلة التليفون ويسبب لها خللا وهذا هو السبب فى انه لايستطيع أحد حتى اليوم فى مصر أن يبلغ رسالة تليفونية على صحتها .

وقد تسمع مصريا يصرخ بأعلى صوته بالتليفون معطيا الأوامر لكى يرسلوا له السيارة على المحطة فى الساعة الثانية بعد الظهر ولكن الذى يحدث هو أن يذهب السائق بالسيارة إلى مركز البوليس ويبقى واقفا أمامه إلى أن يقبض عليه .

يكاد يكون البرلمان المصرى معطلا دائما ، فمع ان الشعب يتمسك بالبرلمان عند تعطيله ويصرخ بأعلى صوته مطالبا به فى الشوارع والطرقات إلا أنه على ما يظهر لايهتم كثيرا بهذا البرلمان أثناء انعقاده !

والذين يهتمون بهذا البرلمان دائما هم أعضاء البرلمان أنفسهم ، فهم يقبضون ستمائة جنيه فى العام إذا كان قائما ، ولا يقبضون شيئا إذا كان منحلا !

ثم ان عضوية البرلمان تكلفهم كثيرا فان ثمن الصوت الواحد بين الريال والجنيهين ، ولهذا فهم يحاولون جهدهم أن يبقى هذا البرلمان إلى الأبد حتى لا يعودوا إلى دوائرهم ويشتروا الأصوات من جديد !

والواقع أنه أمر محزن أن لا يبقى البرلمان دائما مفتح الأبواب فمع أنه يحدث أكبر ضوضاء ممكنة إلا أنه تجرى فيه أشياء مسلية يضحك منها الزائر أكثر مما يضحك فى أى كاباريه أو مرقص أو ميوزيكهول !

وعدد أعضاء البرلمان ٣٠٠ ولكنهم يحدثون ضجة كالتى يحدثها ثلاثون ألفا يتكلمون جميعا فى وقت واحد !!

وفى البرلمان الانجليزى لايتكلم العضو إلا فى الموضوع الذى يعرفه وله خبرة به . ولكن أعضاء البرلمان المصرى لايعرفون شيئا ، ولبست لهم خبرة بأى موضوع ومع ذلك فكل عضو منهم يريد ان يتحدث فى كل موضوع وأن لا يتكلم أحد سواه فى الجلسة ، وكلما قل إلمام العضو بموضوع ما ، كلما طال حديثه فى هذا الموضوع !

ومن هنا نجد أن جلسات مجلس النواب ممتعة ، وأن الزائر يمضى فيه وقتا ظريفا إلا إذا كان من هؤلاء الذين تتصدع رؤوسهم من الصراخ !

وحين تزداد جلبة الأعضاء ـ واللائحة الداخلية لمجلس النواب لا تبيح لأكثر من ٢٥ عضوا الكلام فى وقت واحد ـ عند ذلك يدق الرئيس الجرس طالبا النظام .

وأمام الرئيس تشكيلة مختلفة من الاجراس والنواقيس ، فعنده جرس للمكتب ، وجرس فرقة المطافىء ، وجرس مدرسة ، وكل هذه الاجراس يستعملها الرئيس فى وقت واحد حتى تسكت الضوضاء !

وحدث ذات مرة أن كان الرئيس يدق الجرس فصاح به أحد الاعضاء : لماذا يدق الجرس ؟

وقال الرئيس إنه صاحب الجرس ، وهو حر ، يدقه وقت ما يشاء !

وهذه العقلية هى نفس عقلية سائقى السيارات المصريين فهم يستعملون الكلاكسون وينفخون فى النفير بدون مناسبة بل إنهم يظنون أنه كلما نفخ السائق فى النفير كلما دل ذلك على إجادته قيادة السيارات !

وتبعا لحكم الدستور يوجد مجلس آخر اسمه مجلس الشيوخ .

ولكن لا يستطيع أى عضو فى هذا المجلس أن يدلى برأيه لان أحد الاعضاء (ولعل المؤلف يقصد الاستاذ لويس فانوس) احتكر الكلام فى الجلسة الأولى للمجلس ، ولم يسكت عن الكلام حتى كتابة هذه السطور !

فهو يتكلم فى كل موضوع . وعندما يحضر الفراشون والخدم فى الفجر لتنظيف المجلس ـ بعد انصراف الأعضاء ـ يجدونه مازال يتكلم ! وعندئذ يتولى الشيخ المحترم إقناع الفراشين برأيه ، وهم فى الغالب أكثر إنصاتا وفهما لما يقول من الاعضاء المحترمين !

وتحكم مصر بواسطة وزراء يعينهم البرلمان فاذا كان البرلمان غير موجود عينوا أنفسهم بأنفسهم !

وتبعا للوائح المالية يتقاضى الوزراء معاشا اذا مكثوا فى الوزارة ستة شهور ، ولهذا فكل وزير يبقى فى الوزارة على الاقل ستة شهور حتى يستحق معاشا .. وعندئذ يحال الى المعاش !

والسبب فى كثرة التعديلات الوزارية هو أن كل المصريين يرغبون فى ان يكونوا وزراء ، ولذلك تؤلف كل يوم وزارة وتستقيل وزارة حتى تجاب طلبات اغلبية المصريين !

ومن القواعد المتحرمة فى الوزارات أنه يجب على الوزير الجديد أن يلغى كل مافعله الوزير السابق فى الحال . فاذا قررت وزارة احمد باشا مثلا تعلية خزان اسوان ثم استقالت ، تولت وزارة حامد باشا وقررت « توطية » الخزان ! .. واذا قررت وزارة حزب الاتحاد مثلا انشاء طريق من القاهرة الى السويس وبدأت تعد الطريق من القاهرة ، ثم تألفت بعد ذلك وزارة وفدية فان أول ما تفعله هو أن توقف الاعمال فى أول الطريق وتبدأ فى إنشائه من السويس إلى القاهرة وليس من القاهرة إلى السويس !

فالمفهوم فى مصر أن كل ما يفعله خصمك السياسى خطأ فى خطأ ، وأنه من العار فى مصر أن تتمم ما بدأه غيرك .. بل عليك أن تهدم ما فعله وتبدأ أنت من جديد !

وكل تغيير فى الوزارة يتبعه تغيير فى موظفى الحكومة ، فالمديرون والعمد يرقون مرة كل ستة شهور ويعين مكانهم انصار الحكومة القائمة !

ولما بدأت الحكومات فى تنفيذ هذه الطريقة ظن صغار الموظفين وهم يودعون رؤساءهم انهم لن يروا وجوههم أبدا ولهذا كانوا يودعونهم باللعنات ! ... ولكن ثبت بعد ذلك أن هؤلاء المطرودين يعودون إلى وظائفهم بعد ستة شهور وهكذا دواليك ! ولهذا أصبح صغار الموظفين يتأدبون فى وداع رؤسائهم السابقين ، لأنهم يعلمون أنهم سيعودون اليهم بعد ستة شهور ... وهذه طريقة ظريفة ، طريقة التغيير والتبديل لولا أنها تكلف الحكومة دائما مصاريف طقمين من الموظفين بدلا من « طقم » واحد !

والبرلمان المصرى ينتخب انتخابا حرا . وقانون الانتخاب هو القانون المباشر ، أى أن أى مغفل فى قرية يستطيع التصويت فى الانتخاب !

ومعنى الانتخاب الحر هو أنه عندما يكون الوفد فى الحكم ويحاول الناخب أن ينتخب مرشحا غير وفدى فانه يضرب بالنبوت حتى يعرف الطريق المستقيم !

وإذا كان حزب الاتحاد فى الحكم وأراد المنتخب أن يقاطع الانتخابات فان البوليس يحمله بالقوة إلى صندوق الانتخابات !

ففى سنة ١٩٣١ رفض ٩٥ فى المائة من الناخبين الاشتراك فى الانتخابات . وظهرت النتيجة فاذا نسبة الذين اشتركوا فيها ٦٧ ٪ وسبعة أثمان .

ودل هذا على نشاط رجال البوليس ، فانهم لم يجبروا فقط جميع الناخبين الأحياء على الانتخاب ، بل إن بعض الذين توفوا قبل يوم الانتخاب بخمس أو ست سنوات اشتركوا أيضا فى هذه الانتخابات .. حتى اضطرت الدوائر الانتخابية أن تغلق أبواب الاقتراع حتى لا تصبح النتيجة أكثر من ١٠٥ ٪ !

إذا كنت مصريا ولم تكن موظفا فى الحكومة فانت فى مصر معدود من الأموات !
ففى بلاد النيل يحصل الموظف على كل شيء نظير لا شيء ، وغير الموظف يدفع كل شيء ويحصل على لاشيء !

والموظف المصرى أستاذ فى علم « المنفعة الشخصية » والتقاليد المصرية تساعده على إتقان هذا العلم . والمصريون بنوا الاهرام والموظفون جلسوا تحت المظلات يشاهدون عملية البناء ، ولما تم بناء الاهرام ادعى الموظفون أنهم البانون !

وكبار الموظفين فى مصر لهم حقوق عجيبة ، فالعسكرى الذى يحافظ عل سلامة الأمن العام ، يستخدمه الموظف الكبير فى شراء اللحمة والخضار وحمل الأطفال بدلا من المرضع ! وسعادته يسافر مجانا على جميع خطوط السكك الحديدية ويحصل على الماء والنور مجانا ويدخل دور السينما والمسارح مجانا وإلا ضايق أصحاب هذه المحلات ومنع عنهم الرخص ووضع فى طريقهم شتى العقبات

ثم هو أيضا يرسل أولاده الخمسة الى المدارس والكليات مجانا !

وقد أصدر أحد الوزراء منشوراً يمنع أولاد الموظفين من التمتع بالمجانية ، وقبل أن يجف حبر هذا المنشور ، استثنى الوزير الحالات الخاصة بأفراد عائلته وعددهم خمسة مع أن معالى الوزير المذكور يتقاضى مرتبا قدره ثلاثة آلاف جنيه كل عام .

وفى اليوم التالى فعل وكيل الوزارة ما فعله الوزير ، ولم يمض اسبوع إلا وقد حصل كل من كان إيراده ٦٠٠ جنيه سنويا على تصريح يبيح لأولاده دخول المدارس بالمجان !

أما هؤلاء الموظفون الفقراء فقد أجبروا على دفع مصاريف كاملة لأولادهم لأن المنشور صريح بمنع تمتع أولاد الموظفين بالمجانية !!

وأمل كل مصرى هو أن يصبح موظفا . وإذا استمرت الحالة على ماهى عليه الآن فلن يمضى وقت طويل إلا والأربعة عشر مليونا من السكان قد حصلوا على وظائف فى الحكومة .

ولكن قد يعرقل هذه الأمانى قيام حكومة الطلبة واستيلاؤها على مصالح الحكومة ، وفى هذه الحالة سوف يحال كل شخص بلغ من العمر أكثر من عشرين سنة الى المعاش ، وتملأ الوظائف الخالية بتلاميذ المدارس الثانوية والابتدائية .

ولعل هذا هو السبب الوحيد الذى يمنع الموظفين من تأييد حكومة الطلبة !

وعند بعض الموظفين المصريين قدرة عجيبة على (الادخار) والدليل على ذلك أن عددا كبيرا منهم يعتزل الخدمة فى سن الخمسين وله رصيد هائل فى البنوك .. وهذا

الرصيد عادة يساوى مجموع المرتبات التى حصل عليها الموظف طول مدة خدمته مضروب فى ثلاثمائة .

ومما يلفت النظر ان الموظفين الذى لهم هذه « الملكة » والقدرة على (الادخار) .

يتولون عادة مناصب خاصة لها اتصال بالمقاولات الحكومية وأعمال الانشاءات والمشتروات وبيع الأراضى للجمهور ..

أما صغار الموظفين كالكتبة والسكرتيرين فهم يعتزلون الخدمة وليس لهم مليم واحد فى البنك ، مما يدل على أن القدرة على الادخار ليست فى متناول كل الموظفين المصريين .

وللوزارات فى أنحاء العالم « سياسات مرسومة . فسياسة الوزارة الانجليزية مضاعفة التسليم وسياسة الوزارات الالمانية مضاعفة عدد السكارى الذين يشربون البيرة الالمانية .. أما سياسة الوزارات المصرية فهى مضاعفة عدد الكتبة والسكرتيرين .

ففى كل عمل حكومى يجب استخدام كتبة وسكرتيرين .. فاذا فكرت الحكومة فى رصف شارع فإن أول عمل تقوم به هو تعيين عشرات الكتبة ، واذا فكرت فى بدء زراعة البرتقال كان همها الأول أن تعين عشرات الشبان فى وظائف كتبة يملأون الملفات بعدد البذور فى كل برتقالة !!

وقبل أن توضع أول طوبة فى الشارع وقبل أن تحرث الارض استعدادا لزراعة البرتقال تضاعف الحكومة عدد الكتبة حتى يجهدوا أنفسهم فى كتابة خطابات أو عمل احصاءات تلقى عادة فى سلة المهملات .

وبعد أن يتم رصف الشارع ونمو البرتقال يستمر هؤلاء الكتبة فى مكاتبهم .

ويوجد بالقرب من الجيزة بناء كبير ملآن بالكتبة والسكرتيرين الذين يقومون بمراجعة حسابات المقاول الذى أحضر الاحجار للملك خوفو ليبنى الاهرام !!

وتمضى الشهور والسنون وهؤلاء الموظفون يشتغلون بمراجعة حسابات سبق أن روجعت عشرات المرات خوفا من أن تكون تلك الحسابات قد اخطأت فى خانة القرش أو المليم .

يحدث هذا فى نفس الوقت الذى يختلس الصراف أربعة آلاف جنيه دون أن يكون عليه محاسب أو رقيب .

وقد اعتادت مصر أن توازن ميزانيتها بسهولة وعلى ذلك فهى تصرف المبالغ الزائدة على انشاء وظائف جديدة لجيش الكتاب والسكرتارية .

وطريقة تنفيذ هذه السياسة تستحق التسجيل .

فاذا كان ثلاثة من الكتبة يقومون بعمل يستطيع ان يقوم به كاتب واحد ، فلا بأس من اضافة كاتب جديد وبذلك يصبح الثلاثة أربعة !! .

ولكن فى أوقات الازمات تصحو مصر ـ وهذا الصحو للحقيقة والتاريخ رغم ارادتها ـ وترى أن عدد الموظفين قد زاد عن الحد المعقول .. وعلى ذلك تكون الوزارات لجانا من كبار الموظفين لبحث وسائل توفير عدد الموظفين فى المصالح المختلفة .

ولما كانت هذه اللجان مكونة من كبار الموظفين ، فالحكومة تدفع لهم مكافآت عن كل جلسة يعقدونها .

وعلى ذلك فهذه اللجان لا تنتهى عادة من عملها لأن معنى انتهائها وقف المكافآت .

أما المقالة التى جلبت المتاعب على الاستاذ توفيق الحكيم كما جلبت المتاعب ايضا على آخر ساعة فقد نشرت فى العدد ٢٢٩ تحت عنوان « أنا عدو المرأة » والنظام البرلمانى لأن طبيعة الاثنين فى الغالب واحدة الثرثرة :

إذا أردتم أن تأخذوا رأيى فى مشكلة الحكم فى مصر فخذوه على أنه رأى رجل بعيد عن المعمعة يشرف عليها من أعلى البرج دون أن يكون له فيها عنزة ولا خروف

وقديما كانت الاساطير تروى أن أهل البلد اذا تنازعوا على أمر اجتمعوا عند الاسوار ليأخذوا رأى أول غريب يدخل من باب المدينة وفلأكن هذا الغريب الهابط عليكم لأقول لكم فى صراحة إن هذه الديمقراطية كما تفهمونها وتزاولونها فى مصر هى أصلح أداة لتوليد الحكم .. غير الصالح !! .

وإنه ينبغى لكم أن لا تنبهروا بالالفاظ الأوربية ، ولا تتقيدوا بالنظم الأجنبية ، وأن لاتترددوا فى اتباع ما فيه النفع الحقيقى وترك ما فيه الغرم وضياع الوقت..

فاذا اتضح لكم يوما أن « البرلمان » وما ينفق عليه من آلاف الجنيهات سنويا هو غرم لا غنم فيه ، فحولوه فى الحال إلى « مصنع » طائرات تحشد فيه ـ بدل جموع الأعيان الموسرين ـ أفواج العمال المصريين من أولئك المساكين المتسكعين العاطلين الذين يلتقطون فتات المقاهى والبارات ، حتى يعملوا عملا شريفا ويشيدوا مجداً خالداً .

نعم فلئن كان قد كتب على « القبة الذهبية » أن تخرج شيئا طائرا فى الهواء ، فلا ينبغى أن يكون دائما الصياح والخطب !! .

فاذا شعرتم أنكم فى حاجة إلى معمل « انتاج » لا إلى معمل « كلام » فانهضوا فى الحال إلى تنفيذ ذلك واضعين أيديكم لتغلقوا قليلا هذا « الفم » الواسع الكبير

الصاخب حينا المتثائب أحيانا ، لتسكتوه الاعوام التى ترونها لازمة كى يتسنى للايدى وحدها ان تنطلق عاملة فى هدوء ونشاط ، فالفم إذا سكت ، واليد إذا عملت استطاع الانسان ان يتقدم ركضا .. وهنا تتلاشى الاحزاب والاحقاد والاغراض ، وتصبح العيون كلها متجهة إلى الرجل المنتج حقيقة . وعند ذاك نلزم لكم حكومة لابد ان تتوفر فيها هذه الشروط :

أولاً : أن يكون أعضاؤها من أولئك الرجال الذين اشتهروا بقلة الكلام وسرعة العمل ..

ثانيا : ان لايكون لاعضائها لون حربى واضح .

ثالثا : ان يكون عدد اعضائها قليلا فان خير إدارة هى الموضوعة فى الأيدى القليلة الخبيرة ، كما ان فى ذلك تحديدا للمسئولية ، واختصارا للمرتبات الوزارية ! .

فاذا طلبتم إلىّ بعد ذلك أن أعين أشخاصا بالذات تنطبق عليهم اليوم فى مصر هذه الشروط فانى أقف حائرا مترددا ولكنكم مع ذلك تستطيعون أن تعقدوا الآمال على هذه الأسماء :

على ماهر للرياسة والمعارف والفنون .
حافظ عفيفى للمالية .
عبد الحميد بدوى للحقانية والتشريع .
أمين عثمان للخارجية .
عبد السلام الشاذلى للداخلية والمواصلات
عبد الرحمن عزام للتربية الوطنية والدعاية والصحافة .
عزيز على المصرى للدفاع الوطنى .
حبيب حنين المصرى للتجارة والصناعة .
عبد القوى احمد للاشغال والزراعة .
عبد الواحد الوكيل للصحة والاوقاف والحياة الاجتماعية .

ويلاحظ أن تسعة من عشرة تبتدىء اسماؤهم الأولى او الثانية بحرف عين ولا عجب فهى الوزارة التى عليها العين .

وحبذا لو سميتم وزارة الأوقاف منذ اليوم « وزارة الأوقاف والحياة الاجتماعية » حتى يتسنى لوزيرها تحويل ثروتها « المرصودة » إلى وجوه المنافع الاجتماعية المثمرة كالملاجىء والمستشفيات والنوادى الرياضية ، وان فى وضعها تحت اشراف وزير الصحة العمومية لتسهيل لهذا الغرض .

ولا أحسبنى قد أخطأت كثيرا فى الاختيار لكم فهؤلاء « العشرة الطيبة » هم من

شهدتم لهم فى جميع المناسبات بالعمل الصامت ، وقلة الميل إلى الحزبية العمياء ، والخطب العصماء مع نشاط ملحوظ فى طبيعتهم وجلد على الانتاج يطمئننا إلى إلقاء مصير البلاد على كواهلهم لمدة خمسة أعوام على الأقل .

وإنى واثق أن مثل هؤلاء الرجال البعيدين عن الاحزاب اذا تسلموا العمل تحت نظا ا لا يعرف « الحزبية » فانهم سيستنهضون فى الحال همم اصحاب الكفايات على اختلاف ألوانهم فان الذى طالما أفسد بلادنا إنما هو تعطيل ذوى المواهب بحشد بعضهم ضد بعض فى قتال عنيف مستمر لم تكن له نتيجة غير تحطيم الجميع .

بينما السر فى تقدم الدول التى نبذت النظام البرلمانى هذا التقدم العجيب الذى يشبه الوثب هو أنها بقضائها على التطاحن الداخلى بين الكفاءات ، والغائها احتراف السياسة والكلام قد جندت جميع الكفاءات للعمل الحقيقى فى خدمة البلاد ..

وبعد .. فيا اهل البلد هل تروننى قد خلصت لكم النصح ؟

ان كان الجواب : لا

فأنتم فى حل أن تقولوا لى : « إطلع من البلد » وسوف يأتى اليوم القريب الذى اذكركم فيه بنصيحتى صائحا ! .. قلنا لكم كده قلتم إطلع من البلد .. ! .

وفى العدد التالى نشرت اخر ساعة الخبر التالى تحت عنوان « أزمة دستورية »

كتب الاستاذ توفيق الحكيم مقالا فى العدد الماضى عن الديمقراطية .

وما كاد العدد يصدر حتى قامت الدنيا وقعدت .. كيف يكتب الموظف مثل هذا المقال ؟ واتصل سعادة رئيس مجلس الشيوخ بمعالى وزير المعارف محتجا على هذا المقال ، واتصل بمعاليه كذلك رئيس مجلس النواب .

وحققت وزارة المعارف مع الاستاذ توفيق الحكيم فقال انه لم يقصد اهانة احد وان غرضه الوحيد مصلحة البلاد . وانتهى التحقيق .

ولما سمعنا بخبر هذا التحقيق اتصلنا بالاستاذ توفيق الحكيم وعرضنا عليه ان يدعى ان المقال ليس من قلمه وان محررى آخر ساعة هم الذين كتبوه على لسانه تقليدا لأسلوبه فى الكتابة .

ولكن « الرجل » توفيق الحكيم رفض ان يتحمل غيره مسئولية عمله وأصر على ان يقول فى التحقيق إنه كاتب المقال .

فما اشد حاجة بعض الكتاب إلى بعض الرجولة فى الوقت الذى يتركون فيه غيرهم يسجنون من أجل مقالات كتبوها .

وكان من الابواب الناجحة فى آخر ساعة باب باسم : خطابات مفتوحة الى

العظماء والصعاليك وقد وجهت آخر ساعة واحدا من تلك الخطابات الى توفيق الحكيم جاء فيه :

وسئل النائب المحترم حفنى محمود وكتب فى آخر ساعة [العدد ٢٣١] مقالا تحت عنوان « غضب الديمقراطية » جاء فيه :

أصيبت الديمقراطية فى هذه الايام بتوتر أعصاب وعسر هضم أفضيا الى الاضطراب ؟

وتطور هذا الاضطراب الى غضب متفجر وغيظ غير مكظوم !

فالديمقراطية اليوم حانقة على كل شىء ، ترتاب من لا شىء ، وتنزعج من أى شىء !

أزعجها توفيق الحكيم عندما كتب مقالا بمجلة آخر ساعة ، داعب الديمقراطية فى أشخاص نوابها المحترمين ، أو نواب الشعب كما يحبون ان يسميهم الناس ، وفى قول آخر نواب العهد الحاضر ، وفى رواية أخرى نواب الحكم الصالح !

أقول ذلك وأنا فى غاية الاضطراب فقد يعرضنى هذا الكلام لغضب الديمقراطية فأفاجأ باحتجاج صاخب شديد من سعادة محمد محمود خليل بك قطب الديمقراطية فى هذا الزمان .. إذ ان الطريقة الديمقراطية كالطريقة الصوفية لا تستغنى فى كل وقت عن « قطب الوقت » !

وقد يطلب سعادة قطب الديمقراطية - أى محمد محمود خليل بك - التحقيق معى كما فعل مع توفيق الحكيم ، بل قد يذهب إلى أبعد من ذلك فيرسل الى الصحف أنباء هذا الاحتجاج كما فعل مع معالى كبير الامناء فى حادث التشريفات !

ولكن لماذا غضبت الديمقراطية على توفيق الحكيم ؟

إن مقاله ينقسم الى قسمين ، أحدهما تعرض للديمقراطية كمبدأ عام والآخر تناول أشخاص رجال الحكم أنفسهم .

أما تناول المبادىء العامة فلا أظن أن الحكام - الأحرار الدستوريين - الذين غضبوا لحرية الرأى فى عام ١٩٢٥ حين أخرج الاستاذ على عبد الرازق كتابه « الاسلام وأصول الحكم » ورغب البعض فى معاقبته ، والذين ثاروا عندما نشر الدكتور طه حسين كتابه « الشعر الجاهلى » وأراد اعضاء البرلمان تقييد حرية الكاتب ، لا أظن ان هؤلاء الاحرار الدستوريين يحللون اليوم نقيض اليوم والامس .. خصوصا وأن الاستاذ على عبد الرازق كان موظفا ، والدكتور طه حسين كان موظفا أيضا مثل توفيق الحكيم .

أما فيما يتعلق بذكر توفيق الحكيم لأشخاص بالذات ، فانه اذا كانت فى هذا العمل مجافاة للذوق السليم فليس على كل حال أبعد عن الذوق من موقف سعادة قطب الديمقراطية حينما نشرت الصحف احتجاجه على معالى كبير الامناء ..

وقد عودتنا الديمقراطية ـ فيما عودتنا ـ أنها لا تهتم كثيرا بمسائل الذوق وخفة الروح بدليل أن الحكومة القائمة بنفسها ـ وهى حكومة الديمقراطية ـ تخلصت من رياسة صديق الجميع الاستاذ محمود بسيونى فى مجلس الشيوخ ، وهو اخف الناس دما ، وأبعدهم عن الاحقاد الحزبية ، واكثر المصريين قاطبة للديمقراطية ، وهو الذى تستظرفه الاحزاب كلها ، ويبذل معروفه لكل الطبقات ، ولكن ذلك ، وهو كثير لم يشفع له واستبدلته الحكومة الديمقراطية بالرئيس الحاضر ، ولعل نزعة الرئيس الحالى المالية الفرنسية ، وما يبذل من « كرم » ارستقراطى غربى لا يمت الى الشرق بسبب ، لعل هذا يجعل مناحة الديمقراطية فى مصر تظل قائمة عدة سنوات !

ولعل ما يقلق الديمقراطية عندنا ، ويثير غضبها ، هو كثرة عشاقها .. فكل حزب يتغنى بها ويدعى الذود عنها ، ويتظاهر بالتفانى فى هواها والتدلل فى غرامها ، حتى تسابق الجميع فى « المزايدة » فأقلقها كثرة المتصابين واحتشاد الطالبين فأصبحت تريد أن تعرف ما وراء هذا الكلام المعسول وما تكنه لها القلوب :

ترى ماذا يكون شأنها ، وأى فجيعة تصيبها ، لوتكشفت لها قلوب أولئك المحبين يوما فوجدت منقوشا عليها :

فلتحيا الدكتاتورية !

ويومئذ تعلن الديمقراطيــة إعجابهــا بصراحة شخصين أولهمــا توفيق الحكيم ، والآخر .. !

وواصل الاستاذ توفيق الحكيم الكتابة فى آخر ساعة فكتب فى العدد ٢٣١ تحت عنوان « الشحاذون » يقولون :

إن تعاقب الوزارات السريع فى مصر ، يقذف اليوم من افاريز الفراغ بعدد وافر من اصحاب « المعالى » لا يصنعون شيئا غير الانتظار فى « ميادين » السياسة ، ممدودى الأكف .

ينتظرون ماذا هؤلاء المتعطلون ؟

ينتظرون دورهم فى العودة الى الركب .

نعم . إن الحكم أصبح الآن مثل ارجوحة « الخيول الخشبية الدائرة » التى يركبها الاطفال فى مقابل مليمات ، ولو اعطى طفل الف مليم لانفقها كلها فى هذه اللعبة اللذيذة ، فهو يحب الركوب لمجرد الركوب فوق هذا الحصان الخشبى المطلى بالذهب ،

الملون بأزهى الالوان الخادعة ، وإن دوره ينتهى ورأسه يميل الى الدوار ، فلا يفيق الا وقد انزله صاحب الارجوحة على الأرض ، فيظل واقفا بلا حراك ينظر الى حصانه يدور بغيره ، وفى قلبه الصغير حسرة ، وفى عينيه الذائغتين علامات الصبر النافذ ، الى ان تنتهى الدورة فيخفق قلبه أملا فى أن يعود الى الركوب ، وهكذا دواليك !

اما الفائدة من ذلك فلا شىء غير اللهو والسرور ، فهو متى امتطى صهوة الحصان الخشبى تملكه الغرور ، وظن ان هذا غاية الامل ، وأنه قد وصل . ويلعب برأسه دوار « الارجوحة » أو دوار السلطة الباطلة و« الفروسية » الكاذبة ، فيقنع بذلك ولا يفعل شيئا غير ازدراء الواقفين فى الانتظار وهو يمر بهم مر البرق متعاليا متصايحا صياح اللذة والظفر !

فالحياة فى مصر لهو فى لهو ، وتعطل الى جانب تعطل ، وفراغ الى جانب فراغ الجميع من شبان وسياسيين ، وقادة ومقودين ، لا عمل لهم غير التطلع الى خيول « المناصب الحكومية » الخشبية وهى تدور !

وهذا الروح العام قد اثر فى روح الشعب كله ، فنحن لا نكاد نرى طرقات مصر خالية من أناس أشداء يتطلعون الى موائد المقاهى ، ويمدون ايديهم يطلبون شيئا ، لقد سرت روح البطالة والسؤال فى كل طبقات الشعب ، الجاهل منها والمتعلم ، وكدنا نعتقد ان مصر قد نسيت ان فى

الوجود شيئا يسمى العمل والكدح والاعتماد على النفس ، وأن مصر اصبحت بلدا تخفق عليه راية « التسول » العام ، وهنا الخطر الداهم ، ولا أبالغ إذا قلت أن روح « الشحاذة » موجودة فى كل نفس مصرية فى الوقت الحاضر ، فالوزير الذى تسول طويلا فى انتظار منصبه لايكاد يدخل مكتبه كل صباح حتى يرى هو الآخر أفواج المنتظرين من أصحاب السؤال يمدون أيديهم ليعطيهم مما أعطاه الله ، فيثقلون كاهله بطلبات النقل أو التعيين أو الترقية أو العلاوة أو إلغاء عقوبة أو التملص منها ويضيع الجزء الأكبر من عمل الوزير اليومى فى التخلص من هؤلاء السائلين .

وتمكنت هذه العادة المرذولة إلى حد نرى معه بعض الناس ينتظرون حتى يسألوا جيرانهم الجرائد ليقرأوها « شحاذة » وإلى حد أرى معه أنا المؤلف كل يوم من يسألنى نسخة من كتبى « شحاذة » ولا أستطيع ان اجلس فى مكان حتى اسمع من حولى اصوات الالحاح فى سؤال شىء من الأشياء.

حقيقة إن الحياة فى مصر أصبحت لاتطاق ، فإما ان يتغير هذا الروح العام ، وإما ان نيأس ونحكم على هذا الشعب بأقصى الاحكام .

على أنى أعود فاقول دائما إن الذنب فى كل هذا واقع على كاهل القادة وحدهم

من رجال الحكم والسياسة ، فهم الذين علموا الشعب كله وغرسوا فيه روح البطالة والتسول والصياح . ولو أن الشعب رأى رؤوسه ورجالاته يعملون فى سكون ، لخجل وعمل هو أيضا بغير صخب ، ولأصبحنا حقيقة شعبا متحضرا ، يعمل ولايتسول .

أريد أن أضع تحت انظار وزرائنا ، مثل أبى بكر يوم ولى الخلافة ، فقد واصل عمله فى بناء الدولة الفنية حتى رضى واطمأن . فجهز إبله ذات صباح ، وأراد ان يخرج فى تجارة له ، فاعترضه الناس دهشين :

كيف تخرج فى تجارتك وانت الخليفة ؟

– وكيف أعيش وتلك صناعتى ؟

نعم ، هذا الرجل العظيم لم يكن يعتقد قط حتى ذلك الوقت ، أن سياسة الدولة عمل يرتزق منه ،إنما هو فى نظره واجب محتوم عليه كعضو من أعضاء الامة ، أما الارتزاق وأسباب العيش فينبغى ان يكفلها عمل آخر وكدح آخر .

وفى العدد ٢٣٢ تبادل الأستاذان توفيق الحكيم وحفنى محمود الرسائل فمن توفيق الحكيم الى حفنى محمود ومن حفنى محمود الى توفيق الحكيم وفيما يلى رسالة توفيق الحكيم :

إلى النائب المحترم حفنى محمود بك

قرأت مقالك « غضب الديمقراطية » المنشور فى العدد الماضى من مجلة آخر ساعة فبادرت أبعث اليك تقديرى ، وكنت أود أن أبعث اليك بشكرى ، لو لم أر من واجبى أن أدع هذا الشرف لمن هو أولى منى بشكرك « الديمقراطية » . فأنت الذى نهض الى إنقاذ سمعتها وسارع الى إقالة عثرتها بهذا الدفاع الذى ناصرت به « حرية الفكر » . نعم . إن دفاعك عن الفكر الحر إنْ هو إلا دفاع عن كيان الديمقراطية نفسها . فالفضيلة الوحيدة للديمقراطية التى ليست محل نزاع هى تقديسها أو مايروى على الأقل من أمر تقديسها « لحرية الفكر » . فاذا انحدر النقاب فى لحظة من اللحظات وأسفر وجهها عن فقدان هذه الفضيلة فقد خر بناؤها واندك صرحها من أساسه . وإن اليوم الذى تصخب فيه الديمقراطية طالبة خنق رأى حر أو تنهض فيه صحفها لتصب نقمتها على رجل حر ، اليوم الذى تهجر فيه وسائل الحجة والاقناع ويلجأ فيه إلى أساليب العداون والسباب وألوان العنف والارهاب إنما هو اليوم الذى يسقط فيه درع الديمقراطية عن صدرها ويبرز منها المقتل فى انتظار الطعنة الأخيرة . وإن هذا المصير ليلوح من حين إلى حين منذرا بالساعة الرهيبة لو لم تتقدم أيد مثل يدك فتضع على صدر الديمقراطية درعها وترد اليها فضيلتها وتثبت أقدامها من جديد فى ميدان الجهاد الشريف .

فأمل أن تقدر « الديمقراطية » خدمتك وأن تسجل لك صيحتك وأن تفخر بصراحتك ، كما أرجو أن تتقبل منى خالص التهنئة مع صنادق الإعجاب .

اما رسالة حفنى محمود فهى :

إلى الكاتب الحر الأستاذ توفيق الحكيم .

كسائر الكتاب العبقريين .. أراك حسن الظن إلى أقصى حد ، فأنت حسن الظن بى ، واكثر حسن ظن بالديمقراطية !

اما عن نفسى فلست أريد أن أكشف لك مكان الضعف فى هذا الظن الحسن ، خشية أن يحمل ذلك على محمل التواضع الثقيل .

وأما عن حسن ظنك بالديمقراطية فذلك فى حسبانك أن انتصار كاتب متواضع لها يمكن أن يرضيها ، وهى التى تسخر للدعوة لها صحف العالم أجمع ، وتثار من أجلها دعوة طويلة عريضة ينوء بها الهواء والماء ، ويشترك فيها الإنس والجن ، وبالرغم من ذلك كله ، نراها تخشى دعاية كاتب كتوفيق الحكيم فكيف نكلفها الرضى بما يكتبه حفنى محمود انت جد مخطىء ياسيدى وانى لادلك على قول الشاعر :

أسأت اذ احسنت ظنى بهم
والحزم سوء الظن بالناس

ولولا الخوف من اضطراب الوزن لجاز لك ان تقول والعزم سوء الظن بالديمقراطية .

سل دانتون وكان من اقطاب الديمقراطية فى وقته ماذا كان رده على النائب العام حين سأله ذات يوم عن عدد الرءوس التى ستقدم الى المقصلة وعما لاصحابها من شأن وخطر لقد تلا عليه النائب العام اسماء متواضعة الالقاب فصاح دانتون .

« انى لا أجد بينهم دوقا ولا ألح كونتا » وأمر بعزله فورا فلا تخدع نفسك ياسيدى وتحسب انى مستطيع ارضاء الديمقراطية فهذه الديمقراطية لايرضيها الا قطع رأسك أنت .

انها قوية الشكيمة ولو اكتفت منك بما حدث لك فى سبيلها لوجب عليك ان تحمد حظك الحسن .

ويقول : حفنى محمود : اتكفر بالديمقراطية ياسيدى الكاتب ويغرك ان ترى مصطفى كمال يجود بكل مايملك للترك وان نرى غيره يبخل بكل شىء الا عن بلاده فلو استطاع لحبس عنها الضوء والهواء ، لقد تحرك هذا ففكرت فى نظام اخر غير الديمقراطية .

كفرت بالحرية : فلم لايعطى الناس الحق فينصرفوا كما يشاءون ويفكروا كما

يريدون ولو نسوا بلادهم فى تفكيرهم وضنوا عليها بتحفهم وحبوا غيرها بخيراتها وآثارها : هم احرار ياسيدى : يتصرفون كما يريدون أما أنت فكأنى بك تريد حكما يصدم الحرية ويصادر آراء الناس ويأبى الا أن يتعصب فيرغم الناس على ان يحبوا كما يشاء ويعطوا كما يريد ويسيطر على القلوب فيرغمها ان تخفق بحب بلد واحد ولاتبذل الا لوطن واحد فان فكر انسان فى غير ذلك طلب ذلك الحاكم رأسه كما تطلب الديمقراطية رأسك .

واعود الى كتابك فاشكرك جزيل الشكر ، ولا أنسى ان انبهك مرة أخرى الى انك حسن الظن بى مسرف فى حسن ظنك بالديمقراطية .

وفى عدد واحد ٢٣٣ يكتب الاستاذ عباس محمود العقاد ، والاستاذ حفنى محمود ، عنوان مقال الاستاذ العقاد « كيدهم فى نحورهم » .. وقد جاء فيه :

استثارنى الاديب محرر هذه المجلة على الجماعة انصار الدكتاتورية واعداء الديمقراطية عسى أن أرد كيدهم « بكسر الدال » فى نحورهم « بفتح الراء » .

وقد نجح فى الاستثارة ، ولكنى أشك فى استطاعتى مايندبنى له بهذا « الشكل » أما بشكل آخر فهذا بعض ماأقوله فى ترجيح كفة الديمقراطية ، واحسبها ظاهرة والرجحان بغير ترجيح .

(١)إن الاستبداد أو ـ الدكتاتورية ـ لم تنشأ قط فى بلد مستقيم الاوضاع سالك فى مجرى الحياة الطبيعية ، فلابد لنشأتها من حالة منحرفة هى أشبه الاشياء بحالة المرض أو حالة الاضطرار ، فالمقارنة بين أمة دكتاتورية وأمة ديمقراطية كالمقارنة بين المستشفى والبيت :يجوز أن يكون الطعام فى المستشفى أنظف والمواعيد أدنى الى النظام والسكنى أوفى بالشروط ، ولكن البيت بعد هذا كله هو المقام الطبيعى للانسان ولو نقصت فيه بعض الشروط ، لأن الفرق بينه وبين المستشفى كالفرق بين الصحة والداء ، والمعيشة العادية ومعيشة الاستثناء والاستشفاء .

(٢) وما من علاج قط عالجت به الدكتاتورية مشكلة من المشكلات إلا وهو علاج موقوت لايتصور العقل دوامه فى جميع الاحوال ، فمشكلة البطالة قد عولجت فى بعض البلاد بالاكثار من صنع الذخيرة أو بالتجنيد فى المعسكرات الاجبارية ، ولكن ما العمل فى هذه المشكلة بعد سنوات ؟ ماالعمل بعد الاكتفاء من السلاح وفراغ المواد الضرورية للانفاق عليه ؟ لاعمل إلا الثورات أو الحرب وكلاهما وبال على العالم وعلى تلك البلاد التى تعالج المشكلات على هذا المنوال .

(٣) ومع ثورة الدكتاتوريين على الديمقراطية نراهم فى ابان مجدهم وقوتهم مقسورين على الاحتفاظ بصورة من صورها لاسبيل الى الاستغناء عنها ، وهى

المجالس النيابية ، فلماذا هذه المجالس اذا كان الناس يعلمون أن القول ماقاله الدكتاتور وأن الطاعة العمياء هي فضيلة الفضائل فى بلاد الاستبداد ؟؟ انما يحتفظون بهذه الصورة لأن الاستغناء عن الديمقراطية كل الاستغناء أمر لايقبله العقل ولا الواقع فى العصر الحديث ، ولولا ذلك لألغيت المجالس النيابية فى موسكو وروما وبرلين وغيرها من عواصم الحاكمين بأمرهم فى هذا الزمان .

(٤) والتجربة هى خير مقياس للنجاح . وقد جربت الديمقراطية أكثر من مائة سنة فى انجلترا والولايات المتحدة وفرنسا فنجحت وأفادت بلادها فى مضمار العلم والصناعة والاختراع والحرية الفردية والقومية اجزل الفوائد . بل افادتها فى القوة والسيادة وجاءت الحرب العظمى فخرجت منها دول الديمقراطية دون غيرها ناجحة رابحة لاتعانى مايعانيه غيرها من القلاقل والازمات .

فليس من حق الدكتاتورية ان تتسامى إلى مقارنة الديمقراطية إلا إذا أثبتت نجاحها بعد مدة كهذه المدة وتجربة كهذه التجربة ، ولكنها فى الواقع لم تعش بعد أكثر من بضع سنوات ولا تزال فى شك من المصير ، بل لا تزال كل حكومة من حكوماتها مرهونة بفرد من الأفراد لا تضمن له خليفة ولا تضمن الأحوال القومية ولا الأحوال الدولية إذ هى ضمنت من يخلفونه بعد مماته .

(٥) نعم ان أناسا من قصار النظر يقيسون النجاح ببلوغ الغرض فى مسألة مثل مسألة السوديت أو مسألة النمسا من قبلها

ولكن النجاح لا يقاس إلا بمسألة تهم الطرفين على حد سواء .

فهل فى الدنيا أحد كان يتوهم ان الألمان أو الطليان يجسرون على احتلال أرض انجليزية أو فرنسية ثم ينجحون ويظفرون بما يريدون ؟

ان الانجليز كانوا خاسرين إذا دخلوا الحرب فى الأزمة الماضية على كلتا الحالتين .

كانوا خاسرين إذا انتصروا لأن هزيمة ألمانيا معناها لا محالة اغراق الشيوعية لبلادها وبلاد أوربا الوسطى معها . وتلك نتيجة لا يفرح بها الانجليز ولو ظفروا بجميع ما أرادوه .

وكانوا خاسرين إذا انهزموا وهو أمر بعيد الاحتمال على كل تقدير .

فمن ذا الذى يطالبهم بالمغامرة فى حرب لا مصلحة لهم فيها ولا فائدة لهم من نصرها وهزيمتها ؟؟ وكيف يكون احجامهم عن الحرب دليلا على أنهم فاشلون وان نظام الدكتاتورية هو النظام الراجح على نظام الحكم فى البلاد الانجليزية .

ان الرجل « المستور » الذى يتحاشى « الخناقة » لا يدل بذلك على الجبن

وضعف العضلات وقلة الجلد على الخصام ، ولكنه يدل على أنه مستور وأنه لا يحتاج إلى الخناقات كما يحتاج اليها الآخرون .

(٦) ومن الواضح ان الديمقراطية لا تخلو من عيوب ومؤاخذات .
ولكن أين هو العمل الانسانى الذى يخلو من أمثال هذه العيوب والمؤاخذات ؟

ثم نسأل المبالغين فى تشويه الديمقراطية : أليس للحرية ثمن ؟ أليس من الانصاف أن أقبل بعض العيوب لاستمتع بحريتى وأعرف اننى انسان مختار ولست بآلة من الآلات ؟

بل نسألهم : هل تمت الديمقراطية اليوم كل التمام واستحال عليها ان تترقى مع ارتقاء الأمم فتستوفى حظوظها من النمو والصلاح والتوفيق بين اساليبها وجميع المطالب السياسية والاجتماعية .

ان للديمقراطية غدها المرقوب وهو غد الانسانية بحذافيرها ، فما هو غد الدكتاتورية إذا هى فشلت الآن ؟

(٧) ونحن اذا لخصنا تاريخ الانسان منذ فارق الكهف إلى يومه الحاضر لم يكن لذلك التاريخ من خلاصة غير تعليمنا حماية الحياة وحماية الحرية الفكرية ، وكل ما اختبرته الانسانية من التجارب القياسية ضائع فى الهواء إذا أصبحت الحياة الفردية ولاضمان لها ، وأصبحت الحرية الفكرية ولا قيمة لها ، واصبحت حياتى وحياتك وحياة كل مخلوق رهينة بلفظة واحدة يلفظها رجل لا امتياز له لولا سلطان المركز وسلطان الظروف . فكل ربح بعد ذلك لايعوض هذه الخسارة الفادحة ، وكل ربح بعد ذلك إنما هو عرض موقوت لايلبث أن يزول .

(٨) وهنا فى مصر ما هى الخطة التى يقترحها اللاغطون بتشويه الديمقراطية ولا يمكن تنفيذها فى ظل الديمقراطية ؟؟

وما هو الركود الذى يشكونه بعد أن يتقرر بالبينات والأرقام أن جيشنا وتعليمنا ونظام إدارتنا وزراعتنا ومواصلاتنا وحريتنا خير مما كانت منذ شهور ؟؟

فى بلاد الدكتاتورية يتكفل الحكام بالفرجة وتهييج الاحساس فيعجبون هؤلاء الذين يتبرمون بالركود ويقترحون على الحكومات أن تفعل ما تفعله شركات الصور المتحركة فى كل موسم من الاعلان الجديد والروايات الجديدة والابطال الجدد والتهويش والتهويل .

كل شهر فى بلاد الدكتاتورية ينقضى على ضجة أو أزمة أو مناورة ، لانها تموت لساعتها اذا بطلت الأزمات والمناورات ومعارض الفرجة والتهليل .

اما الديمقراطية فأساليبها غير هذه الأساليب ، وبرنامجها يحتاج الى تنقيح كبير إن كان الحكم عليها للاغرار ممن لا يعقلون ولا يفقهون معنى الحرية ، ولا يطلبون من الحياة شيئا اكثر من أن تنقلب الى « سيرك » تهريج لا تنقطع فيه مروعات الاسماع والابصار ، ولمنظر نمر هائج فى الملعب أحق بالتصفيق عند هؤلاء الاغرار من منظر وزير فى مكتبه يسوى الأمر من وراء الأبواب والجدران بغير هذه البهلوانيات والقفزات التى يتقنها « كواكب » الاستبداد .

أثرتنى أثارك الله يا بنى ... وإن غضبت فيا أخى المحرر ... ولكنى سألتزم الهدوء والسكينة والسلام .

وفى العدد ٢٣٤ يكتب توفيق الحكيم بعنوان « سيدتى الديمقراطية » فيقول :

إنى لم أخطىء كثيرا يوم شبهت الديمقراطية بالمرأة . إنها فى نظرى دائما إمرأة .. بل هى أرملة طروب .. لها « صالون » فسيح يضج بالحديث ويعج بالثرثرة . ويمتلىء كل مساء بالانصار والمريدين والخلان والعشاق . وهؤلاء جميعا يتنافسون ويتزاحمون على الاستئثار بقلب « الأرملة الطروب » ذلك لأنهم يعلمون أن الظافر بعطفها الدانى إلى فؤادها هو صاحب الكلمة فى البيت ، والمتصرف فى الخزائن ، والآمر الناهى فى الخدم والحشم . ولكن هذه المرأة من النوع الملول اللعوب . فهى لاتثبت على حب . ولا تستقر على تفضيل خليل . فانها قد تغمز الليلة بعينها لأحدهم وتظهر له من العناية والالتفات ما يملأ نفوس الآخرين غيرة وحسدا . ولكنها فى الغد تطرده وتقرب اليها من كان بالأمس منسيا مقصيا . وهكذا دواليك ... حتى أصبح التغيير والتبديل فى أسياد البيت وعشاق « الست » هو كل حديث المجلس والصالون . وأصبح لا هم ولا عمل للمطرود إلا النيل والحط من المحظوظ . وتضطرم النيران فى القلوب وتتراشق الألسنة بالسباب تحت سمع سيدتى « الديمقراطية » الجالسة فى مقعدها الكبير تبتسم وتنظر فى المرآة متعاجبة إلى وجهها المطلى بالأصباغ والمساحيق . وماذا يهمها هى ؟ تلك الشابة المرحة التى لم تتجاوز من العمر مائة ربيع (على حد قول الاستاذ العقاد) . إن المرأة يروقها دائما أن يتقاتل الرجال تحت قدميها . وهى من أجل ذلك تتركهم احرارا يتناحرون كما يشاءون ويتشاتمون كما يريدون . نعم هم أحرار أن يبارز أحدهم الآخر تحت شباكها ويطعنه فى مقتل وفى غير مقتل . تلك هى « حرية الرأى » التى ترعاها الأرملة الطروب بابتسامها العذب . نعم حرية رأى أحد المتنافسين فى الآخر !

اما حرية الرأى فيها هى « السيدة المصونة » فشىء آخر . إن من تحدثه نفسه ان يترك ابداء الرأى فى خصمه وعذوله ليبدى رأيه فيها هى ... إن من تذهب به الدعاية الى حد الكلام فى غير اعجاب عن جمالها هى وأصباغها ومساحيقها ... ان من

تطوح برأسه النكتة البريئة فيشير فى غير اجلال الى تلك النقط السوداء فى وجهها التى تسميها الخال ... من فعل ذلك فجزاؤه هذا العقاب : أن تأتى به بين براثن اتباعها المتشاجرين وتغريهم به فينقضوا عليه جميعهم يتسابقون الى تمزيقه بلا رحمة . حتى اذا تم لهم ذلك ومسحوا أيديهم من دم هذا المداعب الحر المسكين حظوا من « الست » بابتسامة شكر . ثم عادوا الى ماكانوا فيه من شجارهم و « حرية رأيهم » !! ..

فى صالون « الست » عدا هؤلاء العشاق الطامعين فى سيادة البيت عن طريق رضاهم ، فئة أخرى قليلة لامطمع لهم فيها ولامغنم إنما هم شعراء متعلقون بالمثل العليا . يقدسون مبدأ حرية الرأى فى ذاته ويغضون الطرف عن فوضى الصالون . ويدفعهم إخلاصهم « للفكرة » التى يرونها ملتصقة بالست إلى أن يدافعوا عن الست . ويجملوها فى أعين الناس ويسبغوا عليها من خيالهم ثيابا موشاة ويزججوا حاجبيها بأقلامهم ويكووا شعرها بحرارة أفئدتهم . وهم دائما فى الصالون يتبعون الست « بالمقص » و « المشط » وهى لاتعطيهم شيئا إذا أجادوا خدمتها أما إذا سهوا وجاروا

على ثوبها فخدشوه ، أو على شعرها فحرقوه فالويل لهم . هذه الفئة هى التى أنتمى أنا اليها ولا فخر . ولا يؤاخذنى الاستاذ العقاد إذا اعتبرته هو أيضا من أقطابها . وليثق أنى لا أؤاخذه مطلقا على رده « كيدنا فى نحورنا » من أجل سواد عيون الست فان الدفاع عن المبدأ أولى من الدفاع عن الزملاء .

على أن الاستاذ العقاد قد استرعى نظرى بقوله : « إن المقارنة بين أمة دكتاتورية وأمة ديموقراطية كالمقارنة بين المستشفى والبيت . يجوز أن يكون الطعام فى المستشفى أنظف والمواعيد أدنى الى النظام والسكنى أوفى بالشروط ، ولكن البيت بعد هذا كله هو المقام الطبيعى للانسان ولو نقصت فيه بعض الشروط ؟ » هذه صورة استطيع الموافقة عليها . وكل فكرتى الماضية تنحصر فى انى قدرت ان الشجار فى بيت « الأرملة الطروب » قد بلغ أشده فتحطمت النوافذ من قذف الطوب ، وسالت الدماء من الرؤوس وهربت الشفقة من النفوس ، حتى أصاب حجر جبين العجوز واقتضت الحكمة نقلها مع عاشقها (لزمن موقوت) من بيتها الطبيعى الى المستشفى الأميرى وهنا ايضا قدرت أن رجال الاسعاف لايمكن بالبداهة ان يكونوا من بين الضاربين أو المضروبين . ذلك منطق الصورة التى رسمتها . ومنطق الفن اقوى من ارادة الفنان وقد جرى قلمى فى هذه المجلة كما تجرى فيها ريشة « ضاروخان » .

ولكن الارملة الطروب لم تطرب هذه المرة ، ويكفى ان تفعل ، فيعبس اصحابها

الغيورون . وقد دهشت حقا اذ رأيت بين من عبس الاستاذ عباس العقاد حيث قدرت له ان يضحك فاذا هو يغضب ويصيح : « ثم نسأل المبالغين فى تشويه الديمقراطية أليس للحرية ثمن ؟ » نعم يا أستاذ عقاد إن للحرية ثمنا .. وأنا الذى دفعته من مرتبى !!

وبعد ، فتلك دعابة أخرى أسألك اللهم أن تجعلها خفيفة على أسيادنا أصحاب الست ، فلا أدفع ثمنها غاليا . فحرية قلمى شىء فى دمى . وإن يدى دائما « تأكلنى » . وما دامت تستطيع الكتابة ، فلا بد من أن أداعب بها الى ان تقطع . وأمرى الى الله .

والجدير بالذكر أن الاستاذ حفنى محمود راح فى العدد ٢٣٤ من آخر ساعة يعقب على مقالة الاستاذ العقاد فكتب مقالا تحت عنوان الى المستشفى ، وكان الاستاذ العقاد ـ كما سبق ان ذكرنا ـ قد قال إن الديمقراطية كالبيت والدكتاتورية كالمستشفى ويقول حفنى محمود انه ما كادت تصدر اخر ساعة وبها مقال الاستاذ العقاد حتى شعرت بألم فى « نحرى » وباضطراب فى اعصابى فلم يسعنى الا الذهاب الى حلوان للاستشفاء ويقول ان صحته يزأر بها العقاد كل يوم فى وجوه خصومه السياسيين انصار الديمقراطية تكفى ان نرسل بهم الى المستشفى ايضا فاعداء الديمقراطية وانصارها يجب اذن ان يكونوا نزلاء المستشفى واذن فالمستشفى هو المكان الوحيد المختار ، للمجتمع الانسانى المريض بفطرته السقيم بغريزته وشهواته .

ويقول حفنى محمود ساخرا ان الهواء الطلق مفيد للاصحاء ولكنه يعرض المريض بالبرد . وهو ابسط انواع الامراض ـ يعرضه لالتهاب فى الرقبة او لكبد فى النحر او لنزلة من نزلات الصدر .

ويقول حفنى محمود : للحرية فى العهود الديمقراطية معدة مثل معدة زيور باشا تهضم الحجارة وتبلع الجرانيت .

أما الخلاف فى الرأى مع كاتب الشرق الكبير من الالفاظ النابية مالا أذن سمعت .. وسرحت اقلام خصومه فى ادبه وسياسته ، ولم يشفع له ماض جليل وحاضر عظيم فهل غضبت الديمقراطية لغناها وحاميها اوهل تحركت بها نحوه من سهامه .

وهل كان نصيبه كنصيب حيته يوم تعرض له بعض الكتاب فاسرع بسمارك الى الكاتب المعتدى وطلبه للمبارزة وما بسمارك الا زعيم الاوتوقراطية وشيخ الاوتوقراطيين انني لم أسمع ان مصطفى النحاس ، او محمد محمود او احمد ماهر ، او غيرهم من دعاة الديمقراطية عندنا طلبوا شاتمى الكاتب الكبير ، الى المبارزة ولهم عذرهم ... المهم يجهلون فنون المبارزة فى السيف او لعلهم ينظرون حتى تمر مشروعات الدفاع من

البرلمان فيصير لكل زعيم سيف وطبنجة او نبوت ويومئذ ، يبارزون خصوم العقاد ، كما بارز بسمارك خصوم جيته العظيم .

ويقول ، حفنى محمود مخاطبا عباس العقاد صدقنى ياكاتب الشرق ان المستشفى هو المكان الطبيعى لعلاج جسم هذا المجتمع الذى لو لم يفسده شىء لكانت المدينة الجديدة كفيلة بفساده ..!

ولست أرى فى الشرق ـ حفنى محمود ـ ساعدا اقوى من ساعد العقاد لفتح هذا المستشفى الكريم لتتداوى به تلك النفوس المريضة وتعالج جراحات المشاحنات الحزبية التى اهدرت الاخلاق واستباحت الاعراض والذمم والضمائر .. افتح الباب يارجل ونحن السابقون وانتم اللاحقون وبعد فخير لنا ان ندفع اليوم مصاريف العلاج راضين بدلا من ان ندفع غدا تكاليف الكفن كارهين ..!

واذا كان الشىء بالشىء يذكر فان حفنى محمود الذى كان أو من احتج على سوء المعاملة التى عومل بها توفيق الحكيم فدش قلمه ، وكتب ـ فى اخر ساعة ايضا مقالا عن الحكم الصالح ـ وكانت وزارة شقيقه محمد محمود فى يوم من الايام ـ قد سميت وزارة الحكم الصالح وقد جاء فى المقال مايلى :

لا اريد ان اتعرض لهذا الاسم من حيث اللغة فهو اقرب الى لغة الفقهاء منه الى لغة السياسيين ، وليس بعيدا ان يكون انصار الوزارة الحاضرة قد فجعوا كما فجعت انا فيه ، ولعل اطلاق هذا الاسم على العهد الحالى كان « دسيسة » أو كان نتيجة مؤامرة واسعة النطاق !

ذلك لأن هذا الاسم فتح العيون لاشياء كثيرة لاقبل لحكومة العصر الحديث بها فقد توقع الناس من الحكم « الصالح » سيرة السلف الصالح ، واقل ما انتظره ان يروا وزراءنا وقد طالت لحاهم حتى غطت صدورهم ، واستعاضوا عن محافظ الدواوين بسبح تضرب الى الساق ، واستبدلوا الطرابيش الحمراء بعمم خضراء فى حجم المناسف أو الغرابيل ، وتوقع الناس أن يوفد الوزراء الرسل تبحث عن اقوى الميكروسكوبات واعظم المكبرات ليبحثوا بها عن صهر او قريب ، وعديل او نسيب اصابته نفحة من المحسوبية فى يوم من الايام ليردوه مكانه ويقولوا للناس « هؤلاء أقاربنا لم نتخط بهم رقاب العباد » هذا اذا تواضعوا أما إذا اعطوا « حرفة الصلاح » حقها فانهم لايترددون فى اخراج اقاربهم جميعا من دواوين الحكم ويقولون لقد دفعت ضريبة الحكم من دماء اقاربنا واصهارنا .

ثم تلمسهم الناس فى المساجد ليسمعوا منهم كل يوم الاستغفارات الحارة لخصومهم الذين يسرفون عليهم فى النقد ويتناولونهم بالطعن والتجريح .

وتوقع الناس عودة لمناظر الحمير والبغال تذرع شوارع القاهرة جيئة وذهابا الى الدواوين بدلا من اللنكلن والبويك والباكار !

وانتظر الشعب ان يطلق الوزراء ألقاب صاحب المقام الرفيع وصاحب الدولة وصاحب المعالى ويكتفوا بألقاب اصحاب الفضيلة والنيافة والارشاد !

واعتقد الناس ان رئيس الوزراء سيقابل زواره - لا فى ديوان الرياسة ولا فى بيته - ولكن تحت شجرة فى ميدان لاظوغلي كما كان يفعل عمر بن الخطاب حين ينظر شؤون الناس ويحكم بين الرعية بالعدل والقسطاس !

وتساءل الناس هل ستستمر حكومة الحكم الصالح على محالفة الانجليز « الكفار » ام ستتركهم وتعقد نفس المعاهدة مع دولة الحجاز فتصير بدلا من حلفاء الملك جورج السادس حلفاء للملك بن السعود !

وظنت الامة ان الوزراء الصالحين لن يستشفوا بعد الآن مياه أفيان فيشى أو اكس ليبان بل ستكون وجهتهم دائما بئر زمزم وحمامات البيت المقدس .. والمياه المعدنية فى أورشليم !

هذه هى الثغرة الكبرى التى فتحتها كلمة الحكم الصالح على رجال الحكم الموجودين ، وهى فتحة قد تبدو للانظار عظيمة النجاح ولكن لاقبل لوزراء العالم بها ، لا قبل للديمقراطية كلها بها ، بعد استئذان قطبها سعادة محمد بك محمود خليل !

ومن هنا اختلفت نظرية وزرائنا فى الحكم « الصالح » مع مارسمته هذه الكلمة فى أذهان الناس من عهود الفقهاء السابقة فرأى وزراء هذا الحكم الصالح ان يقوم هذا الصلاح على التغنى بالديمقراطية فى خطبهم ، والتدله فى حب المبادىء الدستورية ، والتفانى فى غرام النظم البرلمانية ، وتجنب روح الفتوة والقوة فى القول والعمل لأن الفتوة والقوة لاتتفقان مع الصلاح والورع والتقوى ، ونسوا ان للصلاح او للحكم الصالح معنى غير ما يفهمون .. او ماتفهم الديمقراطية التى يتغنون بها !

وقد اتفق ان رأت السيدة عائشة زوج النبى ﷺ رجلين فهما معنى الصلاح كما فهمه وزراؤنا الحاليون فمشيا الهوينا وتباطآ فى السير حتى سبقتهم لا السلحفاة فقط بل معالى احمد خشبة باشا ايضا ! .... وكان الرجلان بطيئين فى الحركة القضائية حتى انهما ضربا فى البطء الرقم القياسى الذى سجله وزير الحقانية فى حركاته القضائية هذه الايام .

الفصل الثانى

- آخر ساعة التابعى أولى مراحل انطلاقها

- لأول مرة : صحافة سياسية وفنية واجتماعية متطورة

فى الجزء الاول من كتابنا عن التابعى تحدثنا ـ وبايجاز يكاد يكون مقلا ـ عن الأعداد الأولى من آخر ساعة ، كما أصدرها محمد التابعى ، ونكمل اليوم ـ وبتوسع . ما بدأناه فى الجزء الاول من الحديث عن مجلة آخر ساعة فى أيامها الاولى ، وذلك ان المجلة كانت يومئذ فتحا جديدا فى عالم الصحافة ، كما ان الاستاذ محمد التابعى قد وضع فى تلك الأعداد عصارة تجاربه فى روزاليوسف ، لمدة عشر سنوات بالاضافة الى مااستفاده فى رحلاته الصحفية فى كثير من اقطار العالم حيث اتيحت له فرص الاطلاع على كثير من الصحف الاجنبية المتطورة حيث كان يحرص باستمرار أن يوثق علاقاته بكبار الصحفيين الأجانب ويزورهم فى مكاتبهم بالمجلات التى يرأسون تحريرها ، او يكتبون فيها .

والعدد الاول من آخر ساعة التابعى : كتب عليه العدد ١/٨ السنه الثالثة لان الترخيص وقتئذ كان باسم مجلة آخر ساعة للاستاذ محمد عفيفى شاهين صاحبها ، ورئيس تحريرها ، ولم يكتب فى هذا العدد فى الصفحة الاولى ولكن ببنط اكبر سوى العبارة التالية عن الاستاذ التابعى ، يشترك فى التحرير الاستاذ محمد التابعى . وكان كل قارىء فاهم كما كان يجرى فى كواليس الصحافه المصريه وقتذاك ان محمد التابعى هو الكل فى الكل فى هذه المجلة وان كان صاحبها الاستاذ محمد عفيفى شاهين ورئيس تحريرها ايضا ولان العدد الاول قد صدر فى يوم الاحد ١٥ يوليو ١٩٣٤ ، فقد كانت افتتاحية العدد الاول عن ١٤ يوليو عيد الحرية ... وفى الحديث عن ١٤ يوليو تعريض بما يجرى فى مصر حيث حرم علينا الكلام ، والمشى فى الطرق ، وحتى ادارة الفوتغراف .. وفى الافتتاحية ايضا اشادة بمصطفى النحاس باشا ، رئيس الوفد المصرى ـ وقد بدا واضحا ومنذ العدد الاول من المجلة ، انحيازها للوفد المصرى ورئيسه إنحيازا تاما .

وفى العدد الاول ـ ايضا ـ يكتب محمد التابعى عن الخلاف بين ماكدونالد ، وجون سيمون حول الحالة الحاضرة وماكدونالد هو رئيس الوزارة البريطانية وسيرجون سيمون هو وزير الخارجية البريطانية ، وكان من رأى سيمون انه مادام المندوب السامى البريطانى فى مصر ـ سير مايلز ، لامبسون ـ يرى ان التجربة فى مصر قد فشلت وليس اذن من صالح الحكومة البريطانية فى شىء بقاء الحالة الحاضرة ، بعكس مستر ماكدونالد ، الذى يرى انه مع تسليمه بفشل التجربة الا انه يجب التأنى قبل الاقدام على اجراء اى تغيير .. اى تغيير حاسم فى مصر ـ وأنه شخصيا ـ ماكدونالد ـ لايعارض فى وضع حد لهذه التجربة ولكنه ـ ماكدونالد ـ يشير بدراسة الموقف بدقة وعلى كل حال فانه يستحسن ارجاء اى تغيير الى الخريف خصوصا وان المندوب السامى يبحث الان فى تقوية الحدود وتحصينها وان هذا التغير لووقع قد

يعرقل او يعطل بعض المشروعات التى وضعت بالاتفاق بين وزارات الحربيه والطيران والمستعمرات .

والخلاصة ـ محمد التابعى ـ هى أن سيرجون سيمون يرى الاسراع فى انهاء التجربة الحاضرة بينما مستر ماكدونالد يرى التأنى وهذا مع تسليمه مبدئياً برأى زميله فى الاساس لا فى التفاصيل .

ويضيف التابعى الى ذلك قوله ، ان فخامة المندوب السامى البريطانى فى مصر ، دار حديث بينه وبين ذى مقام ، وان المندوب السامى قال له ان النظام الحاضر فى مصر أصبح لايصلح لتأدية الرسالة التى بعث من اجلها فكان جواب ذى المقام انه يرى ان الغلطة قد لاتكون غلطة النظام بقدر ما هى غلطة الرجال الموكل اليهم الاشراف على هذا النظام وانه اذا اخرجت العناصر الضعيفة والعناصر غير المرغوب فيها من الوزارة وغيرت النظام والوزارة بدم جديد فقد يكون فى هذا ما يساعد على جعل النظام الحاضر خيرا مما هو .

وحول تعيين وزيرنا المفوض فى لندن قال التابعى انه عرضت اسماء كثيرة على حكومة لندن لكى تختار منها من يصلح ليكون وزيرا مفوضا لمصر لدى بلاط سان جيمس وكان نصيب هذه الاسماء جميعها الرفض وان صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية توجه الى المندوب السامى البريطانى ليسأله ان يتفضل ببيان الحجم والمقاس ، والعيار الواجب توفره فى الوزير المفوض ، المذكور وان فخامة المندوب ذكر له ـ لرئيس الوزراء ووزير الخارجية انه يرى شخصيا أن لايعين فى الظروف الحاضرة اى وزير مفوض فى لندن حيث لا توجد ضرورة ملحة لمثل هذا التعيين فى هذا الوقت بالاضافة الى ان لندن لم تحس بنقص ما من جراء وزير مصر المفوض فى لندن . ولم يشأ المندوب السامى ـ محمد التابعى ـ ان يتعب خاطره فيقيم الحجة او يضرب الامثال وإلا فما هو الفرق بالله ، بينه اذن وبين اى زيد من الناس .

واخرج صاحب الدولة منديلا متعجبا يجفف به عرقه : عرق العافية بكل تأكيد .

ولاحظ المندوب السامى علامات الاعياء على وجه الوزير الكبير ، فتلطف واقبل عليه بنصحه بالاقلال من العمل (كذا) وبوجوب تبديل الهواء وخرج دولة الباشا منهاراً .. !

وتحت عنوان « مستشار انجليزى » يكتب التابعى فى العدد الأول أيضا ، مشيرا الى ان الجهاد نشرت خبرا عن اقتراح بتعيين انجليزى فى منصب كبير بوزارة المعارف العمومية لكى يكون همزة الوصل بين المدرسين الاجانب وبين الوزير . وان صحفاً تبرعت بنفى الخبر بينما الخبر ـ التابعى ـ صحيح ويقول التابعى : ان دار

المندوب السامى لاحظت ضعف الطلبة المصريين فى اللغة الانجليزيه وعزت هذا الضعف الى ضعف رقابة نظار المدارس المصريين على المدرسين الانجليز خاصة وان أجعص ناظر مدرسة لايجسر على ان يسأل اى مدرس انجليزى ثلث الثلاثه كام واقترحت دار المندوب السامى ان يعين فى كل مدرسة مدرس إنجليزى يحمل لقب المدرس الاول ويكون حلقة الاتصال بين ناظر المدرسة والمدرسين الاجانب والمسئول عن المستوى اللغوى للطلبة وعن كفاءة وعمل هؤلاء المدرسين ، ويكون الوزير الاول غير مسئول امام الوزير - سين من الناس ولكنه امام مستشار انجليزى يوضع فى وزارة المعارف والثقافه وبعد - التابعى - فأول سؤال يخطر الان بالبال هو : مالدار المندوب السامى وأنفها الطويل بمستوى اللغة الانجليزية من الطلبة المصريين ، اللهم الا ان يكون اتقان اللغه الانجليزية ضريبة على مصر وتحفظا خامساً يضاف الى التحفظات الاربع الواردة فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ .

وفى باب كذب فى نفس العدد الاول تقرير قضية يرويها كبار موظفى رئاسة مجلس الوزراء والقضية تتلخص فى ان وزير الماليه أعد مذكرة خاصة برأيه فى حل مشكلة الديون العقارية وانه اعطاها لرئيس الوزراء لكى يقرأها من باب العلم بالشىء وان - دولة رئيس الوزراء - قرأها من باب العلم بالشىء واستنفد انبوبة كاملة من اقراص الاسبيرين وان وزير المالية سأل رئيس مجلس الوزراء عن رأيه فى تلك المذكرة وان دولته قال : رأيى ان ده مش حل لمشكلة الديون العقاريه ده يبقى حل وسط الوزارة .

قضية اخرى وردت فى نفس الباب : سيدة ذهبت الى وزارة المعارف تشكو زوجها الموظف بالوزارة والذى تزوجها عام ١٩٢٤ ثم تزوج اخرى فى عام ١٩٢٩ وانه يفكر فى الزواج من ثالثة وطلب الموظف الكبير فى وزارة المعارف ان يرى هذا الموظف المزواج وجىء به اليه فاذا به يشغل مساحة عرض ٤٥ سنتى فى ارتفاع متر وخمس بوصات وقال رئيسه - فى سره - يوضع سره فى اضعف خلقه ، وعندما سأل الموظف الكبير ، الموظف المزواج كيف يرتاح ضميره بل كيف يسيغ له دينه وايمانه ان يتخذ بلاسبب شرعى بقبول ثلاث زوجات وان الموظف المزواج رد عليه بأن سيدنا سليمان الحكيم كان له الف زوجة وان الموظف الكبير قطع على الموظف المزواج الحديث قائلا : سليمان الحكيم فى عينك سليمان الحكيم لم يكن فى الدرجة (ب) حرف ولم يكن مرتبه الشهرى سوى ١٢ جنيها تخصم منهم الدمغة والمعاش ، وخرج الموظف وقد اقتنع بأن لاملام عليه ولاعتاب اذا لم يكن من بين الذين سيباهى بهم الرسول الامم يوم القيامه .

وفى باب قال الراوى - نفس العدد - ان مفاوضات دارت بين على ماهر ، من

أجل ان يتولى منصب وزير الحقانية وان يكون ـ فى الوقت نفسه نائبا لرئيس مجلس الوزراء وان معاليه اعتذر عن قبول هذين المنصبين كما سبق أن اعتذر عن قبول منصب وزير مصر المفوض فى لندن ولكن ـ آخر ساعة ـ الذى لم يؤكده لنا احد هو ما اذا كان معاليه قد أصيب فجأة ومن غير تمهيد بنوبة زهد فى منصب الوزارة وكرسى الوزير ماعلينا .. الحوا اذن على معالى الباشا ودار الالحاح والذى منه حتى الساعة الثالثه صباحا ، واخيرا قبل الباشا ان يعيد النظر فى المسألة ولكن فى شهر اكتوبر ولم يقل احد له ، اجوليبيت ماهذا الدلال .. ؟

خبر آخر فى باب قال الراوى : فى يوم الاربعاء الأسبق عقد الوزراء اجتماعا بسراى الحكومة ببولكلى ، واخرج دولة رئيس الوزراء تكشيره قرف وضعها على وجهه وقال انه لاحظ منذ اسابيع عديدة ان هناك حربا خفية بين الوزراء وان معظم الوزراء قد اخذ بعضهم يقوم بالدعاية لنفسه وبالدعايه ضد باقى زملائه الوزراء .. وهو امر لاتقره حكمة ولا يؤيده حدث وتهدج صوت دولة الباشا وهو يقول : انه اذا كان لابد من القيام بحملة بروبا جندة فيجب ان تكون هذه البروباجندة ، فى سبيل المصلحة العامة او بعبارة اخرى فى سبيل الوزارة جملة وكتلة واحدة لا بالقطاعى ولا بالمفردات وكان ولابد لوزير المالية حسن صبرى بك ان يقف ويقول انه لم يفهم الخطبة وانه يريد كلاما واضحا صريحا ياشيرى . ونظر عبد الفتاح باشا شيرى ، نظرة طويلة تكفى لسخسة اى وزير غير وزير المالية وقال : إنت فاهم ، وانا فاهم ونحن أيضا فاهمون وتبادل المجلس الفهم والنظر وقرر الانتقال الى جدول الاعمال .

ويزيح الدكتور حامد محمود عضو الوفد المصرى ـ وقتئذ ـ فى العدد الاول أيضا الستار عن مذكرة تقدم بها الى اللورد ملنر ، توفيق نسيم باشا يقول فيها ان حوادث الاعتداء المعروفه حوادث اغتيال بعض الشخصيات المصريه والبريطانيه يعود الى الاستمرار فى نفى سعد زغلول باشا عن البلاد وقد التقى الدكتور حامد محمود ببعض أصدقائه فى لندن من السياسيين والبريطانيين ليخبرهم بنبأ تلك المذكرة فقال انه ذهب الى دار المندوب السامى البريطانى فى مصر لمقابلته ولكن المستر كار السكرتير الاول بدار المندوب السامى قابله ليعتذر عن عدم مقابلة اللورد ملتر ، له بسبب اصابته بالانفلوانزا فدفع رئيس الوزراء الى السكرتير الاول بتلك المذكرة وهم بالانصراف فطلب منه مستر كار بعد ان اطلع على المذكرة ان ينتظر « ... » حتى يقابل لورد ملتر فى غرفة نومه ، فلما قرأ اللورد ملتر ، المذكرة استشاط غضبا وطلب ان يصعد اليه رئيس الوزارة المصرية ، محمد توفيق نسيم باشا ، وتمت المقابلة بين رئيس وزراء مصر ، وبين المندوب السامى البريطانى فى غرفة نوم الأخير .. وطلب اللورد ملتر من رئيس الوزارة ان يسحب المذكرة لخطورة ما فيها ولكن توفيق

نسيم باشا رفض مؤكدا انه قدم مذكرته الى ممثل الحكومة البريطانية فى مصر ، وانه ليس فى نيته ان يسحبها وان اللورد حر فى ان يتصرف بها كيف شاء ، وعمد اللورد ملتر الى درج مكتبه واودع به المذكرة ولم يبلغ حكومته بأمرها ، الا بعد ان اذاع د . حامد محمود فى لندن امر تلك المذكرة فاضطر ملتر الى اذاعة الخبر وبعد تعذر الكتمان ..

وفى العدد الاول - ايضا - من رزو اليوسف مقال للاستاذ محمد الصاوى محمد بعنوان وخز الابر فى الادب والاجتماع ، وكانت فى بداية ذلك المقال ، ان من الظواهر الغريبة فى مصر ، انه لابد من ازمه باستمرار سياسية او ادبية فاذا قطعت السياسة لسانها وجلست عليه هب الادب يحاول ان يقل أدبه ونحن الان - يوليو١٩٣٤ . ومنذ اشهر فى عراك مستمر ، والدكتور زكى مبارك صاحب مبدأ شكل للبيع وقبضاى البلاغ اخرج النثر الفنى وهو كتاب ضخم يباع بأربعين قرشا وليس بموضوعه ، ولا بثمنه ما يجعل الناس يقفون على باب المكتبة التجارية او مخازنها او ما يحمل البوليس على التدخل لتفريق الزحام ، والمظاهرات ولكن صديقنا زكى مبارك لا بد ان يناصب الدنيا العداء من اجل كتابه فيستعدى الناس بالزور ويتصيد الخناق بقلمه بان كل خناقة وراءها ضجة وكل ضجة لا بد وان يباع بعدها ولو نسخة واحدة من الكتاب ولكن هذه الخلافات - الصاوى - باخت وكشفت لونها الصناعى المفضوح وصديقنا مبارك قد زهق الناس فيه وفى نثره الفنى بل وفى النثر الفنى بأجمعه سواء اكان فى القرن الرابع او كان فى القرن العشرين .

ثم يقول الاستاذ الصاوى : ولم يكد صديقنا الاستاذ الدكتور طه حسين يبايع صديقنا الاستاذ عباس العقاد ، بإمارة الشعر ويتوجه بغار ابولون حتى هب الاستاذ مصطفى صادق الرافعى منزعجا وهرع الى الاستاذ اسماعيل مظهر مذعورا وتراحم الاثنان على وضع اكليل (نحارين) آخرين على رأس أخينا محمود على طه المهندس (الملاح التائه) وكلاهما يشده من اذنه ويقول له ، والنبى انت ابو الوفد وابـو اللى خلف ابو الوفد (إلة الشعر يعنى) وصاحبنا الملاح التائه ، والمهندس دهش من هذا المجد الفجائى فكاد يستنكره لانه قبل ان تكون ملاحاتائها هو مهندس يعـرف ان البيت - ومن باب اولى عمارة كبرى كعمارة أبولون . لا يمكن ان تبنى إلاطوبة طوبة وبينما هو لا يزال تائها ، من ثقل الأكاليل كان صديقنا الدكتور ناجى وراءه سكرتيره أدوخ منه واقفا ينظر ويضرب كفا على كف لانه ادرك ان ما بين العقاد والرافعى ومظهر قد جاء على دماغه هو وشعر أنه قد راح ضحية ذلك الحقد الكمين ، وعنها هو ايضا أقام حتة دين حفلة تكريم ضربت حفلة زكى مبارك ، وجعلت هذا الاخير يمسك بطنه ويطوف بالشوارع يبحث عن دواء أكيد للمغص .

وينشر فى ذلك العدد ايضا كريم ثابت ذكرياته عن شيخ العروبة احمد زكى باشا وكان من بين ما قاله ، ان احمد زكى باشا كان يتغدى عند احمد خشبه باشا ونسى عنده عصاه فلما ذكره احمد خشبه باشا بعصاه ، وسأله هل يريد ان يرسلها له قال احمد زكى باشا سأتغدى عندك مرة اخرى بعد ايام لآخذ العصى فلا ترسلها .

ولم يكن يدرى ما يخفيه له القدر فى طياته فتوفى وعصاه لا تزال عند خشبة باشا ويكتب التابعى فى نفس العدد ايضا - باب بعنوان : مصر اسكندرية وبالعكس وكان من بين ما قاله : لاول مرة زرت نادى سموحة او نادى السباق الجديد وطفت بجوانبه ابحث عن وجه اعرفه لم اجد حتى ولا من الجياد فالجواد هربان - مثلا - لم تسبق لى معرفته وان تكن الاساعات التى اذاعها عنه اصدقائى الاقدمون تعطينى الحق فى ان اكون شريكه فى اللقب بحق النصف ، ثم اذا بالاستاذ شفيق جبر ، يهبط علىَّ من أعلى المدرج ، وهو يصيح ومن خلفه عضوان محترمان من نقابة شلة الغجر وبعد تبادل التحية والسباب طبقا للعرف المتبع ابلغنى انه يرفض العمل مع اى مجلة سوى هذه المجلة وانه سوف يكتب انذارا فى هذا المعنى يرسله الى بعض الزميلات وانه يعد هو وزملاؤه الغجر يعدون عريضة معه سوف يرسلونها إلىَّ اخره وان وجهه ووجوه زملائه فى خدمتى أنا فقط ، وطبعت على انفه - وكان شفيق جبر قد اشتهر بأنفه الطويل ، والكبير - قبلة شكر واعتراف بالجميل ، وتابعت طوافى معه حتى اصطدمت بظهر صديقنا الاستاذ فكرى اباظة وكان واقفا يتحدث الى مر الغزال الفريد بعد ما سلم « والغزال الفريد هنا هو فتاة رشيقة لم اكد اتبين وجهها حتى أدرت وجهى وطرت ثم طرت وحلقت فوق وادى الذكريات .

ويأخذ التابعى على صاحب الخير النبيل سعيد طوسون ، ان يقف فى انتظار سيارة المندوب السامى البريطانى ويتحنى وهو يودع المندوب السامى البريطانى وانه ثار فيه - فى التابعى - كل عصب يتصل بالمصرية وبالقومية واقولها بصراحة وبالصوت المليان اننا لا نرضى لامير من أمراء البيت المالك ان يقف فى انتظار المندوب السامى لكى ينحنى ويسلم مثل اى نكر ، أو زيد من الناس .

وتحت عنوان الاستاذ عبد الحميد سعيد يحكم عليه بمبلغ ٤٧ جنيها ثمن العيش ويهدد كل من يطالبه بالرصاص والقصة كما روتها اخر ساعة - وفيها قدر غير قليل من الغش والفشر ، والفبركة - ان كان لصاحبة احد المخابز حساب قديم متراكم بلغ ٤٧٣٢ قرشا ، ثمن خبز اشتراه ورفعت صاحبة المخبز قضية مطالبة عبد الحميد سعيد بالمبالغ ، ولكنه انكر ان المبلغ ٤٧٣٢ قرشا واقر فقط بـ ٢٥٠٠ قرش ، فقط ، ورفض عبد الحميد سعيد ان يدفع مليما واحدا ، فلما فكرت صاحبة المخبز ان تحجز على مكافأته البرلمانية ظهر لها انه لا يجوز الحجز على المكافأة الخاصة بأى عضو من

اعضاء مجلس النواب وقررت صاحبة المخبز ان تحجز على املاك البطل المغوار ـ عبد الحميد سعيد ـ فى سخا وقال لها عبد الحميد سعيد ان اهله فى سخا وهم من النوع الحامى .. وانها اذا حاولت تنفيذ الحكم فسيكون مصيرها الضرب بالرصاص وتلطف عبد الحميد سعيد فأخبرها ان مصاريف الدفن والكفن وشحن الجثة فى القطار الاكسبريس ستكون كلها على حسابه الخاص واخيرا ـ مجلة اخر ساعة ـ قررت السيدة ان تشكو البطل المغوار ـ عبد الحميد سعيد الى السيد البدوى فان لم يسعفها استأذنت المسعى عند أم العجائز واهل البيت .

وتنشر أخر ساعة فى عددها الاول حكاية عن محمود رشيد وطباخه وبنك التسليف الذى يسلف بدون فايظ ولا رهونات ، وتقول عن محمود رشيد انه كان سكرتيرا سياسيا لصدقى باشا فابتسم له ابتسامة عرضها ما بين الأذنين وطولها ثلاث سنوات او تزيد فقد كان مكتب السكرتير السياس هو المحل المختار للشيوخ والنواب وطلاب الحاجات من الوزير الى الغفير ودارت الدنيا وأدار الحظ كتفه لصدقى باشا وسكرتيره السياسى وذهب الاول يطرق ابواب الشركات يعرض عليها مـا تبقى من كفاءته أما الثانى فقد انفتح له فى بار الانجلو مكتب لتوزيع ونشر الاخبار وكان للسكرتير السياسى طباخ خاص آل عليه وقاره لسيده ان يتركه او يبدى اى اعتراض او احتجاج عندما قرر الاستاذ تطبيق احكام القانون المالى الخاص بالدمغة والمعاش على المطبخ ومن فيه واكتفى الطباخ بان ارسل الى سيده يقول إنه من أصل وكل واحد يعمل بأصله ومسـح محمود دمعة شكر وتأثر ونذرها فى نفسه بينه وبين الله ان يعين الطباخ طباخا أول للوزارة يوم تعود الوزارة الى يدى ابى السباع الحظ له تقلبات واهواء ففى الوقت الذى اعرض فيه الحظ عن السيد اقبل هذا الحظ يعرض صدره على الطباخ وفى ثلاثة شهور متوالية ربح الطباخ ٣ مرات فى اليانصيب ولا أقل من البريمو فى كل مرة أى ان ارباحه بلغت ٣٠٠ جنيه .

وفى المرة الاخيرة ذهب الطباخ وقابل محمود رشيد ووقف أمامه مترددا متلعثما يصلح من رباط العنق مرة ويمسح زجاج الموتوسكل مرة اخرى الى ان قال .. أنا عارف باين الحكومة رفتتك وانك معذور اليومين دول تسمح لى اقدم لك المائة جنيه دى سلف لوجه الله ، مش عايز ولا كمبيالة ولا حاجة وارتمى محمود رشيد على عنق الطباخ يقبله ويقول : لو كان عند صدقى باشا فى حزب الشعب مائة طباخ مثلك لما استطاع خصومه ان يزحزحوه .

وفى باب كده وكده ، العلم نورن وفى أولى فقـرات الباب ان الـدكتور منصـور فهمى عميد كلية الآداب أمر برفت الطالبة الآنسة عطية القطان الطالبة بالكليه وان والدها هدد برفع قضية على العميد مطالبا بمائة الف جنيه رد شرف وان عميد كلية الاداب

استفتى عميد كلية الحقوق فافتى الاخير بان القضية مكسوبة ١٠٠ ٪ وعنها ـ وامسك الدكتور قلمه وقرر اعادة الطالبة عطية القطان !

فقرة اخرى تقول ان ٢٤ طالبا من حملة دبلوم الهندسة ، هذا العام ذهبوا لمقابلة حسن سرى بك وكيل وزارة الاشغال وابن سرى باشا آدم ، زعيم حركة تشجيع النسل بالقطر المصرى ذهبوا ليعينهم فى الوزارة ودخلوا ـ بلا قافية على البيه الوكيل بعد ان تركهم ملطوعين امام البيت ثم حيوه فرد التحية بأوحش منها وقال لهم انتم لمامة ، انتم ركش ، انتم زباله .

ودهش المهندسون من هذه التحية الجديدة وأفهموا سعادة الوكيل ، انهم من حملة دبلوم الهندسة ... وقال حسين بك سرى : طظ ، ثم قال لهم انه سيعين ١٢ منهم فى القاهرة وواحدا فى الدر ، والباقى باين : على الله .

وخرج المهندسون الجدد يتهامسون . بان الله سبحانه وتعالى اذا كان قد خص سرى الكبير بطول العمر ، فقد خص ذريته بطول اللسان .

وفقرة بعنوان باشا وبس فى نفس الباب ملخصها ان بعض امور الطلبة الراسبين فى كلية الحقوق ـ وألف إخصيه على كده ـ قد قدموا شكوى الى دار المندوب السامى البريطانى التى احالتها إلى وزارة المعارف وان سر تشدد عميد الحقوق ، ان خطابا وصله من بعض الطلبة يهددونه بالقتل إذا لم يوافق على عقد امتحان ملحق للطلبة الراسبين وحمل العميد الخطاب إلى وزير المعارف واتفقا على أن يعيشا سويا ، ويموتا سويا وانه إذا لم يكن من الموت بد فمن العجز ان تكون جبانا وعنها ووضعت حكمدارية العاصمة بعض رجال البوليس ، للمحافظة على سلامة العميد .

وفى العدد الأول ـ ايضا ـ مقال للاستاذ الفنان محمد عبد الوهاب بعنوان « لن اتزوج » أكد فيه ـ كما سبق أن ذكرت فى الجزء الاول من هذا الكتاب ـ انه لن يتزوج حتى ولو شنقوه ، لانه ـ محمد عبد الوهاب ، ولست اعرف اليوم رأيه الحقيقى ـ يعتقد ان الزواج يقضى على الفنان الذى يريد ان ـ يحس ، وان يحلم ، وأن يحلق كل ساعة فى الخيال والفنان ـ عبد الوهاب ـ فى حاجة الى عين لاتنضب من الخيال والحس ، والشعور ، بمختلف العواطف ، من حزن ، وفرح ، وبغض وحنان ولذة ، والم وحب وكره الى آخر الالوان ، التى يصورها كل يوم بموسيقاه والتى تتدافع فى صدره وتخرج منه انغاما تشجى وتبكى .

والزواج ـ محمد عبد الوهاب ـ مقتل كل هذا وعلى من يعارضنى فى هذا الرأى . ان يمد أصبعه ويدلنى على فنان واحد استطاع فنه ان يعيش كاملا بعد الزواج ..!

وبعد فإنى ـ محمد عبد الوهاب ـ اعترف اننى رجل ملول بطبعى لا أطيق القفص ولا القيود . اريد أن أظل حرا أطير من غصن الى غصن وأتنقل من زهرة الى أخرى اذن لن اتزوج ولم افكر يوما ما فى الزواج .

ولست اعرف ماذا كان صدى ذلك المقال ، هل اغضب الحسناوات من عبد الوهاب ، أم ارضاهن عنه . وان كنت اقول للاستاذ محمد عبد الوهاب الذى تحدى عام ١٩٣٤ من يعارضه فى الرأى ان يمد أصبعه ويدله على فنان واحد استطاع فنه ان يعيش كاملا بعد الزواج اتحدى عبد الوهاب فى نهاية عام ١٩٨٩ واشير بأصبعى وأدله على فنان واحد استطاع ان يعيش فنه كاملا بعد الزواج أشير باصبعى الى محمد عبد الوهاب نفسه ولعله لايجرؤ اليوم ، حتى على ان ينكر هذا !

فى نفس العدد باب يحمل العنوان التالى : القاهرة تحت ستار الظلام ، به حكايات تشير الى بعض مايجرى فى القاهرة فى الليل : نجل أحد الوزراء دخل كاباريه الكيت كات والقمر يتثاءب فى طريقه الى الفراش وكان ابن الوزير يتمايل ذات اليمن وذات الشمال ولكنه تمايل موزون اذ كان معلقا فى يمينه سيدة معروفة من سيدات الطبقة الراقية طلقها زوجها من شهرين لحادث اعيانطس الفضوليين ، ومعلقا فى يساره موظفا باحدى الوزارات التى لها علاقة بهندسة المدن والتنظيم وطلب الوجيه شمبانيا فزفوها اليه يحيط بها ثلاثة جرسونات قد وضع كل منهم لنفسه سياسة إقتصادية فى فن مغالطة الحساب وعاد الوجيه وطلب زجاجة شمبانيا ثانية وثالثة ثم رابعة ثم خمرا ثم انقطع النور دقيقة وساد الظلام ولما عاد النور بحث الجرسونات الثلاثة عن الوجهاء الثلاثة فكأن كلا منهم فص ، ملح ، وداب .

وهكذا استطاع شبابنا الناهض ان يغلب الاروام وان يرفع راس مصر عاليا فى فنون المغالطة والزوغان .

حكاية أخرى ملخصها أن حكمدارية بوليس العاصمة رأت ان كل شىء مش هادىء فى سكة السويس فوضعت سيارة بوليس ذات نور كشاف مهمتها ان تطب فجأة على عباد الله غير الصالحين الذين يفترشون الصحراء ويلتحفون السماء . (شايف السجع) ويعقدون مقارنة بين طقاطيق احمد رامى وشعر ابو نواس وفى ليلة الاثنين الماضى وقعت سيارة كرازمر وأفرغت مافيها فى جوف الصحراء وكان عبارة عن محام معروف وآنسة طالما سافرت الى اوروبا لرفع رأس مصر عاليا .. قوى وبعد لحظة وصلت سيارة بويك فيها أحد أعيان الاسكندرية وسيدة كثيرة التردد على ميادين السباق ووقفت بجانب السيارة الاولى وبعد لحظتين اضىء نور سيارة البوليس الكشاف .

وانكشف كل شىء ودوت صرخة فضحت المستور وبرهنت على ان الصدفة أقوى من الخيال .

ذلك أن المحامى المعروف هو زوج السيدة التى تتردد على ميادين السباق ودوى يمين الطلاق فى جوانب الصحراء .

وغطى البوليس ودون الحادثة فى دفتر الاحوال .

الرواية الثالثة ـ واسمها رواية فلست اعرف وجه الحقيقة فيها وفيما سبقها من وجه الخيال ـ تتصل بشعير بك مدير الجيزة وملحقاتها من امبابة الى الكيت كات واخر وظيفة يصلح لها شعير بك ـ اخر ساعة ـ هى وظيفة المدير الذى يجب ان يكون له نصيب وافر من وجاهة المظهر ، وشدة الزغرة ، عند اللزوم ، بينما هو ـ يستطيع سعادته ان يستشير مرايات العاصمة ـ لايزيد عن كاتب محامى فى ميدان باب الخلق ، أو شارع زين العابدين ، وقد هبط علىَّ المحرر ، ـ كاتب التحقيق ـ وشلته وهم جلوس على سقف قهوة الكوبرى الاعمى ووقف لحظة يطل على صالة بديعة مصابنى لكى يتأكد أن اللوائح والقوانين محترمة ، وعندما عاود المكان قال صاحب المحرر : أراهن على انه ذاهب الان الى البراسيرى أو الكيت كات حيث ينتظره حكمدار الجيزة وكبار الموظفين ليقضوا سهرة بريئة حتى الصباح ويتساءل المحرر هل شعير بك أصدر حقا أمره الى الحكمدارية أو ضباط بوليس الجيزة بعدم زيارة مدينة الملاهى الا اذا كان الغرض من الزيارة هو تطبيق مذهب ابن حنبل فى اللوائح ، والقوانين .

وتحت عنوان مندوبنا فى قهوة الفن جاء فى العدد الاول ايضا أن يوسف وهبى مبعوث العناية الالهية الى اخره فى عالم الشرق وقف فى مدينة الملاهى ممسكا فى يده بخطاب غرامى لونه بنفسجى مسخسخ وتفوح منه رائحة السانك فلور وقد سأل مستشارو يوسف بك نفسه عما يحويه الخطاب من الفاظ الحب والهيام ، ووضع يوسف بك الخطاب بين ايدى المستشارين فلذا الجملة الاتية : اضع بين يديك قلبى وثروتى وبحثوا عن الامضاء فى سلقط فى ملقط فلم يجدوها وانعقد مجلس حرس برئاسة اسماعيل وهبى وقرر ادراج مسألة الخطاب فى جدول الأعمال ثم ورد خطاب اخر لونه بمبه يعرض فى هذه المرة على يوسف بك خمسين الف جنيه كدفعة اولى على حساب الغرام .

ومازالت المفاوضات مستمرة بين الطرفين ولكن يخشى ان تصطدم بصخرة الزواج كما اصطدمت المفاوضات الأخيرة بصخرة السودان لان يوسف بك أقسم أنه لن يتزوج حتى ولو شنقوه والمنتظر ان يشرع يوسف فى بناء مدينة جديدة إسمها مدينة رمسيس الثانى .

ومن اخبار المطربة نادرة انها سافرت الى العراق للسؤال عن صحة ليلى التى هى مريضة بالعراق وسوف تتشرف بمقابلة جلالة الملك غازى فى قصره وسوف تغنى

بن يدى جلالته النشيد الاتى الذى وضعه لها أمير الشعراء الاستاذ عباس محمود العقاد :

غازى قلوب الشعب بالكرم ،
والفضل والتدبير والحسنى .
غازى العدا بالناس والهمة ،
حسنت طوالع سعدك أن اليمنى
أحييت فى بغداد للدنيا عهد ،
لعهد أخيك ثامون
تحيا وشعبك دائما يحيا
فى موطن بهداك مأمون
دم يا إمام العرب مشتملا
بالملك فى عز وإقبال
واجعل شباب العرش متصلا
فى مجده بشبابك الغالى

والمرجو - آخر ساعة - ان يتشبه جلالة الملك غازى بأسلافه من خلفاء العباسيين فيأمر للسيدة نادرة بمائة الف درهم .

وتحت عنوان بالجملة قال المندوب الفنى لاخر ساعة .

شك كثيرون فى أن للسيدة زينب شكيب الشهيرة بزوزو اللدغة قلنا لسائر قلوب بنى ادم ، وثياب حواء .

والسبب انها سافرت مع فرقة اتحاد الممثلين وهى يامولاى كما خلقتنى لاتحب احداثم لم تكتب ان احبت .

فى الاسبوع الاول : جورج ابيض
فى الاسبوع الثانى : فتوح نشاطى
فى الاسبوع الثالث : عبد العزيز احمد
فى الاسبوع الرابع : محمود رضا

وانتهى أفراد القوة من غرام زوزو شكيب قبل انتهاء الرحلة بأسبوعين ورأت زوزو من باب التواضع ان تحب الباشكاتب والملقن فأجنهم جميعا .

والعجيب - آخر ساعة - ان زوزو كانت تحب كل واحد من هؤلاء وتخلص فى حبه اخلاصا عجيبا يفوق الوصف ولكنه ما يكاد ينتهى الاسبوع حتى تخلص للحبوب الجديد وهكذا .

وقد رأت ادارة الاتحاد ان تشجعها على هذا النشاط فقررت لها مرتبا قدره خمسة عشر جنيها شهريا مع ان الايراد الشهرى لزينب صدقى ولجورج ابيض ولدولت لا يتجاوز سبعة جنيهات كل شهر : وناس لهم بخت وناس لهم قلب من فرشون .

وتحت عنوان فرعي : مشروع زواج قالت آخر ساعة ـ مندوبنا فى قهوة الفن ـ ان شابا معروفا من شباب الطبقة الراقية طلب من السيدة عزيزه أمير إيدخالة فن السينما ـ من غير مبالغة ـ فى مصر ، يدها ، وارسلت عزيزه عينيها القاتلتين فى وجه الخاطب الصغير وطلبت منه ان ينتظر يومين ، حتى تعقد له امتحان القبول اما المواد التى سيمتحن فيها العريس فهى : مادة الفن ومادة الرياضة ، ومادة الذوق ، ويقول العارفون ان هذا البرنامج غير خاضع لوزارة المعارف ومع ذلك فان الشاب العريس قدها وقدود ، وعند الامتحان يكرم العريس ، او يهان .

وتحت عنوان فيلم ، جاء ان على الكسار ـ بربرى مصر الوحيد ومع ان فى مصر برابرة كثيرين قرر ان يخرج فيلما سينمائيا ناطقا باللغة السودانية الفصحى وقد قرر على الكسار ان يكون الفيلم لحسابه الخاص ولما كان ليس لعلى الكسار حساب خاص فقد قرر ان يقتصد القرش الابيض لينفع فى يوم الفيلم الاسود وبدأ فأنقص مرتبات الفرقة واشترى بالمبلغ المخصوم أوراق يانصيب .

ومازال على الكسار ينتظر يوم السحب ، بفارغ ، الصبر ، والإيمان .

وتحت عنوان شجرة الدر ، بين المزاح والجد كانت المقدمة كما يلى ليكن مايكون فلسنا نريد ان نخرج شجرة الدر وكفى فاذا كان يمكنك ان تقاوم عيونها الساحرة وتمنعها من تحقيق حلمها الجميل فتفضل وكان الموضوع كما يلى :

اعلنت السيدة آسيا بطلة (غادة الصحراء) و(وخز الضمير) و(عندما تحب المرأة) و(عيون ساحرة) أعلنت ولا تزال تعلن سياستها الصريحة .. كالسياسيين تماما ، بأنها ستخرج رواية كبيرة تعيد تاريخ حياة الملكة العظيمة (شجرة الدر) ! فأحدثت سياستها الصريحة هذه لخبطة فى دوائر الاختصاص .وأثارت عواصف من القال والقيل .

ومنهم من ظن أن الامر سوف لايتعدى حدود المزاح .

ومنهم من أكد أن المسألة بروبا جندا لا أكثر ولا أقل !

ذلك لان رواية كرواية شجرة الدر تحتاج الى رأس مال كبير .. والى استعداد عظيم لم يتوفر بعد فى مصر كما يقولون ..

ولكن هذا لايقف على قدم أمام ارادة آسيا ..

وظهرا أخيرا انها لم تكن تقصدا المزاح ، بل كانت جادة كل الجد فى تنفيذ برنامج مشروعها الجرىء !

وتجدها الان ، فى أى ساعة من ساعات النهار أو الليل ، بصحبة مخرجها الاستاذ احمد جلال وسكرتيرتها النشطة مارى كوينى يقومون بعملية التصليحات الاخيرة للسناريو الجديد ، ليتمكنوا من العمل فى اواخر الشهر المقبل .

ويحلف أصدقاء آسيا بعيونها التى هى ساحرة .. بأن صديقتهم سوف تضرب ٥٠٠ جرينا فى (الملكة كريستينا) و٥٠٠ مارلين فى (كأترين الكبيرة) والمفروض انه سوف تضربهما على عيونهما الاثنين .

ويؤكدون فوق هذا وذلك أن آسيا ستزيد بروايتها الجديدة ارتفاع راس مصر متر ونصف .. نحو العلا ! وهذا هو المهم ! ..

وتبدأ آخر ساعة فى نشر مختارات من كتاب البرنسيس فهمى بك البرنسيسة وحياتها اللامعة والبرنسيسة هى مرجريت فهمى ـ واسمها الاصلى ساجرمولر وكانت قد تزوجت على فهمى بك الوجيه المصرى ، ثم اختلفت معه بعد ان خاب املها فى العثور على ثروته فأردته قتيلا ، وقصة مرجريت فهمى قصة مثيرة للغاية ونستأذن القارىء ايضا ـ فى ان نشير اليها بتفصيل فيما بعد اذ بذل اختبار التابعى ـ لقصة مرجريت فهمى وكتابها لتنشر فى الاعداد الاولى من اخر ساعة ، على أن التابعى كان يحسن ـ بحق ـ اختيار المادة المتعثرة والمسلية ايضا !

وفى العدد الاول تتحدث زينب صدقى ، أو زينب غاندى كما اسمتها اخر ساعة عن المنبوذين ومدافعة عنهم ، وعن قضاياهم ، كما تتكلم عن نوادرها مع كبار الموظفين ، ويصر التابعى على ان ينشر فى صدر الموضوع ، الكلمات التالية المعانى والاسلوب والنحو من عندنا وللسيدة زينب صدقى ، الوقائع ، والعواطف والامضاء .

وفيما يلى ما روته الممثلة الكبيرة السيدة زينب صدقى :

فى الوسط المسرحى توجد حكاية مشهورة عن ممثل ، وضابط شرطة سأل الضابط الممثل : ما مهنتك فأجابه : ممثل فقال له الضابط : يعنى بالعربى صايع .

وفى الواقع إن المسرح المصرى يعيش الى اليوم فى شبه عزلة عن سائر المجتمع ، ومعظم الذين يشتغلون فيه عبارة عن طائفة من المنبوذين جعلتهم الصحافة فى العشرين عاما الماضية ، بمبالغاتها عن اساليب حياتهم ، كأنهم مرضى بالجذام الاجتماعى ، لايقرب منهم أحد الا وهو يحسب حساب العدوى ، والذى يتشجع ويتصل بهم بدافع الشفقة أو الغرض أو الظهور ، يجب عليه أولا ان يطهر نفسه الملوثة ، قبل السماح له بدخول الهيكل المقدس من جديد ....

وحتى سيدة مثلى ، معروف عنها - بلا فخر - أنها تحسن اختيار الارستقراطية في شارع عماد الدين ، مازالت سجينة على محيط الدائرة ، تستأذن عبثاً على عالم الحرية والمساواة ! ..

وقريبا جداً كنت مدعوة الى حفلة عائلية يغنى بها مطرب مشهور ، وبدافع الصداقة من ناحية ، والمزاح الذى كان من ناحية اخرى سائداً بشكل ظاهر فى جو الاحتفال ، عبثت بمنديله الحريرى بلا غرض ، فانبرت إحدى سيدات الطبقة العليا ، وعيناها ممتلئتان بغيرة الضرائر تعتب على ربة الدار جمعها فى الدعوة بين سيدات الأسر وبين ... الممثلات .

ومن هنا الى أن يقيض الله للمسرح المصرى غانديا جديداً يدافع عن حقوق أهله الأنجاس ، أرى أن التضحية بالاشارة الى جزء غير خطر من تاريخ حياتى المثقلة بالحوادث ، يحمل كل مميزات إعلان الحرب على هذه الاعتقادات .

يوجد شبه إيمان فى نفوس الجماهير أن غرفة الممثلة على المسرح هى بؤرة ، وبالاخص اذا كانت جميلة ، ولها عشاق .

وحينما يرون قبلة تصل ما بين فمها وفم زميل من زملائها الممثلين ، يعتقدون ان هذه القبلة هى جزء حى من قصة غرام . والشبان المحرومون يعودون الى منازلهم وقلوبهم عامرة بشتى الاحلام . واللعنات ومؤلفات الخيال ..

وقد كانت لى غرفة ككل الممثلات ، ولست مبالغة اذا قلت عن نفسى فى عدة قلوب . وعملى كعمل كل ممثلة يتطلب منى ان أبدل ملابسى فى كل رواية وأنا نصف عارية عدة مرات ...

وفى كل مسرح طائفة من الهواة الشبان تجتذبهم رائحة القبلات المسرحية الى التمثيل بشكل عجيب .

وفى معظم المسارح التى اشتغلت بها ، كل الابواب دائما بلا اقفال ولا ترابيس !!

وفى وسط كل هذه الظروف اعترف أن معظم زملائى المنبوذين من رحمة الله وتقدير المجتمع ، لم يحاول أحدهم استغلال الموقف ! ..

بل اعترف فوق ذلك ان اكثر من واحد منهم ، قد أغلق باب غرفتى - من الخارج بالطبع ! - حرصا على جسمى العارى تقريبا من العيون العابرة المتطلعة ، عيون الهواة وعيون المهنئين !

وهذا العمل الذى قد يبدو لكم انتم تافها ، وفى استطاعة كل منكم ان يعمله ، أؤكد لكم انه يبدو لى انا ممتلئا بالنبل والكرم ، وان الذى يعمله منكم انتم يا آلهة

المجتمع ، يحمله وفى نفسه من وراثه شهوات الصقر للعصفور ، ومثل هذه الاشياء الصغيرة هى وحدها البيئة على مقدار العواطف واقدار الرجال ..

وحينما تنتهى العشرة بين الجنسين الى مثل هذه الأخوة التى لا غرض لها ، كما يجرى عادة فى أوساطنا نحن الانجاس ، تكون المدنية الانسانية قد أدت للدنيا خير الرسالات .

وعندما أقارن مثل هذا الشعور الطيب البسيط ، بالتصرفات البراقة لكثير من السادة أصحاب الرتب والالقاب والاسماء التى تشوه أمام عينى بعظمتها وحقارة أصحابها ، كل جمال للتربية المصرية ، تمتلىء عيناى بالدموع ، وأقول لنفسى .. ياللاقذار الموضوعة فى معاطف من الحرير !!

سوف لا احدثكم عن بنات جنسى فى هذا الوسط العالى ، فلى منهن صديقات ، والجرح مملوء بالصديد ، وانما أحدثكم عن الجنس الآخر ، عنكم أنتم ياقرائى الاعزاء ، عن البيوت التى تتركونها بالزوجات والاولاد ، لتترامو على قدمى الممثلة التى تلعنونها على المسبحة فى الصباح .

أحدثكم عن موظف عظيم بالحكومة ، كان له اتصال كبير يوما ما بشؤون التربية والتعليم ، قدمنى اليه أحد أصدقائى ، ولم تكن هذه أول مرة أجلس فيها الى عظماء ...

وقد تضاءل فى عينى لأول وهلة عندما قدم لى سيجارته مكتوب عليها بالحبر اللامع إسمه ورتبته هكذا « ف ... بك » كأنها أول بطاقة لشخص محدث ، هبطت عليه النعمة من أبواب السماء .

ثم سقط من عينى تماماً عندما اندفع كالميزاب يترجم لى عن أقدس العواطف البشرية بأقذر وأحط التعابير ... ولانى رفضت أن أكون خليلة له من أول يوم . واطمئنوا فلست أحاول أن أقول لكم إننى قديسة ، وانما هى فقط ثورة النفس الانسانية أيا كانت على تجارة الرقيق ! ـــ لهذا وضعت لى بأمره وباسمه ، وبلا رحمة ولا شفقة ، سلسلة من الاسلاك الشائكة فى طريق العمل والقوت ، واستغفر الله فلم يحدث هذا باسمه فقط ، ولكن باسمه واسم أقانيم الفضيلة الثلاثة عشر ، ومزامير الآداب العشرين !!

وأحدثكم عن عظيم آخر له أولاد فى سنى بدأ اعترافه لى بالحب برجائى أن أصعد معه الى غرفته ليقرأ لى بختى فى فنجال ! .

وأحدثكم عن عظيم ثالث فى حياتى كان يشغل وقتئذ منصب سكرتير عام احدى الوزارات طلب الى لاول عهدى بمعرفته ، وربما كآية تقدير واعجاب ، أن أذهب معه الى

مسكنه المنفرد « الجارسو نييره » لاشم الهواء ، وكم أنا نادمة اليوم على أنى لم أبع له نفسى يومئذ ، لأرى فقط هذا الفرع الجديد من القناطر الخيرية الذى أنشأته لسعادته فى منزله وزارة الاشغال !!

وفى البلد الذى يتعلم أبناؤه من الافعال أول ما يتعلمون ضرب يضرب ، ليس عجيباً أن يبدأ رجاله الكلام فى الحب بالغرفة والسرير !

ويجب أن يفهم مبدئيا أنه عندما نقارن بين طائفتين يجب أن نعرف درجات الرطوبة والحرارة ومهب الرياح فى جو الطرفين ... أعنى يجب أن نقدر الظروف .

ولست بحاجة الى ان انبه الى الظروف التعسة التى يعيش فيها زملائى المنبوذون بأنفهم الواحدة ان يكون لهم كسواهم يوما بيت واسرة يعصمون أنفسهم فى ظلها من جرائم البطر والكفر بالشرف والنعمة التى تغمر اصحاب الملاعق الذهبية الى الرقاب ، ودعونى ـ زينب صدقى ـ اضحك فى النهاية اضحك بل انحنى من سخرية توزيع الاوسمة فى هذه الحياة .

وفى العدد الاول ايضا ـ وعذرا للاطالة ـ صور قديمة : ومن خزانة الذكريات وكانت المتكلمة السيدة فاطمة سرى : وقد جاء فى حديثها ما يلى :

يلذ لى أحيانا ان اعيش فى الماضى سواء كان ماضى أنا أو ماضى الآخرين سيجارتى فى يدى وعيناى تتبعان حلقات الدخان الى ما وراء سحب الماضى القريب البعيد .

تارة أقلب فى رسائل قديمة من صديقات وأصدقاء وتارة أتصفح الوجوه المرتسمة فى صورة مهداة .

هذه مثلا صورة امرأة أهدتنى صورتها وكتبت عليها انها تهدينى الصورة والقلب والروح وكل ما تملك ! .

ولو ان كل « ماتملك » يساوى كل ما تملكه من خلق لكانت هديتها رخيصة تافهة .

وبين يدى القراء الآن مجموعة من الصور تعمدت فى اختيارها أن لا تثير فى نفس القراء سوء الإبتسامة الهادئة فما أحوجنى وأحوجكم الى الابتسام .

سألنى مرة صديق يعتز بقوة إرادته وينكر الحب ويؤله المادة ويعجب بالاستاذ المازنى وآرائه الساخرة فى الحب الغرام سألنى وقد رآنى أحيى السيدة فاطمة سرى وانحنى فوق يدها : ما الذى يراه الشبان فى هذه المرأة وأين سر هذا السحر الذى دوخت به عدداً من شبابنا المذهب الاكمام ! .

ان فاطمة سرى جميلة ولاشك اذا قيست بمقاييس الجمال الذى يباع ويشترى فى شارع عماد الدين ، ولكن « سر أو سحر » فاطمة ليس فى جمالها ولو أن لها عينين اعرف كثيرين من أصدقائى لا يقسمون الا بسر هاته العيون ! .

وانما سحر فاطمة فى حلو حديثها وفى لسانها وبهذا اللسان وحده استطاعت فاطمة أن تسبى وتأسر وأن تغزو قلوب الاقوياء .

وهذه الصورة التى ننشرها اليوم لفاطمة هى صورتها منذ عشرة أعوام أيام كانت تعمل كالممثلة والمطربة الاولى لفرقة نجيب الريحانى وأيام طارت شهرتها فجأة بين مساء وصباح .

وهل تعرف لمن هذه الصورة الثانية ؟ .

هذه الفتاة الصغيرة .. هى مطربة اليوم فتحية احمد ولعلها أبعد مطرباتنا عهدا بالوقوف على المسرح امام الانوار ، فقد بدأت فتحية العمل وهى لاتزال فى التاسعة من عمرها . بدأت الغناء أمام سيد بهنسى فى تياترو الريحانى ولن انسى لها هذه الاغنية التى اوقفتها يومئذ على قدم واحدة مع كبيرات المطربات وهى الاغنية التى طلعها ياللى عايزه الغربال ! .

وكانت فتحية اذا ما انتهى عملها المسرحى التفت بشالها وخرجت تبتاع حاجيات العشاء لاسرتها الكبيرة العدد وهى تحمل فى يدها زجاجة الزيت ولفة العيش وما اليه .. وسارت الى دارها المتواضعة لا تنظر يمنة ولا يسرة ، ولعلها أيضا الوحيدة فى ذلك العهد التى لم تلفحها أنفاس التميمة ولم تلهب ظهرها اشاعات السوء .

وصديقنا الاستاذ سليمان نجيب ! .. يمسك بذقنه ويفكر فى دواء للسمنة بعد أن أعيت نحافته نطس الاطباء ! ..

ولكنه اليوم يحاول عبثا أن يطرد عنه هذه السمنة التى رفعته من مضاف أدباء وزن الريشة من عيار ٦٢ كيلو جرام الى مصاف أعيان الوزن الثقيل من عيار ٩٠ كيلو جرام .

ولقد طلب المخرج المعروف الاستاذ محمد كريم من سليمان أن ينقص وزنه ١٢ كيلو جراما تمهيداً للقيام بدور مخصوص فى رواية عبد الوهاب القادمة .

وأجهد سليمان نفسه فى العلاج وشد حزامه على بطنه كلما هفت نفسه الى طاجن من الارز أو أكلة « نيفة » يزفها طاجن من الفول المدمس الممزوج بمرق الحمام .

وبعد شهر من هذا العلاج الذى دونه صيام غاندى ، استطاع سليمان أن ينقص وزنه أوقيتين وثلاثة دراهم ! .

وأخيرا نصح له الاصدقاء بغرام من الصنف الحاد المقطوع منه الرجاء فليس أدعى الى النحافة من كيوبيد اذا ولاك كتفاً باردة وساق التقل والدلال !

فهل بين فتيات وارامل مصر من تأخذ بيد سليمان المسكين وتريه نجوم الظهر فى كبد السماء لكى ينقص وزنه الى الحد المطلوب ! .

والاستاذ نجيب الريحانى وزوجته السيدة بديعة مصابنى جالسان على شاطىء البحر بملابس الاستحمام .

كم بين الناس من يدرك ان وراء فراق الزوجين مأساة غرام لايزال حيا حتى اليوم ولكنه الكبرياء ! .. اننى اوقن ان كلاهما لايزال يحب الآخر ويحن الى الآخر ، ولكنه لا يريد ان يخطو الخطوة الاولى نحو صاحبه او هو يريد من صاحبه ان يرفع الراية وان يسلم اليه بلا قيد ولا شرط .

وفاطمة رشدى ! وقد لفت ساقيها على برج « ايفل » ... اهدتنى هذه الصورة ذات يوم وكنت ازورها فى مسكنها بعمارة صيدناوى بشارع قصر النيل فسألتها لماذا اختارت قمة برج ايفل لهذا الاسم الكاريكاتورى ولماذا لم تختر مثلا نافورة ميدان الكونكورد أو قوس النصر ! ..

فاجابت : لان برج ايفل هو أعلى بناء فى العالم وفاطمة رشدى لن ترضى بالجلوس دون قمة الخلود .

وتليها صورة منافستها زينب صدقى والصورة تمثلها كما كانت فى عام ١٩٢٢ أيام كانت زينب لاتزال فتاة ساذجة لسانها أقصر من لسانى انا ووجهها يحمر خجلا اذا ذكرت امامها مرضا من امراض النساء .

كانت تجلس كل صباح فى حديقة جروبى توزع النكات ذات اليمين وذات اليسار ، وثمن النكتة قرش صاغ واحد فاذا اجتمعت لها عشرة قروش خرجت وتصدقت بها على أول سائل تلقاه فى الطريق ! ..

والصورة الاخيرة هى صورة اخذت فى شتاء عام ١٩٢٧ وقد جلس فيها زميلنا الاستاذ التابعى الى جانب السيدة منيرة المهدية امام مائدة الغذاء فى العوامة كلير .. وقد أبى علينا زميلنا ان نكتب عن هذه الصورة أو عن هذه الاكلة .

وحجة الاستاذ التابعى فى ذلك ان زمن الولائم التى كانت المطربات والممثلات يقمنها للكتاب .. هذا الزمن قد مضى وفات ، وليس من الرحمة ان نثير الاحقاد فى صدور كتاب مسرح هذا العهد ولا ان نقارن لهم بين ولائم العهد الماضى وولائم هذه الايام التى تقيمها ممثلات باربيرون وقهوة اثينا والتى يحتل فيها السميط مكان الصدر وتحترم فيها المذاهب الاربعة .. وخصوصا ما تعلق منها بشرب الماء الحلال .

ولقد حرصت على الاطالة فى الحديث عن العدد الاول من اخر ساعة الصادر فى ١٤ اكتوبر ١٩٣٤ لانه بحق بداية جديدة ، لمرحلة جديدة فى الصحافة المصرية بل فى الصحافة العربية على الاطلاق ، ورغم انه لم يكن هناك متسع من الوقت امام الاستاذ محمد التابعى لاعداد بروفات عن العدد الاول العدد الزيرو ، والعدد الذى يلى الزيرو ثم الذى يليه ، ذاك الذى كان بعد الزيرو ورغم انه لم يكن قد جمع حوله العديد من الصحفيين المشهورين ، او حتى غير المشهورين ، ذلك ان الصحفى الذى كان يترك مجلة ثانية مستقرة - مثلا - كروزاليوسف ، وينضم الى اسرة اخر ساعة الجديدة يكون مغامرا ، ذلك ان روزاليوسف عمرها عشر سنوات ، وقد استقرت وتغلبت على العواصف والأنواء ، اما المجلة الجديدة ، فهى - مهما كانت شهرة محمد التابعى - فى عالم الغيب وفى احيان كثيرة ينجح الصحفى عندما يكون محررا فقط ، او رئيسا للتحرير فقط ، ولكنه يفشل فشلا ذريعا ، عندما يصبح صاحب صحيفة ، فالتحرير شىء والادارة شىء اخر .

ولما كانت الادارة هى المال ، والمال عصب الحياة ، فإن الادارة شىء مهم للغاية بالنسبة لاصدار الصحف ، ورغم ان التابعى لم يكن يملك وقت اصدار العدد الاول مالا يجعله يشترى مقالا ، من هذا الكاتب ، او ذاك أو يحصل على سبق صحفى للغاية ، يأتيه بعد ان يدفع عنه ، ورغم ، ورغم ، الا أن التابعى - وكان خروجه من روزاليوسف ، أو اختلافه مع روزاليوسف - قد جعل منه التحدى انسانا اخر ، لذلك نرى معظم مواد العدد الاول ، بقلم التابعى حتى تلك المواد الاخرى ، التى نشرت فى ذلك العدد ، ولم تكن بقلم التابعى .

مر عليها التابعى ، بقلمه ، حتى اصبحت المجلة كما نقول نحن بلغة المطبخ ، مية واحدة وقد تميزت مادة العدد الاول بأنها شيقة وجذابة للغاية ، بحيث لايبدأ القارىء من الصفحة الاولى ، حتى تشده تلك المادة الى الصفحة الاخيرة ، وقد تميزت المادة التى جاءت فى العدد الاول - ثم الاعداد التالية فيما بعد - بالتعبيرات والعبارات الجديدة ، التى تكتب لاول مرة فلقد كان التابعى - وتلك ميزة - غاوى استخدام ، تعبيرات وأوصاف جديدة للغاية ، ربما لم يطرقها احد من قبله وتميز العدد الاول بخفة الظل التى لامثيل لها كما تميز بالتنوع الكثير .

صورة الغلاف : احدثت مشكلة وحقق مع التابعى بسببها ولم يكن الرسام قدوقعها والصورة عنوانها : الصورة المطلوبة وكان رئيس مجلس الوزراء عبد الفتاح يحيى باشا قد جلس على مكتبه ، وبجانبه علبة اسبيرين ووقف المندوب من ورائه يقول : مفيش عندك صورة للمصرى افندى يكون شكله فيها غلبان علشان ابعثها انجلترا ، واثبت بها ان سياستنا نجحت ؟ ويقول رئيس الوزراء : كلام فى سرك

المصرى افندى عمره ما كان غلبان ولا رايح يكون غلبان وان كان ولابد من صورة واحد غلبان ابعث صورتى مثلا ... تجد فى العدد الاول الافتتاحة الثائرة العنيفة عن ١٤ يوليو عيد الحرية فى فرنسا ، وفى مصر ، نجد فى العـدد الاول : صفحتان سيـاسيتان تحويان الكثير من الاسرار عن مصير الوزارة (الحاضرة) وماذا يدور بشأنها فى انجلترا ، وكذلك عن المرشحين لمنصب وزير مصرى المفوض فى لندن ، وكيف رفض المندوب السامى البريطانى ، ان يقبل عرض رئيس الوزراء نبأ يتكرم ويتفضل ، ويعطى رئيس الوزراء نبأ الحجم والمقاس والعيار الواجب توافره فى الوزير المفوض الجديد ثم أزمة فى المحاكم المختلطة والحديث عن قرب تعيين مستشار بريطانى جديد فى وزارة المعارف .

وباب الحكم الامثال : وقد بدأ صليب سامى بك وزير الحربيه (الرئيس) ومرعوسه سبنكس باشا : اما المثل فهو الاسم لطوبة (صليب سامى) والفعل لامشير (سبنكس باشا) : وحواديت كذب فى كذب ثم صفحة سياسة كاملة لكاريكاتير يحمل العنوان التالى : الدواء الشافى وقد ارتدى لامبسون ـ المندوب السامى البريطانى : البالطو الابيض الذى يرتدية الاطباء وقد وقف الى جانب المصرى افندى وامامه رئيس الوزراء ـ وقد بدا خلف الاشعة . وعنده صداع مزمن قرفان ، صدره ضعيف ، أياديه مرتعشة ، معدته مكركبه ، ركبه سايبه وعنه يقول د . لامبسون : انا مندهش صحيح ازاى رئيس الوزراء بتاعكم قادر يعيش وفيه الامراض دى كلها ، ويقول المصرى افندى ان التواضع ده ما هى حضك هى اللى بتطول فى حياته .

وكذلك باب قال الراوى ، وبه العديد من الحواديت السياسية ثم صفحة اخرى كاملة عن الكاريكاتير ، والزجل واحصائية عن عدد القتلى فى ايام اسماعيل صدقى ، ١٦٤٣ ، وعددهم فى ايام عبد الفتاح يحيى (واحد فقط) وعن عدد القتلى فى ايام صدقى ٦٧٨٨ وعددهم فى ايام عبد الفتاح يحيى (٣٥٤) وكان المرحوم احمد عمر ، اول ضحية فى عهد وزارة عبد الفتاح يحيى ، وكان عزرائيل قد خاطب رئيس الوزراء قائلا :

شايف تاريخ صدقى باشا وايامه الفينو
والكشف اللى طفح اموات الى عينه
وشايف الفرق مابينك وما بينه
ماكنش دا عشمى تبقى انت تلميذه
دأجوع فِى عهدك واكل شهد فى سنينه

ويقول رئيس الوزراء ، الذى هو عبد الفتاح يحيى :

عدادك اللى حسب زور فى تقديره
وفى امتحان التاريخ ما باخدش غير زيرو
ازاى بيحسب لى واحد مات يعيش غيره
دنالى فى الريف ضحايا بالالوف شاهده
يخونك الشهد اللى شربته من كاسى
والعضم اللى انطحن بك تحت اضراسى
وراتى منك كده تلعب فى كراسى
اخصيه على داز من ده بدال ما تشكرنى
وتقول لى يا باشا معروفك على راسى ،

صفحة أخرى ـ فى نفس العدد خاصة بالكاريكاتير والكاريكاتير ـ فى هذه الصفحة لصاروخان ، وهى عبارة عن سباق الحواجز (طريقة سهلة لاجتياز العقبات) .. وكانت العقبات بالتوالى : الحركة الادارية وقانون السيارات ، مفوض لندن ، المحاكم المختلطه واخيرا الدفع بالذهب وقد تمكن بعض الوزراء بما فيهم رئيس الحركة الادارية وقانون السيارات وقد قال جون بول : والله برافو على الجماعة اللى قدروا يجتازوا الحواجز دى كلها ويقول المندوب السامى : لا إجتازوها ولاحاجة دول أحنوا رءوسهم وفاتوا من تحتها وكان كاريكاتير الصفحة الاخيرة : أحد المتهمين وقد وقف يقول لقضاته : البيه قاضى النيابه يقول انى حرامى ، اه حصل نصاب اه حصل لكن يقول علىّ انى كنت عضو فى حزب الشعب اهو دا الظلم بعينه لانه ما حصلش .

وكان الفن مزدهرا فى العدد الاول : مندوبنا فى قهوة الفن : ثلاث صفحات مع الاعلانات : شجرة الدر بين المزاح والجد ، صفحة ، زينب غاندى اقصد زينب صدقى صفحتان صورة قديمة : او من خزينة الذكريات ، وكلها عن الفنانين صفحتان محمد عبد الوهاب ونعلم : صفحة كاملة ، من النوادر والذكريات صفحة لكريم ثابت عن المغفور له احمد زكى باشا بالاضافة الى صفحة كاريكاتيرية عن سياسة العالم : عن جرايد العالم ، وكذلك الحياة الاجتماعية ووخز الابر فى الادب والاجتماع ثم على الارغول صحفة كاملة .

الاولة فى حداشر لرابة لقونى وسبع تنحاق وقالوا يعيش
والثانيه جابوا_الغفر فى المينازفونى وطابور اعيان ونص الجيش
والثالثه زاغو الغجر ساعة ماشافونى كده كحيان وما يعديش

والارغول مخصص ـ فى هذه الصفحة : لعودة اسماعيل صدقى باشا من اوروبا

وشتان بين استقباله ، عندما كان حاكما ، وبين استقباله عندما اصبح نفراً من

عباد الله غير الحكام .

اللى شاويش الدرك قاعد ما عبرنى . ولا الشيال

ولا محسن علام هنا واخر يدبرنى . واصحاب قال

حتى برديس كمان الله ، يصبرنى ، ممحوج ربال

يادنيا فانية يالى الغدر فى عنيكى

ينعل ابوه اللى عاد يتغر يوم فيكى

الاوله آه

الثانيه آه

والثالثه آه

وتحت عنوان : اين تذهب هذا المساء ، جاء ما يلى : كازينو سان استفانو . يلقى صاحب العزه على المنزلاوى بك محاضرة فى شرح النبيين الاثنين .

ملك الملوك اذا وهب ، لا تسألن عن السبب

الله يعطى من يشاء فقف على حد الادب

ومن الكاريكاتير الاجنبى : موسولينى وهتلر ، او الاستاذ وتلميذه

هتلر يمسك شنبه ويقول احلق شنبى لو تركت فى المانيا رجلا واحدا غيرى

ولكن ماذا عن الاعلانات فى العدد الاول : الصفحة الـ ١٦ الاولى بدون اعلانات على الاطلاق ، فى الصفحة رقم ١٧ : اعلان صغير عن بقالة ابو شاوى بشارع عبد العزيز تليفون ٤٥٨٨٥ وبالمحل اوتوموبيل لتوصيل الطلبات مجانا لعموم الجهات وعنوان اصغر : عن قلم خضر : بريشة ذهب مضمون ٥ سنوات ثم اعلان صفحة كامله عن محلات بدوى الشنينى بطنطا والقاهرة بألوان ثابتة : ذوق جميل هذا ما تتحققين منه عند زيارته ثم اعلان صغير جدا عن الدكتور ياغى الاختصاصى الذى يعالج بالكهرباء وبأحدث الطرق : امراض الجلد واعضاء التناسل ومجارى البول وأمراض النساء وضعف الاعصاب .

العمارة : عمارة دوس باشا شارع فؤاد الاول تليفون ٥٤٨٧٦ وفى صفحتى ٢٦ ، ٢٧ اعلانات عن بقالة حنن وعن ومحمد وسعيد الششتاوى منحة من الخاصة الملكيه والحائزين على المدالية الذهبية من الدرجه الاولى بالمعرض الزراعى الصناعى المصرى العام واعلان عن جوارب أحمد حلاوه : اناقه ومتانة والوان : رجالى ونسائى وفى صفحتى ٢٨ ، ٢٩ اعلانات صغيره عن المعرض الدائم للراديو (٢٠ شارع شبرا) ادارة راديو نسيم اكبر موزعين للراديو فى القطر المصرى : جميع الماركات : جنرال الكتريك ، انجليزى وادمونا بال برلنير ، فلييس الخ .

ثم اعلانات عن مطبعة عباس عبد الرحمن ، وفابريقة برانيط الصبان : احسن

وفى صفحة ٢٩ اعلان فنى عن فرقة رتيبه وانصاف رشدى لاول مرة بثغر الاسكندريه ٤٠ ممثل وممثله ، وملحنه وراقصة وموسيقى : شخصيات جديدة : لاول مره وفى مقدمتهم الاختان رتيبه وانصاف رشدى ، وعبد اللطيف جمجوم القلعاوى وعباس الدالى : مطرب الفرقه محمد سلامة ، اوركستر كامل رئاسة الموسيقار محمد الدبس ، ملحن الفرقه : مجهود فنى عظيم يتناسب مع عظمة الثغر الجميل مطعم شرقى وافرنكى ، راقى ، وكبريه عظيم : بجوار ڤيللا فستا ، الابراهيميه بالرمل بكازينو كوت دازير .

ثم اعلان عن برتانتين الشبراوى وما تقوله اعظم ممثلة مصريه عنه .

ثم اعلانات فى صفحة ٣٤ عن جوارب شوربجى المصريه ، واعلان آخر فى صفحة ٣٥ عن الاسبرين .

وفى صفحة ٣٧ نشرت آخر ساعة اعلانا فى حجم صغير : عن رائحة صفيه زغلول زعيمة الروائح ، وعن قميص حرير النحاس ، وبدلة حرير النحاس ، واعلان دكتور عزيز حنا : دبلوم ودكتوراه من جامعة برلين اخصائى : وصفحة كاملة عن شركة بيع المصنوعات المصريه : صناعة الوطن تبنى مجد الوطن ، الشركة الوحيدة العصريه فى نوعها ، فى مصريتها فى ادارتها ، فى بضاعتها .

وصفحة أخرى اعلان عن شركة مصر للغزل والنسيج فرصة نادرة للربح السوق .

والصفحة كلها ، عن الشركات المختلفة التى انشأها بنك مصر ، باموال مصرية وعن السندات لحاملها ، وقيمتها ٣٥٠,٠٠٠ جنيه المقسمة على ١٧,٥٠٠ سند قيمة كل سند عشرون جنيها مصريا يدفع فائدة مبلغ ٥ ٪ سنويا من قيمتها الاسمية ، ودعوة المصريين الى الاقبال على تلك السندات فليقبل اذا الجمهور المصرى ، على شراء هذه السندات وهو واثق من الفوائد التى يعود عليها ربح الوفر وليثق دائما ان المستقبل من غير شك بهذه الشركة المباركة شركة مصر للغزل والنسيج .

ثم اعلان ـ فى صفحة ٤١ ـ عن صالة المطربة الفنانه سعاد محاسن فى أفخم صالة بالاسكندريه والكروناب مسلسلة : اسكتشات جديدة تأليف الاستاذ محمد اسماعيل تلحين الاستاذ ابراهيم فوزى المنلوجست محمد ادريس المطرب السيد فوزى : امينه محمد ، زوز .. سعاد .. جميلة .. انجه .. دريه .. نعيمة .. فردوس ، عزيزة .. نوال .

واعلان صفحة (٤٢) عن سجاير محمود فهمى وسيجارتكم المحبوبة أمون ثم

اعلان فى صفحة ٤٣ ـ نصف صفحة ـ عن الرئيس الجليل فى محل الفرمواني الذى تأسس منذ ١٥ سنه ونقل ـ هذا الاسبوع من الموسكى الى ميدان العتبه الخضراء بالمكان الذى كانت تحتله اجزخانة نصوحى من قبل بعد ان ادخل كثيرا من التحسينات والتصليحات .

وكانت حفلة الافتتاح بالغة حد الوصف فقد شرفها دولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا ، والاستاذ مكرم عبيد نقيب المحامين ، وكبار رجال الوفد والفرنوانى عندما دعا الداعى الى مقاطعة البضائع الاجنبية أنشأ مصنعا للطرابيش وكانت حينذاك اشبه باللبدة وباع الطربوش بخمسة قروش وعشرة قروش وكان اول من استعمله صاحب المحل وجميع عماله وقد خسر الكثير .... الخ .

ثم نصف صفحه اخرى (صفحة ٤٣) عن فرقة بديعة مصابنى : كازينو بديعة بالكوبرى الانجليزى : اكبر برنامج استعراضى غنائى فكاهى ، فنى فى مقدمته . رواية قلبنا كده فصل واحد ذات موضوع فكر سائق ، فى اسلوب فكاهى رائع ،تأليف الراوى
الاستاذ محمود صادق سيف : جزيرة الجنس اللطيف : اسكتش إستعراضى تعرفه من عنوان موضوعه الطريف ابطاله من الجنس اللطيف عرض فى وسط الماء والخضرة الانتكخانة : اسكتش استعراضى فكاهى يجمع بين عظمة التاريخ وذكرى المجد الفرعونى الخالدة مناظره جاهزة ، وملابسه فرعونية ، تشترك فى جميع البرنامج السيدة بديعة مصابنى وصفحة اخرى اعلان (صفحة ٤٦) عن مدينة رمسيس – الصيف الراقى للقاهرة بالزمالك مسرح رمسيس الصيفى : جيزموندا قصة تاريخية رومانية فى ثلاثة فصول تأليف فكتور نان ، سرد وتعريب الاستاذ احمد رامى .

وتقدم الكوميديا الدنيا حر ، فصل واحد .

ويقوم بأهم الادوار فى الروايتين ، الاستاذ يوسف وهبى والاستاذ عزيز عيد ، وحسين رياض ، امينه رزق ، فردوس حسن ، علوية جميل ، ويلاحظ ان اسم يوسف وهبى يماثل فى الحجم وفى البنط اسم الاستاذ عزيز عيد .

وفى نفس الصفحة اعلان عن سينما وهبى : فيلم بين ذراعيها : تمثيل جين هارلو وكلاك جابل وفى الصفحة ايضا : زوروا حديقة الليدو ، بمدينة رمسيس ارقى مكان فى القاهرة لتمضية سهرات الصيف : مطعم ، بوفيه موسيقى رقص . الدخول مجانا .

صفحة ٤٧ ربع صفحة او اكثر بقليل عن اسهم بنك مصر وشركاته والتى يشتريها نقدا بنك تداوخلفون .

صفحة ٤٨ حملة اعلانات : عن جهاز راوية شوبر هبنزوبدين واعلان عن محلات عبده عفار تاجر اصواف وترزى والاسعار ٢٢٠ قرشا ، بدلة قماش فرنساوى ، اعلى صنف

٢٤٠ قرشا بدلة قماش انجليزى اعلى صنف

٢٠٠ قرشا بدلة فنلة او فريسكه صيفى

ثم اعلان عن مكتبة النهضة المصرية لصاحبها حسن محمد : كتب الطب والجامعة المصرية والمدارس العليا والثانوية والابتدائية .. .

ثم اعلان فى صفحة ٤٨ تحت عنوان : اجعل نفسك اهلا للزواج : طريقة الجوهرى للصحة البدنية والعقلة ترفع الاف الناس من حضض الضعف والنقص والسقوط والناس اللى زاروه الصحة الكاملة والسعادة والنجاح ، حيث اعادت لهم تلك الرجولة التى كانوا يتوهمون ، انهم قد فقدوها ، والى الابد ، جعلتهم اهلا ، للتمتع بملذات الحياة .

الاعلان عن معهد الجوهرى ، وبه عن طريق إرسال احد الكتب . علاج لكل الأمراض ومن بينها - مثلا - السمنة ، قصر القامة ، ضعف الاعصاب ، الضعف التناسلى العادة السرية ، الاحتلام ، الارق ، الكآبة ضعف الذاكرة شرود الذهن . انجدار الكتفين ، المخدرات ، القوة ، العضلات ، و ......و .

اما اخر اعلانات العدد الأول من مجلة اخر ساعة فقد كان عن مرضر البول السكرى ودواؤه العجيب ، وثمنه عشرون قرشا ، خلاف اجرة البريد ، خدمة للإنسانية : المستورد الوحيد اجزخانة الأمام الشافعى بالقلعة بمصر : وكل حبوب تباع بمحل آخر تكون تقليد .

يلاحظ ان ظهر الغلاف الأول ، ابيض وكذلك الغلاف الأخير ولكونهما بالألوان ، لم يكن من الممكن طبع الوجه الاخير ، لصفحة الغلاف الأول او الوجه الأخير ، لصفحة الغلاف الأخيرة .

كان فى صدر العدد الأول : مجلة آخر ساعة لصاحبها ورئيس تحريرها المسئول : الاستاذ محمد عفيفى شاهين : يشترك فى التحرير محمد التابعى .

ولكن فى العدد الثانى وضع اسم التابعى بصورة بارزة على صفحة الغلاف الأول : ولم يشر الى شىء : الا آخر ساعة محمد التابعى وكانت صفحة الغلاف بعنوان فى الجراب .

رئيس الوزراء : بلا قانون سيارات بلا خوتة دماغ حط فى الجراب حط فى

الجراب حط المصرى افندى :. بس ياما انا مشفق عليك : الجراب يتقل على ظهرك وبكره تقع يا خفيف .

وكان الغلاف الاخير للعدد الثانى من آخر ساعة على النحو التالى :

اكتوبر ١٩٣٣ : جريدة الشعب : برنامج الوزارة : يسر الفلاح ورفع مستواه وان يأكل جوز ولوزوقد دار الحوار بين المصرى افندى وعسكرى البوليس وامامهما فلاح مصرى بملامحه المخططة وقد طرح أرضا : دار الحوار بين المصرى افندى وعسكرى البوليس .

المصرى افندى : طيب وليه بأه .

الفلاح : ده ميت كده ليه لما الاشيا معدن ورضا .

عسكرى البوليس : يمكن ميت من الفرح ، وامشى حضرتك بأه بلاش تر.ٔة يا فتاح ياعليم .

العدد الثانى متميز عن العدد الأول فى كثير من الأمور : الاسرار والاخبار السياسية الهامة كثيرة ومتنوعة ، الصفحات التاريخية التى كانت مطوية نشرتها اخر ساعة ، كثيرة وهامة ، وكذلك العدد الثالث يفوق على العددين الأول والثانى تفوقا كبيرا واثبت استقرار المجلة وثباتها فى عالم الصحافة وسأحاول – وعذرا – ان انتقل بك عزيزى القارىء عزيزتى القارئة – الى النصف الثانى من عام ١٩٣٤ ، لانقل اليك كيف كانت تعيش مصر وقتئذ سياسيا ، واقتصاديا وفنيا ، واجتماعيا لتعرف ، كيف كانت تجرى السياسة وقتئذ ، ولتعرف من هم ملوك الاقتصاد فى مصر وقتئذ ايضا ، ولتتعرف على المعالم الفنية والادبية فى مصر فى تلك الفترة الهامة من تاريخ مصر ومن تاريخ الصحافة المصرية حيث صدرت صحيفة جديدة ذات اسلوب ، جديد ، وذات مذاق صحفى وفنى جديد ، وبودى – حقيقة – لو نجحت فى نقل تلك الاعداد الاولى من آخر ساعة بالزنكوغراف ، لكى اسعدك كما اسعدت كل من قرأها ، وقتذاك .

لقد شمل التجديد كل شىء فى المجلة ، حتى مقالات احمد الصاوى محمد ، اصيبت بعدوى التجديد ففى وخز الابر فى الادب والاجتماع (العدد الثانى) يقول الصاوى وتمت خناقة ادبية اخرى طبقة عالية بين ادباء اخرين ، هم الدكتور طه حسين والاستاذ توفيق الحكيم ، والاستاذ حسن الزيات ، قرأ صديقنا الدكتور طه شهرزاد وصعد بها عنان السماء بعدما اخرج اهل الكهف من الظلمات الى النور وعانق الصديق الحكيم قائلا : لا قبلك ولابعدك ، فصده توفيق الاوريجنال يثور قائلا ما هذا التهويش ياعم : كان قبلى الجاحظ ، وانت لم تعش بعدى حتى تحكم على ما هو آت فدع المستقبل لله ، ولا تكن من المسرفين ، وكانت هذه صدمة أرستقراطى لم ينتظرها صديقنا طه وسقط من يده اكليل الغار الذى اعده لراس صاحب شهرزاد

فراح يبحث فى دفاتره القديمة حتى وجد رسائل خاصة ارسلها اليه توفيق فى مناسبات ودية ونشرها قائلا انظروا ايها الناس كيف يغير المنصب الصديق على صديقه وتقلب الوظيفة الحبيب عدوا ويرد عليه الحكيم مؤكدا ان الصداقة قائمة ولايمكن ان تزول انها صداقة قلبين اجتمعا على حب الفن والجمال الاعلى ولاشىء فى الوجود يمكن ان يحول بين توفيق وطه ، وانتهى الامربينهما بعودة المياه الى مجاريها ، والعجيب ان الاستاذ الزيات دخل بجبته بين البصلة وقشرتها ، واراد ان يطيل الخناقة ويعرضها على قراء الرسالة وبصفتهم فى ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد والنصف الاخر فى جزاء وان ، الوان ، فانتهره طه وقال له : شىء بارد يا اخى وانت مالك وما هذه الوقيعة منك ومن المجلة التى خلقتها انا وحملتها على اكتافى وانا الذى ضحيت وكانت الشوربة حتبرد على المائدة وتتلج وانا واتصبب عرقا على فى كتابة يقـال تستعمل الرسالة التى لا تستطيع ان تظهر وتواجه الجمهور بدون ختمى وتوقيعى ، فلم يكن من الزيات الا ان رد عليه بعد ما قبل رأسه ، مثنى وثلاث ورباع قائلا : انت أخى وابن اخى وسيدى وتاج رأسى ولكن كيف تستبيح لنفسك نشر رسائل خصوصية لم يأذن بنشرها صاحبها ، توفيق الحكيم ، ولايتيح لى نشر مقال ظهر فى الصحف وتداولته ايدى الناس ، حرام عليك يا اخى ان تخصنى بغضبك وانا صاحبك وحبيبك العمر كله وهل يصح منك ياطه ان تغامر وتقول انك ضحيت من اجل الرسالة هل كانت هذه التضحية بلا مقابل او مجانا لوجه الدكتور عوض محمدين العبط وشركة الرسالة المساهمة ليمتد ، ان كانت هناك تضحية يا معلمى فهى تضحيتى انا على سن ورمح — فقد زرت العراق وراق الوان ، لأنى وجدتكم فى الحياة بغير رسالة فجمعت شملكم وفتحت لكم دكانا تعرضون فيه افكاركم الحق على ، اما ختمك وبصمتك فقد كلفانى كثيرا او حرمانى من اشتراك وزارة المعارف فى رسالتى ، وبينها وبينك ما صنع نقولا ، ونجيب وسليم الحداد ،

واحلى ما قرأته فى العدد الثانى ما كتبه التباعى تحت عنوان مصر ، اسكندرية وبالعكس .

قضينا الاسبوع الماضى انا وزملائى فى هذه الحفلة وكل منا يشتغل كاالحمار ولا فخر ، واصبحنا يوم الجمعة وكل منا يعتقد انه أحق من زملائه بالراحة عن عناء الاعمال ثم نتكلم بلهجة بريئة عن عطلة الاسبوع ، وكيف نقضيها فى الاسكندرية وعن القطار الذى سنعود به الى القاهرة فى مساء الاحد ان شاء الله كأنما سفره الى الاسكندرية — دون باقى زملائه — قد اصبح فى حكم المقرر .

وقالت زميلتنا الانسة التى وضعنا مكتبا لها — اتقاء للشر — مع مكتب صاروخان ، فى غرفة تقع قبلى ادارة المجلة والتى تجدها مع ذلك دائما محشورة بين

مكاتب الزملاء فى بحرى الادارة فاذا ما فاجأتها هناك استجمعت فى عينيها كل سذاجة الريف لكى تستفهم منهم عن كلمة لاسيما .. وهل هى والنبى يا استاذ من اخوات ان التى تنصب الاسم ، وترفع الخبر ثم القت علينا نظرة عتاب صامت وانسحبت الى مكتبها فى الوجه القبلى تاركة وراءها جوا من المؤامرة تشيع فيه رائحة (سوار دى بارى) قالت زميلتنا هذه ملهمة جديدة ليس فيها رائحة المزاج انه اذا كان بيننا من يستحق الراحة فهو انا واشارت الى بأصبع يفيض حنان الام الرءوم وتحرك لسانى بالدعوات البركات واذا بها تقول :

وعلى كل حال فالاستاذ اكبرنا سنا ، وللسن احكام ، فهو اذن احقنا بالراحة منا نحن الشباب عمرك النهارده كام يا استاذ واجبت على هذا السؤال بنظرة وركزت فيها كل ذخيرتى من الاختصار ، ويمكن الملعونة عرفت كيف تثأر لنفسها ولأخوات ان ولاسيما وكيف تضحك منى زملائى البسطاء الذين يضحكون من لاشىء .

ويقول انه اختار ان يسافر بقطار المساء السريع ، الذى يقطع المسافة فى زمن يقل نصف ساعة عن القطارات العادية التى تقف فى كل محطة ليناول التحية واخبار اليوم ، مع باقى القطارات ، والتى تركها سائقها بحجة ملء خزان مياه القطار ويخطف رجله الى دكان المزين الواقع أمام المحطة ليلعب عشرة محبوسة ، او جلبهار اما قطارنا فقد سار فى طريقه لا يلتفت يمينه ولا يسراه فاختصر محطة بنها وتجاهل كفر الزيات ولوى بوزه لدمنهور ولم يقف الا فى محطة طنطا ربما يقرأ الفاتحة للسيد البدوى ثم استأنف السير طاير الذيل مستريح الضمير .

وعن الاسكندرية يقول انه جلس فى مطعم إلى مائدة مجاورة لمائدة الشاب محمد سلطان ، وذلك لان إيراد محمد سلطان قد هبط من خمسين الف جنيه الى عشرين الف جنيه ولاحول ولاقوة الا بالله فأصر ان يتناول طعامه فى مطاعم الفقراء امثالى وعن السباق يقول ان سفين جبر ، وشلته عرضوا عليه أن يراهن على جواد اسمه طلال ومن بعده بلاوى ، ثم بلانس .. وكان الفائز الأول فاروز والرابع بلانس وقالت السيدة فاطمة سرى وهى تعصر كارت بوستال تسميه منديلا مبتلا بماء المقل والمقل لغة العيون مصيبة بمنيعة على السباق ، وايام السباق ، واللى علموه فى السباق ، واللى جابونى سباق وتبين انها كانت قد راهنت على بلانس بمبلغ وقدره وانه لم يبق معها سوى مبلغ وقدره تكلتان وانعقد مجلس إدارة فاطمة سرى وقرر العودة إلى المنزل فى محطة سابا باشا سيرا على الاقدام ! من الابواب الشقية التى تميزت بها اخر ساعة والتى كان يحررها التابعى فى روز اليوسف ، ثم نقلها الى اخر ساعة . باب : خطابات مفتوحة الى العظماء والصعاليك من بين خطابات العدد الثانى : الى حضرة صاحب العزة حسن صبرى بك وزير المالية بجوار مراح الغنم بعزبة الصبرية

مركز شربين ـ غربية ، ويشر الخطاب الى طعام الغداء ، والذى تناوله السير مايلزلامبسون المندوب السامى مع حسن صبرى بك فى الصبريه مؤكدا ـ الخطاب ـ انه عندما يتغدى المندوب السامى البريطانى هو وتحفظات ٢٨ فبراير ١٩٢٢ على مائدة احد المصريين : أى لما يذهب النمر ومعه شكولاته ، وورد الى بيت القطط حليفا الى حليف فالويل يومئذ ، للجرذان ، وتطلب ـ الرسالة ـ من حسن صبرى بك ان يكون قد احتفظ لنا بلية الخروف نمره ٣ ، لإرسالها الى المعمل الكيماوى ، لمعرفة نوع الاطعمة الفاخرة ، والعقاقير المختلفة التى كان البعض يتعاطاها للسمنة ، اثناء الاستعداد لهذه الوليمة منذ ثلاثة شهور للانتفاع بهاقى المدرسة العليا التى انشاتها هذه المجلة لتعليم السياسة بالمراسلات .. الخطاب الثانى (العدد الثانى) الى حضرة صاحب سمو الخديوى السابق مدير شركة اخيل لقوارب النزهه ، لندن وكان الخديوى السابق قد أنشأ مع اثنين من كبار المحامين الانجليز شركة راس مالها ثلاثة آلاف من الجنيهات وعملها اقتناء يخوت النزهة فى البحار ، وتقول الرسالة لقد خفنا من منافستكم على مراكبية قوارب النزهة فى المرقا المجاور لكوبرى قصر النيل وليكن بعد قراره الخبر مرتين ضحكت فى عبى وحمدت الله على وجودكم بلندن ، ورفع رأس مصر عاليا بهذه الطريقة هناك وبهذه المناسبة نرجو من سموكم ان ترسلوا الى ثغر الاسكندرية يختا من يخوت شركتكم يستعمله وزراؤنا عندما يحاولون الاستراحة بعد عناء الاعمال بدل استعمال مراكب والضهبنة ، بدافع عدم التكليف ـ على وقع فاتورة الحساب .

الخطاب الثالث العدد الثانى من اخر ساعة الى صاحب السعادة محمد علام باشا بمد ود حبه المحترم بتلبية الاوقاف بلوزان والخطاب معلق على قرار من روما وان موسولينى خصص يوما من ايام الاسبوع للاشتغال فيه يدرس الخطة كأقل فلاح أجير تحت حرارة مقدارها ٣٤ لنتجراد وانه تنازل على ذلك الاجر المعتاد ، وهو شلنان وبنس وتغدى مع العمال فى الاطباق الصفيح ويرجو كاتب الخطاب من محمد علام ، كوزير زراعة قديم بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن زميله الحالى الفيلد مارشال على بك المنزلاوى المشرف على مقاولى دودة القطن فى سهول الوجه البحرى أن يخطفا ارجلهم ورجل الحمار ، وأن يعدا حبل الاليه ، ويذهب الى مستعمرة شيوريا حيث عمل موسولينى ، ليعملا بها فان كان صحيحا ما تقاوله الرواة فخابرونا بطريق البرق اللاسلكى حتى نلتمس من دولة رئيس وزرائنا السنيور يحيى باشا ان يخصص هو الاخر يوما من ايام الأسبوع الاتى لزيارة كفر أبو ماضى ؟؟ والاشتغال هناك بركوب النورج ودرس البرسيم وسف التراب ـ اقصد الطعام ـ مع صغار الفلاحين بكل دولة يومين عندئذ ـ بما نقول الناس فيستحه منهم ومن نفسه

ويستقبل المجموعة الثانية من خطابات مفتوحة إلى العظماء والعظماء

حضرة صاحب العزة صليب سامى بك وزير الحربية

فى أجعص فوتيل فى كازينو سان استفانو ـ رمل الاسكندرية .

تشرفت المعاهدة الدولية الخاصة بالمحافظة على النبات والحيوان بتوقيع سفيركم المفوض الدكتور ابراهيم قدرى مدير حدائق الحيوانات . وأصبحت مصر الآن بهذه المعاهدة مرتبطة بعهد جديد ، الاتستأصل نباتا نافعا ، أو تستعمل القسوة فى صيد وحش طريد ، حتى تستفتى عصبة الأمم ، وتفكر فى رحمة الله عشر مرات .. وشر عهود الاستبداد فى تركيا القديمة هو العهد الذى حميت فيه كلاب الاستانة بالقوانين ! .. وعن أبى شادوف فى هز القحوف أنه قال : اذا خطف القط دجاجة من أحدكم ، فليضربه بيد المقشة حتى يموت ، أو كما قال . فمن الآن ستتولون عزتكم حماية القطط من أيدى المقشات ، وحماية البصل والفجل والكرّات ... وهو بلاشك عمل شريف ، وأحسن من الجلوس فى الشمس ، ومص الأصابع ، وعد الغربان فى السماء ، والشيء الذى يؤسف له هو أن الحدود المصرية ستكون الشاكى الوحيد من قلة الحماة ... أستغفر الله فستبقى معها الارواح المصرية تشكو بيعها فى سوق الرقيق بسعر الخنازير .. وعلى كل حال فمع خالص التهانى بهذا التوفيق فى إجبار الدول الاجنبية على التقيد بهذا العهد الشريف ، نرجو من عزتكم التوسع قليلا فى تطبيق النصوص ، والتوسط لدى رجال بلوك الخفر وضباط البوليس بوزارة الداخلية ، فى عدم استعمال الشلاليت الميرى ، وكرانيف البنادق ، ولكاكيم الصعيد ، فى صيد أبناء آدم من الطريق .. أبناء آدم الذين يباح من دمهم مالا يباح من دماء الوحوش ! .... وعلى فكرة أفتونا عزتكم فى شجر الزربيح ، هل هو نافع أم ضار ، وهل يتمتع أو لايتمتع بهذه الامتيازات ؟ ..

حضرة الاخ المحترم ولا فخامة ولا حاجة السير برسى لورين .

بطرف مساعد سكرتير ثالث الغازى مصطفى كمال ـ انقره .

سبحان من وهب لكم شمعدان النحس بلا منافس ولا شريك اينما ذهبتم فى اثركم الشؤم والظلام .. ذهبتم الى طهران وزيرا مفوضا لدولتكم فسقطت دولة وقامت دولة وذهب رجال وجاء فى اثرهم رجال وذهبتم الى اتينا فعض القرد ملكها الاسكندر فمات وجئتم الى القاهرة فخطفت الفيلة واكلت جرذانها الحديد وذهبتم الى انقره فاطلق جندى خفر السواحل التركية بندقيته على مستر روبنصون الضباط الانجليزى فقتله فعكر دمه الماء الصافى بين الانجليز والاتراك .. وهى خسارة كبرى على الامبراطورية ان هذا الضابط الانجليزى لم يقتل على الشواطىء المصرية بيد جنود مصريين ولو حدث هذا ياشمعدان النحس لخطبت البوارج الانجليزى التى ترسو الان

فى المياه التركية صامتة مؤدبه بإفة الرعد والبرق والصواعق والانواء ولاكل الوجه القبلى بقشرة ولوضعت الجمارك المصرية بين الحربة والحيط ولقدرت روح الضابط القتيل بالملايين كأرواح الانبياء فاذكروا سعادتكم اى الخسائر جلبتموها على دولتكم وان كان عندكم دم مثلنا فاطلبوا اقالتكم من العمل حالا مع حرمانكم من المكافأة والمعاش .

حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا

بجمرك منه فيه بميناء الاسكندرية

لم يتغير شيء كما ترون فى ميناء الاسكندرية منذ فارقتموها دولتكم الى الان اللهم الا ان يكون جمرك منه فيه قد اصبح يقبل مع البضائع الضائعة الاشخاص الذين هم مثل دولتكم بلا مستقبلين ورجوع دولتكم من الخارج بعد الاشاعة السيئة التى اشاعها عنكم خصومكم فى الاسكندرية تشبه عودة الشبح فى كفنه الابيض متوكئا على قائم نعشه ومنظر دولتكم حتى فى أسمال البلى والهوان ولا مؤاخذة يجرح شعور هذا البلد ويذكره بالف ذكرى والف تاريخ كلها اشد قبحا من وجه البومة واشد سوادا من عرض ابليس فهلا اشتريتم دولتكم بقية فى نفوسنا من حسن الظن فبحثتم عن كهف فى غار فى جبل تغسلون فيه بالندم والدموع - بعيدا - عن عيون الناس اثقال الضمير المتعب بالذنوب والآثام .

وفى العدد رقم ١٥ من آخر ساعة كانت الخطابات المفتوحة الى العظماء والصعاليك : من نصيب .

برضه .. إلى حضرة صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا

وبرضه .. باجزخانة دلمار باب اللوق

فى الأيام الأخيرة لم يسألكم أحد عن شيء وقلتم له .. « نعم »أبدا ! كل إجاباتكم على أسئلة الناس ، لا ، لا ، لا ، .. هل حدث كذا وكذا !... لا ! هل تحقق كيت وكيت ؟.. لا .. لا ! هل فى الجو غيم ؟.. لا ! هل الشمس طالعة ؟.. لا ! هل الأرض كروية ؟... لا ..! ويبدو ان القط الذى تطلع الى البوار المقبل من الناحية العكسية للنظارة المعظمة ، كان أقل تفاؤلا من دولتكم بالمستقبل لما اعتمد على الله وظل بين القضبان يفتل شاربيه باطمئنان حتى دهسه القطار !.. أظنه الفرزدق الشاعر القديم هو الذى مدح زين العابدين بقصيدته التى يقول فيها « ما قال لاقط إلا فى تشهده » ، ولو علم الفرزدق أنه سيكون فى مصر فى آخر الزمان رئيس وزراء يقول « لا » باستمرار فى التشهد وفى سواه ، لراجع قانون العقوبات ، وقانون الصحافة ، ولوائح سجن قره ميدان ، قبل أن يمدح زين العابدين بهذا الاسلوب .. اننا على كل حال من المعجبين بدولتكم لهذا الثبات العجيب على صوت الصواعق ، لكنا مع ذلك نحذركم من مراسلى

الصحف الخبثاء ، فقد يسالكم أحدهم غدا عن فوائد الاسبرين أو عن وجود الله ، ونخشى أن تغلبكم العادة ، فلا تحميكم يومئذ كل الطرق الدبلوماسية من غضب الله ..

جناب المحترم المستر جرافتى سميث

السكرتير الشرقى المساعد لدار المندوب السامى

بقسم رعاية الاطفال بالسيدة زينب

زف المقطم الى قرائه فى الاسبوع الماضى بشرى إنعام الله عليكم بمولود ذكر سعيد ، ونحن نهنئكم بهذا الضيف الجديد ، وبهذه القطعة من كبدكم لاتمشى على الارض كسائر أكباد عباد الله ، وإنما تمشى على الدمقس والحرير . وفى انتظار نصيبنا من الفات ومن كعك السبوع ، نرجو من جنابكم أن تسموا المولود الجديد باسم مصرى صميم ولو « عبد الفتاح » أو « توحة » للاختصار ، لانه يولد أولا تحت سماء مصر ، وسيكون ٩٩٪ من دمه ولحم أكتافه من ماء النيل ، وقد يكون عرّابه فى المستقبل شيخا من شيوخ الاسلام الذين تستضيفهم فى ليلة القدر المقبلة دار المندوب ، وسنعده ابننا حتى يثبت العكس فيكلمنا بطرف أنفه بصفته حفيدا لجون بول .. وبمناسبة سوء التفاهم الذى بيننا وبينكم فى هذا العام نضرب عن إرسال هدايا لابننا الصغير ، ونؤجل ذلك لعيد ميلاده المقبل ، ربما تكون قد تحسنت الأحوال ، فترسل لكم باسمه يومئذ مقطفا من بلح النحاس إن شاء الله ..

حضرة النائب المحترم ، مكسور الجناح ، عبد اللطيف حلمى غنام

بمستشفى قصر العينى ـ بطرف الباشتمورجى عم عبد المجيد

كتبتم الى المقطم يوم الاثنين الماضى مقالا سياسيا فى الحالة الحاضرة ، والمقال فى نفسه لايستحق التعليق ، ولكن المضحك فى الموضوع انكم مهدتم له بالتألم من خوضكم فى السياسة حالة كونكم مكسور الجناح طريح الفراش بسبب الكسر الذى قلتم انه حدث لكم فى عظم ساقكم اليمنى من الاسفل على اثر اصطدامكم برصيف محطة طنطا فى أثناء نزولكم من القطار الذى غادر مصر فى الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الاربعاء السابق ووصل طنطا فى الساعة التاسعة .. والذى كان ينقصكم لكى تكون مصيبة القراء أتم وأوفى فى كل هذه التفاصيل ، أن تذكروا نمرة القطار ، وأجرة السفر فيه فى الدرجات الثلاث الى بنها وبركة السبع وقليوب ،وكم دفعتم للاعلان عن ساقكم المكسورة فى المقطم بهذا الاسلوب .. وشفاكم الله ..

ومرة أخرى وأخيرة ننقل بعض خطابات آخر ساعة [العدد ٢٦] الى العظماء والصعاليك

حضرة صاحب الفخامة سير مايلز لامبسون

بجمرك (منه فيه) بالاسكندرية

نكتب هذا وأنت مقبل على مصر ، عريسا تكسو وجناته حمرة حياء شهر العسل ! وفي مصر أكثر من جهة ، تود باقتلاع الأضراس وجدع الأنوف لو استطاعت أن تفتش حقائبك ، لترى ماذا حدث من خطط سياسية ومناورات ..

وبعد التحية والذي من التحية ، تعال نتفاهم .. ان كنت قد جئت بمفاجآت ، فان مستر بيترسون ـ والشهادة لله ـ ربح كأس البطولة في هذا الميدان ، وعلى الرغم من قصر مدة انتدابه ، فقد كانت له في كل يوم مفاجأة ، ولكل مفاجأة ذيول لاتزال تزحف على قدميها الى اليوم .. ثم قل لنا من فضل فخامتك .. ان كانت هذه المفاجآت من أجل مصر ومصلحة مصر ، فان المصري افندي مستعد أن يكلف خاطره ويشتري بما في الجيب كله باقة زهور يقدمها اليك رمز المحبة والقبول !

أما اذا كانت هذه المفاجآت ـ لاسمح الله ـ في سبيل الحياد اياه وما هو شر من « الحياد » واللعب بحقوق مصر لعبة الثلاث ورقات ، فهذا المصري افندي أعتاد حياة الاستبداد والعنف ، وتحطمت تحت ساقيه سيوف العنت والارهاق ، وبقي كما خلقه الله .. يجود على الظالم دائما بابتسامة كلها هزؤ وسخرية واستخفاف !

ومع ذلك فها أنت وهانحن وهاهي الأيام ، سوف نشهد فيها ماتبطنه حقائبك من سياسة ومفاجآت !

حضرة صاحب السعادة وزير الحقانية .

بطرف بواب عمارة القوانين الاستثنائية بشارع الدواوين !

نحن متفقون على أن سعادتك تطالع الصحف ، وفي الصحف كل يوم ياسعادة الوزير أنباء عن اهتمام وزارة الداخلية بالصحافة ، واجتماع وكيلها بمندوبي الصحف للنظر في قانون المطبوعات والمواد الخاصة بجرائم النشر في قانون العقوبات . وقد قالت هذه الأنباء إن تلك الاجتماعات يقصد بها الى تعديل هذه القوانين وانصاف الصحافة مما بهدلها به صدقي باشا في عهده الاغبر المعروف .

ثم اذا بنا ياسعادة الوزير نقرأ أن وزارة الحقانية هي ايضا تنظر في قوانين الصحافة وتريد أن تجد لها فيها رأيا ، وهنا يبدأ الخلاف بعد أن كنا متفقين ..

ان يكن هو (العناد) بين وزارتين ، فقانون تنظيم لصق الاعلانات مثلا أحق بهذا العناد ! وان تكن المسألة أن تخرج وزارة الداخلية بقانون ووزارة الحقانية بقانون للصحافة ، ثم تقف الوزارتان .. قانوني أحسن !... لا قانوني أنا هو الذي يسير !.. وياشاويش !.. وتستمر الخصومة سنة وشهورا ، ثم تخرج الصحافة من المولد بغير حمص ..

ياسعادة الوزير .. أنت ذكي وحسك من الصحافة هذه الاشارة !

حضرة .. الى آخر مايليق به حافظ رمضان بك

أمام « فاترينات » مخازن غناجة ودلمار !!!

حكاية (أطلعني صديق على مانشر بجريدة ..) باخت ولم يبق لها طعم ولم تعد تحتمل من رجل يعرف أن خمسة سطور فى جريدة قد تقيل وزيراً من الحكم وتغير وجه التاريخ .. ولكن هذه الحكاية تحتمل من رجل مثلك ، ليس فى برنامجه مطالعة الصحف ، لأنه مشغول عنها بمطالعة كتالوجات الازياء .. وأى الالوان هو الموضة الآن .. الازرق السماوى أو الاحمر المسخسخ .

أما الخبر الذى نفيته فقد رواه لنا صديق ، واياك مجلس طرب ، وفى المجلس بعض السيدات .. ولكن حياء هذه المجلة يمنعها أن تسرد أسماء سيدات ، فاننا نكون ممنونين جدا لو تكرمت بزيارتنا لنقدم اليك اسم الراوى الصديق .

وننتقل الى باب آخر من ابواب اخر ساعة . كان من اكثر الابواب رشاقة وخفة دم واسمه كدب فى كدب .

وقد جاء فى العدد الثانى من آخر ساعة ـ فى هذا الباب مايلى :

ورد على الوزارة من عبود باشا خطاب يقول فيه إنه حاول أن يقابل سير جون سيمون وزير الخارجية وأنه وسط أصدقاءه من كبار الانجليز ، ولكن وزير الخارجية البريطانية اعتذر مع الأسف عن مقابلته بحجة انهماكه فى كذا وكذا وكيت ..

وبعد إلحاح الاصدقاء الوسطاء ، ارسل السكرتير البرلمانى لوزير الخارجية خطابا الى عبود باشا يبلغه فيه أنه ـ أى السكرتير البرلمانى ـ مستعد لمقابلة سعادته فى الساعة كذا والدقيقة كيت ويؤكد فى ختام الخطاب أنه خادم عبود باشا المخلص المطيع !

وكانت المقابلة ، وتكلم فيها عبود باشا عن مصر والحالة الحاضرة التى هى غاية مايرام . وأصغى اليه السكرتير البرلمانى بأدب جم ثم رجا سعادته أن يدله على موقع مصر فى خريطة العالم لأن الجغرافيا لم تكن فى يوم مامن العلوم المحبوبة لديه !

ويقول عبود باشا إنه فهم من هذا التجاهل المصطنع أن السكرتير البرلمانى لا يريد أن يتحدث اليه فى شئون مصر وبناء عليه فهو يرجو الوزارة هنا أن تتصل بدار المندوب السامى لكى تتصل هذه بوزارة الخارجية البريطانية وترجو وزيرها المشغول أن يقابل عبود باشا .. والمسألة كما ترى فيها حوارى وأزقة ومنعطفات !

وعملت الوزارة برجاء « سفيرها » عبود باشا وراحت تطرق باب الدار ! ولكن دار المندوب السامى هزت وسطها وقالت إنها لاتعرف صفة لعبود باشا تخوله حق الكلام باسم مصر فى لندن .. ولهذا فهى تأسف لأنها لا تستطيع أن تفعل شيئا فى الموضوع .

وخرجت الوزارة من دار المندوب وأمرت بأن ترسل برقية الى عبود باشا نصها :
(الناس خيبتها السبت والحد وأنت خيبتك لم وردت على حد) !

فى الاسبوع الماضى دق جرس تليفون رئيس الوزراء فى بولكلى واذا بالمتكلم دار المندوب .. التى رجت من رئيس الوزراء أن يخطف رجله الى كارلتون لان فخامة المندوب السامى يود أن يراه !

واستقل دولة الباشا سيارته وحطت السيارة ذيلها فى أسنانها وطارت الى دار المندوب وهى تقول ياترى الحكاية إيه ؟

وأبلغت الفخامة صاحب الدولة أن لديها تبليغا من الحكومة الانجليزية فيه اعتراض على قانون السيارات !

وبلع دولة الباشا ريقه وقال فى سره : « الحمد لله اللى جت على أد كده » .. ثم رجا من صاحب الفخامة أن يسلم إليه هذا التبليغ .

وأجاب فخامة المندوب أن التبليغ شفوى ..

وقال دولة الباشا إن ذاكرته ضعيفة ورجا من سير ميلز أن يبعث اليه بصورة مكتوبة من التبليغ المذكور .

وأجاب فخامة المندوب الرجاء ثم تلطف وأضاف بأنه مستعد لتذكير دولة رئيس الوزراء كلما أنساه الشيطان .

وتحت عنوان : هل صحيح ؟ وفى نفس العدد وفى نفس الصفحة نشرت آخر ساعة : هل صحيح ان المندوب السامى اتفق مع الجنرال القائد العام للقوات البريطانية فى مصر قبل سفر الاخير الى انجلترا على زيادة عدد جيش الاحتلال فى مصر خمس أورط ، تعسكر أورطتان منها على الحدود الشرقية ومثلها على الحدود الغربية وتعسكر الاورطة الخامسة بين الاسماعيلية والقنطرة ؟

... ورفضت وزارة الحربية الانجليزية هذا الاقتراح بحجة أن حالة الميزانية لا تسمح الآن بزيادة قوة جيش الاحتلال ؟

والآن .. هل صحيح أن هناك اليوم بين الانجليز من يقترح أن تقدم الحكومة المصرية مساعدة مالية للاورط الخمسة المذكورة فى مقابل أن هذه القوات سوف تساعد مصلحة الحدود فى مطاردة المهربين ؟

وهل وصلت الى الحكومة المصرية مذكرة فى هذا الشأن من القيادة الانجليزية العليا فى مصر ؟

وإذا كان الجواب بالايجاب فما هو رأى الحكومة المصرية ؟

ومن الأبواب التى لم تنتظم فى آخر ساعة ، باب قال الراوى وقد جاء فى ذات الباب ـ العدد الثالث من آخر ساعة : مايلى :

صاحب العزة على بك المنزلاوى وزير الزراعة معجب بنفسه وبكل مرآة تشاركه فى هذا الاعجاب .

ولقد وقف أخيرا أمام المرآة وسألها لم لايدعو هو أيضا فخامة المندوب السامى ليتناول معه الغذاء فى مزارعه كما فعل وزير المالية حسن صبرى بك مادامت هذه الدعوة تقيم الدنيا وتقعدها ؟

والمنزلاوى بك يخشى أن يموت بحسرة قبل أن تقعد له الدنيا يوما وتقوم !

ومن ثم وسط سعادته انجليزيا كبيرا ليفتح مفاوضات الأكل مع المندوب السامى وليقدم لفخامته كتالوج الفراخ والحمام الموجود فى عزبة المنزلاوى بك !

وطبطب سير ميلز لامبسون على بطن الفخامة الممتلىء وحمد الله على نعمة الشبع وأثنى على طباخ وزير المالية واعتذر عن قبول الدعوة بحجة أن عزومة وزير المالية قد أثارت قالا وقيلا وسببت لفخامته خوتة دماغ .. وأن أكلتين فى الراس توجع !! .

أحيل الى المعاش المستشار صاحب العزة عثمان بك يوسف وخلا منصبه فى محكمة الاستئناف الأهلية .

ورشح دولة رئيس الوزراء للمنصب الحالى محاميا كبيراً ولكن وزير الحقانية اعترض وقال انه لن يعين فى المنصب المذكور الا رجالا من رجال القضاء الأهلى ..

وبينما عصبية دولة رئيس الوزراء ممسكة بخناق عصبية معالى وزير الحقانية ، اذا بسعادة الغرابلى باشا يطب على الاثنين ويلقى أمامهما قصيدة مطلعها أنه يذوب صبابة فى النقض والابرام ! وانه يفضل أن يترك كرسيه فى الوزارة ليجلس فى كرسى أحد مستشارى محكمة النقض والابرام .

وهنا ثار دولة عبد الفتاح يحيى باشا واخلى سبيل « عصبية » وزير الحقانية من يده لكى يمسك بوزير الاوقاف ويهزه ويقول : دى مش أصول ! هذا هروب من الميدان ! . ونحن يانعيش سوا يانموت سوا !

ولكن الغرابلى باشا لم يقتنع حتى الساعة بأن من واجبه أن يموت مع رئيس الوزراء !!

جلس صاحب العزة الاستاذ حفنى بك محمود رئيس تحرير السياسة يقول إن دولة شقيقه محمد محمود باشا سوف يضطر قريبا وعلى الرغم منه الى ترك فندق

سيسل حيث يقيم دولته والانتقال الى دار تعصمه من طوفان الزائرين الذى لاينقطع ..

ـ وتصوروا ياحضرات أن حساب الفندق في اليوم الواحد ١٥٠ فنجان قهوة .. واكثر من نصفها للزائرين الانجليز !

ومن غير أن يطالبه أحد بزيادة الايضاح يغمض الاستاذ حفنى بك عينيه ويتنهد ويقول إن الفرج على الباب وان مفتاح الباب الذى سيدخل منه الفرج هو بيد اخويا محمد باشا محمود !!

يوم ألقى القبض على صاحب الشرف الرفيع عباس حليم سمع الناس وسمعنا أن سلطات الادارة والبوليس هى المسئولة الى حد كبير عما وقع وانها ترجو أن تقدم للنيابة العمومية ما يثبت أن الشريف فعل كذا وأنه مسئول عن كيت .

ومر أسبوع وأسبوعان وثلاثة على اعتقال الشريف حتى كان يوم الاثنين الماضى واذا بصاحب السعادة النائب العام يأمر باطلاق سراح عباس حليم ويحفظ القضية بالنسبة اليه .

وكان هذا القرار عند البعض مثار الدهشة ، ومثار الشكر والثناء عند الاكثرين .

أما الدهشة فسببها كيف تستطيع الادارة أو البوليس بعد اليوم أن يقف على قدميه ويواجه الناس بعد أن تورط فيما تورط فيه فى حق رجل يرفعه نسبه ودمه فوق الرؤوس .

وأما الشكر والثناء من أجل قرار جرىء كهذا فليسا فى حاجة إلى ايضاح

ومن الأبواب الحلوة والشعبية فى آخر ساعة باب بمناسبة وبدون مناسبة وقد جاء فى هذا الباب (العدد الثانى) ما يلى :

رئيس الوزراء يشكو لطوب الأرض لعموم الوزارة وما يلقاه من بعض زملائه الوزراء وخاصة حسن صبرى بك الذى اتخذ لنفسه لقب ووظيفة معكنن اول دولة الرئيس ، وسعادة القيسى اخذ يتقرب من جميع الجهات الا جهة رئيس الوزراء بالذات ولا عيب فى وزير الحقانية الا رجل عصبى ، ورئيس الوزراء عصبى : وعصبى + عصبى = خناقة لرب السماء ويقال لرئيس الوزراء عليك بتعديل الوزارة فيقول إنه ليس بيدى بل .. بيد ربنا وينتظر الباشا من حوله إلى يوم ، أن يعدلها ربنا وحافظ عفيفى باشا أصبح ـ عند الوزارة ـ من المغضوب عليهم والضالين بل إنه أيضا فى القائمة السوداء ، عند دار المندوب السامى ، لان قنزحته جعلته يخسر عنب اليمن ،

وعذب الشام ، ويراقب ، البوليس الآن داره وعيادته ويقدم تقريره اليومي باسماء الزائرين .

وعن اجتماع فى بولكلي دعا اليه رئيس الوزراء للنظر فى بعض مهام ، وقرف الأمير ، وسحب الوزراء سيقانهم إلى مكان الاجتماع وظلوا يتثاءبون نصف ساعة فى انتظار دولة الرئيس ولم يدخل عليهم أحد بصينية القهوة ، أولم يطف عليهم أحد بصندوق السجائر واخيرا اقبل رئيس الوزراء ومعه سعادة القيسى باشا ووفد الوزراء ، يرفعون عريضة الشكوى الخاصة بالقهوة وبالدخان وصدر الأمر بالبحث عن صندوق السجائر ، واذا به مخفى فى احد ادراج مكتب دولة الباشا والذى اخفاه موظف حريص على تطبيق وتنفيذ وابل منشورات وزير المالية الخاصة بالاقتصاد وصدر أمر ثان بالتحقيق - ودولة الباشا كما نرى لا يعرف الهزار - مع سى عمر المكلف بعمل وتقديم القهوة لزائرى دولة الرئيس وقام - بالتحقيق فؤاد حسيب بك سكرتير عام مجلس الوزراء ولأزمة المحاكم المختلطة نالت من الاهتمام مانالته أزمة القهوة والدخان

وفى العدد التالى (٣) جاء فى باب بمناسبة ومن غير مناسبة :

أن مجلس تأديب بلدية اسكندرية اصدر حكمه بدار ابراهيم بك فؤاد سيد احمد وبدلا من أن يبتسم حضرة ابراهيم بك أو يلعلع بالزغاريد تمايل وتطاوح وخر مغشيا عليه وصبوا على وجهه الماء حتى افاق ولكن القيسى باشا لم يمل ، ولم يتطاوح للحكم ولحسن الحظ لم يخر مغشيا عليه - وارسل سعادته فى اليوم التالى المتهم البرىء ، وأبقاه فى غرفة الانتظار ساعتين .

ومن فقرات هذا الباب أن مرض الهرش والدمامل أصاب حمامات ستانلى باى ورفع فوقها الراية ، ودق الطبول ، وذهبت وفود التيزات والابلوات تطرق أبواب الوزراء وتشكو ما أصاب صدر زوزو وما حل بظهر سوسو ، وذراع سميحة وخديجة وابله أنعام واجتمع مجلس الوزراء بصفة مستعجلة وقرروا أن يبحثوا مشكلة الدمامل ، ثم انتهى بهم الرأى ، تفويض صاحب الدولة رئيس الوزراء ، وارسل صاحب الدولة واستدعى مدير صحة الاسكندرية وابلغه أن مشكلة الدفع بالدهب كوم ، ومشكلة الدمامل كومين ، وكل رجائنا أن يوفق مدير صحة البلدية إلى القضاء على هذا المرض والا اضطر دولة رئيس الوزراء إلى معالجة الأمر ، بالطرق الدبلوماسية ولن تستطيع انت وأنا أن نصبر وأن نمد فى الحبال ولكن زوزو وسوسو حرام .

وفى العدد ٥ نقرأ - فى نفس الباب ، أن هناك بابا سريا لا يدخل منه الوزراء وإنما يدخل منه مستر كين لويد .. ولا يدخل من هذا الباب ، إلى رئيس مجلس الوزراء

دائماً وإنما من باب الاختصار فى الطريق إلى الجناح الذى تشغله وزارة الداخلية ومعها ادارة الامن العام ، ومصر التى تطالب بالغاء الامتيازات الاجنبية ، عليها أن تلغى الامتيازات الداخلية أولا ، وقبل كل شيء ، كان أحد الوزراء وقد قبل يد المطربة المشهورة السيدة منيرة المهدية فى حفلة من الحفلات ونشرت إحدى الصحف الخبر وفى اليوم التالى استدعى محررها لكى يتلقى بقية من سين وجيم ، وكيف ينشر - ياعيب الشوم - خبرا يقول فيه إن وزيرا من وزراء الدولة قبل يد إحدى المطربات ويقارن الكاتب بين ما حدث لصاحب الصحيفة التى نشرت خبر تقبيل أحد الوزراء ليد احدى كبار المطربات ووزير البرازيل المفوض ، الذى دعا راقصة احبته إلى العشاء ومعها السيدة حرمه . وإلى مائدة أمامهم جلس يتعشى ويتهوى دولة رئيس الوزراء : نرى ماذا يحدث لو أن وزير االحربية مثلا دعا الانسه أم كلثوم لتناول العشاء

صاحب السعادة بولس باشا وكيل وزارة الداخلية من سواقط القيد ودخل سعادته الحكومة بهذه السقطة وعرض أمره على القومسيون وفيه النقر على البطن والظهر والكشف على الاسنان واللسان وفحص الشعر ، قدروا لسعادته سنا ويوما يحتفل فيه سعادته بعيد مولده فى كل عام ، واخيراً أحس صادق باشا بولس بقرب الاحالة على المعاش ، واراد بالحمرأة ، فى تقدير القومسيون فطلب أن يعاد تسنينه من جديد ولكن الوزارة حطت هذه المرة فى عينها حصوة ملح ، وقالت مرفوض .

والجديد بالذكر أن آخر ساعة كانت تنشر داخل صفحة بمناسبة ومن غير مناسبة ، عنوانا : اين تذهب هذا المساء : كازينو بوللكى : مطرب الحضور دولة رئيس الوزراء ، ويغنيهمَ الدور بالك مع مين شاغل بالى ، والكلام موجه للمندوب السامى إلى كازينو سان ستفانو - حيث يلقى صاحب المعالى حلمى عيسى باشا محاضرة عنوانها التقاليد شيء ، والتقاليع شيء آخر والى الفضاء المجاور لبيت الأمة حيث يلقى الاستاذ الفاضل المصرى افندى محاضرة عنوانها : اتقوا غضب الحليم .

الى شارع الكورنيش حيث يلقى حمار صاحب السعادة باشا محاضرة عنوانها : الضرب فى الميت حرام .

وباب اولاد الذوات واولاد الايه نجده فى العدد الثانى من المجلة يتحدث عن صاحبة العصمة عنايات هانم سلطان التى اذاعت الصحف نبأ تشجيعها للمصايف الوطنية من منازل وبلاجات ، وكيف استأجرت دارا مفروشة لمدة ثلاثة شهور ، ودفعت اجرة عن ذلك مبلغ ٤٠٠ جنيه كل جنيه منها صحته أحسن من صحة أخيه ، وغادرت الهانم العاصمة ، فى سيارتها الرولز رويس الى دارها الجديد برمل الاسكندرية ومن خلفها وامامها سيارات تحمل الحاشية والبطانة وفيها ١٨ خادمة وثلاثة اخوات -

وهذا العدد لم تراع به النسبة الواجبة من الذكور والاناث ولم يعجب رمل الاسكندرية عنايات هانم أو لعلها رأت ان دارها مش اد كده أو لعل ، أو لعل ، إلى آخر ماهناك من فروض ، والمهم أن اسلاك التليفون اهتزت ، وسافرت عنايات هانم إلى أوروبا واحتاجت عنايات هانم إلى فلوس ، وتقدم بنك ابن حلال ده وقد لحضرتها الف جنيه وهذه الالف جنيه تكفى عنايات هانم يادوبك السفر إلى أوروبا وقضاء أسبوع واحد ، و بضعة أيام .

منذ شهور معدودة كانت سراي السيدة قوت القلوب ـ وقلبى أنا من بينها ـ كانت سرايتها محلا مختاراً لمشايخ الطرق يقيمون فيها حفلات الذكر والحمد لرب مقتدر ...

ثم أغرمت السيدة قوت فجأة بالأدب والأدباء والشعر ياخويا والشعراء .

وصدرت الأوامر بتسريح فرقة المشايخ وفتح أبواب الصالون للادباء وأساتذة الجامعة من أجانب ومصريين .

ثم نشرت السيدة كتابا باللغة الفرنسية التى درستها ـ باقول لك كده ـ على المغفور له والدها الشيخ الدمرداش ، وفى الكتاب المذكور أمثال أحلى من السكر وحكم أحلى من الشربات .

ويقال اليوم إن الأديبة الزميلة تريد الحصول على اجازة الدكتوراه فى الآداب .. ولما كانت آداب السيدة لا تسمح لها بالجلوس مع الطلبة المصريين خصوصاً وأنها تستحى يا كبدى من الذهاب كل يوم إلى الجامعة فقد قررت حضرتها أن تطلب العلم فى باريس ...

والف رحمة تنزل عليك يا شيخ عبد الرحيم يا دمرداش !

احتفل منذ بضعة أيام بعقد قران « الشاب » الوقور صاحب السعادة عبد الرحمن باشا وكيل وزارة الحقانية سابقاً وعضو مجلس الـ ... الشيوخ الآن ...

والعروس هى كريمة المرحوم على بك هاشم من الاعيان .

وهذا القران يعتبر انتصاراً باهراً لاصدقاء الروزنامة وأرباب المعاشات لأن الباشا العريس قد أتم بنعمة الله الرابعة والستين من عمره السعيد

أقيمت فى يوم الخميس الماضى حفلة شيك من درجة ممتاز خالص فى كازينو الميزونيت برمل الاسكندرية وقد جمعت هذه الحفلة عدداً كبيراً من أولاد الذوات وأولاد الإيه .. الذكور والاناث .

وفى المقدمة طبعاً خديجة هانم العلايلى وزوجها الدكتور أمين صدقى نجل دولة

صدقى باشا اذا كنت قد نسيت ، وكانت حضرتها ترتدى فستانا أبيض اللون من اللى قلبك يقول فيه آه !

وارتفعت أنغام الجازباند بضرب الرومبا والكاريوكا ...

وتقدم الدكتور أمين صدقى يرجو زوجته أن ترقص معه ولكنها اعتذرت بحجة « انت ياشيرى لما ترقص بتعرق كتير »

وقبل الدكتور « شيرى » هذا العذر وجلس .

ورقصت السيدة عدة رقصات نالت التصفيق العام والاستحسان التمام .

ازدحم سفح الاهرام ذات ليلة فى الاسبوع الماضى بالهاربين من شدة حر القاهرة واندفعت سيارة نجل أحد الوزراء فى طريق الفيوم ..

وجلس نجل الوزير يناجي القمر . ولم يكن القمر ساعتها فى محله المختار فى كبد السماء بل كان جالسا معبطاً فى كتف الشاب الوجيه ..

وهبط على الاثنين اعرابى يعجب بابن الفارض ويكره أبانواس ورفع عصاه مهدداً .

وأخرج ابن الوزير مسدسه وأطلق عيارين فى الهواء .. فاذا بالاعرابى فص ملح وداب !

شيعت فى الاسبوع الماضى جنازة فقيد الشباب المرحوم على العمرى تشريفاتى حضرة صاحبة العظمة السلطانة ملك ، وكانت وفاته فى ظروف لايعرفها كثيرون .

كان المرحوم مسافرا الى أوروبا على ظهر إحدى البواخر ، وذات ليلة لاحظ باقى المسافرين أن المرحوم رقص عدة مرات مع فتاة واحدة ، وهذه الفتاة الحسناء كانت رفضت جميع من طلبوا منها أن تراقصهم ..

رقص المرحوم معها مرة .. ومرتين .. وثلاث مرات .. وفجأة سقط بين ذراعى الفتاة ميتاً ولاحول ولا قوة الا بالله .

عظم الله أجره وألهم أهله وأصدقاءه الصبر الجميل .

قالت آخر ساعة فى الاسبوع التالى ان الآنسة التى كانت ترقص معه درية كريمة محمود بك على وقد أغمى عليها ولازمت الفراش

من بين فقرات اولاد الذوات واولاد الإيه [العدد الثالث] أولى الفقرات :

إن مدام سهير رياض ـ الزوجة الرفيعة لنصوح العابد سوف تصبح أما ، ومعنى هذا ان عدد سكان مصر سيزيد واحدا فى الاسابيع القادمة .. قلنا عدد

السكان لاعدد الرعية لأن المولود ـ بالسلامة إن شاء الله . هو منذ الآن رعية سورية تدين بالطاعة لدولة دمشق وكلوز الشام ونصوح عابد هو اكبر ابناء فخامة رئيس الجمهورية السورية وقد قدمت إليه عريضة من عشرين فتاة من فتيات الأسر الراقية مطالبين منه ان يعمل لدنياه كأنه يموت غدا وذلك بأن يرفع مخصصات الاسرة ، ونفقات الطبخ من لحم وخضار لأن السياسة الاقتصادية الشديدة التى اتبعها فى بيته حتى اليوم أدت إلى وقوع حوادث سوء تفاهم عديدة انعقد من أجلها مجلس وزراء الشام بواقع جلستين لكل سوء تفاهم وثلاث جلسات لكل خناقة من الصنف الذى ينتهى بجمع العفش والنحاس وراجعه لبيت أبويا ياواد !

والمبلغ الذى قرره الوجيه نصوح العابد لكافة نفقات البيت هو ٥٠ جنيهاً تخجل من الوقوف أمام مزين سهير وخياطة سهير ... فضلا عن الطباخ !

أقيمت فى اليوم الخميس الأسبق بفندق سان ستفانو حفلة ساهرة عقدت فيها مسابقة للرقص على أن تقدم إدارة الفندق جوائز قيمة للفائزات والفائزين .

وتقدم للمسابقة المذكورة عدد كبير من أبناء الذوات ... ومن عزيز صدقى فما فوق !

وجلست لجنة التحكيم ترقب الرقص وهز الوسط وحركة الردف والتفاف الساق بالساق ... وتضع النمرة أمام كل زوج من الراقصين .

وأعلنت نتيجة الانتخاب فكانت الجائزة الاولى من نصيب الآنسة حواء ادريس وزميلها فى الرقص الاستاذ عبد الملك بك حمزة وزير مصر المفوض فى أنقرة .

وتقدم عبد الملك بك والآنسة معلقة فى ذراعه .. وإذا بالجائزة شخشيخة من الصنف الذى يلعب به الاطفال .

وبكل شهامة تنازل وزيرنا المفوض عن نصيبه فى الشخشيخة للآنسه إدريس !

والأمر وما فيه ان الآنسه زوزو عاصم قد أعلنت خطوبتها الى شاب رشيق وجميل سبق له أن تقدم الى مسابقة جمال ففاز فيها بالجائزة الأولى .

وقد طلب الينا أن نكتم مؤقتا إسم الخطيب الجميل الى أن تنتهى من تصفية « أعماله » وأخذ مخالصة من كيوبيد إله الغرام .

والتصفيه المذكورة تتناول عدة فتيات لكل منهن كعب شبشب ارتفاعه عشرة سنتيمترات !

والخطيب لايزال فى سنه أولى حقوق يدرس بسلامته الف باء القانون .

والخطيبة تدرس الآن رقصة الكاريوكا وتتناول هى وخطيبها جرعات من صبر

أيوب الى أن يحل يوم كتب الكتاب وتعلية الجواب .

فقرات أخرى من باب أولاد الذوات وأولاد الإيه من بينها :

أبحرت فى يوم السبت الماضى الى أوربا حضرة صاحبة العصمة السيدة حرم دولة رئيس الوزراء ومعها الآنسة المهذبة كريمتها وفلذة كبد الدولة من غير مبالغة ولا اسراف .

وحب دولة عبد الفتاح يحيى باشا لكريمته هذه - وهى وحيدته - حبه لها يضرب به المثل ، حتى أن دولته لايقسم إلا برأسها ! أما القسم بسيدى البدوى أو سيدى أبى العباس ففى المقام الثانى ...

بل قيل فى وقت ما يوم مرضت الآنسه - وقد شفيت ولله الحمد - قيل إن دولة أبيها فكر فى الاستقالة من رئاسة الوزراء لكى يبقى الى جانبها يناولها « الترمومتر » ويحل بالطرق الدبلوماسية مشكلة الدواء الكريه والبرشام .

سافرت اذن الأسرة الكريمة ، وخطف رئيس الوزراء رجله الى الميناء لكى يودع أسرته ، وقد أحصى بعض الاحصائيين عدد القبلات التى طبعها الاب على جبين كريمته .

إتصل ببعض افراد الاسرة الكبيرة أن هناك فى باريس الآن خمس أميرات تونسيات .

ربما لم يكن من الصنف الذى يقول للقمر قوم وأنا أقعد مطرحك ... ولكن يعوض هذا النقص فيهن ان كلا منهن تملك ثروة تقدر بمليون واحد من الجنيهات .

وبمليون جنيه تستطيع الواحدة أن تشترى القمر وأبو القمر كمان !

وقرر أقارب وأحباء مختار العابد — وهو ثانى الانجال الكرام وغير متزوج للآن — قرروا ما يأتى :

نادو مختاراً وأبلغوه انهم قد فتحوا له إعتماداً فى أحد بنوك باريس وأن عليه أن يخطف رجله الى باريس وينفق أى مبلغ يشاء فى سبيل رفع رأس سوريا ولبنان ... ولكن على شرط أن لايعود إلا متأبطا ذراع زوجته ....

وزوجته هذه يجب أن تكون من بين الخمس أميرات التونسيات .

أما الرقم وهل تكون الزوجة نمرة ١ أو ٣ أو ٤ ... فمسألة تركوها لذوقه السليم !

الشاب الوجيه محمود لبيب الشاهد هو كده من غير مبالغة نجل المرحوم اللواء الشاهد باشا .

ويملك الوجيه المذكور فى السودان — لافى مصر — أرضا مساحتها سبعة آلاف فدان تعطيه إيراداً سنويا قدره سبعة آلاف قرش صاغ ... تحت السهو والغلط والنسيان !

وفى الاسبوع الماضى ربح حضرته ورقة بريمو فى اليانصيب وقدرها ٢٠٠جنيه ، وذهب فى الحال واشترى « الشبكة » وقدمها لعروس الهنا إن شاء الله . وسوف تعلن الخطوبة فى الشهرالقادم .

وليست العروس — كما كان يرجو العاملون على توثيق روابط الود بين مصر والقطر الشقيق السودان — ليست العروس من السودان ، بل هى من مصر ويقال إنها انتخبت ملكة للجمال فى حمامات جليمونوبلو هذا العام ...

وقد انتخبت بالاجماع !

وكان عدد الاصوات واحدا وهو نفس الشاب الخطيب !

فكان عددها خمسا وعشرين ...

وأقلعت الباخرة ، واغرورقت عينا الباشا بالدموع ...

وسبب الدموع حنان الاب ... ثم الرحمة بالازمة والشفقة على الحبيب ! وذلك أن دولةعبد الفتاح باشا سوف يحادث يوميا كريمته بالتليفون اللاسلكى . وهذه المحادثة تكلفه فى المرة الواحدة خمس جنيهات ...

وتنوى أسرة رئيس الوزراء أن تقضى الصيف فى سان مورتيز فى سويسرا ، وسوف يلحق بها دولة الباشا ، هذا اذا أفلحت الطرق الدبلوماسية فى اقناع ... ظروف الاحوال !

وينتظر بعد عودة الاسرة من أوربا أن تعلن خطوبة الآنسة الى ابن خالتها الشاب المهذب الاستاذ سامى أبو الفتوح .

أشرنا فى عدد الاسبوع الماضى من بعيد لبعيد الى الخلاف القائم بين الوجيه نصوح العابد والسيدة زوجته سهير رياض والخلاف اقتصادى وسببه هل خمسون جنيها فى الشهر تكفى للحم والخضار والمانيكور !

هذا هو السؤال كما يقول هملت نقلا عن طويل اللسان وليام شكسبير !

ونأسف — ويشاركنا فى هذا الأسف أولاد الذوات وأولاد الايه — نأسف أن نقول ان وسطاء السلام لم يفلحوا فى زحزحة الزواج الوجيه عن رقم الخمسين جنيهاً ولو الى خانة واحدة من خانات القروش والبارات ...

وكانت النتيجة أن عادت السيدة سهير الى دار والدتها الفاضلة . وأما الزوج

فقد سافر الى أوربا لكي يشرف على طبع كتاب ينافس به مؤلفات جيد ومارشال فى علم الاقتصاد .

وتقول سهير فى ما تقول ان أرخص فستان كانت ترتديه قبل زواجها من نصوح كان ثمنه ثمانية جنيهات ... وان أغلى فستان ابتاعته بعد الزواج لم يزد ثمنه على ١٩٥ قرشا وثلاثة مليمات !

ويظهر ان أسرة العابد تمت للسبط الرابع من بنى اسرائيل وأن مؤسس الأسرة الكريمة كان يشغل منصب الصراف عند سليمان الحكيم !

وسيدنا سليمان كما يجب أن تعلم كان من الثروة وبسطة الرزق بحيث كان يمكنه أن يقول اذا ما ذكرت أمامه أسماء روكفلر وفورد وروتشيلد .... كان يمكنه أن يقول : المساكين دول بيعيشوا منين !

ما علينا ...

الوجيه على فتحى نجل مجيب بك فتحى يعتبر من وجهاء العاصمة ومن وجهاء الفشارين ! وفشره من الصنف الجيد الذى يحار فيه نطس الصادقين !

وحدث أن كان حضرته جالسا على « البلاچ »وعن يمينه البطل العالمى السيد نصر ، وعن يسارة البطل العالمى مختار حسنين وكل منهما يستطيع — ولافخر — أن يحمل ثوراً على كتفيه .

وكشف الوجيه على فتحى عن زراعه العصاعيصى وراح يتكلم عن الالعاب الاولمبية وواجب أبطال مصر فى ميدان رفع الاثقال ...

وبعد أن تلفت حوله وتأكد أن ليس هناك « حديد » وأن البلاچ خال من كافة أنواع الاثقال ، قال :

— تعرفو أنا بشيل كام ؟

— لا ...

— أنا باشيل ١٦٠ كيلو

وسأله أحدهما فى رفق : بتشيل ١٦٠ كيلو متر أو ١٦٠ كيلو حديد ... ولكن الوجيه رفض أن يجيب على هذا السؤال .

وقام مختار حسين وأحضر من داخل « كابين » مجاور ثقلا من الحديد وقال

— خد يا على بيه .. آدى ١٦٠ كيلو حديد .. شيلها كده عشان نشوف

وكانت فتيات « البلاج » قد اجتمعت فى هذه الاثناء .

وخشى الوجيه من الكسوف وإخصيه على فشرك يا« شيرى » فوقف وتمطع ..

وهيله ... بيله ... هوب ... ياقديم الاحسان وعنها وشال « المابة وستين »كيلو كأى رجل شريف !

وتقدم منه مختار حسين وسأله :

ــ تقدر تشيل زيادة؟

وكان الوجيه قد انطرح على ظهره فوق رمل البلاچ وعيناه تعدان نجوم الضهر فى كبد السماء ! وقال :

ـ أشيل زياده ؟ ولا جرام واحدا وضحك مختار وقال :

ــ تعرف الحديد الذى شلته وزنه كام ؟

ــ مش ١٦٠ كيلو .

ــ لايابيه ده ٣٠ كيلو بس !

من أخبار باريس أن البارون امبان صاحب ضاحية مصر الجديدة وترام المترو وجياد السباق ... و ... ... الى آخر الملايين العشرة التى يملكها البارون الشاب ..

نقول من أخبار باريس ان جنابه مريض وان سبب المرض « مقلب » اشترك فى مؤامرته بعض كبار الماليين الفرنسيين وساعدتهم فى تنفيذه ممثلة كبيرة من ممثلات مسرح الكوميدي فرنسيز .

وكانت نتيجة المقلب المذكور أنهم أقنعو البارون بالدخول فى صفقة خاسرة بلغت خسارته فيها عدة ملايين من الفرنكات !

ومن بين الأبواب التى عرفت عن آخر ساعه ونالت اعجابا كبيرا ، باب كده وكده .. العلم نورن ..

ومن بين فقرات العدد ١٨ : صاحب المعالى ...الاسد !

حدث فى العام الماضى أن مدرسا بمدرسة الفنون التطبيقية اسمه الاستاذ صالح الشيتى تشاجر مع مدرس أجنبى بنفس المدرسة اسمه تافاريللى ...

وفى أثناء الشجار ، قال الخواجة المدرس بالفرنسية ما معناه وترجمته باللغة العامية الفصحى :

ــ طظ فيكم وفى وزارة المعارف بتاعتكم !

وغضب المدرس المصرى لكرامة الوزارة التى يعمل بها ، فأمسك بكرسى وصافح به رأس المدرس الاجنبى فأراق على جوانبه الدم ، حتى يسلم الطظ الرفيع من الاذى !....

واتصلت الحكاية بوزارة المعارف من طأطأ لسلامو عليكم فقام مفتش قد الدنيا وأجرى تحقيقا انتهى بادانة المدرس الاجنبى !...

ولكن .. إذا بالوزارة تنذر المدرس المصرى وتخصم يوما من مرتبه لانه دافع عن شرف الوزارة !... أما المدرس الاجنبى فلم تعمل له الوزارة شيئا .... بل أرسلت له مع النسيم سلاما !.

وثار المدرس المصرى ، ولكن وزارة المعارف هدأت من ثورته وقالت انها واخذه بالها برضه ، وإن عقد المدرس الاجنبى الطويل اللسان سينتهى فى ديسمبر سنة ١٩٣٤ وليس فى نيتها تجديده !

ولكن يقول اليوم طوال اللسان إن الوزارة قررت تجديد عقد المدرس الاجنبى لان وزير المعارف رجل هادىء وديع كأنه الحمامة التى ناجاها المرحوم أبو فراس الحمدانى بقوله(أجارتنا انا غريبان هاهنا) ، وحلمى باشا عيسى هو الحمامة ... والخواجة هو ابو فراس والاثنان غريباء فى مصر سواء بسواء ...

ولكن المدهش أن حلمى عيسى باشا لايكون (حمامة) الا مع الاجانب ، ولا يكون أسدا الا مع رعايا الحكومة المحلية ! ويعنى أسد على ... وفى الخواجه ... حمامة !!

فرقت بنط :

لم اكن أعرف ان فى القسم الاعدادى بكلية الحقوق طالبتين من بنات حواء بالرغم من أن عدد مندوبينا فى ذلك القسم اكثر من الهم على القلب ..

وفى الاسبوع الماضى فقط عرفت هذا الخبر . فقد قامت بين إحدى الطالبتين وجميع طلبة القسم الاعدادى حرب عوان كادت تشترك فيها وحدات الاسطول الراسى عند أول كوبرى عباس !

والأمر وما فيه أن طالبة يسميها زملاؤها « أم الشعور » ــ نسبة الى شعور الرأس طبعا ــ هذه الطالبة طالعه فيها قوى ، وتظن أن ليس فى الدنيا كلها مال ولاجمال ولاأناقة ولاشياكة الا التى فى حضرتها بسم الله ما شاء الله !...

وحدث أن طالبا لم يجد لنفسه محلا فجلس بجانبها ...

واذا بالآنسة تنظر اليه باحتقار وتقول :

ــ إمشى من هنا !...

وأفهمها الطالب أن هذه كلية الحقوق وليست كلية بابا يجوز أن تحتل حضرتها مكانا مخصصا لخمسة أنفار !...

وذهبت الطالبة وأحضرت المعاون ، ولكن الطالب رفض مغادرة مكانه . وأيده الطلبة فى موقفه ... المجيد !...

وفى اليوم التالى احضرت الآنسة أم الشعور فتوة لكى يضرب الطالب النجيب ، وكاد الطلبة يمزقون الفتوة والآنسة أم الشعور شر ممزق لولا تدخل أولاد الحلال وأولاد الحرام !!...

عاشت الاسامى :

كانت الجامعة الامريكية الى السنة الماضية تقبل الطالبات المصريات لدخول القسم الثانوى بها .. اما هذة السنة فقد منعت ذلك دون أن نعلم - ولو من مسعد الباشكاتب - السبب الوجيه فى هذا القرار . ولم يكد طلبة السنة الخامسة يسمعون بذلك حتى تفرقوا أيدى سبا .. وقد لا تعرف أنت معنى أيدى سبا ولكننى أنا أعرف ان سبا كانت ملكة فى اليمن ثم تزوجها سليمان الحكيم على الف ضرة .. والحمد لله على نعمة العلم نور !

ولكن حدث أن فوجىء الطلبة باسم (احسان ابراهيم) يضاف الى القائمة .. وقيل إن الطالبة المذكورة غائبة فى شراء الفساتين وتحضير التواليت المدهش والذى منه ! ..

وفى انتظار حضورها تحول الطلبة النجباء الى (رودلفات فالنتنوات) - جمع تكسير من فضلك ! - وفى احد الايام كان الاستاذ يراجع اسماء الحاضرين ، ونادى حضرته اسم احسان ابراهيم ..

واذا بصوت رقيق يقول (افندم) .

وكم كانت خيبة آمال الطلبة حين رأوا ان « زميلتهم » المنتظرة إحسان ابراهيم ليست الا طالبا خنشورا له ذقن وشنب ... وانما اسمه احسان !! ...

الهوى والشباب !

بين طلبة مدرسة فؤاد الاول الثانوية طالب نونو اسمه عادل نشأت بينه وبين احدى حسان هليوبوليس صداقة قوية من النوع النارى المملوء (بأموت فيكى وفى أبوكى كمان) . واذا بوالد الفتاة يعثر على كل شىء ، ويضبط الواقعة ويعرف اسم الحبيب فيذهب الى الاستاذ عبد الرحمن كساب ناظر المدرسة ليرجوه ان يوقف رودلف افندى نشأت عند حده حفظا للشرف الرفيع !

واستدعى الناظر عادل افندى فالنتينو وهات ياتحقيق .. والطالب هات يإنكار شأن كل حبيب شريف ! ...

ولما رأى ناظر المدرسة ان الطالب مصر على انكار الواقعة اخرج له صورته - صورة الطالب لا صورة الناظر - التى كان اهداها لمحبوبته وقد كتب عليها ابياتا من الشعر لعمر ابن ابى ربيعة فى الهوى والشباب وياحته من قلبى الموجوع !

وظن الطالب الساذج ان حبيبته قد خانت عهده واعطت صورته التى كان اهداها اياها .. اعطتها الى ناظر المدرسة وانها تاجرت بهواه وباحت بأسراره للناظر .. فبكى الطالب وصرح بكل شىء ! ..

وفى اليوم التالى حمل المحب الولهان صور وخطابات الحبيبة الى ناظر المدرسة (العذول) الذى أرسلها الى والد الفتاة !

وهكذا تمت المسألة بهمة الناظر الذى وللاسف لم يوفق الراسين فى الحلال كما تقضى الحكم والامثال !!

وكان فى وسط الباب برواز عنوانه : أخبار على الماشى :

(١) احضرت الآنسة روح الفؤاد فؤاد الطالبة بكلية الطب أقة جوافة فى الكلية فسرقها الطلبة النجباء ...

وقد شكت الطالبة زملاءها وقالت ان الجوافة اشترتها من (لاباس) بسعر الجوافة الواحدة تسعة قروش !!

(٢) ارغمت مدرسة طنطا طالبا بها على دفع ثلاثة جنيهات لانه اوقع بعض نقط من الحبر على سترة المستر اليسون المدرس بها !! ..

ويؤكد الطلبة ان البدلة كلها لا تساوى ثلاثة قروش !

(٣) فى مدرسة شبرا وكيل اسمه عزمى افندى كيشوت لا يسير فى المدرسة الا ومعه خزرانة ليضرب بها الطلبة ... والاساتذة كمان كما يقول .

(٤) انتخب طالبات السنة الاولى بمدرسة الاميرة فوقية الانسة عنايات شنن ملكة للجمال ، وقد ارسلن خطابا الى كريمان خالص يتحدينها فى اية مسابقة جمال تقام بينها وبين عنايات .

(٥) اضربت طالبات كلية البنات عن تناول العيش البلدى .. لانهن ذوات والذوات يأكلن العيش الفينو ! ..

(٦) حدثت خناقة لرب السمابين طلبة السنة الرابعة بمدرسة فؤاد الاول ومدرس اللغة الفرنسية المسيودوكوه وقد تبادل الطرفان مافيه القسمة من اللكمات !

وفى العدد الـ ١٨ من مجلة آخر ساعة ، عامود اسمه ، دائرة معارف العارف يغلب على الظن أنه اعلان وكان عن الاستاذ مصطفى عبد الهادى .

مدير مدارس المعهد العلمى الابتدائية للبنين ، والثانوية للبنات ، والابتدائية للبنات والثانوية للبنين .. يعنى ذهاب واياب ! ثم وروضة الاطفال كمان ! نال دبلوم المعلمين العليا ـ طبعا من مدرسة المعلمين العليا ـ وليسانس من الجامعة المصرية وشهادة (B .A) (ب . ا)وهى غير شهادة بكالوريا ادبى التى يحملها العبد لله !..

هذا غير ما يحمله من شهادات الميلاد والتطعيم ضد الجدرى وشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله ...

يأمر وينهى ويشخط وينطر فى الف تلميذ وتلميذة ـ عقبال الحبايب ـ ويحبه الطلبة والطالبات ويسمونه بابا مصمص .. معروف فى وزارة المعارف والتقاليد والتقاليع بكفاءته وشطارته ويتنبأ المتنبئون ومن بينهم العشماوى بيه ـ بعيد الشر ـ يتنبأون له بمستقبل حافل بجلائل المدارس والاعمال ... لطيف ... ظريف ... وبس .

ويظهر ان الجمهور كان مهتما إلى ابعد حدود الاهتمام ، بالسباق ، وبأخبار السباق ، وصور السباق ، وكانت مجلة آخر ساعة من اولى المجلات التى أولت السباق اهتماما بالغا ، وكان الاستاذ محمد التابعى فى مقدمة من يحرصون من الصحفيين على شهود السباق ، للكتابة عنه فى المجلة .

وفى العدد الـ ١٨ كتب التابعى يقول :

فى يوم السبت الماضى ، بدأ موسم السباق فى القاهرة ... وبدأ موسم النزاع فى دارى العامرة !

النزاع بينى وبين دفتر الايراد والمصروف طرف أول ... وبينى وبين الطباخ والسفرجى وصاحب الملك طرف ثان !...

وبدأ معه موسم الوعظ والنصح والارشاد من جانب أصدقائى .. امامن جانبى انا ، فسلسلة من الايمان والاقسام اغسلها بدموع التوبة والندم ان لا اعود إلى السباق .

وهذه الايمان والاقسام تكلفنى احيانا اكثر مما تكلفنى خسارة السباق . لاننى اضطر إلى اطعام ٥٠ فقيراً وكساء ٤٠ فقيراً تكفيراً عن كل قسم احنث فيه ، ورغبة منى فى أن لا يكون هناك اى سوء تفاهم بينى وبين ملائكة الحساب .

وأجلسنى صديقى إلى جانبه فى سيارته التى ليست لها (ماركة) تعرف فتوصف ، ولكن صديقى اكد لى انها سيارة اصيلة عريقة ! ونظرة واحدة تلقيها على السيارة تكفى لاقناعك بان صديقى لم يكذب ولم يبالغ !.. فهذا الاصفرار الذى يعلو السيارة ، وهذا الخجل وهذا التردد منها عند كل مطب وعند كل دوران .. فى كل هذا دلائل عراقة الأصل القديم !

وهذه السيارة من أسرة محافظة ، تكره الظهور ، وتمقت الزحام ، وتأنف من الخضوع لأوامر بوليس المرور ! .. فما من مرة اشار فيها عسكرى المرور بالوقوف ووقفت سيارتنا فى الوقت المناسب !.. وما من مرة ازدحمت فيه حولنا السيارات

الاخرى الا وغلب على سيارة صديقى خجلها الموروث ، فأغمضت عينيها واصطدمت بأقرب سيارة اليها ..

واشرفنا فى النهاية على مدينة الشمس وبدأنا نتسلق المرتفع إلى كوبرى مصر الجديدة ، والذى نهبط منه إلى ميدان السباق !

واستجمعت السيارة كل قوتها وتسلقت بضعة أمتار .. ثم وقفت ! واشار إلى صديقى بالنزول حتى اخفف الحمل عن السيارة ...

وبدرت من السيارة طرقعة وفرقعة ثم همت وقفزت مترين .. ووقفت ! واشرت انا على صديقى بان ينزل هو ايضا لكى يخفف الحمل عن السيارة !!

قال : ومن يسوقها ؟

قلت : صحيح !. لم افكر فى هذا ؟!

واخيرا ، إستعنا بالله وبسواعدنا وبقراءة الفاتحة وبأجزاء متناثرة من عدية ياسين .. وصعدنا بالسيارة إلى الكوبرى ...

وبعدها سار كل شىء على مايرام ، وهبطت السيارة من الارتفاع إلى ميدان السباق والحق يقال من غير اقل مجهود !

وكان يوم السبت آخر يوم لى فى الاجازة .. الاجازة التى كنت التمستها من صديقى وزميل الدراسة شفيق جبر . فقد كنا اتفقنا معا على أن لا نتقابل الا فى ميدان السباق ، ولما كانت عطلة السباق قد انتهت ، فقد انتهت معها عطلتى انا ايضا من رؤية صديقى شفيق !

وعانقنى شفيق وغمرنى بلطفه وأنفه وعطفه .. ومشينا معا نتكلم فى السياسة وفى الدوبل توت والبارولى .

ولاحظت انا ان وزيرا واحدا من زملاء عبد الفتاح يحيى باشا لم يغش اليوم ميدان السباق .. فأين مثلا وزير المواصلات ابراهيم فهمى باشا الذى كان زبونا مزمنا لميادين السباق ، والذى كثيرا ماكنا نراه وهو ينحنى فوق يد مدام سبرنجى الرشيقة الحسناء !!

كنا كتبنا فى صدر الصيف الماضى كلمة فى هذه المجلة غمزنا فيها (كبار الموظفين) الذين يغشون ميادين السباق ، وقلنا يومها انه مما لا يتفق مع ضخامة المسئولية ولا مع كرامته ان يقف وزير أو وكيل وزارة مع سايس فى اصطبل والمعرفة فى ايهما اعرق اصلا واثبت قدما .. بلاوى ام جدعنة ام مرسوم ؟!

وكانت نتيجة هذه الكلمة التى كتبتها (آخر ساعة) ان امتنع بعض مرضى السباق

من كبار الموظفين عن غشيان ميادين السباق .. وكان منهم صاحب السعادة ابراهيم فهمي باشا !

ولكن كما سمعنا فى الوقت نفسه انه كان ـ فى ايام السباق ـ يجلس فى مكتبه بالوزارة ويصدر امره بان لا يقلق راحته احد ..

ووراء الباب المقفل يجلس ومعه مسيو شاءول صاحب الجياد المعروف ، وامامهما على المكتب جرائد السباق يطالعانها بامعان .. ثم يضعان المخطط والرسوم لالعاب اليوم !

وكانت اندية السباق قد ارسلت فى الاسبوع الماضى ، جريا على العادة ، (أبونيه) السباق إلى السادة الوزراء وهو يبيح لهم الدخول مجانا إلى ميادين السباق !

ولكن السادة الوزراء ـ أو بعضهم على الاقل ـ اعاد الابونيه إلى اندية السباق مشفوعا بالرجاء بان تضاف بعد اسمه عبارة (واسرته) **et famlle**.. لكى يستطيع الوزير منهم ان يدخل هو وافراد اسرته مجانا إلى ميدان السباق !! ولا نعرف نحن هل اجابت اندية السباق هذا الطلب ، او أرجأت النظر فيه إلى أن تستقر الحالة السياسية ويعرف من هم الوزراء الذين لهم الحق فى هذا (الابونيه)؟!

و« شرف » عبود باشا ميدان السباق ، ولكنه لم يغادر مقصورته ، بل ظل جالسا فيها وكأن على رأسه الطير !

وعلى بعد امتار قليلة ، تقع المقصورة الخاصة بالمندوب السامى ، وقد جلس فيها سعادة مستر بيترسون ومعه بعض موظفى الدار .

ولاحظت انا ان عبود باشا قد حرص فى جلسته على ان يولى ظهره نحو نائب المندوب السامى ، رغبة منه ولا شك فى أن لا ... يبقى النضر فى النضر والقلب قايد نار !.

ولكن مستر مور وكيل حكومة السودان سابقا والموظف الآن فى مكتب عبود باشا ، حاول أن يقوم بمناورة ماهرة لكى يعرف مستر بيترسون بعبود باشا ..

ولكن مستر بيترسون ادرك الغرض من المناورة ، ومن هنا اجاب على ابتسامة مستر مور ـ وهو يلف حوله ويدور ـ اجاب عليها بزغرة ثم اعطاه ظهره وانصرف !

ولا نظن أن هناك فى ميدان السباق من هو اليوم أكثر شماتة بأفول نجم عبود باشا ... من مدام سبرنجى الحسناء !

والسبب فى هذا الحقد يرجع الى موسم السباق الماضى . فقد جلست مدام سبرنجى ذات يوم فى مقصورة واحدة مع عبود باشا وبعض الاصدقاء ...

واعجبت مدام سبرنجي بجواد انجليزى فطلبت من عبود باشا أن يشترى لها تذكرة رهان بجنيه واحد على هذا الجواد .

ولكن عبود باشا رفض وقال ان ليس للجواد المذكور أى أمل فى الفوز !
وفاز الجواد ... ودفع ربحا مضاعفا عشرين مرة !

ومن يومها ومدام سبرنجي تصلى فى كل يوم ركعتين وتكشف عن رأسها وتدعو على عبود !!

وعادبت فردوس – والحق يقال فى جلستها وأرخت الفستان قليلا فوق ساقيها وقالت :

– أفندم ياأستاذ ؟ ! ..

– ألم تحبى فى يوم ماأحداً من العظماء .

– العظماء اللى بييجوا عندنا فى التياترو ؟

قلت لها :

– لأ ! بل أقصد العظماء ... يعنى الذين تقرأين عنهم فى الجرائد زى موسولينى وروتشيلد وأبو العتاهية وغيرهم ..

وهنا كادت فردوس ان تقول .. هىء .. هىء ! ... ولكنها تذكرت ان امامها الاستاذ العبد الله الذى لايقبل فى الحق لومة لائم ! .. فاحتشمت وقالت إنها تحب من هؤلاء العظماء ابا العلاء المعرى لانها سمعت عنه أنه رجل اقتصادى بكل معنى الكلمة ، اذ أنه لايدخل بيته صنف اللحم على الاطلاق ، بل يكتفى بالعيش والخضار ... وفردوس التى يجرى الاقتصاد فى دمائها تعجب دائما بأمثال ابى العلاء الذين يعرفون قيمة القرش الابيض ويدخرونه لليوم الاسود !

ووقفت فردوس ايذانا بانتهاء المقابلة وقالت إن ابا العلاء هو العظيم الذى كادت تختاره زوجالها ، ولكنها لم تدرك عصره .. وهى تعجب كيف أن السيدة صالحة قاصين وزميلاتها المخضرمات لم تنتهز إحداهن الفرصة وتتزوج من أبى العلاء !!

ومن فردوس ذهبت إلى ليلى الشقراء فقابلتنى بمائة آنستنا و ٥٠٠ شرفتنا .. وبقدح من القهوة المضبوط ...

وسألها عن الرجل الذى تختاره زوجا لها من بين العظماء الأحياء والأموات ، فقالت فوراً وبلاتردد :

– نابليون بونابرت

قلت لها : وأى دور تريدين أن تلعبى فى حياته : دور جرزفين أو دور مارى لويز ؟ !

فقالت بحدة :

- طبعا جوزفين لانها أحبت واخلصت وضحت ! ..

ولما طلبت منها أن تسمح لى بأن اعجب بها فقالت لى :

- روح اتهوى ! ..

وخرجت اتهوى الى منزل السيدة فاطمة سرى فقيل لى إنها فى الحمام ! ولكن منذ متى يقف الحمام حائلا دون كاتب مجيد ككاتب هذه السطور ؟ . وعنها وطرقت باب الحمام ! فقالت مين .. ؟

فذكرت لها - من وراء الباب - اسمى وصناعتى وغرضى من الحضور ،

فقالت مرحبة :

- ومين جابك يامنيل هنا ؟ ! .. ولم تؤثر فى هذه التحية الحارة بل أبلغتها غرضى الشريف .. فقالت انها تتمنى أن تتزوج روتشيلد لانه غنى وابن أصل ...

وماكدت أخرج حتى اسرعت من ورائى الخادمة تقول إن الست بتقول : (روكفلر كمان مش بطال !)

وتعبت ساقاى من كثرة اللف فاتصلت تليفونيا بالممثلات والمطربات فحصلت النتيجة الآتية :

طمة رشدى تريد ان تتزوج من البطل المقدونى الغازى اسكندر القرنين !

لآنسة أمينة رزق تريد ان تتزوج الغازى مصطفى كمال !

والسيدة زوزو شكيب تقول إنها تريد أن تتزوج موسولينى والملك كارول والمستر .ونالد والسير ميلز لامبسون ... بالترتيب ! ...

وفى العدد ٢٣ جاء عن السباق أيضا :

دق جرس التليفون وأنا أتأهب لمغادرة دارى الى ميدان السباق . واذا بالمتكلم احب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز البشرى ... وقد شاء له فضله اضعه وأدبه أن يستشيرنى فى الموضوع الذى يكتب فيه لهذه المجلة .

وبعد ان تبادلنا ماقدرنا الله عليه من عبارات ... العفو يااستاذ ! ... واستغفر ! ... وسبحان الله فى طبعك ياأخى ... وبالله عليك .. الى آخره ، قال استاذى الكبير قد اهتدى الى موضوع يكتب فيه ... وهو « ابليس » !.. وكيف عرفه !..

ابليس فى عالم الأدب .. وابليس فى عالم السياسة .. وابليس فى الاخلاق ... فى العلوم ... وابليس ... وابليس ...

وأرسلت على أسلاك التليفون قبلة داوية .. صاح فضيلة الشيخ على أثرها : اللهم انى صائم !

والموضوع حقيقة طريف ... والا لما جازفت بهذه القبلة اطبعها على خدود فضيلة الشيخ وأمرى أنا لا أمره هو ... الى الله !

ولقد حاول العواذل عند ماسمعوا بالخبر ، حاولوا ان يوقعوا بيننا فقالوا ان مايعرفه فضيلة الاستاذ عن (آخر ساعة ومحررها) هو الذى الهمه الكتابة عن ابليس !

وهى دسيسة لانصيب لها من الصحة وقد قابلناها نحن الاثنان كده بمنتهى الاحتقار !

وذهبت الى ميدان السباق . وكان اليوم أول يوم فى شهر الصيام ، شهر رمضان المبارك !

والمبارك طبعا هو شهر رمضان ... لاشهر الصيام !

وبين غواة السباق عدد كبير من الصائمين .... أو المتظاهرين على الأقل بالصيام !

وفى ميدان السباق عدد كبير من الغيد الحسان ، وفى عيونهن كثير من سحر هاروت ، وفى سيقانهن الرشيقة اغراء أو إيحاء يبرق الى الذهن برسالة مملوءة بالتفاصيل عماوراء السيقان من الممكن ... ومن المستحيل !

ومرت حسناء من بنات اسرائيل ، وديعة العين خمرية الخدود ... وقال موظف مصرى كبير وهو ينظر اليها معجبا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ... اللهم انى صائم !

واسرع الى (سبحته) يعد على كل حبة من حباتها لعنة يستنزلها على رأس الشيطان .. لأن الحسناء الاسرائيلية قد أوحت الى ذهنه بما يجب أن يعف عنـه الصائم !.

وقديما قالوا .. « من اشتهى بعينه فقد زنى بها فى قلبه ! .. »

والشيطان طبعا هو المسئول الوحيد عن هذا الاشتهاء !

ثم انطلقت الجياد ... وخسر صديقى رهانه ، وراح بمزق أوراق الرهان بغيظ شديد ويسب الجوادودين الجواد وصاحب الجواد وراكب الجواد ... ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ... لأنه صائم !!

والذى أريد أن أعرفه هو ... ماذنب الشيطان فى هذا كله ؟ !

لقد جعلنا الشيطان ـ وعلى الأخص فى مصر ـ فوطة قذرة نمسح فيها كل قذارة

تعلق باليد أو بالعرض أو بالدين ... دون أن نعطى هذا الشيطان المسكين حق الدفاع عن نفسه !

وأقبلت الاستاذة الآنسة علية فهمى خريجة معهد السوربون فى باريس ، ويذكر القراء أن حضرتها كانت ربحت فى شهر أغسطس الماضى الجائزة الثالثة فى سباق المواساة وقدرها ٥٠٠ جنيه .

والآنسة علية مخلصة لتقاليد الذوات وبنات الذوات ، ومن هنا تراها دائما تشكو من مرض ما ... أو من توعك . بلغة فرنسية أنيقة مختارة اللفظ ... فاذا لم تكن المعدة هى المسئولة عن توعك المزاج ، فزعت الآنسة الرشيقة الى الكبد لكى يسعفها بالشكوى والانين ... واذا خيب الكبد آمالها ، طرقت باب الطحال ... أو الكلى ...

وعلى كل حال فان هناك أعصاب الآنسة

وكان الزوج الوجيه يحنو على زوجته الكارت بوستال ويظللها بقامته المديدة ....

واذا كانت سهير قد رغبت فى شوط ما أن تراهن بريال على جواد ما ، ورفض زوجها المحبوب أن يجيبها الى رغبتها ، فليس معنى هذا أنه يبخل عليها أستغفر الله بهذا الريال ! ... وانما لأن الرهان قمار ... والقمار حرام فى شهر رمضان !

ولقد حاولت أكثر من مرة أن أستريح ولو يوماً واحدا فى الاسبوع من السياسة وحديث السياسة . وكنت أرجو أن يكون ميدان السباق هو الملجأ والملاذ .. ولكن الساحرة مدام سبرنجى أقبلت على ناشرة قلوعها ..

ولو أن جوادها « معراج » كان قد اقبل على نهاية الشوط الذى اشترك فيه فى يوم الأحد بمثل هذه السرعة وهذا الاندفاع ، لكان فوزه أمراً محققاً لاشك فيه !

أقبلت على الساحرة تهزنى وتتحدث فى السياسة وتعاتبنى عتاباً مراً لأنى ذكرت اسمها فى معرض حكاية نشرناها عن شوقى باشا ومراد محسن باشا وأحمد حسنين بك مع أنها بريئة ومع أنها .. كذا .. ومع أنها كيت !...

وها نحن نقرر أن المدام سبرنجى « مظلومة » واننا لم نستق منها الخبر المذكور .. ولو أننا كنا سمعنا هذا الخبر من حضرتها ، لكان من ابسط مقتضيات الذوق أن لانذكر اسمها ضمن الحديث !!

ولكن نصيب بعض كبار موظفينا من الذكاء أقل بكثير من نصيبهم من المرتبات !

نستأذن مرة أخرى فى جولة مع السباق ، لتكون الصورة عن مجتمع السباق مكتملة .. ففى العدد الـ ٢٥ من آخر ساعة جاءت الفقرات التالية :

التفت زيور باشا الى صاحبه وسأله : هل هؤلاء الفتيات مصريات ؟

وأشار دولته الى سرب من الفتيات كان يملأ ميدان السباق بشراً وبهجة ونوراً !

ولما أجابه صاحبه بأنهن مصريات ، ابدى دولته دهشته من أن تكون الفتاة المصرية قد خطت هذه الخطوة الواسعة حتى أصبح من الصعب أن تفرق بينها وبين فتيات روما وباريس !!

ولا نعرف نحن ما اذا كانت هذه الظاهرة أمراً يستحق التهنئة !؟ .. لأن هناك من يفضل أن تحتفظ الفتاة المصرية بميراثها من أنوثة الشرق وكحله وغنجه الخفى المملوء بالاحتمالات والأسرار .

ويعذر زيور باشا فى حيرته ، فقد أصبح من الصعب حقيقة ، بل أصبح أمراً غير مأمون العاقبة إن تفتح فمك فى ميدان السباق بكلمة اعجاب ، أو تفرج عن صدرك بعبارة غزل مؤدبة ، خوفا من أن تكون التى تتحدث عنها .. مصرية تفهم اللسان العربي الفصيح !..

وتصور ماذا يكون موقفك اذا مرت من أمامك هذه الشقراء التى كنا نحسبها مجرية من بنات بودابست ، الى أن عرفنا أنها رعيةمن بنات أسرة كريمة فى حى المنيرة .. ماذا يكون موقفك لو انك قلت وأنت مطمئن فى خطابك الى انها لن تفهم ماتقول .. (دنا اموت فى دباديب رجليكى .. ودباديب الشبشب اللى ...) الى آخر عبارات الغزل المؤدبة التى انتقلت الينا بالميراث !

ماذا يكون موقفك اذا التفتت اليك هذه الشقراء وقالت لك ان للشبشب والشباشب مهمة أخرى فى الحياة .. وانها مستعدة لأن تشرح لك هذه المهمة علما وعملا ، عند اللزوم !!

وكان من عادة زيور باشا ان يبقى حتى الشوط الأخير . ولكن دولته غادر ميدان السباق فى يوم الأحد الماضى بعد الشوط الرابع .. ومعه الاستاذ سليمان نجيب .

وبين الاثنان قرابة تجيز لسليمان أن يقول لزيور باشا .. ياخالى ! وتعطى زيور باشا الحق فى ان يقول لسليمان يابن .. او ياواد يا سليمان !

وترامت فى ميدان السباق اشاعة تقول ان زيور باشا لم يغادر ميدان السباق الا بعد أن خسر آخر ريال كان معه ... وان دولته أخذ معه سليمان نجيب رحمة به ولكى يقيه شر العودة الى داره سيرا على الاقدام .

ولم يكن دولة زيور باشا هو الوحيد الذى خسر كل ماكان معه . فقد رأيت بعينى الوجيه محمد سلطان وهو يقترض من سيمون ممرن الجياد المعروف .. ورأيت سيمون وهو يناوله ورقة بمائه جنيه . ويظهر أن سلطان الوارثين خسر المائة جنيه دفعة واحدة لا دفعتين فى الشوط التالى وهو يقول انه لم يبق معه سوى جنيه واحد ..

والواقع انه كان من المستحيل ان يرجع أحد فى سباق الأسبوعين الأخيرين ،

اللهم الا اذا كان ممن رفع عن عيونهم الحجاب .. أو ممن اشتركوا فى هذه « المؤامرات والمقالب » !! والا فكيف تفسر فوز جواد كان قد جرى فى نفس الاسبوع السابق مع نفس الجياد .. وصل فى مؤخرتها فاذا به يفوز عليها جميعا ؟ .. وكيف تفسر هزيمة جواد فى هذا الاسبوع بينما كان قد فاز فى الاسبوع السابق على نفس الجياد ؟!

لقد خرج سباق الخيل عن دائرته الأولى ، ولم يعد « رياضة » بل أصبح تجارة ، أصحاب الحل والعقد فيها طائفة من المغامرين طلاب الربح من أسهل سبيل !!

ولقد ذهب زميل من زملائنا يسأل حضرة النائب المحترم ـ سابقا ـ أحمد أبو الفتوح ... ونرجو نحن مادامت صفة النيابة قد زالت عنه ، أن تبقى له صفة الاحترام .. ذهب زميلنا يسأل عن جواده (دينار) وهل هو يرجو فوزه ؟ .. واجابه الوجيه المذكور بأنه لايرجو فوز الجواد دينار لأسباب كذا وكذا وكيت !... وانه شخصيا لن يراهن على فوزه لانه متأكد من هزيمته ...!؟

واذا بالجواد دينار يكاد يفوز .. واذا بالوجيه ابو الفتوح يدق يدا بيد لأن جوادة قد خسر الشوط فى المتر الاخير !.. جوادة الذى كان يقطع بأنه لن يفوز وانه لن يراهن على فوزه بمليم !

... ثم تبين أن حضرته كان قد راهن على فوز الجواد بخمسين جنيها !!

ماذا تسمى هذا .. وأين تفسيره ومعناه فى قاموس الاخلاق ؟!

ثم جياد البارون امبان التى يقول فيها صاحب المجد النبيل سعيد طوسون انها لاتفوز غالبا الا اذا كان البارون امبان موجودا فى ميدان السباق .. فاذا غاب البارون أو كان على سفر ، ففوزها امر غير مضمون !.. حتى أصبح أمراً مسلما به انه اذا شهد البارون امبان سباق الخيل ، فان الرهان على جياده .. أمر مضمون الربح !!
ونتساءل عن هذه العلاقة التى تربط بين سيقان الجياد .. والبارون امبان ؟ ..أم ترى هذه الجياد « آدمية » مثلى ومثلك قد عرفت أصول الذوق الجميل وادركت أنه مما لايصح ولايجوز ان تنكس راية الفوز وصاحبها موجود فى ميدان السباق ؟!

وكان صاحب السمو الأمير محمد على ابراهيم موجودا فى ميدان السباق يوم الاحد الماضى وكنا كتبنا عن سموه فى عدد الاسبوع الماضى وقلنا انه يعتبر من أغنى أمرائنا الشبان . ولكن أحد العارفين المتصلين بدوائر الأمراء قال لنا إن ماذكرناه خطأ لأن الأمير محمد على ابراهيم يعتبر على العكس من افقر الأمراء .. وأن واحدا يتولى الآن ادارة املاك سموه وتسديد ديونه ، ويدفع للأمير فى كل شهر ١٥٠ جنيها ، وهو مبلغ لا يعطينى ولايعطيك الحق فى حمل لقب غنى .. فكيف به مع أمير خطير

وقد يكون هذا صحيحا .. ولكن الراوى يجهل فيما يظهر ان سمو الأمير هو الوصى على عمه الأمير سيف الدين ، وان سموه يتناول فى مقابل هذه الوصاية مبلغا سنويا تقول الصحف إنه عشرة آلاف جنيه .

وإذا كان مبلغ العشرة آلاف جنيه فى السنة لا تعطى المرء الحق فى ان يكون « غنيا » فمن المنتظر إذن حتى يتجنس بالجنسية المصرية السادة فورد وروكفلر وروتشيلد حتى نتحدث عن الغنى والأغنياء !

ورأينا حسناء تمشى مع البارون امبان .. وهى فتاة ـ كما قال الزميل ـ ليس من السهل أن تدرك جمالها من أول نظرة !.. فقد تراها مرة ومرتين وتنصرف عنها وأنت تعجب ماذا يرى فيها البارون صاحب الملايين ؟ ثم سمعنا من صديق أن البارون امبان الذى ينفق فى العام الواحد نحو نصف مليون جنيه ، قد أهدى صديقته هذه مبلغ مليون فرنك ـ أى نحو ١٣ الف جنيه ـ كدفعة اولى على حساب الصداقة والإعجاب ، ولكى تغطى كذلك نفقات حضورها الى مصر بلد الشمس والدفء والخيال !!

وقد لوحظ اهتمام آخر ساعة منذ بدايتها الاولى بالفن والفنانين ربما لان بداية محمد التابعى الاولى فى عالم الصحافة كانت فنية وربما لان علاقات محمد التابعى بالفن والفنانين كانت وثيقة ، وربما لان التابعى بطبعه كان فنانا وربما لان الجماهير كانت تقبل على تلك المادة الجذابة وربما لكل اولئك جميعا ولاسباب اخرى لامجال هنا لسردها .. من الابواب الفنية التى بدات مع آخر ساعة مندوبنا فى قهوة الفن

وقد جاء فى العدد الثانى من المجلة العديد من الفقرات ننقل منها ما يلى :

غرام أم كلثوم

عرفت كروانة الشرق الآنسه أم كلثوم بأنها فتاة بلا قلب .. أو أن قلبها سئم الحب وعاف الغرام لكثرة من وقف ببابها من المغرمين .

أما اليوم فان عيون أهل السوء وتجار الاشاعات تتطلع الى وجه المطربة المحبوبة وتلاحظ انه شاحب نوعا ما .. وتنصت الى صوتها الذهبى وتلاحظ أن به نغمة حزن دفين .

ما السبب ؟

يقولون ان المطربة الشابة قد أحبت بكل ما فى قلبها الكبير من مخزون السنين وأنها تحاول كتمان هذا الحب .. ولكن الصب تفضحه عيونه !

.. والذى تحبه أم كلثوم ـ أو الذى يقال إنها تحبه ـ هو رجل قانونى كبير المقام !

ويذهب الرسل يسألون حبيب القلب أن يشرف بعد طول غياب .. ولكن حبيب القلب يعتذر بأنه لايمكنه زيارة معبودة الغناء أكثر من مرة واحدة فى الاسبوع .

وقف كيوبيد يضحك ويسخر ويرى لأول مرة آلام الحب على وجه تلك التى كم ذابت فى حبها قلوب !

وام كلثوم التى خاب فى حبها مئات .. هاهى بدورها قد خابت فى أول غرام !

أما صديقنا الأستاذ رامى فقد سافر فى الاسبوع الماضى الى وادى الشياطين لكى يستلهم الوحى فى قصيدة ينظمها فى هذا الغرام الجديد .. ومطلعها :

يفوت العشق ذهاب واياب وانا واقف زنهار بالباب !

مبروك مقدما :

كانت زميلتنا الصباح الغراء نشرت منذ شهرين خبراً قالت فيه إن الآنسة أمينة رزق الممثلة المحبوبة قد عقد قرانها على لا أذكر من من السعداء .

أما خبر اليوم فحقيقى .

تقدم أحد الشبان الوارثين من الاسكندرية - ولانعرف نحن إن فى الاسكندرية شبابا وارثين اللهم إلا أن يكونوا من الاروام - تقدم يطلب يد أمينة ويشترط قبل الزواج أن تطلق أمينة رزق التمثيل طلاقاً لا رجعة فيه ..

ثم تلطف الخاطب وأعلن أن لا مانع عنده من أن تشتغل أمينة معلهش بالسينما على شرط أن لايضطرها عملها فى السينما الى السفر أبعد من الزمالك وستوديو رمسيس .

ورفضت أمينة رزق هذا الشرط وأعلنت هى من جانبها أنها قد تزوجت من فن التمثيل وأنها لا تريد الجمع بين زوجين لا فى الحلال ولا فى الحرام .

واجتمع مجلس ادارة العائلة تحت رئاسة خالتى حبَّة وأدرج هذه المسألة فى قائمة جدول الاعمال !

الشوط الثالث :

سافرت السيدة فاطمة سرى الى الاسكندرية واتخذت شمسية فى أحد أركان ستانلى باى مــلا مختاراً لادارة أشغالها من بناء عمارات وشراء أطيان ولعب فى السباق !

وفى يوم الجمعة الماضى كانت فاطمة جالسة تحت الخيمة إياها تتحدث عن بختها الذى خاب فى الرجال وفى السباق وسألتها إحدى الجالسات عن رأيها فى الزواج فقالت وعيناها الجميلتان تشتركان فى الحديث إن الزواج قسمة ونصيب ثم سبحت فى الخيال قليلا وقالت :

تعرف ياتوتو .. الجواز زى سباق الخيل !!

ولقد خسرت فاطمة فى « الشوط » الأول .. وخسرت فى « الشوط » الثانى .. فهل لنا أن نرجو لها حظا سعيداً فى « الشوط » الثالث والأخير ان شاء الله ؟!

شروع فى خطف !

لعل القراء لايعرفون أن المحكمة الشرعية كانت حكمت بضم الصغيرة عزيزة عيد الى والدتها السيدة فاطمة رشدى .

والاسباب التى بررت هذا القرار هو غالبا مازعموه من أن عزيز الاب يعلم عزيزة البنت كيف تشرب كذا وكيف تدخن كيت .. الى آخر مايتناوله ويتعاطاه هو فى سبيل الفن والتمثيل !

وذات ليلة فى الاسبوع الماضى تأبط عزيز ذراع مستر جونى ووكر وكانت سهرة وصهللة حتى الصباح .

وفى ختام السهرة وقف الاستاذ وأعلن أن الصغيرة عزيزة إبنته هو ومن لحمه ودمه هو وان اربعين قرنا تنظر اليه من فوق الأهرام وتطلب منه أن يسترد حقوقه كأب همام .

وبناء عليه فقد قرر عزيز أن يخطف عزيزة وليكن مايكون !

وفى ساعة الظهر أفاق الأستاذ من النوم وراجع نفسه فيما اعلن فاتضح له ان الاهرام والاربعين قرنا مالهاش حق . وان الخطف جريمة يعاقب عليه القانون .

ومن ثم قرر الصهينة وانه خير للطفلة ان تظل حيث هى الآن .

فى لجنة الفن والذى منه !

يقال ان عدة شكاوى قدمت الى وزير المعارف والتقاليد ضد لجنة الفن والاعانة والذى منه وضد تصرفات نسبت الى بعض الاعضاء .

ويقال ان هذه الشكاوى من الصنف الذى يسيل له لعاب مجالس التأديب .

واتصل بنا ان معالى الوزير قد قرر بعد عملية هرش فى الرأس دامت دقيقتين ان هذه اللجنة ـ لجنة الفن والذى منه ـ فى حاجة الى تعديل وتغيير وحذف واضافة .

.. وان النية قد انصرفت الى وضع نظام جديد لتوزيع الاغاثة .

.. وان للممثلين ـ ولاتنس ياحبة عينى الممثلات ـ لهم ولهن ربا اسمه الكريم !

جولة اخرى لمندوب آخر ساعة الفنى ولكن فى العدد ٢٣ بعد واحد وعشرين عددا من العدد الذى سبق ان نقلنا مقتطفات منه : من حصيلة تلك الجولة :

فيلم أم كلثوم !

لابد أن تكون الآنسة أم كلثوم قد درست تاريخ حياة زميلتها ـ من غير مبالغة ـ جريتا جاربو ، وفهمت منه أن ممثلة السينما يجب أن تحيط نفسها بالألغاز والاسرار وعلامات التعجب والاستفهام قبل أن تغدو كوكباً عالمياً بحق وحقيق !

وتشكلت فى بلاط أم كلثوم جمعية لنشر الاشاعات الكاذبة ، والاشاعات المثيرة للخواطر ـ خواطر نجوم السينما على الاقل ـ عن أم كلثوم وفيلمها المقبل ، وعن شروطها وعن اسم الشركة التى ستخرج الفيلم ، ثم تفصيل دقيق عن الخناقة الحادة التى بين شركة مترو جولدوين ماير وبين شركة براماونت بخصوص إخراج فيلم أم كلثوم ! ...

وفجأة تنشر الصحف أن ام كلثوم رغبة منها فى حقن دماء شركات السينما ! ـ قد عدلت خلاص عن اخراج الفيلم .. واكتفت باخراج الشاعر احمد رامى من البلاط ! ..

ولكن ... اذا بنفس الصحف تعود وتعلن أن العمل جار بهمة فى فيلم أم كلثوم !

ثم تعود المطربة المحبوبة بعد أسبوع واحد وتعلن من جديد أن كل شىء هادىء فى ميدان الزمالك الغربى .. ومفيش أفلام ! ..

والواقع أن أم كلثوم مهتمة فى الوقت الحاضر بإخراج الفيلم . وأن الاتفاق قد تم نهائيا مع شركة مصر للسينما بخصوص الناحية المادية ، وأن مخرج الشركة الاستاذ احمد بدرخان يزور أم كلثوم يومياً ومعه الاستاذ احمد رامى مؤلف القصة للاتفاق على تفاصيل السيناريو ! ..

وهذه هى الحقيقة الوحيدة بين الأكاذيب والاشاعات الكثيرة التى تشاع عن فيلم أم كلثوم !

مؤتمر مسرحى !

رأى الاستاذ يوسف وهبى بعد فشل مؤتمر نزع السلاح أن يضرب للعالم أجمع مثلا فى كيف تكون المؤتمرات ، فقرر دعوة المشتغلين بالفنون الجميلة الى مؤتمر مسرحى للبحث فى كيفية إحياء المبكى على شبابه المسرح المصرى !

يوسف وهبى يخطىء كثيراً اذا كان عنده أى أمل من هذا المؤتمر !! فقد ثبت أن جميع المشتغلين بالمسرح المصرى لايصلحون لأن يتعاونوا على فتح حانوت طعمية فضلا عن النهوض بمشروع كبير مثل مشروع إحياء التمثيل ، مادام بينهم ما بينهم من خلاف !

ولقد ثبت أيضا أن الاشتراكية نظرية محترمة يمكن تطبيقها عند الشعوب ولكن لايمكن تطبيقها بحال من الاحوال فى مسرح مصرى .. وماحدث فى فضيحة إتحاد الممثلين اكبر دليل على صحة مانقول .

وما هو الغرض من هذا المؤتمر ؟

ترقية المسرح ! ولكن ترقية المسرح تحتاج الى المال ، فهل هناك بين أعضاء هذا المؤتمر - خلاف يوسف طبعاً - من فى جيبه نكلة واحدة يستطيع أن يحيى بها المسرح المتوفى الى رحمة الله ! ؟

إن الذى يحيى المسرح هو الفلوس . أما المناقشات فى النظريات الفنية ، فكلام فارغ وسفسطة يعرف أبو حجاج جيدا أن ليس وراءها سوى الدوشة ووجع الدماغ !! ..

إن يوسف وهبى إستطاع أن ينقذ المسرح فى سنة ١٩٢٣ ونعتقد أنه يستطيع أن يحاول وأن يعيد الكرة فى سنة ١٩٣٥ .. ولكن بشىء من الجرأة ... وبكثير من (الفلوس) !!

الدفع سلفا !!

حين خلا مسرح الماجستيك من فرقته فى أول الشهر الجارى ، وحين رسا مزاد المسرح فى شهر رمضان على فرقة الأستاذ جورج ابيض ، بقى أسبوع ، هو الأسبوع الواقع بين أول شهر ديسمبر وأول شهر رمضان (راجع من فضلك نتيجة الحكومة)

وتطاحنت رأوس كثيرة من أجل الاستيلاء على مسرح الماجستيك فى هذا الأسبوع الوحيد الخالى ومن بين هذه الرؤوس رأس اتحاد الممثلين ...

ولما كان اسم الاتحاد أصبح زى « البرلنت » - خصوصا فيما يختص بمسائل الدفع بالورق وبالذهب وبالكمبيالات - فقد وقف الخواجة كوستيه صاحب الماجستيك كالأسد الغضنفر يمنع أى عضو من أعضاء الاتحاد من تخطية باب المسرح !

ورأى الاتحاد أنه يجب أن يحصل على المسرح المذكور لأنه مرتبط بإحياء ليلة يمثل فيها الرواية المقررة على طلبة البكالوريا هذا العام ..

وهرش الأستاذ بيه علام رأسه وعاونه فى عملية الهرش الأستاذ عمر وصفى ، ثم أرسل علام أحد تلاميذه النجباء لكى يدعى أنه مندوب جمعية مدرسية ويرجو تأجير المسرح ..

ولم يأخذ صاحب المسرح خوانة ! ورضى بتأخير الماجستيك ! واتفق الطرفان على المقدم والمؤخرة .. وقبل موعد رفع الستار بساعة عرف صاحب المسرح (النمرة) ! فأقفل بابه بالسلاسل ورأسه وألف سيف ألا يفتح الباب إلا إذا تقاضى الأجر كاملا ...

ووقف المتفرجون يتفرجون على الرواية التى يمثلها أعضاء الاتحاد وهى تدور على عملية البحث ـ بلا جدوى ـ فى جميع الجيوب !

ووزع أعضاء الاتحاد أنفسهم على قهاوى عماد الدين لاقتراض قرشين من كل صديق حتى تجمع المبلغ المطلوب بعد ساعة ونصف ، اتلطع فيها المتفرجون أمام باب التياترو يلعنون سنسفيل جدود اتحاد الممثلين والتمثيل كمان !! ..

غادة الكاميليا :

تبهدلت الآنسة مرجريت غادة الكاميليا وهى على قيد الحياة فخطف منها حبيبها ارمان ومرضت هى بالسل .. ولما انتقلت الى رحمة الله ظن المعجبون بها أن حياتها الشقية قد انتهت ، ولكن لسوء الحظ تبهدلت بعد وفاتها أكثر مما تبهدلت وهى على قيد الحياة ! .

وكان آخر هذه البهدلة على أيدى السيدة عزيزة أمير الكريمة ، والكريمة هنا تعود الى اليدين ! .

ووضع الاستاذان بديع خيرى ونجيب الريحانى رواية فكاهية بين ادوارها دور فتاة ابنة بقال تحب التمثيل .. وأسند الدور الى السيدة عزيزة أمير .

ورأت عزيزة رأسها وألف سيف أن تحشر فى الرواية الفكاهية مشهداً بأكمله من رواية غادة الكاميليا .. بدون مناسبة ! وعلى فكرة فان عزيزة أمير تحب دور غادة الكاميليا كما أحب أنا بعضهم ! ..

واهتمت عزيزة أن تجيد دورها إجادة تامة ، ولكنها تشبهت بالعبد الفقير فقضت على كافة مجهودات سيبويه وأبو الاسود الدؤلى ومن هنا رفعت حضرتها المفعول رغم أنفه ونصبت الفاعل رغم أنفه وأغمى على خبر كان فى منتصف الطريق بينما كان المبتدأ حائراً بين النصب والكسر والجزم وغير ذلك من الحركات التى تذكرنى بحركات الراقصة روزيتا أنيتا مونتنجرو !! وصعد المعجبون بعزيزة يهنئونها على هذا النجاح الهائل ، وسألتهم هى عن رأيهم فى دور غادة الكاميليا .. وبلع شجاع منهم ريقه وقال إن التمثيل عال .. بس اللغة العربية ياماما ! ...

وأجابت ماما ـ يعنى عزيزة أمير من فضلك ـ أنها ياأخويا متعلمة فى مدرسة الأمريكان ... وكمان مرجريت جوتيه ـ غادة الكاميليا ـ كانت فرنسوية .. يبقى دخل اللغة العربية ايه ؟ !! أفادكم الله ياست عزيزة ! .

وكانت آخر ساعة نشرت فى العدد الحادى عشر حديثا هاما لأم كلثوم اثار زوبعة من التعليقات وصوبت ام كلثوم ، بعض فقراته ، ودخلت فى معركة بسبب هذا الحديث الممتع ، مع الاستاذ احمد الصاوى محمد حول باريس .

وقد جاء فى حديث ام كلثوم وكان بعنوان نابغة الغناء العربى تبدى رأيها فى الانجليز وفى الفرنسيين .

وهذا هو نص الحديث بمقدمته الطويلة والشيقة ايضا :

أستطيع أن أقول ، ويستطيع الذين يعرفون أم كلثوم بين القراء أن يوافقونى على ما أقول ، وهو أن مقابلة مطربة المشرقين دونها صعوبة مقابلة أى صاحب دولة من رؤساء الوزارات .

أردت أن أنال منها موعداً بالمقابلة فطلبتها بالتليفون ... ورد على الفراش وسمع منى إسمى ولقبى ثم اسلمنى الى خادمة أعدت عليها اسمى ولقبى مصحوبين بالسبب الذى من أجله أريد أن أتحدث الى ام كلثوم واسلمتنى الخادمة الى « كبيرة الامناء » التى ارادت أن تتأكد هل هناك سابق موعد بينى وبين الست ؟ ..

وأجبت بالنفى .. وهنا تناول السماعة كبير الياوران وبعد أن تلوت عليه اسمى ولقبى والسبب الذى من أجله .. إلخ بعدها افهمنى أن أم كلثوم نائمة ! .

نائمة الساعة إحداشر ؟ .

وبينما كبير الياوران يفكر فى كذبة أكثر حبكة وإتقانا من كذبة النوم ، اقبلت أم كلثوم نفسها وسمعت صوتها إياه من فوق اسلاك التليفون .. وبدأت أنا بحكم العادة والتمرين أسرد على سمعها اسمى ولقبى والسبب الذى من أجله ..

وقاطعتنى أم كلثوم وهى تقول بصوت ملائكى :

ـ طيب اتلهى بأه .. ما انا عارفاك .

وحددت لى ساعة للمقابلة .

وحلقت ذقنى ، وفى الساعة المحددة كنت واقفا أمام باب ام كلثوم أمسح حذائى فى أطراف البنطلون وأضغط على جرس الباب .

وخرج لى خادم نوبى .. وسألته عن الآنسة فلم يجب .

وتركنى وعاد بعد لحظة ومعه خادمة ألقت على نظرة قاستنى بها من أعلى الى أسفل وبعد أن عرفت بوجه التقريب طولى وعرضى وكم أقة أزن ، تركتنى هى والخادم .. ثم عادا ومعهما أنسة ثالثة عرفت فيما بعد أنها سكرتيرة الفن وقالت الآنسة :

ـ تفضل !

وتفضلت أنا بالدخول .

وفى اليوم التالى ! التالى لانتظارى فى الصالون ـ دخلت الآنسة أم كلثوم وجلست بجانبى على نفس الكنبة من غير مبالغة .

وهنأتها بسلامة الوصول .. وبدأنا نتحدث ..

وقالت أم كلثوم إنها سافرت الى اوروبا متنكرة باسم الآنسة ا . ك . ابراهيم ، ولم تصحب معها فى رحلتها سوى ابنة شقيقتها الآنسة رؤية لأنها تجيد التكلم باللغة الفرنسية .. كما أنها تجيد الحديث طراطيش بعدة لغات ! .

وسألتها لماذا لم تسافر الى اوروبا قبل الآن .

فأجابت لأنها لم تكن تعرف لغات أجنبية ! .

ـ وهل أنت تعرفين لغات أجنبية الآن ؟ .

وهنا قالت ام كلثوم ان هذا السؤال بارد وشكرتها أنا على هذا التصريح الخطير !! .

وقالت « سومة » انها استفادت من رحلتها كثيرا ، وأن وزنها لم يزد ولم ينقص بل ظل كما هو ، وانها انتهزت فرصة هذه الرحلة فكانت تأوى الى فراشها عند تمام الساعة التاسعة مساء مثل الناس الطيبين وهو أمر لم يتيسر لها منذ سنوات عديدة ..

ثم أخرجت من جيبها مذكراتها عن الرحلة وقد دونتها هى بنفسها وراحت تسرد على اسماء البلاد التى زارتها وعدد سكانها وخطوط الطول والعرض وأهم حاصلات البلاد ومناظرها التاريخية ومواعيد القطارات والترام فى كل بلدة منها ، وكم بوصة من المطر تنزل فى العام .. فى شوارع البلدة وفوق السطوح .. ومعلومات عديدة لذيذة لم أكن أعرفها من قبل .

ولما سألتها عن رأيها فى المدن الكبيرة التى زارتها قالت إن أحسن بلد فى اعتقادها هى لندن ، وأوحش بلد هى باريس ! .

(والكلمة الآن لصديقنا الأستاذ الصاوى المحرر بجريدة الاهرام) !! .

وأخذت أم كلثوم تشرح لى رأيها فى فرنسا والفرنسيين ، وهى معلومات أمسك عن نشرها حرصا على ما بين مصر وفرنسا من حسن العلاقات ! .

وهنا أخرجت « تلامتى » المشهورة وسألت المطربة :

ـ وأى الأمم أعجبك رجالها أكثر من سواها ؟ .

وتصاعد الدم الى وجه أم كلثوم .. ثم تساقط من وجناتها عرق الخجل والخفر والحياء ، وأخرجت أنا منديلى ومسحت به قطرات عرق الخجل من على الكنبة والبساط ..

وبعد أن أعدت عليها السؤال عشر مرات ، وبعد أن قامت هى الى التليفون لكى تشكونى الى رئيس تحرير هذه المجلة وتحتج عنده ضد هذا السؤال ، وبعد أن وجدت لحسن الحظ رئيس التحرير نائما ..

بعد هذا وذاك ، أسلمت سومة أمرها الى الله وقالت :
ـ أحسن رجال عجبونى صحيح هم الانجليز لانهم رجال بمعنى الكلمة .
قلت : والرجال فى فرنسا ؟ .

قالت : لم يعجبونى أو على الاقل الشبان الذين رايتهم كانوا أقل رجولة مما يجب ، ومنهم من يكثر من « الحفلطة » والتوالبت مثل أية غانية حسناء .. بل وسمعت أن بينهم من يحافظ على نحافة خصره ولا يجد وسيلة سوى لبس « الكورسيه » ! .. اما الانجليز ، فلا شيء عندهم من هذا كله .

قلت لها وأنا أندم فى سرى على أنى حلقت دقنى وتعطرت !.. قلت : اذن فأنت تفضلين الرجل الخشن المتقشف ؟ ..

ورمتنى أم كلثوم بزغرة دق لها قلبى الضعيف فسحبت السؤال كأى صحفى شريف .

وأرادت أم كلثوم أن تغير موضوع الحديث فقالت إنها زارت بلدة طيطوان وهى فى شمال أفريقيا ومشهورة بالبلغ والصرم .

وسألتها أنا هل البلغ والصرم موجودة بكثرة فى تلك البلاد ؟ .
فقالت : كثيرة جداً .. بس على قفا مين يشيل ! .

ورأيت قبل انصرافى أن أسألها رأيها فى مشروع قانون الصحافة الجديد .. وقالت هى بعد أن لخصت لها ما نشر عنه بالصحف إنها غير راضية عنه ووعدتنى بأنها ستشفع لنا عند ولاة الأمور ! .

ثم قالت إنها زارت البرتغال ـ وهى جمهورية صغيرة فى ضواحى اوروبا .
ويحكمها دكتاتور عسكرى والاحكام العرفية معلنة فيها باستمرار .. ومع ذلك فقد لاحظت أم كلثوم عند زيارتها للمسارح أن كل الروايات تدور حول الحالة السياسية .

وفى احدى الروايات ، اظهر المخرج رئيس الجمهورية فى شكل طفل صغير ؟ ! ..

وفى رواية اخرى ظهر زعيم سياسى كبير فى شكل حمار يركبه احد الوزراء ! .
هذا فى البرتغال المحكومة حكما عرفيا دكتاتوريا ..

ورجوت أنا أم كلثوم أن تقص هذا الذى شاهدته فى البرتغال على ولاة الامور او تكتب مقالا فى الموضوع .

وكانت أم كلثوم قد نظرت الى ساعة يدها خمس مرات ... وسألتنى الساعة كام عشر مرات ! ..

وفى كل مرة كنت أجيبها الساعة كيت والقى عليها سؤالا آخر ثقة منى بأننى من اهل البيت اى ليس بينى وبينها تكليف ، وأن السؤال عن الساعة كام ليس فيه تلميح لى بالانصراف !! .

وأخيرا تضايقت أم كلثوم فقالت :

ـ انت ياأخينا مش لاقى فى البلد حد تسأله غيرى ؟ .

وغضبت أنا لكرامة الصحافة وجمعت اوراقى وأردت أن « أستأذن » فى الانصراف ولكن أم كلثوم أفهمتنى أنه لا ضرورة للاستئذان .. وأنه يمكننى الانصراف من غير حاجة الى اذنها !! .

وودعتنى الى الباب وهى تنشد وتغنى : (ياما أمر الفراق) !! .

وفى العدد التالى ـ ١١ ـ وتحت عنوان : من الاستاذ أحمد الصاوى محمد الى المطربة الآنسة أم كلثوم ، كتب الاستاذ محمد التابعى بوصفه محرر آخر ساعة الكلمة التالية كمقدمة لرسالة الاستاذ الصاوى :

نشرنا فى عدد الأسبوع الماضى حديثاً لمطربة المشرقين الآنسة أم كلثوم وقد أفضت فيه الآنسة المطربة برأيها فى باريس فقالت إنها « أوحش » بلد عرفته !... وفى الفرنسيين فأتهمت شبابهم بالضعف والطراوة !

ولما كنا نعرف أن لفرنسا بوجه خاص « محاميا » فى مصر ذرب اللسان حلو القلم كلما تغنى أو كتب عن باريس ، وهو الأستاذ أحمد الصاوى محمد .. فقد علقنا على حديث أم كلثوم وقلنا اننا نترك الكلمة لصديقنا الاستاذ . وها هو قد فعل . وفيما يلى رده على المطربة الحسناء !

إلى سومه !...

كنت أحب أن تكون سومه فى « القضاء » مثلها فى الغناء .. وأن تبرع فى الاحكام براعتها فى الأنغام !...

هذه أول مرة سافرت فيها ، ياصديقى إلى أوروبا . ولم تستغرق رحلتك إلا شهراً ونصف شهر ، منها الذهاب والاياب ، فى البر والبحر ، بين انجلترا والغال وفرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتغال !... فكم أصاب « باريس » المسكينة من سهام لحظك حتى ترديها قتيلة ؟!

إنى أعيذك من الاحكام القاسية القاطعة ، لما فيها من نشاز !.. أنت الموسيقية المغنية ماذا نقمت من باريس ؟.. شوارعها ؟ مغانيها ؟ موسيقاها ؟ فنونها ؟ نساؤها ؟ أزياء نسائها ؟ أم ماذا ؟..

تقولين إن فيها شبانا قد زججوا حواجبهم !... وهل هذا كل ما يلفت النظر فى

باريس ؟.. وهل ذهبت الى الحى اللاتينى ورأيت رجولة الرجال وعزم الشبان ؟.. وهل دخلت المكاتب والمعامل والمستشفيات لترى شيوخ العلم وقد انحنوا على الكتب والقنانى وأسرة المرضى يدرسون ويضحون بحياتهم فى سبيل الإنسانية !؟

ان رائدك فى باريس قد غرر بك واخطأ سواء السبيل . انت المطربة المجيدة هل سمعت مغنيات باريس ومغنيها ، ودخلت قاعاتها الكبرى التي يقصد اليه الناس من كل أنحاء العالم ؟!

هل سمعت « لاسيين بوابيه » و« داميا » و«مارى دوبا » و« جان بواتيل » و« ملتون » و« شفالييه » و« روبير بورنيير » و« اندريه بوجيه » و« سان جرنبيه » ؟!!

وهل دخلت الأوبرا كوميك وكونسير « كولون » و« لامورو » و« بلبيل » وصالة « جافو » و« مايول » حيث تسمعين فى وقت واحد ١٥٠ موسيقيا يعزفون ؟!!

وهل دخلت كازينو دى بارى أو الفولى برجير لترى وجاهة الريفيو ؟!

ان باريس هى أبو الهول ، لاتبوح بسرها لأول طارق . يمر بها الملوك والعظماء والمهراجات من أعظم وأغنى بلاد الدنيا فلا تعيرهم التفاتا . تمضي فى طريقها لاتعنى بأحد ولاتقدم الآلاء ولا تنحنى الا للفن الجميل . فلو كنت أقمت حفلة وغنيت فيها وسمعك أهل باريس وطربوا ، لكانت هذه أعظم شهادة لك لأن باريس هى التى تمنح رجال الفن تقدير الفن .

وعندئذ كانت تفتح لك باريس أبوابها السحرية فترى عجبا وتسمعى طربا ، وتنجلى عليك طاقة من نور مدينة النور !..

احمد الصاوى محمد

وكان رد الآنسة أم كلثوم على الاستاذ احمد الصاوى محمد كالآتى مع تلك المقدمة الطويلة (الظريفة) ايضا !

كنا نشرنا حديثا دار بين مندوب مجلة آخر ساعة والآنسة أم كلثوم . وقد أبدت المطربة النابغة فى حديثها المذكور رأيا صريحا غاية الصراحة فى باريس وأهل باريس ..

ويكفى أن تحك كقصبة انفك لباريس وأهلها .. لكى يشب صديقنا الاستاذ الصاوى واقفا على قدميه ، يفرد لسانه ويطويه فى الدفاع عن باريس وأهل باريس !

وهذا ماحدث . فقد نشرنا فى عدد الأسبوع الماضى ردا لحضرته ، وقد أغرق فيه المطربة المشهورة فى طوفان من الاسماء الفرنسية .. ثم راح يسألها ويهزها هل زرت كذا وهل عرفت كيت ؟

وقرأت أم كلثوم رد صديقنا الصاوى وكلمتنا بالتليفون ، وانتهينا الى أن من حقها أن ترد على الاستاذ .

وقالت الآنسة انها تشترط علينا أن لاننقص ولا نزيد فى ردها حرفا واحدا .. وأن يكون ردها مؤدبا !

ولو أن هذا الشرط كان من جانبنا نحن لكان مفهوما .. ولكنه شرط فرضته علينا الآنسة !

سامح الله الآنسة !.. كأنها تتهمنا بأننا قوم غير مؤدبين ، وأن الرد المؤدب لايرضينا !

وفى الساعة المحددة ، ذهب مندوبنا الى دار الآنسة ليتسلم ردها المؤدب .. وفتح له الباب غلام نوبى فضيلته الكبرى عند الآنسة المطربة أنه لا يستحى من الخالق ولا من المخلوق !

سأله مندوبنا هل الآنسة أم كلثوم موجودة !

وبدا على وجهه أنه لم يسمع طول عمره عن شىء اسمه أم كلثوم فقد هز رأسه أولا بالنفى القاطع !.. ولكنه ذاب قليلا تحت وقع نظرات مندوبنا الحادة ورضى أن يدخل ليسأل أهل البيت هل يعرفون شيئا عن أم كلثوم ؟... لأن هناك « فلانا » يريد مقابلتها ..

ولكنه احتاط وأقفل الباب فى وجه المندوب ريثما يعود !!

وعاد بعد لحظة وفتح الباب ، ومن غير أن تكسو وجهه ولو شعرة واحدة من حمرة الحياء .. أعلن مندوبنا فى صوت طبيعى هادىء ان الآنسة أم كلثوم موجودة ! ثم ادخله « مسيلمة » المذكور الى صالون الاستقبال ولما كان مندوبنا يعرف أن مطربة المشرقين ترى أن مقامها يوجب عليها أن تبقى زائرها فى انتظارها عشر دقائق على الاقل اذا كان من درجة وزير فما دون .. وربع ساعة أو أكثر اذا كان من درجة صحفى فما فوق ، فقد أخذ مقعده وهو يعلم أن مياها كثيرة سوف تمر من تحت كوبرى الزمالك قبل أن تستقبله أم كلثوم .

وأخيراً أقبلت وبيدها ردها المنشور فيما بعد ، وقد نشرناه كما هو لم نزد فيه ولم ننقص منه حرفا واحداً ..

وهاهو رد الآنسة أم كلثوم ..

الى الاستاذ الصاوى

لئن اتهمتنى بظلم باريس فى حديثى ، فاسمح لى بأن آخذ عليك التعجل فى الغضب لباريس والتحمس فى الدفاع عنها فى النواحى التى لم أتعرض لها مطلقا . واذا رجع الاستاذ الفاضل إلي حديثى وتلاه بهدوء لوجد أننى كنت أجيب على أسئلة معينة وجهها إلى مندوب مجلة آخر ساعة . وظاهر بوضوح أن محدثى قصد المداعبة ،

وجاريته أنا فى قصده ، وإلا فما كان يمكن أن أرد على سؤاله الذى لايمت للفن ولا لاية ناحية من نراحى تخصصى بصلة ولا نسب ولو كان سألنى محدثى عن رأيى فيما شهدت من فنون باريس فى التمثيل والغناء لعددت له محاسن ما رأيت فى معظم الدور التى ذكرها الاستاذ فى اعتراضه علىّ . ومن ذا الذى يستطيع أن يحط من قدر باريس فى فنون التمثيل والرقص والغناء والموسيقى و « الريفيو » ؟ ..

لقد شهدت بباريس فى النواحى الفنية ماطاب لى وما لم يطب . وفيها من أسباب اللهو اكثر مما يحصره وصف أو يحيط به قلم ولكننى يا سيدى الاستاذ - وأقرر لك الحق - لم ارتح كثيراً لاخلاق من قابلت من الباريسيين ولم احب طريقة معاملتهم للاجانب من الوجهة الخلقية والمادية ... نعم والمادية على الاخص . ولذا فلى العذر إن لم أخرج بفكرة طيبة بالقدر الذى يرضيكم عن باريس وأهل باريس .

وأؤكد للاستاذ الفاضل بأننى وجدت كل مصرى قابلته فى رحلتى من نفس رأيى وعقيدتى ، وعلى كل حال فاننى قد اكون مخطئة فى الرأى الذى كونته لنفسى على عجل وارجو أن يتسع صدر سيدى الاستاذ لحرية الرأى التى يخدمها ويجاهد فى سبيلها بقلمه وثقافته .

والطريف ان آخر ساعة فى عددها السابع عشر نشرت موضوعا تحت غنوان : أم كلثوم وعبد الوهاب فى فيلم واحد وهو الأمل الذى لم يتحقق فى حياة أم كلثوم ..

لم اتردد مرة واحدة فى المرات الكثيرة التى امسكت فيها بالقلم طول حياتى الحافل بجلائل المقالات - خصوصا المقالات اللى تودى فى داهية - كما ترددت وأنا أبدأ

بكتابة هذا المقال ! فقد مكثت نصف ساعة أفكر فى عنوان المقال ! ونصف ساعة فى مقدمة المقال ! ونصف ساعة قضيتها فى شد شعر رأسى ولعن سنسفيل الساعة التى فكرت فيها فى كتابة هذا المقال ! .. ولو كانت كل المقالات التى اكلف بكتابتها - ابتداء من اليوم والايام التالية - من عينة هذا المقال الملعون ، فقولوا على خادمكم المطيع .. السلام !

لان الموضوع - كما ترون - موضوع دبلوماتيكى يستلزم سياسة وكياسة وشطارة ومهارة ، ولا يصلح لكتابته سوى رجل داهية كالدكتور حافظ عفيفى باشا أو السير أوستن تشمبرلن مثلا .. والكاتب العبقرى يسير فى كتابته على حبل أحد من السيف وأدق من الشعرة وليس له درابزين وكأنه الصراط المستقيم ! ..

وها أنا اجرب ان اكون ذلك الكاتب العبقرى ، فان نجحت فالحمد لله ، وإن فشلت فإنا لله وإنا لحياة البطالة راجعون ! ..

بسم الله الرحمن الرحيم ..

كانت ام كلثوم تجتمع مع عبد الوهاب فى عدة مجالس ، وكان المرحوم الاستاذ حسن انور هو الذى يجمع بين الاثنين فى مجالس موسيقية فنية ادبية يعقدها فى داره الكريمة .. ولكن فجأة تبدل الحال وانقطع حبل الوداد بين البلبلين .. وقيل إن المسؤول عن هذه القطيعة هم اولاد الحرام ، وهى طبقة معترف بها رسميا فى بلاط المطربين والمطربات ووظيفتها القيام بالدس والوقيعة حتى يستطيع اولاد الحرام المذكورون الأكل على مائدتين ، وعبادة إلهين ثم الحياة على حساب التفريق بين الصديقين ! ..

وحل بدل الود والصفاء .. القطيعة والجفاء وكان ان اعلن كل من المطربين سياسة الحصار والمقاطعة التى اعلنها نابليون فالعضو فى بلاط ام كلثوم اذا سمع غناء عبد الوهاب كان خائنا لوطنه وبلاطه . وعضو بلاط عبد الوهاب اذا قال آه لنغمة ام كلثوم كان خائنا ومن المنشقين .

وفى سنة ١٩٣٢ استطاع الاستاذ التابعى أن يجمع بين عبد الوهاب وام كلثوم على مائدة واحدة فى مأدبة اقامها لهما فى داره بالزمالك ، وحضرها جراح مشهور وصديقنا المرحوم محمود سكر .

وكان جو المأدبة فى أول الامر من الصنف الصينى البارد ، أى لا كلام ولا حديث ولا يحزنزن ، واكتفى عبد الوهاب وام كلثوم بتحية فاترة رسمية ليس فيها اى شوق او حنين وأواه من هذا الفراق أو صحيح خصامك والا هزار الخ .. وقد تبادلاها من فوق « سلطانية » الملوخية التى يحبها عبد الوهاب !

ولكن سرعان ما تحول الجو ، وعادت المياه الى مجاريها وتراشق عبد الوهاب وام كلثوم بكلمات وحشتنا والله يوحشك وآنستنا والله يآنسك .. وكنت فين ياست ؟ .. وانت مالك يا واد ! !

ويومها مال المرحوم محمود سكر على أذن الاستاذ التابعى يهمس فيها ويقول انه فكر فى مشروع خطير وهو ان يجمع بين ام كلثوم وعبد الوهاب فى فيلم واحد يضع له السيناريو الاستاذ محمد التابعى ! ..

ورحب من سمعوا الفكرة بهذا المشروع الجرىء ! .. ثم مات بعدها سكر ، ودعى بعدها الاستاذ التابعى الى قضاء فصل الصيف فى بلاج سيدى قره ميدان ! وتفرق شمل المطربين الخالدين ، ومات مشروع الفيلم وعاد البلاطان وقطعا علاقتهما السياسية ببعضهما البعض وحل الجفا محل الصفا ! .

ويقال اليوم إن شركة مصرية كبيرة تفكر جديا فى جمع المطرب الخالد والمطربة الخالدة فى فيلم واحد وقد وعدنا نحن ألا نذكر شيئا من التفاصيل لان المشروع لم

يخرج بعد الى جيز العمل .. ونحن نعلم جيدا ان عبد الوهاب لا يمانع فى ان يمثل مع ام كلثوم وهى كذلك لا تمانع ، ولكن المسألة اصعب مما يعتقد الكثيرون . فان كليهما يطلب ان يكون دوره كالآخر من حيث القوة والمواقف والكلام ! .. ويطلب الاثنان ان توضع موسيقى الفيلم بمعرفتهما شخصيا ليضع كل لنفسه ما يناسبه ..

واخراج فيلم كهذا يحتاج مخرجا كالقاضى سليمان الحكيم الذى يتقن فن الحكم بالعدل والقسطاس ! ! ..

فاذا لم تنجح الفكرة ـ لا قدر الله ـ فان ام كلثوم ستشترك فى فيلم تستعد الآن لاخراجه شركة مصرية كبيرة معروفة وقد حدثت وقائع الفيلم فى أيام العباسيين .

وقد وضع السيناريو والاغانى الاستاذ احمد رامى قبل ان يتزوج ويطلق لقب (شاعر الشباب) ومثل هذا الفيلم يتكلف عدة عشرات من الألوف ـ الوف الجنيهات طبعا ـ لان طبيعة الفيلم تستدعى اخراج كافة أجزائه فى (ستوديو) تشيد فيه الدور والشوارع كما كانت فى ايام العباسيين .

ولا نستطيع ان نختم هذا المقال قبل أن نقول كلمة لا شك انها تعبر عن حقيقة تتردد على كل لسان . وهى ان ظهور عبد الوهاب وام كلثوم فى شريط سينمائى واحد عمل جليل ـ ان تم ـ تجاوب صداه المشرقان . فليس من شك فى أن الاثنين يتبوءان زعامة الموسيقى والغناء فى العالم العربى ..

واما النجاح الذى يلقاه مثل هذا الفيلم فحقيقة يعجز عن وصفها اللفظ والخيال .

ونحن نعتقد ان اتفاق الاثنين امر ممكن اذا توفرت حسن النية من الجانبين ، وتوفرت الرغبة فى خدمة الفن واعلاء شأنه ..

واخيرا للاثنين موعظة حسنة فى أشرطة السينما الاجنبية التى يشترك فيها كوكبان أو ثلاثة ، ونعتقد أنهما شاهدا فيلم الفندق الكبير الذى جمع بين جريتا جاربو وجون كروفورد وولاس بيرى وستون وجون جلبرت .. الى آخره .

فهل تتحقق الامنية .. أم يفوز بالوقيعة « أولاد الحرام » ؟ !

وعن الحب فى شرع بلبل الحب ومن هى المرأة التى يحبها عبد الوهاب نجد حديثا فى العدد الرابع والعشرين من آخر ساعة يتميز بالطرافة والاناقة ككل احاديث عبد الوهاب التى يحولها البعض الى مقالات أو التى يروونها فى صورة ذكريات وفيما يلى الحديث او الحوار ، أو المقال ، الذى يجمع بين الحوار ، والذكريات والانطباعات الشخصية عن الشخص ، الذى يجرى معه الحوار :

كنت يوما أزور عبد الوهاب فى داره ، وكان جرس التليفون يدق بمعدل مرة

واحدة كل خمس دقائق ، حاملا أصواتا خافتة فاتنة ، تثير اعصاب القديس فما بالك بشاب مثلى فى ريعان الشباب ! ..

وكان عبد الوهاب فى كل مرة يسير الى التليفون متباطئاً ، ويرد على السيدة او الآنسة المتكلمة بهدوء الملائكة وبرود الشيوخ !

وكانت إجاباته فاترة لا شىء فيها من حماسة أغانيه ! ..

وعندئذ تذكرت ما قالته لى مرة إحدى السيدات ، وهو أن عبد الوهاب ينشد أغانى الحب .. ولكنه لم يحب ولن يحب ..

وفجأة دق جرس التليفون ، وجاء الخادم يقول أن ست فلانة تطلبه ، واذا بالملاك الرزين ، القديس المتبتل ، يقوم ويتحدث الى تلك السيدة فى التليفون بنغم كأنه من أغانى الوردة البيضاء ! !

ولم أصدق ان الذى يتحدث بهذه اللهجة الحارة هو عبد الوهاب البارد ، الذى كان يتحدث من دقائق معدودة ، بمثل ذلك الفتور ، وآمنت ان عبد الوهاب غرقان لشوشته فى الحب ، وأن غرامه من الصنف الساخن ، الذى تتحدث عنه الكتب والروايات !

وانتهزت الفرصة ، وسألته يومها عن رأيه فى الحب ، فقال لى انه يعتقد ان الحب هو كل شىء فى الحياة .

- ومتى أحببت للمرة الاولى ؟ ..

وفجأة رأيت عينيه تضحكان من وراء نظارته ، وجبينه ينكمش فى خطوط متقاربة وراح يحدثنى وكأنه فى حلم لذيذ ! !

- كان عمري سبعة أعوام عندما أحببت بنت أحد الجيران حباً عنيفاً قوياً ، كان حديث الحارة كلها ! ...

وقلت أنا بتطفلى المعهود :

- وأى نوع من أنواع الحب كان حبك البكر هذا ؟

وضحك مطرب الملوك والأمراء وقال :

- طبعا كان من نوع الحب الشريف :

- وكيف انتهى الحب ؟

- انتقلت (جولييت) غرامى من الحارة التى كنا نسكن بها الى حارة أخرى :

ولا يستطيع انسان - مهما كان من غواة الاحصاء والتعداد - أن يحصى المرات التى أحب فيها عبد الوهاب ، بل هو نفسه لا يستطيع أن يتذكر كل النساء اللاتى دخلن حياته من باب ... ثم خرجن من باب ! !

فقد أحب عبد الوهاب جميع أصناف النساء ، من غصن البان الى شجرة البلوط ، ومن الطويلة الى القصيرة ، والصغيرة والكبيرة ، بل انه أحب سيدات من رعايا الحكومة المصرية ، وأخريات من رعايا الدول الأجنبية صاحبة الامتيازات ! ... وكانت الفتاة الأجنبية التى لعبت فى قلب عبد الوهاب دوراً هاماً ، كانت فتاة فرنسية قابلها عبد الوهاب ، منذ عشر سنوات ، فى باريس ! ... وكانت الفتاة المذكورة تضع النظارات على عينيها تماما مثل عبد الوهاب !

ويفضل عبد الوهاب المصريات عن نساء العالم أجمع ، ويفضل من المصريات المرأة السمراء ، لأن جمالها مصرى بمعنى الكلمة كما يقول !!

وقد يسأل سائل هل يخلص عبد الوهاب فى حبه ؟

يقول المطرب النابغة وهو يرد على هذا السؤال إنه لا يؤمن بالإخلاص ! ويعتقد أن يوم يثق الرجل بامرأة هو يوم يكون حبها مات فى قلبه ! لأن شجرة الحب تسقى دائماً بالشك ، فاذا لم يوجد الشك فان شجرة الحب تموت !! ...

وهذا رأى يخالف رأى الكثيرين ـ ومنهم أنا ـ الذين يعتقدون أن الشك لايحيي الغرام كما يقول عبد الوهاب وأم كلثوم ... بل يقضى على الغرام !

ومما يرويه عبد الوهاب أنه فشل فى حبه مرة واحدة ، وكان ذلك الوقت فى الخامسة عشرة من عمره... وذلك أن الفتاة التى أحبها يومها لم ترض أن تبادله الحب !... ولعل الفتاة المذكورة هى الوحيدة التى أفلحت فى طبع ذكراها على قلب عبد الوهاب ! لان مطربنا بيقول انه لا يحب الا المرأة التى تدوخه ! المرأة التى لاتسلم له طـائعة ، المـرأة الجبارة التى لاتلين ، القوية التى لاتضعف ولا تبكى !...

وهو لايحب الملاك التى تركع بين قدميه تناجيه وتناغيه ! وهو يقول فى هذا انه إذا كان ولابد من أن يحب ملاكا فليكن .. وانما على شرط أن يكون فى يد الملاك المذكور شبشب يستعمله عند اللزوم !.

والعجب فى عبد الوهاب أنه يفضل أن يكون بينه وبين المرأة التى يحبها تكليف ! ومعنى هذا أنه يكره أن تقابله حبيبته بالبجامة أو قميص النوم والقبقاب !... بل لابد لها من أن تقابله بكامل ملابسها الرسمية ، وقد تزينت وزججت حواجبها وعيونها بالكحل والخطوط !

وحذار من أن تناديه فتقول له مثلا .. ياواد أنت أويا حبوب !.. بل الافضل أن تكون المناداة فى دائرة قانون الالقاب .. فيقول لها هو ياهانم ... وتقول له هى .. يااستاذ !!

وفى مواقف الغزل يدور الحديث هكذا : أعبدك ياهانم !.. وانا أدوب فى كعب جزمتك ياأستاذ !

وسألت يوما عبد الوهاب هل لم يفكر مرة فى زواج أية فتاة أحبها ؟ فأجابنى بالنفى وقال ان السبب هو انه يعتقد أن الزواج يقتل الحب !... وهو رأى عجيب ولكن أراء عبد الوهاب كلها عجائب وغرائب !

وعندما يحاول الناقد الموسيقى ان يكتب عن حياة مطرب مشهور فإنه يبحث عن الدور الذى لحنه وهو متأثر بعاطفة ما ..

وعبد الوهاب يقول إن الدور الذى كان بيلحنه وكأنه يصهر قلبه صهرا هو دور (الليل لما خلى) ! فقد لحنه فى فترة كان يعانى فيها أزمة غرامية حادة فجاء هذا الدور قطعة رائعة من أبدع ما لحن عبد الوهاب !...

ولسنا نذيع سراً اذا قلنا ان عبد الوهاب يحتل اليوم فى عالم « السيدات » نفس المركز الذى كان يتمتع به المرحوم الشيخ سلامة حجازى . ويكفى أن ترى بريد عبد الوهاب كل يوم ، وألوان الخطابات التى تصله من شفتشى الى بمبى مسخسخ الى لحم الهوانم ! يكفى أن ترى هذا لتتمنى أن تحل محل عبد الوهاب .. ولو لأربعة وعشرين ساعة فقط !..

وقد حدث منذ مدة قريبة أن دعى عبد الوهاب ليغنى فى حفلة زواج : ولقد اعتاد عبد الوهاب أن يستريح بعد كل وصلة فى غرفة ويجلس فيها منفردا ، وبينما هو فى استراحته هذه إذا بالعروس تدخل وتعلنه بصوت مضطرب أنها قد غافلت العريس .. ثم تهجم عليه ... وهات يابوس ..

واتلخم عبد الوهاب وأخذ يدفعها وهو يقول (مرثى .. مرثى !.. ياثتى حاثبى أحثن حد يشوفنا) ولكن العروس ولاهية هنا !

وأخيرا .. لقد فضحنا سر عبد الوهاب فلتعلم كل من يهمها الأمر أن عبد الوهاب لايحب سوى التى تدوخه .. وتصبحه بشبشب .. وتمسيه بشلوت !

مرة ـ فى العدد ٢٥ ـ نشرت آخر ساعة موضوعا طريفا بعنوان فى بيوت الممثلات والمطربات : ذكريات مسرحية ، وقد جاء فى ذلك الموضوع مايلى :

وكما يحلو للممثل القديم أن يتحدث عن مجدهالسابق ، وكيف مثل دور الخادم فى رواية كذا ، فتهافتت عليه فى الغد طلبات المخدمين . وكيف وقفت هذه الممثلة كاللوح فى رواية غادة الكاميليا مثلا ، فأمطرها صغار الكتاب بمدح الرزانة وتقدير الصمت البليغ .. كما يحلو هذا لجماعة الممثلات والممثلين ، يحلو لنا ، نحن عباد الله النقاد وكتاب المسرح الاقدمين ، أن نتحدث بنعمة الله ونعمة الفن الذى كان يدخلنا بيوت

الكواكب والنجوم مستأذنين مرة ، ومتسللين فى أغلب الاحايين .

ولبيوت الكواكب تقاليد خاصة ، ولدخولها مراسيم يجب أن يتقنها الداخل والخارج ، وإلا كان جزاؤه الطرد المهين ..

ولما كانت الدنيا دنيا ، وكانت السيدة منيرة المهدية لاتزال محتفظة « بالبلاط » الذى يناسب لقبها الكبير « سلطانة الطرب » كان حق المثول بين يدى عظمتها الفنية على درجتين فأصحاب الدرجة الاولى ، هم الذين يباح لهم أن يدخلوا بيت ، أو بعبارة أصح ، « عوامة » السيد منيرة فى أى وقت وبلا سابق استئذان .

أما اصحاب الدرجةالثانية ، فكانوا لايحظون بمقابلة « الست » الا فى يوم « المقابلة » العام ، أو بناء على موعد سابق . فاذا خالف واحد من هؤلاء هذه التقاليد ، فقد يذهب الى عوامة السيدة ، وقد يراها جالسة أمامه تداعب أسماك النيل ، وقد يرسل اليها تحية وهو على الشاطىء ، وتردها بأحسن منها .. ثم يهبط الى باب العوامة ويسأل عن الست فيجيبه حارس الباب بأنها خرجت .. بأقولك مش هنا ..!

أما الزوار الممتازون ، فهؤلاء يدخلون الى الصالون حيث يجلسون ماطاب للسيدة النوم أو طالت عملية التكبيس التى تقوم بها جارياتها النسود ، وقد ينتظر الزائر ساعتين أو ثلاث ساعات إلى أن تقبل الست وقد سبقها جاريتان تحملان المباخر تفوح منها روائح الصندل والعود. والفاسوخ الذى يقى من شر عين الحسود !

وتناولك السيدة السيجارة بعد السيجارة ثم تدعوك الى طعام الغداء أو العشاء فتخرج متخوما تحمد لله .. كانت دنيا ...!!

والسيدة دولت ، لاتزال هى هى التى عرفتها منذ عشر سنين أو تزيد ...

بابها مفتوح تستقبل الزائر على باب الصالون ثم تقوده الى حيث تجلس وإلى جوارها الشيشة تجبد منها النفس بعد النفس دون أن تتذكر أنك من عباد الله الذين يحبون الحمى النادى أو يدوبون فى « اللى الانيق .. »

وتبدأ دولت فى الحديث دون أن تدع لك فرصة للرد أو الجواب .. وهو حديث عتاب طويل تتخلله عبارات إخص عليك .. وماكنش العشم ، وهوا برضه دا يليق ... فاذا هممت بالجواب ، أو حاولت ابراء ذمتك مما ترميك به ، بادرت السيدة تقول : هس الأستاذ نائم ..!

والاستاذ النائم دائما بعون الله هو زوجها العزيز جورج أبيض ..

ولاحظ أن همسك أنت يوقظ الأستاذ أما صياح السيدة ، فيمر بآذانه مر النسيم العليل طبعا ..!

زارنا النبى .. أهلا وسهلا ..

ياتلتميت مرحبه .. دا وشك والا القمر ..؟!

وقبل أن تلفت نظر السيدة فاطمة سرى الى أن وجهك أنت لا وجه القمر هو الذى يصعد السلالم ويدق الباب تكون قد فأجأتك بقولها :

ـ ياسلام .. ايه اللى خلاك تفتكرنا النهارده .. اتفضل ..

وتتفضل وقد اقتنعت قبل الجلوس بأنك أخ مجهول للسيدة فاطمة وانك مقصر صحيح وقليل الذوق ـ البعيد ـ لأنك لم تزرها منذ يوم الاثنين .

ـ هاتى قهوة يابنت ..

ويطول الحديث ولاتأتى البنت ولاتظهر رائحة القهوة أو يشتعل الوابور فتهم بالانصراف فتشدك فاطمة من ذراعك وهى تقول : ـ إخص عليك .. بقى تقوم من غير ما تشرب قهوة .. فين القهوة يابنت !!..

وتجلس ساعة أو نصف ساعة تسمع فيها آخر أنباء « محمد » وقضاياه ، ومحمد هو الاستاذ محمد شعراوى زوج فاطمة سرى سابقا ، والذى بفضله أو بفضل زواجه من فاطمة أصبحت فاطمة حجة فى عالم القضاء الشرعى تعرف من الفتاوى واقوال الشافعى وابن حنبل أكثر مما يعرفه مولانا الشيخ الظواهرى شيخ الأزهر اللاصق بالصحن ..!

وقد تخرج بعد ساعتين و « أم حسين » لم تكن وجدت بعد علبة الكبريت لتشعل النار على القهوة ، أو لم توفق فى البحث عن علبة البن أو السكر السانترفيش ..!

ولاتكاد تخطو عتبة بيت السيدة فاطمة رشدى حتى تفوز بلقب « توتو » وان كنت عدوا قديما لسارة برنارد الشرق التى تقبل عليك وتحييك وتحدثك فى كافة المواضيع ماعدا المسرح والتمثيل ..

وقد تكون فاطمة على موعد ، أو خارجة للذهاب الى المسرح فتقف وتمد يدها تحيى توتو وتدعوه الى أن يزورها فى وقت تانى أحسن عندى ميعاد .. أوريفوار ياحبوب !!

أما السيدة زينب صدقى فبساط زيارتها أحمدى ممدود على أقصى أطرافه ، يدق جرس باب الشقة فتصيح زينب وهى فى سريرها :

ـ افتحى الباب يا أم محمد ..

وتفتح أم محمد الباب وتدخلك الى الصالون ولو كنت غريبا لم ترك من قبل مرة واحدة .. والغريب هو الذى يقبل دخول الصالون ..

وعندئذ تخرج زينب لتفاجىء الزائر الغريب بـ :

ـ مين حضرتك ..؟! عاوز إيه ..؟! تعرفني ... أعرفك .. جاى تزورنى علشان إيه ..؟! شيء بارد صحيح ...!

ويجب أن يتلقى الزائر الغريب هذا الدش ومثله الى أن تحضر أم محمد القهوة لأن زينب لاتسمح لزائرها ، مهما كان وقحا ، بان يخرج قبل أن يشرب القهوة بعد أن شرب من كيعانه ..!

والزائر غير الغريب يحمل عادة لقب « أخ » وأخوة زينب كثيرون من سوء الحظ ، حظها هى ، لأنها لاترى فيهم أخا « فالحا » يعرف كيف يشترى لأخته حبة « نقل » أو يفتكرها فى رمضان بلفة قمر الدين ..

وهؤلاء الأخوة الخيبانين يباح لهم حق الدخول الى حيث تكون زينب .. فى غرفة النوم أو فى قاعة الطعام أو فى المطبخ .. ولهم حق الدعبسة هنا وهناك وأكل ما يمكن أكله من الحلوى أو الخضار المسلوق .. !

والبيت بيتك يا عمر ... !

والويل للصديق الذى يزور السيدة فتحية أحمد فى وقت قريب من الوقت الذى تتناول طعامها فيه .. ومطربة القطرين تتناول الغداء فى الساعة الرابعة إذا سعفتها همة الطباخ ونشاط زوجها سيماعين بيه .

وكنت تدخل بيت السيدة فتحية فتقابلك خادمتها « حبق » وتدخلك الصالون ثم تجلس الى جوارك لتحدثك عن آخر فصل من فصول الخصام الذى يقوم دائماً بين فتحية وخادمتها وقد انعدم بينهما التكليف .

وقد تدخل فتحية اثناء الحديث فتجلس هى الاخرى فى جوارك لتصحح الوقائع التى تذكرها حبق وترميها بالكذب والتحريف فاذا احتجت حبق أمرتها سيدتها بأن تفز وتقوم تعمل قهوة ..

أما اذا نجا الزائر من قهوة فتحية وبنها الرخيص ودعى الى تناول الطعام فإنه يشاهد عجباً بين الصحون ... أطباق كبيرة تقدم فيها قطع اللحم التى لايقل وزن القطعة منها عن رطلين .. وبين والنبى تاخد دى .. واخص عليك ما تكسفش ايدى ، يقوم الزائر وفى بطنه ربع خروف ... اذ طعام مائدة فتحية أحمد لحم كله مع خضار قليل ...

كان هذا فيما مضى أما الآن ... فألف رحمة ونور على أيام زمان .. !!

ومادام الحديث عن الفن فإننا نذكر ان اعلانات آخر ساعة عن الأفلام والمسرحيات كانت تتصف بخفة الظل بحيث يقبل عليها المرء ويقرؤها حتى نهايتها دون ان يتبين انها اعلانات وفى ذلك مافيه من النجاح ، تحريريا واعلانيا .

وتختار اعلانا قصيرا عن فيلم شجرة الدر للسيدة آسيا نشرته اخر ساعة .

اما رواية آسيا الجديدة : « شجرة الدر » فقد أصبح يعرفها سكان القارات الخمس ... ولا يجهلها إلا الذى أسفت آسيا على حياته الفارغة أى أنه مات دون ان يسمع عنها شيئاً أو ينتظر قليلا ريثما يشاهدها على الشاشة ـ البيضاء بالطبع ـ ثم يموت بعد ذلك راضياً مرضياً ..

وآسيا الآن تحدث الإنس والجن بأنها تستعد استعداداً يفوق بكثير استعداد الجيوش والاساطيل فى هذه الايام .. بل ويضربه ضرباً مبرحاً على رأسه قبل عينيه الاثنتين !!

ولا تكتفى آسيا بذلك بل تنادى فى الخافقين ... وفى السماء والارض بأن ـ روايتها « شجرة الدر » ستفتح بها عكاء ـ مع نطق الهمزة بالمليان على قدر الامكان ـ وانها بحول الله وقوته ستكون أعظم رواية رآها انسان عنده نظر ... وأغلب الناس ليس عندهم نظر !

وان صغار التلامذة ابتدأوا من الآن يرسلون التعريفة تلو التعريفة لتحجز لهم آسيا مقاعد فى الصفوف الامامية ليشاهدوها .

وان الشركات الامريكية يكاد يقتلها الغيظ والخوف على مركزها العالمى من احمة شركة لوتس فيلم وصاحبة لوتس فيلم الحسناء وخصوصاً بعد هذه الضربة امدة التى تلقاها اصحابها من آسيا أثر القرار الخطير الذى اتخذته باعتمادها ائياً على عيونها الساحرة وعلى الاستاذ احمد جلال فى اخراج « شجرة الدر » ! .

الى هناويس !

ولكن آسيا تقول اذا كنت عرفت شيئاً فقد غابت عنك أشياء ..

وهذه الأشياء .. ؟

لايمكن التصريح بها بمثل هذه السهولة لأنها أخطر مما يتبادر الى بعض هان كما يقول المقطم ولا يمكن الاشارة اليها حتى ولا بغمزة عين .

وكل ما يصرح به مجلس ادارة آسيا الآن هو أن المفاوضات سائرة فى مجراها عى لوضع المشروع موضع التنفيذ فى القريب العاجل ! ؟ ..

ثم يبقى بعد ذلك ـ لكى نختم الحديث عن الفن فى اخر ساعة فى مرحلتها الأولى لى موضوع لطيف فى العدد (٢٦) بعنوان : زوج السيدة منيرة المهدية يتولى ى العجبين وقد جاء فى ذلك الموضوع :

لما قرأنا فى الصحف أن شارلى شابلن يتلقى ألف وأربعمائة خطاب فى اليوم ، ين ديتريش يصلها يومياً تسعمائة تسعة وأربعين خطاباً غير الكارت بوستال .

أما كلارك جابل فحدث ولا حرج عن الخطابات التى تصله من أطراف العالم ... ثم تنشر الصحيفة الرد لكلارك جابل وبجانبه جبل كجبل المقطم مثلا وتكتب تحتها « كلارك جابل وبجانبه بريد الصباح !! »

وكثيراً ما سنَّحت وسرحت وأنا أقرأ هذه الأخبار ، وكثيراً ما ساءات نفسي عن نصيب كواكبنا ونجومنا من بريد الصباح وبريد المساء !! ...

يعتبر الاستاذ عزيز عيد أكثر نجومنا حظاً فى تلقى مئات الرسائل ! ..

وتمتاز رسائل عزيز عيد عن الرسائل التى تصل جوان كرافورد أو جريتا جاربو أو جون باريمور بأنها رسائل موصى عليها !

وليست هذه الرسائل من معجبين أو معجبات ، بل هى رسائل من الجزار والبقال وصاحب البيت والترزى والمكوجى وغيرهم من أصحاب الصناعات الوطنية التى يقدرها الاستاذ عزيز عيد حق قدرها ويعامل أصحابها على قاعدة الحساب يوم الحساب !

ومن بين مراسلى عزيز عيد رجل مثابر على الكتابة اليه فى أول يوم من كل شهر يذكره بأن الله حق ! وأن الدين هم بالليل ومذلة بالنهار ! ثم يرجوه أن يختشى بأه ويدفع الثلاثة جنيهات التى اقترضها منه سنة ١٩١٢ يوم أراد تأليف فرقة للتمثيل فى تياترو قنطرة الدكة !!

وقد مضى على هذا الرجل إثنان وعشرون عاما وهو مواظب على عكننة عزيز عيد فى أول كل شهر لعل وعسى يدفع الثلاثة جنيهات ، وبحسبة بسيطة أقل تعقيداً من حسبة برما ، تستطيع أن تعرف أن هذا المغفل ـ الراسل وليس عزيز عيد طبعا ـ قد أنفق أكثر من أربعة جنيهات فى إرسال تلك الخطابات المسجلة !! .

والاستاذ يوسف وهبى يقرأ رسائله بنفسه ، ولكنه لا يرد عليها بل يكلف سكرتيره بالرد عليها ..

أما اذا كان المرسل آنسة أو سيدة فان يوسف يخفى الخطاب حتى لا يراه العواذل ! ..

ويقول يوسف إن الخطابات التى تصله مكتوبة بمختلف اللغات : الحية والميته ... !

وليوسف بعض معجبات إيطاليات يعتقدن حتى اليوم أنه من سلالة رمسيس فرعون مصر بحق وحقيق ... وهات يا رسائل غرامية عن محبكم داب وانتم لم دريتوبه ، وأنه أرسل لكم ، ياسنيور يوسف مع كوريرى الصبح مكتوبه !!

وكانت سيدة فرنسية ـ يقول يوسف انها كونتس وأبوها دوق وزوجها سفير

لفرنسا فى إحدى الدول العظمى سابقا ـ يقول يوسف إن هذه السيدة كانت معجبة بتمثيله العربى ، وكانت تبعث له برسائل تقع الواحدة منها فى عشرين صفحة عن الغرام ورأى ادمون روستان فى الحب الشريف والفرق بين الحب الشريف والحب المش شريف . .

وكان المسيو ادمون تويما يتولى الرد على هذه الرسائل بأسلوب فرنسى فصيح ثم يترك ليوسف فضل الامضاء !! ...

واكتشف يوسف أن السيدة الفرنسية تكتفى بابداء اعجابها تحريرا ! ولما كان يوسف من أنصار الاعجاب الشفوى فقد اكتفى بما تقدم ، ورضى من الغنيمة بالاياب !!

وللسيدة زينب صدقى باع طويل فى تلقى الرسائل من مختلف أنحاء القطر ، وكثيراً ما تمنت زينب على الله ولا يكتر على الله لو أن كل معجب أرسل مع خطابه ورقة بوستة من فئة خمسة مليمات ، فانه لو فعل ذلك لاجتمعت لزينب ثروة كبيرة تكفل لها قضاء باقى العمر الطويل السعيد إن شاء الله فى الراحة وصالح الأعمال ! ...

ولزينب معجبون فى مشارق الدنيا ومغاربها فلها معجب فى مدينة عدن و بعو يبعث اليها بخطابات غرامية ذات أسلوب فخم ضخم ، واعتادت زينب أن تحيل هذه المكاتبات ، أولا بأول ، على وحيد بك الأيوبى لترجمتها الى اللغة العربية الفصحى ، وتعتقد زينب أن اللغة العامية هى الفصحى ! أما اللغة التى اعتمدها سيبويه ونفطويه فتسميها لغة اللى ما بيفهموش !!

ولما كانت السيدة فاطمة رشدى تتمتع بلقب صديقّة الطلبة كانت تصلها باستمرار رسائل أصدقائها الطلبة على ورق الكراريس وقد كتبوا سطراً وتركوا سطراً تماماً كما يفعلون فى كراسات الانشاء !! ..

وكان يتولى الرد على هذه الرسائل الاستاذ ابراهيم يونس وهو الاستاذ الرابع عشر للسيدة فاطمة رشدى ، وأذكر أنى كنت فى السنة الثالثة بالمدرسة الخديوية وكنت أحب السيدة فاطمة رشدى من بعيد لبعيد ...

وفى يوم من الأيام أرسلت لها خطاباً يفيض بالهوى والشباب والأمل المفقود ! ..

وفى اليوم التالى تلقيت الرد بخط يد وأسلوب أكثر بلاغة من اسلوبى .

وفرحت بالخطاب وحملته الى المدرسة وأخرجته من جيبى أمام الزملاء وأنا فخور بالصلة الغرامية الجديدة التى بينى وبين سارة برنار الشرق !

واذا بجميع طلبة الفصل ـ وكانوا يحبون فاطمة ايضاً ـ يخرجون من جيوبهم التى بجوار القلب ظروفا تحمل نفس اللون وذات الخطاب و ... نفس الكلام الذى حسبت اننى قد فزت به دون سائر التلاميذ !

واتضح بعدئذ أن فاطمة رشدى كلفت نساخا بان يرد على جميع المعجبين دون أن تفطن الى ان المعجبين كلهم فى فصل واحد وفى سنة دراسية واحدة !!

اما السيدة منيرة المهدية فتصلها يوميا عدة خطابات غرامية ، والمرسل يكتفى عادة بالخطاب الأول ولايعود للمراسلة مرة اخرى .

ذلك لان الذى يستلم خطابات المعجبين هو الوجيه ابراهيم كمال زوج السيدة ..

وفى اليوم التالى يذهب الوجيه ابراهيم الى صاحب العنوان ويرد على خطابه بعلقة حامية تشفيه من الغرام بالسيدة منيرة المهدية على الخصوص ومن الغرام كله على العموم !! ..

وقد كان فى مقدمة الموضوعات التى أغضبت الكثيرين والكثيرات من آخر ساعة فى عددها الثالث ، الموضوع الذى نشرته للآنسة امينة السعيد عن حمام السيدات فى سان ستفانو ولأهمية الموضوع الذى اثار الكثير من الاعتراضات نقله بنصه ... ونصه :

كان حمام السيدات فى سان ستفانو فى الاعوام الماضية معرضا لاجسام سيدات وآنسات الطبقة الراقية وأحدث الازياء فى ألوان الصدر والظهر والذراعين واستدارة العنق والفخذين وكم سنتيمتراً يجب ان تكون ؟

ثم كان أن قفز شاطىء ستانلى باى على قدميه يطالب بنصيبه من المعصية وقلة الحياء ..

وألقت شواطىء سيدى بشر وجلمونوبلو والمكس دلوها فى الدلاء .. وأمسى وأصبح واذا به مقفر الا من سيدات وآنسات الاسرات المحافظة التى ترافقها دائما الدادة وتشرف عليها ظلال الاغوات ..

وكذلك كبشة من سيدات الوزن الثقيل وسيدات ما فوق الخامسة والاربعين ، يشجعهن على الظهور بملابس الاستحمام وإثارة خواطر الذوق السليم علمهن بأن قانون العقوبات خلو من مادة أو مواد تنص على عقاب المذنبة منهن بالاعدام !

ودخلت حمام السيدات فى يوم الاحد الماضى بعد أن مررت فى طريقى بالشاب الوجيه عباس عمرو نجل مليونير الصعيد المجهول السيد أحمد عمرو باشا وقد اتخذ له « مرصدا » بجوار كشك عم محمد بائع الكازوزة وأمسك بيده نظارة معظمة تقرب له ما بعد من صدور وأفخاذ التقى والورع فى حمام السيدات !

ثم دخلت الحمام وكان أول من رأيت هما الآنستين كريمتى سيف الله باشا يسرى ، وكانتا « تأبان » وتغطسان وتأكلان من « باكو » شوكولاته بنشاط عجيب

وفى ركن من أركان الحمام ، جلست السيدة الفاضلة حرم سعادة صادق يونس

باشا وكيل وزارة الداخلية وكريمتها ويحيط بهما كل من ـ مع حفظ ألقاب تيزة وأبلة وهانم ـ حرم محمد على علوبة باشا وكلثوم الدرملى وحرم الدكتور محمد صالح شقيق سعادة يونس باشا صالح .

وقالت حرم الدكتور صالح لحرم صادق يونس باشا ان اسم الباشا بتاعك يشبه اسم الباشا بتاعنا وان هذا الشبه كثيرا ما يسبب لخطبة و .. ـ والجمعة اللى فاتت بس أرسل لنا محل جروبى الحلوانى طرد حلويات ... وافتكرناها هدية من محسن ابن حلال أو فاعل خير ، وأكلناها ... وبعدما اكلناها عرفنا ان الحلويات كانت مرسلة لبيت صادق باشا يونس مش يونس باشا صالح .

وأمنت السيدات على أنها حاجة تلخبط صحيح .

أما حرم صادق باشا يونس المجنى عليه والمعتدى على حلواه فقد حدجت المتكلمة بزغرة رقيقة وقالت :

ـ بالشفا والعافية .. واللى فى بطنك ياهانم برضه فى بطننا !

ولكن واحدة من الحاضرات لم تؤمن ببراءة هذا الدعاء !

وفجأة دوى صراخ سيكا من « الكابين » المجاور ثم ظهر أن الآنسة كريمة عبد اللطيف بك عبد الرازق فى مناقشة عاصفة مع عدد اثنين من الدادات ..

داده زينب تصر على أن تنزل الآنسة مباشرة الى البحر وأن لاتجلس بلباس الحمام خوفا من البرد والزكام ..

والآنسة وتؤيدها الدادة رقم ٢ تطلب ان يسمح لها بالقيام باستعراض لباس الحمام الجديد وإغاظة أكبر عدد ممكن من صديقاتها الموجودات فى الحمام .

وفى الناحية اليسرى من الحمام جلست حرم صاحب السعادة مراد محسن باشا وكانت مرتدية فستانا اصفر اللون وعليه « مانتو » أسود وعلى وجهها « تول » أسود رقيق ..

جلست تصغى لشكوى سيدة صديقة ثم قالت :

ـ يوه ، ما هو الحق عليكى يا ... هانم ! والله لو كنت منك ما كنت أسمح له بالسهر من غير إذنى أبداً ... أو رجلى على رجله مطرح ما يروح أروح معاه ...

ولما كان الحديث شخصياً فقد اكتفينا بهذه العبارة وهذه النصيحة وكان الله فى عون الأزواج !

ومرت أمامى سيدة قطر خصرها ١٨٠ سنتيمتراً ولم استطع إلا أن أضحك ، وهنا وقفت السيدة تصب على نظراتها القاسية وتقول :

ـ يا روحى ماتفرحيش بنفسك قوى !

انا قبل ما أتزوج كنت أنحف منك ... وانتظرى لما تبقى تجوزى ويبقى عندك زى ما عندى دلوقت خمسة من العيال ..

وتنشر اخر ساعة فى العدد التالى ـ اى العدد الرابع ـ توضيحا تقول فيه :

نشرت هذه المجلة فى عددها الصادر فى الاسبوع الماضى مقالا عنوانه (حمام السيدات فى سان ستفانو) رأى فيه من يهمهم الامر بعض ما لايليق نشره .

ونقول نحن إننا لم نقصد الى المساس لابحرمة الآداب ولا بحرمة الاشخاص . وان الاسماء الكريمة التى ذكرناها فى المقال احيطت بكل ما يفهم منه معنى الاحترام .

بل ومهدنا للمقال بان حمام السيدات فى سان ستفانو قد أصبحت زيارته قاصرة على سيدات الاسرات المحافظة أى الاسرات التى لاتزال تنزل على حكم الفضيلة والآداب فكيف يستقيم هذا المعنى الصريح مع تهمة المساس بالآداب ؟!

وعلى كل حال فنحن نعتذر لحضرات من وردت أسماؤهن فى المقال راجين ان يجدن فى كلمتنا هذه مايزيل أى سوء فهم علق بالاذهان .

واشير هنا الى بعض الموضوعات الخفيفة التى نشرتها آخر ساعة فى تلك المرحلة ونختار موضوعين احدهما عن اضراب مشاهير الكتاب والصحفيين عن الزواج ، ثانيها عن اول مقال كتبه كل من طه حسين وانطون الجميل ، وحفنى محمود والصاوى محمد وقد جاء فى الموضوع الاول وقد نشر فى العدد ١٦ .

الصحفيون المتزوجون اقلية . والاغلبية حتى اليوم هى للصحفيين « العزَّاب » الذين لم يتزوجوا ابدا .. او تزوجوا مرة ثم طلقوا أو ترملوا ولم يفكروا بعدها فى اكمال دينهم من جديد .

ولا يرجع سبب اضرابهم عن الزواج الى ان قلوبهم قدت من حجر ، أو الى ان عنوانهم مجهول لدى « كيوبيد » لان منهم من احب ومن تغنى بالهوى والشباب والامل المفقود ! .. وبينهم من يحب فى كل يوم ، ومنهم من يحب ثلاثة او اربعة فى « نفس » واحد ! .. ويبكى حبيباته بالجملة وبالقطاعى !

ولكن لكل منهم سببا خاصا سوف نجده فيما يلى وندرك منه لماذا اساتذة الصحافة فى مصر قد اضربوا اليوم الاضراب التام عن الزواج الزؤام !

ولقد رأيت من واجبى ـ وأنا رجل متزوج ومن انصار الزواج ... ولاحظ هنا ان زوجتى الفاضلة من المدمنات على قراءة مجلة آخر ساعة ـ رأيت من واجبى ان اسأل زملائى الكبار عن سبب امتناعهم عن الزواج وان اجادلهم بالتى هى أحسن لعلى افوز بزوج منهم لشقيقة زوجتى التى تتوعدنى دائما بحساب الله وتؤكد ان فى رأس قائمة ذنوبى فى اليوم الآخر ... أننى لم أجد لشقيقتها زوجا حتى اليوم !

واردت أن ابدأ بأمير الشعراء الاستاذ عباس العقاد . ولكن مواعيد الاستاذ لا تتفق مع مواعيد رجل متزوج مثلى . فالاستاذ لا يغادر داره الا فى المساء لكى يذهب الى مكتبه فى جريدة الجهاد .. والمساء هو دائما الوقت الذى تجلس فيه زوجتى الى النافذة ترقب الطريق .. وفى فمها احاديث من الزجر والنصح والزراية والاستخفاف ... وفى متناول يدها شبشب له كعب قابل للتجديد لانه لايكل ولايمل ولايدوب !! ..

وتناولت سماعة التليفون وعرضت على الاستاذ العقاد ظروفى هذه ، ورضى حضرته أن اوجه اسئلتى اليه بالتليفون .

ودار الحديث . وسألته لماذا لم تتزوج حتى اليوم وقد جاوزت سن الاربعين !

وسكت الاستاذ لحظة ثم قال إن سبب احجامه عن الزواج يرجع الى الحالة السياسية التى لازمت مصر منذ سنوات والى تعرضه فى كل وقت لان يصاب بأمور قد لا يتحملها الرجل المتزوج .

وقال الاستاذ .. (ثم ان الزواج يحد من حريتى كرجل يشتغل بالكتابة والتاليف . فأنا مثلا اقضى ساعات كثيرة من النهار بين القراءة والتأليف ، بينما هناك واجبات كثيرة على الزوج ، ومن كان فى مثل حالتى لايستطيع أداء هذه الواجبات .)

قلت ... بس كده ؟

– هذه هى الأسباب الهامة .

– وما هى الاسباب غير الهامة يا أستاذ ؟

وتفضل أمير الشعراء وأعلن إعجابه بتلامتى المعدومة النظير ، وشكرته أنا على حسن ظنه بى وأكدت له أن هذه التلامة هبة من الله يهبها لمن يشاء من عباده محررى مجلة آخر ساعة الغراء !

وأجاب الأستاذ على سؤالى فقال إن الاسباب غير الهامة ترجع الى أن اختيار الزوجة أمر شاق ، فعلى الراغب فى الزواج أن يبحث عن « نوع الزوجة التى يريدها ، ومن أى طبقة تكون ، ومن أيه طائفة ، وهل تكون من بنات المدن أو من بنات الريف ...

قلت : ولما كنت شابا يا أستاذ ، هل كانت لديك موانع منشأها الحالة السياسية ؟

أجاب : قبل قيام الحالة السياسية التى تذكرها ، كانت سنى لا تسمح لى بالزواج . ثم أصبت بمرض جعلنى الهو به عن فكرة الزواج ، لما شفيت منه وجدت فى السياسة وفى التأليف ما شغلنى عن الزواج .

وطلبت جريدة الاهرام وكان فى نيتى أن ابدأ فأوجه سؤالى الى رئيس تحريرها الفاضل الاستاذ أنطون بك الجميل ، ولكن عامل التليفون – جريا على العادة – أحالنى

الى سكرتير التحرير صديقى الصحفى الكبير الاستاذ محمود أبو الفتح الذى يعتبر فى مصر « أستاذاً » بحق وحقيق فى استقصاء الأخبار .

والقيت السؤال على الاستاذ كما يلقى المرء طوبة على عابر سبيل ! .. شايف التشبيه ؟ !

وتمهل صديقنا فى الرد ، وأدركت أنا أن الاستاذ مشغول بتركيز « المونوكل » واستكمال عوامل الأبهة قبل أن يجيب على سؤالى الخطير !

وقال الأستاذ .. إننى أعمل فى جريدة صباحية .. ومعنى هذا أن عملى هو بالليل والعمل الليلى والزواج لا يتفقان . وأنا أعتقد ان الزوج يجب أن يكرس اكبر وقت ممكن لزوجته .. ونحن معشر الصحفيين الذين تحت السلاح ..

ـ بعيد الشر يا أستاذ ..

ـ أقصد الذين يشتغلون بالصحافة من صباحة ربنا الى الساعة الثانية أو الثالثة بعد منتصف الليل ، فهؤلاء لا يصلحون للزواج .

ـ يعنى مش ناوى تتزوج أبداً ؟

واجاب الاستاذ .. لأ . واليوم الذى أفكر فيه فى الزواج يكون اليوم الذى أقرر فيه أن أعتزل الصحافة .. أو على الأصح الصحافة الليلية .

ـ بنسوار يا أستاذ ...

ـ بنسوار يا أخ !

حادثت زميلى العزيز الاستاذ فكرى أباظة وسألته عن صحة الخبر الذى نشرته إحدى الصحف وقالت فيه إنه قد اعتزل الزواج ؟

وأجاب الاستاذ : ـ لأ مش صحيح .. ولا أساس له من الصحة على الإطلاق ، ولم اكن فى يوم من الايام أعزب مما أنا الآن !

قلت : ولكن الحكومة لم تكذب الخبر ببلاغ رسمى حتى الآن ؟

ـ عجيبة ! كيف لم تكذبه ؟ مع أنه خبر مثير للخواطر ومكدر لسلمى العام أنا !

ـ طيب وما سبب اضرابك عن الزواج حتى الآن ؟

ـ السبب هو أنى تعودت منذ ١٧ سنة الى الآن على الحياة « البوهيمية » يعنى الحرية المطلقة ـ وحياتى هذه جعلتنى لا أفكر فى الزواج .. ثم هناك تحقيقات النيابة ، وأنا كما تعرف بين المرشحين اليوم لسجن قره ميدان .. وهذا كله يجعلنى لا أفكر فى الزواج .

ـ وهل تتجوز اذا ساد ت حرية الصحافة فى مصر ؟

ـ والله أتجوز ..

ـ طيب بوس لنا الست !

ـ الست مين ؟

ـ الجاسوسة الحسناء ...

ـ إخرس ! .. دى انسة يا واد ..

ـ لا مؤاخذة .. غلطة مطبعية يا أستاذ !

وبعدها ..

ـ ألو . الاستاذ التابعى موجود ؟

ـ مين عايزة ؟

ـ أنا المندوب ..

وانفجر الاستاذ فى سماعة التليفون ..

ـ انت فين يا .. (رجونا عمال المطبعة فى عدم جمع العبارات المذكورة !) .. فين الاصول ؟ وبقية الاخبار .. مقطوع منك شهر !

ـ طيب لماذا لم تتزوج حتى اليوم ؟

وقال زميلنا الاستاذ التابعى ..

ـ لما كنت فى سن الزواج لم أجد التى ترضى بى زوجا ..

ـ طيب والآن ..

ـ .. والآن أخشى إن تزوجت أن يقال عنى .. بعد ما شاب ودوه الكتاب !

قلت له وانا استغفر الله عن نفاقى ..

ـ العفو يا أستاذ شاب ايه وكلام ايه اللى بتقوله ؟ وانت لسه فى عز شباب الشباب ..

وضمنت عدم قطع شهر من مرتبى .

وقال الأستاذ ..

ـ ولا تنس ايضا عايش على كف عفريت .. يوم فى لوكاندة وندرسور بلاس ويوم فى قره ميدان كازينو اوتيل ، ولا أظن مصلحة السجون توافق على تخصيص جناح خاص لى ولمدام تابعى .. اروفوار بأه ، أحسن أعصابى تعبانة دلوقت !

ـ ان شاء الله دايما ..

وهنا رمى الاستاذ بسماعة التليفون فى وجهى لأن بينى وبينه ـ كما لا يعرف القراء ـ مفيش تكاليف !

أما الموضوع الآخر الخاص بأول مقال فقد نشر فى العدد ١٦ من مجلة آخر ساعة ، وعلى هذا النحو !

كنت اقلب فى أوراق قديمة حين عثرت بينها على مقال لى مملوء بخطوط القلم الأمر وعلامات الاستفهام ! وأحسست بحنين عجيب الى هذا المقال .. فقد كان مقالى البكر !

وقد يعجب القراء اذا قلت لهم إن أول مقال لى كان ـ كده خبط لزق ـ افتتاحية لاحدى المجلات التى انتقلت الى رحمة الله .. فقد قدمنى صديق خبيث الى صاحب تلك المجلة على أننى أديب كبير يشار الى بالبنان !

وكان صاحب تلك المجلة رجلا ساذجا فيما يظهر لانه طلب من الأديب الكبير ـ اللى هوه انا ـ أن أكتب له افتتاحية العدد الأول !

وكانت ورطة اضطرتني أن أقضى فى مكتبى ثلاثة أيام أحاول فيها أن اشحذ القريحة بلا جدوى .. وأخيراً وجدت أمامى مجموعة لمجلة دينية قديمة فسرقت إحدى افتتاحياتها وناولتها لصاحب الجريدة بعد أن أجريت فيها شيئا من التعديل ! .. وكان هذا ـ ولافخر ـ مقالى البكر ! ..

وقد دفعتنى هذه الذكرى الى سؤال الزملاء الكبار عن مقالهم البكر وعن اهم مقال لهم ..

وقال لى الدكتور طه حسين إن مقاله الأول لم ينشر ! .. ذلك أن المرحوم الشيخ حسونة شيخ الازهر سابقا كان فصل الدكتور طه من الازهر بتهمة الكفر والإلحاد وتضايق الدكتور طه من هذه التهمة الكاذبة فكتب مقالا تكلم فيه عن سنسفيل جدود الشيخ حسونة ، ثم حمل المقال الى الاستاذ لطفى السيد بك رئيس تحرير الجريدة . وكان موجودا معه فى مكتبه فى ذلك الوقت حسن بك صبرى وزير المالية الآن ، ومفتش العلوم الحديثة بالازهر . وقرأ اثنان المقال فوجداه شديد اللهجة فاعتذرا عن نشره .

أما أول مقال نشر له فكان فى جريدة مصر الفتاة ـ التى كان يصدرها المرحوم سيد على صاحب النظام ـ وكان هذا المقال فى انتقاد إسئلة امتحان اللغة العربية فى البكالوريا ! ..

وسألت الدكتور طه عن رأيه فى هذا المقال الأول الذى نشر .

فقال : مؤكد سخيف وبايخ وحاجة تكسف !

ـ والذى لم ينشر ؟ ..

ـ لا .. كان مقالى الفطيس هذا مدهشا .. ولا أخجل من نشره اليوم !

ـ وما هو أهم مقال كتبته ؟

ـ أنا اعددت أن أحتقر كل ما أكتبه ..

ـ وما هو المقال الذى كان احتقارك أقل من سواه ؟

ـ ما اعرفش !

وشكرت زميلنا الكبير على تفضله بالاجابة .

وذهبت الى جريدة الاهرام لأقابل أنطون بك الجميل رئيس تحريرها .

والقيت سؤالى عليه فمر بيده على جبهته وكأنه يمسح التراب من على ذكريات قديمة ! .. ثم قال :

ـ إن أول ما نشرت كان باللغة الفرنسية وهو أبيات من الشعر نظمتها وارسلتها الى مجلة صغيرة بباريس .. ارسلتها وبت اترقب وصول البريد فى الاسبوع التالى ! . ولا تسأل عن فرحى عندما تلقيت العدد وقصيدتى منشورة فيه .. حملت ذلك العدد فى جيبى بضعة أيام ، وأنا على أتم استعداد لإخراجه وقراءة القصيدة (العصماء) لمن يشاء ! وظللت ذلك الشهر وأنا اعتقد أن لا حديث لدوائر الادب الافرنجى ـ مش الفرنسى بس ـ الا تلك المنظومة الرائعة التى جادت بها قريحتى ! .. ولقد فقدت الشىء الكثير مما كتبت بعد ذلك ، ولكن تلك الابيات محفوظة عندى ، فقد قطعتها من المجلة والصقتها فى دفتر كنت أجمع فيه ما أكتب .

وأما أول مانشرته باللغة العربية فى جريدة سيارة فكان خطابا موضوعه(البحر المتوسط والتمدن) تناولت فيه مدنيات الشعوب التى قامت على سواحل هذا البحر من المصريين الى الفينيقيين الى الاغريق الى الرومان إلى العرب . وارسلت نسخة من هذا الخطاب الى (الأهرام) فتفضلت على بنشره كاملا . فكان ابتهاجى عظيما !! وتسألنى عن أهم مقالة كتبتها ؟ وهذا ما لاعرف الجواب عنه فقد نكتب المقالة اليوم ونعتقد أن لها صدى بعيدا فاذا بها فى اليوم التالى فقدت أهميتها . فمقالات الصحف كالأمواج تدفع الواحدة ماتقدمها !

ثم قابلت الاستاذ حفنى بك محمود رئيس تحرير السياسة أسأله عن مقاله البكر ... وقال حفنى بك إنه كتب أول مقال له فى سنة ١٩٠٧ ـ وطلب منى ألا أذكر العام لكى لايشمت فيه العواذل الجالسون بالمرصاد يحسبون عمره وكم يكون !ـ فقد أرسلت مقالا إلى جريدة الأحرار التى كان يصدرها السيد محمد وحيد الايوبى بك لسانا للحزب الذى كان هو رئيسه ووكيله وأعضاؤه ..

.. وقد أمضيت المقالة باسم (محمد خليفة) وهو خادم كان يحضر لنا البريد فى بلدتنا ساحل سليم !!

وكم كانت دهشتى لما رأيت المقالة فى الجريدة وقد كتب تحت عنوانها (بقلم الوجيه الامثل والسرى المعروف محمد بك خليفة من أعيان ساحل سليم) وهذا هو أهم مقال كتبته !

وذهبت الى الاستاذ الصاوى فى « شقته » الفنية بميدان الاسماعيلية ، وما

كدت القى عليه سؤالى حتى اغض عينيه وسكت . .. فظننت أنه أغمى عليه من سخافة السؤال ! ولكن علمت أنه كان يتذكر !! ... الى أن قال :

أما أول مقال لى ، اذا كانت الذاكرة تصدقنى ولاتخون بعد تسعة عشر عاما ، فقد كان أول دخولى المدرسة السعيدية الثانوية ... وكان للمدرسة مجلة سنوية أعلنت بين جميع الطلبة عن مسابقة فى موضوعات معينة اذكر منها (يتيم بائس) و(وصف النيل ابان فيضانه) . وقد اخترت لنفسى الموضوع الاول ثم علمت أن صديقا اختار الكتابة فيه ، فأخذت الموضوع الثانى وقدمت فيه مقالى . ولم يكن المقال انشائيا تافها كماقد يتبادر الان إلى الذهن بل كان فيه شعور صادق وخيال لابأس به ـ ياسلام على التواضع ـ لانه كان لنا فى الصعيد بعض الاطيان وقد اغرقها فيضان النيل فى عام ١٩١٧ ومن هنا تدرك أننى كتبت عن خبرة وعن ... قلب محروق ! ولما صدرت المجلة وبها المقال استكثره بعض طلبة السنة الرابعة على طالب بالسنة الاولى (يطلع من البيضة) ففاجأتهم ذات مرة وقد فتحوا درجى وراحوا يقلبون فى كراسة الانشاء للمقارنة والحكم ! ...

وكان ظهور المقال فى تلك المجلة خير مكافأة لى . وزعمت يومها أنى أسعد الناس حظا ! ولا أستطيع الحكم عليه والان لان المقال غير موجود عندى ، ولكننى سوف اتعصب له حتى ولو كان مقالا سخيفا ! إذ كيف ينكر الرجل ولده البكر ولو كان كئيبا ؟

وأما أحسن مقال كتبته ، فى زعمى . فهو قصة صغيرة مصرية اسمها (عائدة) رضى عنها بعض كرام الناس رضى حملنى على أن أضع كتابا عنوانه (تاريخ قلب) هو مجموعة أقاصيص كعائدة ! وهذا الكتاب لن يطرح للبيع لانه سيكون هدية للمشتركين فى مجلتى التى سأصدرها إن شاء الله عما قريب ... فالذى يحبنى يشترك فى مجلتى !!

قلت له : ولكننا كنا ولا نزال نعتقد أن (عائدة) قصة حقيقية ليست مؤلفة وانها تصف مرحلة من حياتك ...

وابتسم الصاوى ابتسامة خبيثة اشتركت فيها عيناه من وراء نظارته (المعظمة) واتهمنى بسوء النية وأن غرضى الوقيعة بينه وبين الجنس اللطيف وهو محاميه أمام جميع الصحف والرجال .. وقال :

ـ دع الخلق ياواد للخالق ! .. انه تاريخ قلب وحسب ... فما قلبى أنا بين القلوب ؟ !

ولعل فى مقدمة المادة الجذابة التى نشرتها آخر ساعة فى اعدادها الأولى مقتطفات من كتاب .. مرغريت ، فهمى ، التى كانت قد تزوجت الوجيه الأمثل على

فهمي كامل ، وهو غير على فهمي كامل شقيق الزعيم مصطفى كامل وعاش معه بضعة أشهر ثم نقله وقد جاء من بين تلك المقتطفات [الأعداد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥] مايلى .

يظهر أن مرغريت فهمي ـ واسمها الحقيقى ماجى مولر ـ يظهر أنها قامت « تفتش فى دفاترها القديمة » بعد أن أفلست وبعد أن خابت آمالها فى الحصول على ثروة قتيلها الشاب على كامل فهمي .... فلم تجد سوى تاريخ حياتها تبيعه لإحدى دور النشر فى فرنسا ...

ولقد ظهر فعلا هذا التاريخ الذى له حسنة واحدة على الأقل وهى الصراحة التامة ، لأن مرغريت تتحدث فيه عن عشاقها والذين أعجبوا بها كما تتحدث أية امرأة عن معارفها أو أقاربها .

وعنوان الكتاب (البرنسيس « كذا » فهمى بك الباريسية وحياتها اللامعة المفجعة) وكاتبه ـ على لسان صاحبة التاريخ ـ هو الكاتب الفرنسى ميشيل چورچ ميشيل .

وفى الكتاب المذكور أبواب فيها شيء من التسلية خصوصا لجمهور القراء المصريين وفيه تقابل أسماء معروفة لنا هنا مثل زميلنا وصديقنا الأستاذ محمود أبو الفتح المحرر بجريدة الاهرام الغراء .

وقد رأينا أن ننقل من وقت لآخر بعض أبواب الكتاب المذكور ونبدأ اليوم بالباب الذى تصف فيه مارغريت زيارتها .
الاولى لمصر بلد « المصائب » كما تسميها وكيف وقع فى غرامها المرحوم عمر سلطان باشا ولم ينقذها من الحاحه ومضايقاته سوى الجنرال شريف باشا .

كان ذلك فى أوائل الحرب العظمى فى ديسمبر ١٩١٤ ، وكانت مرغريت قد أصيبت بمرض فلما تعافت منه أشار عليها الاطباء بالذهاب الى بلد جاف الهواء . واختارت هى مصر بالرغم من نصائح أصدقائها الذين حذروها من مصر ووصفوها بأنها بلد المصائب .

نعم أرض مصائبها وأحزانها !...

فقد أغرم بها أول « برنس » وقع لها فى حياتها وهو « البرنس » عمر سلطان باشا والد الشاب الذى هو اليوم الصديق السعيد لتلك التى عرفت بمزاجها العصبى بين كواكب المسرح والسينما (تقصد جابى مورلاى) .

ولكن مرغريت كانت تنشد الهدوء والراحة ، ولشد ما كان يضايقها إلحاح هذا الشرقى العنيد . ففى كل يوم كان عمر باشا سلطان يرسل خادمه الاسود الى هذه الباريسية الوحيدة فى القاهرة يحمل الخطابات والزهور . وكان يحجز مائدته فى

مواجهة المائدة التى كانت تجلس اليها مرغريت فى مطعم الفندق ، وكان يحيط به دائما امناء سره وأصدقاؤه ومحاسبيه .

وكان الباشا لايقع بالنظر المجرد بل كان يستعمل الغمزات والاشارات المعبرة غاية التعبير ، فكان مثلا يصف بصوت مرتفع جمال هذه الفرنسية الفاتنة ثم يبتسم لها ويحلق بعدها فى السماء !

وتجاريه حاشيته فى الغمز والابتسام والتحليق فى عالم الخيال !

وكانوا يترصدونها ويتبعون خطواتها .. وكل حركة تبدو منها !

هل هى مثلا معجبة بهذه القطعة الموسيقية التى تعزفها اوركسترا الفندق .

فى هذه الحالة كان عمر باشا يرسل وراء رئيس الاوركسترا ويأمره بعزف القطعة مرة ثانية ، وهو يشير بيده اشارة معناها : « إكراما لعيون هذه المعبودة » .

وعبثا حاولت مرغريت ان تغير مائدتها ، فقد تآمر عليها جميع من فى الفندق . وهكذا كانت تجد « البرنس » دائما على مقربة منها ...

هل تتناول طعامها فى غرفتها ؟ ... ولكنها كانت بكل صعوبة تستطيع ان تجد لها طريقاً بين هدايا الزهور والرياحين التى كانت تسد الطريق امام غرفتها بل وتملأ نفس الغرفة .

وكانت مرغريت تنادى خدم الفندق وتسألهم :

ـ من أحضر هذه الزهور ؟

ـ لا نعرف يا سيدتى ..

ـ لقد سبق أن أصدرت أمرى بأن لايدخل أحد غرفتى أثناء غيابى !... إحملوا كل الزهور وأرموها خارجا ..

ولكن أمرها هذا لم يكن ينفذ حتى يحضر أغا أسود وخادمة أوربية وخادم مصرى . والثلاثة يحملون باقات أخرى من الزهور .

وأخيرا قابلت مرغريت صديقا قديما وهو « باريسى » بكل معنى الكلمة . وهو القائد التركى السابق شريف باشا .

وشريف باشا هو ابن وزير . وكان نفسه وزيرا ثم حكم عليه رجال تركيا الفتاة بالاعدام مرتين . وهو من اقارب الملك (هل تقصد جلالة الملك فؤاد ؟) لانه متزوج من اميرة مصرية .

وشريف باشا معروف فى باريس فى جميع الاوساط الراقية ومشهور بآدابه وبشاربيه الطويلين وبغرامياته ومغامراته ثم باصطبله العامر بسيارات « الرولزرويس » .

وجلست مرغريت وهى تبتسم الى مائدة واحدة مع شريف باشا وأدارت ظهرها الى البرنس عمر سلطان المغرم اللحوح .

ولكنها فجأة أبصرت شريف يشب واقفا . وارتفعت أصوات عالية غطت على صوت الموسيقى .

وذلك ان عمر باشا كان قد وقف يسب ويشتم شريف باشا . وكان هذا يرد عليه . وتبودلت قذائف السب ..

ـ بازافنج !!

ـ أنا يا ابن الـ ....؟

والفاظ لطيفة أخرى جرت العادة بتبادلها بين كبار القوم .

واخيرا خرج عمر باشا وهى يهدد .

ـ سوف تسمع منى .

واجاب شريف باشا وهو يجلس :

ـ حسنا . ربما مبارزة ! . وليست هى المرة الأولى وأرجو ان لاتكون الاخيرة .

ثم قبل يد مرغريت وهو يقول :

ـ هذا لن يمنعنا من زيارة الاسواق التى أظهرت لى رغبتك فى زيارتها .

وقمنا الى الاسواق نجول فى حواريها وأزقتها الضيقة المزدحمة بالمارة وبالحمير وببقايا الفواكه المداسة وبالذباب وبالشمس .

وصاح الحمارة :

ـ بالك !.. بالك .. خد بالك !

وهمس رجل فى أذن شريف باشا يقول خد بالك !

والتفت شريف باشا . وسألته مرغريت : ماذا يجرى ؟

ـ لاشىء . موظف من موظفى مكتبى طردته اليوم من عمله .

ولكن الموظف وضع يده فى جيبه وأخرج منه مسدسا .

وأسرعت مرغريت وحالت بين القاتل ورفيقها .

وخابت الطلقة واسرع القاتل بالهروب ولما عادت ماجى الى الفندق وجدت صورة فوتوغرافيا لشريف باشا مكتوب عليها : عربون صداقتى الاكيدة واحلامى التى لن تتغير .

وبعدها استحكمت اواصر الصداقة بين الاثنين ولما سافر شريف باشا الى الوجه القبلى سافرت وراءه مرغريت .

ولكن لما كان لكل شيء نهاية فقد عادت مرغريت الى باريس واستأنفت حياة اللهو من جديد .

.. وكان بين معارف مرغريت الجدد ، ابن هنرى ده برويتى البكر ، وله دار فخمة فى شارع غابة بولونيا بباريس ، وكان يستضيف عنده أغلب ورثة عرش انجلترا . وقد اصبحت هذه الدار فيما بعد ملكا لصاحب مصنع كتان .

وفى نفس هذه الدار اجتمع لأول مرة ادوارد السابع وليون جامبتا . وهناك أيضا سقط ولى عهد انجلترا الحالى عن جواده الخشبى بينما كان يلعب مع ابن المركيز البكر الذى قدم اليه فيماً بعد مرغريت .

وكانت مرغريت فى ذلك الوقت إمرأة فاتنة . كانت تسطع بجمالها وجواهرها ، لاتزيد سنها على ٢٢ سنة . عيناها خضراوتان ، ووجها صغير تشع منه نضارة الشباب وابتسامتها ساحرة وأسنانها كاللؤلؤ .

مد لها الأمير يده باستحياء ليصافحها ، فاحدث ذلك فى نفسها اعظم سرور . وكانت هذه المقابلة امام بار الكازينو فى مدينة دوفيل حيث قدم لها الأمير كأسا ، وكان هو فى ذلك الوقت لايشرب سوى الماء ، فاحبت مرغريت أن تجامله فارجعت الشمبانيا وهى تقول :

- وأنا ايضا لا أشرب غير الماء وعندئذ سألها الأمير .

- هل لك ان تصحبينى غدا الى نزهة فى السيارة ؟

فاحمر وجهها وانحنت أمام سموه علامة الاحترام والموافقة . وكان الامير يومئذ فى ضيافة صاحبة الجلالة والدته التى كانت تقيم على بعد مائة كيلو متر من دوفيل .

وفى صباح اليوم التالى وصلت سيارة رولز مكشوفة لتحمل مرغريت الى نورماندیا ، حيث تناولت طعام الغداء مع الأمير فى مطعم « غليوم المنتصر » . ثم ذهبا الى « كايان » - وهى غير « كان » . وفى نزهتهما الثانية ذهبا الى الناحية الاخرى من « توك » حتى وصلا الى « هونفلير » .

وكان أكثر حديثهما عن اعتدال الجو وجمال الطبيعة .. وكانت مرغريت تعود بعد النزهة الى منزلها فى حى « تيرس » .

وفى أثناء نزهتهما الأخيرة ، أخذ الأمير عنوانها ووعدها بأن يكتب اليها من ميدان القتال . وكانت كلمة الوداع التى قالها :

- والآن ، هل رفعت بيننا الكلفة ؟

وتقول مرغريت :

« وكان يكتب الى دائما وكنت ارد على رسائله . وكان يدعونى احيانا « مرجريت »

..ثان يبعث الى بأوضاع كثيرة من صوره فى ميدان القتال . امام المائدة مع الجنرال
..برس ومع كادرونا ، وفى لباسه العسكرى .. الى آخره .

وفى أول يوم كان يصل الى باريس ، كان يدعونى لتناول العشاء بصحبته .

وفى الايام الاخرى ايضا ، كنا نذهب الى المسارح ونرتاد محال اللهو ودور السينما . وكان يصحبنا احيانا ياوره « ليد » . وكثيرا ما كنت ارسل لسموه سيارتى لتكون تحت تصرفه ، او كان يحضر هو لتناول الشاى فى منزلى مع أصدقائى . وفى ذات يوم أحضر لى فونوغرافا وأداره بنفسه ودعا « سوزان دانتيس » الى الرقص .

ولكنه كان دائماً محتفظاً بشخصيته ! كان دائماً أميراً فى كل شىء .

وذات مساء دخل علىّ وعلى وجهه سيماء الكدر إذ كان قد فقد فى عربة تاكسى علبة سجائر من البلاتين أهداها اليه والده الملك بمناسبة بلوغه سن الاحدى والعشرين . ولم يجد البحث والوعد بالمكافأة فى العثور على هذا التذكار الثمين .

وعندما كان يذهب « ا » ، كما كنا نسميه ، الى ميدان القتال ، كنت أرسل اليه كتباً وشيكولاته . وعند عودته كان يحمل الىّ ألعاباً وتذكارات حربية مثل أزرار من سترات عسكرية بروسية ، وخوذات ... الخ

وكان سموه لا يشرب ولا يدخن . ولكنى لم أتمكن من أن أشفيه من عادة مسلية . وذلك أنه كان يأكل بيده اليمنى بينما يجلس على يده الأخرى ويهز نفسه وهو يتكلم الفرنسية بطلاقة وبلهجة فيها الشىء الكثير من الاغراء .

فى أول ليلة من ليالى فندق سميراميس الكبرى - وفندق سميراميس فى القاهرة لايفرق عن بقية الفنادق الفخمة التى توجد فى كل مكان إلا فى شىء واحد وهو كثرة تردد الضباط الانجليز عليه ببزاتهم الرسمية والمصريين بملابس السمو كنج وعلى رؤوسهم الطرابيش - وفى هذه الليلة كان أحد الشبان المصريين وحاشيته المحيطة به ، يعيد دور عمر باشا سلطان . كان يبتسم ، وينظر باعجاب ، ويحادث أصدقاءه ، وعيناه لاتفارقان مرغريت !

ولم يكن المغازل فى هذه المرة ماليا عجوزاً ، بل كان شابا كبيراً له طبيعة التسلط .. أسود العينين ، نشيطا ، لين الحركات . قدمّه مسيو موصيرى المالى لمرغريت بقوله :

« البرنس كامل فهمى » (كذا)
ورقصا معاً .

كانت ذراعا الأمير تضمان مرغريت ، كان يظهر شغفه بها على قدر ما تسمح له اللياقة .

ومع أن نظرته كانت ناعمة ، وابتسامته لاتفارق شفتيه ، فان دراعيه الحديديتين كانتا وكأنهما لا تريدان أن تتركا مرغريت !

وأعقب الرقصة الأولى برقصة ثانية وثالثة الى أن طلبت مرغريت أن تستريح ..

وقالت لموصيرى البنكير :

ـ يظهر أن لصديقك صفة الآمر !

ـ أجل . أتراك لاتعجبين به .. ؟

ـ أوه ! لاأعجب به ؟ ! انه جميل ، وشاب .. !

فأجابتنى سيدة جالسة معنا :

ـ وأمير أيضا وهو لا أدرى يملك كم من الملايين

ـ أوه ....

ـ ولكن حاذرى منه .

ـ أحاذر ؟ !

ـ لا استطيع أن أقول لك أكثر من ذلك .

ـ آه . ولكن يجب . مامعنى « أن أحاذر » ؟

ـ ستعرفين ..

واستفسرت مرغريت فقيل لها إن « البرنس » يتظاهر فى أحيان كثيرة بالكرم ويقدم جواهر مدهشة .. ولكنه يستعيدها فى الغد بواسطة خادمه البربرى . وانه يصطحب السيدات الى الصحراء بحجة انه يريد أن ينزههن فى ضوء القمر ، أو بدون قمر . ثم يتركهن على الرمال فى الليل ..

عندئذ بدأت مرغريت تحاذر ، رغم إغراء العيون السود والشفاه الخمرية ، وبالرغم من إرسال باقات الزهور والرسائل .

واقام « البرنس » حفلة باهرة على ظهر يخته إكراما لها ولكنها لم تلب الدعوة بل غادرت القطر المصرى بدون كلمة وداع . غير أن على فهمى لم تعزّ عليه إمرأة حتى الآن ...

وذات صباح ، بينما كانت مرغريت عائدة من نزهة خلوية على ظهر جوادها الى محل « بريكاتلان » بغابة بولونيا ، اذا بعلى فهمى يصحبه سكرتيره الأول الاستاذ محمود أبو الفتح يمد لها يده مصافحاً ، فحيته سريعا بكلمة « بونجور » وابتعدت عنه برفقة البارون ج .. الذي كان يحبها حتى الجنون .

وذات يوم بعد الظهر ، بينما كانت مرغريت منهمكة بالمطالعة ، اذا بمادلين مارتله تخاطبها بالتليفون . ومادلين هذه من أجمل نساء باريس ، جسم مديد جميل

يزينه وجه تشيع فيه النضارة ، وينبعث منه لهيب حي . وهى شقراء شعرها كخيوط من ذهب :

ـ تعالى لنأخذ الشاى معاً فى « المدريد »

ـ فأجابتها مرغريت :

ـ ... ولكنى أقرأ .

ـ ماذا ؟

ـ رواية

ـ تعالى لتعيشى فى واحدة ! سأقدم لك شابا جميلا !

ـ شكراً . لقد عشت فى روايات كثيرة . أما الرجال فقد رأيت منهم ما يكفى

ـ انك في الحقيقة تسرينني بمجيئك . لا أريد أن أكون وحيدة معه . انك تعرفينه على كل حال ...

ـ من هو ؟

ـ تعالى ... سوف لاتندمين .. امنحينى هذا السرور .. !

وقبلت مرغريت الدعوة وذهبت واذا بها أمام على فهمى وسكرتيره الذى لايفارقه .

ولم يكن هناك من داع لأن تحاذر مرغريت من « البرنس » المصرى فى باريس فكانت تتلقى زهوره اليومية وتقبل أن ترقص معه .

ولكنها لم تلبث ان غادرت باريس الى دوفيل بصحبة « استوريكا » حيث نزلت فى فندق نورماندى . وفى صباح اليوم التالى وصل على الى فندق رويال . وفى نفس الليلة حياها فى الكازينو . فردت عليه التحية ولحقت باستوريكا فى صالة اللعب .

وهنا تقول .

ـ وعندما اتجهت نحو استوريكا حيث كان جالساً على مائدة اللعب . ماذا أرى ؟ رأيته ممسكا الورق بيد ، وبيده الأخرى « ... » على فخذي جارته وقد جلست على ركبتيه !

وجمدت قبضة يدى عند ما سألنى :

ـ هل تربحين يا « شوشوت » ؟

ـ اذا كنت أربح ؟ سترى اذا كنت أربح بالمبادلة ...

وخرجت من الكازينو الى فندق نورماندى . وأمرت وصيفتى أن تعد حقائبى وأن يحملوها الى فندق رويال . والمسافة ليست طويلة بين الفندقين وحجزت غرفة وفى

صباح الغد ، عند نهوضي ، حملوا الى علبة بودرة بالبرلانت ثمنها ٣٥ الف فرنك من عند « أربيلس » . وكانت هذه أولى هدايا فهمى .. وبعد يومين سافرنا معا إلى باريس ونزلنا فى فندق ماجيستيك ، ثم الى بيارتيز ونزلنا فى فندق باليه . وفى أسبانيا نزلنا فى افخم فنادقها الممتازة .

كان بديعا !

ولكنهم قالوا لى :

ـ أجل أجل إنه بديع فى أوربا . ولكنك لا تعرفين الشرقيين ! وهذا على الخصوص . ان كلمته المختارة : « لن تنالنى النساء » . إذهبى وشاهدى رواية بيير فروندای : « المتمردة » التي يمثلونها الآن فانك ترين أن بطل فرونداى وهو سيد بحق ، لايصنع مع النساء ما صنع هو ...

ـ ولكن ماذا ؟

ـ إسألى دالبان .

ـ ماذا فعل بها ؟ هل أولدها طفلا ؟

ـ كلا . ولكنه اصطحبها الى عند « بوشرو » وجعلها تختار خاتما ثميناً ، وقبل أن يقدمه اليها فى اليوم التالى انتزع منه فصه الحقيقى ووضع مكانة فصاً مزيفاً ...

ـ أوه ! ....

ـ نعم سمعتك تقولين إن عنده ملايين . ولكن المسألة ليست مسألة مال ، انما هى فكرة « تحكم » . أو على الأصح هي تلك الفكرة المعوجة الخالدة فى التسلط على المرأة . قلت لك انه استعاد من جميع النساء ما كان قد أهداهن من حلى .

أوه ولكنه لن يفعل ذلك معى أنا!؟

يفعل ذلك معك أنت أكثر من أية إمرأة غيرك . لانك جعلته يتعذب أكثر من أية امرأة أخرى

ولكنه يريد أن يتزوج بى؟

سخرية ... أو انك اذا جعلته يضطر للوصول الى هذا الحد ، فان انتقامه سيكون بعدها أشد هولا !...

ولم أعتبر كل هذا إلا ثرثرة نساء ... ونساء حاسدات !

وعندما سافر على فى اكتوبر الى مصر . رفضت أن ألحق به .

غير انه أرسل الى بعد شهر رسالة جنونية حارة ، ويقول لى فيها إنه مشرف على الموت . وانه يود أن يقول لى كم هو يحبنى ! .

وانه سيحبنى حتى النفس الاخير حباً طاهراً مخلصاً كما كان يحب امه . وإن حبه هذا سيتضاعف أيضاً .. ولكنه لم يجسر أن يطلب منى الحضور(!) :

« .. ولكن ، الا تأتين ؟ .. الا تأتين .. ؟ لو كنت تدركين كآبتى وأحلامى . ربما يخلق مجيئك المعجزة ويشفينى .. اننى أومن بذلك .. اننى على ثقة . اذا أبرقت لى ، فسيزيد فرحى فى قوتى . وبالتأكيد سأعيش الى أن تأتى . ولتعمل عندئذ المعجزة عملها أولا .. »

وعندها لم أجد بدا من السفر فسافرت اليه ..

ماذا تريدون ؟ كنت بالرغم من كل شىء مجذوبة نحو هذا الشاب الجميل الساحر المسيطر رغم كل نعومته ..

وأول رجل رأيته عند وصولى الى الاسكندرية كان هو . قوى ومبتسم . وأمام حاشيته كانت طاقات الزهور تملأ المكان .

لم يكن عنده أى مرض ، حتى ولا زكام بسيط . وتقدم الى معتذراً يطلب عفوى . وأنبأنى أن أسرته قبلت أخيرا زواجنا . وركبنا السيارة والجميع يحيوننا . وكانت تظهر عليه السعادة وكنت أنا مأخو بهذه المفاجأة ومسرورة .

وقدمنى الى شقيقاته .. فخارت قواى . ولكنى سمعتهم يقلن لى :

ـ « كم أنت بديعة . كم أنت فاتنة . سنكون سعداء بدخولك فى أسرتنا وبأن تصبحى زوجته . هو وحيد فى العالم . وستقودينه أنت الى الطريق القويم .

كان منزله تحت تصرفى . وكان هو يلبي كل رغبة من رغباتى . الزهور تتغير فى كل الساعات . والهدايا تصل فى كل صباح .

لم يطلب منى الا شيئا واحدا ، نزولا على قانون البلاد ، ولكى لا يحرم من ثروة أقاربه الهائلة ، طلب منى أنا التى ربيت عند الراهبات أن أعتنق الاسلام .

قال لى :

ـ لن يكون ذلك الا بصورة شكلية ثم قال :

ـ ستذهبين الى الكنيسة فى كل أيام الآحاد كما فى الماضى وأكثر من الماضى ..

كان على مرغريت أن ترتد عن دينها الكاثوليكى لكى تعتنق الاسلام .

وكانت تكثر حينئذ من زيارة الأب مارشال . وعندما أطلعته على عزمها صاح بها :

ـ كيف ؟ أنت .. المسيحية ، الفرنسية ، ترتدين! ؟..

فأجابته مرغريت :

ـ لا أستطيع غير ذلك يا أبتى !. اننى لن أنسى ديننا العزيز ، الدين الذى ربيت عليه . وأنت أيضا لن أنساك . ولكن يجب أن تساعدنى فى هذا الظرف .

ـ ابنتى ...

ـ ثق أنني فى أعماق قلبى لن أخون اعتقاد طفولتى !

واعتنقت مرغريت الدين الاسلامى وأصبح اسمى منيرة هانم .

وقد جرى ذلك فى المحكمة الشرعية حيث جلس المسلمون على الطريقة الشرقية فى خشوع وتهيب . ووراء ستار جلس الأب مارشال متهيبا مثلهم . وكان يجب على مرغريت ـ حسب العرف ـ أن تذهب اليه أولا . فلما اقتربت منه قال لها :

ـ أتوسل اليك يابنتى .. فكرى جيدا .. ديننا .

فأجابته مرغريت :

ـ لا تلح ياأبت لأنك تؤلمنى . لقد ربيت عند الراهبات فى سانت مارى . وكنت طول حياتى تقية . ولكنى أحب خطيبى . ويجب على أن أحترم مصالحه . انه يحرم من ارثه اذا تزوج بى وأنا مسيحية . والآن اسمح لى أن أقدم لك هذه الخمسين جنيها تستعين بها فى خيراتك ..

وفى الحال وضعوا غطاء على وجه « منيرة » ، واتجهت نحو الشيخ حيث قدمت له احترامها .

وشهد شاهد أن هذه السيدة التى اتخذت إسما لها منيرة هانم (المضيئة) ! ـ وهو اسم والدة على ـ قد اعتنقت الدين الاسلامى بمحض ارادتها عن اقتناع وعقيدة . وتلك (منيرة) صلاة عربية كانت قد كتبتها على طريقتها الفرنسية وحفظتها . وآخر هذه الصلاة هى :

« الله أكبر ومحمد رسوله » .

وقد استغرق كل ذلك عشرين دقيقة

ثم تقدمت شقيقات على الى الخطيبة وأخذتها من يدها واصطحبتها الى الحريم !

ومنذ ذلك اليوم و (منيرة هانم) لا تحضر أبداً حفلات الأوبرا الا فى لوج « الحرملك » . وكان يسهر عل باب لوجها اغا مكلف باصطحابها من السلم الصغير الى السيارة .

أما « الأمير » ، فكان يحضر هو الحفلات على أنواعها مع رفاقه وأصدقائه .

وهذا لم يمنعه من تقديم الجواهر وعقود اللؤلؤ لمرغريت . ولكن انتهى الزمن الذى كانا يخرجان فيه معا ، ويذهبان الى محال الرقص ، ويظهران معاً فى صالونات الفنادق الكبرى . وأصبحت مرغريت الآن لا تخرج الا مع شقيقاته يتبعهن الأغا . وكثيرا ما كانت تأخذ الشاى بصحبتهن . وكن يدعين أحيانا صديقاتهن من السوريات والامريكيات والقبطيات .

وتقول مرغريت :

ـ جميع النساء المصريات يعشن هكذا وليس لهن علاقة بخارج محيطهن الا بواسطة قارئات البخت أو المدلكات اللواتى يعرفن كيف يبعن خدماتهن للزوج أو للزوجة . وهذا يتوقف على من يدفع اكثر .. ، هذه هى الكوميديا الشرقية بكل مايحيط بها !!

وكان من المفروض أن تعقد الخطبة فى « منزل محايد » . ولكنها تمت فى الدايرة (مكتب العريس) بمعرفة ثلاثة مشايخ . وقد تلقى كل واحد منهم ، قبل كل شىء هديته ، وهى ساعة ذهبيه .

وهنا تقول :

ـ لا ، اننى لا أمزح . عندما سألونى هل قبضت مهرى البالغ ثمانية آلاف جنيه (مليون فرنك فى ذلك الوقت) أجبت « نعم » مع أنى لم أقبضه . وتذكرت فى هذه اللحظة بأني خسرت ال ٣٦ الف فرنك وهو الدخل الذى كان شارل لورا ـ زوجها السابق ـ قد وعدنى به طالما انا غير متزوجة . وكان بيدى « اعتراف من خطيبى يقول فيه بأنه سيدفع لى المهر فى أوائل السنة القادمة سنة ١٩٢٣ بعد أن يبيع القطن . وكانت حفلة الزواج باهرة جدا . والموسيقى تعزف بأنغامها الشجية . وقد قرأوا لى العقد بالعربية والفرنسية .

وكان حق الطلاق بيدى أنا ، وهذا ما لم نعره اهتماما . ولكن « البرنس » على لابد وأن يكون قد فكر فيه . كنت سجينة زوجى مدى الحياة . وكان هذا انتقامه الاول !

ولكن هل كان لى أن أحاذر ! ؟

ألم يكن زواجه بى دليل حبه الكبير إذ أراد أن يحتفظ بى دائما .. ! ؟ ومن ثم لم يكن هناك من سبيل للمناقشات والمنازعات بعد أن تم كل شىء وأصبحت وحيدة بين عائلته وبين (زميلاتى) فى الدين .

كانت حفلة الزواج فى ٢٦ ديسمبر فى القصر الذى أقامه على ضفاف النيل . وكان أثاث غرفة النوم هو نفس أثاث الغرفة التى كان ينام فيها ملكِ الصرب السابق . وقد كلفت أغطية السرير ٤٥٠ الف فرنك . من محل « أوكوك » وكلف كل زوج من « الملايات » مائة الف فرنك . وكانت أدوات التواليت مؤلفة من طقمين من الصدف النادر وهى على لونين بنى وأشقر ، وكان هو يستعمل اللون البنى بينما كنت أنا أفضل استعمال اللون الأشقر . وقد كلف كل طقم ٣٥٠ الف فرنك من عند « وايتن » .

وبالاجمال فقد كانت محتويات القصر ورياشه تقدر بعشرين مليون فرنك . وهذا مالم يحظ به قبلا أية غانية .. ؟

ولكن الحال تغير منذ الليلة الأولى ..

وعلى الذى كان يظهر الحنان والنعومة فى ليالى فندق الرويال والماجيستيك فى فرنسا وفى أسبانيا ، قد تغير فجأة وأصبح ينظر الى مرغريت نظره الى متاعه أى الى شىء يملكه ... وقد برهن على ذلك بالفعل !

كان يهجم عليها ويقذف بها الى السرير

وكانت تقول له :

ـ أوه يا على ! .. لقد أثارتك الحفلة . لا تكن قاسيا الى هذا الحد .

فيجيبها :

ـ قاسيا الى هذا الحد ؟ أتسمحين لنفسك بابداء ملاحظة على سلوكى ! ؟

وقد تحملت مرغريت ذلك التصرف ولكنه كان « يعصرها » بين يديه الحديديتين وبعد أن يكتفى ، كان يخرج من « غرفة العرس » وعلى فمه ابتسامة متكبرة !

وفى صباح اليوم التالى نزلت مرغريت الى البهو فرأت زوجها يحيط به عدد من السكرتيرية والخدم .

حاولت أن تنسى قسوة ليلة الأمس ، والضحكة التى ماتزال ترن فى أذنيها .

وقد خيل اليها أن سيدها ومولاها انما يريد اليوم أن يستقبلها استقبال الملكات . فابتسمت واتجهت نحوه .

وفجأة اندفع نحوها وصفعها على وجهها أمام جميع الموجودين .

وصاح بها :

ـ هكذا تتعلمين كيف أننى السيد ! عودى الى غرفتك وليحرس بابها . ولتمنع من المخاطبة بالتليفون . ومن الاقتراب من النوافذ .

وعادت مرغريت واجتازت الصالون الصينى . ودخلت غرفتها الشبيهة بغرف الملوك ، والتى مازال سريرها يحمل ثلاث ريش من ريش النعام رمز العظمة وأنزلت الستائر الحريرية المذهبة ، وأخذت تبكى يومين ، الى أن زارتها شقيقتا على وعزتاها بقولهما :

ـ انه شاب مسرف فى عواطفه وذلك لانه يحبك ..

ودخل على على أثر شقيقتيه واحتمل مرغريت بين ذراعيه الى يخته . وأقلع بها الى الاقصر .

الى الاقصر البعيدة ، فى أقاصى مصر ..

وعلى كل حال ، فان مجىء الشقيقتين طمأن مرغريت .

ما افخم اليخت .

خمسة وعشرون رجلا فى خدمته .

وعلى ، هو المصرى الوحيد الذى يملك يختا فخما دائم الاستعداد للاقلاع من أمام قصره ..

وقبل السفر ، أهدى على الى مرغريت تاجا من الجوهر يمثل شمسا تحيط بها شارات كليوباترة وكلها من الماس .

وتقول مرغريت :

ـ قالوا لى انه سبق أن أعطى هذه الحلية الى ثلاث نساء أخريات واسترجعها منهن ..

وقد قدمها لى الآن كهدية العرس !

وفى أثناء سفرنا الى الاقصر عن طريق النيل الجميل ، كان علياً يكثر من المداعبة والتسلية . ومن ذلك اننى بينما كنت يوما منهمكة بالقراءة اذا به قد سدد نحوى مسدسه وأطلقه فى الهواء .. فاصطكت أسنانى من الرعب ولكنه تابع اطلاق الرصاص دون أن يكترث . وقال لى عندما رآنى أكثر من الحراك يميناً وشمالا :

ـ يمكنك أن تتحركى ... ولكنى سأحيط راسك بهالة من الرصاص !

وفى المساء ألقى اليخت مرساه أمام قرية على الشاطىء واستقبلنا أهلها بموسيقاهم ورقصهم . اما أنا فكنت « اتنطط » من الفرح !

وقد نزل زوجى مع سكرتيريه الى القرية ليطلعوا على « مستغرباتها » ـ وعرفت فيما بعد معنى كلامهم هذا ـ وبت ليلتى وحيدة كما بت فى الليالى الاخرى .. بينما كان على ومعه سكرتيره سعيد العنانى وحاشية الامـير المستهجنة يتـذوقون « المستغربات » ! ..

وفى اليوم الثامن ، وكنا قد اجتزنا أسيوط ، مرّ بالقرب منا (رفاص) لشركة كوك واحتك باليخت قليلا فما كان من على إلا أن أعطى اشارة بصفارته الذهبية المطعمة بالماس الى النوتية فانزلوا له لنشاً قفز فيه مع رجلين من اتباعه وهو مرتد بيجامته الحريرية السوداء وأسرع نحو الرفاص حتى دنا منه فصعد اليه مع رجليه واقتاد ربانه المسكين ـ وهو عجوز يبلغ السبعين من العمر ـ الى جزيرة رملية وهناك اضطره الى الركوع وأخذ يهوى عليه بالسوط يضربه ضرباً أليماً مبرحا . ثم عاد الى يخته بعد أن أشبع وحشيته وترك ضحيته تحت وهج الشمس فى وسط الرمال .

فلم أتمالك نفسى وصرخت فى وجهه معلنة له احتقارى . وعندها ثار ثائره ورفع السوط الذى مازال فى يده وهوى به علىّ وهو يصيح :

ـ لقد (سابت بطن) هذا الكلب من الخوف ...وسأضربك أنت حتى يصيبك ماأصابه ...

واستمر يشوى بسوطه ظهرى وذراعى أمام جميع سكرتيريه ذوى الوجوه المجرمة .. وأمام خُدَّامه أيضاً وعبيده . وقذف بى أخيراً فى غرفتى ومنعنى من الخروج كما حرَّم علىّ مناداة رجاله ـ وهم على كل حال ماكانوا ليلبون ندائى ـ وكانت بصحبتى لحسن الحظ خادمتى ، وهىَ ممنوعة من الخروج أيضا . وكتبت الى محامىَّ هذه الكلمة الصغيرة :

« استاذى العزيز

« اننى مقيدة الحرية سجينة . أغثنى » !

ودفعت بها الى خادمتى وقلت لها :

ـ اخفى هذه الورقة فى صدرك . وعندما نصل الى الاقصر أرسليها مع شخص غريب عن البلاد ليوصلها الى عنوانها وعندما وصلنا الى الاقصر نزل على الى غرفتى وعلى فمه ابتسامة مغرية ونظر إلىّ نظرة حلوة كالشهد .

ولكننى كنت فى حالة مروعة !

قال لى :

ـ هيا هيا انه خصام المحبين .. اننى آسف اذا كنت قد آلمتك . لقد اعددت الليلة حفلة كبيرة أقيمها اكراما لك فاجعلى نفسك جميلة . ثم انى دعوت الجنرال ماكسويل وعقيلته واللورد كارنافون وقد دعانا الى حفلة افتتاح قبر توت عنخ أمون .

ولم تنطل على الحيلة . فان هذه الابتسامة وهذه الحفلة لم تكونا فى الواقع لى بل كل الذى كان يريده هو أن تظهر زوجته الى جانبه فى الحفلة ...

وقلت لنفسى :

« انك مازلت فى حاجة الىّ ... وسوف اخضعك ياصاحبى » .

« سأخضعك .. سأخضعك .. » هذه هى الكلمة التى كان كل منا يرددها عن الآخر فى اعماق نفسه الغاضبة !

وظهرت على مائدة العشاء فى الحفلة كأجمل ماأكون . وكنت اتأنق وأتجمل فى كل الاوقات حتى فى خروجنا اليومى الى الأسواق أو وادى الملوك .

كنت أشعر ان « البرنس » فخور بى . وهذا ما جعلنى استرد شجاعتى !

وكان زوجى هو الذى يقوم بالمصاريف الباهظة لكل هذه الحفلات . وفى وادى الملوك اقام حفلة باهرة كبيرة قدم فيها الطعام على طباق من الفضة ثمنها ٤٠٠ الف فرنك من محل (امور) !

وقد حضرت حفلة افتتاح قبر توت عنخ آمون الذى اكتشف بابه حمَّار يدعى هو ايضا على ثم أراه لمصور خامل يدعى اليوم السير كارتر ! وقد نال الحمَّار على اكتشاقه هذا ثمانى جنيهات !!

وكنت أغنّى فى كل الحفلات قطعاً من الاوبرا ، كتوسكاولا بوهيم وافروديت . الخ

وكان زوجى البرنس ينظر الىّ حينئذ بحب ـ ولعل هذا الحب كان صحيحاً والواقع ان الانسان لا يمكنه ان يفهم هذا الرجل !

وفى أسوان جعلنى اتمدد فى تابوت ـ رغم الفأل السىء ـ وأخذ صورتى على هذه الحالة بعد ان قال لى :

ـ تصنعى الموت .. اغمضى عينيك ولا تتنفسى !!

وعدنا بعد ذلك الى القاهرة . وحدث فى أثناء عودتنا حوادث بسيطة ومناقشات تافهة كان يحبسنى على أثرها فى غرفته . وخصوصاً عندما كنت اعاتبه على تغيبه فى ليال متوالية فى الخارج حيث كان يأكل الفول المدمس فى منعطفات الشوارع بينما كان سكرتيره العزيز سعيد العنانى لا يأكل إلا صدر الدجاج !

والعنانى هذا رجل متناه فى القبح . اخضر اللون ينتشر على وجهه حَبّ وشعر أسود .

وذات مساء جلس على ينتظر سكرتيره وطال به الانتظار حتى الساعة السادسة صباحا .

وأقبل جواسيس على يبلغونه أن سكرتيره المقرب يقضى ليلته عند امرأة ايطالية من القاهرة .

وتقابل بعدها السيد وخادمه . وكان بينهما موقف عنيف انتهى بطرد السكرتير .

وتملك اليأس زوجى فارتمى بين ذراعى وهو يصيح ..

ـ هيا بنا إلى باريس .. هيا الى باريس ..

وقد توقف التابعى عند العدد الخامس من اخر ساعة فلم يتابع نشر بقية المذكرات ، ولم يشر الى خاتمة حياة على فهمى كامل بك ، واتوقف هنا عند ملاحظة هامة لفتت نظرى فى أسلوب التابعى فى النشر ، ذلك أنه لم يكن يرغب فى نشر حلقات كثيره ، رغم انها مشوقة والقراء يقبلون عليها وربما كان يفضل ان يقول القراء : خسارة الحلقات لم تكمل ، بدلا من ان يقولوا : كفاية بقى من الدست مغرفة .

اما النهاية ـ نهاية على فهمي كامل ـ فقد كانت بيد مرغريت فهمي زوجته إذ اطلقت عليه الرصاص وكانت محاكمتها ـ فى لندن ـ محاكمة فريدة فى بابها ، فقد كان محاميها مارشال هول ، اعظم محامى وقتئذ ـ عام ١٩٢٣ ـ وقد كان موقف هول من العرب والمسلمين موقفا عدائيا ، للغاية ولن اطيل فى الحديث عن الحادث والمحاكمة فلذلك كله مجال آخر سوف ننزع فيه الستار عن كثير من الاسرار ومن بينها الاسباب السياسية التى أدت الى الحكم ببراءة مرجريت فهمى بناء على تدخل شخصية بريطانية سامية المقام ،، وهذا التدخل هو الذى دفع القاضى الى تلخيص القضية للمحلفين تلخيصا يلائم مصلحتها وتلك الشخصية ـ قد ورد ذكرها ـ فى مذكرات مرجريت فهمى وكانت مرجريت قد تعرفت على تلك الشخصية فى اثناء الحرب العالمية الاولى (١٩١٨) وكان لها ـ لمرجريت ـ تأثير كبير على تلك الشخصية حتى ان الرسائل الكثيره التى تبودلت بينهما لم تقتصر على العواطف بل تعدتها احيانا الى المسائل العسكرية والسياسة ولما اقترنت مرجريت بعد ذلك بعلى فهمى بك قلقت الأندية البريطانية فى لندن على هذه الرسائل ، التى كانت فى يد المرأه الخلابة ورأت ان توفد رجلا سياسيا محنكا لمطالبتها بها وكانت هذه الأندية تتوقع مفاوضات طويلة مملة غير مستمرة ولكن لم يحدث شىء من ذلك لان مدام فهمى سلمت الرسائل المطلوبة حينما سافرت بأقل رغبة فى ذلك وقد قدر البلاط هذا العمل حق قدره ولم ينسه فى ابان المحاكمة وهذا هو السبب فيما لقيته المتهمة من عناية فى ابان محنتها .

وفى هذا القدر الان ـ مايكفى ـ للحديث عن تلك النهاية المفزعة ، نهاية شاب مستهتر بلغ به الاستهتار والسفه ، مبلغا جعله بحق رمزا من رموز الاستهتار ، والسفه ، بل والجنون ايضا .. فى العشرين عاما الاولى من القرن العشرين .. !

الفصل الثالث

□ ومنذ العدد الأول :
أصبحت آخر ساعة المجلة
السياسية الأولى فى مصر

نخصص هذا الفصل ـ إذا ما أذن القراء والقارئات لبدايات آخر ساعة السياسية ونحن نؤكد فى مستهل هذا الفصل أن آخر ساعة ، منذ عددها الأول فى ١٤ يوليو ١٩٣٤ أصبحت ـ وبدون منازع ـ المجلة السياسية الأولى والفضل فى ذلك ـ وبلا جدال يعود إلى قلم محمد التابعى وذاكرته واتصالاته بكل مصادر الاخبار فى مصر حتى من كان يختلف وإيهام فى الرأى ، فلقد كان الكثيرون يحترمونه . والقليلون يهابونه ويخشون قلمه العنيف الحاد .

واستطيع القول ـ وبدون أية مبالغة من جانبى أن التحريات السياسية التى كان ينشرها التابعى فى بداية كل عدد من آخر ساعة كانت اقرب التحريات السياسية ، إلى الواقع وكان التابعى ، لا يطبق فبركة الأخبار حتى تلك التى لا تضر فبركتها بأحد وقد غضب من أحد تلاميذه ـ مصطفى أمين ،أكثر من مرة لأنه كان يفبرك الاخبار ، وعندما كان الاستاذ مصطفى أمين فى الولايات المتحدة ويبعث أسبوعيا برسالة إلى الأستاذ محمد التابعى كان الأول يقترح على الآخر فبركة بعض الموضوعات والأخبار وكان التابعى باستمرار يرفض تلك الاقتراحات ، وسنعود إلى تلك الخطابات أكثر من مرة فى هذا الجزء من هذا الكتاب لاهميتها البالغة بالنسبة للبحث العلمى ، الذى تقوم به وبالنسبة لتاريخ آخر ساعة ، وصاحبها التابعى وأعتقد أن الطريق الوحيد لإعطاء صورة حقيقية غير مهزوزة عن الجو السياسى فى مصر ، فى الفترة من ١٩٣٤ حتى ١٩٤١ ـ حتى اشتداد الاحكام العرفية وتشديد قبضتها على الصحافة المصرية : آخر ساعة تمثل ـ بحق ـ المرآة ، التى تنعكس فيها حياتنا السياسية بدون تزويق أو مكياج وخاصة ما كان يكتبه التابعى فى بداية كل عدد موقعا بإمضائه أو غير موقع فانت تستطيع أن تكتشف ـ وبسرعة ـ الكلمات التى يكتبها التابعى ولو من بين عشرات الالوف من المقالات ، أو الاخبار واحب ان أوضح هنا ـ وقبل أت استرسل فى هذا الفصل ، أن التابعى كان وفديا بلحمه ، ودمه ومشاعره وأنفاسه حتى وإن اقترب من القصر فى بعض الأحيان فإن اقترابه كان بحذر شديد للغاية .

وكان السبب الرئيسى لهذا الاقتراب من القصر ، هو وجود أحمد حسنين الذى كانت تجمعه بالتابعى علاقات ود وصداقة ، قوية ، ومتينة ، بل كانت تجمعهما ـ كل ليلة تقريبا ـ سهرات ليلية وكانت سهرات التابعى قمة سهرات المجتمع المصرى وقتذاك ، ففيها كان يلتقى علية القوم ، وفيها كان يغنى ـ وللأفراد قلائل جدا علية القوم ايضا : أم كلثوم ـ عبد الوهاب ـ أسمهان ، وفى أحيان كثيرة ، لم تكن تلك السهرات منبع الاخبار السياسية وانما كانت مصنع العديد من القرارات السياسية .

واستأذن فى جولة سريعة فى آخر ساعة السياسية ، لمحمد التابعى وبقلم محمد التابعى فى افتتاحية العدد الثانى من آخر ساعة (٢٢ يوليو ١٩٣٤) ما يلى :

كان جحا كلما مر عليه يوم فى الشهر يضع فولة فى الجراب .. وهذا تماما ماحدث لنا منذ وفد فخامة المندوب السامى البريطانى إلى مصر فى شهر يناير الماضى إلى الآن .. فقط جحا كان يعد بفوله الايام ، ونحن بفولنا نعد حسنات وسيئات رجل قادم علينا من الغيب المجهول ..

وها نحن اولاءبعد سبعة أشهر نحتفل بفتح الجراب ، فنرى فيه رجلا يولم بكثرة ، كأن عنده معملا يصنع فيه الديوك الرومى والخرفان ، ويتفاهم بلطف ، ويضحك باستمرار ، ويودع ضيوفه دائماً إلى عتبة الباب ..

كما يبدو لنا كذلك من فول الجراب أن سير مليز لمبسون هو أول من تعلم من زملائه لغة يعرب وقحطان ، وأول من تمطع ونام خمس مرات فى ثرى الاهرام ، وأول من وقف خاشعاً يبكى حيث دعا موسى ربه على طور سيناء ، وأول من شاطر وزير المالية المصرية فى عزبته بالريف فطائر الفرن وأناجر الثريد ، وأول من تعلم الطيران ، وأول من بكى واستبكى ، ووقف بالاطلال يناجى الربوع والنجوع فى ضوء القمر ، وفى منتصف الليل ، ومن مئذنة مسجد ابن طيلون ! ..

وهول جدول أعمال يصلح لشاعر هائم فى يمناه قيثارة وفى يسراه ديوان ، كما يصلح لصوفى متدين تتدلى من عنقه سبحة ، ومن عمامته ثلاث عذبات ، كما يصلح لقسيس على صدره صليب وبين شفتيه عشر صلوات يطللن من فمه كجياد السباق .

وحينما نذكر أن المندوب السامى وفد إلى القاهرة يوم وفد اليها صامتا كالكتكوت الأبكم على غير عهدنا بزملائه الفصحاء ، يمكن أن نجعل هذا الجدول صالحا كذلك لسياسى قرأ فى تاريخ شمشمون ودليلة ، أن مشمشون قد غلب وهونائم ، وأن لافائدة فى مصر من الصياح الكثير ، وأن الأرنب النيلى لايصاد بدق الطبول .

وكل فكرة قد تخطر على البال ، لما تجلس دليلة فى نافذة بيتها صامتة ، وتترك عشرات المغرمين يتبارون فى عرض أنفسهم فى الحارة بالكحل والكريم والعطور ، والطربوش الأعوج ، والأحذية اللامعة ، والمناديل الحرير ، بينما عينها تتبع باستمرار ، وبمنتهى الاحتراس ، خطوات الشاب المتكبر الفخور شمشمون المصرى الجديد ، تحاول أن تراوده عن نفسه خفية وبلا ألفاظ ، ولكن بحب الشرك بين يديه ، وبالحبالة الفاتنة التى ضمت عليها شفتيها من حبائل إبليس !

ومن حسن الحظ أن شمشون الجديد عيناه فى رأسه ، وقلبه ليس من عجين الكعك الذائب كقلب شمشون القديم ، واذا لم ترجع دليلة عن هذا الإغراء المستمر ، فسيضطر لتبليغ البوليس عنها وجرها من شعرها إلى قسم عابدين ، فاما أن تتزوجه بالحلال وبسنة الله ورسوله ، وإلا فلديها السناكيح تحت نافذتها بالمئات يموتون فى إبتسامتها أيا كانت ، ويسجدون لحرمتها بلا شروط !

وفى نفس العدد الثانى وزارة انتقال يراسها حسن صبرى بك وهو مالم يتحقق فى عام ١٩٤١ :

يستطيع صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا أن يغبط نفسه اليوم على أن له عند الله هذه الحسنة الواحدة على الأقل وهى أن دولته لم يمد عنقه يوما ويقل إنه باق فى كرسى الحكم عشر سنوات شاء هذا البلد أو لم يشأ كما قالهازميل له من قبل .

تحدثنا فى عدد الأسبوع الماضى عن كيف انتهت لندن إلى هذا الرأى وهو أن التجربة قد فشلت وأن لا مفر من وضع حد لهذه الحالة الشاذة ..

إلى هنا اتفق أصحاب الشأن فى لندن ، ولكنهم اختلفوا فى تحديد التاريخ . متى وكيف ؟

رأى يقول بوجوب الإسراع ، ورأى ينصح بالتأنى ويذكر الأسباب .

ونستطيع اليوم أن نقول ـ وعلى مسئوليتنا نحن ـ إن الرأى الأول قد انتصر أو هو على وشك الانتصار .

وهذه الأخبار والتفاصيل التى نعرضها الآن ليست من أحاديث ليالى الصيف ولا هى من أفواه الاشاعات التى تباع وتشترى بسوق التراب وانما هى أخبار ترقى إلى مرتبة الحقائق وتستطيع أن تقف على قدميها أمام أى بلاغ رسمى أن حدثته نفسه بالتكذيب !

وكل ماهنالك أن الجهات والسلطات لاتزال تتردد ـ لا فى القضاء على التجربة فقد انتهوا إلى هذا الرأى كما قدمنا ـ وإنما التردد هو فى اختيار السبل وفى اختيار الرجال ، وكيف يكون الانتقال ؟

والرأى الراجح اليوم هو أن لا يقضى على « الانقلاب » بانقلاب فجائى مثله .. بل بأن يكون التراجع على خطوات .

أى أن تكون هناك فترة انتقال وتصفية تشرف عليها وزارة انتقال .

ولن تقوم وزارة الانتقال هذه الا اذا ضمنت تأييد الزعماء أو على الأقل حيادهم تجاهها ، أو إلا اذا اطمأنت على اقل الأقل إلى أنهم لن يرموها بالعين الحمراء !

فى هذا ومثله يوشك الحديث أن يدور . وبرنامج زعمائنا واضح صريح معروف ، وآراؤهم سبق أن أعلنت أكثر من مرة بالفم المليان ، فعلى الذى يتقدم للحديث أن يقدر هذا كله ويزنه وأن ينزل على حكمه إن شاء أن تكلل مهمته بالنجاح .

والمرشح الأول الآن لرياسة وزارة الانتقال هو وزير المالية حسن صبرى بك الذى أصبح « فرخة بكشك » ـ على الاقل ـ عند دار المندوب السامى والذى اختاره سير ميلز لامبسون دون سائر الوزراء لكى يضع يده على كتفه ـ من غير كلفة ـ ثم

يتأبط ذراعه ويخرج معه من محطة سيدى جابر كده عينى عينك من غير رحمة ولا شفقة تشيعهما زغرات الوزراء !

ويقال فى تزكية ترشيحه أن حسن صبرى بك قد يكون أقل زملائه بعداً عن قلوب الزعماء وأنه هو الرجل الذى وقف ـ قبل أن يلى الوزارة ـ الذى وقف فى مجلس الشيوخ يقول : « إن هذا النظام وليد انقلاب سيذهب به انقلاب مثله وأن الخضوع له لا يستلزم الرضا عنه » !!

ومع ذلك اذا لم تطمئن المعارضة إلى حسن صبرى بك فهناك دائما صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا ، هذا وان تكن هناك سلطات لا تنظر إلى دولته بكل الارتياح .

وسيكون من برنامج وزارة الانتقال المذكورة حل البرلمان ـ وهو أمر سوف تقابله الرسوم الكاريكاتورية بالأسف الشديد ! ـ والتماس إعادة دستور سنة ٩٢٣

وفى أثناء وجود وزارة الانتقال يبدأ فخامة المندوب السامى مباحثاته مع زعماء الأمة فى شأن المعاهدة المنشودة . وسوف تجرى هذه المباحثات فى القاهرة .

أما السودان فالذى يكاد يتفق عليه الرأى منذ الآن هو أن يعود إليه المصريون .

هذا ونستطيع أن نقول إن مقابلات هامة سوف تجرى فى الاسكندرية خلال الاسابيع القريبة القادمة .

ويعذرنا القراء إذا خانتنا هنا الصراحة لأن الموضوع أدق من أن يصحبه ماعرف عنا من طول اللسان !

وفى نفس العدد ايضاً : الدم الأزرق فى سجن قرة ميدان : إجتماع خطير لبعض الأمراء .

إتصل بنا من مصدر جديد بكل ثقة أن اجتماعاً عقد فى الأسبوع الماضى فى سراى أحد أصحاب السمو الأمراء بالاسكندرية للبحث فى موقف الأمراء حيال مسألة اضراب عباس حليم عن الطعام على وجه الخصوص ومسألة حبسه على وجه العموم .

وقد انتهى الرأى فى هذا الاجتماع ـ وكان الشريف عباس حليم لم يعدل بعد عن اضرابه عن الطعام ـ انتهى الرأى إلى رفع عريضة إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك يلتمسون فيها من جلالته ان يبدى عطفه فى هذه المسألة التى تعتبر لأحد حفدة محمد على مسألة حياة أو موت .

وقد تقرر أن تكون هذه العريضة سرية فلا تنشر فى الصحف . وقيل لنا إن الذين اشتركوا فى توقيع هذه العريضة هم ستة أمراء وثمانية من أصحاب المجد النبلاء وأن هناك عريضة أخرى تعدها الأميرات والنبيلات .

ومن تحريات التابعى نفس العدد الثاني .

وثائق بالزنكوغراف ! ؟

صدقى باشا مغرم بالألاعيب ! .. أحس عقب استقالته أو إقالته من الوزارة أنه أصبح كعبة العيون الحمراء فأعلن أنه مريض ٢٤ قيراط وانه يعتزل السياسة ويستقيل من حزبه ورئاسة حزبه والبرلمان .

وكان مايذكره القراء من استقالته ورجوعه فى إستقالته .. إلى آخر اللف والدوران .

وسمع دولته وهو يستشفى فى أوربا أنه - فى مصر - قد توفى إلى رحمة الله ، فأرسل يبلغ البقية من حطام وقش الانصار والاصدقاء انه عائد على أول باخرة إلى مصر لكى يثبت أنه حى لم يمت ..

ثم عاد دولته أخيراً وفى آخر ساعة وقرر أنه مريض وأن الأطباء يحتمون عليه الاستشفاء فى بلدة كذا وشرب مياه كيت .. والراحة من عناء المعارضة ورائحة الكورنيش وغير الكورنيش !

ولكن هذا المريض لم يكن يوما ما أنشط منه الآن ، ودليلنا على ذلك أنه فى يوم الخميس الأسبق وصل إلى دار المندوب السامى تقرير يقع فى ٢٤ صفحة من حجم الفولسكاب ..

والتقرير من دولة صديق باشا المريض !

ولا ندعى نحن أننا اطلعنا على التقرير وقرأناه ، ولكنا ندعى العلم بأن التقرير المذكور يحوى صوراً « بالزنكوغراف » بخطابات مكتوبة بخط بعض الوزراء الحاليين وكبار الموظفين ، منها ما هو باللغة الفرنسية ومنها ما هو بلغة يعرب وقحطان .

وفى التقرير المذكور إشارة صريحة لاتستحى إلى بعض الرجال الرسميين الذين يسمموت العلاقات بين مصر وانجلترا والى آرائهم المكتوبة بخط يدهم فى المعاهدة وفى مشروع الاتفاق بين البلدين !!

وقيل فى دار المندوب إن سير مليز لامبسون أعجب بالتقرير وقال إن فيه معلومات لذيذة جدا ..

ويريد صدقى باشا أن يسافر إلى لندن لكى يتمم « استشفاءه » بالافراج عما فى صدره من البخار المحبوس .. ولكن سفره هذا يتوقف على خطاب يصله من دار المندوب يتضمن رأيها فى تقريره المذكور .

والآن .. الا ترى الحكومة من واجبها أن تعقد مجلس تأديب يكون من اختصاصه الحكم بالاعدام على موظفى جمرك الاسكندرية الذين سمحوا لصدقى باشا بالخروج من مصر وفى حقيبته مثل هذه الأوراق ؟ !

أما افتتاحية العدد الثالث فكانت تحت عنوان نموت ويحيا المندوب السامى !

فى يوليه سنة ١٨٨٢ وقعت ذبابة على جفن القدر ، فطردها وهو حانق فعادت إليه ، فأعادها ثائراً فغابت عنه لحظة ثم رجعت إلى جفنه من جديد ، فضربها ضربة أخطأتها .. وأصابت مصر فى مقتل ، لأنه فى نفس اللحظة نزل الجندى الانجليزى الأول إلى الشواطىء المصرية ، ومعه السيف والمدفع ومجموعة صور للاسطول البريطانى ، وراية من رايات الاحتلال ..

ومن شهر يوليه سنة ١٨٨٢ إلى الآن ونحن نبكى ونتألم ، ونلعن الزمن ، ونقدم القرابين فى مذبح القدر ، ومئات من شهدائنا يموتون من الرصاص ، ومن ظلام السجون ، ومن العيش المستمر على فتات الموائد ، ومن الذل والمسكنة والجوع ، ومن يقظة الروح فى جو خانق فظيع .. وكل هذا فى انتظار اليوم الذى نكسر فيه القلل وراء الجندى الانجليزى الأخير ، وهو يشرب شربته الأخيرة من ماء النيل فى دمياط أو رشيد ..

إثنان وخمسون عاما فى الدموع والدماء ، وفى الحقد والبغض ، وفى الأحلام والآمال ثم يأتى بعد ذلك وزير مصرى فيولم للمندوب السامى البريطانى وليمة فى قريته ، وفى شهر يوليه من سنة ١٩٣٤ ، ويحشد له فيلقا من الفلاحين المصريين يهتفون بحياته ، وينادونه بأحب الأسماء من حناجر أو هى الفقر أوتارها والمقت والهوان .. إنها لأحدى الكبر ! .. انها ليست ذبابة ماتقع اليوم على جفن القدر ، .. أنه « دبور » !! ..

علم الله ما نتجنى على الوزير المصرى حسن صبرى بك ، ولكنها رواية زميلتنا المقطم ، ولن نكون بسعادته أبر منها ولا أرحم ، رواية تزعم للناس أن المندوب السامى البريطانى لأول مرة فى تاريخ الاحتلال ، يتلقى هتاف مصريين يستقبلونه بحماسة فى المطار ، كما يتلقاه من صفين على جوانب الطريق ، كما يتلقاه من نوافذ قصر الوزير ، صاعدا مع النسيم الممتلىء بعبير الاقحوان ، مغنيا عن الحان الموسيقى أثناء تناول الطعام .. ولقد لقّنَ أولئك الفلاحون الأبرياء أكثر من مرة فيما مر بمصر من عهود الانقلاب هتافات وتحيات لوزراء مصريين كانوا يحيونهم بالإسم وقلوبهم طافحة ... وسياط الجند من ورائهم تشرف بقسوة على اتساق الأصوات ونظام الصفوف ... ولكنهم على كل حال كانوا يهتفون لوزراء مصريين ، وابن عمك على كل حال خير من الغريب ! ..

ومن يدرى فلعل من بين أولئك الفلاحين الذين حشدهم مدير الغربية ليهتفوا للمندوب السامى ، من لايزال يحمل على ظهره أثر السوط ، وعلى صدره أثر الرصاص

لانه هتف يوما لمصطفى النحاس ، أو وقف فى مكان يهتف الناس فيه لمصطفى النحاس ! أين أنت يا كرومر ؟.. استيقظ من نومك الطويل ، قم يا ميت بحسرته على خروجه من مصر بلا تحية وداع ، قم فاليوم يوم عيدك وقد جاد به الزمان الأخير .. قم فاشرب كأسا من الكوكتيل فى صحة حسن صبرى بيه ...!

وتحت عنوان ماذا هناك ؟.. كتب التابعى ايضا فى (العدد الثانى) :

كان المفهوم فى الدوائر الانجليزية التى لها الحق فى أن تدعى العلم ببواطن الامور ... كان المفهوم أن حاكم السودان العام لن يغادر مقر منصبه فى هذا الصيف نظرا لكثرة أعماله الآن . ولكن اتصل بنا أن وزارة المستعمرات البريطانية أرسلت تستدعيه ...

والسبب هو تقرير تقدم من معاليه وقد جاء فيه ما نصه بالحرف الواحد : « أن تقدم السودان ورفاهيته لايمكن أن يتحققا إلا اذا عاد اليه المصريون ، وليس معنى عودتهم أن نتركه نحن ، ولكن معناه أن نترك لهم بعض السلطة التى فى يدنا الآن . وليس هذا رأيى أنا فقط بل هو رأى الجالية الانجليزية فى السودان » .

وسوف يجتمع معالى حاكم السودان العام بصاحب الفخامة المندوب السامى يوم الثلاثاء ٢٤ يولية ويتناول معه الغداء فى مصيف دار المندوب برمل الاسكندرية .

والمفهوم أن الحديث سيدور بين الاثنين حول هذا التقرير . ويسافر بعدها حاكم السودان بالطيارة الى لندن .

هذا وقد عرف زميلنا الإستاذ التابعى أثناء زيارته للندن فى الربيع الماضى أن سيرجون مافى وكيل وزارة المستعمرات الآن والحاكم العام السابق للسودان يرى رأى خليفته بل وهناك تقرير مقدم منه فى هذا المعنى .

ولهذا ينتظر أن تبسط المسألة ـــ مصر والسودان ـــ بحذافيرها على بساط البحث فى شهر أغسطس القادم حين يجتمع فى لندن المندوب السامى وحاكم السودان العام .

لايحمل لقب صاحب دولة ولاصاحب معالى والذى يغلب عليه التواضع فيأبى إلا أن يكون لقبه « مدير الادارة الاوربية بالأمن العام » .. فقط بس من غير اضافة ولا رتوش ...

مستر كين بويد هذا يريد منا أن نعتقد أنها صدفة وأن الصدفة تكون أحياناً أقوى من بنات الخيال !

قبض على الشريف عباس حليم فى يوم ٢٩ يونية .

ولقد سمعنا أن الشريف كان على موعد لمقابلة فخامة المندوب السامى فى يوم ٣٠ يونية فى الساعة ١٢ ظهراً .

وسواء كان مستركين بويد قد عرف بخبر هذه المقابلة المنتظرة أو لم يعرف فان الاكيد ان لجنابه شأناً بما حدث وما تلاه من القاء القبض على عباس حليم .

وسمعنا كذلك ان فخامة المندوب السامى استدعى اليه مستر كين بويد وسأله عن حكاية العمال والشريف عباس حليم وان مستر كين بويد قال فيما قال انه يعتبر عباس حليم (اخطر رجل فى مصر) ؟!

لاتزال مشكلة فوائد الدين مشكلة المحاكم المختلطة تغطان هما « والطرق الدبلوماسية » فى نوم عميق !

والذى نعرفه نحن من زمن أن وزير فرنسا المفوض السابق مسيو جايار صرح قبل سفره فى مجلس خاص ان حكومة فرنسا لن تتزحزح عن موقفها ولن ترضى بدون الدفع بالذهب . وحجته فى ذلك أن أى تساهل من جانب الحكومة الفرنسية سوف ينسب الفضل فيه الى تدخل انجلترا ...!

واضاف مسيو جايار الى قوله هذا ان حكومته كانت لا تتأخر عن مجاملة وكسب ود أية حكومة مصرية قوية محبوبة من الشعب . ولكنها لن تتساهل والامور كما هى الآن !

هذا وقد أبحر فى يوم الثلاثاء الماضى المفوض الجديد لتمضية أجازته . وقد علمنا أن سعادته قابل قبل سفرهفخامة المندوب السامى مرتين وان الحديث دار بينهما حول فوائد الدين ومشكلة المحاكم المختلطة ، وان مسيو ده فيتاس اكتفى بالقيام بدور « السميع » فقط ...

... وان كل ما قاله هوأنه سيباحث حكومته فى الامر !

وفى انتظار هذه المباحثة يسرنا أن نبشر حضرات القراء بأن دولة رئيس الوزراء قد انتهى من مطالعة الجزء الثانى من كتاب الطرق الدبلوماسية فى فض المشاكل الدولية !!

قابل سعادة وزير المالية الاستاذ عبد الحميد بدوى باشا ، وبعد أن عوج الوزير طربوشه تساءل ساخراً ماذا كانت نتيجة المهمة التى سافر من أجلها كبير المستشارين وهى حمل الدول على قبول دفع فوائد الدين بالورق ؟

وأجاب عبد الحميد باشا : ولاحاجة !

ووقف التواضع برهة يتردد فى « زور » وزير المالية الى أن أخرجه الوزير بكحة قوية ، وقال : تعرف لو كنت سافرت أنا كان يحصل إيه ؟

— أيوه أعرفه . كان زمان الدول طالبتنا بدفع فوائد الدين بالألماس مش بس بالذهب !

وانصرف بدوى باشا تاركا التواضع ممسكا بخناق الوزير !

ويكتب التابعى تحت عنوان آلو آلو : دار المندوب السامى : أنا حسن صبرى بك :

ما من شك فى أن العلاقات بين فخامة المندوب السامى وحسن صبرى بك وزير المالية والتصريحات النقالى ، ما من شك فى أن العلاقات بينهما على خير ما يرام .

ووزير المالية سيد من يحرص على أن يعلن هذه الحقيقة فى كل مناسبة وغير مناسبة بعد أن يضيف الى الواقع شيئا من الرتوش الذى يغتفر لرجل مثله واسع الخيال ومؤمن بكفاءة الأمريكان فى فنون الاعلان .

ويحدث أن يزوره أحيانا فى مكتبه بالوزارة صديق لدولة رئيس الوزراء .

ويمسك حسن صبرى بك بسماعة التليفون ويطلب رقما مخصوصا ثم يتكلم بالانجليزية :

ــ هالو ... اكسلنسى ؟!

وتتكرر كلمة « اكسلنسى » بين جمل وعبارات لايفهم الزائر منها شيئا .

ثم يضع الوزير السماعة ويشبك اصابعه فى أطراف الصديرى ــ فى الشتاء وأطراف حمالة البنطلون فى الصيف ــ ويقول :

ياسلام .. الراجل ده طيب ولطيف كتير !

ويسأله الزائر : مين هوه يابيه ؟

ــ المندوب السامى ! سيرميلز لا مبسون . راجل بنى آدم صحيح ويخجل الواحد بلطفه ورقته .. امبارح بس كلمنى بالتليفون مرتين .

ويضع الزائر ابن الحلال ذيله فى أسنانه ويطير على دولة رئيس الوزراء .

ويتناول دولة الباشا مقطوعية العكننة اليومية من فم صديقه .. ويحبس عليها بقرص اسبرين !

وتدرك معى من هذا أن النظافة قد أصبحت فى هذا العهد فضيلة يجب أن يوضع تحتها خط وحولها قوسان !!

وتحت عنوان : يوم الأحد الماضى : قدم دوله رئيس الوزراء استقالته وقد جاء فى التحريات ما يلى : [العدد الثالث]

كان صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا يمنى نفسه يوم تولى الحكم انه يستطيع أن يكمد خصومه وحساده .. أو على الاقل يستطيع أن يرضى انصاره والمعجبين .

واليوم وبعد عشرة شهور قضاها فى الحكم يعترف دولته معنا ولاشك بأن أخلص الضحكات فى مصر وأعلاها وأصفاها رنينا هى ضحكاتنا نحن الخصوم و« الحساد » ..

وأما الكمد فقد اتخذ له محلا مختاراً فى وجوه أنصار دولته والمعجبين .

وتأبى علينا الذمة بل ويأبى علينا التواضع أن نطالب بنصيب الاسد فى فضل هذا الكمد وهذه الحيرة وهذا القرف الذى يشكو منه اليوم رئيس الوزراء .

ونحن قوم جبلنا على أن نعترف بالفضل لذويه ...

و« ذوو الفضل » الاول هنا نقابة على رأسها وزير المالية حسن صبرى بك الذى اتخذ له منذ شهور لقب معكنن أول الدولة ، والذى أتى فى ميدان العكننة بما لم يستطعه الاوائل !

حديث الاسبوع

وكانت دعوة وزير المالية لفخامة المندوب السامى حديث الاسبوع الذى أقام الوزراء وأقعدهم ــ أما نحن فلم نقم ولم نقعد ــ ويقسم صاحب السعادة وزير الاشغال انه لم يعرف خبر هذه الدعوة الا من الصحف ... ويتضامن معه فى هذا القسم زملاؤه الوزراء .

وانتهت الوليمة ، وأرسل رئيس الوزراء الى حسن صبرى بك يعتب عليه كذا ويقول له ان كيت لم يكن من باب العشم .

وأجاب وزير المالية بأن دولة رئيس الوزراء هو الذى وضع هذه السابقة يوم دعا المندوب السامى لتناول العشاء على ظهر الباخرة محاسن وشاء له الهوى أن ينفرد وحده بأنس المندوب فلم يشرك معه وزيراً آخر ... ولو على الاقل لكى يلقنه شعر الغزل !....

– وعلى كل حال فان دعوتى لفخامة المندوب السامى كانت دعوة خاصة « intmate » بين صديق وصديق .

وتكلمت الصحف بعد ذلك تصف استقبال المندوب وما وقع فيه من هتاف وتضايق رئيس الوزراء وطلب من سعادةالغرابلى باشا أن يسأل حسن صبرى بك بالتليفون عما حدث ...

وكان حسن بك لايزال فى عزبته .

وأجاب الغرابلى باشا الطلب وتكلم بالتليفون مع وزير المالية . ولكن حسن صبرى بك تجاهل أسئلة الغرابلى باشا ثم تلطف وسأل زميله وزير الاوقاف ما إذا كان يحب « حب العزيز »لأنه ــ أى وزير المالية ــ ينوى أن يقيم فى الصبرية ثلاثة أيام

سوف يزور أثناءها مقام ولى الله ابراهيم الدسوقى لكى يقرأ له الفاتحة ويدعو للوزارة .... بطول العمر والبقاء !

الاستقالة

وعاد حسن صبرى بك من الصبرية ... وبعد وصوله إلى داره بساعة كان صاحب الدولة رئيس الوزراء يسأل عنه بالتليفون .

وقيل لدولته ان البيه نائم وانه أمر بأن لايوقظه أحد .

وفى اليوم الثانى أعاد رئيس الوزراء الكرة بالتليفون وطلب من زميله وزير المالية أن يمر عليه لانه يريد أن يتحدث معه فى هذه الحكايات التى جرت وراءها أطناناً من القال والقيل .

ولكن وزير المالية اعتذر لدولة رئيسه بأنه مشغول جداً ولايستطيع أن يترك مكتبه اليوم !؟

وهنا نفض صبر أيوب يده من الموضوع وأعلن أنه واقف على الحياد !

وقام صاحب الدولة رئيس الوزراء وكتب استقالته .... (لان تصرفات أحد زملائى تجعل من الصعب علىَّ أن أقوم بمهمتى كرئيس لمجلس الوزراء) !

وذهب صاحب العزة فؤاد حسيب بك السكرتير العام لمجلس الوزراء يحمل خطاب الاستقالة .

ولم تمض ساعتان حتى قام موظف كبير وقابل وزير المالية ومازال به حتى أقنعه بمقابلة رئيس الوزراء .

وتمت المقابلة . وقال وزير المالية لدولة عبد الفتاح يحيى باشا إن المأدبة كانت خاصة ولم يقع فيها أى هتاف وكذلك لم يدر فيها حديث سياسى ما ..؟

وهز رئيس الوزراء رأسه وقال إن « التقارير » التى عنده تقول إن هناك هتافات وان المندوب السامى خطب فى الفلاحين الذين جمعهم له وزير المالية وقال لهم إنه مستعد دائما لخدمتهم .

وغضب وزير المالية وقال انه يرفض بإباء وشمم أن يضع نفسه تحت رحمة تقارير ادارة الأمن العام !

دار المندوب تطمئن !

وفى اليوم التالى ذهب مستر جرافتى سمث السكرتير الشرقى المساعد بدار المندوب السامى وقابل رئيس الوزراء وأبلغه تحيات فخامة المندوب السامى وأسفه على خطأ المعلومات التى اتصلت بدولته عن عزومة الصبرية .

وقد اعتبر دولة رئيس الوزراء هذه الخطوات ترضية كافية ورضى بسحب استقالته ......

– الى أن تجدوا واحداً غيرى !

وعن أزمة مذكرات ـ كتب محمد التابعى :

عرف الناس فى يوم ما ان هناك مذكرة تريد الحكومة أن تقدمها الى الدول فى شأن المحاكم المختلطة ، ولكن أحداً لم يكن يعرف أن الذى وضع هذه المذكرة هو مستر بوث المستشار القضائى ! ؟

وعند الحكومة وتحت تصرف مجلس الوزراء .. كبير المستشارين عبد الحميد بدوى باشا . ومن اختصاصه ومن حقه كمستشار أول وكمأذون للقرية أن يضع هو هذه المذكرة .. ومن ثم غضب الاستاذ عبد الحميد بدوى باشا وأعلن غضبه واحتجاجه .

وهدأ روعة رئيس الوزراء ووعده بأن المذكرة التى سترسل للدول والتى سيمضيها هو – رئيس الوزراء – لن يضعها الا كبير المستشارين الملكيين .

وضع بدوى باشا المذكرة وكان المتفق عليه أن تبلغ هذه المذكرة الى الدول قبل سفر بدوى باشا فى المرة الأخيرة .

ولكن المذكرتين – مذكرة بدوى باشا ومذكرة مستر بوث – عرضتا على الوزراء متفرقين .

وهرش كل وزير رأسه وأبدى ما جاد به الهرش من آراء وملاحظات .

واتصل خبر المذكرة الثانية بالمستشار القضائى مستر بوث فأعلن تكشيرة عريضة واحتج وقال إن مذكرته قد وضعت بالاتفاق وبعد التفاهم مع دار المندوب السامى .. ومستر فوكس رئيس محكمة الاستئناف المختلطة !

واعتمد دولة رئيس الوزراء رأسه بين يديه !!

ويقال اليوم ان لا هذه ولاتلك سوف ترسل .. وأن الحديث الدبلوماسى الشفوى يغنى عن المذكرتين ووجع الدماغ !

وتحت عنوان فخامة المندوب السامى : يخطب التلاميذ فى الصبرية كتب التابعى :

إتصل بنا هذا الخبر الذى نرويه ، وليس أحب الينا من أن تكون الرواية مبالغا فيها ، وأن يكون وزير المالية بريئا من هذا الذى يزعم الرواة انه اقترف .

يقولون ان وزير المالية جمع عددا كبيرا من الفلاحين ، وأن فخامة المندوب السامى وقف يخطب فيهم بعد انتهاء الوليمة ، يقول انه يشكر لصديقه حسن صبرى

بك انه هيأ له هذه الفرصة السعيدة لكى يعرفهم ويمد يده اليهم ويعدهم بأنه يكون دائما سعيدا بخدمتهم وأن بابه مفتوح لكل شكوى تجيئه منهم سواء مباشرة أو بالواسطة !!

وفى العدد الرابع من مجلة آخر ساعة وتحت عنوان المندوب السامى يقول : هذا الحكم لايرضينا ولايرضى المصريين وقد جاء فى المقال ما يلى :

فى هذا الجو المتناقض المضطرب المخزون بكهرباء الاشاعات والذى تسقط فيه الوزارة فى كل يوم مرة ، وتكذب سقوطها فى كل يوم مرتين .. وفى هذا الجو تبرز بوضوح – على الأقل – هذه الحقيقة الواحدة وهى أن الايمان بمحاسن العهد الحاضر لم يكن فى يوم من الأيام أضعف منه الآن ، وان الذين نظموا القصيد قد مزقوا القصيد وان سؤال اليوم الذى يردده كل لسان ليس هو كيف يحافظ على هذا العهد وما فيه .. وإنما هو كيف يكون الانتقال من هذا العهد الى عهد يرضاه العقل وترتضيه البلاد !

هذا هو السؤال ...

والانجليز المسئولون الأول عن هذا العهد من الفه الى يائه قد فتحوا عيونهم أخيرا على هذه الحقيقة الثانية وهى أن المصلحة – ومصلحتهم هم قبل كل مصلحة – هى فى الخروج من هذا الظلام الذى طال .

ولقد كنا ألمحنا فى أول عدد صدر من هذه المجلة الى التقارير التى بعث بها فخامة المندوب السامى الى حكومته فى لندن ...

وبين يدينا الآن رسالة من لندن بعث بها الينا بالبريد الجوى صديق وزميل وتاريخها ٢٧ يوليو ، والرسالة مشحونة بالاخبار منها ما نشرناه منثوراً بين صفحات هذا العدد ومنها مالا نرى مصلحة فى نشره الآن .

تقرير .

كتب فخامة سير ميلز لامبسون فى تقرير أخير ما ترجمته بالحرف الواحد :

(.. إما أن نحكم حكما يرضينا ولايرضى المصريين . وإما أن نساعد على وجود حكم يرضينا ويرضى المصريين . أما الحكم الحاضر فانه لايرضينا ولا يرضى المصريين)

وهذا المعنى مختصر وجميل ، ولكن أجمل منه النية الصادقة فى العمل على تحقيق مايقوله اللسان .

أما الالفاظ فى ذاتها فليست لها قيمة . ولقد كان القائد الانجليزى فى أيام الاحكام العرفية يبلغ المتهم المصرى خبر الحكم عليه بالاعدام ...

ويرجوه فى أول السطر التالى أن يعتقد أنه خدامه المخلص المطيع !

على ماهر باشا

ولسنا من الذين يعلقون أهمية على « حركات » معالى على ماهر باشا ولا من الذين يميلون الى إعطائه أكثر من حقه .

و « حقه » لا يرفعه كثيراً من مستوى مئات ممن يسمون أنفسهم ساسة فى هذا البلد وتتعثر بهم أنت فى ظلال الجدران .

وسأله صحفى أثناء إقامته فى سكوتلانده عن رأيه فى الحالة الحاضرة فى مصر فأجابه معالى الباشا الذى بدأ أخيراً يحفظ الف باء أبى الهول ... أجابه معالى الباشا :

- أنا مريض ... وابنى مريض ... ونحن الآن نتعالج !

ولكن معالى المريض اليه تعالى كتب الى اتحادى كبير فى القاهرة يقول ما معناه ان المحادثات القصيرة الموجزة التى جرت بينه وبين الذين قابلهم فى طريقه الى دار الاستشفاء قد جعلته يفهم أن الانجليز لايؤمنون بأنصاف الحلول وأنهم لاينظرون بعين الارتياح الى وزارة « مسكنات » وأنهم يرون إعادة الحالة الطبيعية أى بأن تتولى الحكم وزارة من الاغلبية وإلا فلا فائدة ترجى من أى تغيير بل هم فى هذه الحالة يفضلون أن يتركوا الحالة على ماهى عليه ...

ونرجو نحن أن لا يكون بيننا وبين على ماهر باشا أى خلاف على « الاغلبية » وأين تكون !

وسوف يصل معالى الباشا الى لندن فى يوم ٦ أغسطس أى بعد غد . والمرجو من معاليه أن يهز طوله ويرفع راس مصر عالياً فى « بيكاديللى سيركس » و « اكسفورد ستريت » !

رأى المندوب السامى

للمندوب السامى رأى ننشره اليوم ونرجو أن يدرج غداً فى رأس قائمة جدول الاعمال لمجلس الوزراء .

تقابل المندوب السامى مع الوزراء وذهب يسأل أحد معاونيه فى الدار

- هل لا يوجد فى مصر غير هذا الصنف من الرجال للحكم ؟ فأجابه محدثه : يوجد . ولكنهم لايرضون بالنظام الحاضر .

فقال المندوب :

- أجل . العقبة هى النظام الحاضر ولكنها عقبة من السهل التغلب عليها !

وسوء الظن .. ؟

صرح وزير المالية لبعض أخصائه أنه لاحظ أن بعض مشروعاته وآرائه التى مازالت فى دور الأخذ والرد والتفكير قد أصبحت موضع المضاربة والاستغلال ، ولهذا فقد امتنع سعادته عن التحدث فيها أمام أى زيد وبكر ممن كان يثق فيهم قبل الآن .

وفى سوء الظن حكمتان . واحدة تقول إن سوء الظن عصمة . والأخرى تصر على أن سوء الظن اثم .

وانا لنرجو أن يكون وزير المالية قد وفق الى الاختيار الحلال .

دعوة أخرى .

خبر لم تنشره الصحف .. فى نفس الوقت الذى جلس فيه فخامة المندوب السامى وصحبه الى مائدة وزير المالية المضياف فى الصبرية ، دق جرس التليفون فى دار سعادة الوزير فى رمل الاسكندرية ..

واذا بدار المندوب السامى تبلغ دار الوزير أن الآنسة كريمة سير ميلز لامبسون والآنسة ابنة شقيقته سوف يسرهما أن يتناولا اليوم الشاى مع السيدة الفاضلة حرم حسن صبرى بك .

وقد كان .

واذا كانت دعوة الصبرية وحدها قد أثارت أزمة ، فنحن نرجو أن يثير هذا الخبر الجديد أزمة ثانية وخناقة لرب السماء !

وانما الشطارة أن يغضب رئيس الوزراء لنفسه ولطاهيه وأن يصر على الاستقالة . وأن يتمسك وزير المالية بحريته أو يستقيل . وأن يتمسك كل وزير بأن يكون له الشاى دون العالمين أو القبر !

وأما هذه الازمات التى تقوم وتطفأ بقدح من الماء فليست فى شىء لا من الحكم ولا من الأصول !

ويبقى فى هذا العدد - الرابع - فقرة هامة أخرى بعنوان : صاحب الفخامة السلحفاة .. جاء فيها :

ترى الجالية الانجليزية فى مصر أن سير ميلز لامبسون معدود من ساسة الدرجة الأولى ولكنها تؤاخذ عليه انه بطىء . وأنه قد انتهى منذ أسابيع الى تكوين رأى قاطع فى الحالة الحاضرة ومع ذلك فانه لم يخط حتى الساعة خطوة سريعة واحدة نحو الحل المنشود .

وسمع المندوب السامى بما تقوله الجالية الانجليزية فقال انه لا يستطيع أن ينكر بطأه . ولكن أحداً فى الوقت نفسه لا يستطيع أن ينكر عليه حقه فى أن يكون حذراً

كثير الاحتراس ، أو أن يتعظ بما حدث لاسلافه المندوبين السابقين ، فقد اعتقد كل أحد منهم فى يوم ما أنه قد وفق الى حل العقدة ثم اذا به يقبض على ماء .

ويقول فخامته انه يفضل أن يكون بطيئاً كالسلحفاة ... لاسريعاً كالأرنب مادامت السلحفاة قد سبقت الارنب فى المثل المشهور !!

ويتميز العدد الخامس بنصفه اخبار كتبها التابعى بقلمه ، ووقع عليها بإمضائه ـ كما حدث فى الأعداد الماضيه . اولهما : عن الموظفين البريطانيين فى مصر ، الذين رفعوا مذكرة احتجاج الى المندوب السامى البريطانى فى مصر على النحو التالى :

هناك حركة بين أفراد الجالية الانجليزية فى مصر ، وليست هذه الحركة بنت اليوم .

فريق منهم ـ وهم أرباب الصناعات وأصحاب المصالح التجارية ينظرون الى الحالة الحاضرة فى مصر بعين التشاؤم . ويطلبون من حكومتهم أن تضع حداً لهذه الحالة وما وراءها من ذبذبة سياسية قد آذتهم ابلغ الأذى حتى وقفت سوقهم وبارت تجارتهم من جراء مافقدوه من عطف وصداقة المصريين .. ويدللون على هذا بان محلا تجارياً كبيراً قديما كمحل « دافيزبراين » قد صفى أعماله ويوشك أن يغلق الابواب .

وعما قريب تحلق به محلات انجليزية أخرى ليس لموظفيها اليوم من شغل سوى هش الذباب !

والفريق الآخر هو فريق الانجليز الموظفين فى خدمة الحكومة المصرية ، والذين رحبوا بهذا العهد وتمتعوا فيه بتهشيم أى عدد يشاءون من رءوس وأضلاع المصريين دون أن يلحق بهم قانون أو تسألهم سلطة أو وزير : تلت التلاتة كام !

وعلى رأس هذا الفريق جناب مستر كين بويد وذراعه اليمنى أو اليسرى ـ كما يشاء أو تشاء ـ مستر جريفز . وكانت شكوى كل منهما فى حكومات الوفد أن واحداً منهما لم يكن يستطيع أن يصلب طوله أمام أى وزير وفدى أو يحس أن له قيمة تزيد عن الكسر الداير أو الصفر الى اليسار .

والحالة الوحيدة التى كان الواحد منهما يستطيع أن يصلب فيها طوله ، هى الساعة التى كان يُقفها بباب الوزير الوفدى ينتظر الاذن بالدخول !

هذا الفريق من الموظفين الانجليز من مصلحته إذن أن تستمر الحالة الحاضرة .

ولقد أحس هذا الفريق أن فى الجو شيئا ما فجلس وكتب عريضة أو لفت نظر ـ سمّها كما تشاء ـ وبعث بها الى فخامة المندوب السامى وفيها يقول ما خلاصته ...
(انه اتصل بهم أن صاحب الفخامة يعد العدة لتنفيذ سياسة جديدة قد يكون من

نتائجها إعادة زعماء « العامة » الى مناصب الحكم وهؤلاء الزعماء قد عرفوا بتطرفهم وبأنهم يفخرون بعدوانهم لبريطانيا ؟) ثم .. (ونحن الذين أقمنا فى هذه البلاد سنوات عديدة ودرسنا الحالة فيها عن قرب نستطيع أن نقول إن عودة حكم العامة معناه القضاء على النفوذ البريطانى ولهذا رأينا من واجبنا أن نلفت نظر فخامتكم الى الاضرار الجسيمة التى تنتج ... الخ)

وقد أمضى هذه العريضة مستر كين بويد ومعظم كبار الضباط الانجليز فى البوليس المصرى وسواهم .

ولما اطلع فخامة المندوب السامى على هذه العريضة بعث يقول لأصحابها إنه جاء الى مصر ليصدر أوامره الى الموظفين الانجليز لا لكى يتلقى منهم الأوامر والتعليمات !

تغيير الطقم

واتصل بنا أن فخامة سير ميلز لامبسون قد صرح بان « الطقم » الانجليزى الموجود الآن فى الحكومة المصرية فى حاجة الى التغيير ، إن لم يكن من أجل مصلحة مصر ، فمن أجل مصلحة بريطانيا نفسها !

القاسم المشترك

بين وزير المالية ورئيس الوزراء خناقة . وبينه ووزير المواصلات خناقة .. وبينه ووزير الزراعة خناقة ..

وبين سعادته وغير من ذكرنا الف خناقة وخناقة . وهكذا أصبح وزير المالية « القاسم المشترك الأعظم » للخناقات فى مجلس الوزراء .

ورأى سعادة وزير الحربية أن يكون « حمامة » السلام والوئام وأن يفض بعض هذه الخناقات ومن هنا انتهز فرصة رحلة السلوم ودعا وزير المالية ووزير المواصلات لكى يوفق فى الحلال بين رأسيهما طرف أول وطرف ثانى رأس دولة رئيس الوزراء .

واعتذر وزير المواصلات بسببين : (١) أن لديه مهاما خطيرة تحتم عليه أن يحرم نفسه من شرف تلبيته هذه الدعوة و (٢) لأنه مرتبط بموعد سابق مع ابن خالته ؟ !

ووزير الحربية يعرف أن وزير المواصلات ليست له خالة . ولم يسمع أحد قبلا عن امكان وجود ابن خالة من غير خالة .

ماعلينا ... أما وزير المالية فقد قبل الدعوة . وسافر الثلاثة وفى أثناء الطريق أخرج رئيس الوزراء تقرير صاحب العزة محمود بك حسن عن الاستبدالات وتلا منه

الجزء الخاص بحكاية سعادة أحمد فهمى حسين باشا مدير الغربية وابن أخ حسن صبرى بك !

وقال رئيس الوزراء ان فى نشر هذا التقرير اساءة الى سمعة الادارة الحكومية وسمعة مدير الغربية ولكنه يرضى بالصهينة إذا تنازل المدير عن الصفقة ...

وهنا طارت حمامة السلام ! وهاج وزير المالية . وهاج رئيس الوزراء . وعرق وزير الحربية وحاول عبثا أن يرفع الراية البيضاء .

وأخيراً طواها سعادته وجلس يجفف بها عرقه ويصغى باعجاب الى الفصاحة التى كان يتبادلها الاثنان !

ويتساءل التابعى فى نفس العدد (الخامس) لماذا يعتزل صدقى باشا السياسة ويحاول الرد على النحو التالى :

زار صاحب المعالى حلمى عيسى باشا دولة صدقى باشا مهنئا بسلامة العودة ... ثم تنحنح معاليه مرتين وأخرج من جيبه ورقة ألقى عليها نظرة ثم صلى على النبى وقال إن الوزارة قد اكتشفت أن صدقى باشا فعل كذا وارتكب كيت فى أثناء وجوده فى كرسى الحكم وأن تحت يد الحكومة الأدلة والبراهين .

وهنا غلب الشعر على وزير المعارف والفنون فقال : ولكن عبد الفتاح يحيى باشا قلبه رقيق ... ثم هو يعتقد أن الضرب فى الميت حرام ! ... ولذلك يؤثر دولته أن يكفى ماجوراً على الماضى وأن يكفى صدقى باشا شر القتال ولكن على شرط أن يكفى هو أيضا الوزارة شر القتال ...

أما إذ أصر صدقى باشا على أن يظل « حراً » فان الوزارة ستكون هى أيضا « حرة » تفعل ماتشاء !

ورجا حلمى عيسى باشا من صدقى باشا بحق العيش والملح وذكرى الجهود المشتركة فى بطح وتعوير المصريين ... أن يحكم العقل وأن ينزوى فى ركن مظلم يعصمه من التحقيق فى كذا وفى كيت .

وفى اليوم التالى انطلقت الإشاعة بأن صدقى باشا قد اعتزل السياسة والحمد

وينقل التابعى فى العدد السادس فقرات من تقرير لصاحب الفخامة المندوب السامى يقول :

« قد لا يكون الحكم النيابى خير طرق الحكم فى الشرق ، ولكنه على كل حال أنظف طريقة للحكم على شرط أن يكون البرلمان وطريقة انتخاب أعضائه فوق كل ريبة وشك . »

وفى موضع آخر من تقريره تكلم فخامة المندوب السامى عن الوسائل التى رآها أسلافه ضرورية لتوطيد هيبة بريطانيا وقال فيها انه مع احترامه للبواعث التى اوحت بهذه الوسائل ومع تقديره للاثر الذى تركته فى الوقت المناسب فانه يسمح لنفسه أن يقول فيها إنها كانت محاولات قاصرة على المظهر فقط وانه ليس هناك مايدل على أن هيبة بريطانيا قد توطدت أكثر من ذى قبل .

ويرى فخامته أن التجارة البريطانية فى مصر قد أهملت ولم يلتفت اليها الالتفات الكافى وأن الازمة الاقتصادية العامة لا يمكن أن تكون وحدها المسئولة الوحيدة عن الضرر الذى لحق بتجارة بريطانيا فى مصر ...

الى أن يقول فخامته : (وعندى أن كل شركة بريطانية تقوم فى مصر على أساس صالح متين هى أكثر ضمانا للامبراطورية ومصالحها من عشر أورط من جيش الاحتلال) !!

وتحت عنوان تعديل فى الوزارة كتب محمد التابعى [نفس العدد]

للمرة الخامسة أو المرة الخامسة بعد المائة لانذكر .. يقول أنصار الوزارة فى هذه الايام إن المعارضة قد تنكر على دولة رئيس الوزراء كل شىء .. ولكنها لاتستطيع أن تنكر عليه أن دولته يفهمها وهى طايرة ؟ !

ولقد فهم دولة الباشا أن الجو السياسى يوشك أن يتمخض عن انقلاب قد يزحزح الوزارة بالجملة وبالقطاعى عن كراسيها لاسباب قد يمكن معالجتها ولو مؤقتا بعملية من العمليات التى يعلن فيها وزير أو وزيران ان حالتهما الصحية لاتمكنهما مع الاسف من الاستمرار فى رفع رأس الوطن العزيز .. والتى يقول فيها وزير ثالث أو رابع ان أطباءه قد أشاروا عليه بأن جو لاظ او غلى لم يعد يناسب مرض الكبد الذى يشكو منه معاليه .

... أى بعملية تبديل وتغيير فى اعضاء الوزارة على ان تراعى فى هذا التبديل المصلحة كما تقضى بها الظروف والملابسات !

فهناك مثلا مراجع رسمية تصر على ان وزيرين بالذات يستطيعان ان يخدما البلد اكبر الخدمات فى خارج الوزارة !!

وهناك وزير ثالث ـ لا نذكر إسمه نزولا على حكم طرق الكتابة الدبلوماسية .
وهذا الوزير يصر على أن يرفع راية الاستقلال التام ولو كان فيها موت الوزارة الزؤام

ثم هناك أخيراً لا آخرهم فى الترتيب صاحب العزة وزير المالية الذى لا تنكر كفاءته ومقدرته على عكننة أكبر عدد ممكن من الوزراء ...

ثم هناك وزير خامس يفضل أن يعود الى السلك السياسى . وقد يعين وزيراً مفوضا لمصر فى بروكسل بدلا من سعادة مراد سيد احمد باشا الذى يحال الى المعاش .

وتقول الاشاعة ـ ومصدرها كما قدمنا بعض أنصار الوزارة ـ تقول الاشاعة إن دولة رئيس الوزراء فرك كفيه سروراً وتناول قلما وشطب على أسماء الوزراء الذين يستطيعون أن يخدموا بلدهم خارج الوزارة أكبر الخدمات ... والذين يشكون من مرض الكبد ... والذين يرفعون راية الاستقلال التام ... والذين ... والذين ... ووضع مكانهم هذه الاسماء : على ماهر باشا وعبد الحميد سليمان باشا ومحمود بك زكى وكيل مجلس النواب .

وهنا قيل لصاحب الدولة :

ـ هل فاتحت فى هذا الامر الشمسى باشا ؟

قال لا ...

ـ وعلى ماهر باشا ...

برضه قال لا ...

إذن فقد فعل دولة الباشا مافعله جحا يوم خطب لنفسه بنت السلطان ولم يبق مايحول دون زواجه منها سوى الاتفاق مع أبيها على المهر ويوم الزفاف !

ويرى ـ التابعى ـ ان السفير البريطانى فى مصر انتقد فى تقرير له بعض حوادث وقعت فى مصر ، ولكن فى غير عهده مؤكدا انه لم يكن مجهولا عند احد أن الأداة الحكومية فى مصر كانت تشكو الفساد وان حوادث ارهاب وقسوة وقعت دون أن يتخذ فيها اجراء شديد ... وأن الرأى العام المصرى يعتبر الانجليز مسئولين عما وقع فى مصر من الفضائح والحوادث التى لا يستطيع أن يقبلها أى ضمير حر نزيه .

ثم قال فخامة المندوب : « حقيقة لم يثبت أن لنا أى ضلع فى فضيحة من تلك الفضائح ولكن المصريين يحملوننا المسئولية عنها بحجة انه كان فى وسعنا أن نمنعها وأن لا شىء يحول دون تدخلنا فى الوقت المناسب لو نشاء ، وأن دار المندوب قد سبق لها أن تدخلت فعلا فى حوادث معينة مع أن مبررات التدخل لم تكن أقوى ولا أوضح منها فى الظروف التى أشرت اليها فى هذا التقرير » .

وتحت عنوان : استدعاء على ماهر باشا من انجلترا : التغيير المنتظر يكون من عودة جلالة الملك من ايطاليا .

وفى العدد السابع من آخر ساعة كتب التابعى .

أسرعت الينا الاخبار بخطى أوسع مما قدرنا ، فلم يكد سير ميلز يبتعد كثيراً

عن شواطىء مصر أو تمثال ده لسيبس حتى جاءت الانباء بتعيين مستر بترسون مندوبا ساميا بالنيابة . ويلوح لنا من السرعة التى تم بها هذا الانتداب وقبل أن يصل سير ميلز الى لندن ... يلوح لنا ان الأمر كان متفقا عليه بين لندن ودار المندوب !

ولا يستطيع أحد أن يتجاهل هذا الاحساس الغامض المبهم وهو أن هناك شعوراً عاما بقرب وقوع تغيير ما ، قد لا نستطيع أن نحلله أو نقول فيه أين تبدأ الألف وأين تقع الياء . ولكن هناك تغيير والسلام .

وانقسمت الصحافة فى استقبال الخبر الى قسمين : فالصحافة المعارضة والصحافة المستقلة لم يطاوعها ضميرها على أن تنكر خطورة الأمر أو تحاول الانتقاص من أهمية النبأ وما قد يدل عليه ، ومن هنا نشرته فى صدر صفحة الاخبار الهامة ووضعت له عناوين بالبنط الكبير !

اما الصحافة الحكومية الصريحة أو الحكومية المستترة فقد اكتفت بنشر الخبر مع بقية التلغرافات التى تتحدث عن الضرائب فى أرلنده والمؤتمر اليهودى فى جنيف ... وعن يمين الخبر اعلان سجاير كوتاريللى وعن يساره المانيزيا أحسن علاج للامساك !

ولا نظن أن هناك ماهو أبلغ فى الدلالة على أهمية النبأ من هذا الاهمال المقصود من جانب صحف الحكومة !

والسؤال الآن هو ماذا هناك ؟

عندنا مقدمات قد تدل على اتجاه معين ، ولكن الأمر أكثر خطورة والظروف أشد تعقيداً من أن يستطيع كاتب ما ان يضع ذيله فى أسنانه ويجرى ليقول للجمهور : هذه هى المقدمات ! وهذه هى النتائج التى يجب أن تنتهى اليها هذه المقدمات !

كلا . فالمنطق شىء والسياسة شىء آخر المقدمات تقول ان الانجليز غير راضين عن كيفية سير الامور فى مصر فى السنوات القليلة الاخيرة ، وانهم يسلمون بان الاداة الحكومية قد فسدت الى حد كبير ، ولا يعارضون فى ان دعوى الوزارة الحاضرة بانها مؤيدة من كافة طبقات الامة هى دعوى ـ أقل ما يقال فيها ـ إنها دعوى تثير الابتسام ! ... وان الوفد هو الهيئة الوحيدة فى مصر التى تستطيع ان تتكلم باسم مصر ، والهيئة الوحيدة فى مصر التى خرج من بين صفوفها وزراء وحكومات لم يرق اليها الشك أو ظل الريبة فى يوم من الايام .

المقدمات تقول بان الانجليز يسلمون بهذا كله . وكان المنطق الصحيح يقضى اذن بنتائج معينة منها ان لا يقف الانجليز موقف التأييد من هذا العهد الذى يشكون منه ، ومنها ان تتولى الحكم الاغلبية الوفدية التى يسلمون لها بكذا وكيت مما ذكرناه .

ولكن المنطق كما قلنا شيء . والسياسة شيء آخر . وقد ينزل الانجليز على حكم المنطق ـ وهو ما نرجحه ـ وقد يرون التريث لسبب ما .

ثم هناك من يقول بان الانجليز ينوون ان يتدخلوا فى شئون البلد تدخلا عمليا صريحا وان يستعيدوا الاشراف الذى كان لهم قبل صدور تصريح ٢٨ فبراير ! ؟

... وان الحكومة الانجليزية مع تسليمها بأن دولة عبد الفتاح يحيى باشا مثلا رجل نزيه واحمد على باشا مثله نزيه وقل المثل عن حلمى عيسى باشا والقيسى باشا وصليب سامى بك و ... و ...

... تقول إن النزاهة شيء و « الشخصية » التى تملأ عين البلد شيء آخر !؟

ومن هنا يفكر اصحاب الشأن فى اقامة وزارة من « الشخصيات » !!

ومن هنا ايضا ارسل موظف كبير المقام برقية طويلة الى معالى على ماهر باشا يطلب منه العودة الى مصر على أول باخرة .. ثم برقية ثانية يؤكد فيها الطلب ويلح فى ضرورة الاسراع بالحضور !

وتغمزنى واغمزك : هل معالى على ماهر باشا هو « الشخصية » التى تملأ العين ؟ !

واتصل بنا ان معالى على ماهر باشا انتهز فرصة وجوده فى لندن ونشط الى القيام بزيارات سياسية عديدة ، وان نشاط معاليه كان من الصنف الذى لايستريح اليه ضمير أى استشفاء أو مرض بالكبد أو بالطحال .

وسئل أحد الوزراء الحاليين : لحساب من يعمل على ماهر باشا ؟

وكان جواب سعادة الوزير : كعادته دائما .. يعمل لحسابه الخاص !

وصرح سعادة حافظ عفيفى باشا بأن الجو السياسى فى مصر مضطرب وأن الحالة تسير فى طريق التغيير ، وأن هذا التغيير سوف يتم فى غيبة فخامة المندوب السامى ، وأن فخامة سير ميلز لامبسون قد أوضح رأيه قبل سفره وأشار بما يراه علاجا للحالة وأن الأمر الآن قد أصبح بين يدى أصحاب الأمر ..

ثم يقول سعادة حافظ عفيفى باشا إنه يعتقد أن التغيير سوف يقع بعد عودة صاحب الجلالة الملك من رحلته الى اليونان .

وينقل على لسان عبد الفتاح يحيى باشا ، قوله ، انه عندما يتأكد من ان الهيئة ستقره على انتهاج سياسة جديدة فإنه سوف يقدم استقالته لأنه لايقبل ان يتمرمط كما تمرمط سواه لقد بقيت عاما فى الحكم

هذا وقد أرسل صاحب الدولة محمد محمود باشا برقيتين الى صاحب السعادة

على الشمسى باشا وحضرة صاحب العزة الدكتور بهى الدين بركات بك ـ وهما الآن فى سويسرا ـ يطلب منهما العودة الى مصر ، ويقول لهما مامعناه : « ياتلحقوا الوزارة .. ياماتلحقوهاش » !!

ومن رسالة جاءتنا من لندن ، ترى ان الباب مفتوح امام الوفد وقد جاء فى تلك الرسالة .

لا نزال حيث كنا فى الاسبوع الماضى .. حدس وتخمين واستنتاج أو إشاعات تتنافس مع إشاعات وتزدحم حول مقعد الصدر من اهتمام الجمهور .

وهنا وهناك خبر أو خبران أو ثلاثة ، لها نصيبها من الصحة والاحترام ، ولكنها لاتكفى لانارة الموقف وتبديد هذا الايهام .

والجمهور نفسه الذى عرف بشغفه باللغط وقصص ليالى الصيف قد بدأ يمل هذا الحديث مادام نصفه (قد ... وربما ... ولعل والمنتظر) ويريد من الانباء ان ترسم له بالابيض والاسود حقيقة الواقع ، وهل يرجو المستقبل او ينكفىء على حاضره ويغلق على نفسه الباب ؟!

والمندوب السامى ما هى سياسته .. بل هل له سياسة على الاطلاق ؟ وهل يعود الى مصر وهل .... وهل .... وهل كان يعلم بانتداب مستر بترسون قبل سفره أم لا ؟ ...

والحكومة الانجليزية ، هل هى احست اخيرا بان فى خارطة العالم بلدا اسمه مصر ... وان فى هذا البلد « حيادا » لايؤمن به احد ، حتى ولا رعاياها الانجليز ؟ .. وهلى هى اعتزمت اخيرا ان تواجه الموقف ، سواء لمصر او عليها ، وان تكون لها على الاقل هذه الحسنة وهى ان تنفى عن نفسها تهمة النفاق ؟

ثم ماسر هذه « الزعزعة » التى امتدت الى جوانب الصحف اليومية فحركتها وأخرجتها عن « وقارها » المعروف حتى راحت تنافس الصحف « الهزلية » ـ ولا فخر ! ـ وتتحدث عن الطوارىء والتطورات ؟!

لهجة لم يعتدها القراء من الصحف اليومية ، وكان من حقهم إذن أن يمسكوا بخناق كل علامة تعجب ويسألونها السر والايضاح !

كل هذه أسئلة ظلت وسوف تظل بلا جواب .

وبين يدى الآن رسالة من مندوبنا الفاضل فى لندن يقول فيها ان احد موظفى وزارة الخارجية البريطانية أفضى اليه بما ترجمته حرفيا :

ان من مصلحتنا رجوع الوفد الى الحكم لأن فى هذا انتهاء السياسة العدائية

التى تكاد تقضى على تجارتنا فى مصر . ولانه طالما الوفد خارج الحكم فكل حادث يحدث فى مصر يرجع المصريون سببه الى الحكومة الانجليزية حتى ولو أمطرت السماء فى الصيف !

(ولكن الحكومة الانجليزية ـ والمفتاح كما تعلم بيد أغلبية المحافظين ـ ترى عودة الوفد الى الحكم ولكن على أن لاتكون هذه العودة بلا قيد ولا شرط لأنها تخشى من بطش الوفديين ! « كذا » .

(ان الباب مفتوح امام الوفد ـ والترجمة الحرفية هى غير مغلق Unlocked ـ فهل سيدفعه كما يجب ان يفعل السياسى ام ينتظر حتى يفتحه أمامه التيار ؟

هذه هى اقوال موظف وزارة الخارجية ننشرها بلا تعليق . وكل ما نقوله فيها هو أن رسالة اليوم تؤيد الى حد كبير ما سبق أن قلناه فى الاعداد الماضية وهو أن الانجليز يسلمون بأن الحالة الحاضرة لايمكن وليس من الصواب أن تدوم ، ثم هم يؤمنون بأن لا مفر من التسليم بالواقع وهو أن التجربة قد فشلت وأن محاولة هدم الوفد قد خرج منها الوفد وهو أكثر قوة وأغنى صفوفا .

وودرت على الوزارة فى يوم الاثنين الماضى برقية من لندن ، وقيل انها من سعادة عبود باشا وانها برقية مطولة .

وبعد أن اطلع عليها صاحب الدولة رئيس الوزراء ، دعا زملاءه الى الاجتماع وأطلعهم على فحوى البرقية .

ثم اتصل دولته بالتليفون اللاسلكى بالمفوضية المصرية فى لندن ! ...
وخرج دولته وعلى شفتيه الرقيقتين .. ابتسامة رقيقة !

توفيق نسيم باشا ؟

كان مندوب احدى الصحف المصرية يتمشى فى أروقة وزارة الخارجية فى لندن حين أبصر مصريا بدينا قصير القامة ويضع على عينيه « نظارة » سوداء .

واعتقد الصحفى المصرى أنه أمام دولة توفيق نسيم باشا وأنه قد طب على سر سياسى خطير فأسرع وأبلغ عبود باشا أن توفيق نسيم باشا فى لندن وأن دولته كان يزور وزارة الخارجية ..

ووضع عبود باشا ذيله فى أسنانه وطار على أقرب مكتب تلغراف وأبرق بالخبر الى الوزارة ...

وقامت الوزارة ... ولم تعقد إلا بعد أن تأكدت من دار نسيم باشا أن دولته لم يزر لندن وليس فى نيته أن يزورها !

ومن الفقرات اللطيفة والرشيقة ما جاء تحت عنوان حافظ عفيفى باشا .
فى الاسبوع الماضى سافر الدكتور حافظ عفيفى باشا الى راس البر لزيارة أسرته المقيمة هناك ...

وأحب بعض أهل دمياط أن تكون لهم عند الله حسنة فأقاموا للدكتور مأدبة غداء .

وحضر الحفلة الاستاذ شمس الدين عبد الغفار محافظ دمياط ، ولكنه لم يكد يغادر الحفلة حتى كان الخبر قد وصل الى الوزارة فقامت على رجل واحد ! إذ كيف يحضر محافظ حفلة تكريم لاحد المدونة أسماؤهم فى (القائمة السوداء) ؟

واعتذر المحافظ بأن بينه وبين حافظ باشا معرفة ... فسعادته كان صديقا لثروت باشا وثروت باشا هو والد السيدة قرينة محافظ دمياط .

واحمرت عين الوزارة ولم يعجبها هذا الاعتذار .. لان ثروت باشا كان صديقا لجميع أعضائها ومع ذلك فلم يفكر أحد منهم فى اعداد حفلة تكريم للدكتور !

والذى نرجوه نحن هو أن لاتفكر الوزارة فى تحويل مركز الدر الى محافظة .. وأن لاتنقل الى محافظة الدر الاستاذ شمس الدين عبد الغفار .

فى العدد التاسع من آخر ساعة كتب التابعى عن الازمة التى قامت حول استقبال المندوب السامى بالنيابة فقال :

هناك وزارات فتح الله عليها ! تقع الوزارة منها على كل أزمة وأختها من غير تكلف أو تعب أو مجهود !

ولقد اشتهرت بحق هذه الوزارة الحاضرة بأنها لاتخرج من أزمة إلا لتدخل فى أزمة !

هبة وفضل من الله ، اختص بهما نفرا من عبيده الوزراء .

وذات صباح ، طلعت الصحف على دولة رئيس الوزراء بنبأ تقول فيه ان الحكومة الانجليزية قد انتدبت مستر موريس بيترسون مدير القسم المصرى بوزارة الخارجية ليكون مندوبا ساميا بالنيابة اثناء غياب سير ميلز لامبسون .

وغضب رئيس الوزراء ، أو اذا اردت الحق - أخذ على خاطره ، والفرق واضح بين العاطفتين .

كيف ولماذا ومنذ متى تهمل الحكومة الانجليزية مثل هذا الاجراء الذى يقضى به العرف الدبلوماسى فضلا عن الذوق ؟ .. وهو إبلاغ الحكومة المصرية نبأ انتداب فلان ليحل محل فلان ابن فلان ؟ !

وقيل لدولة رئيس الوزراء لعل البلاغ قادم فى طريق .. أو لعل دار المندوب قد كتبت تبلغ دولته خبر الانتداب ! .. ومصلحة البريد قد فقدت فى الايام الاخيرة شيئا من شهرتها القديمة فى سرعة توزيع البريد !

ولكن مرت الايام ولم يصل النبأ فى خطاب رسمى مكتوب على التيبريتر وختامه « خادمكم المخلص المطيع » !

وأخيرا ، تبرعت صحف عرفت بالشفقة والحنان فراحت تقول إن سير ميلز لامبسون نفسه قد سافر وهو يجهل خبر هذا الانتداب ؟!

واذا كان المندوب السامى نفسه قد فوجىء فى عرض البحر بهذا الانتداب الذى لم يؤخذ رأيه فيه ، فأحرى بالوزارة ان تفاجأ به هى ايضا ... بل من ذا الذى ينكر على دولة رئيس الوزراء حقه فى أن يكون مثل المندوب السامى وأن يتمتع كما تمتع فخامته بنصيبه من هذه المفاجآت ؟!

الاستقبال

وبعد أيام ، تحركت دار المندوب السامى فأرسلت تستفهم من دار الحكومة عن أى نوع من أنواع الاستقبالات قد أعدته للمندوب السامى بالنيابة ؟

ولو استطاعت الحكومة لخففت عن صدرها ووصفت وصفا دقيقا « نوع » الاستقبال الذى تريده هى لهذا المندوب ؟!

ولكن ، لما كان هذا النوع من الاستقبال لم يرد ذكره فى بروتوكول ، فقد أعرضت عنه الوزارة واكتفت بالرد تقول فيه انها وهى لم تبلغ رسميا شيئا عن هذا الانتداب ، لا تستطيع ان تستقبل مستر بيترسون الا كما تستقبل اى فرد من عامة الناس !

ونقرر هنا للحق وللانصاف أن الوزارة أحسنت صنعا بهذا الرد وأنها كانت فى دائرة حقها الذى لاينكره عليها عرف ولا بروتوكول .

ولكن دار المندوب عادت تقول إنها كانت ترجو لو من باب العشم أن يذهب دولة وزير الخارجية ليستقبل مستر بيترسون فى الميناء ... واذا تعذر ذهاب دولته لسبب ما ، فليذهب اذن معالى وزير الحقانية بصفته اقدم الوزراء .

ورفضت الوزارة ان تلبى هذا الرجاء او تفتح باب العشم على مصراعيه .

صدفة .

وتحرجت الامور الى حد ما .

وما كان أحد ليستطيع ان يتكهن بما سيكون ، وهل يذهب دولة رئيس الوزراء الى

دار المندوب فى كارلتون ليزور المندوب السامى بالنيابة ؟ او يتجاهل وجوده مادام لم يأخذ علما رسميا بانتدابه ؟ ام ينتظر حتى يزوره اولا المندوب المذكور ؟... لولا صدفة سعيدة حلت العقدة والحمد لله .

وذلك أن الصدفة قد شاءت أن تصل أسرة دولة رئيس الوزراء على الباخرة اوزونيا ، وهى نفس الباخرة التى وصل عليها مستر بيترسون .

وذهب دولة الباشا يستقبل أسرته الكريمة .

وفى صالون الباخرة التقت عين الرئيس بعين المندوب ، وبين الاثنين معرفة قديمة مذ كان مستر بيترسون يشغل منصب السكرتير الاول بدار المندوب فى عام ١٩٢٧ .

وتصافح الاثنان !

وكان هناك فى الصالون شاهد ثالث هو صاحب الدولة توفيق باشا نسيم الذى شاءت « الصدفة » ليس إلا أن يعود هو ايضا على الباخرة أوزونيا والذى اذا صدقت أخبار الرواة كان لا يشبع طول الطريق من التحدث الى مستر بيترسون أو الاصغاء الى حديث مستر بيترسون المذكور !

وهكذا اجتمع فى صالون الباخرة أوزونيا ثلاثة رجال ، بينهم ولاشك « رجل الساعة » فمن ياترى يكون؟

فتوى خطيرة

تنص المادة ١٥١ من الدستور على ان التشريعية الاولى لهذا البرلمان تنتهى مدتها فى اكتوبر سنة ١٩٣٦ ، أى ان هذه التشريعية مكونة من ست دورات .

ولا ندرى نحن ، هل كان تبرعا من صاحب السعادة عبد الحميد بدوى باشا ، أم كان ردا على استفتاء ، ولكن سعادته ذهب الى دولة رئيس الوزراء يقول انه يستطيع ان يعطى فتوى بأن عدد الدورات هو سبعة لا ستة .

وعلى هذا الحساب يستمر الفصل الدستورى الاول لهذا البرلمان الى عام ١٩٣٧ .

ورفع دولة رئيس الوزراء راسه والقى نظرة فيها شىء من الحسد على سعادة مفتى القرية...... نظرة تتساءل : هل ممكن ان يكون لرجل مثل هذا التفاؤل ؟

ثم قال دولته :

إحنا رايحين نشمر رجلينا قبل مانشوف البحر .. لما نبقى نفوت ١٩٣٤ نبقى نفتش عن ١٩٣٧ .

وخرج مفتى القرية ليبحث عن فتوى جديدة يهز بها البلد بعد ان خاب رجاؤه فى هز دولة رئيس الوزراء .

وفى نفس العدد أيضا يكتب عن استدعاء مستركين بويد ، ليضع نفسه تحت تصرف وزارة الخارجية البريطانية وكانت آخر ساعة الوحيدة من بين الصحف المصرية التى اشارت الى امتعاض طائفة من كبار الموظفين الانجليز فى مصر من السياسة التى ينوى اتباعها سير ميلز لامبسون فى مصر ، وان هذه الطائفة من الموظفين وعلى راسها مستر كين بويد قدمت تقريرا الى فخامة المندوب السامى تلفت فيه نظره الى سوء العاقبة من جراء أية سياسة جديدة يكون من شأنها اعادة الحكم الى حزب الدهماء!!(كذا)

وكان طبيعيا ان ينشط هؤلاء الموظفون الانجليز الى ارسال التقارير الى وزارة الخارجية فى لندن يضمنونها رايهم وراى كل من يهمه أو من يرى مصلحة فى بقاء الحالة الحاضرة على ماهى عليه .

ويظهر ان وزارة الخارجية البريطانية ، رأت كثيرا من التناقض بين الاراء التى بعث بها مندوبها السامى وبين تقارير كبار الموظفين الانجليز ، فقررت ان تناقش كبيرهم فى آرائه وآراء زملائه ومن ذهبوا مذهبه .

وسوف يصل مستر كين بويد الى لندن لكى يجيب على مايلقى عليه من اسئلة ولكى يحاول ان يقنع وزارة الخارجية ان بقاء الحالة الحاضرة فى مصر هو فى مصلحة البلدين .

وفى العدد العاشر (١٦ سبتمبر ١٩٣٤) يكتب التابعى عن اشاعة سعيدة ان خطوبة صاحب السمو الملكى الامير فاروق امير الصعيد ستتم قريبا ، وان الخطيبة المنتظرة هى احدى صاحبات السمو كريمة المغفور له الامير عزيز حسن ، ويحرص التابعى ، على القول بأنه ينشر هذه الاشاعة بشىء من التحفظ ، وبكثير من السرور راجيا ان يتحقق الخبر

وعن نشاط مستر بيترسون السفير البريطانى بالنيابة يكتب التابعى فى نفس العدد من اخر ساعة مايلى :

نشط مستر بيترسون كما كان المنتظر ، ونشط رجال الساسة فى مصر الى قبول دعواته لتناول الغذاء أو تناول الشاى .

وكانت « البريمو » من نصيب صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا ، فقد تناول دولته طعام الغذاء فى دار المندوب مع المندوب السامى بالنيابة .

وكانت وليمة الغذاء خاصة لم يحضرها ثالث أو شريك فى الحديث وفى الطعام !

واستمر الحديث بين الاثنين قبل الغذاء ربعد الغذاء ، الى الساعة الرابعة بعد الظهر !

وهنا خرج الاثنان من غرفة الاجتماع وتناولا الشاى ومعهما بعض كبار موظفى الدار .

واتصل بنا كذلك ان صاحب الدولة محمد محمود باشا وسعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا سيقابلان مستر بيترسون المندوب السامى بالنيابة فى خلال هذا الاسبوع .

وقد يدعو مستر بيترسون دولة محمد محمود باشا للدرشة معه وتناول الغذاء !

كما كتب تحت عنوان : تحت المراقبة :

بين دولة رئيس الوزراء وسعادة وزير الداخلية شيء ما ، قد فصلناه فى الاعداد السابقة ، فارجعنا الزغرة الى اصلها وفسرنا الجفا بعد الوفا بما يليق به من التفاصيل ،

ومن الانصاف للحقيقة وللتاريخ ان نقرر هنا ان سعادة وزير الحربية قد استنفذ كل مافى جعبته من سهام الحب والوئام .

وفى الاسبوع الماضى أراد دولة رئيس الوزراء أن يتحدث فى شأن من شئون الدولة مع سعادة وزير الداخلية وشئون الدولة ، فوق كل جفا وكل خصام وطلب دولته من مدير مكتبه ان يطلب له المواصلة التليفونية مع سعادة الوزير .

وعاد مدير المكتب يبلغ دولة الرئيس ان سعادة وزير الداخلية قد سافر الى رشيد ليقضى على الباخرة محاسن يومين او ثلاثة انتجاعا للصحة واستجماما مش عارف ايه من متاعب الاعمال .

وبعد البحث فى قاموس اقرب الموارد عن معنى الانتجاع والاستجمام ثم ترجمته الى اللغة الفرنسية ، قال رئيس الوزراء :

وكيف لم يبلغنى خبر سفره ..... انا مش رئيس الوزراة والانا ايه ؟

وذهب صديق للطرفين ابن حلال وابلغ هذه الملحوظة لسعادة وزير الداخلية .

ووافق وزير الداخلية على ان دولة عبد الفتاح يحيى باشا هو حقيقة رئيس الوزراء ... ولكنه قال :

طيب ولكن انا ابقى ايه ؟ ... تحت المراقبة !

وعاد الصديق ابن الحلال وذيله فى اسنانه وابلغ الرد لدولة رئيس الوزراء

ومن التحريات التى ثبت صدقها مانشره التابعى تحت عنوان : انجليزى كبير

قول بعودة دستور ١٩٢٣ وقد جاء فى تلك التحريات مايلى :

لم يعد هناك مانشكو منه ! هبط مصر المندوب السامى بالنيابة ونشط على الاثر كل زيد أو بكر فى عالمنا السياسى المحدود :

ومعظم هذا النشاط خفى يحرص على التستر والسر فى ظلال الجدران .. ولا يبدو منه الان سوى المقالات التى تنشرها جريدة الشعب وتتحدث فيها من غير مناسبة عن الخدمات الجليلة التى قامت بها الوزارة لهذا البلد الجحود ... ثم تنذرنا وتنذر معنا مشتركى الجريدة المماطلين فى دفع الاشتراك بأن الوزارة باقية فى كراسى الحكم ماشاءت لها رغبتها هى لا رغبة البلاد ...

وجريدة الشعب تعرف كما نعرف نحن ان اول من يرحب بذهاب وزارة الشعب ، والاتحاد هم هؤلاء المشتركون المساكين !

وتحدث انجليزى يشغل منصبا علميا كبيرا فى مدينة الاسكندرية ولجنابه راى مسموع عند حكومته وبين افراد الجالية الانجليزية ...

تحدث جنابه الى صديق لنا من ابناء اعيان الصعيد فقال : « كن واثقا [illegible] ان دستوركم الذى صدر فى سنة ١٩٢٣ سيعود اليكم ، وان هناك مفاوضات سوف تجرى قريبا فى شأن عقد المعاهدة وأرجو هذه المرة ان يوفق [illegible] » .

هذا هو تصريح الانجليزى الكبير المذكور نشرناه بسيطا مجردا من كل حشوورتوش .

ونستطيع ان نلخص الموقف بيننا وبين الانجليز فى مايأتى ....

ليس للانجليز أن يطلبوا إبدال وزارة بوزارة ولا يمكن لهم ان يتقدموا يمثل هذا الطلب .

ولكن الانجليز يرون ان الظروف السياسية وما بين البلدين من علاقات لم تثبت بعد على اساس صالح ... كل هذا يجيز لهم ان يصرحوا فى حدود التقاليد السياسية برأيهم فى هذه الوزارة وفى السياسة المتبعة فى هذه السنوات الاخيرة و فى ماوقع اثناءها من تصرفات ...

ثم يضعون رأيهم هذا بين يدى السلطات صاحبة الشأن لكى تدرسه وتوليه مايستحقه من العناية .

وللانجليز كذلك ان يعلنوا استعدادهم لتصفية مابين الإنجليز ومصر من العلاقات ، ولهم هنا ان يشترطوا توفر صفات معينة فى « الوكيل » الذى ينوب عن مصر فى هذه المفاوضات ... فاذا توفرت هذه الشروط فى « عبد الفتاح يحيى وشركائه »

كان بها ولا نظن ! والا جرى البحث عن « الوكيل » الذى تتوفر فيه هذه الشروط .
والبحث والتقدير متروكان للسلطة ذات الشان .

والا ...

هذا هو الموقف فى ايجاز ...

ويبقى بعد ذلك هذا السؤال : ماذا يحدث اذا قامت عقبات فى الطريق ... أو اذا تعذر الاتفاق والتراضى على « الوكيل »؟

نخشى هنا ان ينتهز الانجليز هذه الفرصة ، فرصة عدم اتفاق الكلمة ، لكى يمدوايدهم يستردون بها بعض الخيوط التى تركوها لمصر منذ عام ١٩٢٢ !!

ويعود التابعى مرة اخرى للرد على الصحف التى قالت ، ان على ماهر لن يصل الى مصر الا فى اكتوبر مؤكدا ـ للمرة الثانية ـ انه سيصل الى مصر بعد عشرة أيام لا فى اكتوبر كما قيل .

وفى نفس العدد ـ ايضا وتحت عنوان : هل هناك حرب ، والافما سر هذا الاستعداد ، ويؤكد التابعى ـ ان هناك اجتماعات مستمرة لكبار رجال ضباط جيش الاحتلال فى مصر وان الاجازات فى جيش الاحتلال البريطانى لمصر ـ قد ألغيت وان هناك تنقلات كثيرة بين قطع الاسطول البريطانى فى موانى البحر الابيض المتوسط ، ومنها الاسكندرية وبورسعيد .

وينشر التابعى فى العدد ١١ (٢٣ سبتمبر ١٩٣٤) تفاصيل الحوار الذى دار بين وزير المالية ، والمندوب السامى البريطانى بالنيابة على النحو التالى :

اتصلت سكرتارية دار المندوب السامى بسعادة وزير المالية وابلغته ان سعادة المندوب السامى يتشرف بدعوته لتناول الغداء .

وتشرف وزير المالية بقبول الدعوة .. وفرك يديه فرحا لهذه الفرصة التى ستمكنه من عكننة أكبر عدد ممكن من زملائه الاعزاء !

وتشاء الصدفة ان يكون فى ساعة الدعوة اجتماع مقرر لمجلس الوزراء ... ولكن وزير المالية دفع الصدفة بعيدا من طريقه وأرسل سكرتيره الخاص يعتذر لمجلس الوزراء عن حضوره .. لأنه مدعو لتناول الغداء فى دار المندوب !!

والمرجح عندنا ان مجلس الوزراء لم يدرج هذه « العكننة » فى جدول الأعمال !

مديح !

وحول مائدة الغداء قال سعادة مستر بيترسون ان فخامة سير ميلز لامبسون قد ترك له « مذكرات » بسيطة ليهتدى بها فى عمله الجديد ـ (وهذا ينفى بصفة قاطعة

ماقالته صحف الوزارة من ان سير ميلز سافر قبل ان يسمع بخبر انتداب مستر بيترسون) .... وان فى هذه المذكرات فقرة عن سعادة وزير المالية يقول فيها سير ميلز عن سعادته انه (رجل صريح ولايكذب ابدا) .... وانه يمكن الاعتماد عليه فى الطوارىء (Emergencies) .

ولهذا السبب يعتبر مستر بيترسون نفسه سعيدا لأن حسن صبرى بك قد لبى دعوته للغداء !

وسأل بيترسون حسن صبرى بك عن رأيه فى عقد معاهدة مصرية بريطانية ويقول حسن صبرى بك .

انى اعتقد ان هذا خير مسلك تسلكه الحكومة البريطانية .

ـ وهل ترى ان نعقدها مع هذه الوزارة ؟

وكان وزير المالية صريحا :

ـ كلا .... ! ان وزارتنا لاتنظر لها كافة طبقات الشعب بالرضا التام . ولو أن الوزارة قامت بالحصول على الاستقلال التام لمصر والسودان لما أفادت شيئا ولقام المصريون يعارضون المعاهدة ويجدون فيها الف ثغرة وثغرة !... فاذا لم يكن فى وسع حكومة انجلترا أن تعقد معاهدة مع وزارة محبوبة من الشعب ، فلتحاول على الأقل أن تعقدها مع وزارة يرتاح اليها الشعب الى حد ما .

وتغير مجرى الحديث ، إلى أن قال مستر بيترسون :

ـ مارأيك فى عبد الفتاح باشا يحيى ؟

وكان جواب وزير المالية ان عبد الفتاح باشا رجل نزيه جدا وخير من يصلح لأن يكون وزيرا للخارجية ...

(وهنا لاحظ من فضلك أنه لم يقل ان عبد الفتاح باشا خير من يصلح لرئاسة الوزارة)

ويسأل التابعى فى العدد (١١) : وكان التساؤل تحت عنوان : الصحافة العربية مثل الكوكايين !!

هل صحيح أن دولة رئيس الوزراء قال مرة فى اجتماع لمجلس الوزراء انه لايستطيع العمل إلا إذا أوقفت الصحافة عند حدها وتعلمت الادب ؟... وهل صحيح أن دولته قال مرة لعبد الحميد بدوى باشا ان الصحفيين هم أقذر ناس فى هذه البلاد ؟

وهل صحيح أنه عندما عارض عبد العظيم راشد باشا وحسن صبرى بك فى بعض التعديلات المنوى ادخالها على مواد النشر ، احتد دولة رئيس الوزراء وقال ان الدفاع عن المجرمين جريمة ؟!

وهل صحيح ان وزير الحربية صليب سامى بك قال لاحد الصحفيين الاجانب : أنتم لاتعرفون مدى الضرر الذى تحدثه الصحافة العربية ! إنها اشد فتكا من الكوكايين ، ويجب على الحكومة مكافحتها كما تكافح المخدرات !

واخيرا .. أليس صحيحا أن المنزلاوى بك كان يحرر فى وقت مافى جريدة الكشكول ؟... وحلمى عيسى باشا فى السياسة !... والغرابلى باشا فى جريدة كوكب الشرق الغراء ؟!

وأخيرا هل صحيح أن الغرض من بعض التعديلات المراد ادخالها ليس هو حماية الوزراء وكبار الموظفين الآن ... ولكن حمايتهم بعد الخروج من مناصب الحكم ؟!

وعما نقل على لسان احمد عبود باشا من ان الوزارة باقية على شرط ان تحدث معجزة يقول التابعى فى [العدد ١٢ : ٣٠ سبتمبر ١٩٣٤ .

لم نكن نعرف ونحن نكتب فى مساء الثلاثاء الاسبق المقال المنشور على صفحة ١٠ فى عدد الاسبوع الماضى ، والذى قلنا فيه ان الوزارة قد ارسلت تستدعى صاحب السعادة احمد عبود باشا ..... .

ولم نكن نعرف ساعتها ان عبود باشا سوف يجفو ذوقه المعروف ويعود الى مصر بالطيارة ، فيصلها قبل صدور عدد « آخر ساعة » المذكور ... ويضيع علينا أهمية الخبر عند القراء الذين عرفوا فينا السبق الى نشر الأخبار .

ونريد هنا ان نقرر أننا لسنا انبياء ولا اولياء ندعى العلم بالغيب .. أو القدرة على استراق السمع والاصغاء الى حديث يدور بين اثنين من وراء باب مغلق .

والاخبار التى ننشرها اذن بين صفحات هذه المجلة لاندعى انها « صورة طبق الاصل » للحديث الذى جرى فعلا بحروفه وعلامات الشكل وهمزات الوصل ... ولكنها أحاديث يتداولها الخاصة من بطانة الوزراء أو المسئولين فى هذا البلد .....

وهنا يبدأ عملنا الصحفى وتتحرك مهارة المخبرين فى التقاط هذه الاخبار والاحاديث .

مطلوب معجزة !

وذهب سعادة عبود باشا وقابل دولة رئيس الوزراء .

وسأله صاحب الدولة :

ـ ماوراءك ياعصام ؟

وقال عصام باشا ان السياسة الانجليزية (الجديدة) اصبحت لاتنظر بارتياح الى بقاء هذه الوزارة فى كرسى الحكم .. وان الحكومة الانجليزية سوف تنتهز أول

فرصة وتشير بفتح باب البحث فى النظام الموجود وهل هو أفضل لنظم .. أم ممكن ابداله بنظام جديد يرضى عنه كل زيد وعمرو وفى هذا البلد ؟

والقول الراجح هنا ان دولة رئيس الوزراء لم يتنهد ولم يزم شفتيه بل سأل عبود باشا :

ـ مارأيك أنت ؟

ـ لو كنت مكانك لاستقلت ... ولكن مصلحة البلد توجب على دولتك ان تبقى فى كرسيك حتى اللحظة الاخيرة ، فقد تحدث معجزة ... والمعجزة وحدها هى التى تنقذ الموقف .. وتنقذ البلاد مما يضمره الانجليز ؟!

ومن الانصاف للحقيقة والواقع ان دولة عبد الفتاح يحيى باشا ليس ممن يؤمنون بالمعجزات ! ومن هنا تساءل دولته :

ـ وعلى يدى من تحدث المعجزة ؟

ووقفت فضيلة التواضع لحظة فى « زور » عبود باشا الى ان ازاحها سعادته جانبا وقال :

ـ ممكن ان تحدث المعجزة على يدى انا .... ولكنى لست واثقا من النجاح .

وبعدها تعاتب الطرفان عتابا أهدأ من نسيم الفجر على ماكان فى لندن وعلى ماتناقلته ألسنة الوشاة .

وكان صاحب السعادة ابراهيم فهمى كريم باشا وزير المواصلات موجودا اثناء الحديث المذكور .

تلخيص

ونستطيع اليوم أن نقول أن عبود باشا لم يكشف عن حقيقة مايخشاه فى مقاله الذى نشرته له فى الاسبوع الماضى جريدة التيمس وتكلم فيه عن رغبة الانجليز فى استرداد السلطة التى تنازلوا عنها فى مصر بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير .....

عبود باشا كان يعرف ان هذه الرغبة ليس لها وجود اليوم .... أو هى موجودة ولكن فى صدر نفر من غلاة المحافظين المتطرفين الذين لايعبأ أحد بأقوالهم .

وإنما الذى قصد سعادته من مقاله فى التيمس هو توريط الحكومة البريطانية فى نشر بيان او توكيد شبه رسمى بأنه (ليست هناك أية نية فى التدخل فى الحالة الحاضرة فى مصر) !

هذا ماقصد اليه المقاول السياسى الكبير !

ونلخص نحن الموقف الحالى فيما يأتى :

(١) ليس صحيحا أن الانكليز يريدون (الآن) أن يزيدوا فى نفوذهم ويستردوا اشرافهم المباشر على مجرى الشئون فى مصر .

(٢)لم تتفق السلطات الانجليزية بعد على ماهية التغيير المنوى اجراؤه فى الحالة الحاضرة ... هذا وان كنا نؤكد ان هذا التغيير سيقع أسرع مما يظنه الكثيرون .

وسوف يبحث فى هذا التغيير وفى مداه فى جلسة تعقد فى نوفمبر القادم ويحضرها ويزر الخارجية البريطانية وسير ميلز لامبسون ومستر بيترسون .

(٣) . كل الاخبار تدل على ان هذا التغيير سيكون فى مصلحة الامة .

وسوف يسافر مستر بيترسون الى لندن فى أوائل شهر نوفمبر بعد ان يكون قد وصل الى مصر مستر « كلى » الذى سيعين مستشارا لدار المندوب الساسى .

وينشر محمد التابعى فى العدد ١٤ من جملة آخر ساعة نص برقية مرسلة من قلم المخابرات العسكرية فى جيش الاحتلال الى قائد قوات الجيش البرياطنى فى فلسطين .

إشارة رقم ٣٦ قصر النيل .

الثلاث أورط كذا الموجودة بالقدس تستعد للحضور الى القاهرة فى الحال متى وصلتها برقية من ذلك كانت احدى الاورط المعسكرة فى الاسماعيلية على اهبة السفر الى مالطة ولكنها أمرت بالبقاء فى مصر ولايذكر التابعى اسماء الاورط رغم وجودها فى البرقية وفى نفس الصفحة أن الحكمة التى أملت الغاء التشريفات ومن قبلها الرحلة الملكية لليونان رغبة فى راحة صاحب الجلالة الملك حتى يسترد صحته الغالية قريبا باذن الله ، هى نفس الحكمة التى أملت على الاطباء ان يتقدموا الى جلالته يلتمسون منه ان يمتنع عن مباشرة اى عمل من اعمال الدولة . ومن هنا خرجت الاشاعة التى تتحدث عن « قائم بأعمال جلالة الملك » .

ونحن نبتهل من أعماق القلوب الى الله جل شأنه ان يمن بالشفاء العاجل وبالصحة الموفورة على صاحب الجلالة الملك ، حتى تنقشع هذه الغمامة ، وتنقطع تماما هذه الاحاديث .

كما ينشر ان النحاس باشا عوفى من مرضه الذى كان قد الم به فى الاسكندرية وانه قد قابل مستر بيترسون ، وان فى نية اصحاب الشأن ان يعرضوا على الوفد ستة مقاعد فى وزارة يسمونها وزارة انتقال على ان تجرى هذه الوزارة الانتخابات فيما بعد وتتولى الحكم « الاغلبية » التى تسفر عنها الانتخابات المذكورة .

وهذا الخبر ننشره بتحفظ . ولنا كلمة واحدة نقولها هنا . وهى ان الوفد لايزال عند رأيه المعروف فى مايسمونه « ائتلافا » بين الاحزاب .. فليحذر القراء مما تنشره بعض الصحف فى هذه الايام عن (الائتلاف ومزاياه) !!

وينشر التابعى وفى نفس العدد (١٤) خبرا عن مجلس الوصاية جاء فيه

أقل ما يقال هنا أنه أمر عجيب ! ... عجيب أن يمرض جلالة الملك فى شهر يناير الماضى ، ثم لا تمكنه حالته الصحية من مباشرة أعماله العادية ، وتمر شهور والبلد لا يعرف شيئا عن حقيقة صحة مليكه الى أن يجيئه الخبر على لسان مراسل التيمس !

وعرف الناس أول ما عرفوا بخبر مرض صاحب الجلالة الملك يوم [illegible] فخامة المندوب السامى الاذن بمقابلة صاحب الجلالة قبل سفره بالاجازة الى انجلترا فجاءه الرد من السراى بأن جلالة الملك مريض بالانفلونزا وأن حالته الصحية لا تسمح له بمقابلة فخامة المندوب ..

وهنا تحرك الانجليز وذهبوا يسألون ويجمعون المعلومات . ولم يكن إذن مراسل التيمس هو وحده الذى عنده الخبر اليقين .

وتبودلت تلغرافات بين المندوب السامى ووزارة الخارجية البريطانية ، ثم كان انتداب مستر بيترسون استعداداً للطوارىء كما قالت الصحف .

وظهرت بعد ذلك مسألة خاضت فيها الصحف أخيرا بصراحة ، وهى مشكلة الاوصياء .

الاوصياء

قيل إن صاحب الجلالة الملك قد اختار أوصياء ثلاثة هم صاحب السعادة محمد طاهر باشا وصاحب السعادة محمد زكى الابراشى باشا ومد[illegible] شكرى باشا ... وقيل بل دولة يحيى ابراهيم باشا .

وان هناك وثيقة بهذه الاسماء وهى من صورتين ، قد حفظت احداهما بالديوان الملكي ، وأودعت الاخرى مختومة بالشمع الاحمر فى مجلس الوزراء . وهذه الوثيقة لاتفض الا أمام البرلمان مجتمعا بهيئة مؤتمر .

وكان أن طلبت الحكومة الانجليزية معرفة أسماء الاوصياء . وقيل إن الرسالة التى حملها معالى سعيد ذو الفقار باشا محطة سيدى جابر وسلمها الى فخامة المندوب السامى قبيل سفره كانت تتضمن أسماء الاوصياء المذكورين ..

ورأت الحكومة البريطانية ـ بحجة تعهداتها الخاصة وموقفها فى مصر ـ رأت أن لها الحق في أن تسدي المشورة فى اختيار هؤلاء الاوصياء . ومعنى هذا انها لا توافق على الاختيار الذي تم .

وهنا كانت الازمة الاولى .

ثم كان أن أعلن ان صاحب الجلالة الملك قد شفى والحمد لله وانه معتزم زيارة اليونان ، وبدأت فعلا المعدات للرحلة الملكية .

الرحلة الملكية

ولكن العارفين كانوا يتهامسون بحكايتين : الاولى أن صاحب السعادة شاهين باشا الطبيب الخاص لجلالة الملك كان يرى من واجب الاخلاص أن يعارض فى سفر مولانا الملك مراعاة لحالته الصحية ، وان سعادته التمس من جلالته العدول عن الرحلة المذكورة ..

والامر الثانى ان مسيو دندراميس وزير اليونان المفوض لم يسافر الى أثينا الا لكى ينصح لحكومته بأن لا تتورط فى نفقات استقبال جلالة ملك مصر ، لان صحة جلالته قد لا تمكنه من القيام بهذه الزيارة التى كانت تنتظرها اليونان بفارغ الصبر .

وكان بعد ذلك أن صدرت نشرة ممهورة بامضاءات أطباء ثلاثة وعرف منها الناس ان الرحلة الملكية قد أجلت لان الأطباء يرون ان راحة جلالة الملك هى فوق كل شىء وقبل كل اعتبار .

وفى نفس العدد (١٤) خبر عن الأمير محمد على جاء فيه :

يؤكدون أن صاحب السمو الامير محمد على قابل أثناء وجوده فى لندن سير روبرت فنستارت وكيل وزارة الخارجية الدائم ودامت المقابلة ثلاث ساعات ، وقد قدم سمو الامير الى سير روبرت مستندات كان يحملها سموه فى محفظة معه ، وهذه المستندات خاصة بموضوعات تتعلق ببعض الكبراء ومنهم صاحب السعادة زكي الابراشي باشا !

ويقال أخيراً إن الابراشى باشا قد أصبح يحس اكثر من أى وقت مضى بأنه قد أصبح الى حد ما فى (المسائل) التى يتحدث فيها الانجليز !

ولقد كانت هذه المجلة الصحيفة الوحيدة التى ألمحت الى قرب قيام سعادته بالاجازة فكتبنا فى عدد الاسبوع الماضى نقول إن هناك موظفا كبيراً سوف يمنح قريبا أجازة طويلة . ونشرت بعدنا الخبر جريدة الاجيبشيان ميل ، ولكن الدوائر الشبيهة بالرسمية كذبت الخبر جملة وتفصيلا

وفى العدد ١٥ (٢١ اكتوبر ١٩٣٤) يكتب التابعى عن على ماهر رجل الاشاعات :

الموقف الآن هو موقف انتظار ، وكل جهة من الجهات التى يهمها الامر ، تتمهل اليوم فى خطواتها وترجو ان تجد فى الغد ما يهدى خطوتها التالية فى الاتجاه الصحيح .

وهنا أيضا شىء من الابهام يحيط بالموقف من كل جوانبه . ولا فائدة ترجى من

سؤال زعماء المعارضة ، لان الزعماء قد استبدلوا اليوم صراحة السياسى بابتسامة ابى الهول .

كذلك لافائدة ترجى من سؤال الوزراء ، لان الوزراء قد أخذوا عهدا على انفسهم ان يطردوا عن بابهم كل اشاعة تقلق صفو حلمهم الهنىء . ثم هم فوق هذا آخر من يعرف شيئا عما يجرى ويدور ، وهى نعمة من الله تساعد على انتظام الهضم وراحة البال !

كما يكتب تحت عنوان : سياسة مرسومة

غير أن هناك امراً واحداً لاشك فيه ولا ابهام . وهو ان للانجليز خطة مرسومة محددة وهدفا معينا يسعون اليه .. فما هو ؟

نعتقد نحن ان مرض حضرة صاحب الجلالة الملك ـ وقد عوفى جلالته والحمد لله ـ هذا المرض لم يكن السبب فى هذا النشاط الذى بدا فى السياسة الانجليزية خلال الأسابيع الاخيرة ، ولا كان هو السبب فى « التغيير » الذى تقول الاخبار والاشاعات ان فى نية الانجليز اجراءه !

وكل ما جرى هو أن انحراف صحة صاحب الجلالة كان صدفة حملت الانجليز على ان يعطوا « سياستهم المرسومة » مظهرا خاصا .

وتحت عنوان : ماذا يريدون .. كتب يقول :

ونعود الى السؤال : ماذا يريد الانجليز ؟ وما الهدف الذى يسعون اليه ؟

لقد كتبت صحفهم فى الاوتوقراطية والديمقراطية ، وفى اختصاص فلان وتدخل علان ، ووجوب وضع كذا وكذا من الحدود والضمانات .. ثم أرسلت قبلة الى الحكم النيابى السليم !

فهل يريد الانجليز أن يعاونوا على تحقيق رغبات الامة وتوطيد الحياة النيابية الصحيحة على أساس متين .. ؟

يستطيع الكاتب أن يجد دائما بين الحكم والامثال ما يؤيد به الرأى الذي يميل اليه ..

إن أردنا أن نحسن الظن بالانجليز وبنواياهم ، وقف فى وجهنا محذراً المثل المعروف ... (حسن الظن ورطة) !

واذا اتعظنا بالماضى وأسأنا الظن ، عاتبنا مثل يقول .. (سوء الظن اثم) !!

والمثل الأول يؤيد دعواه بهذه « القنزحة » التى بدت بوادرها من جانب المندوب السامى الاصيل والمندوب السامى بالنيابة ، وكان منها زيارات وتنقلات وتفتيش على

اقسام البوليس ... و ... و .... الى آخر مالا تهضمه معدة أى مواطن مصرى سليم العقيدة قوي الايمان .

خلاصة

ننتظر إذن من الانجليز خطوة صريحة وحاسمة وفى انتظار هذه الخطوة نقول لهم ماقلناه بالامس وهو أن المصريين عندهم اليوم حقيقة كثير من اسباب الشكوى والتذمر . ولكن مصريا واحدا لايقبل من أجل أن يوضع حد لمايشكو منه ... مصريا واحدا لا يقبل أن يفرط فى ذرة واحدة من حقوق الوطن ، أو يسمح للانجليز بالتدخل فى مالا يتسع لأنفهم الطويل !

وفى نفس العدد (١٥) يكتب التابعى عن خبرين هامين أولهما :

أصحاب السعادة الوزراء على حق فى شكواهم من دولة رئيس الوزراء ، بعد أن فوت عليهم دولته فرصة لا تعوض كان من المستطاع أن يظهروا فيها بمظهر العارفين ببواطن الامور !! .. وذلك ان الوزراء ظلوا يجهلون كل شىء الى يوم أعلن فيه إلغاء التشريفات بمناسبة عيد الجلوس .. وهنا ذهبوا الى دولة رئيسهم يسألونه ايضاحا عما تنشره الصحف . وأفضى اليهم - وروايتنا هذه مستقاة من أحد الكبراء - أفضى اليهم دولته الكثير ، ومنه أن الانجليز قد قدموامطالب تتلخص فيما يلى : (١) اعادة المستشارين الاربعة الى وزارات المالية والاشغال والحقانية والمعارف أى الى ماكنا عليه قبل فبراير ١٩٢٢ (٢) تعيين ٤ من الانجليز فى مناصب مفتشين فى النيابة العمومية . اثنان منهم للوجه البحرى واثنان للوجه القبلى (٣) أن يكون قواد أورط الجيش المصرى من الانجليز !!

نكتفى بهذا القدر ولا نريد أن نقول اليوم شيئا اكثر من إبداء هذا الرجاء وهو أن يكون قصد الانجليز من هذه الطلبات انما هو إحراج الوزارة - لا اكثر - وحملها على الاستقالة ..

أما اذا كانوا جادين فى طلباتهم ... فالساعة خطيرة إذن ، ويجب على البلاد ان تقف كتلة واحدة فى وجه الانجليز !

وثانى الخبرين عن على ماهر :

طافت الاشاعات برجال السياسة فى مصر فلم تترك واحداً منهم إلا ورشحته لرئاسة الوزارة القادمة .

واليوم جاء الدور على معالى على ماهر باشا ويزعم الراوى أن موظفا كبيرا بدار المندوب السامى قال :

صرح له بانه لولا موقف التشدد الذى وقفه صاحب الدولة مصطفى النحاس

باشا وتمسكه باعادة دستور ١٩٢٣ فى الحال ... لكانت الوزارة الحاضرة قد استقالت مباشرة عقب عيد الجلوس أى بعد ٩ أكتوبر .

ويقول الراوى إن الانجليز مستعدون لأن يشيروا بعودة دستور ١٩٢٣ .. ولكن ... ليس توا كما يطلب دولة الرئيس الجليل . ثم أن على ماهر باشا قد فوتح فعلا فى تأليف وزارة ، وأن معاليه قد اشترط أربعة أمور ..

(١) وضع حد نهائى لتدخل بعض كبار الموظفين (٢) أن يشترك معه فى وزارته كل من حافظ عفيفى باشا وبهى الدين بركات بك واللواء محمود عزمى باشا . (٣) أنه لا يقبل العمل مع أحد أعضاء الوزارة الحاضرة اللهم إلا حسن صبرى بك . (٤) أن لايعتبر قبوله لتشكيل الوزارة ارتباطا بالعهد الحاضر ، فله أن يشير بوقف الدستور وحل البرلمان الحالى اذا رأى فى ذلك مصلحة للبلاد .

هذه هى الاشاعة الاخيرة ننشرها مصحوبة بابتسامة ... وغداً نرى ما يكون

وفى نفس العدد (١٥) يكثر الحديث عن صحة جلالة الملك احمد فؤاد : فنجد فى اخر ساعة يقول :

صرحت حضرة صاحبةالسمو الاميرة حورية حمدى لبعض صاحبات السمو الاميرات ، بأن سموها زارت صاحب الجلالة الملك فرأت ان صحة جلالته قد تقدمت تقدما كبيرا عن ذى قبل ، هذا ولو ان جلالته لايزال ضعيفا بسبب امتناعه مدة طويلة عن تناول الطعام والاكتفاء بالسوائل .

وبهذه المناسبة نذكر ما اتصل بنا وهو ان حضرة صاحبة الجلالة الملكة كانت ولاتزال تشرف بنفسها على تنفيذ تعليمات الاطباء فى كل ما يتعلق بعلاج جلالة الملك والعناية به ، وان جلالتها كثيرا ما امضت شطرا كبيرا من الليل ساهرة الى جلالة الملك الى ان شفى جلالته والحمد لله .

وفى نفس الصفحة

عرف القراء أن الأطباء الذين تولوا العناية بحضرة صاحب الجلالة الملك هم صاحب السعادة الدكتور شاهين باشا طبيب جلالته الخاص والاطباء ردسى وبارودى ... ثم رأى حضراتهم أن يستعينوا بزميلين أحدهما إيطالى وهو الدكتور فروجونى ، والثانى ألمانى وهو الدكتور فون برجمن وهنا تبدى المقامات الانجليزية فى مصر أسفها لأن المسئولين عن اختيار الاطباء الذين تشرفوا بعيادة جلالة الملك لم يفكروا حتى اليوم ولو من باب المجاملة ومراعاة لما بين مصر وانجلترا من علاقة أن يستدعوا طبيبا انجليزياً ، مع أن فى انجلترا أطباء أخصائيين عالميين لاتقل شهرتهم عن شهرة الاطباء الذين زاروا جلالة الملك .

واتصل خبر هذا العتاب بالمسئولين فأجابوا بان الذى اختار هؤلاء الاطباء هوصاحب السعادة الدكتور شاهين باشا ، وأن ليس لهم أن يتدخلوا فى مسألة فنية دقيقة كهذه ، وأن المسألة التى نحن بصددها ليست مما تراعى فيها المجاملات السياسية وأنه لو اقتضى الامر استدعاء طبيب انجليزى فلن يتردد أحد فى ا[illegible] [illegible]ائه ، ولكن جلالة الملك تماثل للشفاء والحمد لله ولم يعد هناك موجب لاستدعاء طبيب آخر . هذا وقد أبدت المقامات الانجليزية استعدادها لأن ترسل فى أى وقت أكبر أطباء لندن الاخصائيين فى الامراض الباطنية على متن طيارة من طيارات سلاح الجو البريطانى لكى يعود جلالة الملك .

ويقول الانجليز فى ذلك انهم إنما يريدون بابداء رغبتهم هذه ان يعبروا عن صدق اهتمامهم بصحة صاحب الجلالة وتمنياتهم الأكيدة بسرعة شفائه لكى يواصل عمله السلمى فى توطيد العلاقات الحسنة بين البلدين .

وبينما كان الحديث الخامس عن صحة الملك ، كان الحديث عن صحة الوزارة القائمة صاخبا للغاية : وفى العدد ١٦ يكتب التابعى : عن وقوع إهانة للوزارة فيقول :

يظهر أن الوزارة فزعت إلى بعض أصدقائها ووسطائها فى لندن لكى يتوسطو لها عند الحكومة البريطانية ويشكوا اليها تصرفات مستر بيترسون .

وكان أن ذهب مستر بلدوين إلى سير جون سيمون وزير الخارجية يسأله عن مقدار كفاءة مستر بيترسون وهل .... وهل .... إلى آخره وكان رد وزير الخارجية أن مستر بيترسون هو (رجلها) ! *He is the rightman*

وسمعنا كذلك أن الحكومة البريطانية قد رأت فى تصرفات الحكومة المصرية من المندوب السامى بالنيابة إهانة ! .. يجب أن تنال عنه ترضية !

وعن كرامة الوزارة ايضا يكتب محمد التابعى :

كشفت أخيرا الصحف الانجليزية عن سر المسألة ، فقالت انه لما اشتد القلق فى ظرف ما على صحة جلالة الملك حفظه الله .. ذهب دولة عبد الفتاح يحيى باشا الى دار المندوب السامى يسألها المشورة وماذا يفعل لو حدث كذا وماذا يكون لو جرى كيت ؟

ذهب دولته من غير أن يسوقه أحد أو يضربه على يده أحد ... ذهب طائعا مختارا مالكا لقواه العقلية ، ذهب الى دار المندوب السامى يسألها المشورة ويفتح أمامها « باب التدخل » على مصراعيه ...

وأسدته دار المندوب النصيحة ، وشكرها دولته وعاد !

وقد نعتبرها نحن ... نحن الذين لم نذهب الى دار المندوب نسألها المشورة ، نحن الذين كنا نجهل هذا السر ونجهل من معانى الكرامة السياسية ما يعرفه

الآخرون ، قد نعتبرها نحن تدخلا وتعرضا من دار المندوب ، ولانزال نعدها كذلك ...

ولكن من « التلاعب السمج بالألفاظ » - كما تقول جريدة التيمس - أن يطلب رئيس الوزراء هذه المشورة ، ثم يعود فيصفها بأنها تدخل لايبرره عرف ولاذوق ولاقانون ! . وهو الذى فتح بيده باب « التدخل والتعرض » ، وهو الذى شكر المندوب ودار المندوب ... وأمسى ثم أصبح يشكوهما للناس وللرأى العام !

ماذا تقول فى هذا ؟ ... وماذا يقول رئيس الوزراء ؟

سأله فى هذا مكاتب المقطم بالاسكندرية فكان رد دولته .. « أنا أصرح لكم بأن الحكومة لم تطلب أيه مشورة فى ما يدعونه » !

وليس أحب الينا من أن نصدق هذا النفى من جانب الباشا وانه لم يطرق دار المندوب يسألها المشورة فى هذا الشأن الدقيق .. ولكننا لانستطيع أن ننسى أن دولته قد أطلق فى الاسبوعين الاخيرين الف نفى ونفى ... والف تكذيب وتكذيب ! ثم تبين ان دولته كان يجرب حظه من السياسة وأساليب الساسة ، وأن الالفاظ فى فمه كانت لها معان غير تلك التى تواضعت عليها اللغة وسجلتها القواميس !

يعذرنا إذن دولة الباشا إذا صدقنا فى هذه المرة الصحف الانجليزية .. وقابلنا تكذيبه الاخير بابتسامة العارفين ببواطن ... رئيس الوزراء !

فليحصد رئيس الوزراء مازرعه ... وليستقبل الريح التى فتح بابها على مصراعيه !

كرامة :

ودولة رئيس الوزراء رجل شديد الاعتزاز بكرامته ، كثير التحدث بها من باب وتحدثوا بنعمة الله .

ولقد رأى فى طلب الانجليز الخاص بخروج وزيرين من أعضاء وزارته ... رأى فيه أمرا لا يتفق مع كرامته كرئيس يجب عليه أن يدافع عن زملائه المتضامنين معه ، ومن هنا هب ، وهبت معه أصول الكرامة تدافع عن الوزيرين وتقتبس بسخاء من شعر السموأل فى المروءة والحماس .

وكل هذا مؤثر وجميل . كما أنه يستحق منا نحن الجالسين فى أعلى التياترو ، تصفيقا حادا متواصلا !

ولكن المروءة والحماس شىء .. ومصلحة البلد شىء آخر ! فهل وزن دولة الرئيس كرامة البلد قبل أن يزن كرامة شخصه ؟ .. وهل كان قدر ماسيجره عناده على البلد من اعتداء الانجليز ؟ وهل كان قدر قبل أن يستفحل الموقف وتتوتر الاعصاب مغبة هذه السياسة ؟ .. وهل هو يقدر ما قد يفعله غدا الانجليز وبيدهم

كل القوة فى مصر .. وبيد مصر لاشىء ! وهب ان دولته صمد فى الخط حتى النهاية وحتى الخرطوشة الاخيرة ، فهل لا يرى ان عناده هذا قد يجر على البلد كرامة اكثر مما تطيق وتطيق ؟ !

هذه اسئلة نرجو ان يتدبرها دولة عبد الفتاح يحيى باشا ، وليعلم دولته ان لم يكن يعلم : ان الساعة خطيرة وان الرغبة فى سماع الهتاف والتصفيق ... رغبة طبيعية ولاعيب فيها ، على شرط ان يكون هذا التصفيق على حساب البلاد ! ... وهذا على فرض ان البلاد قد بكت كثيرا وتألمت كثيرا طول هذه الرواية التى قام دولته فيها بدور البطل ، حتى لنسيت اليوم كيف يكون التصفيق وكيف يكون الهتاف !

من اسباب الازمة !

لو انك سألت الوزارة عن أسباب حدة هذه الازمة ، لحارت جوابا .. لانها لاتدرى على رأس من تصب غضبها ، وعلى اكتاف من تلقى الحمل الثقيل !

وإلى من ينسبون اليه نصيب الاسد فى هذه ، الأزمة هو صاحب السعادة حافظ عفيفى باشا ... مع الاعتراف بنصيب مناسب لنشاط الامير محمد على ، ثم معالى على ماهر باشا الذى لم يمنعه مرضه وهو فى انجلترا من أن يروح عن صدره بكلمتين !

ويقول الوزاريون ان المسئول الاول عن قيام الصحافة الانجليزية بهذه الحملة العنيفة على صاحب السعادة زكى الابراشى باشا واصدقائه بين الوزراء هو الدكتور حافظ عفيفى باشا ...

ثم يقولون ان مستر بيترسون هو المسئول الاول عن حدة الازمة وعن هذه العصبية الحادة التى تلهث منها التطورات السريعة ، وذلك ان جنابه استعمل فى مخاطبته لدولة رئيس الوزرا لهجة أقل مايقال فيها انها خالية من اللين !

وغضب رئيس الوزراء من هذه اللهجة وراح من جانبه يكذب الروايات والاشاعات ويطلق النفى ومن ورائه التكذيب لكى يغيظ الانجليز !

وفى العدد ١٧ من مجلة آخر ساعة مجموعة من الاخبار الكثيرة من بينها وعلى سبيل المثال لا الحصر رئيس الوزارة القادمة توفيق نسيم باشا او على ماهر باشا وقد تحقق الخبران أحدهما بعد الاخر .

نعتقد نحن أن هذه الوزارة مفروغ منها وأن زوالها أمر لاشك فيه . وهذا ماقلناه فى عدد الاسبوع الماضى على صفحة ٦ وهذا مانعيده اليوم ونؤكده .

ونعتقد كذلك أن (الرجل القادم) كما يقولون بالانجليزية ـ هو أحد اثنين : صاحب الدولة توفيق نسيم باشا أو صاحب المعالى على ماهر باشا .. ولا نذيع سرا اذا قلنا ان الاثنين

كانا فى الايام الاخيرة مشغولين باختيار زملائهم فى الوزارة الجديدة وباعداد المكاتبات والوثائق والبرنامج وكل مايجب ان يطالعوا به الامة ! وهذه الامة سوف ترى فى اختيار توفيق نسيم باشا معنىً تطمئن اليه وخطوة واسعة فى الاتجاه السليم ! أما إذا وقع الاختيار على معالى على ماهر باشا .... فسوف تدرك هذه الامة أن (التجربة) لم تنته ، وإنما اتخذت فقط لونا جديداً !!!

خبر اخر عن السيدات والسياسة :

قال لنا صحفى أجنبى يراسل جريدة أميركية كبرى إن الناس تخطىء اذا هى ظنت أن إلابراشى باشا هو وحده الذى منع دولة رئيس الوزراء من تقديم استقالته وأقنعه ... بالثبات والنضال حتى النهاية ! ... لان هناك أيضا سيدتين لهما (فضل) كبير فى هذه الورطة التى أوقع رئيس الوزاراء نفسه فيها بعناده وتصميمه على أن كتابه فى (الطرق الدبلوماسية) كفيل بحل الاشكال !

والسيدتان المذكورتان هما صاحبة العصمة حرم دولته ، والسيدة الفاضلة قرينة وزير الحربية صليب سامى بك الذى يعتبره الجميع الذراع اليمنى لعبد الفتاح يحيى باشا أو الذراع اليسرى أو الذراعين معا كما تشاء !

والسيدتان كانتا لاتقتصدان فى التصريح برأيهما فى مجالسهما وهو أن لا استقالة وليفعل الانجليز مايشاءون !! ...

وانها قد أشارا بهذا الرأى على الباشا ... وعلى البيك !

ومن بين تلك الاخبار ان رئيس الوزراء يشكو آخر ساعة الى نائب المندوب سامى البريطانى .

فى العدد رقم ١٤ من مجلة آخر ساعة الصادر بتاريخ ١٤ اكتوبر ، وعلى صفحة ٦ نشرنا صورة حرفية لنص « التبليغ أو البلاغ » البريطانى الذى كان حديث الصحف فى تلك الايام والذى أنكرت الوزارة أنها تلقته من نائب المندوب السامى .

وخرجنا نحن يومها بالنص الحرفى للبرقية التى وردت من وزارة الخارجية البريطانية على دار المندوب السامى والتى حملها مستر بيترسون وذهب يتلوها على دولة رئيس الوزراء !

ولم نكد ننشر هذه البرقية ونتحدى الوزارة أن تكذبها اذا استطاعت ، حتى أرسل دولة رئيس الوزارء واستدعى جناب المستشار المالى وطلب منه أن يبلغ جناب المندوب السامى بالنيابة أسفه الشديد لان بين موظفى دار المندوب من يطلع محرر مجلة آخر ساعة على أسرار الموقف السياسى أولا بأول ... ثم قال دولته إنه يعتقد أن مستر جرافتى سميث مساعد السكرتير الشرقى متصل اتصالا لايقره عرف ولاذوق بجرائد المعارضة وأنه يغذيها

بالاخبار والتفاصيل ... وعلى الخصوص مجلة آخر ساعة وجريدة الجهاد !!.... وإن هذا لا يليق ... الى آخره !

ومن بين التعليقات التى كتبها التابعى ايضا فى نفس العدد ١٧

نريد الان ان نترك الحوادث وحدها تجرى وتلهث ، لكى نقف نحن لحظة نستريح فيها ونتساءل : أين نهاية الشوط ؟ .. وأين خاتمة المطاف ؟!

اما دولة رئيس الوزراء فقد انتهى رأيه فيما يظهر الى أن رجال دار المندوب السامى ليسوا مع الاسف ممن يتذوقون شعر السموأل فى المروءة والنجدة والحماس ... ومن هنا قرر دولته ان يطرح جانبا ديوان السموأل ، وان يطرح معه زميليه وزيرى الزراعة والمواصلات ... بل وأى عدد من الزملاء ، على شرط ان يكون فى هذا نجاة السفينة !... ونسى دولته أنه كان يرفض بالامس ان تنجو هذه السفينة على حساب بعض الركاب !..

وسواء وفق رئيس الوزراء الى انقاذ السفينة أو لم يوفق وابتلعه اليم مع السفينة وسائر الركاب وسواء ... استطاع أنفه الأشم الدقيق ان يحتفظ بالارتفاع المناسب أو لم يستطع ... وسواء كانت النهاية بيده هو أو بيد عمرو ... فان هذه جميعا اسئلة سوف يتكفل بالاجابة عنها الغد القريب !

اما الذى نحرص على معرفته اليوم لكى نحدد موقفنا فهو : ماذا يريد الانجليز ؟!

بين سطور الصحف الانجليزية نغمة خفية تحاول ان تتحدث عن كثرة هذه الامة وعن الجميل والاعتراف بالجميل !

وبعبارة صريحة ... تريد هذه الصحف أن تبدى أسفها وتقول إنها كانت تنتظر من هذه الامة موقفا غير هذا ، ودليلا اكثر وضوحا على انها امة تقدر الجميل !

وسمعنا مثل هذا الكلام من زملائنا مراسلى الصحف الانجليزية فى مصر .... وكان جوابنا :ـ

ولكن ، أين هو الجميل ؟

لقد سمعنا حقيقة عن رغبة من جانب الحكومة البريطانية فى أن تضع حدا لكذا وكذا وكيت .... ورأينا حقيقة خطوات تؤخذ (ورغبات) تبلغ ، ولكن هل الابراشى واصدقاؤه .... أوخروج وزيرين أو ثلاثة ... أو استقالة وزارة لتحل محلها وزارة من نفس اللون والصنف والمقاس .. هل هذا هو كل ماتعنى به مصر ؟

وهل اقصاء الابراشى وخروج ابراهيم فهمى والمنزلاوى هو « الجميل » الذى يجب أن تقدره مصر وأن تذهب من أجله تهريد انجلترا اعترافا بالشكر وتقديرا للجميل ؟ !!

ان عهدا بأسره ينقل على أكتاف المصريين !! ... عهدا كان الانجليز حماته وكانوا له السند والنصير . فليقل الانجليز صراحة رأيهم فى العهد ... لا فى رجاله !

أيذهب الرجال ويبقى العهد ؟ فكأننا يابدر لارحنا ولاجينا ! ... أم يذهب العهد ورجاله ؟ وهنا ـ لاقبلها ـ يمكن لمن بشاء ان يتحدث الينا عن الجميل وتقدير الجميل !

ثم أمر آخر !.. نريد أن نطمئن الى أنه ليس هناك وراء (زيـارة الثكنات وأقسام البوليس واستعراض قوات الجيش و ....و ...) ، نريد أن نطمئن أنه ليس وراء هذا كله نية الاعتداء على حقوق البلاد !

لقد زغرتم لخصومنا بعين ... وزغرتم فى الوقت نفسه لمظاهر استقلالنا بعين !
ثم ابتسمتم هنا .... وابتسمتم بأى الزغرتين نأخذ ، وبأى الابتسامتين نؤمن ؟

شيء من الصراحة ... سوف يقابل من جانبنا بخطوة صريحة .. أرونا أولا يدكم وما تخفون ... قبل أن نمد اليكم يدا ! هذه كلمة أكتبها على مسئوليتى ، ولكنى أعتقد اننى عبرت فيها عن رأى الكثيرين .

وفى العدد ١٨ كتب التابعى تحت عنوان : طراز ١٩٣٤ : كرامة ونزاهة واخلاق وكان من بين ماجاء فى ذلك المقال :

اللغة تأسف شديد الأسف لزوال وزارة بعد الفتاح يحيى باشا ، فقد أفادت منها اللغة فى شهر واحد أكثر مما أفادت من كافة الوزارات التى تعاقبت على مصر فى ٢٠ سنة أو تزيد ...

أفادت اللغة من حيث المعانى الجديدة التى أسبغها دولة الباشا وزملاؤه على .... الكرامة والنزاهة والأخلاق !...

فعرفنا وعرف الناس كيف أن وزارة تعرف أنها حمل خبيث على صدر البلاد وعلى صدر النزاهة والأخلاق ... تستطيع برضه أن تبقى فى كراسيها باسم هذه الكرامة وهذه النزاهة وهذه الأخلاق !!

وعرفنا كيف أن وزراء يغمزون فى نزاهتهم ... يتمسكون بالبقاء فى مناصبهم ... باسم النزاهة والشمم ومكارم الأخلاق !

وعرفنا كيف أن رئيس وزارة يعرف ويسمع أنه غير مرغوب فيه ولا فى وزارته .. وأن هناك مساومات تدور من فوق رأسه ومن تحت أنفه من أجل الاتفاق مع رئيس وزارة آخر ... عرفنا كيف يرضى هذا الرئيس بالبقاء فى منصبه شهرا كاملا ينتظر .. باسم الكرامة واسم النزاهة و.سم الأخلاق !

عرفنا أن رئيس وزارة يساوم بتضحية بعض زملائه من أجل أن يبقى هو ...
وعرفنا أن وزراء يساومون بتضحية رئيسهم من أجل أن يظلوا هم ...
وعرفنا كيف يجرى هذا كله باسم النزاهة واسم الكرامة واسم الأخلاق !!

هذا هو الطراز الجديد ... يعرضه اليوم فى صالة وزارته عبد الفتاح يحيى باشا وشركاؤه الوكلاء الوحيدون فى القطر المصرى لتوريد الكرامة والنزاهة .. « موديل » جديد سنة ١٩٣٤ !!

مناورة

نكتب هذه الكلمة فى صباح الخميس ولم ينته الرأى بعد الى اختيار رئيس الوزارة الجديد ... أو على الأصح لم يتم الاتفاق بعد مع صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا وسوف لا يكون هذه العدد بين أيدى القراء إلا وقد عرف من هو الرئيس الجديد .

ولكنا نريد هنا أن نعرض لهذه المناورة المكشوفة التى قام بها دولة زيور باشا ... وهى اشتراطه على دولة توفيق نسيم باشا أن يقبل رئاسة الوزارة على أساس النظام الحاضر !

ونسيم باشا الذى رفض عضوية مجلس الشيوخ كى لايقسم يمين الوفاء للدستور الجديد ، كيف كان زيور باشا يرجو منه أن يقبل اليوم تشكيل الوزارة على أساس هذا الدستور ؟ !

ان هى إلا مناورة يراد بها التخلص من توفيق نسيم باشا ... ثم الرجوع الى على ماهر باشا !!

ولكن نستطيع أن نقول هنا ماقاله أحد الأمراء لزيور باشا فى نادى محمد على وهو أن وزارة يؤلفها على ماهر باشا لن تعيش أكثر من أسبوعين .. ثم تعود الأزمة وهى أشد عنفا مما كانت !

وفى العدد ١٩ نجد للتابعى مقالا يحمل عنوان : « تفصيلات من جلالة الملك وصاحب الدولة نسيم » وخبر كبير بعنوان « وزير الخارجية يهنىء المندوب السامى بالنيابة » وقد جاء فى المقال الاول ، أو الخبر الذى اتخذ صورة مقال مايلى :

اذا كانت الصحافة قد خلعت على زيور باشا لقب (ابى الهول) ... فلا ندرى أى لقب تستطيع ان تخلعه اليوم على دولة توفيق باشا نسيم !

وبين زيور باشا ونسيم باشا ، تنعى الصحافة حظها ، وتذكر بالخير ايام الوزارة الراحلة صاحبة اللسان المفلوت !

ولكننا استطعنا بالرغم من شدة تكتم نسيم باشا ان نحيط باطراف الحديث الذى دار بين مولانا صاحب الجلالة الملك وبين دولة وزيره الاكبر .

ولا ندعى أى فضل فى الوقوف على هذه التفاصيل ، لانها رويت لنا ! والراوى « عظيم » من أخلص اصدقاء دولة رئيس الوزراء .

كانت هذه المقابلة هى الاولى منذ اربع سنوات ، أى منذ استقال دولة توفيق نسيم باشا من منصبه برئاسة الديوان الملكى .

ودخل نسيم باشا الى الحضرة الملكية ، يتقدمه معالى كبير الامناء سعيد ذو الفقار باشا .

وتقدم نحوه صاحب الجلالة الملك وتناول يده وهزها وهو يبتسم .. وانحنى دولة نسيم باشا فوق يد المليك ، ولكن جلالته سحب يده بلطف ثم ربت على كتف دولته وامره بالجلوس .

وتفضل صاحب الجلالة بسؤال نسيم باشا عن صحته ، وقال الباشا ان صحته حسنة ، وان مما يفعم نفسه سروراً انه تأكد بنفسه الآن من ان جلالة الملك يتمتع بصحة جيدة والحمد لله .

ثم قال صاحب الجلالة ان الازمة قد طالت ، وجلالته يريد ان تستقر الامور ، ولهذا السبب رأى جلالته ان يبحث الموقف مباشرة مع توفيق نسيم باشا وان يناقشه فى شروطه التى يشترطها ..

واستغفر الله دولة نسيم باشا وقال إنه لا يشترط شروطا . وانما يبدى اراء يعتقد ان الأخذ بها هو فى مصلحة البلاد التى يؤمن الايمان كله ان جلالة الملك يضع مصلحتها فوق كل اعتبار .

وتفضل جلالة الملك وتحدث الى دولة نسيم باشا فى مشكلة الدستور القائم والنظام الحاضر .

ونرى نحن من المصلحة ان نكتفى الان بهذه الاشارة .

ثم تعطف المليك واعلن دولة توفيق نسيم باشا فى نهاية المقابلة برضائه السامى عن الآراء والامانى التى ابداها دولته .

حتى انت يا بروتس .. ؟!..

قد يجوز لكل وزير من أعضاء الوزارة الراحلة أن يتكلم ويطلق لسانه فى دولة عبد الفتاح يحيى باشا .

يجوز هذا .. وقد يغمض الذوق السليم عينيه أو يهز كتفيه فى وجه هؤلاء الذين يشتمون (الفقيد) ولم تطفأ بعد أنوار الجناز !!

ولكن الذى لايجوز ، لافى شرعة الانصاف ولا فى شرعة الذوق السليم ، أن يكون أطول لسان اليوم على عبد الفتاح يحيى هو لسان صديقه ومستشاره وجليسه وشريكه بحق الثلثين فى أكلة الغداء وأكلة العشاء ، وذراعه اليمنى فى كل شيء صليب سامى بك ؟ !

جلس سعادته يتحدث الى بعض أصدقائه من المستشارين الملكيين ويقول عن دولة عبد الفتاح يحيى باشا ...

ده ما كانش يعرف يتكلم كلمتين زى الناس على بعض !

ثم قص سعادته هذه الحكاية وهى أن عبد الفتاح يحيى باشا أراد مرة أن يزور سير ميلزلامبسون لكى يتحدث معه فى مشكلة الدفع بالذهب .

وتناقش مجلس الوزراء فى الموضوع ، واتفق مع دولة رئيسه على النقط التى يجب ان يتناولها الحديث بين عبد الفتاح باشا وسير ميلز لامبسون ...

وهنا يقول صليب سامى بك :

ـ وذهب عبد الفتاح وقضى نصف ساعة يحدث المندوب السامى عن فوائد نور الشمس فى معالجة أمراض الطحال ، والمندوب السامى يصغى ويبتسم ! .. وأخيراً سأله سير ميلز عن رأى الحكومة فى مسألة الدفع بالذهب ... وهنا فأفأ عبد الفتاح وتأتأ واتلخم ونسى كل النقط التى كنا أعددناها له واتفقنا عليها فى مجلس الوزراء ! واخيراً اعتذر للمندوب السامى بأنه نسى الدوسيه الخاص بالمسألة !!

وختم صليب سامى بك حديثه بقوله :

ـ هوه لو كان يعرف يتكلم ، كنا وقعنا الوقعة دى ؟ !

واذا كان عبد الفتاح يحيى باشا لا يستطيع أن يقتبس اليوم فى معرض العزاء هذا المثل الذى يقول (اذا وقع الثور ، كثرت السكاكين) .. لأن القياس مع الفارق ، إذ ليست فى دولته صفة واحدة من صفات الثور ...

اذا لم يكن فى مقدوره أن يتعزى بالمثل المذكور ، فان فى وسعه ولا شك أن يلتفت الى صديقه بالأمس ويقول له : حتى انت يا بروتس ؟ !

أما الخبر الخاص بوزير الخارجية فقد جاء فيه :

فى صباح يوم الثلاثاء الماضى ، تلقى جناب مستر بيترسون البرقية الآتية من سير جون سيمون وزير الخارجية البريطانية :

أهنئك بهذا النجاح الذى لم أشك لحظة فى أنك ستناله رغم العقبات التى صادفتك وانى سعيد أن أبلغك اعجاب زملائك فى وزارة الخارجية بالمهارة والمقدرة اللتين قدت بهما الموقف الى هذه النتيجة السارة ولانزال جميعنا نرجو لك ما أنت جدير به من الفوز والنجاح ،

(الامضاء) سيمون

وقد تلقى مستر بيترسون عدة برقيات من أصدقائه الموظفين بوزارة الخارجية

البريطانية . وصلت برقية كذلك من فخامة سير ميلز لامبسون ، ويقول فيها فخامته انه كان دائما يعتقد أن بيترسون هو أحد الرجال القلائل الذين يمكنهم أن يعالجوا الموقف فى ظروف عصيبة بمثل هذه المهارة .

ويحذر التابعى من الصحف الملعوب فيها التى تكثر من غمز ولمز وتجريح بعض الجهات التى تسعى لوضع حد للعهد المحقون الذى ضجت منه البلاد ، ولقد رأيت الصحف المذكورة تارة بالكتابة والتصوير على حملة الغمز والتجريح هذه تحت ستار الغيرة المنقذة والوطنية والاخلاص للوطن وللزعماء .

والصحف المذكورة لا تخدم بحملاتها هذه اى غرض شريف اللهم الا أن تكون فى خدمة الابراشى واصدقائه هى المقصودة بالذات هذه صحف (ملعوب فيها) كما قال لنا عضو كبير من اعضاء الوفد فلنحذر الجمهور سمومها ، ولعلها هى ايضا تقلع عن سياسة مسك العصا من وسطها فان هذا النفاق لم يعد ينطلى على احد ويتصل التابعى فضلا عن كتابة اللغز المصرى الذى ألفه مسترجون أدوين الذى كان مستشارا سابقا بمحكمة الاستئناف وهو الخاص بعبد الفتاح يحيى باشا ووالده ـ مؤسس الاسرة . وقد جاء فى ذلك الفصل .

كان عبد الفتاح يحيى باشا الوحيد بين زملائى فى المحكمة الابتدائية الذى وصل فيما بعد الى كرسى الوزارة ، فقد أصبح وزيراً للحقانية ولكنه لم يحتفظ بهذا المنصب سوى زمن قصير .

ولقد كان عبد الفتاح يحيى باشا قاضيا كفأ ورجلا ظريفا جداً ولكنه كان مغروراً .. !

وكان والده المرحوم أحمد يحيى باشا رجلا مملوءا نشاطا ، ولقد شيد لنفسه داراً جميلة فى الرمل . وبدأ حياته كصيدلى ولكنه لم ينجح فى هذه المهنة ! وقيل إنه كان فى وقت من الأوقات يقدم اقداح القهوة للزائرين فى دائرة الاميرة التى أصبح فيما بعد وكيلا عنها ومنذ ذلك الوقت بدأ يحيى باشا يجمع ثروته ولقد أظهر دائما بعد نظر خارقا للعادة فى كل ما يتعلق بالربح وجمع المال .

ولقد كان حريصاً دائما على أن يغادر مصر إلى أوروبا على نفس الباخرة التى يسافر عليها مصطفى فهمى باشا (رئيس النظار) وكان يخدم الباشا ويتقرب اليه .

واخيرا حصل له مصطفى باشا على رتبة الباشوية .

وطول مدة وجود مصطفى باشا فى رياسة الوزارة لم يكن احد يستطيع ان يكون اكثر منه ـ أى من احمد يحيى باشا ـ اخلاصا وولاء لمصطفى باشا فهمى .

ولكن لم تكد .وزارة مصطفى فهمى تستقيل حتى انقطع احمد يحيى باشا عن زيارته ! ! .

ويكتب عن نسيم باشا قائلا : ودهش الصحفيون الذين يعرفون دولة نسيم باشا جيدا لما رأوه يسهر خارج منزله الى الساعة الواحدة صباحا خصوصا والمعروف عن دولته أنه لا يخرج بعد الثامنة مساء ، وهى الساعة التى يأوى فيها الى فراشه بعد صلاة العشاء .

وحدث ايام كان دولته عضوا فى الوزارة السعدية ، ان وقعت ازمة سياسية واضطر مجلس الوزراء ان يعقد عدة جلسات على ايام متوالية بعد انفضاض جلسة مجلس النواب فى المساء ، وان يطيل انعقاد جلساته الى الساعة الحادية عشرة او الثانية عشرة مساء .

وفى احدى هذه الجلسات الليلية (ثقلت) رأس نسيم باشا و(عسلت) عيناه ، وبدا عليه انه يقاوم سلطان النوم مقاومة شديدة

وهنا التفت اليه المرحوم محمد سعيد باشا وكان ايضا عضوا فى الوزارة السعدية وقال له ضاحكا ..

ـ يا خسارة يا باشا .. سعد باشا علمك الخبص والسهر !!

ونسيم باشا معروف بالوسوسة وشدة التدقيق فى عمله حتى انه لا يسمح لأيه ورقة مهما كان شأنها ان تمر عليه دون ان يقرأها ويدرسها ويكتب عليها ملحوظاته بالحبر الاحمر وبخط مشلفط همايونى لا ينافسه فى رداءته سوى خط المغفور له سعد باشا زغلول .

ولعل اظهر شىء فى خلقه ـ بعد تقواه ـ هو شدة خجله من النساء وخوفه منهن خوفا شديدا .

وتصور معى دولة نسيم باشا واقفا امام سيدة ما ، مطرق الرأس يشبك اصابع يده ثم يحلها ، يتلعثم لسانه فى لفظ نعم او لا واذا طالت المقابلة خمس دقائق فقط .. فقل على نسيم باشا العوض ! فانه يغرق فى بحر من العرق والكسوف والخجل !!

وكثيرون لا يعرفون ان نسيم باشا من انسباء المغفور له الزعيم الخالد سعد زغلول باشا ، فان شقيقة نسيم باشا هى ارملة احمد فتحى زغلول باشا شقيق سعد باشا .

ولقد كانت صداقة نسيم باشا وفتحى باشا قوية ويرجع اتصالهما ببعض الى أنهما الفا سويا عدة كتب قانونية . ومن هنا كانت المصاهرة .

وفى العدد العشرين من مجلة آخر ساعة « اخبار سياسية » كتبها محمد التابعى احدها بعنوان « سمو الامير فاروق والذين اثاروا الازمة السياسية الاخيرة » .. وآخر بعنوان مذكرتان لا واحدة : صدقى باشا يعرض خدماته على دولة نسيم باشا وحملة اخبار اخرى عن موضوع عن الغاء الدستور والنتائج التى ترتبت على الالغاء ، اما عن سمو الامير فاروق .

اجتمع ذات يوم فى السراى للاستفسار عن صحة صاحب الجلالة الملك حفظه الله بعض صاحبات السمو الاميرات ولفيف من كبار السيدات الاجنبيات . وكان هذا الاجتماع اثناء اشتداد الازمة السياسية الاخيرة . وكان طبيعيا ان يعرض الحديث بين السيدات الى الازمة واسبابها والذين اثاروها ... ودخل سمو الامير المحبوب فاروق على المجتمعات واشترك فى الحديث ، وكان مما قاله سموه : « هؤلاء الذين اثاروا هذه الازمة اثناء مرض والدى واتعبوا صحته الغالية بمشاكل السياسة .. لو كان امرهم بيدى لكنت احكم بارسالهم فى الحال الى المشنقة !! »

ونقلت سيدة اجنبية من اللواتى سمعن تصريح امير الصعيد .. نقلت حضرتها هذا التصريح الى بعض رجال دار المندوب السامى . واتصل الخبر طبعا بجناب مستر بيترسون نائب المندوب السامى .

وفى احدى الحفلات التى اقيمت اخيرا ، تقابل صاحب السمو الأمير محمد على مع مستر بيترسون ، وجلس الاثنان يتحدثان معا وقص مستر بيترسون الحكاية على سمو الامير ، فابتسم سموه وقال : ومن تظن سمو الامير فاروق يقصد بالذين اثاروا الأزمة ؟

وقال مستر بيترسون : فى اعتقادى انا واعتقاد الناس جميعا ان الذين تسببوا فى اثارة هذه الازمة بسوء تصرفهم وخطل رأيهم هم الابراشى وأصحابه وعبد الفتاح يحيى !!

ويكتب التابعى أيضا فى نفس الصفحة :

فى يوم الاحد الماضى ، كان ابراهيم فهمى باشا وكيل الاوقاف جالسا فى مكتبه ، حينما طافت بالوزارة احدى مظاهرات الفرح والابتهاج . وهتف المتظاهرون لوزير الاوقاف . وخرج سعادة الوزير عبد العزيز محمد بك الى شرفة الوزارة لكى يطل على الوف المتظاهرين ويحييهم كما حيوه ..

ودوت أصوات الهتاف كالرعد فى اذن ابراهيم باشا فهمى ، وتضايق سعادته فغادر مكتبه وخرج الى شرفة الوزارة ، ولما كان الوزير واقفا وراء احد الاعمدة فان ابراهيم باشا لم يره ... !

وألقى وكيل الوزارة نظرة فى جموع المحتشدين فسقط قلبه فى كعب حذائه .. ونادى احد الحجاب وصاح فيه :

- روح اطرد الكلاب دول ..

وهنا حانت منه التفاتة فرأى وزيره الجديد .. ووقفت بقية العبارة فى زور سعادته .. واتلخم ابراهيم باشا لخمة لا اراها الله لابراشى من بعده ولا من قبله ... ولكنه استجمع شجاعته واستأنف أمره للحاجب وقال :

- روح قل للعساكر أولاد الكلاب دول ... يفوتوا الناس تظهر شعورها .. !!

ترك دولة اسماعيل صدقى باشا ابتسامته الا كليشيه وديعة مع حمار علام باشا ، ووضع بدلها اكليل التلامة حول جبينه الطاهر ، وذهب الى دار توفيق باشا لكى يهنئه ويقول له : الف مبروك .. والف نهار سعيد !

ولما كان خدم نسيم باشا قوما مؤدبين ، فانهم قد سمحوا له بالدخول ... وتلقى نسيم باشا تهنئة صدقى باشا بما هو أهل له ثم شيعه الى الباب ..

والتفت نسيم باشا الى جلسائه وقال : أنا مش فاهم الراجل ده جاى يزورنى ليه ؟ ..

انا عمرى ما هنيته على حاجة ولا زرته فى بيته .. فبأى وجه يزورنى ؟ ... يعنى جاى يهنئنى على انى سوف الغى النظام الذى اقامه هو .. والا إيه .. ؟؟ !

صاحب الدولة اسماعيل باشا يغبط نفسه على انه رجل سياسى من الطراز الاول ، ليس له نظير فى هذا البلد الفقير ..

ونحسب نحن ان دولته على حق ، هذا اذا كانت (السياسة) هى ان يستأسد الرجل عند اللزوم ، وينحنى كرقم ٨ حتى ليكاد رأسه يلمس ما لاتطيق وأطيق ... اماالكرامة السياسية ، فان صدقى باشا يرى فيها لونا من الترف لا يطيق تكاليفه وهو الرجل الفقير !

ولقد عرف الناس ما كان بينه وبين الابراشى باشا فى الامس القريب ، وكيف ان صدقى باشا أوذى فى شرفه وفى سمعته وفى عرضه كسياسى ، بل وفى عيشه وعيش الأقربين اليه .. وان دولته أرجع اسباب هذا الاذى الى الابراشى باشا .

ثم عرف الناس مما نشرناه فى عدد الاسبوع الماضى ، ان الصلح قد عقد بين الابراشى وبين (الرجل السياسى) ؟ ! وان الابراشى يرشح صدقى باشا لرئاسة حزب الشعب من جديد ... بعد ان يستقيل منها الرجل الطيب المدب الذى لم يخلق للاشتغال بالسياسة ، هذا وإن يكن قد خلق لكى يكون المثل الناطق المتحرك على ما قد يفعله الغرور فى سن الستين

وتحقق خبرنا واستقال عبد الفتاح يحيى من حزب الشعب ـ بالجملة وبالقطاعى ، من الرئاسة ومن العضوية ـ وراح المنادى ينادى بترشيح صدقى باشا لرئاسة الحزب اليتيم .

مذكرتان :

قلنا فى الاسبوع الماضى ان صدقى باشا ـ بالاتفاق مع الابراشى باشا ـ كان قد رفع الى مقام صاحب الجلالة الملك مذكرة يشير فيها بما يراه علاجا للحالة السياسية واليوم نقول ان دولته رفع مذكرتين لا مذكرة واحدة .

اما المذكرة الاولى فقد اقترح فيها دولته ان تتقدم الوزارة النسيمية الى البرلمان الحاضر وان يوليها هذا البرلمان ثقته ...

(والظاهر أن ثقة البرلمان بضاعة جاهزة معدة للتسليم تحت الأمر والطلب) !! .

.. فاذا استطاعت الوزارة أن تعمل مع البرلمان ، فانعم بها وأكرم .. والا فانها تحل البرلمان وتجرى انتخابات جديدة فى جو صالح لاجراء هذه الانتخابات ! .

(وهنا تواضع صدقى باشا فلم يعرض خدماته لاعداد هذا الجو الصالح لاجراء الانتخابات !) .

ولكن ، لما تبين ان دولة توفيق نسيم باشا زاهد فى ثقة هذا البرلمان ، وانه يرفض أن تكون له صلة ما بهذا العهد ورجاله .. عاد صدقى باشا ورفع مذكرة ثانية يشير فيها بان تؤجل الوزارة اجتماع البرلمان شهراً واحداً ، والدستور يخولها هذا الحق ...

فاذا انقضى الشهر ، عادت الوزارة وأجلت اجتماع البرلمان الى أجل غير مسمى .. وهو اجراء غير دستورى .. ولكن حجة الوزارة ـ كما يقترح صدقى باشا ـ حجتها فى هذا التأجيل الثانى هو انه لابد من أن يفتتح جلالة الملك البرلمان ، ولكن صحة المليك حفظه الله لا تحتمل المجهود الذى تتطلبه حفلة الافتتاح ! .

والاقتراح كما ترى يرمى الى كسب اطول وقت مستطاع .

منذ ٦ سنوات ، وكان وزير الاشغال يومها هو برضه ابراهيم فهمى كريم باشا ، أرادت مصلحة الطبيعيات أن توفد اثنين من خريجى مدرسة الهندسة للحصول على درجة شرف من جامعات انجلترا .. فكتبت الى الوزارة تطلب أن تختار اثنين من نوابغ المتخرجين من مدرسة الهندسة لأن درجة الشرف لايفوز بها الا النوابغ .

.. ولما كان ابراهيم باشا فهمى يؤمن منذ ذلك العهد بأن فى اسرة الابراشى

متسعاً لكل نبوغ ، فقد رشح سعادته يومها شفيق الابراشي باشا واسمه على ما نذكر « لبيب » .. ونستطيع أن نقول هنا أن ليس لحضرته من معنى اسمه أى نصيب ! .. ورشح معه نابغة آخر من المحاسيب ! وكان « النابغة » لبيب قد تخرج من مدرسة الهندسة ، وجاء ترتيبه قبل الأخير بواحد ..

وذهب لبيب الابراشي والمرشح الثاني وقابلا مدير مصلحة الطبيعيات ، واختبرهما الرجل وكتب بعدها الى وزارة الاشغال يقول انهما لا يصلحان بالمرة لهذه البعثة ، وليس هناك أمل فى نجاحهما .

ودرجة الشرف هذه التى أرسل الاثنان من اجلها ، يمكن الحصول عليها فى عامين ، وعلى أكثر تقدير فى ثلاثة أعوام . ولكن مرت الأعوام الثلاثة ورسب الاثنان بكل نبوغ فى الامتحان !! .. وهنا قررت لجنة البعثات ان تسحب أحدهما وتعيده الى مصر وتبقى الآخر لمدة سنة اخرى . وكان هذا الآخر طبعاً هو النابغة لبيب ..

وتقدم النابغة لبيب الابراشي الى امتحان درجة الشرف مرة ثانية وثالثة ورابعة .. ورسب ! وتضايقت الكلية فاصدرت قرارا يحرم عليه تلقى الدروس فيها .. وأبلغ هذا القرار الى ادارة البعثات المصرية ؟ ! .. فماذا فعلت ؟ .. اجتمعت وتلت سورة الوحى الذى هبط عليها ثم قررت ان يبقى لبيب الابراشي فى انجلترا للحصول يرضهعلى درجة الشرف على أن تعين له الوزارة مدرسين خصوصيين يعطونه الدروس فى داره ما دامت الكلية قد حرمت عليه ان يدرس فيها ! .

وقد كان .. واخيراً ، وبمضى المدة أو وضع اليد ، حصل لبيب الابراشي على درجة الشرف وعاد الى مصر .

وعينوه فى مكتب وزير الاشغال بمرتب شرف ودرجة شرف ! .

وفى هذه التصرفات كلها ، يجرى التحقيق الآن !! .

أما الخبر الخاص بالدستور فقد كان نصه مايلى :

تجتاز البلاد فى هذه الايام مرحلة خطرة من حياتها ، وانصار النظام المهدد بالزوال قد بدأوا يسعون بين الناس ينشرون الإشاعة المريبة والقلق والشك فى النيات ، ثم يسألون من يرضى بالاصغاء اليهم : لأى سبب تأخر إلغاء الدستور حتى اليوم !! .. ويتبرعون هم بالرد على سؤالهم ويقولون ان صاحب الجلالة الملك غير راض عن إلغاء دستور ١٩٣٠ فى الوقت الحاضر ، وأن جلالته أشار على الوزارة بإرجاء البت فى هذه المسألة ! .

والذى نؤكده نحن أن ليس هناك خلاف فى الرأى على مصير دستور ١٩٣٠ ، وأن هذا المصير الذى اتفق عليه هو .. الالغاء . وأن الوزارة لم تتأخر حتى اليوم فى إلغاء

دستور ١٩٣٠ إلا بسبب هذه المشكلة الدستورية وهى أن هناك عدة مشاكل تعتبر قائمة مع دستور ١٩٣٠ ، فإذا ألغى هذا الدستور .. انهارت هذه المسائل وأصبحت وكأنها لم تكن .. ومنها مثلاً جواز نفى الذين يعتنقون ويروجون للمذهب الشيوعى وحرمانهم من الجنسية المصرية .. ومنها كذلك النص الذى يحرم على الخديوى السابق دخول الأراضى المصرية .. ومنها .. ومنها .. الى آخره .. فاذا جاءت الوزارة والغت دستور ١٩٣٠ بجرة قلم دون أن تحتاط لهذه المسائل الشائكة من الوجهة القانونية ، خلقت موقفاً قد يجر متاعب لاعداد لها ، ومنها مثلاً أن يظهر فجأة الخديوى السابق فى ميناء الاسكندرية يطلب دخول مصر ، ولم لا ، مادام ليس هناك ـ بعد إلغاء الدستور ـ نص يحرم عليه الدخول !! .

وفى العدد ٢١ يكتب التابعى ان دولة عبد الفتاح يحيى باشا لم يخرج من الحكم الا بعد أن شوه جميع الحقائق الطريف منها والتليد ، ويقول : واخيرا يؤسفنا ان نقول ان عبد الفتاح يحيى باشا قرر اعتزال السياسة وخليق بفنون النكته والكاريكاتور السياسى ان يقيم لدولته حفلة تأبين تعدد فيها مآثره وسجاياه وانه ـ رحمه الله فى عالم السياسة لم يبخل يوما على الصحف بالمادة التى تكتب فيها : طيب الله ثراه والهمنا ومسيو صاروخان الصبر والسلوان .

ويؤكد التابعى فى العدد الـ ٢١ استقالة سعادة زكى الابراشى باشا تحقيقا للرغبة التى اجتمعت عليها الامة والوزارة ودار المندوب السامى ولكن هناك ـ رأى لايزال اصحابه ونحن نؤيدهم ـ يدافعون عنه وهو انه لابد من اجراء تحقيق فى كل ما نسب الى الابراشى من تصرفات حتى اذا ثبتت ادانته قدم الى القضاء .

وعن الوزارة الجديدة ـ وزارة نسيم باشا ـ كتب التابعى (بالعدد ٢٣ فى ١٦ ديسمبر ١٩٣٤ .

ذكرت الصحف فى صدر الاسبوع الماضى ان مستر سمارت السكرتير الشرقى بدار المندوب السامى قد زار صاحب الدولة رئيس الوزراء فى داره بالحلمية .. وان الزيارة دامت ساعة كاملة وكذا دقائق .. وان دولة الرئيس كان يرتدى سترة كذا .. بينما مستر سمارت كان يرتدى سترة كيت ! .

الى آخر التفاصيل الشيقة التى كانت إلى عهد قريب وقفا على الصحافة الاسبوعية الماجنة الى ان زاحمتنا فيها الصحافة اليومية الرشيدة .

وكانت الزيارة فى يوم الجمعة ..

وفى يوم السبت ذهب دولة نسيم باشا الى القصر الملكى وتشرف بمقابلة جلالة الملك ! .

والعلاقة واضحة بين الخطوتين مستر سمارت يقابل رئيس الوزراء وفى اليوم التالى يذهب رئيس الوزراء ويمثل بين يدى المليك ! .. فماذا هناك ؟؟ .

ويشير التابعى فى العدد ٢٣ الى مقال كتبه دولة نسيم باشا فى عشر صفحات من قطع الفولسكاب عالج دولته به الامتيازات الاجنبيه من الوجهة الدولية وأيد فى شأنها آراء واقتراحات شديدة جريئة والمقال مقسم الى ثلاثة ابواب : تاريخ الامتيازات الاجنبيه ومساوىء ـ الامتيازات من الوجهة العلميه واراء بقية الدول الاجنبيه فيها وينتهى دولته من مقاله ، بأن الغاء الامتيازات اصبح ضرورة لامفر منها فى هذا العصر : المقال كتبه باللغه العربيهدولة نسيم باشا وقام بترجمته الى اللغه الانجليزية محمد كمال سليم بك مدير مكتب دولته برياسة مجلس الوزراء ، ويقول التابعى أن الوزارة تفكر فى عقد مؤتمر فى القاهرة ، يشهده مندوبون عن الدول الاجنبيه صاحبة الامتيازات لكى يتوصل فيه الى اتفاق عام ينقذ كرامة مصر ، من نسبة هذه الامتيازات ويضمن للدول مصالحها المعقولة .

وفى العدد ٢٤ يكتب التابعى عن رفض جلالة الملك جورج مقابلة الخديوى السابق قائلا :

لاشك أن القراء مازالوا يذكرون اشاعات الصيف والخريف الماضيين عن نشاط سمو الخديوى السابق عباس باشا حلمى ـ تلك الاشاعات التى اقترن بها حقا أو زوراً ، اسم صاحب السمو الامير محمد على الذى يزور لندن فى الوقت الذى بلغ فيه نشاط الخديوى غايته ... غاية النشاط لا غاية سموه ...!

والذى نستطيع أن نذكره من نواحى هذا النشاط العديدة ، أن عباس حلمى باشا سعى وهو فى لندن سعيا حثيثا فى أن يستقبله جلالة الملك جورج الخامس فى قصر بكنجهام ! أسوة بسلطان داهومى المخلوع أو ملك شط الذهب الافريقى الذى يزور لندن بملابس الخرز والريش ..

وتوسط لصاحب السمو بعض كبار الانجليز المقيمين فى لندن ممن يؤمنون بحكمة اطعم الفم تستحى العين .. ولكن هذه المساعى وذلك الالحاح المتواصل لم يلق سوى أذنا من عجين .

ومع ذلك فقد ظل الخديوى يواصل مساعيه . وأخيراً لم تر دوائر البلاط الانجليزى بدا من وضع حد لهذه الحالة وهذا الالحاح الذى لا يطاق ! ومن ثم أرسل مستر كليف ويكهام سكرتير خاص جلالة ملك الإنجليز خطابا الى صاحب السمو يبلغه أسفه لان جلالة الملك يعتذر عن مقابلة سموه ! واعتذار ملك عن مقابلة أمير سابق معناه الرفض ... الرفض المرير ...

وقد يظن البعض أن هذا الرفض الملكى يتعلق بمسائل أو تقاليد سياسية ، أو ان له علاقة بما كان يجرى فى مصر حينما طلب الخديوى السابق حظوة مقابلة ملك انجلترا وامبراطور الهند وما وراء البحار !. ولكن الواقع أن الرفض لايتصل بمصر اصلا

والأمر وما فيه أن جلالة جورج الخامس لاينسى أو لا يريد أن ينسى الواقعة الآتية التى كان بطلها الخديوى السابق :

قبيل الحرب العظمى وفى سنة ١٩١١ أو سنة ١٩١٢ لانذكر سافر عباس حلمى باشا الى انجلترا فى زيارة رسمية .

وأراد ملك الانجليز أن يعلن رضاه عن الخديوى ويبالغ فى إكرامه فاستضافه هووحاشيته فى قصر بكنجهام المقر الرسمى لملك انجلترا بلندن .

وكان من بين حاشية الخديوى رجل يحمل لقب الباشوية لاعن جدارة أو كفاءة وأول حرف من حروف اسمه ياء ... وندع البقية الآن ونقول إن مدة الضيافة انتهت ، وأقبل أحد أمناء الملك يفضى الى الخديوى بأن العرف يقضى بأن ينعم صاحب القصر على حاشية ضيفه بأوسمة ونياشين ، فمن ياصاحب السمو تقدمون لنيل هذا الشرف الرفيع ؟ !

واقترح الخديوى الاسماء التى يراها جديرة بشرف إنعام جورج الخامس : الملك والإمبراطور وكان بينها الباشا المذكور وقد طلب له سمو الخديوى نيشان القديسين ميخائيل وجورج الذى يتمتع حامله بلقب سير .. واجاب الملك جورج الطلب وانعم على الباشا بالوسام المطلوب .

وعلم الملك بعدئذ أن الباشا الذى تلقى هذا الانعام هو أفاق ممن لاعمل لهم إلا مساعدة صاحب السمو على قضاء الوقت وواسطة خير بين سموه وبين .. قولوا ما تشاءون ..!

وملك انجلترا الذى يحرص أشد الحرص على اللياقة والذوق والتقاليد لا يستطيع أن ينسى أن الخديوى أدخل فى بيته رجلا من هذا الطراز ، وحمله على أن يرفع « سمساراً » مثله الى درجة سير .!

ومن هنا كان السبب فى أن قصر بكنجهام اقفل أبوابه فى وجه سمو الخديوى السابق بالضبة والترباس !

وفى العدد الـ ٢٤ يكتب التابعى أن مسألة الوصاية قد تأجلت الى ما بعد عودة سير ميلز لامبسون وقد جاءفى ذلك الخبر مايلى :

تشرف مستر بيترسون منذ أسبوعين بمقابلة صاحب الجلالة الملك ، وقالت

صحف ونحن منها ـ إن الحديث تناول مسألة الوصاية . ونفت الخبر صحف أخرى وقالت إن مسألة الوصاية قد استبعدت نهائياً من قائمة المسائل التى تشغل الاذهان الآن ، فى مصر وفى انجلترا ... وهذا غير صحيح . والذى نؤكده ـ وسوف تثبت الحوادث الآتية صحته ـ الذى نؤكده أن الحديث قد تناول فعلا مسألة الوصاية ، وأن الحكومة البريطانية قد أبلغت هنا الجهات صاحبة الشأن أنها مع تمنياتها الصادقة لجلالة ملك مصر بالصحة والعمر الطويل ، لاتستطيع إلا أن تهتم باستمرار سياسة التعاون بينها وبين مصر ، وهى السياسة التى قد تتعرض للخطر اذا لم يتم الاتفاق منذ الآن على شخص أو أشخاص أوصياء ، لكى تطمئن الحكومة البريطانية الى أنهم ممن يؤمنون بوجوب استمرار حسن العلاقات بين مصر وانجلترا .. وإلا عرضت الحكومة البريطانية نفسهاللامر الواقع وللعمل مع أشخاص قد يخلقون لها المتاعب .

ولقد اتفق أخيراً على ارجاء البحث فى هذه المسألة الى ما بعد عودة فخامة المندوب السامى فى أوائل الشهر القادم . والمعروف أن فخامته سوف يصل حاملا معه راى الحكومة البريطانية فى هذه المسألة الدقيقة .

كما يكتب فى نفس العدد : كلمة صريحة حول القضاء والاقاويل والظنون وقد جاء فيها .

شئون القضاء والقضاة أكثر دقة واشد خطراً من أن تعالج بمثل الصراحة التى يعالج بها الكاتب سواها من الشئون .

وهى ليست كذلك مما يجوز فيه للكاتب ان يستعين بالغمز واغماض العين نصف غمضة .. ثم يكمل المعنى المراد بعلامات التعجب والاستفهام .

ولكننا اليوم امام هذه الظاهرة ... أو هذه الحقيقة الخبيثة ، وهى ان الاقاويل والظنون لم تحظ فى يوم بقدسية القضاء فى مصر كما أحاطت بها فى هذه الايام . حتى لم يعد عجيبا ولا أمراً غير مألوف ان نسمع فلانا المتهم أو فلانا المدعى يفضل ان تنظر قضيته امام قاض معين أو امام دائرة معينة ... أو انه يسعى جهده لكى يهرب بقضيته وينجو بها من امام فلان أو علان من القضاة !

ظلال الريبة والشك هنا وهناك ... وحالة مفزعة مقلقة يجب ان تعالج من الأساس وان يوضع حدلها ، والا استحال رمز العدالة الاسمى الى شىء ملطخ الوجه بالاحمر والدقيق !!

اكتب هذه الكلمة ـ وأنا مقدر لخطورة ما اكتب ـ بمناسبة القضية التى اصطلحنا على تسميتها بقضية (نزاهة الحكم)

وقد اتخذت القضية المذكورة مظهرا خاصا من يوم ان عرف ان الحكومة

البريطانية لا تستريح الى وجود وزيرين أو ثلاثة ممن تمسهم هذه القضية عن قرب ... لاتستريح الى وجودهم فى مناصب الوزارة !

واذا صدقنا مانشرته الصحف الانجليزية فى إبان الأزمة السياسية الاخيرة ، كان لنا أن نقول ان الحكومة الانجليزية قد دخلت « خصما ثالثا » فى الموضوع ؟ ! فلم تعد القضية محصورة بين متهم مصرى ومصريين مدعين بالحق المدنى .. بل اتسع محيطها حتى وقفت فيه القاهرة ولندن على السواء !

اجراء حازم

وسمعنا أول ماسمعنا ، كان ذلك منذ شهرين أو أقل ان موظفا قضائيا كبيرا صدرت منه أقوال يفهم منها ان هناك بين المستشارين من هو فى حكم الخيار ومن هو فى حكم الفاقوس .. ومن هو عادل رحيم ، ومن يخشى من قسوة عدله وحكمه !!

واستشهد الراوى بشيخ من شيوخ المحاماة هو الاستاذ ابراهيم الهلباوى بك .

وكذب الرواية الموظف القضائى الكبير .

ولكن الدائرة التى كان مقررا ان تنظر امامها القضية رأت ان تتنحى عن نظرها وحسنا فعلت !

ثم كتبت صحف فى شأن هذه الدائرة ـ دائرة نجيب بك سالم ـ وفى علاقة بعض اعضائها بالابراشى باشا ، فماذا فعل المستشارون الذين تناولتهم الروايات والاقاويل والاشاعات ؟

اكتفوا بالتنحى ... وليس التنحى هو كل شىء !

هناك قدسية القضاء التى يجب ان تظل فوق الذروة وان تكون انصع من الثلج واسمى من ان ينالها ظل من الظلال !

كان واجبهم أو واجب وزير الحقانية أن يأمر باجراء تحقيق دقيق فيما قيل عنهم وفيما نسب اليهم .. فان لم يأمر بهذا ، فقد كان واجباً عليهم أن يستقيلوا من مناصبهم ، أو يطلبوا نقلهم من القضاء الى حيث يريدون !

وها نحن اليوم ، نقرأ أن بين أسباب الرد التى قدمها حفنى بك محمود سبباً يتعلق بأحد أعضاء الدائرة وعلاقته بالابراشى باشا ..

دائما الابراشى باشا !! .. دائما تلك العلاقة التى ترجع الى أن فلانا القاضى كان قبل أن يرقى الى منصبه الحالى موظفا بالخاصة أو بالأوقاف الملكية ... حتى أصبحت الخاصة والأوقاف الملكية أكبر مورد لمناصب القضاء ، وهى صدفة ليس الا ولكنها صدفة لا تخرج علينا فى كل يوم .

الأمر يتطلب الحزم السريع ، فليس فى مصلحة أحد أن تطول هذه الحالة .. فاما

ان يثبت بالتحقيق والدليل ان قضاءنا ولله الحمد فوق كل شبهة وكل عاطفة ، واما قطعنا الشر من أساسه ، وأعدنا العدالة الى مقامها فوق الهام وفوق الرءوس .

ويقول التابعى ـ فى العدد ٢٤ ايضا ـ ان أحدا من الوزراء لم يحضر الاحتفال بذكرى الخديوى اسماعيل لان الابراشى باشا إتحفل متعمدا وعنده رئيس الوزراء والوزراء وعندما تحدث احد وكلاء الوزارات على الابراشى باشا قال ان الحفل تقيمه الأوقاف الخصوصية وهو بصفته مدير تلك الاوقاف حر ، فى ان يدعو من يشاء ويهمل دعوة من يشاء .

كما يقول ان الامير عبد المنعم قد رشح لوش فلسطينية بعد أن اعتذرت بعض الشخصيات عن تأييد ترشيحه لذات الوش ، لان فلسطين متاخمة لمصر ، وقد بذل الامير محمد عبد المنعم كما بذل سعادة محمد طاهر باشا جهودا من اجل نجاح الفكرة وان الخديو عباس حلمى الثانى ـ أعلن عن استعداده لمساعدة فلسطين بالمساعدة المالية اللازمة لانشاء مشاريع اقتصادية واسعة النطاق .

ويؤكد ان بعض المقامات الاجنبية ـ الانجليزية على الخصوص اصبحت غير راضية عن قبروتشى بك باشمهندس السرايات الملكية ، قد اشار مستر نيرسون الى اسم قبروتشى ـ بالذات لأنه يعطف على قضايا بلده الاصلى فلما قيل له ، ان هناك موظفين انجليز يشغلون مناصب هامة فى الدولة ويعطفون على قضايا بلدهم الاصلية لم يضع ويدور البحث عن مهندس مصرى يخلف قبروتشى بك .

وتحت عنوان الشاويش طه نشر التابعى مايلى .

هتف طلبة كلية الآداب بسقوط الدكتور منصور فهمى يوم عودة الدكتور طه حسين الى الكلية ، لأن منصور فهمى أبى أن يذهب لتحية الدكتور طه .

وتحرجت الحالة ورأى وزير المعارف أن يستقصي الخبر فدعا الى مكتبه الدكتورين ووقف الدكتور منصور يقص ما كان من النداء بسقوطه ومحاولة الاعتداء عليه وختم قصته بلهجة رومانتيكية أعلن فيها أنه يتخلى عن العمادة .

ورد الدكتور طه بأنه إذا استقال الدكتور من منصبه فانه لن يتقدم لانتخابات العمادة فى كلية الآداب .

وتصافى الصديقان وتعانقا فى حجرة الوزير .

ولكن الدكتور منصور وقف يقول إنه لا يجسر على دخول الكلية خشية من أن يعتدى الطلبة عليه ، واقترح وزير المعارف أن يمر الدكتور منصور على الدكتور طه كل صباح ليصحبه الى الكلية ويضمن له سلامة الدخول .

ولكن الدكتور طه قال إن عمله يستدعى الذهاب يومياً الى الكلية ، على عكس العميد منصور .

وابتسم الوزير وقال للدكتور طه : ـ ان الوزارة قد عينتك فوق منصبك الحالى ... « شاويشاً » للمحافظة على سلامة الدكتور منصور فهمى !!

وضحك الدكتور طه حسين وأعلن الرضاء والقبول ...

والمنتظر بعد هذا ان تعين الوزارة الدكتور السنهورى شاويشا للدكتور كامل بك مرسى عميد كلية الحقوق !!

ومن الأخبار والقصص التى نشرها التابعى فى العدد الـ ٢٥ نختار مايلى :

صاحب الدولة رئيس الوزراء ليس فى حاجة اليوم الى من يضمه الى صدره ويقبله بين عينيه ، هذا وان نكن جميعنا على استعداد لأداء هذه المهمة السعيدة . ولكن دولته فى حاجة حقيقية الى من يسديه النصح فى لغةصريحة ... ومن يضع تحت انظار دولته بيانات بتقلبات « الجو » قامت وزارته التى ندعو لها بالتأييد والتوفيق .

اننا جميعنا مؤمنون كل الايمان بأن صاحب الدولة رئيس الوزراء نزيه القصد ، حسن النية ، وان برنامجه المعروف والذى عنوانه (اجراء التطهير ورد المظالم وتوطيد حكم الاصلاح) .. نحن مؤمنون بأن هذا البرنامج لم يصبه أى وهن ولم يدخل عليه أى تغيير . كل ما هنالك هو أن صاحب الدولة توفيق نسيم باشا يحرص على أن يصل الى غرضه باللين والمحبة ، وتبادل الراية البيضاء .. وهى اجراءات لاغنى فيها عن التذرع بأكبر كمية ممكنة من طول البال والحلم والصبر الجميل ! وكل هذ حسن ولاعيب فيه . بل وددنا لو استطعنا أن نهدى دولته حمامة ويمامة ليجعل منهما عنواناً على وزارته .. ورمزاً للمحبة والسلام .

ولكن مع رغبتنا الصادقة فى أن لا نبخس حق الحمام واليمام ، فاننا لانستطيع أن نعتمد عليهما فى حل هذه المشكلات ...

فليس الابراشى باشا بالذى يهاب الحمام واليمام ! ولا حركة وكلاء الوزارات والمديرين بالتى يستطيع أن ينهض بها الحمام واليمام !!

وقل المثل عن بقية المشكلات ، وبقية الاجراءات الحاسمة التى تتطلبها عمليات (التطهير ورد المظالم وتوطيد حكم الاصلاح) إن أمام الوزارة عقبات ، ومن حولها دسائس لا تبالى أن تتحرك على عينك ياتاجر فى وضح النهار ! ونحن مقدرون صعوبة المهمة التى أخذتها الوزارة على عاتقها ...

وندرك تمام الادراك وعورة الطريق ، ولكن نرجو أن تدرك الوزارة فى الوقت نفسه انها مؤيدة من الأمة ومن كافة الهيئات السياسية التى لها وحدها حق الكلام باسم هذا البلد ، وانها ـــ أى الوزارة ـــ تستطيع بفضل هذه الثقة وهذا التأييد أن تتغلب على كل عقبة وأن تسحق كل دسيسة وأن تضع أصبعها فى عين كل لئيم !!

حكاية حسن صبرى

ولقد تمتع حسن صبرى بك « ببطولة » الاسبوع الماضى ، واحتل سعادته مقعد الصدر فى حفل الاشاعات والأخبار !

كيف عين فى منصبه .. ومن الذى التمس تعيينه ... وبأية سرعة تمت هذه الاجراءات ؟!

راجت اشاعة تقول ان الجهة الانجليزية هى التى اقترحت تعيينه فى وزير مصر المفوض فى لندن ... ولكنا نستطيع أن نؤكد ان الإشاعة غير صحيحة ، وكل ما هنالك - كما قال مستر جرافتى سميث مساعد السكرتير الشرقى بدار المندوب السامى لأحد زملائنا — كل ما هنالك ان الحكومة الانجليزية وافقت حين عرض عليها اسم حسن صبرى بك . ولم يكن فى وسعها أن ترفض لأن حسن صبرى بك – كما يقول مستر جرافتى سميث – صديق لنا » !ثم نستطيع أن نؤكد أن الوزراء فوجئوا بهذا الخبر ، وان بعضهم لم يسمع به قبل أن تنشره الصحف ... بل وكان فى نية صاحب السعادة احمد عبد الوهاب باشا أن يثير ضجة ومعارضة فى مجلس الوزراء ، حين يعرض مشروع المرسوم على المجلس ولكن المرسوم لم يعرض طبعا لأنه خارج عن اختصاص مجلس الوزراء !

ماذ يقول دولته ؟

وصاحب الدوله رئيس الوزراء يعتب على الصحافة التى تحدثت الى دولته فى حكاية تعيين حسن صبرى بك ، وأكثرت فى حديثها من علامات التعجب والاستفهام . والعتاب مقبول لأنه حق متبادل بين الأصدقاء والأنصار .

ويقول دولته تفسيرا – أو تبريرا – لما حدث إن مستر بيترسون كان قد أبلغ دولته أن الحكومه الانجليزية ترى من الضرورى الإسراع بتعيين وزير مفوض لمصر فى لندن ، لأن بقاء هذا المنصب شاغرا يثير عدة مشاكل ومتاعب ... خصوصاً وأن لندن مملوءة بكثيرين من « السفراء غير الرسميين » وغير المسئولين الذين يدعون صفة الكلام باسم مصر . وقد جربت مصر حظها السيء من هؤلاء السفراء !! ومن هنا اهتم دولته للامر . وعرضت أسماء عديدة من بينها أسماء حافظ عفيفى باشا وواصف غالى باشا وسيف الله يسرى باشا ، ولكنها كانت أسماء غير موفقة . وأخيرا وقف القلم عند حسن صبرى بك وكان العرض الرسمى وكان القبول !!

وعن سير الأمور ببطء مستر بنزى بيترسون ودولة رئيس الوزراء كتب التابعي .

منذ عشرين يوما تقريبا ذهب السكرتير الشرقى بدار المندوب السامى وزار دولة رئيس الوزراء فى داره . وقلنا نحن فى عدد آخر ساعة رقم ٢٣ الصادر فى ١٥ ديسمبر

أن مستر سمارت شرح لدولة رئيس الوزراء وجهة النظر الانجليزية وهى أن الامور تسير ببطء شديد ، وأن جنابه تحدث فى مسألة المديرين — وفى الاسبوع الماضى زار مستر بيترسون دولة رئيس الوزراء ، وقالت جريدة المقطم إن مستر بيترسون قد تحدث الى توفيق نسيم باشا فى أن الامور تسير ببطء وأن فى وسع الوزارة ، لو تشاء ، أن تستغل هذه السقطة التى أولتها إياها البلاد لكى تفعل كذا وكيت !

أى أن جريدة المقطم أيدت الخبر الذى نشرناه نحن قبل ذلك باسبوع أو يزيد .

وبعد مقابلة مستر بيترسون ،ذهب صاحب الدولة رئيس الوزراء وتشرف بمقابلة صاحب الجلالة الملك ، وعندنا ما يحملنا على الاعتقاد بان دولته قد رفع تفاصيل الموقف الى المسامع الكريمة ، وأن الحديث عرض بالذات لمسألة شيخ الازهر ولوكلاء الوزارات .

وعن الابراشى ، كتب التابعى .

يزعم الرواة أن هناك حرباً قائمة بين الابراشى باشا طرف أول .... وباش أغا سراى عابدين طرف ثان !. واذا غضب باش أغا السراى ، غضب معه الف اغا لايسألونه لماذا غضب !.... وهذا ما حدث ، حتى أنهم يقولون إن الأغوات قد جعلوا فى الأيام الأخيرة حياة الابراشى باشا أشد سوادا من فحمة الليل . وسبب الحرب أن الباش أغا المذكور طلب اعتمادا بخمسة جنيهات لشراء « مقشات » وأدوات نظافة ... ورفض الابراشى باشا الموافقة على الاعتماد المطلوب ، بحجة وجوب مراعاة الاقتصاد التام فى المكانس والمقشات !

وقال الباش أغا إن المقشات أصبحت فى حالة العدم ... وإنه شخصياً من أنصار الاقتصاد ، ولكن المسألة لاتستدعى هذا التدقيق خصوصاً وأن الاعتماد المطلوب مبلغ بسيط ....

وكلمة من هنا .. وكلمة من هناك ... وأحمرت عيون الباش الأغا ، وأطبق حضرته فى الابراشى باشا ، وكان بينهما ماشئت أن يكون .

ويقول الرواة إن الابراشى باشا أقسم بعدها أن لابد من طرد الباش أغا .. ولكن الباش أغا لا يزال فى منصبه حتى اليوم

وعن الابراشى ايضا

تشرف فى الاسبوع الماضى صاحب الدولة رئيس الوزراء بمقابلة صاحب الجلالة الملك ، وقد نشرنا على غير هذه الصفحة ما اتصل بنا فى شأن هذه المقابلة المذكورة .

وخرج توفيق نسيم باشا من الحضرة الملكية ، وأبصر دولته فى الساحة الخارجية سعادة الابراشى باشا .... وتجاهل دولته وجوده ولم يرد على تحية ناظر الخاصة !

ولكن الابراشى باشا تقدم مع ذلك ومد يده يصافح رئيس الوزراء ، ثم سار مع دولتهحتى الباب الخارجى ..... ووقف حتى ركب دولة نسيم باشا سيارته ثم تقدم وأقفل بنفسه باب السيارة !!

وياخوفى أنا من هذا الادب وما وراءه !!

وفى العدد الاخير من الستة شهور الأولى من عمر آخر ساعة العدد ٢٦[٦ يناير ١٩٣٥] ، كتب التابعى تحت عنوان قلة الكلام ، يجب أن تعادلها كثرة العمل :

كتبنا فى عدد الاسبوع الماضى كلمة وضعنا فيها النقط فوق الحروف ، ووضعنا كذلك خطاً تحت مالله وخطاً تحت مالقيصر .

ووجهنا فيها القول الى هذه الوزارة الصديقة ، أو اذا شئت الدقة والتحديد ، الى فريق الوزراء الذى يسرف فى سياسة اللين وما هو أكثر من اللين حتى لنخشى أن يختلط مالله بما لقيصر ... وليس مما يرضى الله أو قيصر أن يلتبس الأمر وتختلط الحدود ! ويسرنا أن كلمتنا هذه قد لاقت استحسانا وتأييداً من كافة الهيئات التى ترجو الخير لهذه الوزارة ... كما ترجو الخير على يديها .

واذا كان هناك بين الوزراء من قطب حاجبيه وشاء أن يرى فى ما كتبناه أمراً لايصح ولا يجوز من جريدة صديقة ... فان هناك أيضا بين الوزراء من وافقت كلمتنا هواه ... ومن يظهر اليوم ضجره من بطء السير وطول الانتظار ! وعلى كل حال فاننا نعتقد أن صاحب الدولة رئيس الوزراء يؤمن مثلنا بأن الصديق من صدقه النصح وأسمعه الحقيقة ...

والحقيقة اليوم هى أن هذا البلد الذى بح صوته من الهتاف يوم قامت الوزارة ، والذى تدافع نحو الوزراء ليحملهم على الاكتاف ... قد بدأ يتمهل فى سيره ، ويدق صدره بيده لعله يبعث الدفء فى هذا الأمل الذى كان يعمر الصدور ... والذى يخشى عليه من برودة (الجو؟) فى هذه الأيام !

ولكن هذا البلد قد أتقن فن الصبر الجميل ، ومن هنا لايزال يدعو مخلصا صادقا لهذه الوزارة بالتوفيق والنجاح .

وقبل أن ننتهى من هذه الكلمة نحب أن ننبه الوزارة الى أن الجو مملوء بالاشاعات ، وأن هذه الإشاعات لايجدى فى دفعها الاستهزاء ولاهز الكتفين ....

ولقد يستطيع صاحب الدولة رئيس الوزراء أن يقضى على هذه الاشاعات بتصريح منه يقول فيه ما يجب أن يقال وما يجب أن تعرفه البلاد .

ولكن صاحب الدولة قد عرف بقلة الكلام . وقلة الكلام ميزة كبرى وصفة محمودة.... ولكن المثل السائر قد جمع فى معادلة واحدة بين قلة الكلام ... وكثرة العمل .

فاذا شاء صاحب الدولة أن يختار طرف المعادلة ، وجب عليه أن يختار معها الطرف الثانى . والعمل وحده هو ، أولا وأخيراً الذى يقضى على كافة الاشاعات ، ويبعث الدفء ويعمر الصدور بالأمل .

مشيخة الازهر

وعلى غير هذه الصفحة يجد القارىء تفصيلات هامة خطيرة للموقف فيما يتعلق بشيخ الازهر ... ولكنا نعلم علم اليقين ان مسألة شيخ الازهر كانت من المسائل التى تناولها الحديث بين دولة توفيق نسيم باشا ومستر بيترسون ، قبل تشكيل الوزارة ، وان اسم الشيخ المراغى قد ذكر بالذات فى معرض الحديث ...

... وان دولة نسيم باشا فى مقابلة له مع فضيلة الشيخ ، قد ساق التهنئة أو ما هو فى حكم التهنئة بمنصبه « الجديد » وما للانجليز وما لمشيخة الازهر ... حديث دقيق ، ولكننا نكتفى بتسجيل الواقع والذى كان ...

والذى كان هو ان الانجليز يرون أن هناك شبه عهد أو ارتباط بتعيين فضيلة الاستاذ المراغى فى مشيخة الازهر .. والذى نراه نحن ان الرواية لم تتم فصولا !!

وعن العلاقات بين مصر وبريطانيا

تشرف مستر بيترسون قبل سفره بمقابلة جلالة الملك لكى يقدم لجلالته جناب مستر كيلى مستشار دار المندوب السامى ثم يستأذن صاحب الجلالة فى السفر . ولقد تفضل صاحب الجلالة وأثنى على مستر بيترسون وقال وهو يبتسم ان مستر بيترسون ، بالرغم من قصر المده التى اقامها فى مصر ، كان من أنشط السياسيين الذين عرفهم جلالته . وشكر مستر بيترسون جلالة المليك على هذا العطف الكريم وقال إنه يعتقد انه مدين الى حد كبير للمعونة الصادقه التى لقيها من لندن صاحب الجلالة ... ويقول رجال القصر ان المقابلة كانت وديه للغاية ، وانه لم يدر فيها أى حديث فى السياسة سوى ان جلالة الملك أكد فى نهاية المقابلة أنه يعتقد ان رقى مصر وتقدمها لايكون الا باستقرار العلاقات بين مصر وبريطانيا على أساس من الصداقة والتفاهم المشترك .

وعن اشتراك الابراشى باشا فى تكريم مستر بيترسون

أقام حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء حفلة تكريم لجناب مستر بيترسون بمناسبة سفر جنابه وعودته الى انجلترا . وقد وجه رئيس الوزراء الدعوة الى أصحاب السعادة الوزراء وكبار رجال القصر الملكى وهم دولة زيور باشا رئيس الديوان ومراد محسن باشا وكيل الديوان وشوقى باشا سكرتير خاص صاحب الجلالة الملك ...

ولم توجه الدعوة لسعادة الابراشى باشا ناظر الخاصة الملكية .. وجاء رسول يبلغ دولة توفيق نسيم باشا بأن الابراشى باشا لم تصله الدعوة !.. ويلفت نظر دولته الى اهمال مصلحة البريد !! ونفى دولته التهمة عن مصلحة البريد ... وقال فى عبارة مهذبة انه لم يرسل الدعوة لسعادة ناظر الخاصة لأن الحفلة مقامة لتكريم مستر بيترسون !.. وتنحنح دولته واستمر يقول : ان مستر بيترسون هو الذى كان أثار عقب حضوره الى مصر الضجة المعروفة ضد الابراشى باشا ... ودعوة الباشا الى حفلة التكريم فيها والحالة هذه احراج للباشا نفسه وكذلك لمستر بيترسون !!... ولكن الرسول عاد يقول انه اذا لم توجه الدعوة الى الابراشى باشا فان باقى كبار موظفى القصر المدعوين سوف يعتذرون عن حضور الحفلة ؟!.. وعنها ووجهت الدعوة الى سعادة الابراشى باشا ...

وعن « جلالة الملك وحسن صبرى بك »

بعد أن صدر المرسوم الملكى بتعيين حسن صبرى بك وزيراً مفوضاً لدى صاحب الجلالة جورج الخامس ، الملك والامبراطور ، ذهب صاحب السعادة وزير الخارجية ومعه الوزير المفوض الجديد ، وتشرف الاثنان بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك ، لكى يقسم حسن صبرى بك بين يدى جلالته يمين الولاء والاخلاص بمناسبة تعيينه فى منصبه الجديد .

وينقل عن حسن صبرى بك ، ولسانه كما هو لم يصبه ضعف ولا وهن ، ينقل عنه انه خرج من المقابلة الملكية يقول ان صاحب الجلالة الملك قد تعطف وقال له : (أتمنى لك يا حسن بك كل توفيق فى عملك الجديد وأرجو أن لايطول غيابك لأن البلاد فى حاجة الى مواهب مثلك من أبنائها العاملين) واذا صدقت رواية حسن صبرى بك ، فان لهذا النطق السامى معنى صريح ، وهو أن حسن صبرى بك قد لا يطول غيابه وانه يستدعى لكى تنتفع البلاد بمواهبه فى منصب وزارى جديد ؟!...

ويقول الراوى ان وزير الخارجية قد خرج من المقابلة وعند سعادته ما يدعو الى اطالة التفكير !

وعن صحة جلالة الملك :

ذكرنا فى عدد الاسبوع الماضى انه يحظى صاحب السمو الملكى ولى عهد السويد بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك . ولكن الأطباء أشاروا بالعدول عن هذه المقابلة مراعاة لصحة جلالته الغالية .

والظاهر أن برودة الجو فى هذه الأيام الاخيرة كان لها تأثير ، فقد اتصل بنا أن صاحب الجلالة أحس تعباً فى ليلة الاثنين الماضى ، فحضر الأطباء وأعطوا جلالته حقنة

مقوية تحت الجلد ، وهى من العلاج الذى كان أشار به الطبيب الالمانى فون برجمان .
شفا الله مولانا الملك ومد فى حياته الغالية انه سميع مجيب .

وعن الملك ورئيس الوزراء

قلنا على مثل هذه الصفحة من عدد الاسبوع الماضى ، ان مسألة الأستاذ أحمد لطفى السيد بك وعودته الى منصب مدير الجامعة قد أصبحت فى حكم المفروغ منها !... بعدم عودته الى منصبه القديم !؟.. وبعد صدور عدد (آخر ساعة) بيومين ، أيدت الخبر زميلتان من الصحف اليومية - وكنا عرضنا كذلك للحديث الذى جرى فى المقابلة الاخيرة التى تشرف فيها صاحب الدولة رئيس الوزراء بالمثول بين يدى حضرة صاحب الجلالة الملك ، وقلنا ان الحديث قد عرض لمسألة شيخ الأزهر بالذات ولحكاية وكلاء الوزارات ... ونستطيع اليوم ان نقول إن مسألة شيخ الازهر هى أيضا تكاد تكون فى حكم المفروغ منها !... وذلك ببقاء الشيخ فى منصبه ؟!. والسبب هو أن حضرة صاحب الجلالة الملك يحرص على تحقيق العدالة فى اسمى معانيها ، وجلالته يرى فى عدله وحكمته العالية انه ليس هناك أى سبب مقبول يدعو لاخراج شيخ الازهر من منصبه مادام لم يقم حتى اليوم دليل مادى واحد على أن فضيلة الشيخ قد أساء التصرف فى أداء واجبات المنصب أو ارتكب أمرا مخالفا للقانون .

فاذا كانت كل « جريمة » الشيخ الظواهرى هى أنه أقسم يمين الولاء الدستور ١٩٣٠ ، فقد أقسم حسن صبرى بك نفس اليمين !!.. ومع ذلك فقد رضيت الوزارة عن تعيينه وزيراً مفوضاً فى لندن !!... وإذا كانت الوزارة تريد أن تقصى عن منصبه كل من أقسم يمين الولاء للدستور المذكور ، فهناك دولة زيو باشا الذى أقسم نفس اليمين يوم جلس فى مقعده بمجلس الشيوخ .. فهل تفكر الوزارة فى اقصاء زيور باشا عن منصب رئيس الديوان الملكى ؟!

وعن لطفى السيد بك : تلميذ ارسطو طاليس :

فى الوقت الذى كثر فيه حديث الصحافة عن مسألة لطفى السيد بك وهل يعرض أمر عودته الى منصبه فى الجامعة على مجلس الوزراء ... وهل المسألة واردة فى جدول الأعمال ... الخ ، إنفردنا نحن دون بقية الصحف وقلنا فى عدد الاسبوع الماضى ان لطفى بك السيد لن يعود إلى منصبه الا بمعجزة !.. لان نفوذ الابراشى باشا لايزال كما هو !

ويقول العارفون ان كراهية الابراشى باشا للطفى لسيد بك ترجع الى أيام كان لطفى بك وزيراً للمعارف . فقد طلب يومها الابراشى باشا من وزارة المعارف زيادة الاعانة المقررة لمدارس الخاصة الملكية . واعتذر لطفى السيد بك عن اجابة الطلب

وقال ان هذه المدارس ينفق عليها من ريع الاوقاف الخصوصية الموقوفة عليها .. فهى ليست فى حاجة الى اية إعانة ، لان ريع الموقوف عليها يكفى ويزيد . وحدث مرة أن طلب الابراشى باشا اجراء تبادل بين بعض موظفى وزارة المعارف ومدارس الأوقاف الخصوصية .. ولكن الوزير الفيلسوف رفض الطلب ! ومن يومها احمرت عيون الابراشى باشا ، وأسرها فى نفسه الأستاذ تلميذ أرسطو طاليس !

أما الكلمة التى وجهها التابعى تحت عنوان : شكر وعهد [العدد ال٢٦]فقد جاء فيها :

تكمل مجلة آخر ساعة بهذا العدد ستة شهور من عمرها الطويل باذن الله وفضل اقبال الجمهور .

ومحررو المجلة يرون فرضا عليهم بهذه المناسبة ان يتقدموا بالشكر الى جمهور القراء الذى أقبل على (آخر ساعة) اقبالا منقطع النظير ، حتى استطاعت هذه المجلة ، مذ عددها الاول ، ان تقفز الى مقعد الصدر بين المجلات .

ونرجو ان يوافقنا القارىء على ان (آخر ساعة) قد استحدثت نوعا جديداً فى الصحافة الاسبوعية ، وفى طريقة عرضها للاخبار ... ولن يقف بنا الجهد عند هذا الحد . وموعدنا معكم قريبا ، يوم ترون (آخر ساعة) فى ثوب جديد مبتكر ، تواصل جهادها من اجل مصر تحت راية الوفد ودولة رئيسه الجليل .

وبعد الحديث ـ وباستفاضة عن الشهور الستة الأولى من عمر آخر ساعة ننتقل إلى الحديث عن بعض الموضوعات التى تخصت فيها آخر ساعة وبرزت فيها على غيرها من الصحف .

وأول تلك الموضوعات بلا جدال ـ هو موضوع الكتابة عن أمراء البيت المالك ذلك أن آخر ساعة ، كانت اول مجلة افردت صفحات كثيرة للحديث عن اولئك الامراء وفى كل عدد تقريبا ، كتبت كذا موضوعا او اكثر من خبر عن أحد من الأمراء .

وقد كانت آخر ساعة ـ والتابعى بالذات ـ أول من تجرأ على الامير محمد على توفيق رئيس مجلس الوصاية على فاروق ، وولى العهد وقد قادت تلك الجرأة محمد التابعى الى محكمة الجنايات والى الحكم عليه كما سيرد ـ فيما بعد ـ تفصيلا .

من بين الاخبار التى نشرتها آخر ساعة (التابعى) عن الامير محمد على أنه مثلا ـ قابل النمرسى بك مراقب التعليم الصناعى بوزارة المعارف ، عندما كان الامير محمد على وليا للعهد ورئيسا لمجلس الوصاية على الملك ليستأذن فى السفر الى انجلترا لزيارة الورش الصناعية تمهيدا لترقية الصناعات المصرية واقتباس الانظمة الحديثه وقد تحدث النمرسى فى اثناء اللقاء عن رغبة وزارة المعارف فى انشاء مدرسة جديدة لتعليم السفرجة وخدمة الفنادق فسأله الامير محمد على .

ـ وأين هى الفنادق المصرية ؟ وأين يعمل هؤلاء بعد ان يتخرجوا من هذه المدرسة ؟ !

ومضى النمرسى بك فى سرد مشاريع وزارة المعارف الجديدة فذكر من بينها انشاء مدرسة لتعليم الفتيات فن الخياطة والتطريز .

وهنا أيضا قال سمو الامير متسائلا : وهل انتهينا من تعليم الشبان حتى نهتم من الآن بتعليم الفتيات ؟ .. علموا أولا الشبان وبعدها فكروا فى تعليم البنات .

ومن تلك الاخبار أيضا :

سافر من أيام صاحب السمو الأمير عبد المنعم رئيس بعثة الشرف المصرية التى ستمثل جلالة الملك فاروق فى حفلات تتويج الملك جورج السادس ، مستقلا إحدى الطائرات البريطانية إلى انجلترا ليكون فى لندن فى الوقت المناسب لحضور حفلات التتويج .

وقد حمل سموه من مصر خطابا من صاحب السمو الملكى الامير محمد على إلى صاحب الجلالة الملك جورج السادس يأسف فيه سموه على عدم تمكنه من حضور حفلات التتويج كما حضر من قبل يوبيل الملكة فكتوريا وتتويج جلالتى إدوارد السابع وجورج الخامس بسبب ماحل بسموه من مرض مفاجىء يحول بينه وبين حضور حفلات التتويج امتثالا لنصح الأطباء .

وختم سموه الخطاب بتهنئة جلالة الملك جورج السادس بتتويجه مع تمنياته الصادقة لعهده وشعبه بالسعادة والرفاهية .

ولما كان هذا الخطاب شخصياً فقد كتب على ورق سمو الأمير الخاص لا على أوراق رئاسة مجلس الوصاية . وقد اختير له نوع من أفخر أنواع الورق وأثمنها ، ومهره سموه بامضائه الكريم .

وسيسلم سمو الأمير عبد المنعم الخطاب الكريم إلى الملك جورج فى مقابلة خاصة قد تتم قبل اليوم المحدد لحفلة التتويج .

ومن تلك الأخبار أيضا .

رأى صاحب السمو الامير محمد على قبل سفره إلى الخارج أن يجمع الأمراء والنبلاء وأن يحدثهم حديثاً خاصاً وقد اقترب موعد تتويج صاحب الجلالة الملك .

وفى الأسبوع الماضى اتصل سكرتير سموه بأصحاب السمو والمجد ودعاهم لمقابلة سمو الامير فى يوم السبت الماضى .

ولما اجتمع أصحاب السمو والمجد حول الأمير ابتدرهم سموه قائلا :

ـ هل فينا من يصلح للملك !

ودهش الامراء من صيغة السؤال وأجابوا سلباً
فقال سموه :

- وهل فينا من هو أقرب إلى قلوب الشعب من الملك فاروق فأجاب أصحاب السمو والمجد بالنفى .

وهنا قال سمو الامير :

- لقد جمعتكم قبل سفرى لدعوتكم الى الالتفاف حول الملك الشاب وموازرته فى حكمه وعلينا جميعاً فى هذا العهد الجديد أن نعمل على التقريب بين العائلة المالكة والشعب وأن نخلص للملك الشاب لانه اصلحنا جميعا واقربنا إلى قلوب الشعب . وقال سموه إنه يعرف أن صاحب الجلالة يحب افراد بيت محمد على ويحترمهم ويهمه أن يسمع أراءهم المختلفة وأن يعرف شكاياتهم .

فى رسالة خاصة من لندن وصلتنا مساء الاثنين الماضى يقول لنا أحد الأصدقاء إن اشاعة قوية سرت أخيراً فى أروقة وزارة الخارجية البريطانية أن صاحب السمو الملكى الأمير محمد على سوف يتنازل - عقب تتويج جلالة الملك فاروق فى أخر هذا الشهر - عن ولاية العهد لصاحب السمو الأمير محمد عبد المنعم وذلك لأن صحته لا تتحمل اعباء هذا المنصب الخطير .

ونحن من جانبنا نشك فى صحة هذه الاشاعة فليست ولاية العهد بالمنصب الذى يتطلب من صاحبه أعمالا ترهق صحته ، كما أن التنازل للامير محمد يبدو غريباً وغير دستورى فهناك قانون صريح يحول بين الخديوى السابق وذريته وبين العرش ، وقد نص على هذا القانون فى احدى مواد الدستور ، وهى من المواد غير القابلة للتعديل .

هذا فضلا عن أن ولاية العهد لها نظم مرسوم فى قانون وراثة العرش ولا يملك أحد تغييره حتى ولا ولى العهد نفسه فتنازله لمن لا تصح له الولاية من بعده يعد لاغياً .

والمعروف أن ولى العهد الشرعى الذى يخلف الأمير محمد على هو صاحب السمو الأمير محمد على حسن حتى يرزق جلالة الملك بابن من صلبه يكون هو ولى عهد البلاد .

أرسل حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على إلى دائرته يأمرها باجراء عدة اصلاحات وترميمات فى سراى سموه المعروفة بالمنيل ، كما أمر سموه بتجديد الورق الثمين الذى يكسو جدران بعض قاعات السراى .

واتصل بنا أن صاحب السمو الملكى صرح أثناء مقابلته مع أحد كبار المصريين الذين حظوا بمقابلة سموه فى الخارج أن فى نيته أن يوقف سراى المنيل على ولى عهد

المملكة المصرية أى أن سموه الملكى يريد أن يجعل من سراى المنيل د ارا يسكنها جميع اولياء العهد فى المستقبل كما هو الحال فى بعض المدن الاوربية حيث لولى العهد قصر خاص ينتقل اليه بعد بلوغه سن الرشد . وقد قال سموه كذلك لمحدثه إن له رغبات يرجو ان تتحقق ، وبعدها يعلن سموه وقفيته الجديدة وفيها ماهو خاص بسراى المنيل وبغيرها من املاك سموه العديدة .

ترددت أقوال فى بعض المجالس ومن أفواه أناس لهم صلة بحضرة صاحب السمو الملكى الامير محمد على ، وهذه الأقوال تنحصر فى نقطة واحدة وهى أن صاحب السمو الملكى الامير محمد على توفيق قد استدعى من اجازته فى أوروبا ، وبعد أن كان سموه ينوى الاستشفاء فى بعض مدن المياه المعدنية ويبقى فى أوربا إلى شهر نوفمبر اضطر إلى اختصار مدة الاستشفاء وتقديم موعد عودته إلى مصر .

وقال بعضهم إن بعض الجهات العليا هى التى استدعت سمو الامير محمد على لاستشارته فى بعض الشؤون .

وقال البعض الآخر إن الحكومة هى التى رجت سمو الامير أن يقدم موعد حضوره ليتوسط فى حل المشاكل القائمة !

ونستطيع أن نؤكد استناداً الى المصادر الرسمية أن سمو الامير محمد على توفيق يعود إلى مصر بناء على رغبته ، وأن جهة ما لم تستدع سموه ، لانه ليس لسموه الملكى أية صفة رسمية للحكم أو للاشتراك فيه لأن الدستور يحصر الحكم فى شخص واحد هو حضرة صاحب الجلالة الملك وحده لاغير .

ثم ان الحكومة ليست فى حاجة إلى توسيط أحد لدى جلالة الملك فان أبوابه مفتوحة لرجال حكومته المخلصين .

وكذلك ليس صحيحا ما قيل من أن سمو الأمير محمد على توفيق قدم تقريراً بمناسبة انتهاء رئاسته لمجلس الوصاية ضمنه آراء لسموه فى مسائل سياسية معينة ، والذى نعلمه أن صاحب السمو الملكى لم يقدم أى تقرير ولم يطلب منه أحد تقديم أى تقرير ، وان الرسالة الوحيدة التى رفعها سموه الملكى إلى حضرة صاحب الجلالة الملك هى رسالة تهنئة رقيقة بمناسبة تولى جلالته سلطته الشرعية .

طلب الامير محمد على بصفة غير رسمية من الحكومه ان تعين له افراد حاشية تتكون من عدة موظفين بينهم امين ونادر وسكرتير خاص وتشريفاتى وحرس خاص ولم تقرر الحكومة شيئا فى هذا الموضوع لانها لم تفاتح فيه بصفة رسمية وعلى كل ـ آخر ساعة فالحكومة سوف تعمل فى دائرة ماجرت به التقاليد فى الدول الاوروبية وفى حدود الميزانية ، وتلاحظ ان حضرة صاحب الجلالة الملك لما كان وليا للعهد لم يكن له حرس

خاص او تشريفاتي خاص او اعتماد فى ميزانية السراى غير الاعتماد المخصص له بصفته ولى العهد .

بعض ائمة المساجد، لايزالون يدعون بأن يحفظ الله ولى العهد ويعمر مديد لجلالة الملك وتظن - آخر ساعة - أن الاوان قد آن لاصدار منشور للمساجد بتغيير صيغة هذا الدعاء .

كنا قد أشرنا من قبل إلى ان صاحب السمو الملكى الأمير محمد على سيسافر إلى أوربا فى صيف هذا العام إمتثالا لأقوال الأطباء الذين نصحوا لسموه أن يقضى جانباً من الصيف فى الاستشفاء فى الخارج فى احدى مدن المياه استجماما للصحة والعافية .

ولما كان النظام الذى وضعه الدكتور باركنسون الاخصائى الانجليزى بالاشتراك مع الأطباء المصريين الذين تولوا علاج سمو الأمير، لما كان هذا النظام يسمح للأمير بأن يسافر إلى الخارج ويتحمل مشقة ركوب البحر فى منتصف يونيو، فقد كان سموه اعتزم السفر إلى اوربا حوالى هذا التاريخ فيزور العاصمة البريطانية ليهنىء الملك جورج السادس باعتلائه العرش ثم يقصد احدى مدن المياه للاستشفاء .

وقد أشرنا إلى هذا من اعداد وتساءلنا عما اذا كان سموه يعود الى مصر فى أواخر يوليو ليحضر حفلات تتويج جلالة الملك فاروق ثم يقفل راجعاً إلى أوربا مع مافى ذلك من مشقات وجهد لايناسب صحة الأمير ولايتفق مع نصح الاطباء ام يظل سموه فى أوربا فلا يحضر تتويج جلالة الملك ؟

وقد كان هذا الامر موضع بحث سمو الامير فعلا، وقد ذكرنا من قبل ان سموه حريص كل الحرص على أن يحضر حفلة تتويج الملك فاروق، ومن هنا قرر سموه ان يبقى فى مصر حتى يتم بلوغ جلالة الملك سن الرشد ويتوج رسمياً، وعقب هذا يسافر سموه إلى الخارج مباشرة .

ولما كانت صحة الامير تتطلب سرعة السفر إلى الخارج فلعل هذا هو منشأ الإشاعات التى تقول إن هناك تفكيراً فى تقديم موعد تتويج جلالة الملك حوالى أسبوعين عن الموعد الرسمى المعروف .

● أبحر يوم الجمعة الاسبق صاحب السمو الامير محمد على إلى أوربا فى رحلة للاستشفاء ولما كان سموه رئيس مجلس الوصاية فقد قيل إن المراسيم الملكية ترسل الى سموه فى الخارج ليمهرها بتوقيعه الكريم لتأخذ صبغتها القانونية المحتمة .

وكان قد أشيع انه ربما تقرر الاكتفاء بامضاء صاحبى المقام الرفيع شريف صبرى باشا وعزيز عزت باشا، وقيل إن بحثاً جرى فى هذا الموضوع أسوة بما دار

حوله الدرس عندما مرض سمو الامير واعتكف وامتنع عن مزاولة اى عمل من الاعمال امتثالا لنصح الاطباء .

يومها جرى البحث فعلا فى الاكتفاء بامضاء صاحبى المقام الرفيع عضوى مجلس الوصاية وصدرت فتوى دستورية فى الموضوع .

وهذا يذكرنابما حدث عندما سافر المغفور له الملك فؤاد فى رحلتيه المعروفتين الى أوربا فقد كانت مشكلة المراسيم الملكية وامضاؤها من المشاكل التى استغرقت كثيراً من الوقت لدراستها وبحثها .

وأخيراً تقرر ان ترسل المراسيم إلى جلالته فى اوربا بالطيارة فيمضيها فى دور السفارات والمفوضيات المصرية وهى معتبرة بحكم القانون الدولى ارضا مصرية ، فتكون الامضاء كأنها وقعت فى ارض الوطن نفسه ، ثم تعاد المراسيم الى مصر بالطيارة كما أرسلت ، على أن القوانين المستعجلة والتى يتطلب الامر تنفيذها على وجه السرعة ، كان جلالة الملك يتفضل بابلاغ رايه فيها بالموافقة أو الرفض تلغرافياً ثم يأتى المرسوم على مهل بعد ان يكون قد نفذ مضمونه .

● تلقى عبد الفتاح يحيى باشا وزير الخارجية المصرى برقية بالشفرة من معالى محمود فخرى باشا وزير مصر المفوض بباريس .

وقدجاء فى هذه البرقية ان سمو الامير محمد على قد اصيب بنكسة شديدة وعلى ذلك تأجلت مقابلة سموه لرئيس الجمهورية الفرنسية ..

وأنه قد استدعى ثلاثة من كبار الاطباء لفحص حالة سموه فوجدوا ان حالته الصحية سيئة .

ولما بلغ الخبر رفعة رئيس الوزراء أرسل يومها برقية الى سمو الامير يستفسر فيها عن صحته الغالية كما فعل ذلك دولة وزير الخارجية .

غير ان صحة ولى العهد عادت فتحسنت فى الاسبوع الاسبق واستطاع سموه ان يقابل مسيو ليبران رئيس الجمهورية كما حضر الامير الحفلة الساهرة التى اقيمت تكريما لسموه فى دار المفوضية المصرية بباريس ..

وفى الاسبوع الماضى سافر الامير الى لندن للاستشفاء وزيارة اطباء هارلى ستريت وهى حى الاطباء الاختصاصيين بلندن .

● علمنا أن حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على زار فى الأسبوع الأسبق رفعة رئيس الوزراء وابلغه أنه وفق إلى حل لمشكلة فلسطين .

أما هذا الحل فهو ضم الدول العربية التى تحت الانتداب البريطانى وتنصيب سموه أميرا عليها وهذه الدول هى فلسطين وشرق الأردن .

وسمعنا أن رئيس الوزراء طلب مهلة للتفكير واستشارة زملائه الوزراء قبل أن يعطى رأيه فى الموضوع .

ويدرى أخصاء الأمير إن بعض كبار الانجليز اتصلوا بسموه اثناء زيارته لانجلترا وبحثوا معه فى مشكلة فلسطين فلما عرض الأمير الحل المذكور ، رحبت به الدوائر البريطانية وتساءلت عما اذا كانت مصر تؤيد هذا الاقتراح ؟

واتصلنا ببعض الدوائر البريطانية فى مصر وسألناها عن رأيها فى هذا الاقتراح ، فقيل لنا إن هذا الحل شكلى أكثر منه عملى ، وإن المشكلة التى تواجه بريطانيا هى التوفيق بين المسلمين واليهود وليست تنصيب أمير عليهم .

وأضاف محدثنا إلى ذلك أن فلسطين تتنازعها فى الوقت الحاضر سلطتان : سلطة اليهود وسلطة العرب .. وبريطانيا لايمكن أن توافق على إيجاد سلطة ثالثة تضاعف الانقسام والخصام .

ثم إنه مع اعتراف الدوائر البريطانية بكفاءة الأمير الممتازة وصداقته الوثيقة لبريطانيا . مع كل هذا فانها تشك فى قدرة سموه على تحمل أعباء حكم دولة ناشئة حطمتها الحرب الداخلية وفرقتها اطماع المتطرفين .

وأضاف محدثنا إلى ذلك أن ليس لسمو الأمير ذرية تخلفه فى ولاية هذه البلاد .. فماذا يكون مصير فلسطين وشرق الأردن .. بعد عمر طويل باذن الله ؟

وتنفرد آخر ساعة بخبر طلبته الأميرة شويكار ورفضه لها ونشر الخبر الذى بعثت به الأميرة شويكار إلى الأمير محمد على ولى العهد ورئيس مجلس الوصاية وفيما يلى ما نشرته آخر ساعة .

لم تترك الأزمة المالية التى طغت موجتها على البلاد فى السنوات الأخيرة أحداً إلا واكتسحته فى طريقها وأثرت على موارده وهزته هزاً عنيفاً .

يستوى فى هذا الصغير والكبير والغنى والفقير بل الرعية والأمير ، وقد يكون فى هذا عزاء إن كان ثمة عزاء ، وقد تكون كارثة الثرى وصاحب الجاه أكبر وأعظم لأنه اعتاد لونا من الحياة والترف فيها لايستطيع أن يتخلى عنه فى سهولة ويسر ، وقد كان من ضحايا الأزمة الأخيرة كثير من أغنيائنا وأمرائنا ، ومن أعداد نشرنا على صفحات هذه المجلة مقالا ـ قيل إنه طريف ـ عن « ثروات الأمراء » ذكرنا فيه طرفا عما يملكه بعض أصحاب السمو الأمراء وبعض صاحبات السمو الأميرات من الثروة وما كان للأزمة من أثر هنا وهناك .

وقد كانت لدينا بعض تفاصيل أخرى عن حادث معين بالذات أمسكنا عن ذكرها يومها لاعتبارات خاصة ولكن نعتقد اننا أصبحنا فى حل الآن من ذكر مالدينا من

المعلومات فى هذا الصدد بعد أن أشارت إلى طرف من الموضوع زميلة معروفة .

أما الحدث الذى نشير إليه فهو خاص بصاحبة السمو الأميرة شويكار مطلقة المغفور له الملك فؤاد ووالدة سمو الأميرة فوقية قرينة معالى محمود فخرى باشا وزير مصر المفوض فى باريس .

كانت سمو الأميرة شويكار من أكثر أميراتنا تأثراً بالأزمة المالية والضائقة التى حلت بالبلاد ، حتى استدانت مبالغ طائلة من المال ورهنت الكثير من أملاكها للبنك العقارى ، ولجأت إلى بعض الحلول المؤقته لإصلاح ميزانيتها الخاصة ولكن كل هذا لم يأت بنتيجة وزادت الحالة سوءا .

وأخيراً رأت سمو الأميرة أن تلجأ إلى صاحب السمو الملكى الأمير محمد على بما عرف عنه من بر بأفراد الاسرة الكريمة وعطف كبير ، فكتبت إليه خطابا مؤثراً ـ يجد القراء صورته على هذه الصفحة داخل الاطار ـ ترجوه فيه أن يساعدها ويسعى حتى يتقرر لها مرتب ثابت من دائرة شقيقها الأمير أحمد سيف الدين .

والأمير كما هو معروف تبلغ ثروته بضع ملايين من الجنيهات ، بين رصيد فى البنوك وعقارات وأطيان وأملاك متعددة فى نواحى القطر ، ولا يتقاضى سموه من دخله الضخم سوى مبلغ ألف جنيه شهريا .

ولما كان تقرير مثل هذا المرتب يقتضى الرجوع إلى مجلس البلاط وله وحده الحق فى قبوله أو رفضه ، فقدأحال سمو الأمير الجليل هذا الطلب على المجلس .

واتخذ المجلس اجراءات معينة فى دراسة الموضوع لايعنينا هنا الدخول فى تفاصيلها ، والمهم فى الأمر أن المجلس إنتهى بعد دراسته إلى قرار معين أصدره فى جلسته الأخيرة التى عقدت يوم الأحدالماضى وهو يقضى برفض الطلب .

ونشرت آخر ساعة نص الخطاب الذى بعثت به الأميرة شويكار إلى رئيس مجلس الوصاية وكان نشر نص الخطاب مفاجأة مذهلة لمجلس البلاط الملكى وقد جرى تحقيق هام حول تسرب الخطاب إلى آخر ساعة .

حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على أرجو أن تتفضلوا وتسمحوا لى فى رفع هذا لسموكم وتشملوه بعنايتكم ومساعدتكم .

ياصاحب السمو

لقد كان للازمة المالية أثرها السىء فى كل أعمالى حتى ترتب على ذلك انخفاض الايجارات وهبوط أسعار الحاصلات الزراعية فى الأعوام الماضية . وبذلك عجزت عن سداد أقساط البنك العقارى المصرى ودفع الديون الأخرى رغما عن ازدياد مصاريف

اولادى الثلاثة الذين أصبحوا رجالا ومحتاجين إلى مصاريف تتناسب مع مركزى ومركزهم الذى لا يخفى على سموكم .

ولما كانت حياتي المالية في ارتباك شديد يدعو إلى الشفقة فقد رأيت أن التجيء مضطرة إلى سموكم راجية أن تتفضلوا وتعملوا على ترتيب معاش دائم يتناسب ويليق بمركزى الحالى من دائرة شقيقي حضرة صاحب السمو الأمير أحمد سيف الدين وهذا هو السبيل الوحيد لاستقرار أمورى وتسهيل عيشى بحالة تحفظ كرامتى .

وتفضلوا ياصاحب السمو بقبول عظيم احتراماتى واجلالى لمقامكم السامى

إمضاء

شويكار

وفى العدد التالى من آخر ساعة إشارة الى الزوبعة التى احدثها نشر خبر طلب الاميرة شويكار تقرير لهاوأن التحقيق يدور حول كيفية تسرب الانباء الخاصة بهذا الموضوع وخصوصا خطاب الأميرة ، الذى انفردنا (آخر ساعة) بنشره ويتولى التحقيق سعادة محمود شوقى باشا سكرتير البلاط الملكى .

كما نشرت آخر ساعة فى نفس الصفحة تحت عنوان الأميرة شويكار الخبر التالى .

إلى جانب هذه الأسطر يرى القراء خبراً عن التحقيق الذى يدور الآن فيما نشرته « آخر ساعة » فى العدد الماضى حول سموالأميرة شويكار .

وقد ذكرنا فيما نشرناه فى الاسبوع الفائت أن الأمير محمد على أحال طلب الأميرة الخاص بتقرير معاش ثابت لها من دائرة شقيقها الأمير سيف الدين إلى مجلس البلاط ، وقلنا إن مجلس البلاط رفض الطلب .

ونذكر هنا أسباب هذا الرفض .

من بين التقارير التى اطلع عليها المجلس وهو ينظر هذا الطلب تقريراً جاء فيه ذكر بعض المصادفات الغريبة التى تكررت أكثر من مرة كلما نزلت الأميرة شويكار فى ضيافة الأمير يوسف كمال .

ففى كل مرة لاتكاد الأميرة تحل ضيفة فى قصر الأمير حتى يطرق الباب محضر أو دائن يطالب الأميرة بدين من ديونها الكثيرة العدد .

وفى كل مرة يضطر الأمير إلى دفع الدين ..

تكرر هذا الفصل أكثر من مرة .

ولم يؤمن مجلس البلاط بان المسألة مجرد صدفة بريئة ، وكان هذا من بين الأسباب التى جعلته يرفض طلب الأميرة .

والأمير يوسف كمال هو الوصى على الأمير سيف الدين كما هو معروف .

ونذكر بهذه المناسبة أن أحد ديون الأميرة يبلغ ١٣٠,٠٠٠ جنيه .. وما خفى كان أعظم .

ومرة تكتب آخر ساعة عن الابنة شويكار وحداية باشا فتقول .

فى عام ١٩٢٥ كانت العلاقات بين الأميرة شويكار والسراى على غير ما يرام .

وحدث أن تطلقت الأميرة من زوجها فى ذلك الوقت لأنه خانها مع سيدة أخرى قالت المحكمة فى حكمها إنها سيدة غير جديرة بالاحترام .

وكان محمد حداية باشا هو وزيرنا المفوض فى تركيا على سن ورمح ، وأقام سعادته حفلة كبرى فى دار المفوضية المصرية دعا اليها وجهاء القوم ومن بينهم السيدة التى ضبطت مع مطلق الأميرة شويكار والتى قالت عنها المحكمة إنها غير جديرة بالاحترام .

واعتبرت الأميرة شويكار أن دعوة هذه السيدة إلى حفلة رسمية فى المفوضية المصرية إهانة لها ، وأرسلت تستدعى أحد سكرتيرى المفوضية وطلبت منه أن يبلغ سعادة حداية باشا أن العمل الذى قام به عمل لا يليق ، وانه وإن كانت سموها على غير علاقات الصفاء مع السراى إلا أنها مازالت أميرة مصر ومازال لها احترامها فى كل مكان ، واضافت سموها أنها تريد من سعادة محمد حداية باشا أن يعتذر عن هذه الاهانة فى بحر ٢٤ ساعة وإلا فان سموها سوف تصفع سعادته فى أول حفل عمومى تقابله فيه .

وذهب سكرتير المفوضية إلى سعادة حداية باشا يخبره أن سمو الأميرة شويكار غاضبة ولم يخبره طبعاً بتهديد سموها المشار اليه .

وهز سعادة حداية باشا كتفيه وقال إنه حر يدعو من يشاء ، وأن الأميرة شويكار على غير علاقة طيبة مع السراى فلا يهمه غضبها أو الرضاء .

وقال السكرتير إن الأميرة تطلب اعتذاراً من الوزير فى بحر ٢٤ ساعة .

ورقصت شوارب حداية باشا غاضباً وأعلن أنه لو انتقل الأهرام من الجيزة إلى ميدان لاظوغلى لما قدم سعادته للاميرة اعتذاراً أو شبه اعتذار .

وهنا قال السكرتير إن الأميرة شويكار توعدت بأن تصفع سعادته على وجهه الأسيل إذا لم يقدم الاعتذار .

ووقف شعر شوارب حدية باشا جزعا ، ولم يقف شعر رأسه لأنه كان خاليا من الشعر .

وفأفأ سعادته وتأتأ وثأثأ بما يناسب المقام ثم قال :

ـ والله البرنسيسة تعملها ولا حاجة ..

ولم تنتقل الأهرام من الجيزة إلى ميدان لاظوغلى ، ولكن حداية باشا (طار) إلى التليفون يقدم إلى الأميرة أصدق عبارات الاعتذار .

وعادت شوارب الباشا إلى مكانها المختار بعد أن تأكد انه لم يعد فى السويداء صفعات .. !

وقد تحدثت الفت هانم عن حداية باشا وكان وزيرا مفوضا لمصر بتركيا (قبل عبد العظيم راشد باشا) وكيفية مقابلته لها ولحرم شفيق باشا وحشية ثم صلحه معها بعد ذلك ، ثم مسألة تكليفه سيدة بان تقدم له سيدات بحجة أنه يريد الزواج ثم قوله بعد ذلك لها إنه يريد « رفيقة » إلى غير ذلك من الأمور الغريبة جدا .

● وتنشر آخر ساعة عن حرمان أمير من مرتبه بالصورة التالية :

صدر فى الاسبوع الماضى امر ملكى بقطع المرتب الشهرى الذى كان يصرف لحضرة صاحب السمو الامير محمد على حليم وكان سموه يتقاضى مرتبا شهرياً قدره ١٢٥ جنيها ، وسموه اكبر افراد العائلة المالكة سنا إذ يبلغ من العمر ٦٩ عاماً وقد تزوج من السيدة انيسة هانم عام ١٨٩٦ ثم طلقها بعد زواج دام ٢٨ عاماً .

ولسموه نجل واحد هو النبيل السابق محمد سعيد حليم وقد جرده الملك فؤاد من لقبه عام ١٩٢٤ لأنه تزوج من فتاة امريكية اسمها فورما بيرد . ولم يعمر هذا الزواج طويلا ، وبعد الطلاق التمس حضرته اعادة لقبه ولكن السراى رفضت الطلب .

والأمير محمد على حليم هو عم النبيل عباس حليم الذى جرد من لقبه عام ١٩٣٠ لأنه أدلى بتصريحات سياسية ضد الوزارة القائمة يومئذ مع الامير محمد على حليم بما معناه أن من الأقوال لا يصح ولا يجوز أن تروى فى مجلس عام ..

واتصل خبر هذه الحكاية بالسراى ، وطلب إلى الأمير محمد على حليم أن يعتذر عما قال .. ولكن سموه ـ كما يقول الراوى ـ لم يعتذر .

ثم حدث أن زار الأمير محمد على حليم رفعة النحاس باشا فى داره .

وفوجئت دوائر القصر برؤية صورة سمو الأمير جالسا على مقعد بينما رفعة النحاس باشا مضطجعا على السرير .

وظن الناس أن الصورة رسمت خصيصا لغرض حربى ، وخشيت بعض المقامات أن تستغل هذه الصورة للدعاية ضد الوزارة ، من هنا أخذت هذه المقامات على سمو الأمير قبوله أن يستقبله رفعة رئيس الوفد « بالروب دى شامبر » وقالت هذه المقامات إنه لا يليق بأمير أن يترك المصورين يصورونه صورة هكذا لتستغل استغلالا حزبيا ، واتصل بالسراى أن سموه تفوه فى هذه المقابلة بنفس العبارات التى تفوه بها

فى الجمعية الزراعية وأدلى برأى سياسى حول الحادث بينما المفروض أن يبتعد الامراء عن السياسة .

وكان أن اقترح البعض تجريد سمو الأميرة من لقب الامارة الجليل .

ولكن جلالة الملك تفضل واكتفى بقطع المرتب الشهرى الذى يتقاضاه سمو الأمير محمد على حليم .

وسمو الأمير ليس فقيرا بل لديه إيراد ثابت لايقل عن ثلاثة آلاف جنيه فى العام ، ومرتب الأمراء ليس حقا لهم بل إن جلالة الملك يوزعه على من يشاء ويحرم منه من يشاء .

وليس هذا « القطع » أول سابقة من نوعها فان المغفور له جلالة الملك فؤاد كان يقطع مرتبات بعض الأمراء كلما قام هذا البعض بتصرفات لايقرها جلالته ، فالأمير اسماعيل داود والنبلاء عباس حليم ومنصور داود وسعيد داود قطعت مرتباتهم عدة مرات .

ولكن هذه السابقة هى أول سابقة من نوعها فى عهد جلالة الملك فاروق .

● وتعود آخر ساعة إلى نفس الموضوع فى العدد التالى ولكن بمعلومات أدنى :

ذكرنا فى الاسبوع الماضى تفاصيل الظروف التى أدت إلى صدور أمر ملكى كريم بقطع المرتب الشهرى الذى كان يصرف لسمو الأمير محمد على حليم من مخصصات الأسرة المالكة .

ولقد زار سمو الأمير فى الأسبوع الماضى صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا رئيس الوزارة فى داره ودامت الزيارة ٢٠ دقيقة .

وفى هذه المقابلة شرح الأمير ما يعتقده سببا لقطع مرتبه ، وقال إن زيارته لرفعة النحاس باشا كانت زيارة شخصية بحتة ، وإن سموه لا يشتغل بالسياسة ولا يريد أن يحرج الوزارة ، بل إن النحاس باشا صديق شخصى لسموه وقد ساعده لما كان رئيسا للوزارة فاراد أن يجامله بالزيارة لما سمع خبر إصابته .

وقال رفعة رئيس الوزراء إنه ليس لديه أى معلومات رسمية عن السبب فى قطع المرتب ، ولا يستطيع هو شخصيا أن يتدخل فى مسألة عائلية كهذه . ثم نصح رفعته لسمو الأمير بالذهاب الى السراى ومقابلة صاحب المقام الرفيع على باشا ماهر رئيس ديوان جلالة الملك فهو الموظف المختص بمثل هذه الشئون .

واتصل بنا أن بعض أصحاب السمو الأمراء والأميرات من البيت المالك شرح هذه المسألة فى السراى وقد لا يمضى وقت طويل قبل أن يتفضل حضرة صاحب الجلالة الملك ويعيد لسمو الأمير محمد على حليم مرتبه المقطوع .

● وتنشر آخر ساعة مقالا للصحفى حسين كامل مصطفى بعنوان رقصت مع الأمير مجيدة شقيقة الاميرة زوجة خطيبة الامير عبد المنعم ، وفيما يلى بعض فقرات منه :

فى نوفمبر الماضى دعيت إلى البانيا لحضور اليوبيل الفضى لاستقلال البانيا ، ومكثت فى البانيا ثلاثة شهور طوال ، وكان من حسن حظى حضور الحفلات الشائقة التى أقيمت وقتئذ بمناسبة خطوبة الملك زوغو إلى الكونتس جير الدين .

وتشرفت فى أثناء الزيارة بمقابلة صاحب الجلالة الملك زوغو فى غرفة مكتبه بالسراى الملكية بتيرانا .

ولم أكن فى ذلك الوقت متعوداً على مقابلة الملوك ، فقد كان جلالته اول ملك قابلته .. وربما أول أمير !

وكنت مضطربا ، لا أعرف ماذا أقول ، ولا ماذا أرتدى ، وزاد اضطرابى لما دخلت القصر الملكى فاذا بالحرس الضخم ، والجنود الطوال العراض يحملون بنادقهم الأنيقة ويرتدون ملابسهم الحمراء الموشاة بالقصب البراق ! .. ثم سرت فى أروقة القصر الأنيقة فزاد اضطرابى إلى الضعفين وأنا أرى ضباط هيئة الياوران يروحون ويجيئون ، ويدورون ويلفون ، وينحنى بعضهم كرقم ٨ ، ويدق بعضهم الارض بقدميه دقات لها موسيقى ولها أنغام وأوزان !

وقابلت الملك زوغ ، فاذا باضطرابى يزول ، واذا به يباسطنى ويحادثنى وكأنه يعرفنى من زمان طويل !

وعرفت وقتئذ أن ملوك الشعوب يستطيعون إذا أرادوا أن يكونوا ملوكا على القلوب .

ودامت المقابلة ٢١ دقيقة ، حدثنى فيها جلالته عن مصر والبانيا وعن الرباطة الوثيقة المقدسة بين الشعبين .

ولما عرف جلالته أننى مصرى من أصل البانى قال :

ـ إننى سعيد جدا لمقابلتك فمصر مثل البانيا .. كل منهما شعب ناهض ، وكل منهما له ماض مجيد وأمان مجيدة .. حتى موقعنا الجغرافى يكاد يكون واحداً .. ونحن فى البانيا كنا نعتبر ـ ومازلنا نعتبر ـ مصر وجهتنا الوحيدة عندما نريد المهاجرة .

فهى وطن ثان لكل البانى ونرجو أن تكون البانيا وطنا ثانيا لكل مصرى .

ثم ابتسم جلالته وقال :

ـ أنا سعيد لأنك طلبت مقابلتى .. لا لأنك مصرى فقط أو صحفى فقط بل لأنك

مصرى من أصل البانى .. وأنا سعيد بمصافحة الشاب الذى يمتزج فيه هذان الدمان الكريمان ..

ولم تكن هذه التحية بالطبع موجهة لشخصى بل لألوف الالبانيين المصريين .. بل للأسرة المالكة التى يجرى فيها دم الالبانيين الشجعان .

وفى ١١ فبراير اقيمت حفلة ساهرة خاصة فى نادى الضباط بتيرانا ابتهاجا بخطوبة جلالة الملك زوغو .

وكانت الانوار الساطعة تنعكس على اثواب الاميرات والسيدات الفاتنات ، وعلى وجوههن المشرقة ، وعلى جواهرهن اللامعة فتكسب القاعة جمالا على جمال .

وكان رجال الجيش يرتدون ثيابهم المزركشة والأوسمة والناشين التى كانت أكثر لمعانا من جواهر السيدات . وكان الرجال المدنيون ومنهم أنا بملابس الفراك ..

وبدأت موسيقى الجاز باند تعزف ألحان « التانجو » البديعة .. وتقدم الجنرال جمال آرانيتى القائد الاعلى لقوات الجيش وراح يراقص خطيبة الملك ، وتقدم أكرم بك لبهوفا وزير الخارجية يراقص الأميرة روحية .

ووقفت أنا أراقب الرقص وأسائل نفسى : ـ مع من أرقص ؟ ..

وجلت بعينى فى وجوه المدعوات ،أبحث عن زميلة ترقص معى ..

والتقت عيناى بعينى صاحبة السمو الأميرة مجيدة صغرى شقيقات الملك زوغو .

وكانت سموها ترتدى الثوب الفاتن الجميل يزيد الأميرة فتنة وجمالا على مالسموها من فتنة وجمال ..

وتقدمت ثم تأخرت .. ثم تقدمت وعدت أتأخر من جديد !

هل اسألها هى ؟

هل استأذن الملك زوغو ؟

هل استأذن رئيس الوزراء ..

ورحت أضرب أخماسا فى أسداس !

وجمعت أطراف شجاعتى ..وأطراف ذيل الفراك كذلك وسألت الدكتور شركو مدير المطبوعات أن ينقذنى مما أنا فيه .. ويسأل الأميرة مجيدة أن تأذن لى بشرف الرقص معها !

ولكن الدكتور شركو هز كتفيه وقال إن هذا ليس من اختصاص قلم المطبوعات .

ولكنه وعدنى بأن يسأل وزير الخارجية رأيه فهو اختصاصى فى شؤون التقاليد والاتيكيت والبروتوكول !

وتقدم حضرته إلى وزير الخارجية يسأله أن ينال لى هذا الاذن الكريم !

ولكن وزير الخارجية ـ سامحه الله ـ اعتذر عن تولى هذه المهمة ونصح بأن اتقدم أنا إلى سمو الأميرة مجيدة وأسألها أن تعطينى الرقصة التالية ...

ثم أضاف الوزير إلى هذا أن الاميرة قد تعتذر عن إعطائى الرقصة فعلى أن لا اطلبها للرقص إذا كنت أخشى الكسوف !

وهرشت أنا رأسى واتلخمت ... ثم قلت لنفس إنه إذا كان من الرقص بد فمن العجز أن تكون جبانا ...

وتقدمت إلى سمو الأميرة مجيدة وانحنيت وطلبت منها شرف الرقص معها ....

وما أشد دهشتى لما أجابت الأميرة بأنها سوف ترقص معى ! ...

وبدأنا الرقص على نغمات التانجو الهادئة الوديعة ...

وسألت الاميرة ونحن نرقص :

ـ هل تعرفين سموك مصر ؟

فابتسمت الأميرة مجيدة وقالت :

ـ إننى اعرف تاريخ مصر جيداً :

سألتها :

ـ وكيف تتخيلين مصر ؟

ـ إننى أتصورها بلدا ناهضة

ـ وهل لسموك رغبة فى زيارتها ؟

ـ إننا نزور الآن مختلف المدن الالبانية لنحكم الصلة بين الأمراء والشعب ولنا فى خارج البانيا جاليات عظيمة وواجبنا أن نزورهم لتزيد الصلة بيننا وبينهم .. فهم ألبانيون بقلوبهم وإن بعدوا عن ألبانيا بأجسامهم ...

ثم هزت راسها وقالت :

ـ وطبعا جاليتنا فى مصر أكبر الجاليات .. وسوف تكون من أولى البلاد الأجنبية التى نزورها ..

ثم تحدثنا طويلا عن بعض شؤون ألبانيا وتاريخ الاسرات المختلفة فيها ومن الغريب انها روت لى حكايات وقعت لأسرتى فى ألبانيا ولم أكن أعرفها أنا !

وانتهى دور التانجو .. وانتهى الحديث .. أو أول حديث صحفى أناله وأنا أرقص !!

ولم أرقص طول الليلة سوى هذه الرقصة !

أولا : لأننى كنت مضطرب الاعصاب منهوك القوى !

ثانيا : لأننى أقنعت نفسى بأن شرف ولذة الرقص مع سمو الاميرة المحبوبة لا يعادله شرف سواه ! ..

ومضى على هذا الحادث ستة شهور ، ولايزال فى أذنى صوت الاميرة الساحر وقد امتزج بلحن التانجو الهادىء لأنشودة

ـ أسعد ليالى حياتى !

● وفى كل حديث اجتماعى يتعلق مثلا بالزواج والطلاق كانت آخر ساعة تحرص على أن تكتب عن الاميرات فقد نشرت تحقيقا عن نسبة الطلاق فى مصر أصرت على أن تذكر فى نهاية التحقيق وبدون تفصيل ان الطبقة التى تقع فيها نسبة الطلاق ، الى درجة عالية جدا ، هى طبقة الاميرات وفيما يلى مانشرته آخر ساعة (التابعى) عن الطلاق ، عند الاميرات والممثلات وبنات الذوات .

قامت جريدة أمريكية فى الشهر الماضى بعمل إحصاء دقيق لنسب الطلاق بين مختلف الطوائف فظهر أن نسبة الطلاق بين رجال وبنات الفن تصل إلى ٧٤٪ وتصل عند أبناء وبنات الطبقة الراقية إلى ٥٣٪ أما أقل الطوائف طلاقا فهى طائفة الصحفيين فالطلاق تنخفض نسبته عندهم إلى ١٠٪ .

وقد علقت الجريدة على هذه الاحصائية الطريفة بأن الفن يطبع المشتغل به بطابع « البوهيمية » ومن ثم كثرت حوادث طلاق الفنانين والفنانات .

ويعيش أبناء الطبقة الراقية فى عصرنا الحالى حياة أشبه بحياة الممثلين والممثلات فقد أصبحت هذه الفئة لاتعيش إلا فى المسارح والصالات والاندية الليلية ولا تعود إلى منازلها إلا فى الصباح المبكر ! وحياة البيت هى أهم جزء فى الحياة الزوجية فاذا انهدم هذا الجزء أصيب الزوج بتصدع يؤدى إلى طلاق عاجل !

أما أسباب انخفاض نسبة الطلاق بين طائفة الصحفيين فلعل سببه هو أن رجال الصحافة يعرفون بحكم مهنتهم المصائب والبهدلة التى تجرها قضايا الطلاق !

ويظهر أن هذه النسب محفوظة فى مصر فإن أكثر الطوائف طلاقا هى طائفة الممثلين والممثلات .

فالأستاذ يوسف وهبى مبعوث العناية الإلهية لانقاذ فن التمثيل قد أكمل دينه ثلاث مرات فقد تزوج فى المرة الأولى من سيدة أمريكية فى عام ١٩٢٣ ثم طلقها فى ظروف معروفة يقال إن من بينها أن الزوجة الأمريكية كانت تغار من بريمادونات مسرح رمسيس .

وفى عام ١٩٣٠ تزوج يوسف من السيدة عيشة هانم فهمى واستمر الزواج سنة وبضعة شهور ثم وقع الخصام بين الزوجين ومازالت قضايا الطلاق قائمة بين الزوجين .

ثم تزوج يوسف عام ١٩٣٦ من سيدة فى البحيرة وكان زواج يوسف هذه المرة على الطريقة المسرحية فقد رفضت عائلة الزوجة أن توافق على الزواج وقبل إن عشرات من خطابات التهديد كانت تصل يوسف يوميا !

ومازالت السيدة المذكورة فى حيازة يوسف وهبى حتى كتابة هذه السطور !

وتزوجت السيدة منيرة المهدية خمس مرات وطلقت أربع مرات فقد تزوجت حسن افندى جبر لمدة ١٣ سنة ثم حسن نديم ثم احمد ثم حسن كمال ولم يدم هذا الزواج طويلا فطلقت منه وتزوجت شقيقه الصغير ابراهيم كمال وقد مضى على هذا الزواج مدة طويلة .

وتزوجت السيدة عزيزة أمير ثلاث مرات أيضا فقد تزوجت فى أول الأمر من أحد رجال الادارة بدمياط ثم طلقت الكوكب زوجها وهاجرت من دمياط الى القاهرة حيث أصبحت كوكبا مسرحيا تنثر حولها الرياحين والزهور وتزوجها الوجيه احمد الشريعى عمدة سمالوط ثم انفصل عنها بعد زواج دام عدة سنوات . وقد تزوجها عقب طلاقها الوجيه مصطفى الشريعى شقيق احمد الشريعى .

وتزوجت السيدة فاطمة سرى اربع مرات ... وكان الزوج الثانى هو حضرة الاستاذ سيد افندى البشلاوى ثم طلقت للمرة الثانية وتزوجت الوجيه محمد شعراوى عضو مجلس النواب .

وقد انجبت المطربة من الوجيه طفلتها « ليلى » التى قامت بسبب اثبات بنوتها قضايا دامت سنوات طوال .

ومنذ شهور تزوجت المطربة للمرة الرابعة من الوجيه علاء الدين العطار .

أما السيدات فاطمه رشدى وزينب صدقى وبديعة مصابنى وفتحية احمد وغيرهن وغيرهن فقد تزوجن وطلقن مرة واحدة !

ويلى بنات الفن فى نسبة الطلاق بنات الذوات المصريات .

فقد تزوجت السيدة امينة البارودى مرتين وطلقت مرتين وقد سمعنا أنه من المنتظر أن تعلن خطوبتها قريبا الى أحد الوجهاء المعروفين وبذلك تكمل دينها للمرة الثالثة .

وتزوجت السيدة خديجة العلايلى مرتين فقد تزوجت فى المرة الأولى من الدكتور امين صدقى نجل رب الكفاءات ثم طلقت منه وتزوجت من الوجيه مصطفى رياض .

وتزوجت السيدة زوزو عاصم مرتين فى المرة الاولى من الوجيه فايد فريد وفى المرة الثانية من الوجيه عادل بيرم .

والسيدة عيشة هانم فهمى تزوجت مرتين ... فى المرة الاولى من الدكتور احمد بك سعيد وفى المرة الثانية من الاستاذ يوسف وهبى ... وانتهى الزواج بالفشل فى كلتا الحالتين ومازالت عيشه هانم تتردد على المحاكم الشرعية بسببهما !

وفى كل اسبوع ... واحيانا فى كل يوم نسمع أن بنت ذوات جديدة قد طلقت من زوجها .

وهناك فئة مصرية ترتفع فيها نسبة الطلاق الى درجة عالية جداً ... وهذه الطائفة هى طائفة الاميرات . ويقول المتصلون بهذه الفئة إن سبب ارتفاع نسبة الطلاق هو أن اغلب (الأزواج) اختيروا للاميرات دون أن يكون لسموهن رأى او اقتراح .

اما الاميرات اللاتى اخترن ازواجهن فقد جردهن مجلس البلاط من ألقابهن أو حرمهن من مرتباتهن .

وقد تزوجت صاحبة السمو الاميرة شويكار خمس مرات .

وهناك عشرات من الامراء والاميرات تزوجوا ثم طلقوا وقد نشرت هذه المجلة حوادثهم بالتفصيل .

● وعما يفعله الملوك ، اذا ارادوا ان يستريحوا بعض الوقت من اعباء الحياة وعن هوايات الملك فؤاد ، والملك فاروق قالت اخر ساعة التابعى .

لما كان جلالة الملك فاروق فى أوربا فى الشتاء الماضى لوحظ على جلالته ميله الشديد إلى جمع الآثار والنقود القديمة والكتب التاريخية . كان جلالته يعنى عناية كبيرة بزيارة المتاحف ودور الآثار ويسأل عن كل شىء يراه اسئلة دقيقة تدل على ما يتمتع به جلالته من ذكاء نادر وما يميزه من ميل للآثار وجمع الكتب والنقود القديمة .

ويذكر القراء فوق ذلك أن جلالته كان شديد الاهتمام بجمع الآثار المصرية التى يجدها مبعثرة فى محال بيع الآثار بأوربا وانه جمع من هذه الآثار مقداراً كبيراً تفضل جلالته باهداء بعضه للمتحف المصرى فكان لذلك أحسن وقع فى قلوب المصريين جميعا الذين حمدوا لجلالته اهتمامه بآثار ومخلفات الأجداد الأول ،

وقد أعد جلالة الملك فاروق فوق ذلك متحفا خاصا لجلالته بالقصر الملكى وهو شديد العناية بأمر هذا المتحف حتى انه يشرف على تنظيفه بنفسه ويشعر بمنتهى الرضاء والسرور فى اليوم الذى يتمكن فيه من إضافة قطعة أثرية جديدة إلى هذا المتحف الملكى الخاص .

أما والده المرحوم الملك الراحل فؤاد الاول فقد كان فى حياته من المغرمين بجمع طوابع البريد . وكان جلالته رحمه الله يهتم اهتماما عظيما بمجموعته حتى لقد تمكن من أن يضم اليها بعض الطوابع النادرة المشهورة فى العالم كله لدى المغرمين بجمع الطوابع ..

والمعروف أن مجموعة جلالة ملك انجلترا السابق جورج الخامس كانت أحسن مجموعة طوابع فى العالم كله وكانت تقدر قيمتها ببضع آلاف من الجنيهات وكان غواة جمع هذه الطوابع يعتبرون مجموعة الملك فؤاد ثانى مجموعة فى الأهمية والقيمة بعد مجموعة الملك جورج الخامس . ويقال إن مجموعة الملك فؤاد كانت تحوى بعض الطوابع التى خلت منها مجموعة الملك جورج الخامس والتى لم يتمكن جلالته من العثور عليها .

ولما تقابل الملكان العظيمان جورج الخامس وفؤاد الأول للمرة الأولى كان اهم موضوع للحديث تناولاه فى تلك المقابلة هو حديث طوابع البريد وجمع الطوابع الناقصة من مجموعة كل منهما . ويقول العارفون ان الحديث فى هذا الموضوع استمر مدة طويلة حتى دهش المتصلون بجلالتيهما من غير غواة هذا الفن واستغربوا كيف يضيع جلالتهما وقتا طويلا فى الحديث فى مثل هذا الموضوع .. « الهايف ! »

وقد كان الخديو عباس الثانى يميل الى ركوب الخيل ويهتم بها وبالبحث على الاصيل منها اهتماما عظيما . ويروى عن سموه انه خرج وحده فى يوم من الايام يتنزه فى الصحراء . ورأى سموه فى الصحراء أعرابيا يمتطى صهوة جواده . وكان الاعرابى رجلا متقدما فى السن .

وأعجب سموه بالجواد فأطال اليه النظر ثم اقترب من راكبه ووقف على مقربة منه ثم قال له :

— « دور » بهذا الحصان أمامى ! ونظر الاعرابى الى هذا الغريب الذى يحدثه بلهجة الامر دون سابق معرفة وفكر قليلا : هل يطيع أمره أم يعصاه ؟ ولكنه مالبث بعد ذلك ان دار بالجواد أمام الخديو .

وأخذ الخديو ينظر الى الجواد وهو يسير أمامه فى دائرة وقد امتلأ به — لا براكبه — إعجابا . ولما دار الاعرابى بالجواد مرتين قال له الخديو :

— انزل عن الجواد :

ودهش الاعرابى ولكنه آثر أن يطيع مؤقتا حتى يعرف النهاية فنزل .

ونظر الخديو الى الجواد مرة أخرى ثم قال للاعرابى :

— والآن اركب الجواد :

وأطاع الاعرابى وهو يكاد يتميز غيظا ولما ركب الجواد قال له الخديو :
- سر بالجواد الآن قليلا ثم عد به :

ولما سار وعاد .. قال له الخديو :
- متشكر !

ولكن كلمة متشكر لم يكن فيها ما يقنع الاعرابى إزاء ما تجشمه من عناء أمام هذاالغريب فنزل عن جواده والغضب بادٍعلى وجهه وقال للخديو بلهجة الآمر :

اركب هذا الجواد !

ودهش الخديوى للهجة الاعرابى ولكنه مالبث أن امتثل لأمره مبتسما فركب لجواد وقال له الاعرابى :

- سر بالجواد أمامى فى دائرة !

وسار الخديوى بالجواد فى دائرة أمام الاعرابى . وقال له الاعرابى بعد ذلك
- والآن ترجل !

ونزل الخديوى عن الجواد فقال له الاعرابى .
- والآن اركب الجواد وسر به قليلا ثم عد ..

ولم يتردد الخديوى فى إطاعة الاعرابى ولما عاد كانت أمارات الرضاء قد ظهرت على وجه الاعرابى إذ اعتبر أنه سوى حسابه مع هذا الطارق الذى أزعجه . ونزل الخديوى عن الجواد وسلمه لصاحبه فقال له الرجل !

-لعلك تعلمت درساً مفيداً .. ألم تشعر بما سببته لى من مضايقة بأوامرك السخيفة التى لم أفهم قصدك منها ؟ !

وابتسم الخديوى وقال له معتذراً :
- نعم ! لعلى ضايقتك فعلا .. ولكن الحق ان اعجابى بجوادك هو الذى جعلنى أضايقك بهذا الشكل دون أن أشعر ..

وسرى عن الاعرابى فاعتذر بدوره للخديوى وقال :
- وأنا الآن عرفت فيك شابا من هؤلاء الوارثين المغرورين الذين يظنون أن من حقهم إزعاج جميع الناس فآثرت أن ألقى عليك هذا الدرس ولعلك انتفعت به !

فأجاب الخديوى مداعبا :
- وأنا منهم فعلا !

فسأله الاعرابى :
- ومن تكون حضرتك ؟

فقال الخديوى .

- إسمى عباس حلمى !

وقال الاعرابى :

- يخيل إلى أننى سمعت بهذا الاسم قبل اليوم .. وهلا تزال حضرتك فى المدرسة أم أنك أتممت دروسك !

أجاب الخديوى :

- بل لقد غادرت المدرسة !

وسأله الاعرابى :

- وبماذا تشتغل إذا ؟

وكان الجواب :

أشتغل الآن .. خديو !!

أما ملك انجلترا الحالى جورج السادس فهو يميل للالعاب الرياضية قبل أى شىء ، شأنه فى ذلك شأن أى بريطانى حر ! ويهتم جلالته اهتماما خاصا بمعسكرات الأولاد التى كان يشرف على تنظيمها بنفسه لما كان أمير يحمل لقب دوق يورك .

ومنذ شهور قليلة زار جلالته معسكرا إقامه الأولاد وقضى بين المعسكرين وقتا طويلا سمح له بالاشتراك فى العابهم وأناشيدهم وكانت تبدو على جلالته فى ذلك الوقت : الذى تخلى فيه عن مهمة الحكم الشاق امارات السرور والسعادة !

وجلالته فوق ذلك من المغرمين بالتصوير الشمسى .. ولكن اعظم ما يميل إليه جورج السادس هو المنزل وحياة الأسرة السعيدة Home life ولذلك يرى فيه الانجليز-رب أسرة بمعنى الكلمة ويحبه أكثرهم لهذا السبب .

وجلالته فى هذا يختلف عن شقيقه الملك السابق إدوارد الثامن الذى يميل إلى السياحة والتنقل فى بلاد الله الواسعة حتى لقد زار كل بقعة فى العالم تقريبا .. ولم يترك جزءا من الامبراطورية البريطانية لم يذهب إليه .

وكان إدوارد الثامن فوق هذا ممن يميلون إلى رياضة الصيد والقنص إلى جانب الألعاب الرياضية الأخرى التى يحذقها وفى مقدمتها لعبة الجولف . وقد كانت لعبة الجولف سلواه وعزاءه فى الاشهر القاسية التى تلت اعتزاله العرش لما غادر بلاده واختار ضواحى مدينة فينا للاقامة فيها فقد كان يقضى معظم أوقات فراغه فى تلك الأشهر فى لعب الجولف مع مضيفيه وأصدقائه .

وجلالة ملك يوغوسلافيا بطرس الصغير ، الذى تولى العرش على إثر مقتل والده الملك إسكندر فى حادث مرسيليا ، من المغرمين بالراديو وبفنون اللاسلكى جميعاً

وكثيرا ما يشاهد جلالته فى حديقة القصر الملكى ببلغراد وهو يركب بنفسه بعض الأسلاك الضرورية . ويحاول جلالته دائماً أن يصلح بنفسه كل جهاز يفسد فى القصر من أجهزة الراديو ولا يلجأ إلى المهندس المختص إلا إذا أعيته الحيل . وإذا أقبل المهندس لاصلاح الجهاز لازمه جلالته ملازمة الظل لصاحبه حتى يعرف بنفسه كيف يصلح المهندس ماعجزهو عن إصلاحه !!

وعن ذكرياته مع الملك فاروق .

أعترف مع الأسف أنى لم أدون مذكرات أثناء هذه الرحلة ولذلك استمد مادتى الآن من الذاكرة ، وليست ذاكرتى من الصنف الذى يفخر به المرء يوم القيامة .

كنت أزور يوما شركة هافاس وروتر فى باريس ، وقابلت فى غرفة الانتظار فرنسيا كبيرا من الذين كانوا تشرفوا بمقابلة صاحب الجلالة الملك .

وكان مما قاله لى الفرنسى المذكور : « إن الملك الشاب فاروق تتمثل فيه تماما مصر الفتية الناهضة التى تفخر بماضيهاوتنظر إلى مستقبلها بعين الثقة . إن ملككم مصرى قح ، تبدو (مصريته) أحياناً وكأنها تعضب لكل ماهو مصرى . فما من حديث إلا ويذكر فيه مصر وما من مجد قديم إلا ويطالب بنصيب مصر فيه . نعم إنه مصرى متعصب لمصر .»

عرف القراء من التلغرافات التى كنت أبعث بها إلى جريدة « المصرى » حرص جلالة الملك عند زيارته لكل مدينة حللنا بها على البحث عن الآثار المصرية الموجودة فيها والمعروضة للبيع .

ولقد أنفق جلالته فى هذا آلاف الجنيهات . وكان جلالته إذا أحس أن هناك من لايرى إنفاق هذه المبالغ الطائلة ، كان يقول : (هذه الآثار المصرية يجب أن تعود إلى مصر بأى ثمن)

وحدث مرة فى باريس أن رأى جلالته فى أحد محال بيع الآثار القديمة أثراً مصرياً فنياً رائعاً . وسأل صاحب المحل عن ثمنه ، فقال خمسه وسبعون ألف فرنك ، وتمسك بهذا الثمن .

وقال الدكتور حسنى بك : هذا كثير يامولانا .

فقال جلالة الملك : نعم ربما كان كثيراً . ولكن مش كتير علشان مصر .

دفع جلالته الثمن واسترد الاثر لمصر .

وكان المعتقد أن جلالته سوف يضم جميع الآثار التى اشتراها أثناء رحلته إلى متحفه الخاص بالسراى ، وقد اشترى له جلالته أثناء رحلته فى الوجه القبلى آثاراً دفع فيها نحو إثنى عشر ألف جنيه .

كان المعتقد هذا ، ولكن عرف أثناء إقامة جلالته فى لندن أنه ينوى أن يهدى إلى دار الآثار المصرية بعض القطع المصرية النادرة التى اشتراها ولامثيل لها فى دار الآثار .

ولما عرف جلالته أن الأمر قد عرف طلب من رجال حاشيته أن يكتموا الخبر حتى لايصل إلى الصحف ، لأنه يود أن يهدى ما يهدى « فى السر ومن سكات » ولكننى عرفت بالخبر وأبرقت به إلى جريدة المصرى .

واطلع جلالته على الخبر منشوراً فى (المصرى) فالتفت إلى حسنى بك وقال : (كده ؟ عملتها أنت والتابعى ؟)

وفى إحدى المدن الكبرى التى زارها جلالته ذهبت ذات يوم صاحبة السمو الأميرة فتحية صغرى شقيقات جلالة الملك - وسموها فى السادسة من عمرها - ذهبت وزارت أحد المحال التجارية الكبرى واشترت حاجتها منه .

وعند مغادرتها المحل أهداها الموظف البائع راية صغيرة تلهو بها . راية البلد التابعة له المدينة المذكورة . وعادت سمو الأميرة إلى غرفتها بالفندق ومعها الراية .

وتصادف ان زار جلالة الملك شقيقته الصغرى فى غرفتها فوجد الراية الأجنبية المذكورة . وفى الحال أمر جلالته برفعها وهو يقول : (إذا كانت هناك راية ماتوضع فى غرفة الأميرة فيجب ان تكون الراية المصرية لاراية أخرى) .

وما من بلد زرناه إلا والتمس كثيرون المساعدة من صاحب الجلالة الملك ، ومن بينهم شرقيون عديدون . وكان جلالته - بعد أن يتحرى ويتأكد من صدق روايتهم - يأمر بمساعدتهم من جيبه الخاص .

وحدث مرة أن التمس مصرى من جلالته أن يساعده بمبلغ كذا لأنه مدين بهذا المبلغ وقد رفعت ضده قضية بشأنه ، ومن المحتمل إذا هو لم يدفع المبلغ أن يحكم باشهار إفلاسه .

وتحرى المسئولون من رجال الحاشية عن صدق المصرى المذكور فتبين لهم أنه حقيقة مدين بهذا المبلغ وأن هناك حقيقة قضية مرفوعة عليه بشأنه .

ولكنهم عرفوا إلى جانب هذا كثيراً عن سيرة المصرى المذكور وعن تصرفاته وعن وعن .. إلى آخر ما يبررعدم مساعدته وأفضوا برأيهم هذا لصاحب الجلالة الملك .

ولكن جلالته لم يعمل برأيهم وأمر بدفع دين الرجل ، وقال : (ربما كان الرجل حقيقة لايستحق المساعدة بسبب سوء سيرته . ولكن ما ذنب مصر ان يحكم باشهار افلاس مصرى فى محاكم هذا البلد الأجنبى) ؟

كان هم جلالته إذن أن ينقذ سمعة مصر اولا وقبل كل شيء .

وقمنا مرة بقطار خاص من سان موريتز إلى « ألب جروم » لكي يرى ولاة الأمور السويسريون جلالة الملك كيف تحطم الثلوج وكيف ترفع الآلات الخاصة آلاف أطنان الثلج المتراكمة على القضبان الحديدية في طريق القطار .

وكان الجو يومها بديعاً حقاً . كان كل شيء يكسوه الثلج ، الجبال وقممها والوديان والاشجار وفروعها وقد انعكست أشعة الشمس الصافية فبدت الاشجار كأنها شمعدانات من البللور المضاء .

ووقفنا جانباً نقارن بين هذا الجمال الرائع الجبار وبين جمال الاقصر وصحراء مصر . واجمع رأى الموجودين على ان جمال الاقصر لايقاس بجانب هذا الجمال . إلا الاستاذ الفاضل احمد يوسف فقد خالف اجماع الحاضرين وتمسك بان الاقصر والصحراء أجمل من هذا كله .

وبينما نحن كذلك اقبل علينا جلالة الملك وسمع الحديث فقال : (أنا موافق الاستاذ . هنا شيء جميل صحيح ، لكن برضه أنا ما ارضاش ابادل مصر بأي بلد ثانية في الدنيا) .

● ومقال آخر جاء فيه :

اظهر ما يلفت النظر في محيط الملك فاروق هو ظرفه مع رجال حاشيته وحسن معاملته وشدة عطفه على رجاله ، ولهذا تراهم يخدمونه لا لأنه ملك ولا لأنهم مكلفون بخدمته ولكنهم يخدمونه لأنهم يحبونه ويحبون حقيقة أن يخدموه .

وصاحب الجلالة الملك المحبوب مخلص صادق الوعد وفي شديد الوفاء إذا وثق بأحد حباه بعطف لاحد له ، وجلالته لا يطلب اكثر من الاخلاص والصدق فاذا تأكد من توفرهما في شخص اقبل عليه وقربه من شخصه الكريم .

ولكن جلالته الى جانب هذا ـ بحكم سنه وهو لايزال في مستهل ربيع الحياة ـ جلالته سريع الشك ، والذي يفقد ثقة جلالته مرة محال أن يستردها إلا بمعجزة .

وفاروق يمقت التملق واللف والدوران . هو صريح ولا يطلب منك سوى الصراحة التامة . بل وقد يغفر لك أية هفوة قد تنجم عن شدة صراحتك اذا اعتقد ان اساس هذه الصراحة هو النية الحسنة والرغبة الصادقة في خدمته .

وجلالته اشد مايكون عطفا وظرفا مع الصغير قبل الكبير .

حدث اثناء مرور القطار الملكي في محطة منيا القمح في طريقه الى بورسعيد ان تعلق بالصالون الملكي اربعة غلمان يهتفون بحياة « فاروق » وهموا بدخول الصالون

بل ودخلوه فعلا ـ واسرع رجال البوليس يريدون طرد الغلمان ولكن جلالته حال دونهم وتحدث الى الفلاحين الصغار وربت على اكتافهم ونفح كلامنهم بجنيه .

وكثيرا ما كان جلالته يرى بعض رجال حاشيته جالسين فى ركن من اركان احدى قاعات الفندق فيقبل عليهم ويصافح كلا منهم بيده ثم يجلس معهم بدون كلفة يسألهم عن صحتهم أولا وهل جو البلدة التى نحن فيها يلائمهم ثم ماذا رأوه فى البلدة و .. و ... الى آخره .

واذاهمَّ احدهم بان يترك لجلالته مقعد الصدر أمره جلالته بلطف : (اقعد ياأخى .. خليك قاعد زى ماانت) .

ويجلس جلالته فى مقعد ما بين رجاله .

وذات مساء فى مدينة جنيف ، كنا أربعة جالسين الى مائدة نتناول العشاء ولا اعرف ماذا كان هناك ، ربما كنا متعبين بسبب رحلة او نزهة خلوية قمنا بها ، ولهذا كنا سكوتا نتناول طعامنا وكأن على رؤوسنا الطير .

ومر بنا جلالته فى طريقه الى مائدته ، ولعله لاحظ شيئا من هذا لأنه وقف بمائدتنا وقال بابتسامته الظريفة المعروفة : (عندكم محل لى :) .

واسرع القائقام عمر فتحى بك فاخلى مقعده لصاحب الجلالة وجلس فى مقعد آخر .

وجلس جلالته يتناول عشاءه ويتحدث ويثير الحديث بين فكاهة أو سؤال أو نكتة حتى سرى عنا ما كان بنا وتغير جو المائدة تماما .

هذا هو فاروق بين رجاله الذين يثق بهم والذين يحبونه ويذهبون فى خدمته الى اقصى الحدود .

وكانت وزارة الداخلية قد انتدبت اثنين من رجال البوليس السرى هما حضرتا اليوزباشى احمد الطاهر واليوزباشى محمد كامل لكى يرافقا صاحب الجلالة فى رحلته ويكونا فى خدمته وكانت مهمتهما ان يتناوبا او يتقاسما حراسة صاحبى الجلالة الملك والملكة وصاحبات السمو الملكى الاميرات فى تنقلاتهم .

حدث مرة فى مدينة فيشى ان خرج صاحب الجلالة من جناحه الخاص فى الفندق فوجد الطاهر افندى جالساً على كرسى فى المشى ينتظر خروج جلالته لكى يسير وراءه اينما سار .

وابتسم جلالته وقال : (دايما ورايا ؟ يعنى تفتكر ما اقدرش اخرج من غير ماتشوفنى) ؟ !

ونزل جلالته السلم ووراءه اليوزباشي الطاهر افندى .

وفى الشارع امام الفندق تلفت جلالته فوجد الطاهر افندى قد ظل واقفا بباب الفندق ولم يتبعه فناداه وسأله لماذا هو لم يتبعه ؟

قال الطاهر افندى : ربما مولانا يحب يمشى لوحده .

فضحك جلالة الملك وقال : انت صدقت إنى مش عايزك ؟ انا كنت باضحك تعال .

ومشى جلالته والى جانبه اليوزباشي الطاهر افندى .

ولعل فاروق الرقيق الاحساس اراد ان يطيب خاطر خادم مخلص فى خدمته لانه لم يلبث ان اشعل سيجارة وناول سيجارة ثانية للطاهر افندى .

وللملك فاروق هوايته بالتحف القديمة والآثار معروف مشهور افاضت الصحف ـ ونحن من بينها ـ فى الحديث عنه فى مناسبات شتى ، وقد ذكرنا من قبل كيف ان جلالته كان يسافر فى شتاء العام الماضى مرة على الاقل كل اسبوع الى الاسكندرية ليشرف بنفسه على الحفريات الخاصة فى قصر المنتزه العامر .

وفى رحلة جلالته الى الوجه القبلى اشترى مجموعات كبيرة من الآثار بلغ ثمنها عدة الاف من الجنيهات ، كما أن جلالته فى رحلته الاخيرة فى اوربا لم يترك اثراً نفسياً نادراً من الآثار المصرية القديمة المعروضة للبيع الا واشتراه وتكلف جلالته فى هذا عدة الاف اخرى من الجنيهات وقد تفضل جلالته واهدى الكثير من هذه التحف الى دار الاثار المصرية .

كل هذا معروف مشهور فلا نطيل فيه على ان لجلالة الملك هوايات اخرى لا يعرف الجمهور عنها شيئا من ذلك غرام جلالته بالكتب والاطلاع المستمر .

ومن الكتب ، القديم الذى يعد من الاثار والتحف النادرة والثمينة ، وغرام جلالته بهذا النوع منها هو من نوع غرام جلالته وتعلقة بكل ماهو قديم ونادر ، على ان حب جلالة الملك للاطلاع والدراسة والتمشى مع النهضة الفكرية والعملية الحديثة جعل جلالته يتعلق كذلك بما يصدر من الكتب الجديدة فى مختلف العلوم والفنون ، فما من كتاب حديث يصدر فى التاريخ او الادب او ترجم مشاهير الرجال او الفنون المختلفة الا بادر جلالته بشرائه وضمه الى مكتبته الخاصة التى اصبحت تضم الآن آلاف المجلدات .

وعقب عودة جلالته من لندن منذ عامين طلب من احدى المكاتب العامة فى مصر قائمة بأحدث الكتب فى مختلف العلوم والفنون التى صدرت فى أوربا ، وأشر جلالة

الملك امام الكتب التى اختارها ، وقد حملت هذه الكتب الى السراى فى عربتين كبيرتين ، وتفرغ جلالته أسابيع متوالية لترتيبها وتبويبها .

والمعروف ان جلالته كثيرا مايظل حتى منتصف الليل ، بل والى مابعد منتصف الليل احيانا ، فى مكتبه يقرأ ويدرس ويطلع ، كما ان جلالته فى كثير من الاحيان لا يكتفى بالقصاصات التى يرفعها اليه الموظف المختص باقوال الصحف بل يتناول جلالته الصحيفة بنفسه و « يفليها » من اولها الى آخرها !

وقد كانت رحلة المليك فى اوربا رحلة دراسة واطلاع قبل كل شى ، فما من مدينة مر فيها جلالته الا وطاف بمتاحفها ودور اثارها ، واعلامها الكبرى ، وكان هم جلالته الاول عند زيارته أية بلد ان يزور محلات بيع الآثار والكتب فيها لينتقى منها مايشاء من الآثار والكتب .

كما كان جلالته يعنى كثيراً بزيارة محلات بيع الساعات الاثرية القديمة . ومن التحف النادرة التى اشتراها جلالة الملك من هذا النوع ساعة دقيقة لايزيد حجمها على حجم القديم وقد ركبت فى خاتم من الذهب الخالص ووضعت مكان « الفص » .

وجلالته قلما يحمل معه نقوداً . وكان ذلك أحيانا مثار مفاجآت طريفة ، يدخل جلالته الى احد محال بيع الكتب او الاثار وبعد ان يقلب طويلا فى المجموعات المعروضة ينتقى منها مايشاء ويسأل عن الثمن ثم يهم بدفع النقود وفجأة يكتشف جلالته ان ليس معه نقود فى جيبه .

وهنا يتقدم ياور جلالته الخاص عمر بك فتحى او السكرتير الخاص الاستاذ حسين بك حسنى او احد رجال الحاشية ممن يتصادف ان يكون فى رفقة الملك فيدفع الثمن ويحاسب عليه مندوب الخاصة الملكية فيما بعد .

وكثيراً مايحدث عندما يقرأ جلالته كتابا طريفا يعجبه ، او عندما يحب ان يعرف رأى احد افراد الحاشية فى كتاب معين بالذات ، كثيراً مايعطى جلالته الكتاب لمن يشاء من المقربين اليه من افراد الحاشية ويطلب منه ان يقرأه ويطلعه على رأيه فيه .

الفصل الرابع

□ لماذا فسدت العلاقة بين السراى وحكومة الوفد ؟

□ وموضوعات سياسية أخرى هامة

كان عام ١٩٣٧ مرحلة جديدة من مراحل تطور آخر ساعة تمثل الاستقرار مع الانطلاق ونلاحظ ، ان آخر ساعة فيما عدا بعض الاخبار كانت قد نقلت فى غياب الاستاذ التابعى خارج البلاد ـ قد تميزت ، بالصدق ، وبالاقتراب من الحيدة ، وان ظلت فيما يتعلق بعلاقاتها بالاحزاب أقرب ماتكون الى الوفد وإن كان يبدو للمراقب الهادىء الواعى ، أنها تحاول الهروب من تلك العلاقة رويدا ، رويدا ، لتصبح ـ فى عرف البعض ـ مستقلة ، كما أنها ـ وربما للعلاقة الوثيقة التى كانت تربط التابعى بأحمد ماهر ، والنقراشى ـ لم تكن فى خصومة مع المعارضة وخاصة المعارضة الجديدة ، التى نشأت فيما بعد بخروج أو بإخراج النقراشى باشا من الوفد .

نتوقف عند محطات سريعة لاعطاء صورة أقرب ماتكون إلى النضوج للحياة السياسية فى مصر فى تلك السنوات الحرجة من تاريخ مصر ونحب أن نشير هنا إلى أن توقفنا فى تلك المحطات لايعنى بحثا تاريخيا ولابحثا صحفيا وإنما يعنى توضيح موقف آخر ساعة من بعض القضايا السياسية الى جانب محاولة إعطاء صورة سياسية لحياتنا السياسية وقتئذ .

فى العدد ١٣١ (١٠ يناير ١٩٣٧) كتبت آخر ساعة عن سعيد ذو الفقار باشا الرجل الذى رفض رئاسة الوزاة وكان سعيد ذو الفقار كبيرا لامناء القصر ومنصب كبير الامناء من المناصب القليلة فى الدولة التى ليس لها سن للاحالة على المعاش لا فى مصر وحدها وإنما فى كثير من بلدان العالم وقد توفى منذ شهور كبير الامناء فى ايطاليا بعد أن بلغ سن الواحدة بعد المائة وهو مازال فى منصبه عقبال سعيد باشا ذو الفقار وتقول آخر ساعة ان الصحف تنشر منذ عشرين عاما أخبارا عن قرب إحالة سعيد باشا ذو الفقار للمعاش ومع ذلك فسعيد باشا مازال كبير الامناء حتى الان (٣٧) وأسرة ذو الفقار باشا مشهورة بالعمر الطويل فان المرحوم على باشا ذو الفقار والد سعيد باشا ذو الفقار توفى سنة ١٩٠٠ وكان عمره مائة عام .

تولى آخر ساعة أهمية بالغة بالاكتتاب لمشروعات الدفاع الوطنى وكانت قد أفسحت صدرها للدعوة لهذا الاكتتاب منذ العدد ١٣١وفى العدد ١٣٣ راحت تهاجم التبرعات الضئيلة التي اكتتب بها الاغنياء فى الاكتتاب للدفاع الوطنى فماذا تدفعون انتم ايها الفقراء لقد فترت حركة الاكتتاب وهبطت حماسة الصحف وتراجع الاكتتاب من صدر الصفحات الى ركن متواضع فى صفحة متواضعة فى ذيل الجريدة وتحت عنوان على عامود واحد وبنفس البنط الذى يستعمل فى ختم فقد منى أو إنا لله وإنا اليه راجعون كان هذا هو المصير المحتوم لكل حركة مباركة تقوم فى مصر تبدأ مثل هذه المشروعات دائما فى حرارة ونار ولهب ثم تفقد الحرارة وتهبط النار وتبرد الى ان يغطيها الرماد .

ان حركة الاكتتاب قد قامت حتى الان على الموظفين وليس الموظفون هم جميع ابناء الامة المطالبون بالدفاع عن ارض الوطن بل لعل كل موظف يسأل اليوم نفسه اذا كان رجل فى مثل على بك امين يحيى بلغ ايراده السنوى اكثر من عشرة آلاف جنيه قد تبرع بخمسمائة جنيه ورأى فى هذا المبلغ كل الكفاية لارضاء ضميره وابراء ذمته من دين الوطن .. فكم يجب أن ادفع انا .. انا الموظف الذى اتناول مرتبا سنويا قدره مائة او مائة وعشرون جنيها .. ؟ تساوى بضعة قروش مما يكسبه الاغنياء .. والان عرفت لماذا فترت حركة اكتتاب هذه الملايين من متوسطى الحال .. والفقراء ينتظرون ان يتبرع الاغنياء بالجنيهات قبل أن يطالبهم الوطن بأن يتبرعوا هم بالقروش والملاليم .. !

يعود التابعى فى العدد الثانى (١٣٤) الى موضوع التبرعات فيكتب تحت عنوان مغالطات حول اكتتاب حضرات الوزراء والمحترمين الشيوخ والنواب .. لقد تبرع الوزراء بمرتب شهر واكتتب النواب والشيوخ بمكافأة . شهر ومرتب الوزير هو ٢٥٠ جنيها ومكافأة عضو البرلمان هى اربعين جنيها .. بين وزرائنا سادة أغنياء لو أنهم كانوا خارج الحكم لما قنعت منهم بهذا الاكتتاب الضئيل اى بمبلغ المائتين وخمسين جنيها تدفع على ١٢ قسطا وإلا فقل لى هل كنا نسكت انت وانا على صاحب المعالى واصف غالى باشا لو انه ادخل يده فى جيبه ثم اخرجها بمائتين وخمسين جنيها للدفاع عن أوجه الوطن ومعاليه ولله الحمد من اغنياء هذا البلد المعدودين ماكنا لنسكت على هذا ولاكنا نرضى به حتى ولو كان الدفع فوريا ..

ثم يعود الاستاذ التابعى مرة اخرى الى الحديث عن هذا الموضوع ولكن تحت عنوان الحزب الوطنى واكتتاب اعضائه لمشروعات الدفاع الوطنى وقد جاء فى (العدد ١٣٥) : رفض الحزب الوطنى أن يوافق على المعاهدة المصرية الانجليزية لانها لاتحقق استقلال وادى النيل من طرطوفة الماكس الى خط الاستواء .

رفض الحزب بقضه وقضيضه الموافقة على المعاهدة . وقض الحزب الوطنى هم اعضاؤه فى البرلمان . وقضيضه هم أعضاؤه الذين لم ينتخبوا شيوخا أو نوابا . ثم كانت حركة الاكتتاب لمشروعات الدفاع الوطنى ، وهنا قرر الحزب أن لايساهم

فى هذه الحركة لانها ترمى الى انشاء سلاح جوى .. مصرى بالاسم ، ولكنه سيكون فى خدمة المصالح البريطانيه .. ولكن حدث ان تبرع اعضاء مجلس الشيوخ والنواب ، الأولون بمكافأة شهر أو ثلاثة شهور والآخرون بمكافأة شهر .. وبين هؤلاء الشيوخ زعيم الحزب الوطنى الأستاذ حافظ رمضان بك .. وبين النواب الاساتذة عبد العزيز

الصوفانى وفكرى أباظة ومحمود جلال .. وقد شملتهم حركة الاكتتاب من حيث لايعلمون .

وأثار بعضهم فى دار الحزب هذه النقطة وهى كيف يرضى زعيم الحزب وممثله فى مجلس الشيوخ وكيف يرضى ممثلو الحزب فى مجلس النواب بالاكتتاب لمشروع اتفق الرأى على محاربته ؟ واقترح بعضهم أن يرفض حافظ بك رمضان ونواب الحزب الاكتتاب بمكافأتهم وأن يخطروا رياسة المجلسين بذلك .. ولايزال الاقتراح موضع النظر .

وفى العدد ١٣٨ ينشر التابعى فى آخر ساعة كلمة تحت عنوان : الفقيد إليه تعالى صدقى باشا إيراده الشهرى الف جنيه .. وقد جاء فى تلك الكلمة مايلى :

حين خرج صدقى باشا من الوزارة ـ ولا لزوم لتفصيل كيفية خروجه منها ـ أخذ دولته يقلب جيوبه لكل من يقابله ويشكو الى الله ما أصابه من فقر مدقع بسبب الوزارة وتكاليفها الثقيلة التى اختلت بسببها ميزانية دولته .. الخ الخ وصدق بعض الناس ـ ولم نكن نحن منهم ولله الحمد ـ صدق بعض الناس دولته ونشرت بعض الجرائد انه لم يستطع أن يدفع لأحد المصورين مبلغ ثلاثين جنيها ثمن صور كان قد أخذها المصور له .

والتقى دولته أخيرا بصديقه اللدود دولة على ماهر باشا وجر الحديث إلى إيراد الفقير اليه تعالى صدقى باشا فانقعص دولته ـ أى صدقى باشا ـ وقال إن ايراده الآن هو ١٢٠٠٠ جنيه فى السنة أى الف جنيه فى الشهر فقط لا غير ..

وراوى هذا الخبر هو دولة ماهر باشا ـ جعل الله اخبارنا خفيفة على قلبه ـ وقد اعددنا من باب الاحتياط (كليشيه) التكذيب الذى اعتاد ان يرمينا به كلما نقلنا خبرا رواه دولته لأكثر من واحد ولكنه يتحرج لنشره لسبب ما !!

وفى العدد (١٤١ ـ ٢١ مارس ١٩٣٧) من آخر ساعة تكون الافتتاحية مناورة مكشوفة حول زيارة زعيم الاحرار الدستوريين لتوفيق نسيم باشا استغرقت الزيارة ما يزيد على الساعة إستفسر عنها البعض خاصة وان توفيق نسيم باشا كان قد تعرض لحملة عنيفة ومستمرة على صفحات جريدة السياسة .. وعلى لسان محمد محمود باشا قالت آخر ساعة : الزيارة لا تحمل اى معنى لانها زيارة مريض وقد كان فى وسع الزعيم النبيل (محمد محمود) أن يختصر زيارته فلا تطول أكثر من المدة القانونية اللازمة لشرب قدح القهوة او الينسون الا ان دولته اطال الجلوس ولم يكن فى وسع رب الدار ان يطرد زائره خارجا

.. وتقول آخر ساعة ان الاذناب والدلاديل من عجائز حزب الاحرار الدستوريين قد اولوا تلك الزيارة على غير الحقيقة مما فهم من تأويلاتهم ان نسيم باشا سيخرج من عزلته السياسية من جديد وعلى مبادىء الاحرار الدستوريين ما احوج حزب الاحرار الدستوريين وزعيمه النبيل الى دارسة الف باء السياسة من اول وجديد .

وفى العدد ١٤٤ تنشر آخر ساعة موضوعا تحت عنوان : هل نحن على ابواب الحرب ؟ .. المصانع البريطانية ترفض تموين الجيش المصرى وقد جاء فى ذلك الموضوع : فى اواخر العام الماضى طلبت وزارة الحربية من احد المصانع الانجليزية الكبرى ١٨ طيارة لسلاح الطيران الحربى تعاقدت الوزارة مع المصنع ان يورد لها طلبها فى شهر نوفمبر .. نوفمبر ١٩٣٦ !!

ومر نوفمبر وبعده ديسمبر ثم يناير سنة ١٩٣٧ وفبراير وفى مارس الماضى ارسل المصنع إخطارا للوزارة بأنه شحن اليها ثلاث طيارات ..

وظنت الوزارة ان باقى المطلوب سيرسل جوا وبعد قليل ولكن جاءت فى كتاب المصنع حاشية يقول فيها انه يعتذر عن ارسال بقية ما طلبته منه الوزارة لأنه مشغول بطلبات الحكومة الانجليزية من ناحية وطلبات من بعض الدول الاوروبية من ناحية أخرى ، وانه على اى حال على غير استعداد لاجابة اكثر من ١٠ ٪ مما تطلبه منه الحكومة المصرية !!

وحدث لوزارة المواصلات مثل هذا مع مصنع للقضبان الحديدية فقد دخل فى مناقصة عامة أعلنت عنها الوزارة ثم انسحب منها بعد ذلك بنفس الحجة التى تذرع بها مصنع الطائرات ، طلبات الحكومة الانجليزية وبعض الدول الاوروبية !!

ويقال ان المصانع البريطانية كلها تعمل ليل نهار لاجابة طلبات الحكومة الانجليزية التى بدأت تنفيذ برنامجها الخاص بالدفاع الوطنى والتى خصصت له فى ميزانيتها الجديدة ١٥٠٠ مليون جنيه !!

وقد زادت أثمان الحديد ٨٠ ٪ بسبب إقبال الامم الشديد على شراء المدافع والاسلحة .

وقد أصدرت بعض الحكومات اوامرها الى مصانعها المختلفة لتحويلها الى مصانع للذخيرة والمهمات الحربية .

وقد ضاعفت الدول مصاريف أقلام الجاسوسية وضاعفت عدد الجواسيس بدرجة لم يسبق لها مثيل الا فى عام ١٩١٤ أى قبل اعلان الحرب العالمية .

وبعد .. فهل معنى ذلك ان الحرب على الابواب وان العالم على وشك ان يدخل مجزرة جديدة ؟ !

وهذا هو المعنى الوحيد الذى يمكن ان تفهمه من الحركة الواسعة النطاق التى تشمل المصانع الانجليزية على اختلاف انواعها .

وقد اتصل بنا أن ولاة الأمور فى وزارة الحربية يدرسون الموضوع دراسة وافية من جميع نواحيه حتى يضمنون تموين الجيش المصرى بالاسلحة الحديثة التى يتطلب اعداده بها

وفى العدد ١٥٠ من آخر ساعة (٢٣ مايو ١٩٣٧) نشرت المجلة ان محمد محمود باشا قد استأجر محررا (من منازلهم) ليكون لسان حاله ومفهوم هذا الخبر ان دولة الزعيم النبيل غاضب على السياسة ورئيس تحريرها الدكتور هيكل ونادم على ما انفقه عليها من اموال فى السنوات الماضية وفكر دولته فى حل وسط على شرط ان يكون رخيص وكويس وابن ناس حلا يكفل لدولته أن يقول مايشاء .ولايكلفه غاليا .. وفى الوقت نفسه ومن هنا استأجر دولته كاتبا معروفا او كان معروفا واتفق معه على ان يكون لسان حال دولته .. كما اتفق دولته مع احدى الجرائد المعارضة ان تنشر مقالات لسان حاله دون ان تتحمل اجر الكاتب لان دولته سوف يتكفل بذلك وسيكون مكتب المحرر المشار اليه فى دار دولة محمد محمود باشا وستظهر سلسلة المقالات التى سترج البلاد وتخض العباد ابتداء من الاسبوع القادم والاسابيع القادمة .. ونرجو للزميل مايستحق من الذيوع والانتشار وطول اللسان .

ومن الطف ما يذكر فى مجال الخلط بين السياسة والرفض ما نشرته آخر ساعة فى نفس العدد بل فى نفس الصفحة التى كتبت فيها عن محمد محمود باشا والمحرر الذى استأجره .. كتبت تحت عنوان « توفيق نسيم باشا والكاريوكا » مايلى :

لم يكد صاحب المقام الرفيع توفيق نسيم باشا يحط رحاله فى ڤيينا حتى تذكر فجأة أن لبدنه عليه حقا ، وأن ابن حنبل لم ينص على تحريم زيارة دور الملاهى والموسيقى والرقص خصوصا إذا كان عبد الله الزائر يكتفى بالمشاهدة كده من بعيد لبعيد على طريقة يبقى النضر فى النضر والقلب قايد نار ...

وامسك الباشا سبحة التقى والورع وسأل عن أقرب « كباريه » فى الحى يستطيع دولته فيه أن يمتع العين والنظر ويقضى أمسية طاهرة بريئة ، وحبات السبحة كفيلة بطرد الشياطين وتذكير رفعته بأن الدنيا فانية والآخرة خير وابقى .،

والظاهر أن الباشا رضى عن سهرته البريئة ـ رضى الله عنه ـ ووجد فى مشاهد الرقص ومناظره الخلابة ما أغراه بإرسال خطاب إلى رجال دائرته فى مصر يطلب منهم

اعداد « بيست » للرقص فى حديقته الغناء بالهرم ، على أن تبنى حولها شرفة عالية تتسع لتسعين مدعوا يجلسون بين الماء والخضرة والوجه الحسن يشربون الشاى ويتمتعون بأطايب مارزقنا كم ويشرفون من علٍ على حلبة الرقص فى اسفل .

وطلب دولت أن ينتهى عمل « البيت » حالا بالا ... بحيث يكون معدا للرومبا والكاريوكا عند قدوم دولته من سفره السعيد .

وأغلب الظن أن دولته قبل أن يصمم على هذا الرأى قد أستشار سعادة عبد العزيز باشا محمد صفيه الحميم ومفتيه الخاص ، ولا بد أن سعادته أفتى بجواز ذلك مستندا على آخر طبعة من ابن حنبل .

ولاشك أن حفلات الباشا التى سيقيمها فى حديقته بعد هذا التجديد ستكون زينة الحفلات ، تدار فيها اقداح الليمون وعصير فواكه الحديقة الغناء .

وفى العدد ١٥١ ـ ٣٠ مايو ١٩٣٧ وتحت عنوان «اللى اختشوا ماتوا » المعارضة تطلب الحماية من السفارة البريطانية وتقول آخر ساعة عن هذا الخبر إنه خبر مزرى ملخصه أن بعض رجال المعارضة اجتمعوا ببعض رجال السفارة الانجليزيه أو المتصلين بالسفارة وأخذوا يشكون له موقف الأغلبية الوفدية من الرجل المعارض المالى العظيم صدقى باشا .. وتقول آخر ساعة : لقد كنا نود أن نكون أول المكذبين لهذا الخبر ولكن ما الحيلة ولمعظم رجال المعارضة الحاليين سوابق مشهورة فى الشكاوى أيام كانت السفارة البريطانية دارا للحماية ثم دارا للمندوب السامى وما الحيلة والمعارضة تنظر للميدان السياسى بنفس المنظار الذى كانت تراه به أيام كان فى مصر لورد لويد والسربيرس لورين وتتوجه آخر ساعة بعد حديث طويل بنصيحة خالصة موجهة الى رجال المعارضة : دعوكم من اساليب الماضى الذليل وامسحوا عن وجوهكم وصمات التسول السياسى .. الذى احذ قتموه فى عهودكم المنقرضة وواجهوا الواقع وتعلموا مالم تكونوا تعلموه من قبل وهو أن تعتمدوا على انفسكم فى الوصول الى كل ما تتحرقون اليه من أحلام .

ومن الاخبار التى نشرتها آخر ساعة وجرى التحقيق مع التابعى بشأنها أكثر من مرة ما جاء تحت عنون : هل يتخلى الامير محمد على عن ولاية العهد » ولاهمية الخبر ننقل نصه فيما يلى :

فى رسالة خاصة من لندن وصلتنا مساء الاثنين الماضى يقول لنا أحد الأصدقاء إن اشاعة قوية سرت أخيراً فى أروقة وزارة الخارجية البريطانية أن صاحب السمو الملكى الأمير محمد على سوف يتنازل ـ عقب تتويج جلالة الملك فاروق فى آخر هذا

الشهر ـ عن ولاية العهد لصاحب السمو الأمير محمد عبد المنعم وذلك لأن صحته لا تتحمل اعباء هذا المنصب الخطير .

ونحن من جانبنا نشك فى صحة هذه الاشاعة فليست ولاية العهد بالمنصب الذى يتطلب من صاحبه أعمالا ترهق صحته ، كما أن التنازل للامير محمد عبد المنعم يبدو غريباً وغير دستورى فهناك قانون صريح يحول بين الخديوى السابق وذريته وبين العرش ، وقد نص على هذا القانون إحدى مواد الدستور ، وهى من المواد غير القابلة للتعديل .

هذا فضلا عن أن ولاية العهد لها نظام مرسوم فى قانون وراثة العرش ولا يملك أحد تغييره حتى ولا ولى العهد نفسه فتنازله لمن لا تصح له الولاية من بعده يعد لاغياً .

والمعروف أن ولى العهد الشرعى الذى يخلف الأمير محمد على صاحب السمو الأمير محمد على حسن حتى يرزق جلالة الملك بابن من صلبه يكون هو ولى عهد البلاد .

وحول الخلاف الذى نشب بين النقراشى باشا والوفد ووقفت فيه آخر ساعة الى جانب الوفد نذكر أن آخر ساعة نشرت فى عددها رقم ١٦٦ أصل الخلاف كما يرويه النقراشى باشا مؤكدة أن اسباب الخلاف القديم ترجع الى ما قبل عامين اى الى اجتماع المؤتمر الوفدى المعروف الذى أقيم فى عهد وزارة توفيق نسيم باشا وتذكر آخر ساعة ـ ٥ سبتمبر ١٩٣٧ ـ ايضا أنه على أثر وقوع خلاف بين الدكتور أحمد ماهر والأستاذ توفيق دياب صاحب جريدة الجهاد أثناء انعقاد المؤتمر فكر النقراشى باشا وبعض أصدقائه أن يكون للوفد جريدة رسمية تنطق بلسانه فلا يعتمد على جرائد صديقه قد تبقى على صداقتها وقد تترك الوفد فى منتصف الطريق فى أى ظرف من الظروف وقد اكتتب النقراشى باشا وزملاؤه بمبلغ سبعة آلاف جنيه لتكون رأسمال الجريدة الوفدية .. وقد وافق النحاس باشا على الاقتراح الخاص بانشاء جريدة وفدية غير أن النحاس باشا تراجع فى اليوم التالى عن إصدار تلك الجريدة لأسباب مالية ومنذ ذلك الوقت بدأ الخلاف وقد ذكر النقراشى باشا أنه لم يكن راغبا فى دخول الوزارة الثالثة وأنه لم يقبل الا بعد إلحاح مصطفى النحاس والسيدة الجليلة أم المصريين .

ومن اخبار آخر ساعة حول هذا الموضوع أن الدكتور أحمد ماهر يائس من حل الخلاف القائم بين النقراشى باشا والرئيس الجليل وأنه إذا لم يكن ممكنا التعاون معا فى الوزارة فهل من المستطاع ان يتعاونوا داخل الوفد ؟ كما نشرت آخر ساعة أن أم

المصريين ذكرت أمام نفر من زائريها أنها لا تعترف برئاسة الوفد الا لمصطفى النحاس ولكن اذا تعذر الاستفادة من اعضاء الوفد فسوف (اطلق السياسة واقفل بيت الامة لأن الجميع ابنائى ولا يمكن أن أتحمل رؤية ابنائى يلطخ كل منهم الاخر بالوحل والوطن) وتذكر اخر ساعة أيضا ان الدكتور ماهر عارض فصل النقراشى باشا من الوفد رغم إصرار النحاس باشا على ذلك .

كما نشرت آخر ساعة أيضا أن النقراشى باشا كان مستعدا لتأييد الزعامة الوفدية والاقرار بنزاهة الحكم على شرط حل القمصان الزرق .

وكانت آخر ساعة قد نشرت فى العدد ١٦٦ أن أحد أنصار النقراشى باشا اقترح احتلال بيت الامة من قبل الجماهير حتى يمنعوا رفعة النحاس باشا من دخول البيت والجلوس على كرسى الوزارة وبذلك يصبح النقراشى باشا رئيس الوفد وتفض المشكلة .. وذكرت آخر ساعة أن النقراشى باشا ضحك عندما سمع هذا الاقتراح قائلا : هذا الاقتراح مرفوض لانى اتعب بسرعة من حمل الاثقال وكان على ماهر باشا قد أبدى اسفه لحدوث الانشقاق فى الوفد كما ابدى اسفه ودهشته من أن الوفد يعارض فى تعيينه رئيسا للديوان الملكى بحجة أن بينه (أى على ماهر باشا) وبين حكومة الوفد خصومة مع أنه ـ على ماهر باشا ـ يبذل قصارى جهده فى وزارته الاخيرة فى كسب صداقة الوفد وخدمته وتعبيد الطريق امامه للعودة للحكم .

كان توفيق نسيم باشا قد أعلن خطوبته إلى آنسة نسماوية فى عمر احفاده وقد تحدثت الصحف عن ثروة نسيم باشا وأمواله المودعة فى البنوك وقد عارضت آخر ساعة أن اجراءات يمكن أن تتخذ ضده والآنسة التى اعلن توفيق نسيم باشا عن خطبتها له اسمها ماريا هوبنر وسرعان ما عدل نسيم باشا عن الخطبة .. واكدت آخر ساعة أن السراى كانت ستقف موقف الحياد ازاء ايه اجراءات قضائية يمكن أن تتخذ ضد توفيق نسيم باشا ومن بينها سحب قلادة فؤاد الأول التى تعطيه لقب صاحب المقام الرفيع .

وفى العدد ١٧٣ تذكر آخر ساعة انها كانت تعرف رأى بعض الجهات فى موضوع القمصان الملونة وانها امسكت عن الحديث عن هذا الرأى فلما تداولته الصحف اليومية (فقد اصبحنا فى حل من نشر ما نعرفه عن هذا الموضوع) .

فى يوم السبت الماضى أقيمت فى قصر المنتزه مأدبة غذاء تكريما لوزير البحرية البريطانية وكان صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء بين المدعوين (مصطفى النحاس باشا) وتفضل صاحب الجلالة الملك المحبوب وتحدث الى رئيس الوزراء حديثا خاصا أشار فيه جلالته الى القمصان الملونة سواء أكانت زرقاء أو خضراء وقال جلالته انه

يرى صواب حلها وقال لرفعة رئيس الوزراء إن القمصان الزرق او فرق الشباب الوفدى ليست فى الواقع سوى فرق رياضية واذا كان قد اندس بين افرادها بعض من لاخلاق لهم فان العمل جارى لتنظيف الفرق من أمثال هؤلاء كما أن الذين وقعت بينهم مخالفات ضد القانون قد قدموا الى القضاء ليقتص منهم ولكن المليك المحبوب لم يصغ لهذا الرأى وقال ان قيام القمصان الملونة مخالفة للدستور وروح الحكم الدستورى وان أبحاثا دستورية هامة قد قدمت اليه فى الموضوع وان جلالته قد قرأها واقتنع بوجاهة الحجج القانونية والدستورية التى تضمنتها هذه الابحاث وهنا التمس رفعة رئيس الوزراء من صاحب الجلاله ان يتفضل ويأمر بارسال هذه الابحاث اليه لكى يطلع عليها رفعته .

وتولى آخر ساعة الحديث عن الازمة التى نشبت بين رئيس الوزراء وبين الوزارة الوفدية وتخصص العديد من صفحاتها لمثل تلك الاسباب .. تشير مثلا (آخر ساعة فى العدد ١٧٤) ـ الى حديث لمصطفى النحاس باشا بداره بسيدى بشر رمل الاسكندرية وتنقل على لسان رفعة الرئيس الجليل قوله : أحب جلالة الملك .. أحبه حقيقة .. واتفاءل بوجهه خيرا .. اننى احبه واحرق اصابعى له لو يريد بس يفتح لى قلبه يقل لى عايز ايه يستشيرنى انا مستعد أعمل له كل اللى نفسه فيه .. لانى احبه صحيح واخلص له .

واذا كان لا يعرف هذا اليوم فسوف يعرفه غدا ولقد انصفت المرحوم والده فى آخر ايامه فقال انه لم يكن هناك من هو اكثر اخلاصا له ولعرشه من مصطفى النحاس .

وقال أحد الاثنين الحاضرين هذا الاجتماع والذى اعرفه انا ياباشا ان جلالة الملك يعطف عليك كثيرا ويثق بك ويعتقد فيك الإخلاص وطيب القلب وقال رفعته نعم احس بهذا وقلبى دليلى انه يثق فى ويحبنى .

وتفتتح قوسا ، لنقول انه فى اثناء الازمة اجتمع فى احد الأيام فريق من كلية الحقوق المشاغبين فى فناء الجامعة (آخر ساعة العدد ١٧٤) وأخذوا يهتفون بأقذر الهتافات ضد الوزارة ويرشقون البوليس بالحجارة ويستعملون خراطيم المياه وشتى انواع المشاغبات لتعطيل الدراسة كل هذا ومدير الجامعة فى مكتبه يرى ، وينظر ولا يحرك ساكنا (لطفى السيد باشا كان مدير الجامعة) وفى اليوم التالى تكررت نفس المشاغبات وهنا تحرك الطلبة الوفديون وقابلوا التحية بأحسن منها وأخذوا يرددون الهتافات للوزارة كما هتف بعض الطلبة ضد مدير الجامعة نفسه وهنا تحرك مدير الجامعة وأصدر قرارا بجرة قلم بغلق خمس كليات من الجامعة دفعة واحدة .. ولكن

معالى وزير المعارف ـ بصفته الرئيس الأعلى للجامعة ـ لم يوافق على هذا القرار وأمر بأن تظل الجامعة مفتوحة الأبواب .

ولم يرق هذا بطبيعة الحال لسعادة لطفى السيد باشا فأرسل فى اليوم نفسه سعادة على إبراهيم باشا يقول عن لسانه لمعالى مكرم عبيد باشا انه ـ أى لطفى السيد باشا ـ يصر على قرار اغلاق الجامعة أو يستقيل ، وانه لا يقبل مناقشة فى هذا الأمر ، وان الوزارة اذا كانت لاترتاح إلى وجوده فهو مستعد للاستقالة .

وقيل لسعادة على إبراهيم باشا ان الوزارة لم تفكر أن تطلب من سعادة لطفى السيد باشا أن يستقيل ولكن إذا شاء هو أن يستقيل فهو حر فيما يفعل . أما غلق الجامعة فلن يكون مهما أصر عليه مدير الجامعة نفسه !! .

وكأنما عز على مدير الجامعة أن تعارض قراراته وأوامره ـ ولو من السلطة التى كان لها كل الحق فى هذا ـ فقدم استقالته فقبلت فى الحال .

وتنشر آخر ساعة ايضا فى نفس الصفحة مايلى :

فى يوم الأحد الماضى حاول بعض المشاغبين من طلبة الجامعة أن يعتدوا على الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب . ومن يومها انقطع الدكتور عن الذهاب إلى الكلية وقد حاول بعض رجال الجامعة أن يقنعوه بالعودة ولكنه رفض قائلا .

ـ لن أدخل الجامعة حتى تخرج منها السياسة ـ ونقفل القوس بسرعة ونعود إلى الأزمة التى بين حكومة الوفد ، والسراى .

وفى العدد ١٧٥ من آخر ساعة تفاصيل صحيحة عن مقابلة صاحب الجلالة الملك لرفعة رئيس الوزراء تكلم ـ التلخيص من عندنا ـ صاحب المقام الرفيع الى الملك عن اخلاصه وإخلاص زملائه الوزراء للعرش وللملك المحبوب وأشار الى تعيين على ماهر باشا رئيسا للديوان الملكى وهنا قال جلالة الملك انه قد عين على ماهر باشا رئيسا للديوان لانه كان محل ثقة المغفور له والدى ولأننى أثق فيه ولأن الامةكذلك تثق فيه .. وقال النحاس باشا انه يعرف على ماهر باشا جيدا ويقدر صفاته وكفاءته ونزاهته حق قدرها وقد زامله فى الدراسة وفى العمل معا ، فى الحركة الوطنية وفى الوفد المصرى ، ولكن القول بأن الأمة تثق الان فى على ماهر باشا قول لا يرتاح اليه الواقع .. !

.. وأن المحيط الذى يرفع إلى صاحب الجلالة الملك المعلومات المختلفة عن شتى الشئون وعن آرائه فى الرجال وفى حقيقةالميول أو التيارات المختلفة فى الامة لايمكن الا ان يكون محيطا محدودا ليس فى وسعه أن يكون متصلا تمام الاتصال بكافة طبقات الشعب . وأما هو – أى مصطفى النحاس باشا – فانه متصل بالشعب كل الاتصال ويعرف حقيقة الميول ومختلف الاتجاهات والتيارات .

وهنا قال مولانا الملك :

– مفهوم .. ده طبعا رأيك بصفتك رئيس حزب الوفد ..

وأجاب رفعة النحاس باشا :

– انا لست رئيس حزب يا مولانا ، أنا زعيم الامة .

قال جلالة الملك :

– على كل حال هذه مسألة تقدير :

ثم تكلم صاحب الجلالة عن كيف أن العرش فوق الاحزاب جميعها وأن دولة على ماهر باشا كذلك رجل غير حزبى ، وأبدى جلالته رغبته فى أن يكون هناك تعاون مشترك من أجل مصلحة البلاد .

وبعدها استدعى جلالته دولة على ماهر باشا وقال حفظه الله موجها الحديث إلى رئيس الوزراء ورئيس الديوان :

– اذا كان بينكما شىء فانى أريد أن يزول .

وتعطف جلالته واستفسر عن صحة كبير وزرائه إلى آخر ما نشرناه فى عدد الاسبوع الماضى .

● فى نفس العدد (١٧٥) تقول آخر ساعة [التابعى] :

كتبنا فى عدد الأسبوع الماضى نعتب على صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء ونقول له إن من بين تصرفاته مالا يساعد على استمرار صفاء الجو بين القصر والوزارة وضربنا مثلا على ذلك أن حضرة صاحب الجلالة الملك لم يعلم بالاعتمادات التى خصصتها الوزارة لاصلاح الحرمين الشريفين الا من الصحف ، وأن جلالته لم يحط علما بقرار الوزارة الخاص باشتراك مصر فى مؤتمر نيون البحرى وبالتعليمات التى ارسلتها الى مندوبيها الا فى اليوم السابق على اجتماع المؤتمر .

ويسرنا جدا أن نقول اليوم إن رفعة الرئيس اهتم كل الاهتمام بما قلناه لأنه - كمانعرف ويعرف المقربون اليه – حريص كل الحرص على أن يسود جو الوفاق التام بين الحكومة والقصر وعلى أن لا ترمى وزارته بتقصير أو إهمال أو إغفال لأى واجب يمليه عليها إخلاصها للعرش ومليك البلاد .

ولقد عوتبنا نحن بدورنا لأننا كتبنا ما كتبنا – عن إخلاص وحسن نية نعم – ولكن –كما قال وأكدت لنا الدوائر الوزارية الرسمية – بدون أن تتأكد من صحة التفاصيل .

وها هى المعلومات أو البيانات التى أفضت بها الينا المراجع الرسمية المسؤولة

وتشير آخر ساعة فى نفس العدد (ايضا) الى مقابلة رئيس الوزراء ، لرئيس الديوان الملكى على النحو التالى :

عند ظهر يوم الاحد الماضى ذهب صاحب الدولة على ماهر باشا إلى رئاسة مجلس الوزراء وزار صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ودامت الزيارة أكثر من نصف ساعة كما ذكرت الصحف اليومية .

وقد اتصل بنا أن من بين ما تناوله الحديث بين رئيس الوزراء ورئيس الديوان ما يأتى :

قال دولة على ماهر باشا إنه فى منصبه الحالى رجل غير حزبى بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، وانه يسره أن يتعاون مع الحكومة ويسهل لها مهمتها وأن يتعاون معها فى كل ما هو فى مصلحة العرش والبلاد .

وقال رفعة الرئيس انه لم يعترض على تعيين على ماهر باشا لذاته ولشخصه ، لأنه ليس عنده أى شىء ضد على ماهر شخصيا ، ولكنه اعترض على طريقة التعيين وعدم استشارته هو – أى النحاس باشا – بصفته المستشار الأول لجلالة الملك ...

ثم قال النحاس باشا (ولو أن مولانا الملك كان استشارنى لكنت طبعا اعترضت على تعيينك ، لا لشىء فى شخصك كما قلت ، ولكن لأنك من رأى سياسى غير رأيى ولانك كنت دائما من خصومنا فى السياسة وفى الرأى ، ولكن كان من الممكن جدا أن اتفق مع جلالة الملك على طريقة تحقيق رغبة جلالته فى تعيينك وتحفظ فى الوقت نفسه كرامة الوزارة ، فليس أحب الينا من أن نحقق لجلالة الملك رغباته دائما) .

وتحدث دولة على ماهر باشا بعد هذا فى صواب اعتبار المسألة منتهية وكرد ما سبق أن قاله وهو أنه ينوى أن يتعاون مع الوزارة بكل اخلاص فى كل ما يعود بالخير على المصلحة العامة والبلاد .

وفى نفس العدد ايضا (١٧٥) اشارت آخر ساعة الى على ماهر باشا والقمصان الزرق ، فى الخبر التالى :

ألمحت بعض الصحف الى أن حضرة صاحب الجلالة الملك كان يريد تعيين دولة على ماهر باشا فى منصب رئيس الديوان من زمن طويل ، ولكن جلالته انتظر حتى كانت فرصة الخلاف الذى قام حول حق الديوان فى تعيين المهندس الميكانيكى وما تلا ذلك من استفتاء لجنة قضايا الحكومة والمذكرة التى وضعها المستشارون الملكيون وفيها يقررون حق القصر فى الاستئثار التام بتعيين موظفيه وكافة ما يتعلق بهم . وهذا كله غير صحيح فليست هناك اقل علاقة بين تعيين رئيس الديوان ومذكرة لجنة

القضايا والحقيقة كما نعرفها ان حضرة صاحب الجلالة الملك كان حقيقة يريد تعيين دولة على ماهر رئيسا للديوان الملكى منذ شهر سبتمر الماضى . وكان جلالته فى نفس الوقت يريد ان يتكلم مع رفعة رئيس الوزراء فى مسألة القمصان الملونة وصواب حلها ..

ورأى جلالة الملك المحبوب أن يرجىء تعيين على ماهر باشا رئيسا للديوان الى ما بعد الكلام مع رفعة رئيس الوزراء فى مسألة القمصان الملونة حتى لايقال إن على ماهر باشا هو وحده الذى يرى هذا الرأى وانه هو المسئول بصفته رئيس الديوان الملكى ومستشار المليك عن المشورة بحل فرق القمصان الملونة .

وتشير آخر ساعة الى الأزمة التى أحدثها د . محمد حسين هيكل عندما اتجه إلى الحرم الجامعى فى ذكرى الشهداء متحدثا باسم محمد محمود باشا ، واصدار الوزارة بيانا اشارت فيه الى حوادث الشغب والفتنة التى حدثت فى حرم الجامعة والى زيارة د . هيكل ووقوفه خطيبا بين فريق من الطلبة المفصولين ، والمشاغبين والمأجورين .

ووقوفه خطيبا باسم دولة محمد محمود باشا وحضهم فى خطاب على الثورة الفنية وقد جاء فى بيان الوزارة انها – اى الوزارة – قررت أن تنفذ أحكام القانون وتتخذ أشد الإجراءات .

وألف باء العقل – ودعك من القانون – تقول إن الوزارة مادام أنها القت مثل هذه التهمة المعينة على هذا الشخص المعين فان من أبسط واجباتها بعد ذلك أن « تتخذ الاجراءات » المألوفة فى مثل هذه الظروف لانقول « أشد الاجراءات » بل أبسطها التى لاتتعدى طلب التحقيق بواسطة السلطة القضائية المختصة وهى النيابة العامة !! .

هذا ما كان يقول به المنطق ، بل هذا ما قالت به الوزارة نفسها فى بلاغها الرسمى ولكن مضت أيام وايام فلا الوزارة طلبت التحقيق مع « المتهم » الدكتور حسين بك هيكل ولاهى اتخذت « أشد الاجراءات » ولا أبسط الاجراءات !!

والأمر لايخرج عن إحدى اثنتين .. فإما ان الوزارة غير مقتنعة تماما بالتهمة التى وجهتها الى الدكتور هيكل بك وكان عليها إذن أن تتحاشى ذكرها وأن لاتتورط الى هذا الحد ، وإما ان الوزارة تخاف الدكتور هيكل بك والتحقيق معه !!

وقد كان منطق الوزارة يحتم عليها مادام انها تقول إن الدكتور هيكل بك خطب باسم دولة محمد محمود باشا » حاضا على الفتنة والثورة ، كان منطق الوزارة يحتم

عليها لا التحقيق مع الدكتور هيكل بك وحده بل مع دولة محمد محمود باشا الذى خطب هيكل باسمه ؟ !

وقد يقال إنه من غير المألوف ولا من الذوق والكياسه ان يستدعى رئيس وزارة سابق الى التحقيق معه فى تهمة جنائية ثقيلة كهذه ولكن لماذا يكون مصطفى النحاس اكثر رقة وذوقا من دولة عبد الفتاح يحيى باشا ؟

فى عهد وزارة دولة يحيى باشا القى رفعة النحاس باشا ومعالى مكرم عبيد باشا خطبتين فى مدينة الاسكندرية فأمر النائب العمومى باستدعائهما للتحقيق معهما فى دار النيابة بالاسكندرية وحددت لهما الساعة العاشرة صباحا للحضور واجراء التحقيق .. وفى الموعدالمحدد بالساعة والدقيقة كان مصطفى النحاس ومكرم عبيد فى غرفة المحقق ..

وقد سئل سعادة لبيب باشا عطية النائب العام فى ذلك العهد ماذا كان يفعل لو أن الاثنين لم يحضرا .. وقال سعادته انه حضر الى مكتبه ذلك اليوم فى التاسعة صباحا وانه لو كانت الساعة دقت العاشرة ولم يحضر النحاس باشا ومكرم باشا لأمر باحضارهما مقبوضا عليهما ..

وفى عهد صدقى باشا استدعى دولة محمد محمود باشا الى دار النيابة للتحقيق معه فى تهمة وجهتها اليه الوزارة ..

وهذا ما تفعله كل حكومة من حكومات العالم فى أى بلد من بلاد الله ، الا حكومتنا السنية ، حكومة الاغلبية الساحقة ، حكومة الشعب ووزارة الامة . حكومة ابن حنبل والزيلعى وظفر رضى الله عنهم أجمعين !

وعن المعارضة وانبساطها .. تقول آخر ساعة فى العدد ١٧٨ :

فى يوم الثلاثاء الماضى ذهب وفد زعماء المعارضة يتقدمه دولة محمد محمود باشا بصفته زعيم المعارضة الرسمى .. الى قصر عابدين العامر حيث قابلوا دولة على ماهر باشا رئيس الديون الملكى وقدموا اليه عريضه ليرفعها إلى مقام صاحب الجلالة الملك .

ولسنا نتعرض هنا لما حوته هذه العريضة من أقوال ، على أن المفهوم طبعاً أن زعماء المعارضة لم يدعوا فيها بطول البقاء للنحاس ووزارة النحاس ، والمفهوم كذلك أن العريضة تضمنت سلسلة من الاتهامات للوزارة القائمة ...

وخلال الحديث بين وفد الزعماء .. ودولة رئيس الديوان إلتمس دولة محمد محمود باشا تحديد موعد يتشرف فيه بمقابلة صاحب الجلالة الملك .

وحدد الموعد فعلا وتمت المقابلة مساء يوم الاربعاء الاسبق ، وخرج دولة محمد محمود باشا من القصر الملكى إلى داره حيث كان ينتظره إخوانه من المعارضين من زعماء وأنصاف وأرباع زعماء .

وسئل دولته عن نتيجة المقابلة فقال « نحن مبسوطون » ولم يزد ..

على أن ملامح دولته وأسارير وجهه إن كانت تدل على شىء فى ذلك الوقت فآخر ما كانت تدل عليه هو « نحن مبسوطون » وقد اتصل بنا من المصادر الموثوق باطلاعها أن المقابلة الملكية لم تكن لها النتيجة التى كانت تتوقعها المعارضة .. ولا الاثر الذى كانت تنتظره .

وقد شمل جلالة المليك دولة محمد محمود باشا بعطفه الملكى الكريم الذى لا يحرم منه أصغر صغير من رعايا جلالته .. وأصغى جلالة الملك لكل ما قاله زعيم المعارضة بما عرف عن جلالته من سعة الصدر والحلم وانتهت المقابلة وخرج دولة محمد محمود باشا وقد فهم من حديث جلالة الملك أنه وهو ملك دستورى قبل كل شىء يجل الدستور ويحترمه لا يرى أمام المعارضة غير سبيل واحد ، ذلك أن تكسب إن استطاعت الرأى العام وأغلبية الشعب من الناخبين فاذا كانت الانتخابات وفازت هى دون الوفد بالاغلبية كان هذا هو الطريق الطبيعى لتولى الحكم وتصريف الامور كما تشاء وفى الأوجه التى ترى أنها الأصلح لرقى البلاد وتقدمها .

وفهم دولة محمد محمود باشا غير هذا ان جلالته حريص كل الحرص على أن يكون الدستور وأحكام الدستور هى الحكم الوحيد بين المعارضة وبين حكومة جلالة الملك . وليس فى احترام الدستور والنزول على أحكامه ما يدعو المعارضة ، ودولة محمد محمود باشا على الأخص ، الى أن يقول « نحن مبسوطون » وعلينا أن نؤمن أولا بأن المعارضة تحب الدستور ومستعدة لأن تقبله بين عينيه وتضعه على العين والرأس لنصدق بعد ذلك انها حقا مبسوطة ، وانهم حقا مبسوطون ! .

كان دولة محمد محمود باشا ممن دعوا لتناول طعام الافطار على المائدة الملكية يوم الجمعة الماضى ، ولكن دولته أرسل الى القصر فى صباح يوم الجمعة نفسه يعتذر عن الحضور بسبب المرض .

والمعروف أن دولته تشرف بلقاء جلالة الملك مساء يوم الاربعاء ، وفى صباح الخميس حضر الاحتفال بافتتاح البرلمان .

ولكن دولته لم يحضر جلسة مجلس النواب مساء الخميس .. ولعل ذلك كان تمهيداً للاعتذار الذى سيرسل صباح اليوم التالى .. الجمعة .

وفى مساء الاحد .. قيل إن دولته قد شفى .

والحمد لله انها كانت « وعكة » بسيطة لم تدم أكثر من ٤٨ ساعة .

واللهم لا نسألك رفع المرض .. ولكن نسألك التخفيف فيه .. وشفى الله المعارضة وزعيم المعارضة .. انه سميع الدعاء .

ومرة اخرى تجدد الحديث عن الازمة (العدد ١٨١) فتنشر اخر ساعة تفاصيل الخلاف بين السراى والوفد على النحو التالى .

بلغتنا منذ مدة بعض التفاصيل عن الخلاف القائم بين السراى والوزارة بخصوص بعض المراسيل التى أرسلتها رياسة مجلس الوزراء إلى السراى فبقيت هناك دون توقيع . وقد رأينا يومها عدم الخوض فى هذا الموضوع الدقيق لأن هذه الخلافات طالما وقعت بين الوزارات والسراى بسبب اختلاف وجهات النظر ..

ولكن شاعت بعض الجرائد الانجليزية الاستعمارية ان تتخيل من هذه الخلاف أزمة سياسية .. ومشكلات دستورية مما يثبت تماما أن لمندوبى هذه الجرائد خيالا خصباً غريباً .

وقد ذكرت الجرائد أن السبب الاكبر فى الازمة هو رفض السراى تعيين فخرى بك عبدالنور عضواً فى مجلس الشيوخ .

والذى نعرفه أن الوزارة اتصلت بدولة على باشا ماهر رئيس الديوان وأخبرت دولته باسمى محمود باشا فهمى وفخرى عبدالنور بك كمرشحين لعضوية الشيوخ فرحب دولته بالإسمين واشار بارسال المرسومين إلى السراى .

وكان ان اجتمع مجلس الوزراء ووافق على هذا الاختيار وارسلت مراسيم المجلس إلى السراى . وبعد ذلك ظهرت رغبة بترشيح سعادة عبدالعزيز باشا فهمى لعضوية الشيوخ بدلا من فخرى بك عبدالنور .

وقالت الوزارة إنها مع اعترافها بكفاءة عبدالعزيز باشا الا أن حالة سعادته الصحية لا تسمح له بالقيام بأى عمل .. فما بالك بخصوص جلسات البرلمان . ثم أن مرسوم تعيين فخرى بك عبدالنور لم يعد إلا بالاتفاق مع دولة رئيس الديوان .

واقترح رسل السلام وفى مقدمتهم سعادة الدكتور احمد ماهر أن يعدل الطرفان عن المرشحين المذكورين ويتفقا على مرشح جديد وقد وقفت المسألة عند هذا الحد بسبب مرض رفعة رئيس الوزراء .

وقد علمنا أنه عندما بلغ سعادة عبدالعزيز باشا فهمى أن من النية ترشيحه لعضوية الشيوخ رمى بطربوشه المعروف على الارض وقال انه كان يفضل ان يبقى بعيدا عن الدوشة ووجع الدماغ ولكنه مستعد أن يقدم تضحية جديدة فى سبيل البلاد بقبول معقد الشيوخ .

وبلغ سعادته بعد ذلك ان هناك صعوبات قد قامت فى طريق الترشيح فغضب سعادته ورمى بطربوشه المسكين على الارض وقال انه يرفض قبول العضوية

ونحن نكتب هذه السطور وطربوش الباشا فى ذهاب وإياب بين المكوجى والبيت العامر ! .

كنا قد ذكرنا فى عدد سابق ان حضرة صاحب الجلالة الملك المحبوب قد ذكر لرفعة رئيس الوزراء أن عند جلالته تقارير تشير إلى أن بقاء فرق القمصان الملونة يخالف الدستور .

وقد تفضل صاحب الجلالة وأعطى هذه التقارير لرفعة رئيس الوزراء الذى لم يستطع دراستها بسبب مرضه المعروف .

الا أنه قد أشيع فى بعض الدوائر السياسية أن مسألة القمصان الملونة قد أثيرت أثناء مرض رفعة رئيس الوزراء وأنها إحدى المسائل التى يدور البحث فيها فى الوقت الحاضر !!

والجدير بالذكر أن آخر ساعة فى نفس العدد قد نشرت ان محمد محمود رفض تأليف الوزارة - وان الرفض غير صحيح ، وقد جاء فى ذلك الخبر :

فى الاسبوع الماضى أشاع المعارضون أن الوزارة النحاسية تحتضر وان دولة على باشا ماهر رئيس الديوان قد اتصل بدولة محمد باشا محمود وطلب منه أن يفكر فى أسماء أعضاء الوزارة الجديدة .

وبلغت هذه الاشاعة السخيفة دولة الزعيم النبيل فقال لأخصائه :

- تفتكروا أنا أقبل تأليف الوزارة ؟

وأجاب الاخصاء انهم يعتقدون أن الزعيم النبيل سوف يكون عند حسن ظن البلاد به ويقبل الوزارة !!

ورفع الباشا حاجبيه دهشة وقال :

- تأكدوا انه اذا عرضت على الوزارة الآن فسوف أرفضها وأغمى على حضرات الاخصاء وفى مقدمتهم أخويا حفنى بك محمود وأفاق حضراتهم عندما أخذوا تأكيدا من الزعيم النبيل انه سوف يراجع نفسه فى الموضوع .

وتنشر آخر ساعة على النقراشى باشا وتشحت فيه بل وتهزأ به فى العدد ١٨١ عندما تكتب عن الصيد فى الماء العكر ، ولماذا انقطع اربعة وزراء عن حضور التشريفات .

كان الجو السياسى ملبداً فى الاسبوع الماضى بغيوم كثيفة من الاشاعات على نحو لم يسبق له مثيل !

إشاعات بريئة من الصدق براءة الذئب من دم ابن يعقوب وقد شمر دعاة السوء للصيد فى الماء العكر ، واخذوا أحيانا يجعلون من الحبة قبة ، وأحيانا يخلقون الحبة ثم يبنون فوقها القبة !!

فلم تكن الاشاعات من النوع العادى الذى اعتاد ان يتولاه محترفو الاذاعة المعروفون من حنفى بك محمود إلى الشيخ صالح روترا ولكنها كانت اشاعات (فوق العادة) وكان فى مقدمة مروجيها الاستاذ الكبير صاحب السعادة النقراشى باشا كله ! ففى مساء الثلاثاء الماضى كان سعادته فى مكتبه يستقبل الزوار ويودعهم ـ ولا تسلنى كم عدد هؤلاء الزوار وما هى قيمتهم ـ وهو يؤكد لهم ان الوزارة إما أن تستقيل وإما ان تقال فى (هذا المساء) وجاء هذا المساء ، وهذان المساءان ، وهذه المساءات .. والوزارة باقية فى أماكنها والباشا وزبائنه فى مكانهم بشارع المدابغ !

وارتفع ترمومتر الاشاعات حتى قيل إن الوزارة عرضت فعلا على الدكتور أحمد ماهر ، وإن حديثا دار بينه وبين بعض رجال السراى حول البرلمان الحاضر وهل يبقى أو يحل ، ولكن الدكتور ماهر كما يريد مروجو الاشاعات ان يقولوا لسبك الموقف ـ قال إنه لا يقبل الوزارة إلا بشرط واحد هو أن يستقيل اذا لم تؤيده أغلبية من البرلمان الحاضر ، فاذا لم تتيسر له الاغلبية فانه لا يحل البرلمان بل يخرج هو من الوزارة !

وفى رواية أخرى أن الدكتور ماهر استشير فأشار بوجوب معالجة الموقف لأن الحالة لا تسمح بأى تغيير وزارى !

وتسأل مروجى هذه الاشاعات الفارغة ولماذا يحدث تغيير فى الوزارة ؟ ولماذا تستقيل او تقال (فى هذا المساء) أو فى غير هذا المساء ؟ فيقولون إن هناك أزمة سببها عدم إمضاء بعض المراسيم .

ولقد كانت خلافات الرأى فى مثل هذه المسائل أمراً يقع غير مرة وهو يقع فى كل بلد دستورى من بلاد العالم ، ولكن الخلاف فى الرأى ليس مرادفا لقيام الأزمة إلا فى قاموس جماعة الصائدين فى الماء العكر .

وكأنما يحسون بضعف الاساس الذى يقيمون عليه إشاعاتهم ، فيبلغ بهم السخف حد الزعم بأن من مظاهر الأزمة تخلف أربعة من الوزراء عن التشريفات !

والناس يعلمون أن هذه دعوى صبيانية يكذبها ما هو معلوم من الدوافع القاهرة التى دعت إلى هذا التخلف فمعالى واصف غالى باشا مقيم فى باريس لسبب معروف ،

ومعالى مكرم عبيد باشا سافر الى الاسكندرية امتثالا لأوامر أطبائه الذين حتموا عليه ذلك بعد أن أثر عليه المجهود الكبير الذى كان قد بذله قبل العيد . ومعالى عبدالسلام فهمى باشا يقضى دور النقاهة بعيدا عن القاهرة ، ومعالى زكى العرابى باشا كان غائبا فى رحلة بالغردقة تتعلق بأعمال منصبه فما وجه الغرابة فى ذلك عند دعاة السوء وخفافيش المعارضين ؟!

ومن دواعى الأسف تتطاير هذه الاشاعات الحقيرة وأمثالها حتى تصل الدوائر الانجليزية فى لندن . ثم يطيرها اثنان من مراسلى الصحف الانجليزية إلى صحيفتيهما وهما مستر مرتون مراسل الديلى تلغراف ومستر تيلور مراسل الديلى ميل .

وتقول آخر ساعة أيضا :

يظهر أن بعض الأنباء التى روجها الصائدون فى الماء العكر وصلت إلى الدوائر الانجليزية ، فقوبلت بشىء غير قليل من الدهشة .

ويقال إن وزارة الخارجية البريطانية أرسلت إلى سعادة سفيرها فى مصر تستوضحه الحقيقة فيما وصل إلى لندن من أنباء فأرسل اكثر من تقرير واحد عن حقيقة الموقف .

وتلقى بعض مراسلى الصحف الانجليزية فى مصر برقيات من صحفهم تستفهم عن الأنباء، ولم يلبث المراسلون أن بعثوا بالبرقيات التى بدأت تنشرها الصحف منذ يوم الاثنين الماضى .

واذا كان الشىء بالشىء يذكر فان آخر ساعة قد نشرت فى العدد ١٨٢ (آخر لحظة) الدكتور ماهر ، قبل تأليف الوزارة وحل مجلس النواب .

علمنا فى اللحظة الاخيرة ، وبعد أن كتبنا هذه الاخبار - أى فى مساء الاربعاء . ان الدكتور ماهر صرح بأنه كان مطمئنا الى ان افضل حل للموقف الحاضر هو الوصول الى تسوية موفقة ، الا انه لايجد مانعا فى حالة اخفاق مساعى التوفيق ان يقبل تأليف الوزارة رغم قرار الوفد المصرى راجعا فى ذلك الى تقديره الخاص والى ضميره وحده !!

وقال الدكتور ماهر بصريح العبارة إنه إذا لم ينل الاغلبية المطلوبة فى هذه الحالة ، فانه يبادر الى حل مجلس النواب واجراء انتخابات جديدة !!

وكانت آخر ساعة فى نفس العدد قد نشرت وفى نفس الصفحة : أن الدكتور ماهر ، كان على حق عندما تحدث إلى البورصن إيجيبسيان أنه لم يقبل الوزارة لأن أحدا لم يفاتحه فى شأنها .

ثم تكون المفاجأة : فى إقالة وزارة مصطفى النحاس ويعهد الملك بالوزارة الجديدة الى محمد محمود باشا .

وتكتب آخر ساعة فى العدد ١٨٤ عن الوزارة الجديدة ... فى اسبوع وتهاجمها بعنف ، وكانت آخر ساعة تبدو حزبية للغاية لاقالة الوزارة ، ولتاليف محمد محمود باشا الوزارة وماقالته آخر ساعة عن الوزارة الجديدة كان مايلى :

لانظن فى تاريخ الوزارات المصرية وزارة واحدة تستطيع ان تقف امام الوزارة الحاضرة ، وتزاحمها فى الرقم القياسى الذى ضربته فى عالم التناقض والاضطراب !

فقد جاءت على انقاض الوزارة الدستورية وزعمت انها منقذة للدستور ورافعة لواء الروح الدستورية ! أى ان مصطفى النحاس كان يعتدى على الدستور فجاء محمد محمود واسماعيل صدقى لانقاذ الدستور !

وقالت الوزارة انها وزارة قومية مع ان كل عيبها ينحصر فى انها وزارة بلا (قوم) !

وقالت انها جاءت لوقف تيار الاسراف الذى جرى عليه مصطفى النحاس بما تم فى عهده من استثناءات ، فاذا بها تزيد فى بند واحد هو مرتبات الوزراء نحو ١٥ الف جنيه لمرتبات وزراء الدولة الاربعة ومايتبعهم من سكرتيرين ونفقات !!

ولو احصيت استثناءات الوزارة النحاسية كلها طول مدة بقائها لما قدرت بهذا المبلغ الذى اصدرته الوزارة الحاضرة فى يوم واحد هو يوم تاليفها !!

وكانت المعارضة تصيح كل يوم ، وتدعى أن مصطفى النحاس يهدم الحريات ويخنق الاصوات ، فاذا أول أعمال الوزارة الحاضرة ان حاصرت النادى السعدى وبيت الامة وبعض جرائد المعارضة ، واخذت تمنع الداخلين وتقبض على الخارجين ـ مع ان الوزارة الماضية لم تحاصر ناديا ولادارا ولا (مكتبا) ...

وأعلنت الوزارة عند تاليفها انها ستعنى بالمعاهدة ، وأنها ستعنى بتنفيذها ، بينما تشتمل أسماء الوزراء على أربعة من الوزراء رفضوا المعاهدة رفضا ، واثنين إمتنعا عن إبداء الرأى فيها ، أى انهما لايعدان من مؤيديها !

وأسندت وزارة الحقانية التى سيكون من أكبر مشاغلها تنفيذ الغاء الامتيازات ، الى الرجل الوحيد الذى رفض هذه الاتفاقية بقسميها فى مجلس الشيوخ ، وهو معالى خشبة باشا !!

وقيل إن الوزارة لن تمس احدا من الموظفين بسوء ، فاذا هى تجعل أول همها فصل الموظفين ، ونقلهم ، ومطاردتهم لا لشئ إلا انهم عينوا فى عهد الوزارة الماضية !

وقيل قبل هذا كله إن الوزارة قد جاءت للقضاء على المحسوبيات فاذا تاليفها

نفسه ينطوى على أشنع أمثلة المحسوبية ، فخشبة باشا وزير الحقانية إبن خال محمد محمود باشا رئيس الوزارة ، ولطفى السيد باشا وزير الدولة خال حسين هيكل بك وزير الدولة برده ، وصدقى باشا وزير المالية خال أحمد كامل بك وزير التجارة !!

وقالوا ان حمامة السلام ستتخذ لها مجلس الوزراء فى هذا العهد عشا مختارا ، فاذا بومة الخصام تنعق فى الوزارة من اليوم الاول .

فقد اختلف وزير المالية دولة صدقى باشا مع وزير المواصلات معالى حسن صبرى باشا حول رياسة مجلس ادارة السكة الحديد ، أيهما صاحب الحق فيها !!

واختلفوا فى منصب مدير مصلحة الصحافة فقالوا نستدعى الاستاذ محمود عزمى من العراق ثم عدلوا عن ذلك وتمسك رئيس الوزراء بأحمد بك راسم وتمسك وزير المالية بعباس بك سيد احمد ، وتوسط اصدقاء الطرفين حتى اقنعوا كلا منهما بالتنازل عن مرشحه ، واختيار مرشح ثالث هو على ما يقال الدكتور منصور فهمى بك وكفى الله المؤمنين القتال !

واختلفوا فى الأساس الذى جاءوا إلى الحكم من اجله ، فصرح أحد الوزراء بأن الوزارة لم تأت لاجراء الانتخابات ، وقيل ان الوزارة ستبذل كل وسيلة ممكنة لاجتذاب النواب وتحويلهم عن عقيدتهم بقضاء المصالح أو غير ذلك من الوسائل التى يتخيلون أن فيها اغراء لهم بالخروج عن عبادتهم المقدسة !!

ويؤيد هذا مقال الدكتور هيكل بك فى الاهرام ومقالات البلاغ فى رجاء اعضاء الهيئة الوفدية أن يعيدوا النظر فى موقفهم !

واختلفوا بعد ذلك فى موعد الانتخابات . فريق يلح بوجوب إجرائها فى الحال حتى لاتقضى أعمال الوزارة على الفئة القليلة المخدوعة فيها . وفريق آخر يرى أن نتيجة الانتخابات الآن لايمكن أن تفيد الوزارة وأن من الخير أن تكسب الوزارة اطول وقت ممكن للبقاء فى الحكم قبل مواجهة نتيجة الانتخاب !!

ولهذا الفريق الثانى رأى آخر هو أن اكتساب الوقت يفسح المجال للمساومة فضلا عن انه يسمح « بالعمل بهمة للفراغ من هذه المهمة ! »

هذا نعيم الوزارة الحاضرة ليقارنه المصريون بجحيم الوزارة الماضية !!

لما ظهر أن جريمة العيب فى الذات الملكية التى ارتكبها العقاد فى سنه ١٩٣٠ ليست من الجرائم التى شملها العفو الملكى الذى صدر بمناسبة إبرام المعاهدة فى العام الماضى .. ثارت ثورة الكاتب اسمور فكان مما فضفض به أنه ليس مرشحا لاحدى الوظائف حتى يكون للعفو عنه قيمة عنده ! ودارت الأيام ، وجاءت الوزارة

الحاضرة ، وذهب عباس العقاد يلتمس من دولة محمد محمود باشا أن يعينه فى إحدى الوظائف . ولتكن مثلا وظيفة مدير مصلحة الصحافة ، وقال العقاد إنها تضحية كبيرة منه انه لم يطلب اختياره وزيرا مرة واحدة !

ورق محمد محمود باشا لحاله ، وتحدث بالفعل فى اسناد المنصب المذكور اليه وأثار هذا الترشيح اعتراضا قيل فيه انه بصرف النظر عن الحكم الصادر ضده ، فانه لايحمل من مؤهلات التوظيف سوى الشهادة الابتدائية ولما كان من المتعذر تخفيض درجة مدير مصلحة الصحافة الى الدرجة الثامنة حرف ج خارج هيئة العمال ، وهى التى تناسب الشهادة المشار اليها ، فيحسن صرف النظر عن ترشيح الاستاذ المذكور ! وطار الحلم الذهبى فى غمضة عين !!

وتثير آخر ساعة فى العدد ١٨٦ اشتراك الاستاذ حافظ رمضان فى الوزارة فتنشر خبرا تحت عنوان : الحزب الوطنى ولماذا لم يتصل رئيسه إلى الآن وذلك على النحو التالى :

لما ألفت الوزارة الحاضرة أخذ الناس يفركون أعينهم وهو يطالعون واحدا من أسماء الوزارء الجدد ، ولايكادون يصدقون ما يقرأون . وهو اسم معالى وزير الدولة حافظ بك رمضان رئيس حزب زيلع وهرر والملحقات الذى رأس مبادئه عدم قبول الحكم مادام فى مصر إنجليزى واحد !!

وأسرع أعضاء الحزب يعلنون فى الصحف أن اللجنة الادارية مدعوة لسماع بيانات الرئيس الذى ابتلع هذا المبدأ الأساسى ، وكان الغرض بالطبع شلحه من الرياسة ، واختيار آخر فى محله مؤقتا ـ أى الى أن يعثر الرئيس الجديد على وزارة تقبله كما فعل أخ له من قبله !

وانتظر الناس الى اليوم فلا اجتماع ، ولابيانات ولاشلح للرئيس الهمام .

وتبين ان السبب فى ذلك هو ان أعضاء حزب الملحقات عندما هموا بتنفيذ عزمهم جاءهم أحد أولاد الحلال يقول لهم إن قرارهم سيكون من جهة فى مصلحة الوفد ! ومن جهة أخرى قد لاترتاح اليه بعض الجهات !

وتبادل الاعضاء الافاضل هز الرعوس ، وأصدروا قرارهم بالصهينة والسكوت على (عملة) الرئيس !

وفى نداء صريح حازم تحمله آخر ساعة تتوجه إلى الوزارة الجديدة : تحت عنوان : أتركوا الشعب ، فقد ادلة إن بتسريح : تلز ، ترخ ندفع البلاد الى عراك جديد .. وفيما يلى نص ذلك المقال بل النداء الصريح الحازم .

وأخيراً .. ها هى الوزارة تستصدر مرسوما بحل مجلس النواب بعد طول التردد فهل من مصلحة البلاد إجراء انتخابات جديدة فى الوقت الحاضر ؟

سؤال ليس من جواب عليه إلا النفى القاطع الحازم ، وليس فى مصر اليوم من يستطيع ان يحمل فوق كتفيه مسئولية الموقف الحالى الذى أدى إلى اجراء انتخابات جديدة فى هذا الوقت العصيب الذى تبلغ فيه الأزمة الدولية حدتها ويبدو شبح العراك الدولى من جديد على الابواب وتعود العلاقات الدولية بين كبريات الدول إلى اسوأ مما كانت عليه خلاف السنة الماضية عندما قيل ان الحرب قد تعلن بين ساعة وأخرى .

إن العالم كله يتأهب للمعركة القادمة أسرع مايكون وأنشط مايكون ، وتتحول دور الصناعات فى جميع الدول الى مصانع للحرب وسلاح الحرب وعتادها . ونحن يمسك بعضنا بخناق بعض فنستنفد قوانا الداخلية بينما ننسى أن الخطر الخارجى قاب قوسين أو أدنى !!

الجيش فى حاجة إلى استكمال عدته وسلاحه ، بل فى حاجة إلى الانشاءفليس لنا من الجيش إلا اسمه وبنوده الخافقات فى الهواء ..

أين سلاحنا الحربى على الارض أو فى البحر أو فى السماء ؟!

أين طرقاتنا الحربية التى يتوقف على تمهيدها وشقها قيام الجيش بالدفاع عن الوطن ؟

هل قمنا بالتمهيدات الأولى والتى يتوقف على اتمامها جلاء جيش الاحتلال عن عاصمة البلاد ثم عن البلاد جميعا ؟

أين تنظيم الدفاع الوطنى والعمل على استكمال أسبابه ونواحيه ؟ مازلنا واحسرتاه نستأجر من جيش الحليفة الاسلحة ومعدات الحرب لنعرضها فى مظاهرات جيشنا الباسل ثم نردها شاكرين بعد دفع الأجر !

إن دول العالم كله تستعد للعراك مع بعضها البعض ، أما نحن فنستعد للعراك مع بعضنا البعض !. إن إجراء انتخابات جديدة فى هذا الوقت هو الانتحار بعينه ، وانها لمهزلة نفتتح بها عامنا الجديد لتجر وراءها مهازل ومساخر تجعلنا مضغة فى أفواه الشعوب والأمم .

ولنترك حديث الدفاع الوطنى جانبا ولنسأل ماذا فعلنا للفلاح فى حقله ، وللعامل فى مصنعه ، وللتاجر فى متجره ، والطالب فى مدرسته ؟ ماذا فعلنا للشعب أفرادا وجماعات وقد انتظر هذا الشعب الصبور الحليم سنوات وسنوات كلها عراك فى سبيل الاستقلال تارة وفى سبيل الدستور تارات أخرى وكان كل مايرجوه أن تضع المعاهدة

حدا لكل هذا ويبدأ عهد جديد من الاستقرار فى الخارج والداخل وتتوحد الجهود للمصلحة العامة وينال ما وعد به من اصلاح وخير عميم .

ولكن بدلا من هذا هانحن نجره مرة ثانية الى عراك جديد ونقذف به فى فوهة البركان ، ليصطلى نار الانتخابات ولظاها من جديد .

إن أمة من الأمم لاتستطيع أن يكون غذاؤها الوحيد السياسة والعراك الذى لا اول له ولا آخر ، فقد آن أن نضع حدا لكل هذا ، آن أن نفكر جميعا فى هذا الشعب ، فى غذائه الروحى والجثمانى معا ، وإذا قال الشعب اليوم لقد تعبت ولقد أشقانى وأضنانى هذا العراك فمن ذا الذى يلومه أو يحق له أن يوجه اليه كلمةعتاب أو تقريع ؟!

ستقول الوزارة غدا إنها تحاشت جهدها حل مجلس النواب واجراء انتخابات جديدة ، وانها لم تقدم على هذه الخطوة إلا مرغمة ، وسيحاول انصارها أن يرفعوا عن عاتقها عبء هذه المسئولية الكبرى ولكن الواقع أن الوزارة كانت مصرة على أن تقف هذا الموقف إصرارا يدعو للعجب والدهشة .

أنا على ثقة من أننا نعبر بهذا القول عن رأى الشعب جميعا ، هذا الشعب المجيد المكدود وإذا كان جهدنا قد وسع أن يجد حلا لقضية الاستقلال ، فهل نعى بإيجاد حل لقضية الدستور ؟!

ويبلغ التفاؤل بروز اليوسف فتنشر فى برواز هام ـ وفى نفس الموضوع ـ أنه قد بلغها فى الرابعة من ظهر يوم الخميس ـ أى وقت إعداد المجلة للطبع ـ من مسئول ، أن هناك سعياجيداللتوفيق بين القصر والوفد وأنه لاتمضى أيام معدودات حتى تظهر نتائج هذا السعى .

فى العدد ٢١١ يكتب التابعى عن سياسات الوفد الآن : إذا صح استنتاج خطة اوسياسة الوفد من خطة رئيسه كانت هذه السياسة هى :

فى العدد ٢١٠ يكتب التابعى عن سيات الوفد الان : اذا صح استنتاج خطة أو سياسة الوفد من خطة رئيسه كانت هذه السياسة هى :

الخصومة الصريحة لرجال القصر لأنهم تحقيقا لاغراضهم ومطامعهم الشخصية ـ كما اعلن الوفد اكثر من مرة ـ قد عملوا على افساد الجو بين العرش وحكومة الوفديين حتى انتهى الأمر باقالة حكومة الوفد .

والخصومة الصريحة لجميع الاحزاب فى مصر سواء منها حزبا الاحرار الدستوريين والسعديين اللذان تتألف منهما الوزارة القائمة . أو الاحزاب التى خرجت

من الحكم وتقف اليوم ـ كما تزعم ـ موقف المعارضة وهى احزاب الشعبيين والاتحاديين الوطنيين .

أى خصومة صريحة وعلى طول الخط لجميع القوات فى مصر .. مجتمعة أو متفرقة !

وإذا كانت خصومة الوفد للاحزاب السياسية فى مصر وإصراره على هذه الخصومة لاتدهش أحدا لأن الوفد يرفض اليوم كما رفض بالأمس كل ائتلاف أو تعاون عملى بينه وبين الاحزاب ، إحداهما أو جميعها .. إذا كانت هذه الخصومة لاتدهش أحدا فان الذى وقف عنده الرأى موقف التردد والحيرة هو ... إلى أين تنتهى خصومة الوفد السافرة القاسية لرجال السراى ؟..... وهل لم يحن الوقت لاعلان هدنة أو شبه هدنة تهدأ فيها النفوس ويمكن بعدها فتح باب الحديث من أجل الوصول الى اتفاق وتعاون مشترك مثمر فى خدمة البلاد ؟

او بعبارة صريحة .. هل لم يحن الوقت لان يغير الوفد سياسته حيال رجال السراى ؟

هنا يرد الوفد على هذا السؤال فيقول : هل لم يحن الوقت لان يغير رجال السراى سياستهم ؟..... والوفد لم يختلف مع رجال السراى إلا من أجل حقوق البرلمان وحقوق الشعب ... وهذا هو ميدان المعركة التى نشبت بين الوفد ورجال السراى ؛ ولقد احرق الوفد سفنه من خلفه يوم اعلن رأيه فى هذه الحقوق وحدودها ومداها ولن تكون ..... ويوم يسلم رجال السراى بنظرية ما لقيصر لقيصر وماالله لله ويوافقون الوفد على رأيه فى تحديد السلطات وتوزيع الحقوق هو يوم تنتهى الخصومة وتستقر الأمور !

أما ان يتراجع الوفد عن موقفه فان هذا يكون له بمثابة انتحار ، ويحق يومها لكل فرد من افراد هذا الشعب أن يرمى الوفد وزعيم الوفد بهذا السؤال وهو فيم اذن كانت هذه الضجة وفيم كانت هذه الأزمات التى هزت البلاد الى الصميم ؟!

هذا هو موقف الوفد حتى الآن .

وليس عندنا مايحملنا على الظن بأن رجال السراى قد غيروا رأيهم أو تحولوا عن موقفهم .

ومن هذا كله يتبين أن الموقف الحاضر لابد وأن يطول اللهم إلا إذا رأى أحد الطرفين أن يعدل موقفه ويتقدم خطوة فى سبيل الاتفاق ...

ويتساءل التابعى ، أو آخر ساعة اذا شئنا الدقة فالموضوع غير موقع باسم التابعى وان كان فى المقال أسلوب التابعى متى يشتغل على ماهر باشا ؟ ويرد العنوان

على التساؤل المطروح بأن على ماهر ، مغضوب عليه من الوفديين ومن الدستوريين ومن الانجليز ومن الامراء ثم من موظفى السراى ولانصحح المقال فننقله بنصه فيما يلى :

يقول الذين اجتمعوا بصاحب المقام الرفيع على باشا ماهر فى الأيام الأخيرة إن أعصاب رفعته ليست على مايرام . وأنه لولا خشيته من المقالب فى الداخل وفى الخارج لالتمس من حضرة صاحب الجلالة الملك أن يأذن له بالسفر إلى الخارج للاستشفاء .....

ولكن صاحب المقام الرفيع رجل « واعى » ـ مهما قيل فيه ـ وهو يقدر تماما ويعرف تماما أن اليوم الذى يغيب فيه عن مصر هو اليوم الذى تأذن فيه شمسه بالمغيب .

ولهذا فان رفعة رئيس الديوان قد عدل عن السفر إلى الخارج على الرغم من إلحاح الأطباء ، وعلى الرغم من حاجته الماسة للاستشفاء ، ولكن قد يعود رفعة رئيس الديوان فى التفكير فى السفر ... وهنا يكون أحد احتمالين لا ثالث لهما :

١ ـ إما أن رئيس الديوان قد ثبت مركزه وأصبح آمنا مطمئنا عليه من المقالب والمفاجآت .

٢ ـ وإما أن رئيس الديوان يسافر ليعود إلى مصر مستقيلا من رئاسة الديوان . ولكن الملابسات السياسية تدل على أن كلا الاحتمالين بعيد الوقوع فى الوقت الحاضر ، هذا إن لم يكن مستحيل الوقوع .

وقال لنا أحد كبار الأجانب الذين اجتمعوا برفعة رئيس الديوان فى الأسبوع الماضى إن من يرى رفعته الآن يدهش إذ أنه يبدو وقد تقدم به العمر فى أسبوع واحد عشرة أعوام .

وفى الواقع أنه قد مضى على رفعة على ماهر باشا فى رئاسة الديوان عشرة شهور ، ولم يسترح فى هذه الشهور العشرة يوما واحدا .... فقد واجه من اليوم الأول أزمة حادة بين حكومة الوفد والسراى ، ثم تطورت الأزمة ، ثم كانت الاقالة ثم الازمات المتكررة بين رفعته ورفعة محمد باشا محمود ، ثم استقالة رفعته المشهورة فى مايو الماضى .... ثم انكشاف خبر زيارته لمصطفى باشا النحاس .

ويشكو صاحب المقام الرفيع على باشا ماهر من تألب الخصوم والاصدقاء ، فصُحف الوفد ورجال الوفد لايرحمونه ، والعلاقات بين رفعته ورفعة رئيس الوزراء وجميع أعضاء حزب الأحرار الدستوريين على أسوأ مايرام ، والاتحاديون ورئيسهم

حلمى عيسى باشا يتهمون على ماهر باشا بأن رفعته كان ضعيفا لأنه لم يصر على اسناد منصب وزارى لرئيس حزب الاتحاد والشعبيون يقولون إن رفعة رئيس الديوان وعدهم بأنه لن يصيبهم سوء ، ولم يمض اسبوعان على هذا الوعد حتى كان الوزيران اللذان يمثلانهم فى الوزارة يحملان لقب « وزراء سابقين » !

أما السعديون فقد بدأوا يتضجرون من رفعة « أخيهم » على باشا ماهر ، فهم - كما قال لنا أحد زعماء السعديين - لايمكن أن يربطوا مصيرهم بمصير رجل مغامر كرفعة رئيس الديوان .... بل إنهم يرون ان من مصلحة حزبهم ان يخرج رفعة على باشا ماهر من منصبه وبذلك يزول المانع الذى يمنع الحزب من تولى الوزارة وحده بلا شريك ، ويزول الاعتقاد السائد بين الناس بأن رئيس الديوان هو سند الحزب السعدى وراعيه .

وهكذا أجمعت الأحزاب - لأول مرة - على اعلان الحرب على رفعة رئيس الديوان !

والأمراء ؟

ساخطون لأن لبعضهم مطالب ، ويعتقدون أن رفعة على باشا ماهر هو الواقف فى طريق تحقيقها ؟

والانجليز ؟

يحملون رفعة رئيس الديوان مسئولية الاضطراب وعدم الاستقرار فى البلاد .

وموظفو السراى ؟

متبرمون من أن رئيس الديوان يعاملهم معاملة لم يعتادوها ، ويتركهم بلا عمل ، أو يضعهم على الرف ، أو يشعرهم بصريح العبارة أن بقاءهم فى السراى وخروجهم منها سيان .

مراد محسن باشا مركون ، سعيد ذو الفقار باشا مركون ، الدكتور عباس الكفراوى بك مركون ، احمد حسنين باشا مركون ، يوسف فيليب جلاد بك مركون ، حسين حسنى بك مركون ، وكل واحد من هؤلاء له كفاءته وله ماضيه فى خدمة السراى ... وكل واحد من هؤلاء كان له دور سياسى فى بعض الأوقات ، بل إن رجال السياسة يقولون إن المقالب التى كان يدبرها هؤلاء كان فيها « كياسة » وكان فيها « Finesse » ليست موجودة فى هذه الأيام !

والآن ... هل حان الوقت لأن نقول إن نهاية على باشا ماهر أصبحت قريبة ؟

نحن لانقول هذا .... فرفعة رئيس الديوان رجل ذكى يجيد فن الصراع السياسى .

ويتقن فن المقالب السياسية إتقانا لايعرفه الزعماء الآخرون ، وإن كان كثيراً ما « يخرم » المقلب فيكون رفعته ضحيته كما حدث في مقلب النحاس باشا !

متى يخرج

ولكن نستطيع أن نؤكد أن صاحب المقام الرفيع على باشا ماهر سوف يخرج من رئاسة الديوان .

إذا :

١ ـ إذا خففت الصحف الوفدية من حملتها على رجال السراى .

٢ ـ إذا شعر من في السراى أن الوفد عدل عن سياسة الاستئثار بالحكم دون سواه ورضى بالاشتراك في الحكم مع حزب أو حزبين .

٣ ـ إذا أمكن ايجاد جبهة وطنية قوية لأن الجميع مقتنعون بأننا في حاجة إلى توحيد الكلمة وأن الخلافات السياسية تؤدى بالبلد إلى الهلاك .

٤ ـ إذا اقتنع الوفد بأن نصوص الدستور شيء وروحه شيء آخر وأن المرونة السياسية خير من سياسة الصلابة والتعنت التى يقول رجال السراى إن الوفد سار عليها منذ الشهر الأول من حكم الملك فاروق .

يومئذ يخرج على ماهر باشا من السراى برغبته أو بغير رغبته ، بل لقد اتصل بنا أن رفعته يقول إنه لو تحققت هذه الأمور كلها فانه يعتبر مهمته قد انتهت ويستقيل في الحال .

ولكن الذين يعرفون على باشا ماهر جيداً يقولون إنه ليس بالرجل الذى يستقيل من تلقاء نفسه أو يخرج من السراى بدون أمر ملكى كريم !

وفي نفس العدد ٢١٢ تكتب آخر ساعة عن حركة واسعة بين رجال السراى وتودى بالتنبيه اخر ساعة ان محمد كامل البندارى باشا وكيل الديوان العالى الملكى سينقل من منصبه لأنه بلا عمل في السراى ولأن لسانه مقلوف ونتج عن ذلك أن انتقلت اكثر أخبار السراى إلى الصحف والمجلات ولأنه هو الذى نصح بمقابلة على ماهر باشا للنحاس باشا ولأنه على صلة بأعضاء مصر الفتاه الذين يدعون الى دكتاتورية يتولاها على ماهر باشا وتقترح السراى احالة البندارى باشا إلى المعاش لانه مازال محتفظا بمكتبه في المحاماه وتقول آخر ساعة إن عبد الوهاب طلعت باشا هو الرابح الخفى لمطلب وكيل الديوان وان كان على ماهر باشا يميل إلى إلغاء هذا المنصب لعدم الحاجة اليه ، وقيل ان مراد محسن باشا ناظر الخاصه الملكيه سوف ينقل الى مكان اخر لانه يفصل بالوفدين وانه يزود الصحف الوفدية بأخبار السراى ونفت آخر ساعة على هذا القول

بأنه تهمة ظالمة زمفق ، ان التحقيق فيها سوف يثبت براءة سعادته فمراد باشا ابق الناس الوفديه والقبلة بالوفديين :

وفى نفس العدد ايضاً ـ ٢١٢ تتساءل ايضا آخر ساعة لمن الحكم فى شهر يوليو القادم وتستفتى آخر ساعة فى هذا السؤال على الشمسى باشا مستقل ويقول على باشا المفروض ان البرلمان هو الذى يحدد نهاية عمر الوزارة ولذلك فانه يؤثر الانتظار فى الاجابه حتى موعد انعقاد البرلمان فى نوفمبر القادم ان شاء الله اما يوسف الجندى عضو الوفد المصرى فيقول :

« وهل يمكن فى بلدنا التكهن بما سيحدث من التطورات والأمور سائرة عندنا فى طريق غير طبيعى ؟

هذا مستحيل . فليس لسياستنا ضابط ولاينفع فيها منطق ولا استنتاج ولاحساب .

من كان يظن بحال من الأحوال ان وزارة الوفد التى انتخبت من نواب وشيوخ اختارتهم الأمة المصرية بمحض اختيارها وبكامل ارادتها وبأغلبية تكاد تكون اجماعا ، أقول من كان يظن ان وزارة كهذه تقال من الحكم على هذه الصورة بعد ماأحرزت كل هذه الانتصارات فى الداخل والخارج وكسبت لمصر ما لم تكسبه وزارة غيرها ؟

يكفى هذا المثل ليبين لنا ان كل شىء فى السياسة المصرية يسير فى طريق غير طبيعى لا يتفق مع منطق أو تفكير . ولهذا مستحيل التكهن بالغد لا بالعام القادم !

ويكتب التابعى فى العدد التالى (٢١٣) كلمة صريحة عن صاحب المقام رئيس الديوان ، ونص ـ كلمة التابعى ـ أصرح ما كتب عن رئيس الديوان الملكى من كان رئيس الديوان بمادة يحظى ـ كمولاه نبوع من الحصانة حيث لا يجوز ـ عادة انتقاده ، اما الكلمة فهى :

أثناء الظروف التى أحاطت بتعيين صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيسا للديوان الملكى كتبت هذه المجلة كلمة صريحة لم تنكر فيها على رفعة على ماهر باشا مواهبه لفذة بل وفته ووفت ذكاءه الوقاد حقهما من المديح كما أنها شيدت باخلاصه للعرش وللبيت المالك الكريم . ولكنها أخذت عليه ـ كما تؤاخذ عليه اليوم ـ ان رفعته لسبب أو لآخر لم يستطع ان يعمل أو يتعاون مع أية هيئة سياسية أو حزب من الأحزاب ، فكان ماقلناه يومها مانصه بالحرف الواحد : (وصاحب الدولة على ماهر باشا على ماحباه الله من كفاءة وذكاء ووطنية واخلاص لم يفلح فى كسب ثقة حزب

واحد من الاحزاب السياسية فى مصر فالوفديون صراحة لايطمئنون الى على ماهر باشا ... والأحرار الدستوريون وزعيمهم صاحب الدولة محمد محمود باشا لا يطمئنون الى دولة على ماهر باشا بل لعل دولته هو أبغض الناس عند محمد محمود بعد مصطفى النحاس ... ذلك لأن الاحرار الدستوريين لاينسون « مقالب » على ماهر أيام وزارة محمد محمود فى عام ١٩٢٩ وكيف كان دولته وهو داخل الوزارة .. حربا فى الخارج على الوزارة وعلى محمد محمود .. والشعبيون ودولة زعيمهم اسماعيل صدقى باشا يكرهون على ماهر باشا كراهة التحريم ولاينسون له استقالته المشهورة من وزارة صدقى باشا ولا الدور الهام الذى لعبه فى قضية البدارى أو فضيحة « الخوازيق » .

(هذه هى الحقيقة الصريحة فهل يمكن إذن أن يقال إن تعيين على ماهر باشا يمكن أن يحقق مصلحة عامة ؟ .. أو إن دولة رئيس الديوان يستطيع ـ والحالة بينه وبين الهيئات السياسية والزعماء كما وصفنا ـ أن يحقق مصلحة عامة أو يؤدى كل الخدمات التى كان يرجى منه ومن ذكائه وكفاءته ان يؤديها للعرش وللبلاد ؟ هذا هو السؤال ، وانا لنرجو مخلصين ان يخيب حسابنا وان نكون مخطئين)

هذا ما كتبناه بالحرف الواحد فى عدد آخر ساعة الصادر فى ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٣٧ .

واليوم وبعد تسعة شهور نقرر آسفين ان حسابنا لم يخب واننا لم نكن مخطئين فقد حقق على ماهر باشا كل المخاوف .. واستطاع ان ينفر منه ومن العمل معه جميع الاحزاب ، وليس الاحرار الدستوريون اليوم فى سنة ١٩٣٨ بأقل شكوى من الوفديين فى سنة ١٩٣٧ .. حتى السعديون انفسهم لايخفون الآن امتعاضهم من تصرفات رئيس الديوان .

رئيس الديوان اذن ـ مع التسليم بذكائه ونزاهته واخلاصه ـ رجل لاتطمئن اليه الاحزاب ولايستطيع زعيم واحد فى مصر ان يعمل أو يتعاون معه باخلاص ولو أنك استفتيت رجال السياسة فى مصر عن الرجال الذين ، يجب إقصاؤهم عن ميدان السياسة المصرية لكان أول اسم يتفقون عليه هو اسم على ماهر باشا رئيس الديوان !

ويعطى الاستاذ عبد الحميد عبد الحق زعيم المعارضة فى مجلس النواب صورة لموقف المعارضة وللموقف من المعارضة فى العدد ٢١٣ من آخر ساعة وفيما يلى كلمة الأستاذ عبد الحميد وهى تعطى صورة حقيقية لما كانت تلاقيه المعارضة الوفدية من الأحزاب الحاكمة الأحرار الدستوريين ، السعديون ، وبقية الأحزاب الاخرى المعارضة فى النظام الدستورى هى الحكومة التى ليست فى الحكم فهى عين الأمة الساهرة وصوتها الرنان تحت قبة البرلمان .

والثلاثة عشر نائبا وفديا الذين يجلسون إلى اليسار فى مجلس النواب الحالى هم (فلتات) شذوا عن الدقة والاحكام وأخلوا بالحساب والنظام ! ...

فقد كانت نتائج الانتخابات الماضية محسوبة بالارقام وجرت فى جو امتاز بتقديس الحرية واحترام العدالة ورفع منار القانون !

وكان أول من قابلنى من النواب يوم دخولى المجلس صديقى احمد بك عبد الغفار وهو أحد أساطين النواب الحكوميين فعانقنى وهو يقول :

كان يقول ذلك وهو يعانقنى مقهقها ، معلنا أن حرية الانتخابات مكفولة لاتحتاج إلى شرح أو بيان !

ومع ذلك فقد كان الطعنان المقدمان ضدى وضد زميلى الاستاذ غنام مبنيين على أن رجال الادارة « سامحهم الله » فعلوا المستحيل وغير المستحيل للعمل على اسقاط مرشحى الحكومة وطاردوا ناخبى الحكومة وزوروا ضد مرشحى الحكومة .. وكانوا كراما فى توزيع تذاكر الانتخاب حتى اسقطوا مرشحى الحكومة !

ولاشك أن القارىء سوف يحكم بوجاهة هذه الدعاوى إذ عرف أنه لم يوزع فى الدائرة التى كنت مرشحا فيها سوى ٢٤٠٠ تذكرة مع أن الناخبين الذين قيدوا فى ديسمبر سنة ١٩٣٧ فى جدول الانتخابات كانوا حوالى تسعة آلاف ونصف .

ولما ذهبت إلى قسم البوليس أطلب « البحبحة » ولو قليلا فى توزيع التذاكر وأسألهم عن السبعة آلاف ناخب الآخرين ، قيل لى إن السبعة الآلاف المذكورين الذين قيدوا منذ شهرين ولم توزع تذاكرهم ... قيل لى إنهم قد انتقلوا إلى رحمة الله ! ؟ ...

فقرأت الفاتحة على روحهم وأيقنت أن الوفد المصرى سامحه الله قد رشحنى فى (قرافة) ! ...

ولما دخلنا نحن الوفديين المجلس وجدنا أنفسنا « الفئة القليلة » حتى أن المجلس أهملنا ولم يرشح أحداً منا فى عضوية اللجان .

فلما احتج زميلى الاستاذ غنام أرسل لنا حزب الحكومة الاستاذ عباس العقاد الذى اتجه الى المنبر وهو يتهادى فى مشيته وكأنه الفارس . المغوار ولما امتطى حضرته صهوة المنبر أعلن فى خيلاء أنه لا حق لنا فى الاحتجاج لأن عددنا لا يكفى لتكوين لجنة واحدة ! ..

وصفق المجلس للعقاد تصفيقا حاداً كاد يقتلع تلك القبة المنحوسة التى لم يستطع أن يتم تحتها مجلس واحد مدة السنوات الخمس المقررة فى الدستور !

وهمس صديقى غنام فى أذنى وقال :

ـ هل ترى كيف يهزم الباطل الحق الانذكرهم أن الوفديين رشحوا فى مجالس النواب السابقة رؤساء لجان من احزاب الاقلية ؟ الا نذكرهم بأننا ونحن اغلبية كنا نرشح فى اللجان اكبر عدد منهم غير ناظرين للاعتبارات الحزبية ؟ بل لقد رشحنا فى اللجنة المالية وهى أهم لجان المجلس .. رشحنا ثلث أعضائها من الاحزاب المعارضة !

وربت انا على كتف زميلى وقلت له :

ـ ابلع يا غنام ! فليس هنا مجال المنطق ولا مكان الحجة !

وابتسم زميلى وقال .

ـ سأبلع والأمر لله !

وكانت أولى تباشير احترام المعارضة الذي لا حد له أن قدم زميلى الاستاذ غنام سؤالا عن حصار النادى السعدى ولماذا يحاصرونه فى ظل الدستور و .. والخ .

وصعد إلى المنبر صاحب اللقام الرفيع الزعيم (النبيل) محمد باشا محمود .. صعد فى تؤدة وكبرياء ظننت معها أن (نبله) سوف يوحى اليه أن يقول إن لاعلم له بهذا الحصار وإنه أمر برفعه فى الحال ...

ولكن كم كانت دهشتى حينما أعلن رفعته أن ماجاء فى سؤال الزميل غير صحيح ، وأن النادى غير محاصر وأن أبوابه بالأمارة مفتوحة لمن يرغب الدخول ! ..

وصفق لرفعته المجلس تصفيقا حادا كاد يهدم مرة أخرى تلك القبة المنحوسة !

وفى تلك اللحظة إستولى على خجل شديد لا أعلم إن كان من نفسى أو رئيس الوزراء !

فلما التفت إلى غنام وجدته مشدوها ، فاغرا فمه يهتز اهتزازا عجيبا حتى خيل إلى أن زميلى قد ركبه عفريت !

ووقف الزميل وصاح فى المجلس :

ـ إن هذه مكابرة من رئيس الوزراء ! . وما أن سمع الأعضاء ذلك حتى ثارت ثائرتهم يصخبون ويركلون الأرض بأرجلهم ويضربون المكاتب بايديهم ويسبون ويلعنون .

وأخذ زميلى يستشهد بالدكتور ماهر وبالنقراشى باشا وإبراهيم عبد الهادى كأنه يذكرهم بقوله تعالى « ومن يكتم الشهادة فإنه آثم قلبه .. » ولكن طغى الباطل على الحق وانتهت الرواية .

والحق اقول لك إننى كنت أخشى أن يتطرق الاعضاء من الكلام إلى الصراع والنزال ونحن عشرة وهم ٢٦٠ .. وكنت معتزا بوجود النائب المحترم عبد الحميد سعيد بجانبي فى المعارضة محتسبا اياه فى مقام مدفع هاوتزر ستطلقه المعارضة على الاعداء ولكن لما تفرست فى وجهه وجدته لايشاركنا فى محنتنا ورجحت أنه سوف يكون علينا لالنا فسلمت أمرى لله وقلت اشهد الا اله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله !

وتنشر آخر ساعة مقالا جريئا للاستاذ أحمد الصاوى محمد بعنوان انا نصير الدكتاتورية وقد نشر عنوان المقال بين صورتين للهر هتيلر وموسوليني باللباس النازى واللباس الفاشيستى كما نشر فى وسط المقال صورة الدكتاتور أحمد الصاوى محمد والشعب يحييه وهو بملابسه الفاشيستيه وفيما يلى نص مقال الدكتاتور أحمد الصاوى محمد تنشره كصورة للتفكير فى سنوات ماقبل الحرب العالمية الثانية :

نعم انا نصير الدكتاتورية ، اقولها بملء فمى ، واكتبها بالقلم العريض ، واؤيدها بعقلى وقلبى ، وأعلنها على رؤوس الاشهاد ..

فى الزمن الغابر ، كانت حكومة روما حكومة برلمانية ولكنها مع ذلك فى الأوقات الحرجة والظروف العسيرة تركز السلطات كلها فى يد حاكم واحد مطلق . فاستطاعت روما بفضل الدكتاتورية ، وفى حالة الحرب والكرب ، وفى حالة الخطر الخارجى أو الخطر الداخلى ، أن تنتفع بمزايا الادارة الموحدة والقيادة المطلقة ، دون أن تسىء إلى الحرية أوقات الهدوء والصفاء ..

وفى الوقت الحاضر ، نجد الديكتاتوريات تظهر فى أرقى الأمم وفى أعرقها حرية ودستوراً ، تظهر فى روما نفسها وفى برلين ، وتظهر فى الأحوال العصيبة كعلاج ناجح للاخطار العامة .

ومصر اليوم فى خطر . إن الحزبية تمزقها إربا إربا . ان الحزبية السياسية هى الكوبرى إلى الحكم ولو اقيم هذا الكوبرى على رؤوس العبيد وجماجم الارقاء .

فلا البرلمان المصرى ، فى جميع أدواره ، واشكاله ، قد استطاع أن يمثل البلاد تمثيلا صحيحا صادقا تؤمن به الأمة ، ولا استطاع أن يؤدى للبلاد خدمة تتعادل على الأقل مع ملايين الجنيهات التى انفقت عليه حتى الآن ، وانفقت فى سبيل الوصول إليه ، ولو كانت قد انفقت فعلا لصالح الشعب لأحس بها وانتفعت من ورائها ملايين الناس .

تريد ديكتاتورا .. يضع حدا لهذا الاستغلال الشائن الذى يجعل مرتب الوزير فى العام ثلاثة آلاف جنيه ومرتب جندى الجيش وحامى ذمار الأوطان الذى يعرض نفسه لضرب الرصاص : ستة جنيهات فى العام !

نريد ديكتاتورا يرفع مستوى المعيشة فى البلد برفع المرتبات الوضيعة وعمل توازن عادل معقول شريف ، فلا يأكل بعض الناس الشهد ، والبعض الآخر الحنظل !

نريد ديكتاتوراً لايدع ملايين الفلاحين يشربون الماء العكر ، ويأكلون المش ، ويمرضون بالبلهارسيا والانكلستوما ، ويفرض على أولادهم تعليم إلزامى الجهل خير منه ألف مرة ، لأنه تعليم جاهل مصحوب بالجوع ..

نريد ديكتاتورا يقاوم البطالة ، واستبداد الرأسمالى الأجنبى والمصرى على السواء ، ويعطى للجائع خبزاً ، وللجاهل علماً .. ولخريج الجامعة أفقاً للمستقبل غير المقهى والشارع .

نريد ديكتاتورا لايسير وراء ستمائة نائب وشيخ ، كل نائب وشيخ له أقاربه وأصدقاؤه وأقارب الأقارب والأصدقاء ، وله أهل دائرته الذين يرهقونه بطلباتهم بالحق وبالباطل ، فهو عبد لهم من جانب ، وهو سيد الادارة الحكومية يستبد بها ويعطلها ويسخرها لمصلحتهم من جانب آخر ! .. وكل هذا على حساب الوطن !

نريد حاكما مطلقا يمحو الذل والفقر والظلم والجهل عن هذا البلد . نريد المستبد العادل ! ..

وتشير آخر ساعة فى عددها رقم ٢٢٤ إلى واقعة طريفة فحواها أن الملك كان يحضر حفلة جماعة أنصار التمثيل والسينما وكانت الرواية هى البحث عن الحقيقة ، وهى بقلم سليمان نجيب وكيل دار الاوبرا الملكية ورئيس جماعة أنصار التمثيل والسينما وموضوع الرواية يدول حول البحث عن الحقيقة كل الحقيقة وبعد انتهاء الرواية إستدعى الملك فاروق بطل الرواية الاستاذ سليمان نجيب وقال له وهو يبتسم : انت دلوقت موروط ، ونراهن على أنك تقول الحقيقة لمدة ٢٤ ساعة فهل تقدر تقول لى من هو أصلح رجل فى مصر لحكم البلاد على شرط تخرجنى أنا من الموضوع وكان صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس الوزراء موجوداً فى معية الملك وكانت ورطة لسليمان نجيب الذى أكد فى الرواية أنه سيقول الحقيقة كل الحقيقة مدة ٢٤ ساعة وأخيراً وفق إلى القول - أنا ما أقدرش أخرج مولانا من الموضوع وأرى أن أصلح رجل هو الرجل الذى حظى بأكبر نصيب من ثقة مولانا الملك .

وتسأل آخر ساعة لاندرى كيف كان وقع هذا الرد عند صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء .

وتسأل آخر ساعة (العدد ٢٢٥) عددا من الصحفيين السياسيين نفس السؤال الذى وجهه الملك لسليمان نجيب وكان الاستاذ حفنى محمود بك عضو مجلس النواب وشقيق رئيس الوزراء .

لو سألنى جلالة الملك هذا السؤال فإننى أجيب « أنا يامولاى » فاذا تفضل جلالته وسألنى « وما هو برنامجك » ؟ لتقدمت إلى جلالته ببرنامجى الذى نشرته فى مجلة آخر ساعة من ثلاثة شهور ، وزدت على ذلك بأننى سأحذو حذو الخليفة عمر بن عبد العزيز الذى تفضل ولاة الأمور أخيراً فانتزعوا اسمه من أحد شوارع القاهرة !!

اما الاستاذ انطون الجمل رئيس تحرير الاهرام وعضو مجلس الشيوخ فقد اجاب بما يلى .

ــ كنت أجيب بأن أصلح رجل للحكم من يثبت أنه لايطمع فى الحكم !

فقلنا له : ولو فرض أن كان الجميع يطمعون فى الحكم فمن يصلح إذن ؟

فقال عندئذ نجيب حاكم « من بلاد بره » !

وتخصص آخر ساعة فى عددها الصادر فى ١١ ديسمبر ١٩٣٨ (٢٣٢) صفحة عن معاملة النحاس للسفير البريطانى وقول السفير للنحاس : إنك صاحب الفضل الأول فى توقيع المعاهدة المصرية البريطانية ورد النحاس باشا بأن الحالة فى مصر اصبحت زفتا وقطرانا ، وفيما يلى ماجاء فى آخر ساعة عن تلك المقابلة :

فوجئت الدوائر السياسية بخبر اجتماع سعادة سير مايلز لامبسون بصاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا فى مأدبة صاحب السعادة أمين عثمان باشا يوم الاثنين الماضى .

والآن نذكر للقراء ظروف هذه المقابلة .

دخل سعادة سير مايلز لامبسون غرفة البوفيه وجلس إلى جانب رفعة محمد محمود باشا وتهامسا حوالى ثلث ساعة ، ودار الحديث حول فلسطين ومذكرة رفعة رئيس الوزراء الأخيرة فى هذه المسألة .

ودخل مستر سمارت إلى الردهة الخارجية للحفلة وتحدث مع معالى مكرم باشا طويلا ثم مع رفعة النحاس باشا .

وبعد ذلك خرج سير مايلز إلى الردهة الخارجية وصافح النحاس باشا ومكرم باشا .

وجلس النحاس باشا على كنبة وجلس سير مايلز على كرسى فوتيل وفى ناحية أخرى جلس معالى مكرم باشا مع لادى مايلز لاميسون .

واستمرت المقابلة من الساعة السابعة وعشر دقائق إلى الساعة الثامنة أى أنهما لبثا خمسين دقيقة على انفراد .

وكان الحديث يدور همسا باللغة الفرنسية وكل مانستطيع أن نصرح به من هذا الحديث هو ان سير مايلز بدأه بقوله إنه مضى عليه وقت لم ير فيه رفعة النحاس باشا ولامكرم باشا حتى ليخيل إليه أن هذا الوقت أعوام ، وإنه كان يجب أن يرى النحاس باشا دائما وإنه لاينسى الأيام السعيدة التى أمضاها فى العمل مع النحاس باشا وسيذكر بالخير فضل النحاس باشا فى المعاهدة التى جعلت العلاقات بين البلدين على أساس طيب متين وقال إن للنحاس باشا الفضل الأول فى هذه المعاهدة .

وتطرق الحديث إلى الحالة الدولية العامة ، وأدلى رفعة النحاس باشا برأيه فيها ومركز مصر فى حالة قيام حرب ، ثم انتقل الحديث من السياسة الدولية إلى السياسة المصرية العامة .

وقال النحاس باشا مامعناه إن الحالة فى مصر أصبحت زفتا وقطرانا وتكلم عن تزوير الانتخابات وماحدث فيها وعن طريقة الحكم الحالى وعن فساد نظام الحكم وكيف أن مصر أصابها من هذا الانقلاب شر لم يصبها من أى انقلاب مضى ، وتحدث رفعته عن حادث الاعتداءعليه ورأيه فى هذا الحادث .

ولم يدر أى حديث عن لهجة الصحف الوفدية حيال الانجليز ولاعن عدم زيارة السفير لرفعة النحاس باشا حينما وقع الاعتداء عليه كما يشاع فى بعض الدوائر الوزراية ، ولكن سعادة السفير مر مروراً سريعاً على وجهة النظر الوفدية وتمنى أن يثق الجميع بأن بريطانيا لايد لها فى الحالة الحاضرة .

وقد كان رفعة النحاس باشا صريحاً فى حديثه مع سير مايلز ولاحظنا أن رفعته كان هادئاً وتخلل الحديث بعض نكات وفكاهات اشترك فيها سير مايلز والنحاس باشا .

وتقول الدوائر الانجليزية إن سير مايلز سر من الفرصة السعيدة التى أتاحت له هذا الاجتماع الطويل برفعة النحاس باشا ورجا أن تعقب هذه المقابلة مقابلات أخرى .

وتقول الدوائر الوفدية إن الوفد لايعلق أهمية سياسية كبرى على هذه المقابلة ولكن النحاس باشا سر لأنه بسط بصراحة موقف الوفد المصرى حيال الموقف الحالى .

وتنشر أخر ساعة على نفسها وعلى الجمهور عندما تنشر افتتاحية العدد ٢٣٤ بعنوان علينا وعلى اعدائنا يارب .

وقد جاء فى ذلك المقال الجرىء ، والناس فى نفس الوقت .

ما أكثر الذين تتسلسل فى أذهانهم بمناسبة الدفاع الوطنى عدة صور

الطيارة ،والجندى ، والدبابة ، والمدفع ، ورأس موسولينى ، بارزا كرأس الكوبرا ، من بين رمال الصحراء ! .

إن الجيش والطيارات والمدافع أشياء عظيمة وهامة وجديرة بالطبول الضخمة التى تقرع من أجلها ، والملايين العديدة التى تقدم لها قرابين ، ولكنها لسوء الحظ لاتحمينا من الاخطار الظاهرة ، القريبة والبعيدة الاحتمال ، أما الخطر الكامن فى كياننا كمون السرطان ، الذى يسم حياتنا ببطء ولكن باستمرار ، الذى يسرق عصارة عروقنا باسم المنفعة والقانون ، فان الدفاع الوطنى بجحافله وقنابله وملايينه ، يقف ازاءه وقفة حجارة الشطرنج ، عندما لا يكون هناك لاعب يحركها نحو مصدر الخطر والنكال إننا نعنى بهذا الخطر الكامن ، خطر الشركات الاجنبية الكبرى ، التى تسمن على لحم اكتافنا ، وتتجاهل وجودنا ، ولا يهمنا أكثر من أن تلتهم خير ما على المائدة من أطايب الفاكهة والحلوى تاركة لنا - إن تركت شيئا - مجرد الفتات والفضلات .

لدينا شركة ترام القاهرة مثلا .. فى الوقت الذى توزع هذه الشركة على مساهميها ألوف الجنيهات من صافى أرباحها كل عام ، تبخل علينا حتى بمعاملة التاجر العاقل للعميل الطيب . فعرباتها هى نفس العربات التاريخية التى كا يستعملها نوبار باشا وكلوت بك ، العربات ذات المقاعد الخشبية المتعبة ، العربات التى بينها وبين المطر والريح والتراب معاهدة جوار واتفاق على الركاب ، العربات التى كافحت نصف قرن نداء المدنية والتقدم ، وافاعيل العث والسوس بثبات يدعو إلى الاعجاب ، العربات التى أصبحت غير صالحة لركوب البهائم ، ومع ذلك تحافظ عليها الشركة كما تحافظ على كنز ، لأنها الوسيلة التى تجعل أرباحها السنوية الحالية ، ارباحا بلا رأس مال .

ومثل آخر فى شركة الماء .. إنها تبيعنا بثمن أغلى من الكوثر ، إننا نشترى ماء الكوثر ببضع صلوات ، ونشترى ماء النيل من شركة مياه القاهرة بألوف الجنيهات !

وكل وزير أشغال يأتى يحرس هذه الشركة كما لو كان يحرس حبوب عينيه ، ويرعاها كأنه يرى الدجاجة التى تبيض بيضة من فضة وبيضة من ذهب .

وحتى وزير الاشغال الحالى مع مابسط الله من رزقه ، بسطة أعانته على حلاقة ذقنه بماء افيان ، عندما انقطع مسيل الماء يوما من الأيام ، يمنح هو الآخر حمايته لشركة المياه ، ويخشى على أناملها من لمس الحرير ، ويصلى ركعتى ضراعة عندما تضطره الظروف مرة أن يخاطبها خطاب الأحباب فى فداحة الأسعار !

وليحى الزير والقلل إذا كان الماء المرشح يكلفنا أن نقف من هذه الشركة موقف العبيد !!

وتعالوا ندخل شركة الكهرباء .. تعالوا نفتش فيها بمصباح ديوجين عن عدد الموظفين المصريين هناك تعالوا نبحث عن نصيب مصر من سبائك الذهب التى تدخل من نوافذ هذه الشركة يوميا لتوزع على مساهميها السعداء . تعالوا نرى كيف يعامل المصرى هناك كأنه ذاهب ليستجدى ، وليس ليمنح ألوفا من الأجانب الغنى والثراء . إن أجسادنا تعيش فى النور ، ولكن أرواحنا وكرامتنا فى ظلمة كظلمة القبور !

هذه مجرد أمثلة ، وتوجد مئات مثلها للأمراض الاجتماعية المتغلغلة فى جسم مصر ، والتى تنتشر وتتفرع بسرعة اللهيب .

هذه بعض الأوبئة التى يجب أن نفكر فى حماية كياننا منها قبل حماية حدودنا ..

وإلا فعلينا وعلى أعدائنا يارب ، وليدخل موسولينى على الرحب والسعة ، ومادمنا سعداء بأن نكون مطايا ، فأية فائدة من البحث فى جنسية ومزايا الراكبين !!

وتوقع آخر ساعة بين كبار المسئولين فى وزارة المعارف تحت عنوان سياسة المقالب فى وزارة المعارف : الوكيل المساعد يحاول قلب الوكيل والوزير يحاول قلب الاثنين والموضوع فيما يلى :

عرفه طلبة دار العلوم أن النية متجهة إلى تعيين الأزهريين فى وظائف التدريس بوزارة المعارف ، فثاروا وقاموا بالمظاهرات والاضرابات التى عرفها القراء .

وقد ذهب وفد من طلبة دار العلوم إلى وزارة المعارف وقابلوا سعادة عوض بك ابراهيم وكيل الوزارة المساعد وقال لهم سعادته :

- تأكدوا يا أخوانى أننى سوف أستقيل إذا حصل هذا لأننى اعتبره اعتداء على حقوقكم .

-أمال مين يا سعادة البك ؟

ولما كان بين عوض بك والعشماوى بك وكيل الوزارة ما بين هتلر واليهود فقد أفهم وفد الطلبة بالتلميح أن عدو دار العلوم هو العشماوى بك .

وخرج الوفد من حجرة عوض بك إلى حجرة العشماوى بك وسألوه عن رأيه فى تعيين الأزهريين فى الوظائف التى كانت وقفا على خريجى دار العلوم . وضرب العشماوى بك صدره بيده وقال إنه لن يسمح باعتداء الازهريين على دار العلوم وأنه سوف يستقيلُ إذا حدث ذلك . وهنا سأل الطلبه .

أمال مين ضدنا يا سعادة البك ؟

وأجاب سعادة البك أن فى وزارة المعارف شخصا آخر ولا شك ، يحارب خريجى دار العلوم .

وكان المطلوب من الطلبة أن يفهموا أن الشخص الآخر هو صديقه اللدود عوض بك ابراهيم ولكن الوفد كان قد أخذ كلمة شرف من عوض بك فظن أن المقصود بالشخص الآخر هو معالى هيكل باشا وزير المعارف .

وكان هيكل باشا قد سمع بمقالة الوفد للوكيلين فلما استقبل خريجى دار العلوم قال لهم :

ـ تأكدوا أننى مادمت وزيرا للمعارف فلن أسمح بتنفيذ مطالب الأزهريين وأحب أن تعتبرونى صديقكم أما أعداؤكم فابحثوا عنهم فى غير حجرتى !

ونحن نكتب هذه السطور ووفد دار العلوم فى حيرة أمام أبواب الوكيلين والوزير !

وقد ذهب الوفد إلى رئيس الوزراء فى منزله فاستقبلهم رفعته فى حجرة النوم وقال لهم :

ـ ان مارجعتوش المدرسة فسوف أجندكم جميعاً !

وفى أحد مجالس رفعة رئيس الوزراء سئل رفعته إن كان يرى إجابة خريجى كلية الآداب إلى مطالبهم الخاصة باسناد بعض وظائف تدريس اللغة العربية اليهم .

ووضع رئيس الوزراء يده فى جيوبه ثم فرد ساقيه وقال :

ـ أنا لاأعترف بشىء إسمه طلبة الآداب ولا أعتقد أنهم يصلحون لتدريس اللغة العربية .

والكلمة الآن للدكتور طه حسين بك !

وعن نفس المشكلة مشكلة الأزهريين والدراعمة وفى نفس العدد تكتب آخر ساعة تحت عنوان : هل يستقبل هيكل باشا معركة بين الطرابيش والعمائم :

اشتدت الحرب بين أبناء دار العلوم ، أو الدراعمة كما يسمون أنفسهم ، وبين طلبة كلية اللغة العربية بالأزهر ، بسبب النزاع على حق تدريس اللغة العربية والديانة والتهذيب وقد لاح فى وسط المعركة طرف آخر يطالب بنصيبه فى الغنيمة ونعنى به طلبة كلية الآداب ..

وكان الأسبوع الماضى حافلا بأنباء الحركات التى تقوم بها هذه الجماعات ، فى سبيل تحقيق مطالبها ، ولما اشتدت ثورة الأزهريين ، أوفد معالى وزير المعارف سعادة وكيل الوزارة إلى فضيلة الشيخ الأكبر ليتحدث معه بشأن مطالب الأزهريين وقد ذكر العشماوى بك للشيخ الأكبر : أن الوزارة تنتظر من فضيلة الاستاذ أن يواجه حركة الأزهريين بحزم ، كما تفعل الوزارة فى مدارس الحكومة وكليات الجامعة فابتسم الشيخ وقال :

أنا على يقين من أنه ليس عند الحكومة ولاعندى استعداد للضربة الحاسمة !

واستطرد فقال ومع ذلك ، أية ضربة نضربها لمواجهة هذه الحركات ؟ اقفال الأزهر مثلما اقفلت كلية الزراعة ؟ إن كان ذلك فان الطالب الأزهرى لايهمه غلق معهده ، لأن المستقبل مظلم أمامه . أما الطالب المدنى فقد يهتم بذلك لأن له أملا ، ولو ضئيلا فى المستقبل ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان والد الطالب المدنى ، يهتم باغلاق المدرسة أو الكلية لأنه يدفع قسطا معلوما فهو من أجل ذلك يحرص على الا يضيع ما يدفعه هباء .

وقد صرح الشيخ لمندوب المعارف ، بأن المسئول عن حركة الأزهريين إنماهم بعض رجال المعارف انفسهم بسبب تصرفاتهم .

وقد صرح رفعة محمد محمود باشا لبعض رجال التعليم ، فى صدد الكلام عن مشكلة « الدراعمة والازهريين » بأنه سبق أن اتفق مع شيخ الأزهر أن يعين مدرسو اللغة العربية فى المدارس بنسبة ١ من دار العلوم و٥ من كلية اللغة العربية وأنه لم يجد فى الموقف مايمنع من تنفيذ هذا الاتفاق .

ويرى صاحب المعالى هيكل باشا ، أن رايه هو الذى يجب أن يؤخذ به ، وأنه ليس من حق رئيس الوزراء ، ولاشيخ الازهر ، أن يدس كلاهما انفه فى أعمال وزارة المعارف .

ويؤكد المتصلون بهيكل باشا أن معاليه قد يجعل هذه المسألة سببا لخروجه من الوزارة حين يعلم أن باب الخروج مهيأ لمعاليه ، كما هيء لزميل له من قبل.

ومن طريف ماسمعنا أن طلبة الأزهر ودار العلوم يتبعون فى هتافاتهم العدائية قواعد الذوق والادب ومكارم الاخلاق !

فلا سمعنا بعض طلبة دار العلوم يهتف قائلا « يسقط الأزهر الشريف » « يسقط مولانا الأستاذ الأكبر » وسمع غيرنا طلبة الأزهر يهتفون بسقوط الاساتذة الأفاضل أبناء دار العلوم !

وننتقل إلى العدد ٢٣٦ (٨ يناير ١٩٣٩) لنختار طائفة جديدة من أخبار آخر ساعة من بين تلك الأخبار وعلى سبيل المثال لاالحصر ، أن هيئة الوفد قد فترت فى هذه الايام فى حملة الانجليز وان صدقى باشا ، يعد فرحته بكشك عند السفارة البريطانية وانما أصبح طبق بصارة ومعدة الانجليز ـ كما نعرف لاتهضم البصارة للأسف الشديد وأن التقارب بين الوفد والسراى لاتزال مشكلة أيام رغم عدم دعوة النحاس باشا ومكرم عبّيد باشا ليكونا فى استقبال جلالة الملك حين وصوله إلى محطة

العاصمة ، وان صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر (الشيخ المراغى) قد استقال من منصبه بالرغم من انكار فضيلته لهذه الاستقالة بالقبول والاشارة والتلميح ، والتصريح ، وذلك لأن الجنود اقتحموا صحن الأزهر ، وان الخلاف بين طلبة الأزهر ، ودار العلوم قد يجعل منه ـ من د . هيكل ـ الضحية الأولى وأن شيوخ المعاهد سوف يقدمون استقالاتهم ايضا بل استقالوا فعلا وعندما اتصل رفعة محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء بشيخ الجامع الأزهر ، طلب زيارة الآخر (رفعة الرئيس فى بنها وكانت مطالبه مايلى .

(١) أن يستقيل الدكتور هيكل من منصبه .
(٢) أن يذهب وزير الداخلية إلى الأزهر ويعتذر اليه .
(٣) أن تجاب جميع مطالب الأزهر .
(٤) أن يعاتب طلبة دار العلم الذين هتفوا بسقوط الازهر .
(٥) أن يحقق مع أحمد بك عاصم ناظر مدرسة دار العلوم لأنه هو الذى يحرك الطلبة ، ضد الشيخ المراغى .

وقد رفض وزير الداخلية الاعتذار ، وقبلت الحكومة اربعة بعد عبد السلام الشاذلى باشا محافظ العاصمة ، وبقية الفضيلة الأستاذ الاكبر عن اقتحام الأزهر .

ووافق ـ آخر ساعة ـ رئيس الوزراء على أن يطلب من الدكتور هيكل باشا الاستقالة ولكن استقالته ـ بعد استقالة رشوان باشا ـ من الاحرار الدستورين الشعب ـ سوف تكون ضربة للحزب .. وقد كانت اخر ساعة كالمصور ، تهتم اهتماما خاصا بأخبار الجيش وقد علقت على (قول الملك فاروق ان الكاور الجون ، لن يتفق على رجال الجيش .

(العدد ٢٣٨ فى ٢٢ يناير ١٩٣٩) تحت عنوان ازمه الجيش وقد جاء فى ذلك الخبر

فى يوم الخميس تكهرب الجو السياسى فقد قرأ معالى وزير المالية فى جريدة الاهرام أن جلالة الملك أمر الا يطبق الكادر الجديد على ضباط الجيش ، وأن اللواء ابراهيم خيرى باشا أبلغ هذا النبأ إلى الضباط .

ودهش معالى وزير المالية لأنه لم يكن قد سمع بهذا الرأى ، واعتبر هذا الأمر الكريم عدم ثقة به ، وتحدث إلى وزير الداخلية فوافاه فى مكتبه ، وابلغه عزمه على الاستقالة فابدى معاليه تضامنه معه ، وابلغا معاليهما هذه الرغبة الى رفعت رئيس الوزراء الذى قال إنه متضامن معهما أيضا ...

والتمس معالى وزير الحربية التشرف بمقابلة جلالة الملك فاجيب إلى طلبه فى الحال ورفع معاليه الى جلالته رغبة الوزارة فى الاستقالة .

وكانت وجهة نظر السراى أن هذا الأمر الكريم من حق جلالة الملك بصفته القائد العام للجيش .

وكان من رأى الوزارة أن هذا الأمر يعتبر عدم ثقة بالوزارة واستدعى عبد الحميد بدوى باشا فأفتى بأن تخفيض مرتبات الجيش من حق الوزارة وقال إن بعض ترقيات الجيش فى بعض الدول الاخرى تكون بقرار من مجلس الوزراء .

وتوسط البعض فى ايجاد حل لهذه الازمة ، وعرضت صيغة لتكذيب جريدة الأهرام ، ولكن السراى عارضت فى الصيغة وتمسكت بحق جلالة الملك فى الاعتراض على تخفيض مرتبات الجيش الذى هو قائده .

وعدل البلاغ الرسمى ثلاث مرات ونستطيع بعد ذلك أن نؤكد أن الكادر الجديد لن يمر بخير لأن جهة عالية تعارض فى تخفيض مرتبات الضباط . ولهذا قد يعدل الكادر من جديد .

هذا وقد اتصل بنا أن الضباط اجتمعوا مساء الخميس وقرروا أن يؤدوا صلاة الجمعة فى مسجد قيسون الذى سيصلى فيه جلالة الملك ليحيوا جلالته متجمعين .

وكانت آخر ساعة قد افردت تحقيقا صحفيا مثيرا تحت عنوان لماذا غضبت السراى على حسن صبرى باشا وزير الحربية بسبب مهمة خطيرة الى ضابط عظيم أورطة انجليزية فى احتفال الجيش المصرى بمولد الاميره فريال .

قال صاحب السعادة حسن صبرى باشا فى خطاب استقالته إنه « حيل بينه وبين التشرف بمقابلة الملك »

وفهم الناس أن حسن صبرى باشا لم يحرم من المقابلة الملكية إلا فى هذه الايام ، وإنه ألح فى طلبها لمناسبة مشروع الكادر الجديد لضباط الجيش .

والواقع أن حكاية الحرمان هذه ترجع الى شهر نوفمبر الماضى ، فقد حدث بعد مولد صاحبة السمو الملكى الأميرة فريال أن تقرر إقامة عرض كبير للجيش .. واذا بصاحب السعادة حسن صبرى باشا يتفق مع قائد القوات البريطانية فى مصر على أن تسير أورطة بريطانية فى العرض المصرى . وقد تم الاتفاق على نظام العرض دون مراجعة السراى ، أو الحصول على إذن منها !

وهكذا وضع حسن صبرى باشا موظفى السراى فى موقف حرج ، فهم إما أن يقبلوا أن تسير الأورطه البريطانية فى موكب أميرة مصرية ولدت فى عهد الاستقلال، وإما أن يرفضوا الموافقة على النظام الموضوع وقد تعتبر السلطات الانجليزية هذا التصرف إهانة للجيش البريطانى ...

ومنذ ذلك اليوم بدأ « الحرمان » .. فقد كان حسن صبرى باشا متعودا أن يرفع تقارير ومذكرات عن حالة الجيش إلى جلاله الملك بصفته القائد الأعلى وأعد سعادته مذكرة عن مدافع مورتر التى اشتراها من فرنسا ..

والتمس وزير الحربية السابق التشرف بمقابلة جلالة الملك فلم يجب الى التماسه .

وتصادف أن أقام الضباط حفلة حضرها جلالة الملك منذ شهرين وأراد الوزير أن ينتهز فرصة هذه الحفلة ويعرض المذكرة على جلالة الملك ..

ولكن لم تتح له الفرصة المناسبة .. وكرر حسن صبرى باشا طلب المقابلة أربع مرات ولكن طلبه لم يقابل إلا بالسكوت التام ...

ويعتقد أصدقاء حسن صبرى باشا أن اللواء ابراهيم خيرى باشا واللواء عزيز المصرى باشا هما اللذان عكرا صفو العلاقات بين سعادته والسراى ..

وقد قيل إن ابراهيم خيرى باشا وكيل وزارة الحربية شعر من تقسيم اختصاصات العمل بينه وبين حسن مختار رسمى بك وكيل الحربية المدنى أنه أصبح عالة على صاحب السعادة محمود شكرى باشا رئيس اركان الحرب ، وشكا سعادته من هذا العمل إلى صديق عمر فتحى بك كبير ياوران جلالة الملك فكان ابتداء سوء التفاهم .

ثم إنه حدث أن تشرف حسن صبرى باشا بمقابلة جلالة الملك فقال جلالته إنه يقترح إنشاء ميليشيا لحراسة الحدود ..

قال حسن صبرى باشا إنها فكرة عظيمة وإن خير من يتولى هذا المنصب هو محمد صالح حرب بك وكيل مصلحة الحدود .

فقال جلالة الملك : إنه لايعرف حرب بك شخصيا ، ولكنه سيبحث عن كفاءته .

وانتهت المقابلة ، ثم درس جلالة الملك تاريخ حياة صالح حرب بك ، وابلغ حسن صبرى باشا أن جلالته يرى أنه اختيار موفق ، وأن حرب بك هو الرجل الذى يصلح لهذا المنصب لانه اشترك فى الدفاع عن الحدود ودرسها دراسة كاملة .

ثم حدث أن رفض صبرى باشا تعيين صالح حرب بك مديرا لمصلحة الحدود !! لماذا ؟

قال حسن صبرى باشا لرئيس الوزراء إن إنجليزيا كبيرا اتصل به وطلب إليه تعيين صالح بك حرب مديرا للحدود ، وإنه لايتفق مع كرامة ضباط جيش جلالة الملك

ان يتصلوا بالانجليز ويتوسلوا بهم للحصول على وظائف كبيرة ، وإن الرجل الذى يفعل هذا لايصلح لحراسة الحدود !

وافق رفعة رئيس الوزراء على هذا الرأى ، وقال إنه يجب قبل رفع الامر الى جلالة الملك ان يتحقق بنفسه من أن صالح حرب بك ارتكب هذه الجريمة .

فقال حسن صبرى باشا إنه سمع هذه الرواية من القائد العام للقوات البريطانية فى مصر .

وكان أن قابل رفعة رئيس الوزراء القائد العام وسأله :

ـ هل تعرف صالح حرب بك ؟

فأجاب كلا لا أعرفه .. ولم أقابله مرة واحدة فى حياتى !

فقال رئيس الوزراء : إذن فهو لم يأت اليك يطلب أن تتوسط لتعيينه مديرا للحدود ؟

فقال القائد العام للقوات الحربية :

ـ إن هذا لم يحدث .. وإنما الذى حدث اننى كنت أتناول العشاء مع احمد حسنين باشا وعبد الرحمن عزام بك وتحدثنا عن الحدود فقال إن صالح حرب بك هو أصلح رجل لادارة مصلحة الحدود ، وتحدثنا عن كفاءته وصلاحيته ، ثم كان أن قابلت وزير الحربية وتحدثنا عن مصلحة الحدود فأخبرته بما سمعت عن صالح بك حرب !..

وهكذا ظهر أن « معالى » وزير الحربية السابق أخطأه الصواب حين الصق بضابط كبير تهمة خطيرة لو سمعت لأوجبت تجريده من رتبته العسكرية .

وكان هذا الحادث من بين عوامل « سوء التفاهم » .

وحدث أن استعرض حضرة صاحب الجلالة الملك فرق الجيش فى موكب المحمل الشريف يوم السبت الماضى وكان يصحب جلالة الملك رفعة رئيس الوزراء ووزير الحربية .

وقد لوحظ أن جلالة الملك لم يوجه كلمة واحدة لمعالى وزير الحربية طول مدة العرض .

لوحظ أيضا أن جلالته التفت إلى رفعة رئيس الوزراء وهنأ رفعته ـ لاوزير الحربية ـ على تقدم الجيش وأثنى على فرقة الدبابات .

وقال رفعة رئيس الوزراء :

ـ ده عمل ستة أشهر بس ياMولانا ..

وتخصص آخر ساعة بضعة صفحات من العدد ٢٣٩ عن بعض المسائل الهامة مشكلة سفر على ماهر باشا الى لندن وعدم موافقة المقامات المصرية على تعيين الأمير عبد المنعم ملكا على فلسطين ، وحول سفر على ماهر باشا الى لندن جاء مايلى :

كانت الصحف على اختلاف ألوانها ، وأحجامها . تتحدث عن ممثلى مصر فى مؤتمر فلسطين . وقد رددت كثيراً من الاسماء ليس بينها اسم رفعة على ماهر باشا رئيس الديوان !

لكن صحيفة واحدة انفردت بالإشارة إلى أن ماهر باشا سيسافر إلى لندن ضمن ممثلى مصر فى المؤتمر ، ولولا أن هذه الصحيفة هى آخر ساعة لأسدينا إليها ماهى أهل له من المدح والإطراء ..

وندع هذه المقدمة ، لنجمع للقراء ، ماتتاثر هنا وهناك من تساؤل الساسة عن الحكمة فى سفر صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا الى لندن ، فى الظروف العصيبة المضطربة التى تواجهها الوزارة الحالية .

صحيح أن رفعة رئيس الوزراء عرض على رفعة رئيس الديوان أن يسافر فى الوفد الذى يمثل مصر فى مؤتمر فلسطين .

ولكن صحيح أيضا أن رفعة رئيس الديوان اعتذر عن عدم الذهاب وقال إن أعماله فى رياسة الديوان كثيرة ولايستطيع أن يغيب عنها ساعة واحدة !

كل هذا يوم الخميس .. فماذا حدث بين يوم الخميس ويوم الأحد حتى أن رفعة على باشا ماهر هو نفسه الذى تحدث بالتليفون مع رئيس الوزراء يبلغه أن جلالة الملك أمره بالسفر إلى لندن !!؟

يقول خصوم رفعة على باشا ماهر إن هذا السفر توطئة للتخلص من رفعته ، وإن أسهمه فى الديوان المللكى فى هبوط ..

وهذا غير صحيح مطلقا .. بل الصحيح أن أسهم رفعته فى الديوان ترتفع كل يوم . وإن كان ليس فى بنوط البورصة مايسمح بارتفاع جديد .

ولكن الثابت أن هذا القرار إتخذ بعد مقابلة تمت بين النائب الانجليزى الفريد بوسوم وبين رفعة رئيس الديوان .

ونستطيع أن نقول إن مهمة رئيس الديوان مصرية أكثر منها فلسطينية ، وصحيح أن رفعة على باشا ماهر مهتم بمسألة فلسطين ، وقد لايعلم الكثيرون انه لعب دورا فى التمهيد للمؤتمر الذى ينعقد فى لندن .

ولكن هذا ليس وحده سبب السفر .. وانما سبب السفر يعود إلى شؤون مصرية صميمة ..

وهى ..

١ ـ التمهيد لزيارة جلالة الملك لبريطانيا .

٢ ـ التحدث فى مسألة الخلافة وبسط رأى المقامات العليا فى الموضوع .

وقد يدهش القراء إذا علموا أن المقامات المصرية لاترحب كثيرا بقيام الخلافة فى مصر .

بل نحن نعلم أن اثنين من كبار الاجانب زارا صاحب المقام الرفيع على باشا ماهر فى مكتبه وسألاه عن رأيه فى الخلافة فقال :

ـ إن جلالة الملك لن يفكر فى مسألة الخلافة قبل خمسة عشر عاما .

والواقع أن للخلافة التزامات تفوق مزاياها ، ولاتستطيع مصر فى الوقت الحاضر أن تنهض بهذه الالتزامات . فمن واجبات الخلافة أن تنشر ظلها على الأمم الاسلامية جميعا ، ولاتميز واحدة منها على الأخرى الا بتقوى الله .. فاذا اعتدت الصين على إيران .. أو بالعكس فقد وجب على موطن الخلافة أن يرسل رئيس هيئة أركان الحرب لتأديب الصين ، وحماية ايران .

ولما كان اللواء شكرى باشا لايستطيع الان ان يتخطى العريش بحال من الأحوال ، فان الحديث عن الخلافة يعد سابقا لأوانه بعشرين سنة على الأقل .

وهذه السنوات العشرون هى المدة التى حددتها المعاهدة لجلاء الجنود الانجليز عن مصر ، وترك البلاد فى حماية أبناء البلاد ! ومن هنا إلى عام ١٩٥٧ تكون مصر قد هيأت نفسها لزعامة الشرق ، وخلافة الاسلام يومئذ يستطيع رئيس هيئة أركان الحرب أن يتخطى العريش إلى الهند والسند والصين واليابان فيؤدب من شاء وينصر من شاء دون أن يتعثر فى خطاه بجيش الاحتلال الراسخ على حدود مصر من جميع الجهات !

٣ ـ سينتهز رفعة على باشا ماهر فرصة وجوده فى لندن ويزيل من أذهان بعض كبار الانجليز الفكرة الخاطئة بأن هناك فى مصر رغبة فى اقامة دكتاتورية وتحالف الجبهة الدكتاتورية التى تتزعمها إيطاليا وألمانيا وليؤكد لهذه الجهات أن ليس لدى رفعته شخصيا أى رغبة أو ميل لشىء من هذا وأن الجهات المختلفة لا تنوى مطلقا التحلل من المعاهدة المصرية البريطانية أو اتخاذ ايطاليا حليفة لمصر بدلا من بريطانيا .

٤ ـ وقد يتحدث رفعة رئيس الديوان بصفة غير رسمية فى شؤون مصر الداخلية التى تهم بريطانيا باعتبارها حليفة لنا ، وقد يجتهد رفعته فى إزالة الظن السىء الذى يشيعه

بعض الناس من نياته إذا دعته الظروف لتولى الحكم . وبهذه المناسبة نذكر أن ما قيل من أن رفعته يسافر إلى لندن ليقنع بريطانيا بوجهة نظره فى إلغاء الدستور .... قول خاطىء من أساسه ، فهذه المسأله من شؤون مصر الداخلية ، والذى نعلمه نحن أن رفعة رئيس الديوان لا يفكر مطلقا فى إلغاء الدستور ... وقد تكون هناك فكرة فى الاكتفاء بمجلس واحد على مثال تركيا ... ولكن مصادر أخبارنا تؤكد لنا أنها تجهل مطلقا أن ثمت نية كهذه النية .

وبعد .. يظهر أن وزارة على ماهر باشا المنتظرة .. أقرب مما يظن الكثيرون ..

وتحت عنوان آخر لحظة تكتب آخر ساعة فى نفس العدد :

كان الجو السياسى فى هذا الأسبوع هادئا مثل النسيم العليل .. فعلى ماهر باشا فى لندن ، والوزراء فى أسيوط وأسوان ، والسفير البريطانى يلعب الجولف ويضع تقريره السنوى عن عام ١٩٣٨ .

ولكن هذا لايمنع من أن الدوائر المختلفة كانت تتساءل طوال الأسبوع عدة أسئلة وكان السؤال الأول هو :

ـ كيف يحكم على ماهر .

إن آراء الجميع متفقة على ان اجراء أى انتخابات جديدة معناه فوز النحاس باشا بأغلبية كبيرة ، وطبيعى أن رفعة على باشا ماهر لا يريد أن يظفر النحاس باشا بأى أغلبية على الإطلاق ..

والحكم بلا برلمان مسألة أصعب من أن يفكر فيها إنسان فى الوقت الحاضر ، وخصوصا وأن حلفاءنا الانجليز ، يوجهون قواتهم لمحاربة الديكتاتوريات على جميع الألوان .. وأبرز الألوان فى الوقت الحاضر ، اللون الفاشستى الأسود !

ولا يبقى إلا أن يحكم على باشا ماهر بواسطة البرلمان الحالى ..

فهل يستطيع هذا !

إننا نعلم أن على باشا ماهر يستطيع أن يحكم بواسطة هذا البرلمان ، ونعلم أن هناك قائمة بأسماء ١٢٠ نائبا مستعدين أن يؤيدوا وزارة على ماهر أو أى وزارة ترضى عنها السراى !!

ولكن الدوائر الوزارية تعتقد أن الحالة الدولية تمنع من إجراء تغيير وأن من رأى حليفتنا بريطانيا أن رأى تغيير فى طريقه الحكم يؤدى الى ارتباك أو على الأقل يحتمل أن يؤدى الى ارتباك ، وقيام حكومة جديدة بتجربة جديدة أمر لا يتناسب مع الظرف الذى تجتازه البلاد اليوم ، وهو ظرف من المحتمل كثيراً أن يؤدى الى قيام حرب عالمية ...

ومع أن الكثيرين يعتقدون أن خطر الحرب قد زال إلا أن بعض الجهات تلقت بيانات يلوح منها أن موسولينى يفكر فى رد الضربة التى تلقاها من مستر تشمبرلين كهدية بمناسبة العام الجديد .

وقد وصلت إلى الحكومة الفرنسية أنباء بأن بريطانيا تستعد للزحف على ميناء جيبوتى ...

ولهذا فان فرنسا بدأت تضاعف حاميتها هناك .

هذا ماتقوله الدوائر الوزارية ...

ولكن دوائر أخرى علمية تعتقد أن هذه الحالة الدولية التى ستؤدى حتما إلى قيام الانقلاب !

ذاع بعض الدوائر الاجنبية أن مستر بالكولم ماكدونالد وزير المستعمرات أعد حلا لمسألة فلسطين ، وهذا الحل هو إنشاء دولة مستقلة فى فلسطين يتولاها ملك ، ويحكمها مجلس نيابى فيه ٦٠ ٪ من العرب المسلمين والمسيحيين و٤٠ ٪ من اليهود .

وأن بعض الدوائر المالية البريطانية تؤيد ترشيح الأمير محمد عبد المنعم ملكا على فلسطين عند تحقق هذا المشروع .

ثم إن بعض كبار الانجليز يقترح أن يكون الأمير محمد عبد المنعم نائب ملك viceroy من قبل جلالة الملك فاروق مثل نائب الملك فى الهند ، ويقولون إن دولة مؤلفة من مصر وفلسطين تحل مشكلة اليهود وتستطيع أن تتزعم الدولة الاسلامية وتصد تيار الدعاية الايطالية والألمانية فى الشرق الأدنى وتساعد على إيجاد التوازن فى البحر الأبيض المتوسط .

ولم يدر حتى الآن حديث مع السلطات العربية الرسمية فى هذا المشروع ، ولكن جرى شىء يشبه جس النبض ، وتساءل انجليزى كبير إذا كان من حظ الأمير عبد المنعم أن يتزوج من صاحبة السمو الأميرة فايزة وبذلك يمكن توثيق العلاقات بين مصره وإمارة فلسطين ...

هذا هو الاقتراح البريطانى برمته وتفصيله .

ولكن هناك اقتراح يقدمه بعض أصدقاء الملك ابن السعود من الانجليز .

وهذا الإقتراح يقضى بتنصيب الأمير فيصل النجل الثانى للملك ابن السعود على عرش فلسطين ، وفى مقابل موافقة الحكومة المصرية على هذا الاقتراح يقبل الملك ابن السعود مبايعة جلالة الملك فاروق بالخلافة .

وقد سألنا نحن الدوائر المصرية الرسمية العليمة فعرفنا أن المقامات المصرية

العالية لاتوافق على اقتراح ضم فلسطين لمصر او تنصيب الأمير عبد المنعم ملكا على فلسطين .

فان فلسطين فى حالتها الحاضرة دولة ليست مأمونة العواقب ، ولو فرضنا جدلا أن نتائج مؤتمر لندن سترضى جميع الطوائف والاحزاب فليس من المنتظر أن تستقر الحالة فيها وتتلاشى الاضطرابات والجزازات الشخصية ، وهكذا ستبقى فلسطين عبئا ثقيلا على كاهل مصر .

ثم إن تنصيب أمير مصرى على فلسطين يلقى على مصر مسئوليات هى فى غنى عنها ، فهى مضطرة أن تساعدها حربيا فى حالة قيام أى ثورة داخلية تسعى لخلعه من العرش ومن هنا ترى هذه الدوائر أن ملك فلسطين سيكون حملا مرهقا على كتفى الحكومة المصرية الضعيفتين .

أما مسألة مصاهرة الأمير محمد عبد المنعم لصاحبة السمو الملكى الأميرة فايزة فهى ليست محل بحث ولن تكون محل بحث ، ولعل من اكبر الأسباب فى هذه الاستحالة هو تباين السن بين الأمير والأميرة فالأمير عبد المنعم فى الأربعين من عمره والأميرة فايزة فى السادسة عشرة من عمرها .

وقد لاحظنا من اتصالنا بالوفود العربية والفلسطينيين على الخصوص من أنهم لا يرحبون بتولى أمير مصرى عرش فلسطين وسمعنا واحدا منهم يقول إن فلسطين لم تثر ضد احتلال الانجليز لتقبل احتلالا جديدا من المصريين .. !!

وتشير آخر ساعة [العدد ٢٤١ الصادر فى ١٣ فبراير] الى اسباب بقاء محمد محمود باشا فى الحكم بعد كل الذى صادفه ، وبعد كل ما قالوه .. وننقل على لسان محمد محمود باشا قوله انه هو شخصيا سأل نفسه هذا السؤال ، وأنه يعلم جيدا انه مجرد من جميع ملذات الحياة فهو فى الصباح فى الوزارة وفى المساء فى البرلمان ويحب ان يلعب الطاولة وان يقضى الوقت فى الدراسة ويقول محمد محمود باشا إنه باق فى الوزارة لانه يعتقد أنه يستطيع ان يحترم جلالة الملك فى نبضه هذا وفى اليوم الذى نجد فيه آخر يقوم بهذه المهمة خير قيام فإنه سيستقيل من الوزارة فى الحال .

وحول ماصوره البعض من أن محمد محمود باشا يستعين بالانجليز من موظفى السراى قالت آخر ساعة مع مابيننا وبين رفعة رئيس الوزراء ، الا اننا ننفى عن رفعته استبداد الانجليز على السراى بل إنه ـ محمد محمود ـ لم يسمح ابدا للانجليز بالتدخل فى شئون السراى وقد ضربت مثلا ان كان رفعة محمد محمود باشا فى لندن فاراد احد الوزراء الانجليز أن يستدرجه الى الحديث عن تدخل رئيس الديوان فما كان من رفعته الا أن نظر الى صورة على الحائط وقال : هذه الصورة جميلة ، وهكذا تخلص رفعته من الحديث عن رئيس الديوان .

● وفى نفس العدد (٢٤١) ننفى ان على ماهر باشا ، وهو فى لندن تلقى انذارا من الانجليز ويعلق على انضمام الانجليز بموضوع الجيش عن خبر على ماهر باشا. تقول آخر ساعة :

ذاعت فى الأسبوع الماضى إشاعة غريبة تتلخص فى أن اللورد هليفاكس وزير الخارجية البريطانية أمسك صاحب المقام الرفيع على باشا ماهر من أذنه وفركها بشدة وطلب إلى رفعته أن لايثير أمام رفعة محمد محمود باشا المشاكل ويلقى أمامه الصعاب ..

ثم تقول الاشاعة إن هذا التحول فى السياسة البريطانية هو الذى جعل الوزارة المصرية تستأسد ، ويتحول الأقزام إلى عمالقة ، والضفادع الوديعة إلى حيتان !

وإن الوزارة بدأت « تشم نفسها » هذه الأيام ، وإنه ابتداء من اليوم والأيام التالية سيدخل على ماهر باشا فى « الشق » ..

ويخرج الوزراء إلى الميدان !

هذه هى الاشاعة الغريبة التى وجدت للأسف من يرددها بين بعض الناس الذين لا يعرفون مايفيد ومالا يفيد ..

والواقع اننا تلقينا من لندن ما نستطيع به أن نؤكد أن شيئا من هذا لم يحدث ، وأن حديثا كهذا لم يتم ..

ومن غير المعقول أن يضرب وزير الخارجية البريطانية رفعة على باشا ماهر « علقة » فى بداية مؤتمر فلسطين ، وهو محتاج الى رفعته ليكون واسطة بين العرب واليهود .. فالذى تعرفه الدوائر العليمة أن مصر لم تحضر الى مؤتمر فلسطين إلا لتلعب هذا الدور الكبير ..

وعن الاهتمام بموضوع الجيش تقول آخر ساعة : ان تطورا جديدا حدث فى مصر لافى لندن :

التطور هو أن الحكومة البريطانية بعد ان كانت تقف وقفة المتفرج فى أزمة الجيش تبتسم ساخرة بالبلد الذى ثارت فيه آلاف المشاكل وهو فى السنة الثالثة من سنى الاستقلال بينما كانت مرتبات الموظفين ترفع وتنخفض ، وسنين الدراسة تزيد وتنقص فى عهد الاحتلال فلا تفتح طائفة ما فمها ولا تقول « بم » ولا تسأل تلت الثلاثة كام ! ..

فلما قامت ازمة الجيش وبدأ تذمر الجيش .. تدخلت الحكومة البريطانية بصفة ودية وقالت إنها بصفتها حليفة لمصر يهمها جدا أن يكون الحال فى الجيش على أحسن

مايرام .. وإن هذا التذمر الذى يقوم فى الجيش يضعف ثقتها فى مبلغ « المعاونة » التى تستطيع مصر أن تؤديها فى زمن الحرب .. فتذمر الضباط ونحن على أبواب حرب طاحنة يجعل الحكومة البريطانية تشك فى أن الحكومة المصرية تستطيع أن تقبض على ناصية الجيش عند اللزوم .

ووصل هذا الرأى إلى من يهمهم الأمر .. وكان أن تمسكت الحكومة بوجوب قمع حركة التذمر بين الضباط بكل حزم ..

وقيل إن رفعة رئيس الوزراء قال لزملائه إنه يفضل أن يستقيل من الوزارة قبل أن تلفت الحكومة البريطانية نظره إلى هذا بصفة رسمية فتكون أول لطمة تتلقاها مصر ويتلقاها الاستقلال !

وكانت قد ثارت زوبعة سياسية بل ثورة سياسية فى أواخر فبراير ١٩٣٩ بمناسبة الكلمة السامية التى اذاعها الملك على الشعب بمناسبة عيد رأس السنة الهجرية .. وياليته رغم أن أحدا لا يؤثر فى قراره .. وتنقل آخر ساعة فى العدد ٢٤٣ صدى تلك الكلمة فى بعض الدوائر :

وقف بعض الوزاريين طويلا عند قول جلالة الملك « إننى أومن ـ ومر الأيام يؤيد إيمانى ـ أن شباب مصر المتوثبة للمجد ، سيكتبون صحيفة خالدة فى تاريخ الوطن ،، وفى استطاعتهم أن يصنعوا من هذا الوطن العزيز مصر العظيمة المتحدة التى هى آمالنا وأحلامنا وعلى الشباب وحده تحقيق هذا الحلم ، وقد فهم هذا البعض من الوزاريين أن جلالة الملك يرى أن جيل الشيوخ الحاكمين لم يعد صالحا لتولى أمور البلاد وأن مصلحة مصر فى أن يحكمها الشبان ، ولما كان متوسط عمر أعضاء الوزارة الحالية بين السابعة والأربعين والسبعين فقد حسبوا أن هذا القول الكريم إشارة للوزارة بالاستقالة ..

والذين ابتكروا هذا « التخريج » لم يكونوا من أنصاف المتعلمين وإنما كان من بينهم وزراء وكبراء .. وسمعنا أن بعض الوزراء إقترح على رفعة رئيس الوزراء الاستقالة فقال رفعته إنه سيبقى حتى الانتهاء من الأفراح الملكية ثم يستقيل بعد ذلك لان الاستقالة الآن قلة ذوق .

والآن نحب أن نرجع خطوة إلى الوراء .. ونجيب على السؤال الذى نسمعه هنا وهناك وهو .. كيف كتبت الخطبة ؟

والذى نستطيع أن نؤكده أن ماتضمنته الخطبة من أفكار وآراء سبق أن أبداها جلالة الملك للعظماء الذين تشرفوا بمقابلته .. ولو رجع رفعة رئيس الوزراء بذاكرته قليلا لوجد أنه سمع كل هذا من المليك فى مقابلات متعددة .

ولا ننكر أن الخطبة الملكية كانت مفاجأة للكثيرين .. غير صحيح ماقيل من أن صاحب السعادة أحمد محمد حسنين باشا الأمين الاول لجلالة الملك ذهب وقابل رفعة رئيس الوزراء وعرض عليه الخطبة قبل إلقائها .. غير صحيح مطلقا فان سعادة حسنين باشا نفسه لم يسمع بهذه الخطبة الا قبل القائها بدقائق .

ولم تجر التقاليد بعرض أمثال هذه الخطب الملكية على رفعة رئيس الوزراء ، لأن الخطبة ليست سياسية ، حتى تعرض على رئيس الوزراء أو مجلس الوزراء ، وإنما هى نداء وطنى وجهه الملك الى شعبه فى الوقت الدولى العصيب الذى يجتازه العالم الآن

ونحب أن نلخص هنا المعانى التى اشتملت عليها الخطبة ، فى سطور :

١ ـ أراد جلالة الملك أن يسن تقليدا جديدا فتحدث الى شعبه بلا كلفة

٢ ـ أراد جلالته أن يعلم من لا يعلم « أنه لا يستطيع أن يؤثر فى جلالته أحد » وأن القصر هو الملك فاروق وحده .. وفاروق فوق المطامع وفوق الشهوات .

٣ ـ أبواب السراى مفتوحة لجميع ذوى الخبرة من الرجال على اختلاف احزابهم وميولهم ، وجلالة الملك لا يكون رأيه الا بعد أن يسمع آراء الجميع ويناقشها

٤ ـ إن الملك يريد أن يثير حماسة الشبان حتى يحققوا حلم جلالة الملك الاكبر ، وهو أن تكون مصر فوق الجميع .

٥ ـ ليس فى الخطبة أى إشارة أو معنى يفسر على أنه نقد للسياسة البريطانية أو لسياسة أى دولة أجنبية ، وجلالة الملك يصرح دائما بأنه يجب أن تكون علاقات مصر بكل الدول وخاصة بريطانيا ، على أحسن مايرام .

وننتهى من هذا كله إلى القول بأن جلالة الملك سينتهز كل مناسبة ليتحدث الى شبعه حديثا غير رسمى ، وأن جلالته كان ينوى أن يتحدث فى ميلاده السعيد ولكنه شعر بانفلوانزا ارتفعت معها درجة حراراته إلى ٣٩ ، وتأثرت بها أذن جلالته .

ونحب أن نؤكد أن احداً من كبار رجال السراى لم يعلم بالخطبة قبل إلقائها وأنهم فوجئوا بها .. وقد قال جلالته : « أنا أريد أن يعرفنى الشعب كما أنا لأننى أعرف الشعب كما هو » وقد سمعنا أن جلالة الملك قال : « أنا الذى وضعت الخطبة بنفسى » .

ونذكر هنا ، أن جلالته بعد أن فرغ من وضع الخطبة ، دعا إليه الأستاذ احمد يوسف بك ، وأملاها عليه .

والأيام القليلة المقبلة ستقوم بشرح المعانى العظيمة التى انطوت عليها خطبة جلالة الملك ، وأن الشعب الذى وثق بالملك سيعرف أن مليكه يفكر فيه دائما ويسعى لإسعاده .

وقد لا يمضى وقت طويل حتى يعلم الناس أن ليس للسراى رجل معين ، ولا حزب معين ، ولا طائفة معينة ، وإنما هى - اى السراى - للجميع ، وفوق الجميع .

ونستطيع ان نقول ان لكل حزب أن يرفع الى جلالة الملك رأيه فى الحالة السياسية ، ولكل طائفة أن تبث شكواها ومظالمها وسوف تكون كل شكوى محل دراسة جلالة الملك شخصيا ..

وقد تكلمنا اليوم بمافيه الكفاية ، ونترك للأيام القادمة أن تتم بقية الحديث !

وعندنا بدأت تذر الحرب العالمية الثانية تبدو فى سماء العلاقات الدولية كان واضحا للغاية ، ان آخر ساعة قد اتخذت موقفها الى جانب الانجليز والفرنسيين [الحلفاء] ضد المانيا النازية وأختار هنا تعليقا نشرته آخر ساعة العدد (٢٥٠) الاحد ٢٣ ابريل ١٩٣٩ تحت عنوان جنود المانيا الشجعان فى شوارع القاهرة مشيرة .. وبنبط عريض الى كلمة جاءت على لسان جوبلز وزير الدعاية الالمانية وجهها الى جنود المانيا الشجعان قائلا : كلما رأيت الجنود الانجليز الاطفال يسيرون فى شوارع القاهرة ساءلت نفسى كم يكون جميلا لو زان شوارع القاهرة جنودنا الالمان وسيكون هذا خير مكان لهم .

وتقول آخر ساعة :

لم يصدق أحد ، حتى ولا فى مصر ، ان الدكتور جوبلز وزير الدعاية فى المانيا كان قد غادر برلين يوم غادرها على متن طائرة للراحة والاستجمام .

للراحة والاستجمام هو وزميله جورنج فى وقت واحد .. وهما ذراعا هتلر اليمنى واليسرى ، وفى وقت خرجت فيه زبانية جهنم وشدت طبولها استعدادا للحرب والقتال .

لم يصدق أحد حكاية الراحة والاستجمام هذه ، واذا كانت ادارة الامن العام قد تظاهرت بانها صدقت ان جوبلز قد هفه الشوق الى مصر وجوها ونيلها واهرامها فجاءها ليستريح ويستجم ٢٤ ساعة فقط لاغير .. اذا كانت ادارة الامن قد تظاهرت بتصديقها لهذه الحكاية ومن ثم اذنت لذراعى هتلر اليمنى او اليسرى بدخول مصر ، فلم يكن ذلك منها لانها ادارة عامرة بالمغفلين والسذج كما قد يتبادر الى ذهن كل طويل اللسان ، وانما كان ذلك منها حرصا على قواعد الذوق السليم والقانون الدولى وكلها تأبى عليك ان تمديدا للدفاع عن نفسك الا بعد ان يرن القلم على قفاك .

ومادامت حالة الحرب لم تعلن بعد بين ألمانيا ومصر ، ومادامت المانيا لا تزال ممدودة بين الدول الصديقة .. فانه لم يكن فى وسع احد ان يمنع الدكتور جوبلز من

دخول مصر ومن ان يقابل جنابه من يشاء ، ومن ان يجتمع بمن يشاء ليقول لهم مايشاء .

ولقد فعل جنابه .. فهل عند ادارة الامن العام علم بما قال أو علم بمافعل ؟

اتصلت بنا هذه الواقعة من مصدر جدير بالتصديق ، وإلا لترددنا فى نشرها .. ولكن اذا لم تكن هذه الرواية صادقة فلماذا حضر إذن جوبلز الى القاهرة ؟ للراحة والاستجمام ؟ .. كلا .. وانما حضر للاجتماع بأقطاب الجالية الالمانية فى مصر والبحث معهم فى كذا وكذا وكيت .. اذا ماقامت الحرب .

ولقد اجتمع جنابه بأقطاب الجالية الالمانية وتباحث معهم فى شئون خطيرة وهنا لا ندعى العلم بما دار فى هذا البحث .

ولكن جنابه اجتمع كذلك بأفراد الجالية الألمانية فى (البيت الألمانى) فى بولاق وخطب فيهم وكان بينهم مصريان اثنان بالطربوش . ويجد القارىء فقرة من الخطبة المذكورة نقلها إلينا الراوى المحترم ونشرناها على هذه الصفحة داخل اطار .

ثم هل تعلم ادارة الامن العام ان التعليمات قد صدرت الى كل المانى والمانية فى القاهرة يملك سيارة خاصة بأن يسجل لدى السلطات الألمانية رقم سيارته ومكان « الجاراج » التى تودع فيه وأن يكون على استعداد لينطلق بسيارته عند أول اشارة الى مكان فى الصحراء سوف يعين له فيما بعد ؟ .

ثم هل تعلم ادارة الامن العام انه وصل الى مصر تشكيلة من الراقصات الألمانيات والنمساويات والمجريات ، وأن هؤلاء الراقصات على علاقات وطيدة بكثير من الكبراء وانهن يجالسن ضباط الجيش المصرى ؟ . فهل تنبهت وزارة الدفاع الى منع ضباط الجيش من مجالسة الراقصات الأجنبيات لأن من المحتمل جدا ان هؤلاء يشتغلن بالجاسوسية لحساب دولة أجنبية ؟

وتؤصل آخر ساعة الخلاف بين رئيس الديوان الملكى على ماهر باشا ووكيله البندارى باشا تذكر ان على ماهر باشا محروج من البندارى باشا وان البندارى باشا قدم استقالته ولكن الملك رفضها وان خروج على ماهر باشا من السراى خسارة كبرى .

وان الملك يعطف على على ماهر غير انه ـ الملك ـ يودأن تكون العلاقات بين موظفى السراى على مايرام وان على ماهر لايزال مصرا على عدم قبول اعتذار البندارى باشا وانه يرى أن التعاون بينهما ـ على ماهر والبندارى ـ قد اصبح مستحيلا وقد اقترح البعض ـ آخر ساعة ـ على محمد محمود باشا ان يعين البندارى باشا وزيرا للزراعة ، فقال انه يفضل ان تستقيل الوزارة كلها .

وتؤكد آخر ساعة ان على ماهر سوف يعلن هذا الاسبوع ، كما ترى آخر ساعة ـ على لسان بعض الدوائر الانجليزية ـ ان افكار البندارى باشا واعماله ضد الديمقراطية وضد المعاهدة المصرية الانجليزية ...

وتعود آخر ساعة فى العدد ٢٥٤ الى حديث البندارى باشا ، ورئيس الوزراء على النحو التالى .

انتهت الجولة الثالثة فى مباراة المصارعة اليابانية بين صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا وبين صاحب السعادة كامل البندارى باشا .. وتقول المصارعة اليابانية لأنها اللعبة الرياضية الوحيدة المباح فيها كل سلاح ..

وانتصر ماهر باشا وجلس يجفف عرقه وهو ينظر الى غريمه وهو ملقى على الأرض وقد بدت عليه آثار اللطمات واللكمات ..

وصفق الذين شهدوا المباراة للغالب ، ولكنهم تساءلوا هل سيبقى حاملا للقب « بطل العالم » أم يعتزل اللعبة شأن الأبطال العالميين ؟ ! ..

والأنباء التى لدينا تدل على ان مستقبل ماهر باشا بين يديه ورهن لباقته وحصافته ، وأنه بشىء من المرونة والكياسة ـ أو على الأصح بكثير منها ـ يستطيع ان يحتفظ باللقب ... فالسياسى الماهر هو الذى يحنى رأسه للعاصفة ولايقف فى طريقها ، لأن العاصفة موجودة ولم تنته بخروج البندارى باشا ، فاذا وقف ماهر باشا فى طريقها اقتلعته وإذا أحنى رأسه لها مرت به وتركته بسلام ! . أو كما قال لنا أحد الكبراء ان واجب ماهر باشا أن يلعب دور شجرة البلوط .. فالريح تمر على شجرة القمح فلا تصيبها بسوء وتمر على شجر البلوط الضخمة فتقتلعها من الجذور ..

والذى سمعناه فى هذه الايام هو أن صاحب المقام الرفيع قد استطاع أن يستعيد إلى حد كبير إتزان أعصابه ومن ثم قابل فوزه على غريمه البندارى باشا بكثير من الهدوء .

ونحب ان نقول هنا ان هذه الأزمة بدأت منذ اليوم الأول لوصول على ماهر باشا إلى مصر .

فقد أمر جلالة الملك عند وصول على ماهر باشا إلى الاسكندرية بأن يعود إلى مصر على قطار خاص لأن جلالة الملك يرغب فى رؤيته ليلة وصوله ، وقيل ان هذا من مظاهر التكريم الخاص ، وأراد صاحب الجلالة ان يحبو بها رئيس الديوان !

وتساءل الناس عن سبب رغبة جلالة الملك فى رؤية على ماهر باشا فى الحال ونكشف اليوم الستار ونقول ان جلالة الملك جابه رفعة رئيس الديوان بما سمعه فى اثناء غيابه ، وقد تعود جلالة الملك ان يكون صريحا مع رجاله .

ويظهر ان البندارى باشا كان على علم بما ينتظر ان يحدث لرئيس الديوان لأنه تخلف .

ويقول اصدقاء على ماهر باشا ان رفعته لم يستقل بعد تشرفه بمقابلة جلالة الملك ليلة وصوله بل وباشر أعماله لأن زيارة سمو ولى عهد إيران لم تكن انتهت بعد ، ولهذا لم ير ان يثير أزمة فى اثناء وجود الضيف الكريم فانتظر حتى سافر سموه الامبراطورى وبعد ذلك قدم استقالته .

ثم ان على ماهر باشا لم يوعز بنشر خبر استقالته بل الذى فعله ان صحفيا كبيرا إتصل بماهر باشا عندما سمع بخبر الاستقالة فى منتصف ليلة ٥ ابريل سأله عنها فألح ماهر باشا فى عدم نشر خبر الاستقالة وقال إن الاستقالة لم تقبل ولهذا لا داعى لنشر أى شىء عنها .

فمن هو إذن الذى عمل على نشر الاستقالة ؟ !

إنه « فاعل خير » .. وهو الذى دبر هذا المقلب الذى وقع فيه رفعة رئيس الديوان !

ونعود الى سعادة البندارى باشا فنقول إنه ذهب صباح السبت الماضى وقابل رفعة رئيس الوزراء فى داره ، وكان سعادته متهيجا وعصبيا جدا .

وجلس سعادته يروى التهم غير الصحيحة التى اتهم بها مدللا على عدم صحتها .

فقال له رئيس الوزراء :

- يا بندارى إهدأ . إنت رجل رياضى خليك « أسبور » واحمد ربنا إن الحكاية جت كده .. وإن شاء الله تسافر أوربا وتستريح ، ومن يعلم فقد تتحسن الاحوال ... وأحسن إنك تبقى عاقل وتسكت .

فقال البندارى باشا :

أنا مظلوم وشهيد .. مظلوم لأننى لم أفعل شيئا مما يقوله ماهر باشا .. وشهيد اخلاصى وحبى لماهر باشا . أنا إللى كنت بدافع عن ماهر باشا . وأنا إللى كنت مخلص له ومع ذلك اجازى جزاء سنمار .

وعرض رفعة رئيس الوزراء على البندارى باشا منصب وزير مصر المفوض فى السويد والنرويج .

وبينما البندارى باشا يتحدث مع رفعة رئيس الوزراء أقبل سعادة السفير البريطانى .

وأراد البندارى باشا أن ينتهز الفرصة ليستشهد بالسفير البريطانى على براءته وأن يفتح المسألة من جديد .. ولكن رفعة رئيس الوزراء طلب إلى سعادته أن لا يثير المسألة لأنها انتهت ..

وبعد أن انتهت المقابلة أرسلت صاحبة العصمة حرم البندارى باشا إلى رفعة رئيس الوزراء من يبلغه أن لها رجاء وهو أن يعين زوجها فى بلجيكا بدلا من السويد لأن عندها تسعة أطفال يتعلمون فى المدارس الفرنسية (الفرير) وليس فى السويد مدارس كهذه ، بينما اللغة الفرنسية هى اللغة السائدة فى بليجكا وفيها مدارس كثيرة للفرير ..

فما كان من رفعة رئيس الوزراء إلا أن أجاب هذه الرغبة فى الحال ..

ولما سأله بعض أصدقائه كيف يقبل أن يفعل هذا مع البندارى الذى فعل معه كذا وكيت .. قال رفعته إنه لم ير من المروءة أن يحرم البندارى باشا طلباً له وهو صريع فى الميدان ، وإن كان يأباه عليه لو كان منتصرا فى الموقعة ...

وسمعنا أن بعض أصدقاء البندارى باشا نصحوه برفض هذا المنصب وبالبقاء فى مصر ، لأنه بخروجه من مصر يضحى بمستقبله السياسى الذى قد يكون « عظيما » ... ولكن البندارى قال لهم ان جلالة الملك أمره بالسفر وهو لهذا مضطر لاطاعة الأمر الكريم ...

ويقول المتصلون بالبندارى باشا إن نقل سعادته الى منصب آخر يدل على أن أصحاب الشأن يرون أنه برىء من التهم التى كالها له ماهر باشا ، وإلا فاذا كان حقيقة خائنا لأصدقائه ويوقع بهم ويروى حكايات غير صحيحة أو لو كان على صلة بأحزاب متصلة ببلاد أجنبية لما رضى أصحاب الشأن أن يعين وزيرا مفوضا أى ممثلا لجلالة الملك فى الخارج فتعيينه فى هذه الوظيفة هو حكم بالبراءة ! ..

والبندارى باشا محام مدنى معروف ... ولكن القضية التى يترافع فيها ليست قضية مدنية للأسف الشديد !

وهكذا انتهت رواية سياسية مثيرة قل أن شاهدنا مثلها على المسرح السياسى فقد جمعت بين المفاجآت وبين جميع انواع التمثيل من كوميدى الى تراجيدى إلى دراما والنوع الوحيد الذى لم نره فى هذه الرواية هو الأوبرا .. ولعل السبب فى حرماننا منه أن البندارى باشا لا يجيد الغناء وهو أمر قابلته الدوائر الغنائية بالأسف الشديد !

ويصف الاستاذ مصطفى أمين ـ آخر ساعة العدد ٢٨٣ ـ لقاء للصحفيين المصريين مع مستر ايدن وسيرمايلز لامبسون : وذلك على النحو التالى :

فى الأسبوع الماضى جاءتنى دعوة من السفير البريطانى لمقابلة مستر ايدن وزير الممتلكات المستقلة .

ولقد ترددت كثيراً فى قبول الدعوة والذهاب الى السفارة البريطانية لمقابلة مستر إيدن ولكنى انتهيت الى قبولها لأن مستر إيدن من الشخصيات العالمية القليلة التى تثير كثيراً من الفضول وكثيرا من الاعجاب والعجب فى نفس كل صحفى .

فهو الرجل الذى استطاع ببلاغته وقوة حجته ان يثير عصبة الأمم فى سنة ١٩٣٥ وان يؤلب أمم الارض ضد إيطاليا .. ثم عاد بعد اسابيع معدودة واعترف بأن نظام « العقوبات » ضد إيطاليا لم يفلح .

وهو الرجل الذى عارض ضد سياسة اللين أو التسكين أو التسليم لألمانيا بكل ماتطلب .. وقال يومها ان هذه السياسة لن تجدى نفعاً مع رجل مثل هتلر ، وحذر بنى قومه وحذر العالم من هذه السياسة سياسة التفريط ، ودعا الى الأخذ بسياسة الشدة وهى السياسة الوحيدة التى يفهمها هتلر .

ولقد كلفته هذه الصراحة منصبه ، فاستقال من وزارة الخارجية البريطانية .

ثم حققت الأيام صدق نظره ، فلم يكن هناك بد من استدعائه الى الوزارة من جديد .

وهو الرجل الذى سافر فى العام الماضى الى امريكا ليلقى فيها بضع محاضرات عن السياسة الدولية وعن هتلر والمانيا النازية ، فاستقبله الامريكان كما يستقبلون كواكب السينما وأبطال الملاكمين وهذا اكبر شرف يمكن لامريكا ان توليه لمخلوق .

وعلى رصيف ميناء نيويورك احتضنته المعجبات من الامريكيات ، وتهاطلت القبلات على وجنتيه .

وكان بين الأسئلة التى وجهها اليه صحفيو امريكا : (ماهو اسم ترزيك ؟ كيف تختار لون رباطات الرقبة ؟ هل تظمن ان لون الجوارب يجب ان يتفق مع لون الكرافته والمنديل ؟)

ذلك لأن مستر ايدن معدود « أشيك » سياسى فى العالم الآن ، وهو شخصية محبوبة عند النساء .

ولما استقر بنا المقام فى احدى قاعات السفارة البريطانية ، دخل علينا مستر ايدن والى جانبه ميلز لامبسون .

وأفضى مستر ايدن بكلمة طويلة نشرتها الصحف يومها ثم دعانا للكلام .

وهنا تكلم كل من أصحاب السعادة الدكتور حسين هيكل باشا وجبرائيل تقلا باشا وفارس نمر باشا .

وكان كلامهم عن الصداقة والمحالفة والعواطف الخالصة التى تجيش بها صدور المصريين نحو حليفتهم انجلترا وحلفائهم الانجليز .

وقلت همسا لجارى الأستاذ انطون الجميل بك .

ـ الا تتكلم ؟

قال : وماذا أقول بعد الذى قالوه ؟ قلت : قل شيئا جديدا .. قل لهم : « حالفناكم أو لم نحالفكم ، أحببناكم أو لم نحبكم ، أخلصنا أو لم نخلص لكم .. معاهدة أو لامعاهدة ، فان موقفنا فى هذه الحرب يجب ان يكون معكم لأن مصلحتنا العملية هى فى الوقوف الى جانبكم »

ـ طيب ماتقول الكلام ده أنت ؟ ولكنه « حيائى » سامحه الله !

وقدمنى الزميل الصديق كريم ثابت الى مستر ايدن .

وقال مستر ايدن انه كان بدأ يدرس اللغة العربية ، ولقد قطع فى دراستها شوطا لابأس به ثم جاءت الحرب ومشاغلها .

ثم قال : ولكننى مع ذلك استطيع أن اتصفح الجرائد العربية وأفهم بعض ماتقول .. ولقد قتلت الوقت عند عودتى بالطائرة من فلسطين فى تصفح الجرائد العربية

ثم انضم الينا السفير البريطانى وقال :

آخر ساعة بذاتها وشخصها ؟

قلت نعم

قال سعادته : انهم يترجمون لى منها المقالات التى يهمنى الاطلاع عليها

سألته : هل استطيع ان اعرف ماهى الموضوعات التى يهم سعادتكم الاطلاع عليها ؟

فضحك وقال : آه لا .. هذا سر المهنة .

ثم التفت سعادته الى الزميلين الأستاذين اميل بك زيدان وشكرى زيدان وهنأهما على « المصور » وحسن طبعه .

وسألنا سعادته عن « مقطوعية » بعض الصحف اليومية وما يباع من كل منها ..

وذكرنا له أرقاما نمتنع عن ذكرها هنا بحكم « سرية » المهنة ومراعاة لخاطر الزملاء .

ثم تذكر سعادته مجلة « ايماج » وقال إنه امر بشرائها كل أسبوع لكى يطلع عليها .

وهنا هزت الاريحية والكرم الزميلين الفاضلين فقالا للسفير إنهما سوف يرسلانها الى سعادته كل أسبوع .

وشكرهما السفير وغادرنا لكى يحيى ضيوفه الآخرين .

واخرج الاستاذ شكرى زيدان ورقة وقلما من جيبه لكى يأخذ مذكرة بارسال « ايماج » الى السفير البريطانى .. ثم تذكر فجأة وقال :

ـ ولكن أنا نسيت اسأل السفير عن عنوانه إيه ؟

وعن الحالة الدولية (العدد ٢٨٥) يكتب مصطفى أمين عن الموقف [illegible] والموقف المصرى ، ماذا فى الوزارة ، فى البرلمان ، فى الوفد فى [illegible]

إذا أردنا أن نغفل الحقيقة الواقعة وهى ان « الموقف فى [illegible] الأدنى خطير جداً » كنا كالنعامة تخفى رأسها فى الرمال وتظن انها بذلك [illegible] العيون ، فالمؤكد أن الحالة الحربية تتحرج يوما بعد يوم ، وأن الحرب ستشتد ابتداء من اليوم والايام التالية ولن تكون حربا هادئة كالتى شهدناها فى الستة الاشهر الاخيرة فان روسيا وإيطاليا لم تحددا موقفهما بعد ، ولم تقررا مكانهما فى واحد من المعسكرين المتحاربين . وليس لروسيا أهمية من الوجهة الحربية بعد « الخيبة القوية » التى منيت بها جيوشها فى فنلندا واضطرت ان تكرس جميع قواتها ومعداتها وهى الدولة التى يبلغ تعدادها اكثر من مائة مليون لتحارب شعباً عدد سكانه ثلاثة ملايين .. ولكن الدولة التى يحسب حسابها هى إيطاليا ، ولقد بدأت بريطانيا تقتنع بالسياسة الفرنسية التى تقول إن على موسولينى أن يكشف عن ورق اللعب الذى فى يده وإن عليه ان يختار بين اليمين واليسار ، ولانعرف نحن أين سيقف موسولينى ، ولكننا نعرف ان انجلترا وفرنسا تفضلان العداوة الصريحة على الصداقة المشكوك فيها .

ثم ان الظروف الدولية الخطيرة علمت بريطانيا أن تعدل عن سياسة الملاينة والملاطفة والابتسام ، ولهذا صادرت الفحم المرسل الى ايطاليا ، وحدثت حادثة الباخرة التمارك ، وفتشت البواخر الامريكية التى تحمل البريد الى اوربا ، وهى سياسة حازمة تستوقف النظر وتستحق أن تتخذها دليلا على موقف بريطانيا فى كثير من المشاكل التى ستجد فى المستقبل .

اما الموقف الداخلي فله علاقة وثيقة بالموقف الخارجي . وما من شك ان مصر وهي نقطة الارتكاز العسكري لجيوش الحلفاء في الشرق الادنى لها أهمية كبيرة وستكون ميدان نشاط دبلوماسي عسكري يضطرد مع حروجه الحالة الدولية في ايطاليا والبلقان ، وهكذا نرى ان الحالة الداخلية في مصر ليست الا نقطة في بحر واسع ، وان هذه الحالة متصلة في الحالة الخارجية إتصالا كبيراً .

ولكن هناك أمور ليست في صميم الموقف الداخلي ، وانما هي أمور على هوامشه ونحب ان يعرف عنها القارىء بعض مانعرف وهي :

أولا : ان صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا مسرور من رحلته في السودان ، ويرى المراقبون السياسيون أن هذه الرحلة قد أعادت اسم مصر إلى أذهان السودانيين بعد أن كاد يختفي منذ حوادث سنة ١٩٢٤ .

وقد تشرف رفعته بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك يوم الاحد الماضي ورفع الى جلالته تفاصيل رحلته وماشاهده من ولاء السودانيين لعرشه وكيف أن الهتاف كان بحياة ملك مصر والسودان ، وقيل إن سفر علي ماهر باشا كان تمهيدا لسفر صاحب الجلالة الملك الى السودان في زيارة رسمية .

ومما يصح ذكره ان علي ماهر باشا لم يكن يتوقع ان يتشرف بمقابلة جلالة الملك يوم وصوله ولهذا ذهب الى الرأى بملابسه العادية ليقيد اسمه في سجل التشريفات ولما علم جلالة الملك بوجوده في السراى تفضل واستقبله بملابسه العادية .

ثانيا : تشرف صاحب السعادة سير مايلز لامبسون السفير البريطاني بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك يوم الثلاثاء الماضي وقد ذاعت إشاعات كثيرة عن أسباب هذه المقابلة والواقع أن سعادته كان يستعرض بعض أمورتهم البلدين وكان يحمل رسالة من حكومته بشأن بعض المسائل الاجتماعية وخرج سعادته من عند جلالة الملك وهو مسرور من اهتمام جلالة الملك بسياسة حسن التفاهم بين البلدين وبالتعاون الوثيق بين الجيشين .

وقد ظن البعض أن هذه المقابلة كانت بشأن بعض أمور جدت في اليوم السابق ، والواقع أن سعادة السفير البريطاني التمس المقابلة قبل ذلك بثلاثة أيام ، وانه لولا سفر سعادته الى كوم أو شيم مع لادى لامبسون لكان موعد المقابلة حدد في يوم الأحد بدلا من يوم الثلاثاء .

ثالثاً : لاحظ الناس ان صاحب المعالي حسين سري باشا وزير المالية لم يكن في استقبال صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا في مطار الماظة ، والسبب في هذا ان

معاليه كان يستريح فى الاقصر ولم يعد الا فى مساء اليوم الذى وصل فيه رفعة رئيس الوزراء وقد كان معاليه فى وداع على ماهر باشا عند سفره .

رابعاً : دهش الناس لما قرأوا حديثا لمعالى مصطفى بك الشوربجى وزير العدل فى جريدة الاهرام ينتقد فيه معاليه سياسة وزارة المعارف وقال ان الواجب تعديل البرامج الحالية تعديلا اساسيا .. و .. والخ .

ودهش بعض الناس لهذا الحديث لأنها المرة الأولى التى يتحدث فيها وزير عن وزارة زميل له . واعتبرها بعض الناس دليلا على أن حرية الرأى لا يزال لها أنصار فى مجلس الوزراء .

وحدث أن احد الصحفيين ذهب الى احد موظفى وزارة المعارف يسأله عمن سيعين وكيلا مساعداً لوزارة المعارف .

واجاب الموظف : إسألوا وزارة العدل .

خامساً : أرادت المعارضة ان تنتهز فرصة غياب صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا فى السودان وتقوم بحركة فى مجلس الشيوخ ، وتنبه اصحاب الشأن الى هذا فقرروا تأجيل جلسات الشيوخ الى يوم ١١ مارس !! هذا مع ان لدى المجلس أعمالاً كثيرة تستجوب الاجتماع ، ولكنها كانت مناورة ناجحة على كل حال ...

سادساً : نشط الوفديون كثيراً ، وبدأ اسم النحاس باشا يتردد على الشفاه كثيراً .. ويظهر أن بين الوفديين شيئاًما .

الاساتذة يوسف الجندى وصبرى أبو علم ونجيب الهلالى بك يرون رأيا فى « أحدهم » ، والنحاس باشا ومكرم باشا يريان فيه غير هذا الرأى ويقولان إن هذا الشخص صديق للوفد

والواقع أن « أحدهم » هذا ، شخصية خدمت الوفد ولاتزال تخدمه كثيراً والواقع أيضاً أنه لولا اتهام هذه الشخصية بعلاقتها بالوفد لكان لها شأن كبير فى علاقتها بدوائر معينة !

هل فهمت حاجة ولا أنا !

سابعاً : بدأت مغازلات سياسية بين الدستوريين والسعديين ، وقد انتهز الوزراء السعديون فر[illegible] مرض رفعة محمد محمود باشا وزاروه جميعاً ، ولكنهم لم يستطيعوا مقابلة رفعته لأن الطبيب منعه من مقابلة الزائرين .

ومهما يكن من شىء فان لمرض محمد محمود باشا تأثيراً كبيراً فى الموقف

البرلمانى فالأحرار الدستوريون لايعرفون بعد أين يقفون : هل يعارضون الوزارة أثناء الميزانية معارضة فى الصميم أم يكتفون بسياستهم الحالية وهى شك الإبر والدبابيس من بعيد لبعيد !

وعلى كل فلولا مرض محمد محمود باشا ، للعب حزب الاحرار الدستوريين دوراً هاماً فى البرلمان .

هذا هو أهم مافى الموقف الداخلى ، ومع ذلك فالعارفون يرون أن الموقف الداخلى هو قطرة فى بحر السياسة الخارجية .

الخبر الذى دهشت له حقا ، وكان قد نشر فى وسط التحقيق الصحفى سالف الذكر ماجاء على لسان مستر ايدن :

قال مستر إيدن لبعض الكبراء أثناء زيارته الاخيرة لمصر سير مايلز لامبسون السفير البريطانى كان قد طلب من وزارة الخارجية نقله الى بلد أخرى بعد أن أمضى فى مصر خمس سنوات ، ولكن الحكومة البريطانية طلبت اليه وألحت فى الطلب أن يبقى فى مصر لانها محتاجة الى رجل مثله درس العلاقات المشتركة بين البلدين واستطاع التوفيق بين وجهات النظر .

وقال مستر إيدن ان البعض يتهم سير مايلز لامبسون بأنه يحب المصريين أكثر من اللازم وان هذه صفة قدرتها الحكومة البريطانية ولهذا أبقت سير مايلز لامبسون فى مصر .

ولست ادرى لمن قال إيدن هذا الكلام ؟ للمصريين ، أم البريطانيين ؟ على اية حال فلا احد لا من الانجليز ولا من المصريين يمكن ان يعتقد ابدا ان إيد ن يمكن أن يحب مصر اكثر من اللازم .

● وابتداء من العدد ٢٨٧ تحرص آخر ساعة على ان تنشر صفحات عن موقف الوفد من بريطانيا ومن الحرب ، ومن ؟ لقد نشرت مذكرة الوفد والرد على مذكرة الوفد ، و .. و .. بشرت آخر ساعة فى ذلك العدد بان لدى النحاس باشا بوصفه زعيم الأمة آراء واقتراحات يجب عليه ان يعرضها على الوفد والهيئة الوفدية وأن يتحمل مسئولية هذه الآراء .

وفى الاعداد التالية راحت آخر ساعة تتحدث عن اجتماع الوفد فى يوم ٣١ مارس واول ابريل ١٩٤٠ وقرارات الوفد ومذكرته الى الحكومة البريطانية واحتجاج الكثير من الهيئات والادارات على تلك المذكرة وعلى المقابلة كما راحت تتحدث عن الحكومة البريطانية ومحاولة السفير البريطانى لقاء رئيس الحكومة على ماهر باشا

وغياب رئيس الحكومة فى ضيعته بكفر الدوار ، تم لقاء السفير مع على ماهر باشا فيمايلى وعلى الفور اتصلت السفارة البريطانية بدار صاحب القلم الرفيع مصطفى النحاس باشا ودعته الى تناول الشاى مع السفير البريطانى فى مساء نفس اليوم وقد ذهب النحاس باشا وحده الى دار السفارة البريطانية و . بعد تناول الشاى قال السفير البريطانى إنه تلقى من وزارة الخارجية البريطانية الرد على مذكرة الوفد والهيئة الوفدية ثم تلا سعادته الرد باللغة الانجليزية وقال النحاس باشا ، انه يريد ترجمة دقيقة باللغة الفرنسية لهذا الرد لكى ينقل صورة منه حتى يمكنه أن يحيط اعضاء الوفد علماً بنص الرد و .. و .. ويتولى الوفد الرد على المذكرة ، وكنت قد نشرت كل ذلك فى كتابى سنوات ما قبل الثورة الجزء الثانى فلا داعى لاعادة نشر المذكرة والرد عليها ، والرد على الرد ، وننقل هنا ما روته آخر ساعة – لأهميتها – عن رد الوفد ، على الرد البريطانى (العدد ٢٩١) .

قبيل صلاة الجمعة الماضى وقفت سيارة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا أمام دار السفارة البريطانية وكلف رفعته سائقه بأن يسلم مظروفا كبيرا الى سكرتيرية الدار لكى تتولى تسليمه الى السير مايلز لامبسون ، ثم انصرف رفعته الى المسجد لكى يؤدى فريضة الصلاة .

أما المظروف فقد تضمن مذكرة جديدة وضعها الوفد فى اجتماعه الاخير ردا على مذكرة وزارة الخارجية البريطانية التى ابلغت الى رفعة النحاس باشا ابلاغا شفويا ونقلها رفعته بالقلم الرصاص كما روينا من قبل .

وقد تساءل كثيرون لماذا ترك رفعة النحاس باشا هذه المذكرة للسفير على هذه الصورة دون أن يقابله ، والسبب كما فهمناه يرجع الى السير مايلز لامبسون كان قد اتفق مع رفعة النحاس باشا على وقف تبادل المذكرات فى هذا الموضوع الآن نظراً لاشتباك بريطانيا فى حرب تعد فى نظرها « حرب حياة أو موت » وأن مصير الدول المتحالفة ومنها مصر مرتبط بمصير الامبراطورية البريطانية ومستقبلها ، وان من الحكمة عدم إثارة أية محاولات فى الوقت الحاضر بغير مبرر ، فبريطانيا لم ولن تعتدى على حقوق مصر ولا وهى حاولت نقض بند واحد من المعاهدة ووضعت الحلول اللازمة لها .

ويظهر ان النحاس باشا كان فى شبه ارتباط مع السفير بأن توقف المسألة عند الرد البريطانى ، ولكن أعضاء كثيرين فى الوفد تمكسوا بوجوب الرد على الرد ومناقشة المذكرة البريطانية بنداً بنداً حتى لاتبقى فى الاذهان شبهة من غموض ، هكذا رأى رفعة النحاس باشا ان يتجنب مقابلة السفير وان يكتفى بترك المذكرة الوفدية فى السفارة على النحو الذى اسلفنا ذكره .

وقد راى سعادة السير مايلز لامبسون ان يسلم صورة من مذكرة الوفد الى رفعة رئيس الحكومة قبل ان يبعث بها الى حكومته ولهذا قابل رفعته فى اليوم التالى وسلمه إياها .

وفى مساء ذلك اليوم تشرف رفعة رئيس الوزراء بمقابلة جلالة الملك مقابلة دامت أكثر من ساعتين دار الحديث فيها حول مسائل كثيرة .

وعقب ذلك اجتمع مجلس الوزراء لبحث بعض المسائل الدولية فانتهز رفعة الرئيس الفرصة وأحاط الوزراء علما بما تضمنته مذكرة الوفد وقال لنا احد اصحاب المعالى ان هذه الاحاطة كانت فقط « للعلم بالشىء +» !

أما الدوائر المصرية فتعتقد ان الحكومة البريطانية لن ترسل ردا جديدا اكتفاء بالرد على المذكرة الاصلية لانها ترى الا جدوى من تبادل المذكرات فى هذه الظروف العصيبة .

وكان محمد محمود باشا قد وصف مذكرة الوفد بانها سياسة ابتزاز وذلك على النحو الذى نشرته اخر ساعة (العدد ٢٩٠) .

عرضنا فى عدد الاسبوع الماضى لمذكرة الوفد والهيئة الوفدية وللقرارات التى تضمنتها وبسطنا مختلف وجهات النظر فيها .

وقلنا الان الأحرار الدستوريين اعلنوا فى مجالسهم تأييدهم لوجهة النظر الوفدية وان بعضهم تكلم بالتليفون مع سعادة الاستاذ مكرم عبيد باشا ليهنئه ويهنىء الوفد على هذه القرارات .

ونقول الآن ان صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا – شفاه الله – وان رفعته ينظر الى قرارات الوفد من خلال « نظارة » حالكة السواد .

ولما اتصل برفعته خبر تأييد أقطاب حزبه لوجهة النظر الوفدية ، أرسل يستدعيهم .

ودخلوا على رفعته فى حجرته الخاصة فاستقبلهم بتكشيرة عريضة ودش بارد طويل .

كان مما قاله رفعته – وقالها بالانجليزية This is blackmail – أى ان قرارات الوفد هذه ابتزاز أو حصول على شىء بالنصب والتهديد ، وانها ليست من حسن السياسة فى شىء ان أكبر حجة لمصر فى سنة ١٩١٩ يوم نهضت لتطالب انجلترا بحقوقها ، كانت ان مصر عاونت انجلترا طول الحرب بكل اخلاص دون ان تساومها على ثمن هذه المعاونة ودون ان تستغل حرج الموقف فتملى على انجلترا شروطها او

طلباتها فكيف يجوز اليوم والانجليز فيما هم فيه ان تقوم ونحاول « ابتزاز » هذه المطالب منهم الآن ؟

وقال رفعته كذلك ان الانجليز شعب « مايجيش » بالتهديد ، وانه كان يحسن برفعة النحاس باشا ان يذهب أولا ويقابل سير ميلز لامبسون ويتكلم معه بكل صراحة فى هذه المطالب فاذا تم بينهما الاتفاق على شىء عاد ودعا رفعته أعضاء الوفد والهيئة الوفدية واتخذوا قرارا أو وضعوا مذكرة بما تم عليه الاتفاق ، لكى تأخذ هذه المذكرة طريقها الرسمى أو الدبلوماسى .

واستمر رفعة محمد محمود باشا فى إلقاء محاضراته أو بسط وجهة نظره .. هذا واقطاب حزبه منصتون له .

فلما انتهى رفعته ، رفعوا رؤوسهم وقالوا .. آمين !

ومعناها انهم اقتنعوا بوجهة نظر زعيمهم النبيل !

وفى العدد ٢٩٣ من آخر ساعة (٥ مايو ١٩٤٠) إفتتاحية عن الموقف الدولى جاء فيها .

سافر رئيس الوزراء الى رحلة فى الغربية ولم يكد يضصل الى المحلة الكبرى حتى اتصل سعادة السفير البريطانى بمعالى حسين سرى باشا بالتليفون وطلب منه أن يحضر على عجل الى السفارة وهناك ابلغ معاليه أن موقف ايطاليا سيحدد فى خلال شهر مايو أى أن الحرب على الأبواب .. واتصلت القاهرة بالمحلة الكبرى والمحلة الكبرى بهنا وهناك ، وحدثت اجتماعات ومقابلات وتلقت جهة نمرة واحد برقيات تحوى تفاصيل وايضاحات وعلمت جهة نمرة اثنين أن العاصفة وشك الهبوب ..

وبعد ان تحلل آخر ساعة الموقف الدولى على جميع الجبهات .. تنتقل الى الموقف فى مصر فتقول .

وعجيب بعد أن يكون مصير العالم فى كفة والقدر ونحن نتشاجر على اختصاص وزارة الشئون والاجتماعية وعلى ادارة الرخص ، وعلى اسباب الانقلاب الدستورى !

رحم الله أهل بيزنطة .. قضوا الليالى والأيام يتناقشونفى هل خرجت البيضة من الكتكوت أم خرج الكتكوت من البيضة .

ودخل الأعداء بيزنطة واستولوا عليها وعلى كل مافيها من بيض وكتاكيت !! .

مظلومون أهل بيزنطة .. فليسوا هم وحدهم الذين يتخانقون على البيضة والكتكوت .

وتنشر آخر ساعة فى عددها ٣٠٠ حديثا مع على ماهر باشا رئيس الوزراء يقول فيه .

كان ذلك منذ شهرعلى التقريب ، عندما قابلت صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا فى مكتبه بمجلس الوزراء وقلت له .

ـ إن الخطر الداهم الذى يهدد العالم قد أوجب على كل شعب أن يقابله صفاً واحداً ، وكتلة واحدة . فهذة بريطانيا قد ألفت وزارة قومية اشترك فيها المحافظون والعمال والأحرار على مابينهم من خصام . وهذه فرنسا عدلت وزارتها تعديلا يوسع نطاقها لاشراك جميع الأحزاب فى مهام الحكم . وهذه رومانيا ألفت وزارة قومية .. وهذه العراق استقالت وزارتها لكى تفسح الطريق الوزارة قومية . فهل من أمل فى أن تسرى هذه « العدوى » الطيبة إلى مصر ؟

وسكت رفعته قليلا وأمسك بيده ورقة مت الأوراق المطبوعة باسم رياسة مجلس الوزراء وقطعها الى قسمين وأعطانى احدهما لأدون مايقول ، ثم التفت الى وقال :

ـ أحب قبل أن أجيب على ماتسأل أن أقول لك إنى كنت ولا أزال أكره الخلافات والمنازعات ، واعمل على تسويتها وتمهيد السبيل لازالتها ، فانى أومن ايمانا صادقا أن لاخير إلا فى التفاهم ولا قوة إلا بالاتحاد ، لقد كنت عضواً فى الوفده وبقيت فيه اعمل على اتحاد العناصر المكونة له ، ولما لم يكتب النجاح لهذا المسعى استقلت من الوفد ولكننى لبثت بعدها أدعو الى ضم الصفوف .

وحينما كنت وزيرا انتمى الى حزب معين ظل رائدى العمل بالروح القومية ولم أضع أمامى حزبا اعمل له بل وجعلت هدفى دائماً أن يكون لمصر أولا وقبل كل شىء ، وهذا ماكان رائدى عندما ألفت « وزارة المائة يوم » .

ولما ألفت وزارتى الثانية كان أحب الأمور الى نفسى أن توفقنى الظروف الى تأليف وزارتى من جميع الأحزاب لمواجهة الحرب على كانت على الأبواب ، ولكن العقبات التى قامت حالت دون تحقيق هذه الأمنية العزيزة ، على أن هزائى كان أن الوزارة علمت ولاتزال تعمل بروح قومية ، ناظرة الى جميع المواطنين بعين واحدة ، مقدرة كل فرد بما يعمل أو بما يستطيع أن يعمل لبلاده لابالحزب الذى ينتمى اليه .

ولاشك فى أن الوزارة القائمة قد حققت المعانى القومية التى كانت ولاتزال الحجر الأساسى فى برنامجها السياسى . فصرفت همها لتعزيز وسائل الدفاع عن الوطن ، ونفذت الاحكام العرفية بروح قومية وأقول أيضاً بروح دستورية ، كما جعلت شعارها العمل لخير المصريين على السواء وصون استقلالنا كاملا غير منقوص .

وأستطيع أن أقول إن الوزارة الحاضرة بهيئتها الحاضرة مستعدة لمواجهة المستقبل الملىء بالمفاجآت والتبعات الجسام . كما واجهت صعوبات الماضى بما سرض بما يرضى ضميرها وملكيها والوطن ، وهى متمتعة بثقة جلالة الملك وتأييد البرلمان .

ومع كل ذلك فأنا أرحب بكل مسعى يحقق تمثيل الفكرة القومية فى الوزارة ، ويجمع الصفوف أو يوجد الجهود ، فيصبح ابناء وادى النيل كتلة واحدة .. ويقفون كالبناء المرصوص امام الخطر الداهم ، فلا يصيع وقتنا ووقت غيرنا فى المنازعات والمناقشات ، ولا تحصر الأحزاب همها فى هدم بعضها بعضاً بل تنصرف إلى تدعيم صرح الاستقلال ورد كل اعتداء .

ويستمر الحديث مع على ماهر باشا على النحو التالى :

من هذه الأزمة العالمية وقد ازدت مصر عزة ورقياً تحت راية مليكها الديمقراطى المحبوب .

قلت : وما الذى يحول دون جعل هذا الحلم اللذيذ حقيقة واقعة ؟

سكت رفعته قليلا ثم قال :

- إنى أرى والأسف نفسى ان دون تحقيق ذلك عقبات قائمة الآن ، وهى ليست من جانب الوزارة بل ناشئة عن علاقات بعض الأحزاب فيما بينهما فاذا أمكن تذليل هذه العقبات تيسر تحقيق هذه الامنية التى يرتاح اليها قلب كل مصرى مخلص لوطنه ، وانى أضع يدى فى يد كل من يساعدنى على تذليل هذه العقبات وارى انه يكون قد قدم لبلاده أجل خدمة .

قلت : وقضية البنك التجارى ؟

قال رفعته : هذه اكبر العقبات ، ولولا صلة الاخوة التى تربطنى بالدكتور ماهر باشا لتدخلت فى الموضوع ، ولكنى ارحب بكل مسعى يبذل فى هذا السبيل وان كنت اشك فى نجاحه الآن .. وهذه هى إحدى العقبات .

قلت : واذا تمكنا من التغلب على هذه العقبات فكيف ترون أن يكون تأليف الوزارة ؟

فقال رفعته : ما دامت القومية المقصودة هى اشراك جميع الاحزاب فى ادارة دفة الحكم الاحزاب التى تريد ان تتعاون لخير الوطن وكل ما يشترط الا يكون اختيار الوزراء لمصلحة الاحزاب بل يكون لمصلحة البلاد .

ثم قال رفعته :

- واذا وضعنا هذا المقصد المشرف نصب أعيننا وصلنا الى تحقيق هذا الغرض السامى . ويسرنى أن اقول لك إن جميع اعضاء هذه الوزارة يرحبون بكل مايساعد على اتحاد البلاد وهم مستعدون لوضع مناصبهم تحت تصرف الأمة ليحل محلهم من يكون فى حلوله تحقيق القومية الصادقة .

وأنا أول من يرحب بترك مقعدى فى الحكم ، فأنا مستعد للاستقالة اذا كنا نصل الى تأليف هيئة قومية تتمتع برضى الملك وثقة الشعب وبرلمانه لتعمل فى صيانة حقوق مصر واستقلالها التام ، بل أنا مستعد أن اعمل وزيراً فى هذه الوزارة ومرؤوساً لأى انسان يرضاه الملك والبرلمان وليست العبرة بقيمة الوظيفة بل بقيمة العمل الذى يؤديه صاحب الوظيفة للبلاد .

وبعد أن أدلى رفعة على ماهر باشا بهذا الحديث رأى رفعته أن يعرض الامر على مجلس الوزراء .

وقال النقراشى باشا وقتئذ إنه يرحب بالفكرة هو وزملاؤه السعديون ولكنه يفضل أن لاينشر الحديث وقتئذ ـ على أن يترك لرئيس الوزراء اختيار الموعد الذى يراه للنشر .

وفى يوم الاثنين الماضى صرح رفعة رئيس الوزراء بملخص هذا الرأى . وهكذا أصبح يرى أن لامانع من نشر هذا الحديث .

تنشر آخر ساعة فى العدد ٣٠١ مقالا بعنوان ! « من الذى اسقط وزارة على ماهر باشا .. ؟ »

كان المتفائلون يقدرون عمر وزارة على ماهر باشا بعشر سنوات ، وكان المتشائمون يعطونها خمس سنوات على أقل تقدير ، وكان العالمون ببواطن الأمور يؤكدون انها ستبقى ما بقيت الحرب .. وراح البعض يبالغ ويقول ان على ماهر سيبقى فى الحكم مابقى على قيد الحياة ..

ولكن وزارة على ماهر لم تعش سوى عشرة شهور وسبعة أيام وتسع ساعات ! وهكذا أثبتت الايام ان الوزارات فى مصر عمرها قصير مثل عمر الزهور .

وقد جاء فى بيان على ماهر باشا فى مجلس الشيوخ ان السفير البريطانى هو الذى طلب استقالة الوزارة ، وقد يكون سيرمليز هو الذى دق المسمار الأخير فى نعشها ، ولكن التاريخ سيذكر ان المسامير الأولى دقت من ذخل الوزارة نفسها .

فمنذ اليوم الأول عرف الناس ان لاتجانس هناك فى الوزارة ، وان بعض الايدى تلعب من وراء الستار ولكن على ماهر استطاع ان يقضى على المناورات الاولى .

وبدأت الاسابيع بمشاجرات حادة بين على ماهر باشا وحسين سرى باسا ، ثم بين على ماهر باشا والشاذلى باشا ، ثم بين السعديين أنفسهم ورئيس الوزراء .

ولكن أولاد الحلال « كلفتوا » هذا الخلاف قبل ان يستفحل واستطاعوا اقناع

المتنازعين بأن المصلحة تقتضى بضم الصفوف لأن كل شبر من الأرض تخسره وزارة على ماهر يكسبه مصطفى النحاس .

وسافر على ماهر باشا إلى الصعيد ، وما كادت تبتعد به الطيارة إلى الجيزة حتى ظهرت فى الجو رائحة السخط والاشمئناط واجتمع السعديون وقالوا ان بقاءهم فى الوزارة مستحيل ، وقال الانجليزا ان اصرار على ماهر باشا على ابقاء عزيز المصرى باشا فى منصبه يؤدى إلى مالا تحمد عقباه ، وتحرك الواقفون وراء الستار .. وحتى الدكتور ماهر باشا نفسه انتقد بعض تصرفات أخيهٰ !

وعاد على ماهر باشا من رحلته وإذا الدنيا مقلوبة عليه ، فقام بحركة التفاف سريعة ، ويزحف على مجلس الوزراء واسترد الارض التى فقدها وعاد كل شىء كما كان ..

ولكن منذ شهر بدأ كل شىء يتلخبط من جديد .

وبدأت المشاكل بأن قدم سابا حبشى بك شبه استقالة إلى رئيس الوزراء لأن معالى الأستاذ ابراهيم عبدالهادى اعتدى على اختصاصه فى وزارة التجارة ، ولكن رئيس الوزراء زار سابا حبشى بك فى المستشفى وأخبره ان كل شىء سوف يجرى على مايرام .

ثم حدث فى الجلسة السرية فى مجلس النواب ان تشاجر على ماهر باشا مع احمد ماهر باشا ، وخرج على ماهر باشا من الجلسة غاضباً يهدد بالاستقالة وأسرع عبد الرحمن فهمى بك يجمع بين الشقيقين بصفته خال الاثنين .

وحدث فى الجلسة السرية ان تكلم رفعة على ماهر باشا عن وزارة الدفاع وظن صالح حرب باشا ان فى هذا الكلام تعريضاً به فقدم استقالته .. ولكن ماهر باشا أقنعه بأنه يحمل له كل تقدير وصداقة فسحب الاستقالة .

ثم ذهب النقراشى باشا وقدم استقالته واستقالة جميع السعديين من الوزارة لكى تكون الوزارة قومية وهذا السبب يبدو بريئاً ـ وهو برىء حقيقة ـ ولكن الظروف التى اقترنت به اقنعت أصحاب الشأن بأن المسألة مؤامرة لاسقاط وزارة على ماهر !

ثم حدث ان طلب السفير البريطانى استقالة وزارة على ماهر باشا للأسباب الآتية :

١ ـ لأنها لاتتمتع بثقة الرأى العام .

٢ ـ لأنها لا تنفذ المعاهدة بروحها وحروفها .

٣ ـ لأن ىدا تنفذه من المعاهدة تنفذه « بلاقلب » ومن غير نفس !

وزاد الطين بلة ان بعضهم ابلغ رئيس الوزراء أن ستة من الوزراء أبلغوا بعض الدوائر أنهم لا يؤيدون سياسة على ماهر باشا ! ... والستة هم حسين سرى باشا والنقراشي باشا والشاذلى باشا وعبد القوى احمد بك والدكتور حامد محمود والاستاذ ابراهيم عبد الهادى . وقد تكون هذه الرواية غير صحيحة ولكنها تركت أثراً فى نفس رئيس الوزراء ، وزاد الجرح عمقاً أن علم رفعته ان الدكتور ماهر باشا شرع فى تأليف وزارة قبل أن يقدم على ماهر استقالته !

وكان أن ارسل على ماهر برقية إلى جلالة الملك جورج يذكره فيها بالصداقة القديمة بين الأسرتين المالكتين وبين الشعبين الحليفين ويطلب اليه ان يستعمل نفوذه لمنع التدخل .

ورد جلالة الملك جورج ببرقية رقيقة جاء فيها انه حاول ان يفعل شيئا فلم يستطع إذ ان الوزارة البريطانية متمسكة بقرارها وأنه كملك دستورى لا يستطيع ان يفعل شيئاً فى قرار كهذا وختم رسالته بتحية ودية طيبة لملك مصر وشعبها الحليف .

وتوسط سعادة حسن نشأت باشا فى الأمر ، ولكن الوساطة لم تنجح .

وكان أن توسط الدكتور احمد ماهر باشا فى الخلاف ، وقابل سعادة السفير البريطانى يوم الخميس الأسبق ، وعرض الحجج التى يراها لابقاء الوزارة وحاول تذليل العقبات وبدأ السفير البريطانى يلين ، ولكن لما حضر مستر سمارت الجزء الأخير من المقابلة بدأ جنابه يغمز بعينه للسفير ، واذا بسير مايلز لامبسون يقول إنه سيفكر فى الموضوع ويرد على الدكتور احمد ماهر باشا فى مساء نفس اليوم .

وفى المساء تلقى الدكتور احمد ماهر باشا خطابا يقول فيه السفير إنه يأسف إذ يقول انه بعد المحادثة الصريحة التى دارت بين الطرفين فكر فى الموضوع فوجد انه لا يستطيع ان يخالف تعليمات حكومته .

وتوسط حسن صبرى باشا من تلقاء نفسه فى الخلاف وقابل سعادة السفير البريطانى يوم الجمعة وعرض الحل الآتى :

١ ـ يبقى على ماهر باشا رئيساً للوزارة
٢ ـ يعين أحد المستقلين وزيراً للداخلية
٣ ـ يعين مستقل آخر وزيراً للخارجية
٤ ـ يعين أحد الوزراء الآخرين حاكما عسكريا .

أى أن يجرد على ماهر باشا من كل سلطان ولا يبقى له سوى اسم « رئيس الوزراء » !

ولما علم رفعة على ماهر باشا بهذا الحل رفضه هو أيضاً .

ثم تقررت دعوة الزعماء ليستشيرهم جلالة الملك وكان الرأى الأول بدعوة اعضاء الجبهة الوطنية وهنا لاحظ بعض انصار الوزارة ان عدد أعداء الوزارة فى الجبهة أغلبية وهكذا عدل عن هذا الرأى وتقررت دعوة رؤساء الوزارات السابقين ورؤساء مجالس النواب والشيوخ الحاليين والسابقين ورؤساء الاحزاب .

وحدثت فى الاجتماع أشياء لم تنشرها الصحف فقد قامت مشادة عنيفة بين رفعة النحاس باشا وصالح حرب باشا .

وكانت مفاجأة لرفعة على ماهر باشا عندما أصر جميع الموجودين بلا استثناء على ان تقبل استقالة الوزارة .. ولكنهم كتبوا فى قرارهم : « إزاء إصرار على ماهر باشا على الاستقالة فان المجتمعين يتركون الأمر لحكمة جلالة الملك » وقال على ماهر باشا إنه لم يصر على الاستقالة .. ولكن الزعماء هم الذين أصروا على أن يقولوا ذلك فى قرارهم !

بل ان أحدهم قال لعبد الوهاب طلعت باشا ان معنى قرارهم هو انهم يرون بالاجماع قبول استقالة على ماهر باشا وانهم انما كتبوا هذا القرار فى صيغته هذه تأدبا !!

وقد فوجىء على ماهر باشا بهذا القرار خصوصاً وان بين الذين أصدروه الدكتور ماهر باشا وصدقى باشا وزيور باشا وحلمى عيسى باشا وعبد الفتاح يحيى باشا ومحمد محمود خليل بك وتوفيق رفعت باشا .

وكان ماهر باشا يظن ان الزعماء لن يخذلوه وانهم سيقفون وراءه ، وفى هذه الحالة سوف يتعذر تأليف وزارة أخرى ، وكان رفعته مستعداً للاستقالة بعد ذلك . ولكن هذا القرار أدهشه .. ويعتقد بعض أصدقاء رفعته انه لولا الغارة الجوية التى حدثت أثناء الاجتماع لما أصدر الزعماء هذا القرار بالاجماع !!

وهكذا استقالت وزارة على ماهر باشا .

وفى العدد (٣٠٢) تنشر آخر ساعة صفحة عن على ماهر : الرجل الذى ذهب .. وعلى ماهر فى الميزان .. وقد جاء فى تلك الصفحة عن الرجل الذى ذهب : ذهب على ماهر باشا وقد لايعود .

وخفتت مزامير المديح وطبول الثناء التى كانت ترتفع كلما قيل ان استقالة على ماهر باشا لن تقبل ، والتى كانت تخفت إلى أن تكاد تضيع يوم كان يعرف أنه لن يعود . وانتهى استعراض موكب المنافقين أولئك الذين يؤيدون كل رئيس وزارة مادام

رئيس الوزارة ويؤيدون الرئيس التالى بنفس الحماسة ونفس الحرارة ونفس الايمان ! وجفت الأقلام التى ماكتبت فى يوم ما عن عقيدة ولا عن ضمير فهى للقوى إلى أن يضعف ، وللوزير إلى أن يستقيل ، وللحاكم إلى أن يقال .. وأصبحت كل دعوة فى على ماهر هى « لله وحده » وكل لعنة فى على ماهر « لله وحده » أيضا .

والآن فقط أبيح لنفسى أن أقول رأيى فى ذلك الرجل الذى ضربنى شخصيا ونفع بلادى ، وأساء إلى أعز الناس لدى وأحسن فى حق جميع المصريين .

أحب أن أقول رأيى فى ذلك الرجل الذى دخل الحكم وهو عدو الشعب الأول وخرج من الحكم وهو صديق الشعب الأول ، وغيره من الناس بدأ الحكم وهو فى سماء المجد وانتهى حكمه وهو فى زوايا النسيان .. والسلطان كالخمر يفقد الناس صوابهم ويلعب برؤوسهم ولكنى أشهد ان على ماهر لم يلعب السلطان برأسه فهو على عكس كل الناس جبار فى ضعفه ، وضعيف فى جبروته ، هو الطاغية المستبد يوم لا يملك قوة ولا منصبا وهو العادل الرحيم يوم يجمع بين يديه كل السلطات ، وتتركز فيه كل القوى . غيره لا يعرف الجماهير إلا وهو خارج الحكم فاذا وصل إليه أقفل دونها الأبواب ، وهو لم يعرف الجماهير إلا وهو فى كرسى الحكم ، ولم يحترم الرأى العام وهو وحده صاحب النفوذ والسلطان .

لقد وقف على ماهر فى الشهر الأخير موقفا أدخله فى التاريخ من أوسع أبوابه ، موقفا يجعل خصوم على ماهر يغفرون له كل خطأ وينسون كل اساءة ، وما كان اشد حاجة مصر إلى رجل شجاع يقف والناس قعود ، ويتكلم وهم سكوت ، ويستيقظ وهم نيام ، ويجلجل صوته فى الفضاء معلنا لماذا يستقيل بينما غيره يكتفى بالهمس ولا يستقيل إلا بادعاء المرض أو ادعاء اى شيء من الاشياء .

ما كان أشد حاجتنا إلى مثل هذا الرجل .

وعن على ماهر فى الميزان .. وقد وقعها التابعى باسمه !

كتبت فى عدد الاسبوع الماضى كلمة وزنت فيها على ماهر باشا وأحصيت فيها ماله وما عليه فهنأته على موقفه الأخير المشرف وعلى ما أداه لبلاده من خدمات وكيف أنه لم يستغل السلطات الواسعة التى كانت فى يديه بل سار فى الحكم سيراً قومياً دستورياً لا عيب فيه ، لمصلحة مصر لا لمصلحة حزب من الأحزاب .

ولكننى أخذت عليه (أولا) قلة حظه من شجاعة الرأى والايمان ، وهو الأمر الذى أطمع فيه خصومه لأنه ما من مرة اصطدم فيها مع الخصوم إلا عاد فى آخر الامر وسلم لهم بما يريدون (ثانياً) رغبته الشديدة فى الانفراد بالحكم ، فكان يتحدث عن ضرورة توحيد الجهود واتفاق الاحزاب ولكنه لم يكن يسمح بنشر شيء من هذا ...

ثم ظهر ان المقصود أو مقصود رفعته من توحيد الجهود واتفاق الاحزاب ، هو أن تتحد الجهود وتتفق وتلتف الاحزاب حول وزارته لتسندها أو تؤيدها ! .. أما أن تشترك معه هذه الاحزاب فى الحكم فمسألة ظل رفعته يحاربها إلى آخر لحظة ، فهو إذن كما قلت فى كلمة الاسبوع الماضى ، لم يدع إلى الائتلاف والقومية واشتراك الاحزاب فى الحكم الا بعد أن وقعت الفأس فى الرأس وأحس أن الانجليز مصممون على استقالته .

ولو أن رفعته كان . مذ بدأت الازمة منذ شهر تقريباً ، لو أنه كان صارح الامة بالحقيقة وواجه الموقف بشجاعة وإيمان ودعا الزعماء .. إلى آخره ، لكان أكبر الظن أن يتغير الموقف ولكنه ظل إلى آخر لحظة يمنى نفسه بلعل وعسى أن يرجع الانجليز عن موقفهم معه ويسحبوا طلبهم الخاص باستقالته ... وظل إلى آخر لحظة يخفى تفاصيل الازمة عن نفس زملائه الوزراء ما عدا اثنين منهم أو ثلاثة .. وكانت النتيجة أن سارت الازمة خببا وتضاعفت أعراضها ، فلما أريد معالجتها كانت بلغت حدها العنيف الاقصى فلم يفد العلاج .

قلت هذا وأشرت إليه فى عدد الاسبوع الماضى . ولكن صديقى وعزيزى مصطفى أمين من أشد الناس اعجابا بصاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، ولقد رأى أن يبدى رأيه فى رفعته . ومن حق مصطفى دائماً على وعلى هذه المجلة التى اشترك معى فى بنائها أن أنشر له ما يريد مهما كان رأيه مخالفاً لرأيى .

وفى نفس العدد (٣٠٢) كتبت آخر ساعة عن كيفية تأليف الوزارة الجديدة .. فقالت :

فى صباح الخميس الاسبق كانت الانظار تتجه الى سعادة سيف الله يسرى باشا ولكن لما فتحت (صناديق الانتخاب) وفرزت الاوراق ظهر أن حسن صبرى باشا قد نال أغلبية الأصوات !!

فقد رشح معاليه الدكتوراحمد ماهر باشا وكتب اسمه دولة عبد الفتاح يحيى باشا وكذلك حافظ رمضان باشا .

وأشار معالى حلمى عيسى باشا الى حسن صبرى باشا وهو يظن انه يشير الى عبد الفتاح باشا يحيى !

وتشرف صبرى باشا بمقابلة المليك المحبوب فتفضل جلالته وكلفه بتأليف الوزارة .

واستقل الرئيس الجديد سيارته الى مجلس النواب لمقابلة سعادة الدكتور احمد ماهر باشا فلم يجده فجلس فى مكتبه واتصل بعدة تليفونات .

واتصل معاليه بمحطة الاذاعة وقال للموظف المختص :

« أنا حسن صبرى رئيس الوزراء لقد تفضل جلالة الملك وكلفنى بتأليف الوزارة »

وخشى الموظف المختص أن يكون هذا الكلام غير صحيح وان تكون المسألة « مقلبا » فاتصل بأحد موظفى القصر وقال ؛

– احقا أن دولة حسن صبرى باشا وأن جلالة الملك قد أمره بتشكيل الوزارة ..

واجاب موظف القصر :

– تفضل جلالة الملك فأمر معالى حسن صبرى باشا بتشكيل الوزارة .

وفهم موظف الاذاعة ان المسألة جد موش هزار فاذاع الخبر على المستمعين .

ولما تأخر الدكتور احمد ماهر باشا عن الحضور خرج معالى حسن صبرى باشا وقال لسائق سيارته امام الصحفيين بصوت عال ؛

– الى رياسة مجلس الوزراء

قال ذلك بلغة عربية فصحى وبكسر التاء والسين والهمزة كمان !

ولم يجلس حسن صبرى باشا فى مكتب رئيس الوزراء بل جلس فى قاعة اجتماع مجلس الوزراء ... وامام المائدة الكبيرة التى يجتمع حولها الوزراء .

وكان أول المهنئين الشيخين المحترمين أنطون الجميل بك وعبد الستار الباسل بك ... وسأله عبد الستار بك :

– هل سوف تحتفظ بالمالية ؟

وأجاب رئيس الوزراء :

– لا .. سأكتفى بمنصب الحاكم العسكرى ووزارة الخارجية .

وهنا وصل الدكتور احمد ماهر باشا فانسحب الشيخان المحترمان وقال حسن باشا لرئيس مجلس النواب ان أمامه أعمالا كثيرة ورجاه ان يتصل بالنيابة عنه بزعماء حزب الأحرار ويشرح لهم الموقف بصراحة تامة .

وذهب الدكتور ماهر باشا الى دار أسرة عبد الرازق بحى عابدين واجتمع بأصحاب المعالى مصطفى عبد الرازق بك وحسين هيكل باشا وعبد المجيد ابراهيم بك وسعادة احمد خشبه باشا وقص عليهم تفاصيل الموقف الدقيق وقال لهم ان الحالة تستدعى نسيان الخلافات والاشتراك فى الوزارة الجديدة وقال لهم ان عدد الوزراء الدستوريين سيكون مثل عدد السعديين .

ووافق هيكل باشا وعبد المجيد ابراهيم بك . أما مصطفى عبد الرازق بك وخشبه باشا فقد أبديا شيئا من التحفظ .

ووقفت آخر ساعة موقفا مناوئا لموقف الدكتور أحمد ماهر ، وهو الموقف الذى كان ينادى به الدكتور احمد ماهر ، وهو دخول مصر الى جانب الحلفاء بعد ان دخلت القوات الايطالية ، ونختار مقالتين فقط عن هذا الوصوع ، إحداهما فى العدد ٢٠٩ بعنوان حركة الدكتور ماهر : غريبة .. وقد جاء فيها :

قوبل نشاط الدكتور احمد ماهر باشا باستغراب عجيب فى بعض الدوائر السياسية وتساءل الناس : هل المقصود منها ان تعلن مصر الحرب على ايطاليا ؟

واجاب الدكتور ماهر باشا على هذا السؤال بان هذا ليس المقصود ، وانما المقصود محاربة الدعاية التى يقوم بها الأعداء فى مصر .

وقال الناس : كويس ، ولكن لماذا يتولى الدكتور ماهر هذه الدعاية .

وقال الدكتور ماهر انه مقتنع تماما بما يقول ، وانه يعرف خطورة الموقف ويعلم ان الطليان اذا دخلوا مصر سيلقونه من الطيارة كما فعلوا بعمر المختار .

ولكن كل هذه الأقوال لم تقنع الدوائر السياسية ، ومن هنا قابلوا هذه الحركة بوجوم !

أما الوفديون فقد قابلوا الحركة بحملة شديدة وأصبح نقد موقف الدكتور ماهر اكليشيها ثابتا فى الصحف الوفدية مثل يعجبنى الصدق فى القول والاخلاص فى العمل ومقابلات الرئيس الجليل .

ويسمى بعض الوفديين الدكتور ماهر « الدكتور ديجول » نسبة الى الجنرال الفرنسى ديجول الموجود فى انجلترا الآن .

ويسميه بعض الوفديين الدكتور « ن . ش . أ » لأن كل ما يقوله الدكتور ماهر اليوم تنشره نشرة « ن . ش . أ » غدا يقوله الدكتور ماهر بعد غد .

وقال لنا وفدى كبير إن الوجهة العامة لعقلاء المصريين فى شأن الحرب القائمة بين الدكتاتورية والديمقراطية ليست موضعا للخلاف والجدال ولكن نشاط الدكتور ماهر يستوقف النظر فما من شك أن الحلفاء لن يستفيدوا منه لأن اغلبية الرأى العام لاتؤيد السعديين فلحساب من هذه الدعاية اذن ؟

وبرز دولة اسماعيل صدقى باشا وقدم سؤالا الى رئيس الوزارة يقول فيه « إن دعوة رئيس النواب الى موقف قد يؤدى بالبلاد الى اتخاذ صفة المحارب مع ما يترتب على ذلك من نتائج معروفة ، فيه ما ينافى الرأى الصريح الذى بدا من البرلمان بهيئتيه ومن الحكومة من وجوب تجنيب مصر ويلات هذه المغامرة التى أعلنت الحليفة نفسها أنها لن تطلبها وهى لا تستند فى الوقت ذاته الى نصوص المعاهدة ولا الى استعداد حربى كاف » .

وقد احدث هذا السؤال ضجة ، وقرأ الدكتور ماهر باشا رد دولة رئيس الوزراء عليه ولاحظ أن لهجة الرد معتدلة .

وكان البعض قد اقترح أن تكون الجلسة سرية ولكن الدكتور ماهر باشا أصر أن تكون علنية .

وظهرت جريدة الدستور لسان حال الهيئة السعدية تقول فى صدقى باشا ما قاله مالك فى الخمر وتتحدث عن السباع التى بالت عليها الثعالب !

وقال لنا أحد أصدقاء الدكتور ماهر باشا إن حركته ليست حركة حزبية بل حركة قومية ، وأن أول من فكر فيها هو الأستاذ ممدوح رياض عقب الجلسة السرية التى عقدها البرلمان بعد دخول إيطاليا الحرب فقد تضايق ممدوح بك من الروح التى تسود نواب البرلمان وذهب الى الدكتور ماهر باشا وقال لابد من إفهام الرأى العام حقيقة الموقف خصوصا بعد أن سمم الخلاف بين الوزارة أما المقالة الأخرى فقد كانت تحت عنوان : « موقف الدكتور احمد ماهر باشا » وقد جاء فيها :

عندما بدأ زحف الجيوش الايطالية على مصر . كتبت جريدة التيمس - ومقامها بين الصحف الانجليزية معروف واتصالها بسياسة كل حكومة بريطانية أمر مسلم به - كتبت مقالا تقول فيه ما خلاصته ومعناه ان ليس هناك اى سبب يدعو مصر الى أن تتعجل الحوادث فتصدر قرارا مبتسرا ...

• وهذا القرار المبتسر هو اعلان الحرب على ايطاليا .

ومعنى هذا ان جريدة التيمس وهى تعد الى حد كبير لسان حال وزارة الخارجية البريطانية - جريدة التيمس نفسها تشير على مصر أو تنصح لها بأن لا تتعجل الحوادث .

ومنذ أيام معدودة كتبت فى نفس المعنى جريدة الإجبشيان جازيت واتصالها بالسفارة البريطانية لاشك فيه .

ونخرج من هذا وذاك بأن حلفاءنا الانجليز الذين لن يتركوا فرصة إلا وأشادوا فيها بوطنية المصريين وباخلاصهم للمعاهدة وبالخدمات التى قدموها للحليفة الكبرى ... حلفاءنا الانجليز أنفسهم لايريدون من مصر ان تتعجل الحوادث وأن تصدر أى قرار مبتسر فتعلن الحرب على ايطاليا (من أجل مناوشات تجرى فى الصحراء الغربيةليس لها فى الواقع مغزى حقيقى بالنسبة الى مصر نفسها) كما قالت بالحرف الواحد جريدة التيمس فى مقالها المذكور .

ولكن صاحب السعادة الدكتور احمد ماهر باشا الذى لاينكر وطنيته

واخلاصه ، رأى ان يكون اكثر وطنية واخلاصا لقضية الانجليز من الانجليز أنفسهم. فراح منذ اسابيع يدق طبول الحرب بحجة الكرامة والشهامة والدماء التى تجرى فى عروق أبناء الفراعنة والعرب ومش عارف مين كمان ..

ونحن نعيش فى عصر أصبح فيه المقام الأول للعقل لا للعواطف .. وللتفكير الهادىء البارد كالثلج القائم على المنطق وعلى المصلحة ..

أما ملء الأفواه بألفاظ الشعر والشعراء والآباء والأجداد الصناديد وشد أوتار الربابة والاقتباس من تاريخ ابو زيد الهلالى سلامة فدور آخر ..لن يصلح له الدكتور ماهر باشا الذى عرف حتى اليوم – وارجو مخلصاً ان يكون موقفه اليوم نزوة عارضة – الذى عرف بالتفكير الهادىء الرزين .

وبعد فان الدكتور ماهر باشا نسى او تناسى أنه رئيس مجلس النواب ، وأن الرجل الذى يوحى منذ أيام الى زميله غراء بكتابة مقال تتحدث فيه عن « التأثير فى القضاء وحكم القضاء وما يجوز وما لايجوز » من اجل صورة أو صورتين أخذت فى مجلس القضاء .. كان يحسن به ان لايحاول التأثير فى مجلس النواب ... واذا كان ولابد من هذه الدعاية وهذه الحملة ، فان الطبل الذى حمله وقرعه كان يمكن أن يحمله ويقرعه سواه من رجال عزبة الصناديد .

وننتقل – فى آخر ساعة – الى حسن صبرى باشا فى أيامه الأخيرة (العدد ٣٢٢)

استيقظ المغفور له حسن صبرى باشا مبكرا فى يوم الخميس الاسبق وصلى الفجر حاضرا ، ثم شعر بتعب بسيط فاستدعى طبيبه الخاص الذى حقنه بثلاث حقن من الكرومين لينشط ويقوى القلب ، ثم أشار عليه بأن يستريح فى ذلك اليوم فلا يغادر داره ، وأن ينيب عنه من يلقى بدلا منه خطاب العرش ولكن حسن صبرى باشا رحمه الله أصر على الخروج .

وكان صبرى باشا قد ذهب فى أسبوع اجازة عيد الفطر الى مستشفى الدكتور جوديل الطبيب المشهور فى الاسماعيلية ففحصه جوديل وقال إن قلبه متعب جدا ، ونصح للسيدة زوجته بأن تقنع زوجها بضرورة الراحة وأن لايقرأ وأن لايتعب أعصابه ، فلما سئل وهل يبقى فى رياسة الوزارة ؟ قال الدكتور جوديل إننى طبيب ولست سياسيا وكل ما أريد أن أقوله هو ان صحة صبرى باشا فى حاجة الى الراحة التامة .

وفى اليوم الموعود خرج صبرى باشا من داره وقد ارتدى سترة التشريفة وركب سيارة والى جواره الاستاذ ميشيل ساويرس تشريفاتى مجلس الوزراء ، وفتح صبرى

باشا نوافذ السيارة وطلب الى السائق ان يطوف أولا بالجزيرة ليستنشق الهواء فقد كان يشعر دولته بحاجة الى الهواء .

ثم وصل الى القصر الملكى فاستقبله معالى حسنين باشا وقال له ان جلالة الملك تفضل وأنعم عليه بالوشاح الأكبر من نيشان محمد على ، فرفع يديه بالدعاء لجلالة الملك ، وسأل حسنين باشا هل يصعد الى الدور الأول ليتسلم النيشان من جلالة الملك ؟ فقال حسنين باشا ان جلالة الملك قرر الا يتعبه وسينزل جلالته بنفسه الى الطابق الأول ليقلد دولته الوشاح بنفسه .

وتفضل جلالة الملك وصافح حسن صبرى باشا وسلمه الوشاح وطلب اليه أن يرتديه أمامه ، وأمسك دولته يد المليك وقبلها مرتين ، ثم بدأ يحاول ارتداء الوشاح فاضطرب قليلا ثم قال للملك : تسمح يا مولانا ألبسه بره لأنه عاوز شغل كثير .

وضحك جلالة الملك وطلب الى فائق بك يكن الامين الرابع أن يصحب حسن صبرى باشا إلى غرفة أخرى ويساعده على ارتداء الوشاح .

واشترك الاستاذ ميشيل ساويرس فى عملية تثبيت الوشاح بالدبابيس .

واثناء ذلك التفت صبرى باشا الى الاستاذ ميشيل وقال له : اذهب الآن الى محل فاينبرج المصوراتى واطلب أليه أن ينتظر فى البيت حتى يأخذ لى صورة وأنا بالوشاح الجديد .

ثم عاد دولته الى الحجرة التى بها جلالة الملك وقبل يده مرة أخرى وهو يقول ربنا يخليك يا مولانا ..

وركب صبرى باشا العربة الملكية فى معية جلالة الملك وذهب الاستاذ ميشيل ساويرس الى المصور ليصحبه الى دار صبرى باشا .

وانتظر المصور فى دار صبرى باشا ومعه آلة التصوير ليصور حسن صبرى باشا حين وصوله واذا به يفاجأ بوصول حسن صبرى باشا محمولا على نقالة الاسعاف وكانت روحه الكريمة قد صعدت الى خالقها وهو يلقى خطاب العرش فى اجتماع البرلمان .

والآن ننتقل الى حفلة افتتاح البرلمان : كان تساؤل النواب والشيوخ قبل تشريف جلالة الملك : هل صحيح أن حسن صبرى باشا سينال وشاح محمد على أم لا .. ؟ وكان السبب فى هذا التساؤل أن زميلتنا جريدة الاهرام كانت قد نشرت قبل ذلك بأيام أن جلالة الملك سيتفضل وينعم على رئيس وزرائه بالوشاح الاكبر من نيشان محمد على يوم افتتاح البرلمان ، ونفى البعض الخبر بينما أكده آخرون ، وجلس

النواب والشيوخ يتحدثون ويخمنون هل سينعم على حسن صبرى باشا بالوشاح أم لا ينعم عليه .

وفى مكان آخر من (العدد ٣٢٢) تقول آخر ساعة :

نستطيع اليوم أن نقول إن اكثر من شخصية كبيرة واحدة كانت لاحظت ضعف صحة المغفور له حسن صبرى باشا وان قواه لن تمكنه من الاستمرار فى بذل المجهود الذى تتطلبه اعباء منصبه الخطير .

ولهذا قيل له – اكثر من مرة – أو على الأصح نصح له فى رقة وعطف أن يعطى نفسه الراحة الواجبة .

وتحدث معه كذلك بعض اصدقائه ومريديه فى صواب الاستقالة .

وقد تكون هناك اسباب أخرى تتصل بالسياسة أو تتصل برغبة بعض الساسة وشوقهم المشروع الى الوزارة ومقاعدها .. تقول قد تكون هناك اسباب هى التى لوحت الى بعضهم بالسعى عند المرحوم صبرى باشا ومحاولة اقناعه بالراحة والاستقالة .

على كل حال يمكننا كذلك ان نقول إن المغفور له رئيس الوزراء السابق كان يحس فى الاسابيع القليلة السابقة لاختياره الى جوار ربه ، أن هناك شيئا ما فى الجو وأنه محاط بمساع قد يكون من الاسراف أو التجنى أن يسميها الكاتب دسائس أو مناورات !

ولكن المعروف أن دولة صبرى باشا رفض كل هذه « النصائح » وصمم على البقاء فى منصبه .. الى أن كان ما كان ولكل اجل كتاب .

وكان من علامات هذا « الجو » الذى كان يحيط بحسن صبرى باشا قبل وفاته ، ان كبيراً – وكان ذلك قبل الوفاة بعشرة أيام – قابل زعيما من زعماء السعديين وسأله ماذا يكون موقف السعديين إذا اضطر دولة صبرى باشا إلى الاستقالة مراعاة لصحته ؟ هل يرضى السعديون يومها بالاشتراك فى وزارة يرأسها سعادة محمد محمود خليل بك مثلا ؟

فأجاب الزعيم السعدى ان ذلك لن يكون !
وهنا عاد معالى السائل يسأل وهو يبتسم :
– وإذا شكلت أنا الوزارة فهل تقبلون الاشتراك معى ؟

وأجاب السعدى الكبير :
– إن السعديين يقدرون لمعاليكم مكانتكم ومقامكم ولكنهم وقد خرجوا من وزارة

صبرى باشا بسبب رأى النحاس لايمكنهم بعد ذلك الاشتراك فى وزارة مهما كان رئيسها إلا إذا كان رأى الوزارة جميعها من رأيهم ..

وفى نفس العدد أيضا (٣٢٢ ـ ٢٤ نوفمبر ١٩٤٠) تتحدث اخر ساعة عن تاليف الوزارة الجديدة وزارة حسين سرى باشا فتقول :

بعد وفاة المغفور له حسن صبرى باشا بدقائق بدأ الناس يسألون عن اسم رئيس الوزارة الذى يخلف الفقيد ؟

ورشحت الاشاعات على ماهر باشا ومحمد محمود خليل بك وحسين سرى باشا وبهى الدين بركات باشا .. ورشح سعادة القيسى باشا نفسه !

واعتقدت الدوائر السياسية أن تأليف الوزارة سوف يستغرق وقتاً طويلا .. واشيع فى الدوائر السعدية ان هناك اتجاها نحو الدكتور ماهر باشا وقيل فى الدوائر الوفدية ان هناك اتجاها نحو وزارة ادارية تجرى انتخابات حرة .

وازداد الاعتقاد بطول الأزمة لما صدر أمر ملكى بتوزيع المناصب التى كان يشغلها المغفور له حسن صبرى باشا على كل من حلمى عيسى باشا وعبد الحميد سليمان باشا والقيسى باشا .

وفى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الجمعة تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك وأسند رياسة الوزارة الى حسين سرى باشا .

لم يلبث سرى باشا بين عشية وضحاها حتى ألف وزارته ولأسباب ارتآها معاليه أدخلت فى الوزارة الجديدة تعديلات بالحذف والاضافة .

واتصل معاليه بمعالى عبدالقوى بك احمد وعرض عليه الاشغال فطلب معاليه مهلة للتفكير .

وقد كان عبد القوى بك قد رتب حياته على عدم دخول الوزارة ولكن اصدقاء أعزاء اقنعوا معاليه بالقبول .

وعرض سرى باشا الوزارة على الشيخ المحترم الاستاذ عبد الرحمن بك الرافعى سكرتير الحزب الوطنى فاعتذر وجمع أعضاء الحزب وعرض عليهم الأمر فأيدوه فى رفض الاشتراك فى الوزارة .

وأراد معالى حلمى عيسى باشا أن يعتذر ولكن الوزراء الدستوريين احتاطوا بحلمى باشا وألحوا عليه فى قبول الوزارة فقبل .

ثم اتصل بمعالى يونس صالح باشا فى داره فلم يجده وقال الخادم ان يونس باشا موجود فى دار عبد الحميد سليمان باشا .

واتصلت الرياسة بدار عبد الحميد باشا وطلبت حضور يونس باشا فى الحال .
- انتم عاوزين سليمان باشا والا يونس باشا ؟

وقالت الرياسة :

- لا .. يونس باشا ..

واجتمع الاحرار الدستوريون وقرروا الاصرار على المطالبة بخمسة مقاعد واعدوا كشفاً بأسماء مرشيحهم وهم :

احمد خشبة باشا ورشوان محفوظ باشا وعبد الجليل ابو سمرة بك وتوفيق خليل بك وحامد العلايلى بك .

وفى الساعة الخامسة مساء قابل الوزراء الدستوريون دولة رئيس الوزراء وعرضوا طلباتهم وقدموا الكشف .

وقال سرى باشا :

- طيب ! .. زى بعضه خمسة ... ! الاربعة وزراء القدام وواحد جديد .
ثم امسك الكشف وقال : اخترت عبد الجليل بك !

واسرع معالى احمد بك عبد الغفار الى نادى محمد على وسحب عبد الجليل ابو سمرة بك من يده وقال :

- مبروك وزارة الشئون الاجتماعية .

فقال عبد الجليل بك .

- انا رافض ..

فصاح احمد بك :

- رافض إزاى !

وقال عبد الجليل :

- موشى لازم الرئيس يعرض علىّ الوزارة بنفسه واتفاهم معاه ؟ !
وصاح احمد بك :

- ده الرئيس اختارك من بين عشرة .. عاوز إيه احسن من كده .

وعن تعيين عبد الحميد بدوى باشا وزيرا للمالية - وكان تعيينه مفاجأة سياسية كبيرة قالت آخر ساعة فى (العدد ٣٢٥) :

قوبل تعيين صاحب المعالى الدكتور عبد الحميد بدوى باشا وزيراً للمالية بدهشة كبيرة فقد رشحت الاشاعات كل اسم من رجال الدولة كبارها وصغارها ولم تجسر على ان تقترب من بدوى باشا لأنه فوق الوزارات . لم يصدق احد ان بدوى باشا يرضى ان

يترك مقعده الوثير فى رياسة قلم قضايا الحكومة ليدخل وزارة مهما عاشت فلن تعيش ثمان سنوات وهى المدة الباقية لبدوى باشا ثم يحال الى المعاش ؟ ثم كيف يضحى بمرتبه ومكافأته وهى تزيد على مرتب الوزير بحوالى ثمانمائة جنيه فى العام ؟ ثم كيف يترك منصبه الذى هو فى الواقع منصب « محرك الدولة من وراء الستار » ليصير وزيرا من اثنى عشر وزيرا .. ثم كيف رضى ان يكون وزيرا فى وزارة ثروت باشا وصدقى باشا وعدلى باشا ومحمد محمود باشا وعلى ماهر باشا من عدة سنوات ؟ كانت هذه كلها أسئلة نسمعها من كل الشفاه حتى من شفاه الوزراء أنفسهم الذين لم يصدقوا ان بدوى باشا سيكون وزيرا معهم فى الوزارة .

وقال كثيرون ان فى الأمر سرا .. ولابد أن الغرض من تعيين بدوى باشا هو اعداده ليلعب دورا هاما فى المستقبل ، لكن هذه الحجة اختفت لما عرف ان حسين سرى باشا هو الذى اختار بدوى باشا ، وقيل ان الغرض زحلقة بدوى باشا من منصبه ولكن توارت هذه الاشاعة خجلا لما عرف ان بدوى باشا احتفظ بمنصبه القديم ليعود اليه بعد استقالة الوزارة .

ويجيب بدوى باشا على كل هذه الاسئلة بابتسامة اكليشية كابتسامة دولة صدقى باشا تمام ويقول انه قد دعى لكى يؤدى واجبا فوجب عليه فى هذه الظروف الخطيرة أن يؤديه ، وان فى هذا الجواب على كل سؤال .

وقد قابلت الدوائر السعدية تعيين بدوى باشا بدهشة وقيل ان بعض السعديين يرى ان احتفاظ بدوى باشا بمنصبه غير دستوى ولكننا علمنا ان السعديين لا ينوون اثارة هذه المسألة لأن الدكتور ماهر باشا من اشد المعجبين ببدوى باشا وقد بدأ خلافه مع مكرم باشا من أجل بدوى باشا والمعاملة القاسية التى يقول ماهر باشا ان الوفديين كانوا يعاملون بها وزير المالية الحالى .

وصرح دولة رئيس الوزراء لنا بأنه يرى ان تعيين بدوى باشا فى وزارته يزيدها قوة على قوة ، وانه يعتقد ان نجاح بدوى باشا فى الوزارة سيكون عظيما .

وتبدى الدوائر الوزارية سرورها بدخول بدوى باشا فى الوزارة فهو سيضع تحت تصرف مجلس الوزراء جميع فتاويه المدهشة كلما وقعت الوزارة فى مأزق او صادفتها .

وكانت آخر ساعة قد قدمت رئيس مجلس الوزراء الجديد حسين سرى باشا فى (العدد ٣٢٧) على النحو التالى :

سمعت عنه كثيرا أيام كان وكيلا لوزارة الاشغال وسمعت عن جلده فى العمل وعن شدته - ولا أقول غطرسته - مع مرؤوسيه ، وكيف انه لايحبهم ولا يخاطبهم إلابيا أفندى وياشاطر وانت فاكر انت فين ؟ .. حتى ولو كان المرؤوس يحمل لقب صاحب العزة أو فى درجة مدير اعمال .

وتشاء الصدفة ذات يوم فى صيف عام ١٩٣٧ أن اكون فى ميدان السباق بالاسكندرية وأن اجلس فى مقصورة تجاور مقصورة كان يجلس فيها « حسين بك سرى » مع بعض السيدات والرجال من افراد الأسرة .

وعرفنى احدهم فقال بصوت اراده أن يكون همساً ولكننى سمعته .. قال « هذا فلان »

ولحسن الحظ لم يقل أحد من الحاضرين أو الحاضرات .. ياخبر ابيض أو جاته نيلة البعيد الى آخر العبارات التى تعبر عن رأى الجمهور فى من يشتغلون بالصحافة وبالصحافة الاسبوعية على وجه الخصوص .

أما حسين بك سرى فقد التفت الى وخيل لى أنه قد ابتسمت عيناه .

كانت هذه أول مرة رأيته فيها عن قرب واعترف ان ابتسامته الصامتة تركت يومها فى نفسى أثراً طيباً لأن من يظفر منه ولو بشبه ابتسامة يستطيع أن يهنىء نفسه ويتيه على العالمين !

ثم مر عام واصبح حسين سرى وزيرا واتفقت الاشاعات ورواة الاخبار على أنه وزير « لا يطاق » وأن شدته التى كان يتمتع بها الموظفون وحدهم فى وزارة الاشغال قد اصبح لحضرات الشيوخ والنواب المحترمين منها نصيب حتى يمكن أن يقال إنه أصبح عدو الشيوخ والنواب رقم واحد ؟ !

وأنا الذى اعرف الكثير عن بعض الشيوخ والنواب وكيف ان بعضهم كثيرا ما يطرق ابواب الوزراء ويلح من اجل تعيين فلان او ترقية او نقل علان وترتان .. اعجب لهذا العداء او هذه الخصومة بين حضراتهم ومعالى الوزير الجديد .

وذات يوم قابلت شقيقه الدكتور احمد سرى ودار بيننا حديث اذكر أننى قلت له فيه ما خلاصته ومعناه اننى لااعرف شقيقه الا بالسماع ، وان ما اسمعه عنه لا يشجعنى كثيرا ولكن ما ضره لو خفف قليلا من شدته وعامل الناس باللطف والابتسام ولو مرة واحدة فى الاسبوع .

وقلت له ان شقيقه حسين سرى ـ وقد وضع قدميه على درج الوزارة ـ ليس بعيدا ان يصبح رئيسا للوزراء . وياحبذا لو استطاع ان يبتسم فى وجوه حضرات الشيوخ والنواب ولو مرة من آن لآن .

ودافع الدكتور احمد سرى طويلا عن شقيقه وحدثنى عن طيبة قلبه ومروءته وذكر لى وقائع معينة ولكنه وافقنى على ان « حسين » لا يعرف حقيقة كيف يداهن الناس او يأخذهم على قدر عقولهم لأنه يأخذهم على قدر عقله هو .

ثم قال : سوف أنقل كلامك هذا لأخى ولو انك كما تقول لا تعرفه وهو لا يعرفك .

ودارت الايام وأصبح حسين سرى باشا رئيسا للوزراء ، واكتشف الكثيرون فجأة صفات عديدة صاغوا منها مقالات طويلة فى رئيس الوزراء الجديد .

ولكن احدا منهم لم ينتبه ولم يذكر هذه الحقيقة وهى أن حسين سرى هو أول رئيس وزارة لم يسع وراء الصحافة ولم يتملق الصحفيين ، ولم يحاول أن يستغل منصبه لكى يوجه الصحافة فى خطة معينة يصيبه منها كثير أو قليل من الدعاية والمديح والاطراء كما فعل سلف له من قبل ومن عهد قريب .

ثم هو يتقبل النكتة حتى ولو كانت على حسابه ، فان اعجبته ، هنأ صاحبها فقال :

ـ مش بطالة يا شاطر !!

وإن لم تعجبه قال :

ـ اسمح لى يا افندى اقول لك ان النكتة بايخة .

وحسن سرى باشا هو أول « مستقل » بكل معنى الكلمة تولى رئاسة الوزارة منذ انقلاب عام ١٩٣٧ .

وكنموذج لما كانت تكتبه آخر ساعة عن جلسات مجاس النواب ومجلس الشيوخ .. نقدم ماجاء فى (العدد ٣٢٧) عما قيل فى الجلسة السرية لمجلس النواب .. فتقول :

عقد مجلس النواب فى الأسبوع الماضى ثلاث جلسات سرية للمناقشة فى خطاب العرش ، وقد حدثت خارج الجلسات وفى الأروقة نوادر ومفارقات واحاديث وتصريحات ننشرها لطرافتها وإن لم تكن فى صميم الحالة السياسية وانما على هامشها .

انتصار !! .

طالب دولة رئيس الوزراء بأن تكون المناقشة فى خطاب العرش فى جلسة سرية بمجلس النواب ، وعارض السعديون فى هذا القرار وتناقش النواب فى هل تكون المناقشة علنية أو سرية فى جلسة سرية أم علنية .

ووقف المتفرجون خارج القاعة ينتظرون نتيجة المعركة على السرية والعلنية .

وفجأة خرج هيكل باشا من قاعة المجلس وهو يصيح .

ـ فازت الوزارة بأغلبية ثمانين فى المائة وقال معاليه إن معركة السرية والعلنية هى بروفة المعركة الكبرى ومادامت الوزارة قد جازت « البروفة » بنجاح فستنجح فى المعركة الكبرى نجاحا باهرا .

شهادة .

وقف بعض النواب يتحدثون فى الموقف الحربى فى أحد أروقة مجلس النواب وتكلم الأستاذ ابراهيم عبد الهادى فقال إن السعديين لم يطلبوا الحرب وانما طلبوا الدفاع فقط .

وقاطعه الأستاذ غنام وقال : بل انتم طلبتم الحرب .

فالتفت الأستاذ ابراهيم الى معالى احمد بك عبد الغفار وقال له :

- صحيح يا أحمد بك احنا طلبنا اعلان الحرب ؟ !

والتف بعض النواب حول الأستاذ عبد الهادى يقولون له إن السعديين طلبوا اعلان الحرب فى اجتماع مجلس الوزراء فى وزارة حسن صبرى باشا .

وقال الأستاذ عبد الهادى إنه يستشهد بدولة حسين سرى باشا وقد اعلن مقدما أنه رجل صادق ثم احتكم اليه فى هل طلب السعديون شيئا اكثر من الدفاع .

واجاب حسين باشا بهدوئه المعروف لأن المناقشات فى جلسات مجلس الوزراء سرية ، أما وقد استشهد بى صديقى وزميلى الأستاذ ابراهيم عبد الهادى فأنا اقول ان السعديين لم يطلبوا الدفاع فقط بك اكثر من الدفاع :

إفراج .

ذهب معالى عبد الجليل بك ابو سمرة وزير الشئون الاجتماعية الى حفنى بك محمود وطلب اليه انه يحدد موقفه وقال :

- إننى فى الوزارة وزملائى نمثل محمد محمود باشا ونفعل كل ما يأمرنا به ورفعته لم يخالف خطة الوزارة على الاطلاق ، واخوك الأكبر عبد الرحمن محمود بك يجلس مع الدستوريين وسيصوت معهم فعليك أن تختار أمراً من اثنين إما أن تؤيد الوزارة أو تستقيل من الحزب .

وسأل حفنى بك : هل هذا انذار ؟

وأجاب وزير الشئون الاجتماعية : نعم .. وانذار نهائى كمان !

وقد لوحظ ان حفنى بك كان يجلس فى الجلسات الأخيرة فى صفوف السعديين

الحل الأخير !

قال النائب السعدى المحترم مصطفى السلانكلى لبعض النواب إن علينا أن نختار واحدا من ثلاثة حلول : إما أن نعلن الحرب أو نعلن عدم الثقة بالوزارة أو نحل المجلس ونستفتى الأمة .

فقال له الأستاذ غنام : أحسن واحد هو الحل الأخير

أسماء ومسميات

وكان الأستاذ عبد الحميد عبد الحق يتحدث مع جماعة من النواب فاطلق على السعديين اسم الماهريين .

وكان الدكتور ماهر باشا موجودا فقال : دول اسمهم السعديين .

فالتفت الأستاذ غنام الى السعديين وقال : سعد باشا بتاعنا كلنا انما ماهر باشا بتاعكم انتم بس !

وسمع الأستاذ العقاد هذه المناقشة فالتفت الى الوفديين وقال انتم اسمكم النحاسيين .

وهنا قال الأستاذ محمود غنام كلمة ضاعت وسط ضحكات الموجودين .

وصرح لنا الأستاذ عبد الحميد عبد الحق بأن رفعة النحاس باشا كلفه أن يعلن ان الوفد المصرى يؤيد سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب تمام التأييد وهى السياسة التى جرت عليها الوزارة الماضية والوزارة الحالية .

وصرح زعيم المعارضة الوفدية كذلك بأن الوفد يرى ان مصر قد أدت ما عليها من الواجبات التى تنص عليها المعاهدة ووفت بالعهد كل الوفاء .

واستطرد زعيم المعارضة الوفدية فقال انه لا يفهم خطة السعديين فهم قد طلبوا الحرب ثم طلبوا الدفاع ثم اصروا على الحرب ثم نادوا بالدفاع وانه حائر بينهم الآن !

فلما قيل له ان السعديين استقالوا من الوزارة لأجل مبدئهم أجاب زعيم المعارضة الوفدية بأن هذا غير صحيح ، فقد كان السعديون يظنون انهم باستقالتهم من وزارة حسن صبرى باشا يحرجونه وكانوا يحبون .

قال زعموا ان فلاحا إدعى انه يستطيع ان يعلم حماره القراءة والكتابة .

وسمع مدير المديرية بذلك فاستدعى الفلاح وسأله هل يستطيع ان يفعل ذلك فأكد الفلاح انه يستطيع وانما طلب مهلة عشر سنوات .

فقبل الحاكم هذا وقال انه اذا لم يتعلم الحمار القراءة والكتابة بعد عشر سنوات فسيشنق الفلاح الكذاب .

ووافق الفلاح على هذا الشرط ..

وبعد ان انصرف من حضرة الحاكم سأله الناس :

– كيف يا مجنون تقبل الرهان وانت تعلم انك لا تستطيع ان تعلم الحمار القراءة والكتابة فى عشرة أعوام .

وضحك الفلاح وقال :

ـ الحكاية بسيطة بعد عشرة أعوام إما أن يموت الحاكم أو أموت أنا أو يموت الحمار .

انه مادام نقل النقراشي باشا من وزارة الداخلية الى وزارة المالية استلزم سبعة أيام فان خروج أربعة وزراء سعديين من الوزارة.سيجعلها فى أزمة لمدة ٢٨ يوما بحساب ٤ × ٧ = ٢٨ ولكن حسن صبرى باشا رحمه الله كان ذكيا فقد قدمت اليه استقالة السعديين فى الساعة الثانية وقبلها فى الساعة الثانية وخمس دقائق .

وهنا قال الاستاذ غنام ان الاستقالة قدمت فى الساعة الثانية وخمس دقائق وقبلها حسن صبرى باشا فى الساعة الثانية تماما .. أى ان قبول الاستقالة تقرر قبل تقديمها !!

التأجيل !

كان البعض قد طلب تأجيل المناقشة عن السياسة الخارجية فى مجلس النواب مدة ستة اسابيع وقالوا إن فى هذا حلا للمشكل .

وقص علينا الاستاذ انطون الجميل بك ان هذه الفكرة كفكرة حكاية المدير والحمار !

قلنا وكيف كان ذلك ..

وربما كان فى مقدمة الاعمال الصحفية الهامة فى حياة محمد التابعى تلك السلسة التى نشرها فى مجلة آخر ساعة عن : لماذا نسد الجو واستحالة التعاون بين العرش وحكومة الاغلبية وكانت تلك المقالات عادة تحتل الصفحات الاولى والثانية والثالثة من كل عدد ولأهمية تلك المقالات فانما سنجرى دراسة مستقلة عليها ولكننا ـ هنا سوف نعمد الى الاشارة الى بعضها او الى كثير منها ذلك لانها ـ فى رأينا تمثل ركنا اساسيا وهاما بين اركان السياسة المصرية فى الثلاثينات حيث كانت العلاقات بين الوفد والسراى مذبذبة لا تستقر على حال فمن تعاون كامل او شبه كامل الى عداء سافر من الفريقين ، فى احيان كثيرة كان الصراع بين الوفد والسراى يجرى تحت السطح دون ان يحس به الا اولئك الذين على مقربة من صانعى القرار فى الوفد او فى السراى وقد كان محمد التابعى طيلة تلك الفترة على مقربة من مصطفى النحاس ومكرم عبيد وبقية أقطاب الوفد .

وربما كانت تلك السلسة التى كتبها محمد التابعى فى اوائل عام ١٩٣٨ وربما قبل ذلك هى التى أوحت للاستاذ مصطفى امين كتابة مقالاته الشهيرة فى بداية انشاء اخبار اليوم والتى حملت عنوان « لماذا ساءت العلاقة بين السراى والوفد » وان كانت

سلسلة مقالات التابعى تتميز بالدقة والحيدة الى حدما والتعطف مع الوفد بعكس مقالات الاستاذ مصطفى امين التى كانت منحازة تماما الى السراى وكانت تعتمد ـ فى كثير من الاحيان ـ على بيانات غير صحيحة او بيانات صحيحة جرى تضخيمها لصالح السراى .

ولعل من الامور الهامة عقد دراسة مقارنة بين هاتين السلسلتين لما لهما من اهمية بالغة فى تاريخ الصحافة المصرية والسياسة المصرية فى الاربعينات .

والذى لا شك فيه ان مقالات الاستاذ التابعى ـ فى هذا الخصوص ـ كانت تحمل اسرارا هامة لم يعرفها الكثيرون قبل نشر تلك المقالات كما ان هذه المقالات تعطى انطباعا للقارىء بأن نفس الاستاذ محمد التابعى فى الدراسات الطويلة كان طويلا كما تعطى انطباعا اخر بان اسلوب الاستاذ التابعى كان فريدا فى بيانه .

ونحاول هنا ـ ودون ترتيب الاشارة الى بعض القضايا الهامة التى أثارت الخلافات والاختلافات بين الوفد أو بمعنى أدق حكومة الوفد وبين السراى .

للتدليل على مدى الحب : يقول مصطفى النحاس باشا انه كان يكتب للملك فاروق مانشره التابعى تحت عنوان : رئيس الوزراء بين يدى الملك : ولن تجدوا جلالتكم من هوا أكثر اخلاصا لشخصكم من مصطفى النحاس وكان مانشره التابعى فى العدد ١٦٢ بتاريخ ٨ اغسطس ١٩٣٧ .

حدث فى وقت ما أثناء الاسابيع القليلة الاخيرة ان كثرت الاقاويل وتعددت الاراء فى الحفلات التى تقام بمناسبة مباشرة المليك المحبوب لسلطته الدستورية . وبالرغم من ان الوزارة اعلنت اكثر من مرة انها لاتخطو خطوة الا بارادة جلالة الملك وانها شديدة الحرص على تحقيق رغبات جلالته فى كل شأن يتعلق بالحفلات المذكورة ، نقول بالرغم من هذا فان بعض الصحف راح يبدى ويعيد فى هذه الحفلات ويتحدث عن خلاف لا وجود له بين هنا وهناك .

ومما يؤسف له ان صحفا أخرى كان أخلق بها ان تكون أبعد نظراً واكثر تؤده انساقت وراحت ترد على صحف المعارضة ، ومن هنا اتسع الموضوع وكتبت فيه كتابات كان خيرا وأولى ان لاترى النور .

وكان من المحتمل ان يترك هذا كله أثرا غير مستحب ، وان نمسى ونصبح فى جو غير مرغوب فيه .

ولقد عرف عن صاحب الجلالة الملك انه صريح يحب الصراحة ، والتمس صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء مقابلة جلالة الملك وكان ذلك بعد تأدية جلالته اليمين الدستورية .

ومثل مصطفى النحاس باشا بين يدى المليك وانتهز الفرصة وتحدث بصراحة الى مولاه وراح يشرح الاسباب ويحيط بالظروف ويرجع كل تصرف الى سببه وأصله وعلته الى ان قال :

(ولعل مولاى يعلم انني الوحيد بين رؤساء الوزارت الذى لايزال يقطن دارا بالاجرة . لانني لست ممن ينشدون الثروة عن طريق المنصب ، ولست انا الذى اطلب الحكم لكى اثرى واستفيد . بل انازاهد فى المنصب وزاهد فى هذا الحياة . وإذا كنت ابقى اليوم فى منصبى فانما ابقى فيه لكى اخدم العرش وجلالتكم والوطن .

ولقد حوربت فيما مضى وأوذيت فى شخصى وفى كرامتى وكثرت ضدى الدسائس ولكن والدكم المغفور له الملك فؤاد عرف الحقيقة فى أيامه الاخيرة رحمه الله فقال : « ليس هناك من هو أكثر اخلاصا لى من مصطفى النحاس .. »

وهنا تفضل جلالة الملك وأبدى إشارة موافقة على ماقاله رئيس الوزراء واستمر مصطفى النحاس باشا يقول :

(وإنى لأرجو من مولاى ان يعتقد فى اخلاصى ولن تجدوا جلالتكم من هو اكثر اخلاصا لشخصكم ولعرشكم من مصطفى النحاس)

ولقد وقعت هذه الكلمات الصريحة من نفس صاحب الجلالة الملك موقعاً طيبا جدا وخرج صاحب المقام الرفيع من حضرة المليك وهو يدعو لجلالته بالخير والتوفيق .

وقد يرى خصوم الوزارة ان من مصلحتهم ان يروجوا للاشاعات الكاذبة . ولكن الحقيقة هى ان العلاقات لم تكن بين العرش والوزارة يوما من الايام خيراً مما هى الآن .

وفى العدد ١٦٧ كتبت آخر ساعة تحت عنوان جلالة الملك الدستورى وحكومة الاغلبية وقد جاء فى ذلك المقال مايلى :

نشطت المعارضة عقب عودة حضرة صاحب الجلالة الملك من رحلته فى أوروبا .

ونشطت حركة رفع العرائض المختلفة الى صاحب العرش الكريم . وهى عرائض تفيض بالشكوى وبالتهم المزعومة ضد الوزارة القائمة .

وراح بعض صحف المعارضة ، يشير تلميحاً وتصريحا فى بعض الحالات الى انفضاض الامة (كذا) من حول زعيم الاغلبية ورئيس الحكومة ، ويفزع الى رحمة المليك المحبوب .

وتخبطت صحف بين موقف البرلمان وموقف الرأى العام ، وناقض بعضها بعضاً ، بل وناقضت صحيفة واحدة نفسها بنفسها فى عددين متتاليين ، ولو ان

مصطفى النحاس اراد ان يعمل برأى المعارضة ومشورة المعارضين لحار الرجل فى أى سبيل يسلك وأى طريق يختار .!

هل يعمل بنصيحة المعارضين الذين ينادون بالانتظار حتى يجتمع البرلمان وله الكلمة الاولى والاخيرة .

ام يعمل مصطفى النحاس برأى الذين لايقيمون للبرلمان وزناً ويريدون أن يحتكموا الى الرأى العام بحجة أن هذا البرلمان أصبح غريباً بعيداً لايعبر عن حقيقة الرأى العام ! ؟

مداد فى مداد .... وصفحات تسود بلا نزاهة أو منطق أو ذوق سليم .

والحقيقة يعرفها المعارضون كما يعرفها الاصدقاء والانصار . وهذه الحقيقة التى لاتفلح فى طمسها اطنان من المداد المراق هى ان البرلمان يؤيد بأغلبيته الساحقة مصطفى النحاس ، وأن الرأى العام لايزال اليوم كما كان بالأمس يسند مصطفى النحاس ...

اللهم إلا اذا كان هذا الرأى العام هو شرذام مصر الفتاة وزعيمها الشاب المهرج ، ثم جماعة لا تضيق بهم خانة العشرات وان شئت فبالغ وقل خانة المئات !!

ثم نقولها لهؤلاء وأولئك كلمة صريحة لا ابهام فيها ولا غموض ، وقد أشار اليها حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء فى خطبته التى القاها فى مدينة دمنهور .

ولكننا نريد ان تزيدها صراحة وان نضع فيها النقط فوق الحروف .

ان حضرة صاحب الجلالة الملك دستورى بطبعه والمعروف عن جلالته انه يريد ان يحكم حكما دستوريا صحيحا وأن يعمل بحزم واخلاص مع حكومة الاغلبية طالما كانت هذه الحكومة مؤيدة من الاغلبية ، وطالما كانت هذه الاغلبية معبرة عن الرأى العام .

اما اذا تبين فى يوم ما ان الوزارة لاتستند إلى أغلبية فى المجلسين ، أو ظهر بصفة قاطعة صريحة ان هذه الاغلبية البرلمانية لاتعبر عن حقيقة ميول الرأى العام ..

اذا تبين هذا أو ذاك ، هنا وهنا فقط يستعمل حضرة صاحب الجلالة الملك حقه الدستورى لكى يرد الأمر إلى الطريق الدستورى السليم .

فهل الاغلبية انصرفت عن تأييد مصطفى النحاس ؟

كلا ..

وهل هذه الاغلبية لاتعبر عن الرأى العام ؟ .

كلا ...

أو كما قال ذو مقام كبير .

ـ تستطيع جميع قوات المعارضة اذا تضامنت وعملت متحدة وتألبت اليوم على مصطفى النحاس ، تستطيع ان تخدشه أو تجرحه ، ولكنها لاتستطيع بعد ان تكسره !

هذه هى الحقيقة من غير إبهام ولا ايهام ولا مبالغة واسراف ، فلا يزال مصطفى النحاس اليوم قوياً كما كان بالأمس ، بل لعله اليوم أقوى مما كان وهو حائز لثقة المليك المفدى وموضع عطفه ورضاه ، ومؤيد من كافة الطبقات والهيئات والجهات !

ثمانى دقائق لا نصف ساعة .

والمعارضة الآن قسمان : المعارضة السافرة الصريحة ، والمعارضة المستترة التى تبدو فى ثوب الصديق واللهم اكفنى شر أصدقائى . اما خصومى فانى اعرف كيف اتقى شرهم !

ولقد حدث ابان اشتدادها يسمونه « أزمة النقراشى باشا » أن تشرف سعادة رئيس مجلس النواب الدكتور احمد ماهر بمقابلة صاحب الجلالة الملك فى سراى المنتزه .

وقالت صحف منها يومية ومنها زميلة أسبوعية ؛ إن المقابلة دامت نصف ساعة (كذا) وزادت الزميلة الاسبوعية فاكدت لقرائها أن جلالة الملك تحدث مع الدكتور احمد ماهر فى بعض الشئون التى تهم الرأى العام الآن

ومع أن موقف سعادة رئيس مجلس النواب هو كماقلنا فى الاعداد السابقة موقف حياد سليم من كافة الوجوه ، فان صحف المعارضة السافرة والمستترة أرادت أن تلقى فى روع الجمهور أن هناك أمورا ذات بال توشك أن يكشف عنها الغد القريب . وإن الدور الأول فيها أو دور البطل سوف يقوم به رئيس مجلس النواب .

وهذه أولا دسيسة رخيصة القصد منها الايقاع بين رئيس المجلس المحترم وبين الوفديين ثم هى أكذوبة يجب أن تعلو عنها صناعة القلم النزيه .

ثم ماذا تقول هذه الصحف وماذا يقول قراؤها أو يقولون لها أو فيها إذا عرفت وعرفوا أن مقابلة المليك المعظم لسعادة رئيس مجلس النواب لم تدم سوى ثمانى دقائق فقد أدخل الدكتور ماهر إلى حضرة المليك فى الساعة الخامسة والدقيقة اثنان ، وأذن له جلالته بالانصراف من حضرته العلية فى الساعة الخامسة و الدقيقة العاشرة .

وكان الدكتور أحمد ماهر قد التمس المقابلة لكى يتشرف برفع مضبطة محاضر مجلس النواب إلى مقام جلالة الملك .

فهل يدخل فى العقول أن الثمانى الدقائق كانت كافية لتقديم مضبطة المجلس والحديث فيها ثم الحديث فى (بعض الشئون التى تهم الرأى العام الآن) ؟ !

وفى ١٧ اكتوبر ١٩٣٧ العدد ١٧٢ كتبت اخر ساعة كلمة تحت عنوان : انا أحرص الناس على حقوق مولاى الملك ، مصطفى النحاس .. وقد جاء فى الكلمة مايلى :

تكلمت صحف فى أمر (خلاف الرأى) الذى قام بين الوزارة وبين الديوان الملكى فى شأن الموظفين الأجانب الملحقين بفروع إدارات السرايات الملكية والاجراءات التى تتبع فى تعيينهم وهل هذا التعيين يرجع فيه إلى قرار الديوان الملكى وحده أم ترى يسرى عليه حكم القانون الذى استصدرته وزارة صاحب الدولة على ماهر باشا فى أمر تعيين الموظفين الأجانب .

والحكاية كلها موجبة للاسف ، ومن الاسراف فى القول أن توصف بأنها (خلاف فى الرأى) وما كان يحسن أن تصل هذه الحكاية إلى الصحف اللهم إلا إذا كان قصد الذين أوصلوها العمل على إيجاد خلاف بين القصر والوزارة وتنمية الخلاف ولو من أهون الأسباب .

وليست المسألة كما يزعمون محاولة .. الوزارة للانتقاص من حقوق صاحب الجلالة الملك ، وقد يجوز توجيه هذه التهمه إلى كل وزارة إلا وزارة على رأسها مصطفى النحاس .. وقد يجوز توجيهها مثلا لو أن رئيس الوزارة كان محمد محمود باشا وما تصرفات دولته فى لندن فى صيف ١٩٢٩ ببعيدة عن الأذهان !

أم أن يقال عن مصطفى النحاس إنه حاول أو يحاول الانتقاص من حقوق رب العرش فتهمة سخيفة يفندها ماضى مصطفى النحاس فى الاخلاص للعرش ورب العرش بالرغم من كل الوان الاضطهاد التى لاقاها رئيس الوفد المصرى فى هذا السبيل .

الحكاية كلها كما قلنا موجبة للأسف وهى لاتعدو أن تكون سوء تفاهم بسيط ، ولم يخطر ببال وزير المالية ولاببال رئيس الوزراء أو أحد الوزراء وهم ينظرون فى أمر تجديد عقد المهندس الميكانيكى الأجنبى الملحق بالجراجات الملكية .... لم يخطر ببال أحدهم ـ ونحن هنا ننقل أقوالهم لنا ـ أن المسألة ستأخذ هذه الأهمية أو ستندفع فى هذا الطريق ، ذلك لأنهم أحرص مايكونون على حقوق جلالة الملك ، وأشد رغبة فى استبقاء علاقات الصفاء بين القصر وبينهم من أن يثيروا غباراً من أجل لاشىء !

وتشرف رئيس الوزراء بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك ، وعرض الحديث أثناء المقابلة لهذه المسألة بالذات وقال رئيس الوزراء : « اننى يامولاى أحرص الناس على حقوق جلالتكم ويستحيل ان أرضى أو آتى عملا فيه أقل انتقاص لهذه الحقوق . ولكننا أمام قانون صدر فى عهد وزارة دولة على ماهر باشا ... »

وهنا قال مولانا الملك ان على ماهر باشا قد سئل فى هذا الموضوع فأجاب انه لم

يكن فى خاطر وزارته حين أصدرت القانون المذكور ان يطبق على موظفى السرايات ثم أشار صاحب الجلالة على رئيس وزارته بأن يعرض الأمر على لجنة المستشارين الملكيين .

وفى اليوم التالى ذهب صاحب المعالى سعيد ذو الفقار باشا كبير الامناء ورئيس الديوان الملكى بالنيابة وزار صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء وأبلغه رغبة جلالة الملك فى أن يتم استجلاء هذه النقطة القانونية على وجه السرعة حتى تتحدد الحقوق ويكون الرأى الذى ينتهى اليه المستشارون الملكيون أساساً يقف عليه كل قرار فى المستقبل .

وقال سعيد ذو الفقار باشا إنه يسر صاحب الجلالة أن يبت فى الامر فى ظرف اسبوع .

واتصل رئيس الوزراء بوزير المالية وأبلغه رغبة صاحب الجلالة الملك .

وفى الحال استدعى مكرم عبيد باشا صاحب السعادة عبد الحميد بدوى باشا رئيس المستشارين الملكيين وقص عليه تفاصيل المسألة ثم طلب منه أن يبحث المستشارون هذه المسألة بمنتهى السرعة لان الوزارة حريصة جداً على أن لايشوب علاقتها بالقصر أى غبار .

وقال بدوى باشا ان حق جلالة الملك واضح ، ولكنه مع ذلك سوف يدعو المستشارين لبحث المسألة نزولا على مشيئة المليك .

وكتب التابعى فى العدد ١٨١ من آخر ساعة عن تفاصيل الخلاف الذى وقع بين السراى والوزارة ، فقال :

بلغتنا منذ مدة بعض التفاصيل عن الخلاف القائم بين السراى والوزارة بخصوص بعض المراسيم التى أرسلتها رياسة مجلس الوزراء إلى السراى فبقت هناك دون توقيع . وقد رأينا يومها عدم الخوض فى هذا الموضوع الدقيق لان هذه الخلافات طالما وقعت بين الوزارات والسراى بسبب اختلاف وجهات النظر ...

ولكن شاعت بعض الجرائد الانجليزية الاستعمارية ان تتخيل من هذا الخلاف أزمة سياسية .... ومشكلات دستورية مما يثبت تماما ان لمندوبى هذه الجرائد خيالا خصباً غريباً .

وقد ذكرت الجرائد ان السبب الأكبر فى الأزمة هو رفض السراى تعيين فخرى بك عبد النور عضواً فى مجلس الشيوخ .

إتصلت بدولة على باشا ماهر رئيس الديوان وأخبرت دولته باسمى محمود باشا فهمى وفخرى عبد النور بك كمرشحين لعضوية الشيوخ فرحب دولته بالاسمين واشار بارسال المرسومين إلى السراى .

وكان ان اجتمع مجلس الوزراء ووافق على هذا الاختيار وارسلت مراسيم المجلس إلى السراى .

وبعد ذلك ظهرت رغبة بترشيح سعادة عبد العزيز باشا فهمى لعضوية الشيوخ بدلا من فخرى بك عبد النور .

وقالت الوزارة إنها مع اعترافها بكفاءة عبد العزيز باشا الا أن حالة سعادته الصحية لاتسمح له بالقيام بأى عمل .. فما بالك بحضور جلسات البرلمان . ثم أن مرسوم تعيين فخرى بك عبد النور لم يعد إلا بالاتفاق مع دولة رئيس الديوان .

واقترح رسل السلام وفى مقدمتهم سعادة الدكتور أحمد ماهر أن يعدل الطرفان عن المرشحين المذكورين ويتفقا على مرشح جديد وقد وقفت المسألة عند هذا الحد بسبب مرض رفعة رئيس الوزراء .

وقد علمنا أنه عندما بلغ سعادة عبد العزيز باشا فهمى أن فى النية ترشيحه لعضوية الشيوخ رمى بطربوشه المعروف على الارض وقال انه كان يفضل أن يبقى بعيدا عن الدوشه ووجع الدماغ ولكنه مستعد أن يقدم تضحية جديدة فى سبيل البلاد بقبول مقعد الشيوخ .

وبلغ سعادته بعد ذلك ان هناك صعوبات قد قامت فى طريق الترشيح فغضب سعادته ورمى بطربوشه المسكين على الارض وقال انه يرفض قبول العضوية .

ونحن نكتب هذه السطور وطربوش الباشا فى ذهاب وإياب بين المكوجى والبيت العامر !

كنا قد ذكرنا فى عدد سابق أن حضرة صاحب الجلالة الملك المحبوب قد ذكر لرفعة رئيس الوزراء أن عند جلالته تقارير تشير إلى أن بقاء فرق القمصان الملونة يخالف الدستور ..

وقد تفضل صاحب الجلالة وأعطى هذه التقارير لرفعة رئيس الوزراء الذى لم يستطع دراستها بسبب مرضه المعروف .

الا انه قد أشيع فى بعض الدوائر السياسية أن مسألة القمصان الملونه قد أثيرت أثناء مرض رفعة رئيس الوزراء وأنها احدى المسائل التى يدور البحث فيها فى الوقت الحاضر !!

وفى (العدد – ٢٠٩ – ٣ يوليو ١٩٣٨) كتب التابعى لماذا فسد الجو واستحال التعاون بين العرش ، حكومة الاغلبية ؟ .. وقد قدم له بقوله :

منذ شهر أو اقل ، عرضت احدى المجلات الاسبوعية المصورة صاحب السعادة حافظ عفيفى باشا فقالت إن سعادته كان محروما من عطف ورضاء جهة سامية لأنه

كان اتصل بالجهة المذكورة أن سعادته اشترك فى المساعى التى بذلتها الوزارة النحاسية لدى الحكومة البريطانية من أجل رفع سن الرشد السياسى .

لقد رددنا يومها على الزميلة المذكورة ونقلنا ما عرفه القراء ولايزالون يذكرونه وخلاصته أن صاحب السمو الملكى الأمير محمد على صاحب اقتراح رفع سن الرشد السياسى وأن الوزارة النحاسية عندما عرض الاقتراح عليها رفضته بإجماع آراء الوزراء ، فلم يبق إذن محل للبحث فى أمر المساعى المزعومة لدى الحكومة البريطانية ولا محل للبحث فى نصيب حافظ عفيفى باشا فيها ، مادام الاقتراح قد رفض من أول الأمر فلم يبذل والحالة هذه اى مسعى من أجله .

القراء يذكرون هذا ويذكرون الضجة التى أثارتها أقوال هذه المجلة واشتركت فيها صحفنا اليومية . ولقد أيدت هيئة الوفد المصرى بلسان صحفها كل كلمة قلناها ، وسكت صاحب السمو الملكى الأمير محمد على عن التكذيب أو التفسير ، وكان معنى هذا ، ولا معنى هناك سواه ، أن الحقيقة هى ما قلناه وأن سموه الملكى هو صاحب الاقتراح ولكن المجلة الاسبوعية المذكورة عرضت فى نفس العدد ونفس الصفحة لحضرة صاحب السعادة امين عثمان باشا فقالت إن سعادته – هو أيضا – غير مشمول بالعطف والرضاء بسبب الاشاعات التى ذاعت فى الصيف الماضى عن سفره الى انجلترا وعلاقة هذا السفر بالمساعى لرفع سن الرشد السياسى .

ولقد وقعت الزميلة فى روايتها هذه فى خطأ مزدوج .

خطأ من جهة الوقائع لأن اسم امين عثمان باشا لم يذكر مطلقا فى صدد حكاية رفع سن الرشد السياسى .

وخطأ مادى لأن اشاعة سفر أمين عثمان باشا الى انجلترا ذاعت فى أواخر شهر اغسطس واستمرت الى الأسبوع الأول من شهر سبتمبر ١٩٣٧ .

أى اشاعة سفر سعادته ذاعت بعد أن تولى صاحب الجلالة الملك سلطته الدستورية فعلا وباشر مهام الملك فعلا بأكثر من شهر .

فلم يكن معقولا اذن أن يسافر أمين عثمان الى انجلترا لكى يتكلم فى رفع سن الرشد السياسى .. بعد أن اقسم جلالة الملك اليمين الدستورية فى يوم ٢٩ يوليه وتولى سلطته فعلا ، أى بعد أن تنفذ فعلا نص الدستور الخاص بسن بلوغ الرشد أى سن الثامنة عشرة عاما هلالية .

هذا هو الخطأ المادى الذى وقعت فيه الزميلة لأن واحدا لم يقل إن أمين عثمان باشا سافر يومها من اجل هذه المسألة .. وانما الذى قيل ورددته دوائر المعارضة ونقله رواتها الى دوائر القصر هو أن صاحب السعادة أمين عثمان باشا سافر إلى لندن لكى

يحمل الى الحكومة البريطانية رجاء من صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا فى أن تتوسط الحكومة المذكورة لدى حضرة صاحب الجلالة ملك مصر فى تسوية بعض مسائل معلقة ومنها مسألة الاستاذ يوسف احمد الجندى .

هذه هى الاشاعة التى ذاعت يومها ... وليس فيها كما ترى حرف واحد عن مسألة رفع سن الرشد السياسى كما قالت زميلتنا المجلة المصورة .

وذات يوم فى أوائل شهر أغسطس الماضى خرجت احدى الصحف المعارضة لحكومة الوفديين بخبر قالت فيه إن الوزارة قد طلبت من صاحب السعادة عبد الحميد بدوى باشا كبير المستشارين الملكيين أن يضع مذكرة فى تفسير نص مادة الدستور التى تنص على حق جلالة الملك فى تعيين الوزراء وفى اقالتهم .

وكان المفهوم من سياق الخبر كما صاغته ورددته الصحيفة اليومية المذكورة أن الوزارة كانت تطلب من كبير المستشارين الملكيين ان يضع مذكرته بحيث يؤيد فيها وجهة نظر صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا والرأى الذى ذهب اليه رفعته فى مسألة الاستاذ يوسف احمد الجندى وكيف ان له حق اختيار الوزراء الذين يعاونونه وأن عليه وحده مسئولية هذا الاختيار .

ثم عادت نفس الزميلة اليومية الى نفس الموضوع أو نفس الاشاعة فذكرت أن الوزارة عدلت عن طلب المذكرة من سعادة عبد الحميد بدوى باشا بعد أن تبين لها أن سعادته يخالفها فى رأيها وأنه اذا وضع هذه المذكرة فسوف يؤيد فيها وجهة نظر القصر .

و كانت هذه - بعد اشاعة دعوة البرلمان الاشاعة الثانية .

وكان طبيعيا بعد هاتين الاشاعتين ... أن تفتح دوائر القصر آذانها لما يقال ، وأن تهتم بكل اشاعة وكل خبر ينقل اليها وأن تتحرى عن صحته وأن تحاول البحث هنا وهناك ..

ولم يطل بها الانتظار بعد الاشاعتين السابقتين : إشاعة دعوة البرلمان للاجتماع وإشاعة المذكرة التى طلب من كبير المستشارين الملكيين أن يضعها فى تفسير نص مادة الدستور .

لم يطل الانتظار بدوائر القصر ، فقد خرجت احدى الصحف ذات يوم بخبر تتساءل فيه عن أين يكون وكيل وزارة المالية أمين عثمان باشا .. وكيف أنه ليس موجودا لا فى القاهرة ولا فى الاسكندرية ؟

ثم عادت فى يوم آخر وتساءلت هل صحيح أن سعادته قد سافر الى انجلترا موفدا فى مهمة خاصة من قبل رفعة النحاس باشا ؟

وكان هذا التلميح كافيا لكى تبيض الاشاعات وتفرخ وتخرج منها التفاصيل عن كيف سافر أمين عثمان .. وهل كان سفره بالباخرة أم بالطائرة ؟ .. وهل سافر على طائرة ركاب عادية أم استؤجرت له طائرة خاصة .. الى آخره .

وكانت الاشاعة قوية وخطيرة .. وزاد فى قوتها وخطورتها ان احدا لم يكن يعرف الحقيقة أين هو صاحب السعادة أمين عثمان باشا ؟

طلبوه فى القاهرة ، فى مكتبه وفى داره لم يجدوه !

وطلبوه فى الاسكندرية فى مكتبه وفى داره .. فلم يجدوه !

وليس من السهل ولا من الجائز أن يختفى وكيل لوزارة المالية على هذا النحو من غير أن تروج الاشاعات .

ليس من السهل أن يحدث هذا حتى وفى الظروف العادية ، فما بالك اذا كان هذا الاختفاء فى ظروف كان جوها مكهربا ومملوءا بالريبة والشكوك والقال والقيل ؟

وذهبت ذات يوم أزور صاحب السعادة مكرم عبيد باشا فى داره برمل الاسكندرية . وسألته يومها :

– أين أمين عثمان باشا ؟

وابتسم سعادته وقال : بتسأل ليه ؟ هل كلفك أحد بهذا السؤال ؟

قلت لم يسألنى أحد ولم يكلفنى أحد ولكن الاشاعات كثيرة ولقد سمعت بها معاليك طبعا وليس من المصلحة أن تتركوا هذه الإشاعات تستقر فى النفوس وتحدث أثرها السىء ..

وقال معاليه : هل نحن مسئولون عن هذه الاشاعات ؟ ... وما حيلتنا فى هذه الاشاعات السخيفة التى يذيعها خصومنا فى كل يوم ؟

قلت : بيت القصيد الآن هو أين أمين باشا عثمان ! .. قولوا أين هو فينتهى الأمر ويبوء أصحاب الاشاعة بالخجل والكسوف .

قال سعادته : لست مكلفا أن أقول أين هو وكيل وزارتى . واذا كان هناك من يظن أن له هذا الحق فى سؤالى ، فليتقدم الى بهذا السؤال وأنا أعرف كيف أرد عليه .. ومع ذلك يا أستاذ تابعى هم يقولون إن أمين عثمان سافر الى لندن ... طيب ... أمامهم شركات البواخر ... وأمامهم شركات الطيران فليسألوها عن أية باخرة ... أو على أية طائرة قد سافر أمين عثمان ! ... ثم ماحاجتنا الى أن نوفد أمين عثمان إلى لندن ، وعندنا هنا السفارة البريطانية وعلاقتنا بها وبرجالها حسنة جدا ، وفى وسعنا أن نتكلم معها فى أية مسألة من المسائل التى زعموا أننا أوفدنا أمين عثمان باشا من

اجلها الى لندن .. ده كلام فارغ ، وأؤكد لك يا فلان أننا زهقنا من هذه الدسائس ومن هذه الوشايات ، وليس مما يتفق مع كرامتنا أن ننزل فى كل يوم الى الرد على كل اشاعة وكل وشاية .

وأبلغت بعض المتصلين ما قاله صاحب السعادة مكرم عبيد باشا فقيل لى إن المسألة أخطر من أن يقضى فيها المنطق وحده ، لأن هناك وقائع وشهادات إثبات من أناس ليست لهم مصلحة فى الكذب والاختلاق على الوفديين فقد اتصل بنا أن هناك تلغرافا ورد على احدى الصحف المسائية من مراسلها فى لندن وفيه أن أمين عثمان باشا وكيل وزارة المالية المصرية قد وصل إلى لندن - ولكن الصحيفة اليومية المذكورة لم تنشر هذا التلغراف مراعاة لخاطر الوزارة وللظروف .

وكذلك أرسل رياضى مصرى كبير معروف يقيم فى لندن ، أرسل حضرته خطابا إلى صديق له هنا يقول فيه إنه قابل فى لندن أمين عثمان باشا .

ثم قال محدثى : هذه الوقائع لايكفى المنطق وحده فى تفنيدها ، بل لابد من الدليل الحاسم قبل أن نعتبر سفر امين باشا الى لندن اشاعة سخيفة ونتهم أصحابها بالكذب والاختلاق .

ويقول التابعى انه عاد الى مكرم باشا ونقل اليه ما سمع ورجاه فى ان يقول له حقيقة أين أمين عثمان باشا لأن المسألة اخذت دورا خطيرا وأحدثت اثرا سيئا جدا ، وان مكرم عبيد باشا قال له ، ان صاحب السعادة امين عثمان باشا قد حصل فى أول الصيف على اجازة ولكنه لم يتمتع بها إذ واظب على العمل - بمكتبه - فى معظم الايام

وكان من نتيجة إرهاق نفسه بالعمل أن ساءت صحته .. وذات يوم أصيب سعادته بنوبة اغماء وهو يعمل فى مكتبه ونقل إلى داره فى حالة سيئة .

وتعددت نوبات الاغماء التى أصيب بها سعادته .

وجاء قريب ـ بل لعله أقرب الناس الى امين عثمان باشا ـ جاء هذا القريب الى سعادة مكرم باشا يرجوه أن يشترك معه فى اقناع امين عثمان باشا بالراحة وترك العمل بضعة اسابيع رحمة بنفسه .

وهنا يقول مكرم باشا :

ـ وكان امين باشا حقيقة فى حالة سيئةوكان فى أشد حاجة الى الراحة . ولكن وكيل وزارة المالية الثانى صاحب السعادة عبد الرازق باشا أبو الخير كان قد طلب منى اجازة واعتذرت له عن عدم استطاعتى اجابة طلبه بسبب كثرة اعمال وزارة المالية فى ذلك الوقت . ولهذا كان موقفى حرجا ... امين عثمان سبق أن اخذ اجازة .. وهاهو

اليوم فى أشد الحاجة الى اجازة ثانية ..فكيف السبيل إلى إعطائه هذه الاجازة من غير أن اغضب واجرح عبد الرازق باشا أبو الخير الذى رفضت طلبه للاجازة ... لم يكن أمامى إلا أن أعطى أمين عثمان اجازة حتى لا يعلم بها الوكيل الثانى عبد الرازق باشا أبو الخير . وهكذا كان . وهذا ما حدث . ولقد سافر أمين عثمان باشا هو وأسرته إلى لبنان ...

قلت : إذن المسألة بسيطة ما عليكم إلا أن تظهروا جواز سفر أمين باشا لكى يرى من يهمهم الأمر أن سعادته لم يسافر إلى انجلترا ... بل سافر إلى لبنان كما هو ثابت من تأشيرة حكومة لبنان .

قال سعادته : مستعدون ... فليطلبوا منا هذا ونحن نريهم جواز سفر أمين عثمان !

ويضيف التابعى الى ذلك قوله :

ولا ادرى بعدها هل تقدم احد بهذا الطلب فأطلعوه على جواز سفر امين عثمان باشا .. أم أنهم اكتفوا بهذا الايضاح ..؟

يمين الجيش

وفى يوم الخميس ٢٩ يولية ١٩٣٧ ، أقسم صاحب الجلالة الملك اليمين الدستودية أمام البرلمان ... وفى مساء نفس اليوم أقيمت حفلة ساهرة فى سراى عابدين .

وبينما كنت واقفا بالقرب من باب قاعة المسرح أستمع إلى غناء الآنسة أم كلثوم ، مر بى فلان ـ وفلان هذا كبير من رجال الحاشية الملكية ـ وأشار إلى بعينه إشارة فهمت منها أنه يريدنى فى أمر ما .

ومشى الكبير المذكور ولحقت به . وأخذنى إلى قاعة بعيدة عن ضوضاء الحفلة وزحام المدعوين وفاجأنى بقوله :

ـ الزعماء بتوعكم جرالهم إيه ؟

قلت : خيرا ! ... ماذا جرى ؟

ولكنه استمر يقول :

ـ هوه الاتفاق كان كده ! ... إذن فايدة الكلام الكتير اللى تكلمناه فى أوروبا كان إيه ؟ .. ونتيجة المقابلات .. والمحادثات .. والنصائح كانت ايه ؟ !

وسكت أنا حتى تهدأ ثورة غضب محدثى ... فقد كان حقيقة غاضبا ... الى أنه قال .

ـ لقد كنا نرجو بعد كل الكلام الكثير الذى قلناه وبعد الآراء التى تبادلناها ، أن تكون تصرفات الوزارة وأعمالها بحيث نشعر أنها مطمئنة الى الجلالة الملك واثقة من عطفه وحسن نواياه وأنه ملك دستورى بطبعه . فهذه هى الطريقة الوحيدة التى تكسب بها الوزارة ثقة مولانا واطمئنانه اليها ... ولكن الوزارة مع الأسف بدأت بداية سيئة فقد أدخلت تعديلا على يمين الجيش من شأنه أن يؤدى الجيش يمين الولاء لا للملك فقط ، بل وأيضا للدستور .. فما معنى هذا ؟

وكان ذهنى خاليا تماما من هذه المسألة ، ولم اكن قد سمعت عنها شيئا . ولهذا سكت، ولم أرد ..

وقال الكبير بين رجال الحاشية :

ـ ماذا نقول له ؟ ـ (يقصد مولانا جلالة الملك) .. بل اى تفسير يمكن أن نبرر به طلب الوزارة فى تعديل اليمين بحيث تشتمل على الدستور ؟ .. وماذا يفهم مولانا من طلب الوزارة هذا ؟

ودخل علينا هنا بعض المدعوين من النواب الوفديين نقطعنا الحديث ... ثم ذهبنا الى حجرة اخرى ...

انسوا الماضى

وقال محدثى :

ـ قل لزعمائك الوفديين أن ينسوا الماضى ... لقد انتقل الملك فؤاد الى جوار ربه ، والتاريخ وحده هو الذى سيحكم ... ولكن اذا كان الوفديون سيعملون بهذه الروح وهذه العقلية فمعنى هذا أنهم لا يريدون أن ينسوا الملك فؤاد وما أصابهم فى عهده .. وهذا ما ستكون نتيجته عليهم ضررا اكبر الضرر ، وهذا ما يجب أن يتحاشاه عقلاؤهم .. قل لهم من فضلك أن ينسوا الماضى .. أن يذكروا دائما أن الملك الآن هو الملك فاروق

وكلاما آخر لا أرى ضرورة لذكره .

وذهبت أبحث بين المدعوين عن سعادة مكرم عبيد حتى وجدته ، وانتحيت به جانبا وقلت : « عندى حديث لك فأين نستطيع أن نتكلم على انفراد » ؟

وقال سعادته : آنا خارج الآن .. فتعال معى نتحدث فى البيت .

وغادرنا الحفلة معا وركبنا سيارة سعادته .. وأبلغته فحوى الحديث فقال سعادته :

ـ حاجة غريبة . . . طيب ودى فيها إيه ؟ أؤكد لك مفيش حدفينا خطر له أن تعديل اليمين بحيث تشتمل الولاء للدستور يمكن أن يثير أى اعتراض أو يكون موضع شك فى نوايا الوزارة أو فى اطمئنانها الى عطف جلالة الملك ، فنحن جميعا واثقون تماما من حسن نوايا مولانا الملك ومتأكدون من ميوله الدستورية

ثم قال سعادته :

ـ وجلالة الملك نفسه أقسم على احترام الدستور . . . ونحن الوزراء نقسم بين يدى جلالته على احترام الدستور ... فما هو وجه الاعتراض على أن يؤدى الجيش هذه اليمين التى يؤديها نفس جلالة الملك ووزراؤه ؟ .. ومع ذلك فان اليمين الجديدة التى تقترحها الوزارة هى أمعن فى الولاء والاخلاص والطاعة للملك من اليمين الموجودة ..

وهنا قارن سعادته بين اليمين كما هى وبين اليمين كما تقترحها الوزارة فاذا فى الاولى عبارة نصها : (... مطيعا لأوامره الكريمة ولجميع الأوامر الحقة التى تصدر الى من رؤسائى ...)

وقال سعادته إن وصف الأوامر بـ « الحقة » قد تعطى الجندى الحق فى الامتناع عن تنفيذ أمر ماقد يصدر اليه بحجة أن هذا الأمر ليس مما يدخل فى وصف « الأوامر الحقة » .. بينما اليمين الجديدة المعدلة ليس فيها أى وصف وتحديد للاوامر ... وكل وصف يعتبر قيدا ، فطاعة الدستور والقوانين هى هنا طاعة واجبة غير محددة بوصف ولا معلقة على شرط .

وفى صباح اليوم التالى قابلت محدثى الأول ونقلت اليه وجهة نظر الوزارة كما شرحها مكرم باشا .

تفسير خطير

وقال رجل الحاشية :

ـ لا ... المسألة ليست بهذا الوضع لأن اليمين الأولى الموجودة نصها بعد القسم .. (... ان أكون خادما مخلصا وأمينا لحضرة صاحب الجلالة مليكنا فاروق الأول ولحكومته السنية مطيعا ووامره الكريمة ولجميع الاوامر الحقة التى تصدر الى من رؤسائى ... الى آخره) بينما اليمين المعدلة المقترحة تقول : (... أن أكون مخلصا للوطن ولحضرة صاحب الجلالة فاروق الاول ملك البلاد وقائد قواتها الاعلى وأن أكون مطيعا للدستور ولقوانين الأمة المصرية .. إلى آخره) ... وانت ترى من هذا أن اليمين التى تقترحها الوزارة ليس فيها سوى الاخلاص للملك .. وأما الطاعة فهى فقط للدستور ولقوانين الأمة المصرية . ويمكن هنا لمن يريد أن يسىء الظن بنوايا

الوزارة أن يقول إن الاخلاص لا يحتم الطاعة فأنت تستطيع أن تكون مخلصا محبا لشخص ما دون أن تعد نفسك ملزما بطاعته .. هذا هو بعض الفرق بين اليمينين .

وكان هذا التفسير ـ كما رآه زجل الحاشية ـ خطيراً فى معناه ومغزاه ، وإذا كان هذا هو بعض ما فهمه القصر ودوائره من اليمين التى تقترحها الوزارة ، فلا عجب إذن أن يغضب كبير الحاشية وأن يندد بتصرف الوزارة كما فعل فى حديثه معى فى الليلة السابقة .

واستأنف الكبير المذكور حديثه فقال :

ـ ومع ذلك دعنا من اليمين القديمة والجديدة والفرق بينهما وقل لى لماذا لم تفكر الوزارة فى تعديل اليمين إلا الآن فقط وفى عهد الملك فاروق ؟ .. لقد وضع الدستور منذ ١٥ عاماً ، وقامت خلال هذه المدة وزارات وفدية فلماذا لم تفكر احداها فى تعديل اليمين فى حياة الملك فؤاد ؟ . ثم أليس فى هذه اليمين المعدلة زج بالجيش فى السياسة ؟ .. وقد يقول غدا ـ كما حدث منذ ٥٠ عاما ـ ضابط طموح ثائر ويطالب بكذا وكذا بحجة أن الحكومة قد خالفت الدستور الذى أقسم هو وزملاؤه اليمين على طاعته فلماذا إذن يعرضون البلاد لهذا الاحتمال ؟

وفى مساء نفس اليوم ... وفى قصر الزعفران ... وأثناء الحفلة التى أقامها رئيس الوزراء ابتهاجا بتولية صاحب الجلالة الملك ، دار الحديث من جديد فى هذه المسألة ،وانتهى الرأى بهذا الاقتراح وهو أن تؤجل المسألة وتطوى اليمين فلا الجيش يقسم اليمين الموجودة ولا اليمين المعدلة ..

وووفق على هذا الاقتراح .

وكانت الصحف أثناء هذا قد أحست بأن هناك « شيئاما » حول يمين الجيش ، وراحت صحف المعارضة تكتب فى الموضوع وتحمل على رفعة النحاس باشا ووزارته ... وكان همى أن لا تكتب الصحف المذكورة فى الموضوع بعد الآن حتى لا تحرك الساكن أو تحرج الوزارة فتضطر هذه الى العدول عن الاقتراح الذى اتفق عليه .

ولهذا الغرض زرت فى اليوم التالى صاحب السعادة عبد القادر حمزة باشا واطلعته على حقيقة الموقف بصراحة ورجوته بصفتى الشخصية أن تكف جريدة البلاغ عن الكتابة فى مسألة يمين الجيش ، ولقد أجاب سعادته رجائى بعد أن اقتنع بأن المصلحة تدعو حقيقة إلى هذا . وزرت لنفس الغرض جريدة الاهرام وأجاب الأستاذ أنطون الجميل بك رجائى وهكذا انتهت « مؤقتا » مسألة يمين الجيش .

اعتقد أن المسألة التى سأذكر وقائعها فيما يلى كانت السبب فى وقوع أول احتكاك أو خلاف بين صاحب السمو الملكى الأمير محمد على والوزارة النحاسية .

عقب قيام مجلس الوصاية ذهب صاحب السعادة مكرم عبيد باشا إلى سراى عابدين وقابل الاوصياء وقال إنه قد جاءهم بصفته وزير المالية لكى يستأنس برأيهم فى المرتبات التى يرون تقديرها لأنفسهم .

وقال صاحب السمو الملكى الأمير محمد على انه يرى أن يكون مرتبه ثمانية عشر الف جنيه فى العام .

وقال مكرم باشا إن هذا المبلغ كثير خصوصا وأن ميزانية الدولة مواجهة باعباء وتكاليف جديدة وعديدة مما يقتضيها العهد الجديد . . . وإن سعادته يطمع فى تقدير سمو الأمير لهذه الظروف ويقترح أن يكون المرتب هو اثنى عشر الف جنيه .

واعترض صاحب السمو على هذا التقدير وقال :

- ولكن يا مكرم علينا تكاليف كثيرة .. ونفقات مآدب وحفلات . . .

معلهشى يا أفندينا

وعاد مكرم باشا يقول :

- معلهشى يا أفندينا . . . أنا أرى أن اثنى عشر الف جنيه كافية . . ولقد ضرب مولانا الملك المثل الحسن فتنازل حفظه الله عن ثلث مخصصاته واكتفى جلالته بمائة الف بدلا من مائة وخمسين الفا ، وانى لأرجو ان يفعل افندينا ما فعله جلالة الملك ويرضى باثنى عشر الف جنيه بدلا من ثمانية عشر ..

وقال سمو الامير .

- طيب . . . بس على شرط تبقى نفقات الحفلات والمآدب التى أقيمها على حساب الحكومة . .

وضحك مكرم باشا . .

- ربنا اعطى افندينا من رزقه الشىء الكثير . . ومفيش فرق . . وافندينا يقدر برضه يقيم الحفلات . . والاثنى عشر الف جنيه كفاية .

ولم يشترك فى هذا الحديث الوصيان الآخران صاحبا المقام الرفيع عزيز عزت باشا ومحمد شريف صبرى باشا ، بل ظلا ساكتين .

وانتهت المقابلة ، وخرج مكرم عبيد باشا وذهب سعادته وأبلغ صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء مادار بينه وبين سمو الأمير وكيف أن الاتفاق قد تم على أن يكون مرتب سموه اثنى عشر الف جنيه .

برضه ١٨٠٠٠ جنيه

ولكن حدث بعد ذلك ببضعة أيام أن استدعى رفعة النحاس باشا سعادة مكرم باشا وقال له :

ـ كيف تقول لى إنك اتفقت مع الأمير محمد على أن يكون مرتبه اثنى عشر الف جنيه . . . وهو يقول لى غير هذا ؟ . . . لقد قابلته اليوم فقال لى إنه اتفق معك خلاص على أن يكون مرتبه ثمانية عشر الف جنيه . . .

ودهش مكرم باشا .

وذهب سعادته مرة ثانية الى سراى عابدين وقابل صاحب السمو الملكى الامير محمد على فى حضور صاحبى المقام الرفيع عزيز عزت باشا وشريف صبرى باشا وقال سعادته إن رفعة النحاس باشا قابله وقال له كذا وكذا . . . وإنه قد جاء لكى يذكر سمو الامير بما تم عليه الاتفاق وهو أن يكون مرتبه اثنى عشر ألف جنيه لا ثمانية عشر .

وقال سمو الامير . . .

ـ كلا . . . أنا لم اتفق معك على هذا . .

وقال مكرم باشا . . .

ـ لعلى لم أفهم جيدا . . . أو لعل سمو الأمير لا يذكر تماما . . .

الوفديون طمعانين فىّ

والتفت مكرم باشا إلى صاحبى المقام الرفيع الوصيين يسألهم ـ وقد كانا حاضرين فى المقابلة الأولى ـ فوافقا على اقوال سعادته وعلى أن الاتفاق كان تم حقيقة على أن يكون المرتب اثنى عشر ألف جنيه .

وانتهت المسألة عند هذا الحد .

ولكن صاحب السمو الامير محمد على لم يرتح يومها لهذه النتيجة . وصرح سموه بعدها فى مجلس خاص ـ وكان أحد الحاضرين زميلا صحفيا ـ صرح بشكواه من الوزارة الوفدية فى هذه المسألة فقال :

ـ يظهر إن الجماعة دول طمعانين فى وفاكرين انى غنى . . . . وناسيين إن على مصاريف وتكاليف كثيرة . . وهى الكام الف فدان اللى عندى رايحة تكفى ايه والا ايه ؟

وفى العدد التالى (٢١١ ـ ١٧ يوليو ١٩٣٨) من اخر ساعة يقول التابعى فى

مقدمة مقاله عن اسباب فساد الجوواستحالة التعاون بين العرش وحكومة الاغلبية انه بدأ ، منذ اكثر من شهرين (كتابة تلك السلسلة وانه لم يكن هناك مجهول لم يكشف عنه :

بدأت بكتابة هذه المقالات منذ أكثر من شهرين واليوم وقد كشفت فى اثنتى عشرة مقالة عن معظم ما رأيت أنه كان السبب فى فساد الجو بين القصر وحكومة الاغلبية الوفدية ... اليوم اعتقد أنه لم يبق هنك مجهول لم أكشف عنه .

واعتقد كذلك اننى قد ألقيت ضوءا على كثير من المسائل التى كان الجمهور حائرا فى فهم أسبابها .

والآن وأنا أختتم سلسلة هذه المقالات أرجو أن أكون قد وفقت الى عرض الأمر كله عرضا منزها عن الغرض وأن يستطيع اليوم جمهور المشتغلين بالمسائل السياسية أن يقدروا الأمور التى عرضت لها وأن يزنوا ظروفها وملابساتها وأن يكونوا لهم رأيا فى الاسباب الحقيقية المباشرة لفساد الجو بين القصر والوزارة النحاسية حتى جاء يوم استحال فيه التعاون بين العرش وحكومة الاغلبية .

خطب النحاس باشا

كان صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا حريصا بعد عودة صاحب الجلالة الملك من أوروبا على التنويه فى خطبه وأحاديثه بمآثر الملك وميوله الدستورية ، فكان رفعته لا يخطب فى وفد من الوفود التى كانت تقابله أو فى حفلة من الحفلات التى كانت تقام له إلا ويختم خطابه بالدعاء لجلالة الملك « الدستورى المحبوب » مؤكدا لسامعيه أن الملك فاروق دستورى بطبعه محب لشعبه راغب فى ... وفى ... الى آخر ما كان رفعته يعلنه فى الوفود والحفلات .

كان هذا بعد عودة جلالة الملك من أوروبا ، وكان لأقوال رفعة النحاس باشا هذه أثر طيب فى دوائر القصر وكثيراً ما ساقها وسطاء الخير إبان الأزمات الأولى كدليل على صدق رفعته واخلاصه وحسن نواياهِ .

ولكن بعد مرور شهر أو شهرين على عودة صاحب الجلالة ... أى فى شهر سبتمبر لاحظ رجال السراى أن رئيس الوزراء - رفعة النحاس باشا - بدأ يقتصد فى تنويهه بمآثر جلالة الملك وميوله الدستورية ثم امتنع عن الاشارة اليها . . . فقد ألقى رفعته خطبة فى حفلة أقيمت له بالاسكندرية - ولست أذكر هل كانت حفلة المحامين أم حفلة سواها - ألقى رفعته خطبة فى الحفلة المذكورة وانتهى منها بدون أية إشارة الى جلالة الملك « الدستورى المحبوب »

ولقد اعتبر يومها رجال القصر هذه الظاهرة « ظاهرة سيئة »

أضف الى ذلك إشاعات السوء كانت كثيرةفى تلك الأيام ، وكانت الأقاويل والاتهامات ـ وقد عرضت لبعضها فى مقالاتى السابقة ـ وكانت تنقل كل يوم إلى دوائر القصر

فلما كان الموقف من رفعة الرئيس .. اتحد تجار إشاعات السوء وتمسكوا بهذا ودللوا بها على صدق ما يروون

تشريفات العيد

وهذه الواقعة التى أرويها فيما يلى حدثت أثناء غيابى فى أوروبا فى الشتاء الماضى ، ولهذا أقرر أننى أعتمد فيها على ما سمعته من جانب واحد لأننى لم أسأل فيها أحدا من زعماء الوفد .

قبيل تشريفات عيد الفطر ـ وكان ذلك فى أوائل شهر ديسمبر ١٩٣٧ ـ أرسل الاستاذ يوسف أحمد الجندى الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية خطابا سريا الى المديرين والمحافظين يطلب منهم أن لا يحضروا معهم اعيان البلاد لحضور تشريفات العيد وكان أمراً طبيعيا أن يصل خبر هذا الخطاب الى دوائر القصر .

وتكلم يومها بالتليفون معالى كبير الأمناء مع صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا يسأله عن هذا الخطاب ولأى سبب تطلب الحكومة عدم حضور أعيان البلاد فى التشريفات .

وأجاب رفعة النحاس باشا أن برنامج التشريفات قد نشر وليس فيه ذكر لأعيان البلاد ، بل اقتصر فيه على ذكر أعيان القاهرة ، وأن وزارة الداخلية لهذا السبب لم تر موجبا لتكليف أعيان الريف مشقة الحضور ما دام لم يعمل حساب لهم التشريفات .

وقال لى الراوى إن كبير الامناء رد يومها على رفعة النحاس باشا

ـ لقد كنت رفعتكم وزيرا للداخلية ورئيسا للوزارة أكثر من مرة وتعرفون والحالة هذه أنه لم تجر العادة بوضع ترتيب أو ذكر مكان خاص فى التشريفات لأعيان البلاد ..

وكانت مناقشة خرجت منها بكتابة خطاب آخر إلى المديرين والمحافظين يلغى فحوى الخطاب الاول .

قال لى محدثى وهو يقص على هذه الواقعة

خطأ كبير الامناء

ـ ولقد اخطأ سعيد ذو الفقار باشا ولو كنت أنا مكانه لما فتحت رفعة النحاس

باشا فى هذه المسألة ولما عاتبته .. وانما كنت أترك الحكومة تسير فى خطتها من منع أعيان البلاد من حضور التشريفات ، وأقيم فى الوقت نفسه السرادق الكبير المعتاد إقامته أثناء التشريفات فى ساحة قصر عابدين .. فاذا أقبل يوم التشريفات وخلا السرادق المذكور من أعيان البلاد ووفود الاقاليم الذين جرت العادة بحضورهم التشريفات وقفت وأذعت أن الوزارة قد منعت أعيان البلاد من حضور التشريفات ومن تهنئة المليك بالعيد .. وتركت الوزارة فى موقف لا تحسد عليه ، وانى لأسألك الآن بأى شىء يمكن للوزارة أن تدافع به عن نفسها ؟ !

ولقد حرصت على سرد أقوال محدثى - وهو أحد رجال القصر - لكى يستطيع القارىء أن يلمس خطورة الأثر الذى تركته هذه المسألة فى دوائر القصر ، خصوصا وأنها وقعت فى أوائل شهر ديسمبر أى ابان اكفهرار الجو وتوتر العلاقات بين القصر والوزارة الوفدية .

وبالرغم من أن التابعى ذكر فى العدد ٢٢٢ انه قد ضم سلسلة مقالاته عن استحالة التعاون بين العرش ، وحكومة الاغلبية الا انه عاد فى العدد ٢١٤ ، ليكتب تحت عنوان : الوفديون يقولون ان عندهم قنبلة سيلقونها على رفعة رئيس الديوان ، كما كتب فى نفس العدد وفى نفس المكان عن العلاقات بين الوفد والسراى

وعن الموضوع الاول كتب يقول . لايستطيع المنصف أن ينكر أن الوفديين بدأوا يكسبون الأرض التى فقدوها ، كما يقول الانجليز ، وصحيح أن هذا الفوز قد لايؤثر كثيراً فى التطورات السياسية المنتظرة وقد لا يقدم أو يؤخر فى العهد الحاضر ، فان الوفد مثلا كانت معه أغلبية الأمة بل الأمة كلها فى عام ١٩٢٥ ومع ذلك فقد عاشت وزارة زيور باشا عامين ، وكان الوفد معه الشعب كله فى عام ١٩٢٨ وعاشت وزارة محمد محمود باشا ثمانية عشر شهراً ، وكان الوفد هو الأمة كلها سنة ١٩٣٠ وعاش العهد الصدقى أربع سنوات طوال !

ولكن الوفديين يقولون إن هذه الأيام غيرها فى المرات الماضية فالعهود الماضية كانت تعيش مستظلة بحراب الانجليز ، أما اليوم فالانجليز لن يتدخلوا تدخلا صريحا لحماية النظام الحاضر ، وإن كان الوفد يسلم بان الانجليز يطمئنون إلى الحكم الحالى اكثر من اطمئنانهم الى حكم الوفديين ...

ثم يقول الوفديون إن مما يساعد على سرعة افلاس النظام الحاضر أن أقطاب النظام نفسه مختلفون ولا يمكن أن يتفقوا إلا على أمر واحد ... وهو أن النهاية أصبحت على الأبواب !

هذا ما يقوله الوفديون ، وهذا مايؤكدونه فى أحاديثهم وأنديتهم ... وهم لا يخدعون أنفسهم بهذا لأنهم يعتقدون اعتقادا تاما بصدق ما يقولون !!

كيف يعود .. ؟

ولكن كيف يعود الوفد الى الحكم ؟ إن القصر لن يقبل ان يتولى النحاس باشا وحده الحكم من جديد ...

والانجليز لا يمكن أن يتدخلوا تدخلا صريحا لاعادة الوفد إلى الحكم ! وليس فى الجو الدولى ما يضطر بريطانيا الى ان تطلب رسميا ان يتولى الحكم فى مصر حزب الأغلبية أو ان تشير بالغاء البرلمان القائم كما أشارت فى عام ١٩٣٥ ؟

هنا يقول الوفديون انهم لا يعتمدون مطلقا على الانجليز ولا على موظفى السراى .. بل ان كبيراً منهم قال ان الوفد لن يعاد إلى الحكم ولكنه سيعود !

قلنا : وكيف يعود ؟

قال لنا وفدى كبير .

- إن الشعب هو الذى سيعيد الوفد إلى الحكم !

سياسة القوة

والوفديون يرون اليوم سياسة « القوة » هى خير سياسة وهى أقربها وأسرعها إلى التحقيق ؟ ! (كذا)

ويقولون ان « قوتهم » اليوم ليس سببها مقابلة على باشا ماهر للنحاس باشا وليس سببها أن الانجليز سوف يغيرون سياستهم ، وليس سببها أيضا غلطات الوزارة التى استغلتها صحف الوفد ، وانما هى سياسة رسمها الوفد منذ اليوم الذى أقيل فيه مصطفى النحاس ... وهذه السياسة المرسومة كانت عبارة عن شبه هدنة دامت شهرين بعد الانتخابات الى ان انتهز الوفد الفرصة المناسبة وبدأ الهجوم ..

ويقول الوفديون : إن سياسة « القوة » سوف تقنع أصحاب الشأن بأن الوفد هو الشعب كله وأن الوفد لايمكن ان يموت ، وهكذا يعودون للحكم فى أقل من أربعة شهور .. فاما تنجح هذه السياسة فيعود الوفد .. وإما أن تقاومها الحكومة وتضغط عليها فيحدث الانفجار ويعود أيضا الوفد .

هذه هى وجهة نظر الوفد أو هى السياسة التى رسموها لأنفسهم والتى يقولون ان كل الدلائل تدل على ان هذه السياسة نجحت كل النجاح .

قنبلـة ! ..

ويقول زعماء الوفد إن لديهم قنبلة سوف يلقونها قريباً .. ذلك أن رفعة النحاس باشا لم يصرح بعد لا فى التحقيق الذى أجرته النيابة ، ولا فى أحاديثه الخاصة بتصريحات خطيرة يقول رفعته إنه سمعها من رفعة رئيس الديوان .. وهذه التصريحات عبارة عن آراء لشخصية سامية فى بعض الشخصيات التى تتولى الحكم الحالى وتتزعم العهد الحاضر .. وعلى رأس هؤلاء صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء ..

ويقول رفعة النحاس باشا إنه عندما يفضى بهذه التصريحات فسوف يحدث حتما أمر من اثنين : إما أن يستقيل رئيس الوزراء أو يستقيل رئيس الديوان .

تحدى ! ..

والوفديون يتحرقون شوقا إلى اذاعة هذه التصريحات ولكن رفعة النحاس باشا يرفض أن يذيعها إلا إذا اضطر إلى هذا ..

ومن هنا كانت جريدة « المصرى » تتحدى كل يوم الصحف الوزارية وتتمحك بها وتطلب الطعن والنزال فى موضوع مقابلة رئيس الوفد ورئيس الديوان .

ولكن الصحف الوزارية الواعية آثرت الصهينة والسكوت ! ...

ويؤكد الوفديون أنه لو ظهر قرار النيابة فى قضية الرواية السياسية وفيه مساس أو شبه مساس بالوفد ورئيسه فان مصطفى النحاس سوف يلقى هذه القنبلة التى يقول الوفديون إنها سوف تنسف رئيس الديوان !

ورئيس الديوان

واتصل بنا أن رفعة رئيس الديوان يعد الآن تقريراً أضافيا يتضمن تفصيل مقابلته لرفعة رئيس الوفد وسوف يعطى هذا التقرير لرفعة رئيس الوزراء .. وأن رفعته ينوى أن يجعل من هذا تقليدا فيحيط الوزارة دائما بتفصيل مقابلاته السياسية لزعماء المعارضة .

يتعجلـون التحقيق !

واتصل بنا أن بعض النواب يرغب فى أن يثير فى البرلمان مسألة التحقيق فى شأن الرواية السياسية ويطالب بإنهائه لأن بقاء المسألة « معلقة » فيه ما فيه من إثارة الخواطر وعدم الاستقرار ، وعلى رأس هؤلاء النواب الذين يرغبون فى إثارة هذه المسألة الاستاذ عباس محمود العقاد .

سفر رئيس الوفد

وقال لنا وفدى كبير إن رفعة النحاس باشا يرجو أن تظهر نتيجة التحقيق قبل سفره فى يوم ١١ اغسطس لأنه يحب أن يلقى القنبلة ثم يسافر للاستشفاء ! ...

ولكن الدلائل تدل على أن قرار النيابة فى شأن الرواية السياسية لن يظهر قبل عودة رفعة رئيس الوزراء ... وفى أثناء غياب النحاس باشا فى أوربا ...

ويقولون إن القرار سوف يصدر بالحفظ لأن النائب العمومى لايرى فيما نشر أية مسئولية جنائية .

وفى نفس العدد وبعد ما مضى ذكره :

قلنا أكثر من مرة ، إنه ليست هناك صعوبة تذكر فى ازالة سوء التفاهم بين القصر والوفديين ، وإن هناك من لم يقطع الأمل فى تبديد السحب التى تجمعت منذ عام فى أفق مصر السياسى .

وجاء وقت من الأوقات أصبح فيه التفاهم ممكنا ، بل لقد كاد هذا التفاهم أن يتم فعلا ، ثم فجأة انقطع الخيط الرفيع الذى يربط رسل السلام برجال القصر من جهة ، وبالوفد من جهة أخرى ...

ماذا حدث إذن ؟

قال لنا كبير مسئول إن سياسة الوفد فى الأيام الأخيرة هى المسئولة عن هذه القطعية التى نرجو مخلصين أن لاتدوم .

فالوفد متهم بأنه يحارب فكرة تخليد ذكرى الملك فؤاد ، وبينما أعضاء الهيئة الوفدية البرلمانية فى مجلسى النواب والشيوخ يؤيدون الفكرة ويوقعون بأسمائهم على اقتراحات التخليد ، إذا بالصحف الوفدية تعارض صراحة فى الفكرة وتنادى بأعلى صوتها بأن اعمال الملك فؤاد غير معروفة ، ويجب ترك هذه المسألة للتاريخ ..

وتقول دوائر القصر إنها لا تفهم هذه الحملة على الملك فؤاد بعد ان تحسنت العلاقات بينه وبين الوفديين قبل انتقاله إلى رحمة الله .. وقد يكون الوفديون على حق فى محاربة رئيس الديوان ، ولكن ليس معنى هذا ان يحملوا على ذكرى الملك فؤاد .. ثم لنفرض جدلا ان الوفد لا يقر الأعمال المجيدة التى قام بها الملك فؤاد لخير البلاد ، فأى ضرر يعود على مصر لو أقيم مستشفى للمرضى ، أو مدرسة تعلم الأميين الذى يعدون بالملايين ، أو معهد للابحاث العلمية أو غير ذلك من المشروعات المفيدة .. أى ضرر فى هذا إلا إذا كان الغرض هو محاربة كل شىء يتصل بالسراى من بعيد أو قريب والاستمرار فى سياسة وخز الابر وايغار الصدور ؟

ويرد الوفديون على هذه التهمة بأن المقالات التى نشرت عن تخليد ذكرى الملك فؤاد ، لم يوعز بها أحد منهم ، وان النحاس باشا غضب عند قراءة بعض هذه المقالات وقد قال لنا كبير من رجال السراى إن عنده من الاسباب ما يحمله على الاعتقاد بأن النحاس باشا غاضب من هذه الحملات .

ثم استدرك فقال :

ولكن الغضب فى السر شىء ، والهجوم فى العلن شىء آخر .. أو (تشتمنى فى زفة وتصالحنى فى عطفة) كما يقول المثل المعروف !

ونحن نعتقد أن المصلحة العامة ، تستوجب على رفعة النحاس باشا أن يعلن رأيه فى احدى خطبه قبل سفره الى الخارج ! وبهذا يقطع السبيل على خصومه ، ويتم التفاهم المنشود بين السراى وأكبر حزب فى البلاد ...

وعن الخلاف بين القصر والوفد قال مكرم عبيد باشا ، ان الوفد هو اخلص الاحزاب للملك وان الوفد يرى ـ العدد ٢١٦ من آخر ساعة ـ ان الخلاف هو على سلطة رئيس الديوان وان دوائر القصر ترى ان الخلاف هو على سلطة الملك ، وفى وسط الحديث برواز بعنوان : فى اخر لحظة : التفاهم بين القصر والوفد قريب جدا والخبر الذى ضمه البرواز يقول : فى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الخميس اى وقت اعداد المجلة للطبع اتصل بنا مسئول كبير له خطره وابلغنا ان هناك سعيا جديا للتوفيق بين القصر والوفد وانه لايمضى ايام معدودات حتى تظهر نتائج هذا السعى .

وقد جاء فى حديث مكرم عبيد باشا ـ سكرتير عام الوفد ـ مايلى :

منذ أيام ضمنا مجلس بصاحب السعادة مكرم عبيد باشا سكرتير الوفد المصرى .

وكان معنا فى المجلس بعض الشيوخ والنواب الوفديين . وتحدث أحدهم عن العلاقات بين الوفد والسراى فقال مكرم باشا :

ـ يقول الذين يصيدون فى الماء العكر إن الخلاف القائم الآن هو خلاف بين الوفد وجلالة الملك .. ولا أظننى فى حاجة إلى أن أؤكد لكم أننا جميعا مخلصون لجلالة الملك فاروق ، وأن الوفد المصرى هو أخلص الأحزاب لجلالته . فالوفد ينادى بالدستور وأول مادة فى الدستور تنص على أن مصر ملكية ؛ وأن وراثة العرش فى أسرة محمد على .

وسياستنا فى هذا السبيل واضحة ناصعة ، وهى الدعوة الملكية الدستورية فى ظل الملك فاروق .

ـ قلنا : إذن فيم الخلاف ؟

قال مكرم باشا :

ـ الخلاف هو على تحديد السلطات . ولم يشأ سعادته أن يزيد على ذلك شيئا .

وتقول الدوائر الوفدية إن الخلاف هو على سلطة رئيس الديوان فهى ترى ان رئيس الوزارة بحكم الدستور مستشار الملك البرلمانى فلا ينبغى لرئيس الديوان ان يعارض فى تعيين موظف أو فى إحالة موظف إلى المعاش كما حدث ، حين أرادت الوزارة الوفدية تعيين محمد بك فؤاد مديراً لمصلحة البريد فقد اعترض على باشا ماهر على هذا التعيين ، كذلك يجب ألا يطلب رئيس الديوان تعديلات أو تغييرات فى القوانين مثلما فعل ماهر باشا لما عارض فى مشروعات القوانين الخاصة بالجامعة ، وهى القوانين التى قدمها نجيب بك الهلالى حين كان وزيرا للمعارف .

وليس من المعقول ان يستطيع رئيس الديوان الإلمام بكل المسائل التفصيلية ، فالمفروض ان هذه مسائل درستها الحكومة بما لديها من مستشارين وخبراء ، والمفروض ان الوزارة هى المسئولة عن هذه القوانين فكيف يأتى رئيس الديوان ويقول غيروا هذه ، وأضيفوا تلك ، واعملوا كذا وكيت ! إن رئيس الديوان لا يستطيع ان يفهم كل هذه المسائل التى تعرضها الوزارة ، فاذا كان من حقه ان يبحث فى دقائق كل مسألة وجب ان يكون له خبير فى المالية وخبير فى الصحة ، وخبير فى الزراعة ، وخبير فى الأوقاف ، والواقع ان هؤلاء الخبراء عند رئيس الحكومة وحده فهو الذى يجب ان يكون مستشار الملك الأول ... فالخلاف الموجود هو خلاف فى اختصاص رجال السراى لا فى أشخاصهم بالذات أما جلالة الملك فاروق فهو فوق كل خلاف .

وسألنا نحن دوائر القصر عن رأيها فى سلطة رئيس الديوان ..؟ فقيل لنا إن رئيس الديوان لاسلطة له ، فهو يعاون الملك ليس إلا .. وهو لايتدخل ولايطلب التغيير والتبديل إلا بأمر الملك .

والخلاف بين الوفد والقصر هو على سلطة الملك : فالوفد يريد أن يسلب كل سلطة ، والقصر يرى أن الملك هو الذى يوازن بين مختلف السلطات .. والملك لايعارض فى تعيين شخص لذاته ، فاذا كانت الوزارة مثلا تريد أن تعين مستشارين واختارت محامياً فلن يقول الملك عينوا المحامى الآخر لانه أكفأ منه أو يمتاز عنه بالأقدمية ، ولكن الملك يعارض فى ذلك المحامى إذا لم يكن جديرا بالمنصب المرشح له ، وإذا كانت « سمعته غير ملائمة » ـ هكذا قال لنا المصدر الذى سألناه ـ

ثم ان الملك يعارض فى القوانين التى يرى أنها تضر بصالح البلاد .. وليس

مفروضا على رئيس الوزارة أن يرضخ لهذا الطلب ، فإن من حقه أن يرفض الموافقة عليه ويستقيل ...

وعندئذ يبحث الملك الموقف .. فاذا كان يعرف أن الشعب يؤيد جلالته فى وجهة نظره قبل الاستقالة ، واذا كان يرى أن الشعب يؤيد وجهة نظر رئيس وزرائه رفض استقالته ووافق على طلباته .

وتقول دوائر القصر إن سلطة الملك تحمى رئيس الوزارة فى بعض الأحيان ، وذكرت فى هذا الصدد ، أن برنارد شو قال فى كتابه الأخير إنه كثيرا ماكان مستر بلدوين رئيس الوزارة البريطانية يطلب الى الملك جورج الخامس أن يتدخل ويمنع تعيين شخص ، حتى يستطيع رئيس الوزارة أن يقول إن الملك هو الذى منع تعيين هذا الشخص .. فقد يكون للمطلوب تعيينه نفوذ حزبى خاص وليس من مصلحة الوزارة أن تتحمل عداء صاحب هذا النفوذ ، فاستعمال الملك لسلطته فى هذه الحالة هو ضمان قوى لحسن سير الأمور ولعدم طغيان الحزبية على العمل الحكومى ..

وقالت لنا دوائر القصر إن رفعة على باشا ماهر كان يقول للنحاس باشا فى أثناء بحث الخلاف الدستورى .

ـ كما تفرض أن رئيس الوزارة كويس .. يجب أيضا أن تفرض ـ وهو الارجح ـ أن الملك كويس .. وأن الملك لايتأثر بالروح الحزبية بينما كل رئيس وزارة مضطر الى أن يراعى ظروفا حزبية لايراعيها الملك .

أما حكاية محمد بك فؤاد وعدم تعيينه مديرا لمصلحة البريد ، فتقول دوائر القصر إنها لم تعارض مطلقا فى تعيينه ، ولكن الذى حدث هو أن الوزارة النحاسية أرسلت مرسوم تعيينه الى السراى دون أن تستشير جلالة الملك قبل اعداد المرسوم ، كما تقضى بذلك الأصول ، ولو كانت الوزارة استشارت جلالة الملك ، أولو انها اعتذرت عن هذا السهو ، وقالت مثلا إنه تصرف غير مقصود ، أو أن الوزارة إعتقدت أن السراى علم بالمرسوم لكان محمد بك فؤاد هو مدير مصلحة البريد الآن ..

أما معارضة على باشا ماهر لقوانين الجامعة فدوائر القصر تقول فى ذلك إن رفعته عارض للمصلحة العامة ، وأن التعديلات التى اقترحها رفعته إقتنع بها سعادة نجيب الهلالى بك وزير المعارف فى ذلك الحين .

وتعتقد دوائر القصر أن المفروض فى كل رئيس ديوان أن يلم بالمسائل العامة كلها ، فالسراى لاتعارض فى المسائل التفصيلية ، كشق ترعة ، أو بناء كوبرى مثلا . ولكنها تعارض فى المسائل العامة التى يستطيع أن يفهمها جيدا كل من يشغل وظيفة رئيس الديوان .

هذه هى وجهة نظر القصر وقد أتينا فى أول المقال على وجهة نظر الوفد ، ونحن نعرض الوجهتين ، كما هما من غير تعليق .

قلنا فى الأسبوع الماضى إن مسئولا كبيرا له خطره اتصل بنا ، وابلغنا أن هناك سعيا جديا للتوفيق بين القصر والوفد ، وانه لاتمضى أيام معدودات حتى تظهر نتائج هذا المسعى .

كان لهذا الخبر وقع القنبلة فى الدوائر السياسية المختلفة وقابلته بعض الدوائر بسرور كبير ، وقابلته دوائر أخرى بامتعاض كبير !

وقد تبعتنا فى نشر الخبر زميلتان أسبوعيتان ...

وظن البعض أن جهة ما .. هى التى اوفدت رسولا الى الوفديين لمفاتحتهم فى التفاهم المنشود ، وظن آخرون أن الوفد هو الذى أرسل للسراى يعرض شروطا جديدة للتفاهم .

ولكن تحرياتنا الخاصة أثبتت أن السراى لم توفد أحدا لابصفة رسمية ولاغير رسمية للتحدث فى شأن هذا التفاهم ، وكذلك لم يكلف الوفد أحدا بمفاتحة رجال السراى فى هذا الشأن .. ولكن الذى حدث أن « بعض الكبراء المستقلين » الذين لهم مكانتهم ومركزهم ترددوا فى الاسبوعين الماضيين من تلقاء أنفسهم على بعض العظماء ، وتحدثوا فى هذا التفاهم وتمنوا لو عادت العلاقات بين الوفد والقصر إلى مايتمناه لها الجميع ..

وتقول دوائر القصر إنه لم تجر أى مباحثات أو مفاوضات رسمية فى التفاهم .

وسألنا إذا كان حقيقة مايقال من أن حضرة صاحب المقام الرفيع على باشا ماهر رئيس الديوان قد التقى بصاحب السعادة مكرم عبيد باشا مرتين فى الاسبوع الأخير قيل لنا إن هذا لم يحدث على الاطلاق ، ونقل لنا بعض موظفى القصر أن حضرة صاحب المقام الرفيع على باشا ماهر قال فى مناسبات عدة إن « جلالة الملك فوق الاحزاب وان باب القصر الملكى مفتوح للجميع » وقيل لنا فوق هذا التفاهم ليس مستحيلا ، ولكن حتى الان لم يجر أى حديث يمكن يؤدى إلى نتيجة ترضى الطرفين .

وقد لاحظنا أن جريدة المصرى امتنعت طوال الاسبوع الماضى عن التعريض بصاحب المقام الرفيع على باشا ماهر رئيس الديوان وبموظفى السراى على غير عادتها .

وتقول الداوئر الوفدية أن ليس لديها الآن مايمكن أن تصرح به ، ولكنها تقول إن « فى الجو شيئا » .. أما ماهو هذا الشىء ، وماهو بالضبط المدى الذى وصل اليه

« الوسيط » الذى تبرع بالتوفيق من تلقاء نفسه فهذا ماتصر الدوائر الوفدية على كتمانه .

وقد لاحظ البعض ـ فوق ملاحظتهم لامتناع المصرى عن التعريض برفعة رئيس الديوان ـ أن صاحب السعادة مكرم عبيد باشا لم يلق خطبته فى ضريح سعد خلافا لما كان قد أعلن ، ولاحظوا فوق هذا أن بعض اعضاء الهيئة الوفدية طلب الى الوفد ان يحتج عن بعض التصرفات ولكن المقامات الوفدية أوصت أصحاب هذه الاقتراحات بالانتظار .

ونحب هنا أن نكذب ماذاع فى بعض المجالس من أن الوسيط الذى تكلم فى هذا التفاهم هو حضرة صاحب السعادة يوسف ذو الفقار باشا فان سعادته لايشتغل بالسياسة على الاطلاق .

ونحب ان نشير هنا إلى حقيقة هامة وهى أن التفاهم بين القصر والسراى ، وعودة النحاس باشا الى الحكم مسألتان منفصلتان تمام الانفصال .

وقد قيل فى بعض الأوساط إن صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا سيثير من جديد مسألة المقابلة بينه وبين رفعة رئيس الديوان الملكى ، ولعل الناس لاحظوا أن الصحف الوفدية لم تعلق مطلقا على قرار النائب العمومى بشأنها .. ولكن المصادر الوفدية المسئولة تقول إن « الروح » التى وصل بها رفعة النحاس باشا الى مصر هى أميل الى التفاهم وإن مظاهر هذه الروح ستبدو عن قريب ..

وقد نسمع قريبا أن رفعة رئيس الوفد تقدم بعريضة إلى جلالة الملك يطلب اقالة الوزارة الحالية واجراء انتخابات جديدة ويقال إن هذا سيكون أحد قرارات المؤتمر الوفدى ، وإن جميع أعضاء المؤتمر سيدعون لامضاء هذه العريضة ويتوجهون بكامل هيئتهم الى قصر عابدين لتقديمها الى موظفى السراى المختصين .

وقد جرى حديث عن الوزارة القومية فى احد إجتماعات الوفد الأخيرة . وقيل إن رفعة النحاس باشا صرح بأنه لايقبل مطلقا أن يشترك فى وزارة قومية مهما كانت الظروف والاحوال ، وإن الوزارات القومية لاتكون إلا عند تعادل كفة الأحزاب فى بلد من البلاد بينما الوفد ـ فى اعتقاد رفعة النحاس باشا ـ له ٩٠ ٪ من المصريين ..

والذى نعلمه نحن ، أن أصحاب الشأن لايمكن أن يقبلوا بأى حال من الأحوال أن يتولى أى حزب وحده مهمة الحكم، مهما كانت أغلبيته ويقولون فى هذا إن السياسة الحزبية فى الحكم تودى بالبلاد إلى الهلاك ..

وليس عندنا مايحملنا على الظن بأن أصحاب هذا الراى قد غيروا رأيهم أو تحولوا عن موقفهم ..

ولكن رفعة النحاس باشا يرى أن يشتد الوفد فى مهاجمة الوزارة الحالية واتهامها بالضعف فى تنفيذ المعاهدة ويرى أيضا مهاجمة السياسة الانجليزية بحجة أنها هى التى شجعت على الانقلاب الحالى حتى تتولى الحكم وزارة تتساهل معها فى تنفيذ شروط المعاهدة .

فسياسة الوفد الجديدة تتلخص إذن فى هذه العبارة :

« هدنة مع السراى وحرب ضد الوزارة والانجليز » .

النحاس باشا والسراى

بينما تقول الدوائر الوفدية إن الوفد يميل إلى التفاهم مع السراى يقع حادث يؤجل قرب هذا التفاهم المنشود ...

فقد جرت التقاليد على أن يذهب كل مصرى كبير عقب عودته من السفر إلى سراى رأس التين ويقيد اسمه فى دفتر التشريفات وكان من الواجب أن يفعل هذا صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ...

ولكن يظهر أن هذا الواجب فات الذين أشرفوا على تنظيم الاحتفال باستقبال رفعة رئيس الوفد ، فقد توجه الموكب من الميناء إلى تمثال سعد مباشرة ولم يذهب رفعته إلى سراى رأس التين .

ونقول إنه لو كان رفعة النحاس باشا ذهب وقيد اسمه فى سجل التشريفات لكان من المنتظر أن يدعى للتشرف بمقابلة جلالة الملك بمناسبة عودته من السفر .

ويرجو الذين يتمنون أن يعود التفاهم بين الوفد والسراى - يرجو هؤلاء أن يتنبه رفعة النحاس باشا إلى أداء هذا الواجب .

هذا ما تقوله بعض الدوائر السياسية المتصلة بموظفى القصر ونحن نروى الخبر جريا على عادتنا فى موافاة القراء بآراء الدوائر المختلفة .

وتحت عنوان سياسة الوفد الجديدة : هدنة مع السراى وحرب مع الوزارة والانجليز ، كتبت اخر ساعة (العدد ٢٢٣) ما يلى :

عاد صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا فى الأسبوع الماضى من رحلته فى أوربا ، والذين رأوا رفعته يقولون إنه عاد فى صحة جيدة وإنه استفاد من استشفائه الفائدة المرجوة حتى أنه يقول لزائريه « دلوقتى أستطيع أن أشتغل كما أريد » .

والسؤال الذى يردده المشتغلون بالسياسة هو : ما هى خطة الوفد الجديدة وعلى أى سياسة سوف يسير ؟

الزعماء الوفديون يرفضون أن يجيبوا على هذا السؤال ويتحايلون فى الرد عليه بقولهم إن سياسة الوفد الجديدة هى نفس سياسته القديمة وهى العمل على جعل الاستقلال والدستور حقيقتين واقعتين بعد أن جعلتهما الوزارة الحالية خيالا فى بخيال !

ولكن كيف السبيل إلى هذا ؟

هل يدخل الوفد الانتخابات الفرعية التى تجرى كلما خلت دائرة لسبب ما ؟ أو يحاول التأثير على أعضاء مجلس النواب الحالى للانضمام اليه ؟

أم هل يحاول حض الناس على عدم دفع الضرائب وعلى عدم التعاون مع الحكومة ؟

يقول الوفديون إن الوفد لن يدخل انتخابات جديدة فى ظل مجلس النواب القائم ، وإنه مصر على مقاطعة أى انتخابات تجريها الحكومة وكذلك يقولون إن سياسة عدم دفع الضرائب لا يمكن العودة اليها بعد أن فشلت فى الماضى ..

إذن كيف يكون الجهاد ؟

يرد الوفديون على هذا السؤال بقولهم إنهم سيحاربون الحكم القائم بحملات الصحف وبعقد اجتماعات يخطب فيها زعماء الوفد وبالقيام برحلات فى الاقاليم ، ثم بعقد المؤتمر الوفدى ويقول الوفديون إنهم سيعقدونه شاءت الحكومة أو لم تشأ ...

والذى فهمناه من أحاديثنا مع الوفديين المعروفين ، أن الوفد أصبح يميل الى عقد هدنة مع موظفى السراى ، ويلاحظ قراء الصحف الوفدية اليوم أن خصومة الصحف الوفدية لرجال السراى قد اختفت من صفحات هذه الزميلات ، وانه مضى شهران دون أن يذكر صاحب المقام الرفيع على باشا ماهر رئيس الديوان الملكى أو أحد موظفى السراى بسوء ...

ولاشك أن هذا الموقف سيكون له أثره ، إن لم يكن من الوجهة العملية فمن الوجهة النفسية فهو يساعد حتما على تصفية النفوس وعلى تشجيع الجنود المجهولين الذين يعملون الآن لتصفية الموقف بين رجال الوفد وموظفى السراى .

ويجمل التابعى سياسة الوفد الجديدة فى العبارة التالية :

هدنة مع السراى وحرب ضد الوزارة والانجليز

وفى ١٦ اكتوبر ١٩٣٨ (العدد ٢٢٤) وتحت عنوان : لماذا لم يقيد النحاس باشا اسمه فى دفتر الزيارات ؟ جاء ما يلى : .

جاء فى عدد الاسبوع الماضى أن الدوائر السياسية لاحظت أن صاحب المقام

الرفيع مصطفى النحاس باشا لم يذهب إلى سراى رأس التين ليقيد اسمه فى دفتر التشريفات عقب عودته من السفر ، كما تقضى التقاليد .

ولكن الدوائر الوفدية ترد على هذه الملاحظة بأن صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا لم يذهب إلى السراى لأنه لاحظ أن موظفى السراى يصرون على تجاهله مع أنه يحمل أرفع اوسمة الدولة .

ويقول رفعة مصطفى النحاس باشا إنه لما وقع حادث نادى اسبورتنج ونشرت الصحف الأوربية الخبر مبالغاً فيه أسرع رفعته وأرسل إلى كبير الأمناء برقية مطولة يطلب فيها أن يرفع إلى جلالة الملك أخلص تهانيه ويؤكد لجلالته اخلاصه وولاءه لسدته الكريمة ...

وكان رفعة النحاس باشا ينتظر أن يتلقى رداً برقياً على هذه التهنئة من رئيس الديوان أو من كبير الأمناء ، خصوصا وأن رئيس الديوان كثيرا ما أبرق إلى الأستاذ احمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة يقول له إنه رفع التهنئة الفلانية إلى جلالة الملك ويبلغه شكر جلالته السامى ، ثم إن معالى كبير الأمناء يرد على كل برقية تتلقاها السراى ، حتى المعلم محمد زيدان تاجر الفاكهة يتلقى فى كل عيد ومناسبة برقية من كبير الأمناء يبلغه فيها أنه رفع تهنئته إلى جلالة الملك فنالت حسن القبول... فهل رفعة النحاس باشا اقل لدى موظفى السراى من المعلم زيدان أو من الأستاذ احمد حسين ؟

وأضاف رفعة النحاس باشا الى هذا أنه مازال يعتبر طلب التشرف بالمقابلة الملكية الذى قدمه إلى رفعة على باشا ماهر منذ شهور قائما ، وأنه فهم من عدم إجابة رجائه ان موظفى السراى يصرون على ان يكون بين الوفد وبينهم حاجز من الخصومة والعداء ، ولهذا فان رفعته لم يذهب ليقيد اسمه فى سراى رأس التين ، لأنه كان يخشى أن يقيد اسمه ثم لايستدعى للتشريف بمقابلة جلالة الملك بينما صدقى باشا وحلمى عيسى باشا وزيور باشا وأقل من هؤلاء ينالون شرف مقابلة جلالة الملك .. وهو الشرف المحروم منه حتى الآن رفعة مصطفى باشا النحاس ..

هذه هى وجهة النظر الوفدية .

ولكن الدوائر العليمة تقول ان رفعة النحاس باشا أرسل من أوربا برقية التهنئة باعتبار ان حادث سبورتنج هذا موجه إلى شخص جلالة الملك ، ولكن التحقيق أثبت أن هذا الحادث فردى عادى وان جلالة الملك غير مقصود به ، ولهذا رأت السراى أن تعلن فى الصحف بلاغا من كبير الأمناء بشكر الذين أبرقوا إلى السراى مهنئين ، وقالت السراى فى هذا البلاغ إن ما أشيع حول الحادث غير صحيح لأن جلالة الملك غير مقصود به على الاطلاق .. ولهذا رؤى ان لا معنى مطلقا للرد على رسائل المهنئين بحادث لا وجود له ، واكتفى بالبلاغ الذى نشره ديوان كبير الامناء ..

وقد حدث أن ارسل امراء واميرات ورؤساء وزارات آخرين غير النحاس باشا برقيات بالتهنئة ولم ترد السراى على هذه البرقيات ..

أما مسألة طلب رفعة النحاس باشا التشرف بمقابلة جلالة الملك فى أثناء الانتخابات فلا يمكن أن يكون قائما الآن ، لأن ذلك الطلب تقدم فى ظروف مختلفة ، ولم يكن من الممكن إجابته لكى لايفسره الناس فى أثناء الانتخابات على غير حقيقته ، ثم قيل لنا مرة أخرى إن أبواب السراى مفتوحة للجميع .

عن ازمة الاستاذ يوسف الجندى واعتراض الملك عليه عندما رشحه النحاس باشا للوزارة كتب التابعى ـ تحت عنوان ـ الاستاذ يوسف الجندى ، التمست الحكومة تعيينه وكيل وزارة ـ فليس هناك اعتراض ، وقد جاء فيما كتبه الاستاذ التابعى عن هذه الازمة مايلى :

ما من فائدة ترجى من اخفاء هذه الحقيقة وهى أن القائمة التى تضمنت أسماء أعضاء الوزارة الجديدة والتى تشرف صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء برفعها إلى حضرة صاحب الجلالة الملك ملتمساً صدور المرسوم الملكى بتشكيل الوزارة .. هذه القائمة كانت تحوى اسم الاستاذ المحترم يوسف الجندى وكان ملتمسا تعيينه وزيراً لوزارة المعارف العمومية ..

ما من فائدة ترجى من اخفاء الحقيقة المذكورة . كذلك ليس سراً ان اعتراضاً قام فى الساعة الثانية عشرة على تعيين الوكيل البرلمانى السابق لوزارة الداخلية وزيراً للمعارف العمومية . ولما كان الوقت يومها أضيق من ان يتسع لبحث المسألة وكان من المصلحة الكبرى صدور المرسوم الملكى بتشكيل الوزارة الجديدة من غير امهال فقد رؤى اضافة وزارة المعارف العمومية إلى معالى وزير التجارة والصناعة .

كل هذا تسربت تفاصيله إلى الشارع وعرفه الجمهور فلا فائدة ترجى من اخفائه .

ولكن هناك حقيقة ثانية لا يعرفها سوى القليلين ..

مؤقتا

هذه الحقيقة هى ان حضرة صاحب الجلالة الملك حين استعمل حقه الدستورى الذى ما من شك فيه تفضل وقال لرئيس وزرائه ان عدم موافقة جلالته على تعيين الاستاذ يوسف الجندى هو « مؤقتا » .

وقد قابل رفعة رئيس الوزراء هذا النطق الكريم بالسرور وبالشكر والدعاء للمليك .

لماذا ؟

وتخبطت الاشاعات ، وانساق وراءها بعض الصحف ومراسلو الصحف الانجليزية فى ذكر الاسباب التى قام عليها الاعتراض .

بعضها قال ان لماضى الإستاذ يوسف الجندى فى الوفدية المتطرفة دخلا فى الأمر ، وبعضها ذكر بلهجة التأكيد أسبابا شبيهة بهذه وهى وان خلت من الحقيقة فانها لم تخل من التسلية ..

والحقيقة الكاملة لم يحن الأوان بعد لذكرها . وليس من مصلحة أحد ولا من مصلحة هذا البلد نشر تفاصيلها .

ولكنا نستطيع الى جانب هذا ان نقول منذ الآن انه وان يكن جلالة الملك المحبوب قد وافق على دخول وزيرين شابين فى الوزارة وهنأهما بذلك إلا ان لجلالته رأيا خاصاً فى من يلى أمر وزارة المعارف العمومية وهو ان وزير المعارف يحسن ان يكون من رجال التعليم وممن تؤهلهم خبرتهم ومرانهم الطويل المكتسب على طول الزمن لتولى هذا المنصب الكبير ذى المسئولية الخطيرة خصوصا والبلد على باب عهد جديد يجب ان توجه فيه أكبر العناية الى النشء والجيل الجديد . وقد صارح جلالته رئيس وزرائه برأيه هذا الذى يدل على حكمة وبعد نظر ليسا غريبين على فاروق المحبوب .

اشاعات

ولقد كان الأستاذ يوسف الجندى حربا دائما على خصوم الوفد ، ولعله بين أقطاب الوفديين ، أكثر الناس خصوما وحساداً . ورجل هذا شأنه محال ان ينجو من لسان اشاعات السوء .

بل هو أمر طبيعى ، والغير الطبيعى أن يصل يوسف الجندى إلى المكانة التى استقر فيها بين أقطاب الوفديين بعلمه ونزاهته وكفايته ولايصاب فى سمعته أو فى كرامته بسوء ، كأن ليس له وجود وكأن ليس له حساد ولا خصوم .

هذا هو الذى كان يبدو أمراً غير طبيعى .

ولك أن تستعرض رجالات البلد وزعماءها واحداً بعد واحد ، عهداً بعد عهد ، على اختلاف ألوانهم وأحزابهم ، وليدلنى من يستطيع على واحد منهم ـ واحد فقط ـ لم يصب سمعته وكرامته رشاش من اشاعات السوء .

حتى سعد زغلول ، اتهمه خصومه بأنه وضع يده على أموال الوفد واستعملها فى مصالحه الشخصية وقالها خطيب ـ هو الآن وزير سابق ـ فى اجتماع عقده الاحرار الدستوريون فى عام ١٩٢١ .

ومن بعده مصطفى النحاس اتهم فى كرامته وفى ذمته وأمانته وهو الأمين وقدم الى القضاء .

ثم استعرض رجالات مصر من غير الوفديين . وأبدأ بزيور باشا وما قيل عنه فى عام ١٩٢٥ وعن تصرفه فى الأموال السرية وكيف انه ابستباحها لنفسه .

ومحمد محمود باشا واسماعيل صدقى باشا وعلى ماهر باشا وغيرهم . كل هؤلاء امتدت اليهم اشاعات السوء . حتى لو أننا أخذنا بكل وشاية ونميمة لأمسينا وأصبحنا فاذا برجالات مصر وكلهم ممن يجب أن تقع على اكتافهم يد القانون !

ولقد انتهز هذه الفرصة خصوم الأستاذ يوسف الجندى - وخصومه كما قلنا كثيرون - وراحوا يرجعون أسباب الاعتراض على دخوله الوزارة إلى امور تتعلق بشخصه ونزاهته ، وراحت صحف لاتتقى الله تلمح إلى هذه الاشاعات .

لاشىء من هذا ولا مما يروج له خصوم الحكومة وخصوم هذا الوفدى الكبير .

لاشىء من هذا واليك الدليل وهو خبر لايعرفه إلا الوزراء ولم يحط به علما عامة الجمهور .

وكيل برلمانى

كان تشكيل الوزارة فى يوم الثلاثاء ٣ أغسطس وكان الاعتراض على تعيين الاستاذ يوسف الجندى وزيراً للمعارف .

وفى صباح اليوم التالى الاربعاء تشرف صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك ، ولقد فهم دولته يومها انه اذا رأت الحكومة أن تستصدر مرسوما ملكياً باعادة تعيين الاستاذ يوسف الجندى وكيلا برلمانيا لوزارة الداخلية أو أية وزارة أخرى ، فليس هناك اعتراض .

هذه حقيقة أكيدة ، وهى قاطعة فى تكذيب اشاعات السوء التى يروج لها خصوم يوسف الجندى ، لانه اذا كان حقا مايقولون من أن الاعتراض على دخوله الوزارة قام على أمور تتعلق بنزاهته ، فقد كان حريا أن يظل هذا الاعتراض قائما ضد تعيينه فى منصب وكالة الوزارة أو أى منصب حكومى كبير مسئول .

والكلمة الأخيرة هى أن صاحب الجلالة الملك وهو المصرى الاول والوطنى الاول حبا رئيس وزارته بعطف وتقدير لم يفز بهما رئيس وزارة من قبل . كذلك هذه الوزارة وهى تشعر بعطف المليك وحسن تقديره لم تأل جهداً ولن تألو جهداً فى خدمة العرش وفى تقديم آيات الاخلاص والولاء وبذل الجهد لكى تحقق لمصر مايرجوه لها فاروق المحبوب من مستقبل يتفق وماضيها الحضارى المجيد .

فلتمسك اذن اشاعات السوء بلسان السموم ، فليس هناك مجال للدس والوقيعة بين ملك قد عرف على حداثة سنه بالحكمة وفصل الخطاب وبين وزارة على رأسها رجل انتظمت صفاته فى عنوان واحد هو « مصطفى الأمين » .

الفصل الخامس

□ أسرار سياسية ومذكرات خاصة تنفرد بها آخر ساعة التابعى

للاستاذ محمد التابعى حس تاريخى متميز ، والحس التاريخى من الاحاسيس الهامة التى قد تولد مع الشخص ، وقد تكتسب بمرور الوقت . وصاحب الحس التاريخى ، يقرأ التاريخ بكثرة ويحس بالمتعة وهو يقرأه ، كما أنه - صاحب الحس التاريخى ، يسعى دائما الى الأشخاص التاريخيين أو الذين لهم علاقات قريبة من الاشخاص التاريخيين ليسمع منهم ، وفى احيان كثيرة يسعى صاحب الحس التاريخى بشوق ، الى مصادر التاريخ غير المعروفة ، ليكشف ما بداخلها من أسرار وفى أحيان كثيرة ايضا يكون لدى صاحب الحس التاريخى " رادار " هام وخطير يدله على الأوراق والوثائق التاريخية المفيدة .

وعندما يلتقى الحس التاريخى بالحس الصحفى يكون بحق لقاء الحسنيين ، حيث يتم اخراج التاريخ للقارىء بصورة جذابة ، وحيث لايجرى إلا إختيار المادة التاريخية التى تستقبلها الجماهير بشغف ، وشوق .

وكم هناك من اناس يملكون العديد من الأوراق التاريخية ذات الأهمية البالغة ، ومع ذلك فهم لايعرفون أهميتها ، وحتى إذا عرفوا أهميتها قدموها للقارىء ، وكأنما يقدمون جثثا تغطيها الأكفان .

وقد كان للتابعى الى جانب حسه التاريخى ، وحسه الصحفى حس آخر ، لايقل ابدا أهمية بالغة عن الحسين التاريخى والصحفى ، أعنى به الحس الوطنى ، حيث لايقدم من المادة التاريخية الا مايتميز بالصدق ، والأمانة ... إلا مايفيد القارىء والإفادة هنا تتخذ صورا وأساليب مختلفه .

فإن تقدم - من التاريخ - عدوك فان ذلك يفيدك تماما فى دراسة مصادر ضعفه وقوته - ويجنبك فى نفس الوقت الحاجة إلى ضرورة ملاقاته ، إلا بحذر وفى ساعات ضعفه .

وأن تقدم ما يقوله الآخرون حتى ولو كان قاسيا ، وعنيفا فإن ذلك يجعلك فى البداية تميز بين العدو والصديق ويجعلك فى نفس الوقت تعرف مايقوله الآخرون عنك ، فتتجنب الأخطاء وتستمر فى الأعمال الايجابية ، إن مايقوله الغير عنك - صدقا كان أم كذبا ، أشبه مايكون بالمرآة الصادقة فى حالة الصدق وأشبه مايكون بالمرآة الكاذبة فى حالة عدم الصدق ، وأنت تستطيع بسهولة ان تميز بين المرآتين وتستفيد منهما فى نفس الوقت .

والمرء دائما بحاجة إلى أن يعرف مايقوله الآخرون عنه - حتى ولو مجدو، فضله ، وعمله - حتى يكون أشبه مايكون بالنعامة التى تضع رأسها فى الرمال فلا ترى أحدا فتعتقد أن احدا لن يراها ، اذ يخيل دائما ، لمن لايسمع آراء الاخرين فيه

انه دائما على حق ، فالنفس قد جلبت فى غالب الأحيان على ألا ترى فى نفسها إلا الوجه المشرق .

وقد مر بالتابعى العديد من صراعات النفس ، عندما كان يفكر فى نشر ماكتبه الغير ، عن مصر .

فى البداية ، مذكرات لورد سيسل المستشار المالى الأسبق للحكومة المصرية ، وكان - مثلا - اللورد سيسل عنيفا للغاية وهو يهاجم المصريين الذين عرفهم هجوما ضاريا ، وكان الاقبال على نشر مثل هذا الهجوم فى مصر يحتاج كما سبق أن قلت الى شجاعة نادرة إتسم بها التابعى منذ بداية شبابه .

وكما تغلبت جرأة التابعى وشجاعته وهو يقوم بتعريب كتاب لورد سيسل وتقديمه للجماهير كانت جرأة التابعى وشجاعته تتغلبان دائما وهو ينشر كثيرا من الكتب والمذكرات التاريخية ، التى كتبها معادون لنا ، أو على أقل تقدير غير أوفياء .

وقد امتلأت روز اليوسف - فى السنوات العشر الأولى التى كان يصدرها التابعى - وكذلك آخر ساعة التابعى بالأعمال التارخية التى كتبها أصدقاء أو معادون لنا وقد تتبعت كل ما نشر فى آخر ساعة فى أعدادها الاولى من مواد تاريخية إما فى صورة كتب للغير بدت القسوة فيها علينا منذ السطور الاولى ، وإما فى صورة مذكرات ، كتبها هذا الغير وأعدها للنشر ، فبادر التابعى بأنفه الصحفية بنشر مقتطفات منها ، كما حدث - مثلا - بالنسبة لسير رونالد ستورنس ، ومذكراته عن الفترة التى قضاها فى مصر ، وهى فترة طويلة أتيح له فيها أن يتعرف - جيدا - إلى كبار المصريين وكبار الانجليز وأن يعرف فى نفس الوقت ، كمستشار لدار المندوب السامى البريطانى الكثير من الأسرار السياسية والاجتماعية .

ونقل مذكرات سير رونالد ستورنس كتاب : مصر من عهد كرومر ، للورد لويد .

وكان التابعى يتتبع جيدا كل ماينشر فى الخارج عن مصر أو ماهو بسبيله إلى النشر ، لينفرد هو بنشره فى مصر فاذا أضفنا إلى ذلك سبقه الحثيث لنشر صفحات من مذكرات كثير من السياسيين المصريين الذين كانوا على مقربة من صنع القرار كما حدث بالنسبة لمذكرات توفيق نسيم باشا ومحمد سعيد باشا من رؤساء الوزارات السابقين وكذلك عبد العظيم راشد باشا من وزراء - الداخلية - وآخرين وآخرين .

ولان محمد التابعى كان بحق موسوعة تاريخية فقد كان ينتهز كل فرصة ممكنة ، ليخرج من تلك الموسوعة العديد من الأسرار ، كما فعل بالنسبة لمذكرات سعد زغلول الذى كان أول صحفى مصرى إقترب منها .

وأذكر ان التابعى ، استحدث بابا فى آخر ساعة يتناول فيه الكتاب ذكرياتهم عن بعض الأحداث الهامة والأشخاص الذين دخلوا التاريخ .

وبدا التابعى هذه السلسلة فى ٧ نوفمبر ١٩٣٧ وكانت الحلقة الاولى عن ذكرياته مع ، وعن الملك أمان الله خان ـ أحد ملوك الافغان ـ وكانت الحلقة الثانية عن الرجل الذى ضايق لورد لويد أكثر من سواه وهو محمد محمود كما يقول محمد محمود نفسه وراح يشجع كبار الكتاب ـ بل وصغارهم ايضا ـ على هذا اللون من الكتابة وكان التابعى يولى هذه الكتابة أهمية بالغة فى المجلة ـ آخر ساعة ـ حتى كانت تسبق القسم السياسى ، من المجلة .

وقد أتعبت نفسى فى الجرى وراء تلك المادة التاريخية ، الصحفية ، فى نفس الوقت ، التى كان التابعى يختارها بنفسه بكل دقة وعناية وذوق واخترت منها مايفيد ـ بالقطع المؤرخين ، والكتاب والقراء ايضا فليس فى استطاعة اى كاتب ، أو مؤرخ أن يصل الى اعداد آخر ساعة القديمة بل ان الكثير من تلك الاعداد غير موجود فى دار الكتب ، وقد عثرت عليها بجهد شاق ، مضن ورأيت ، أن اخصص لها هذا الفصل من الكتاب فانا كما سبق ان قلت لااكتب عن الشخصيات التى اكتب عنها من الزوايا الخاصة بهم وحسب ، وإنما أنا أحاول باستمرار أن أنقل للقارىء العصر الذى كانوا يعيشونه بكل سلبياته وإيجابياته بالشرق ، وغير الشرق من الأحداث ثم أننى ـ فى هذا الفصل ـ أركز على جانب هام من جوانب شخصية محمد التابعى .

واذا كنت قد أطلت فى هذا الفصل فقدرى اننى كنت اشبه بمن عثر على كنوز هامة لم تكتشف بعد أو لم يعرفها الناس بعد ، كما يحب وآثر الايحتفظ بها لنفسه ، وانما يشرك قراءه وقارئاته فيها وأزعم ان هذه الصفحات المختارة تضىء الكثير من جوانب حياتنا السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية والفنية فى فترة من فترات التاريخ (المظلم) ولقد فكرت فى أن اقدم تلك المادة فى دراسة مستقلة ولكننى تراجعت إيمانا منى بأنها وقد نشرها التابعى بعد ان إختارها بكل دقة وبعد ان عقب على بعضها قد أصبحت جزءا لا يتجزأ منه فإن كان تقديرى هذا قد لقى منك عزيزى القارىء ـ عزيزتى القارئة القبول فأنا سعيد للغاية وإلا فألف عذر لاساءة التقدير .

يبقى بعد ذلك كله ، التركيز على ان ماانشره هنا فى هذا الباب لا أتحمل مسئوليته ابدا ، وانما يتحمل مسئوليته أصحابه .

وقد مضى اكثر من خمسين سنه ، على النشر دون أن يصحح أحد مانشر ، ولذلك فأنا بعيد عن أية مسئولية خاصة بإعادة النشر ، نقطة أخرى هامة وخطيرة وهو أننى آمنت بما آمن به التابعى من أنه لاضرر ولاضرار من نشر ما يقوله اعداؤنا عنا حتى

نعرف آراءهم ـ فينا وأضيف حجة جديدة ، وهو أن مانشر في الثلاثينات عن أمور جرت في العشرينات او ماقبلها قد أصبح كله تاريخا بكل ما في كلمة تاريخ من معان ومقاييس .

وأخشى ، أن إكون قد أطلت في الحديث عن تلك المادة التاريخية وظروف نشرها فلننتقل إليها بادئين ، بمذكرات وذكريات محمد التابعي عن أمان الله خان ، وعن محمد محمود الذي ضايق لورد لويد اكثر مما ضايقة غيره .

عن امان الله خان كتب التابعي يقول :

كانت ساعة ما بعد تناول العشاء وكانت القاعة الكبرى في فندق مونتريه بالاس تموج بأعضاء وفود الدول صاحبة الامتيازات وبالسيدات قريناتهم وبمن يصحبونهم من موظفين عديدين رجال وآنسات .

وكانت تسمع الاحاديث بكافة اللغات ، كأنما القاعة قد استحالت إلى برج بابل المشهور .

كنت تسمع الانجليزية .. والفرنسية .. والإيطالية .. وكانت اليونانية تقفز من مائدة إلى مائدة ، والنكات باللغة العربية تدور بالموائد وتحيي أعضاء الوفود ، وبعضهم من المقيمين في مصر الذين يفهمون لغتنا إلى حد ما .

وكان مؤتمر الامتيازات يعقد جلسته الافتتاحية في صباح اليوم التالي .

وعلى نغمات الموسيقى التي لم يعرها أحد التفاتا ، جلس مندوبو الدول أو تفرقوا في جنبات القاعة يتحدثون ويتكهنون ويجسون نبض بعضهم البعض .. أي موقف سوف يقفه زملاؤهم مندوبو فرنسا وهل حقيقة هناك إتفاق تضامن بين فرنسا والبلجيك ؟.. وهل حقيقة .. مندبو إيطاليا سوف يؤيدون طلبات مصر على طول الخط ؟.. وهل ... وهل ...

واندس مندوبو الصحف ـ وكانت صحافة العالم كله ممثلة ـ إندسوا بين الموائد يلتقطون كلمة من هنا أو يقفون متظاهرين بإشعال سيجارة ، وفي الواقع لكي يسترقوا السمع الى الحديث الدائر بين مندوب أمريكا ومندوب البرتغال !

أما أنا فقد جلست الى مائدة تقطع الطريق بين القاعة الكبرى وقاعة الطعام .

جلست استنزل أشياء لايمكن طبعها ونشرها على رأس زميلي محمود أبو الفتح ، فقد كان هو السبب في حضوري إلى بلدة مونتريه . وكان قد مضى عليَّ فيها نحو اسبوع ، ومونتريه تكاد تكون قرية ، وكانت إذ ذاك في فترة الركود بين الموسمين موسم الشتاء وموسم الصيف .

كانت هادئة ـ خالية من أى شىء يسلى باردة .. ناعسة تتثاءب وتتمطى ، حتى مؤتمر الامتيازات لم يفلح فى ايقاظها ، فقد فتحت مونترية الناعمة عينها نصف فتحة ثم اقفلتها واستسلمت للنعاس .

كنت مللت وشبعت من مونتريه .

ولم يكن فى برنامج العمل حين غادرت مصر فى شهر فبراير الماضى أن أشهد مؤتمر الامتيازات فى مونتريه ، فقد كان المتفق عليه أن يقوم الزميل محمود ابو الفتح بهذا الجانب لجريدتنا المصرى . وكان حضرته قد غادر مصر مع الوفد المصرى لدى مؤتمر الامتيازات ، ووصل مع الوفد ميناء جنوا ..

كل هذا كنت أعرفة من التلغرافات التى كانت تصلنى .

وفجأة ـ وأنا فى مدينة جنيف ـ جاءنى منه تلغراف يقول فيه إنه مضطر للتخلف فى مدينة ميلانو بضعة أيام لان أزمة شديدة من مرضه القديم المعروف عرق النسا قد حلت به ، ويرجونى أن أذهب الى مونتريه لكى أكون فى استقبال رفعة رئيس الوزراء وزملائه أعضاء الوفد المصرى ولكى أوافى جريدتنا (المصرى) بالاخبار حتى يصل هو إلى مونتريه بعد شفائه من عرق النسا !

نعم . مرضه القديم المعروف !

وأصدقاء أبو الفتح هم أول الشاكين من مرضه هذا القديم المعروف .. عرق النسا ولو كتبها هو بالهمزة بدلا من الألف ؟ ولكن السر عند الصديق الزميل شفاه الله !!

جلست إذن إلى مائدة وحدى وأنظر بدون اهتمام بل بشىء من الملل إلى مايجرى حولى .. وإلى غادة انجليزية حسناء ، أحالت رياضة الثلوج لون وجهها إلى برونز تشوبه الحمرة ، وهى تحنو على رفيق لها ضرير ؟ .. حتى العمى له حسناته ومزاياه فى بعض الأحوال !

ثم تحول نظرى عنها إلى رجلين سمر الوجوه قد وقفا أمامى يتحدثان بلغة خيل إلى فى أول الأمر انها اللغة التركية ؟

ولكن ما شأن التركية وتركيا هنا ؟ لم تكن تركيا احدى الدول صاحبة الامتيازات الممثلة فى المؤتمر ؟

وهذا الرجل ... أذكر وجهه ، فأين رأيته ؟

كان يرتدى سترة السهرة ـ الاسمو كنج ـ وكذلك زميله . وكان زميله هذا يصغى إليه بكل احترام ، بل كان الاحترام يتجلى فى وقفته أمامه ؟

ومر هنا صاحب المعالى مكرم عبيد باشا فلفت نظره معاليه الى هذين السيدين وإلى أنهما يتحدثان بالتركية !

ولم يعرفهما معاليه ؟ ! وقال ربما كانوا مراقبين تركيين ، فقد أرسلت بعض الدول غير الممثلة لدى المؤتمر مراقبين من عندها ليشهدوا الجلسات ويوافوا حكوماتهم بما يجرى كما فعلت الصين .

ثم قال معاليه « ولكننى لا أظن ان لتركيا مراقبين هنا » !

وفى اليوم التالى عقد مؤتمر الامتيازات جلسته الافتتاحية فى الصباح ، وشهدت بين « الضيوف » او الزائرين الممتازين الذين أعدت لهم مقاعد خاصة السيدين المذكورين .

ومر بى لحظتها الاستاذ محمد صلاح الدين بك مدير مكتب رئيس الوزراء فسألته هل يعرف هذين الرجلين ؟ وأشرت عليهما ... فابتسم وقال : (يا أخى ده الملك أمان الله واللى معاه أخو زوجته الملكة ثريا !)

وفى حفلة الاستقبال التى أقيمت بعد ظهر اليوم قدمنى بعضهم الى صاحب الجلالة الملك أمان الله ملك أفغان السابق وإلى السيد عبد الرحمن الطرزى شقيق الملكة ثريا ، والذى كان يشغل فى بلاط أمان الله منصباً رفيعاً .

ووقفنا نتحدث عن مصر وعن الشرق وآمال الشرقيين . وعن الغرب ومطامع الغرب والغربيين . وكان مما قاله أمان الله : (لقد زرت أوربا وأنا ملك ولكننى لم أفهمها ولم اعرفها يومئذ .. اما الآن وأنا اختلط بأهليها كفرد عادى فقد عرفتها وفهمتها تماما ويمكننى ان أقول لك ان كل ماف أوربا طلاء وقشور ..)

وكان جلالته يتحدث بلغة فرنسية مضطربة شيئا ما . وكان صهره - الذى يتقنها - يتدخل اثناء الحديث ليشرح لى مراد جلالته

وأسهب امان الله فى وصف حبه لمصر والمصريين وفى زيارته الرسمية للمغفور له الملك فؤاد فى ديسمبر ١٩٢٧ وفى اعجابه الشديد بجلالته . ثم تحدث عن نهضة مصر وتمنى لنا الخير وقال : (لن تغلبوا اوروبا الا بالاستزادة ! ... لا تقنعوا بشىء أبدا . اطلبوا دائما المزيد . إذا كنتم تريدون عشرة فاطلبوا خمسين تصلوا فى آخر الأمر الى العشرة التى تريدونها . إن اوروبا لاتفهم الصراحة ولا تؤمن بالقناعة .. احذروا القناعة !)

وفهمت من حديث جلالة امان الله أنه يعتقد أن الانجليز كانوا وراء الثورة التى أنزلته من على عرشه وأنهم هم الذين ساعدوا جلالة الملك نادرشاه على الجلوس على

عرش الافغان . وأن الحكومة الانجليزية لاتنسى له ـ أى للملك امان الله ـ انه حاربها فى شبابه وأنزل بحيوشها الخسارة ، وأنه خطر دائم على حدودها الهندية .

وهنا تكلم « الصحفى » فقلت : (ولكن الافغان هل تؤيد الآن نادر شاه وتلتف حوله ؟) ولم يجب امان الله على سؤالى .

وأجاب السيد عبد الرحمن الطرزى : « لا تصدقوا كل ما تسمعونه عن التفاف الافغانيين حول عرش نادرشاه . لقد كانت صحافة اوروبا تقول إن مصر كلها تؤيد حكومة صدقى باشا فهل كان هذا صحيحا ؟ ! » ولاحظ امان الله أثناء وقوفنا أن مصورين عديدين انتهزوا الفرصة والتقطوا لجلالته صورا عديدة ، واقبل أحدهم يرجو جلالته أن يعدل من وقفته قليلا لكى يلتقط له صورة أخرى .

وابتسم جلالته ابتسامة حزينة وقال أو على الأصح تساءل فى مرارة :

ـ ولماذا يهتم هؤلاء السادة بى الآن وبصورتى ؟ ! قل له ـ يقصد المصور ـ إن امان الله لايساوى الآن فرنكا واحدا .

ويقضى الملك امان الله معظم العام فى مدينة رومه وقد اشترى فيها عمارتين كبيرتين ، فاذا اقبل الصيف ذهب الى سويسرا ، وله بالقرب من بلدة مونتريه فيللا صغيرة يقيم فيها ...

ولكنه ... قلق لا يستقر على حال كما أخبرنى بنفسه . وهو يحب التجول والتنقل من بلد إلى بلد .

وآخر مرة قابلت جلالته ...

كان ذلك فى زيوريخ ، وكانت السماء تمطر ، وكنت مسرعا فى طريقى إلى المحطة لاقابل صديقا قادما من سفر ...

وقد شددت « الكاسكت » فوق عينى اتقاء للمطر ، ويداى فى جيوب معطفى ، وأنا أسرع فى مشيتى وإذا بيد تمسك بذراعى وتستوقفنى ...

الملك امان الله ... من غير معطف يقيه المطر ، بل بسترة عادية وماء المطر يسيل فوق وجهه وهو يبتسم ويسألنى عن اخبار مونتريه ومؤتمر الامتيازات وهل كل شىء يسير على ما يرام ؟

وسألت جلالته ماذا يفعل الآن فى زيوريخ ؟

فقال وهو يبتسم : اقتل الوقت كما ترى بالفرجة على الفترينات !!

ويكتب الاستاذ التابعى المقالة الثانية عن ذكرياته ولكنها فى هذه المرة ـ ١٤ نوفمبر ١٩٣٧ ـ مع محمد محمود باشا :

أغسطس عام ١٩٢٩ ...

عاد صاحب الدولة محمد محمود باشا من أوروبا بعد أن انتهت مفاوضاته أو محادثاته مع المرحوم مستر هندرسون وزير الخارجية البريطانية وانتهت إلى مشروع هندرسون ـ محمد محمود .

وكانت تقدمت دولته دعاية واسعة للمشروع ، وقامت الصحف التى كانت تؤيد وزارته تهيب بوطنية المصريين ووطنية الزعماء أن يطرحوا أسباب الخلاف وأن ينتهزوا هذه الفرصة الذهبية وأن يضعوا أيديهم فى يد دولة محمد محمود باشا لكى يظفروا لمصر بهذا الاتفاق الذى يحقق لها اقصى مايمكن من أمانى الحرية والاستقلال .

وسافرت ـ أوسيقت ـ وفود عديدة من انحاء البلاد لكى تشترك فى استقبال دولته فى الاسكندرية ، وانتهزت فرصة وجود أعضاء هذه الوفود فى الثغر ، وأعلن عن خطبة سياسية يلقيها صاحب الدولة « رئيس الوزراء » ويقدم فيها مشروع الاتفاق .

ونصب سرادق كبير فى فناء مدرسة سان مارك فى الشاطبى ، ووقف دولة محمد محمود باشا والقى خطابه السياسى .. وكنت بين الصحفيين الذين لبوا الدعوة وذهبوا لسماع دولة الزعيم النبيل .

وأشهد اليوم أن الباشا كان معتدلا كل الاعتدال فى خطبته وانه ـ قبل أن يدخل سرادق الاحتفال ـ خلع يده الحديدية ، ودخل يحمل فى يده الثانية غصن الزيتون .

خطب الباشا وشرح بعض مواد الاتفاق ومد بغصن الزيتون لخصومه السياسيين ودعاهم للتعاون معه من أجل مجد مصر وتحقيق امانيها !

ولكن دولة الباشا لم يكن صريحا فى كيف يكون هذا التعاون ... وكيف يكون أخذ رأى البلاد فى اتفاقه المذكور ؟

وفى احدى قاعات فندق سان ستفانو وقفت اتحدث فى هذا مع بعض زائرى الفندق وكان بينهم اثنان أو ثلاثة من أعضاء حزب الاحرار الدستوريين بل وخاصة المقربين لدولة زعيم الحزب « رئيس الوزراء » .

وقال أحدهم ـ وكان صاحب العزة حامد العلايلى بك قال : « ولماذا لا تقابل دولة الباشا بنفسك وتستفسر منه عما تراه غامضاً ؟ »

وكان السؤال مفاجأة لم اتوقعها .. فسكت .

وعاد حامد بك يسأل : هل ترى مانعا من مقابلته ؟ ... لعلك خائف مما قد يظنه فيك الوفديون ؟

وقلت أنا : كلا ... الوفديون الذين يعتد برأيهم يعرفوننى جيداً ، وأنا مطمئن إلى أنهم لن يظنوا فى سوءا ! ..

ـ اذن توافق .. ؟

قلت : لا مانع ..على شرط أن يكون مفهوما اننى اقابل دولة محمد باشا محمود لغرض واحد وهو الاستفسار منه عن بعض ماغمض على فهمه فى خطبته .

وكان اصدقاء دولته فى تلك الايام يبذلون جهودهم فى كسب صحف المعارضة ـ أى الصحف الوفدية ـ وحملها على تأييد مشروع هندرسون ـ محمد محمود ، والترحيب « بغصن الزيتون » والدعوة إلى « تناسى الخلافات » والى الائتلاف !

كانوا يبذلون جهودهم .. ويبذلون معها ـ باسم الوزارة ـ الوعود بآلاف الجنيهات ،حتى أن جريدة وفدية عرض عليها يومها خمسة آلاف جنيه مرة واحدة !

وفى الساعة المحددة للمقابلة ، صحبنى كل من صاحبى العزة ابراهيم الطاهرى بك وحامد العلايلى بك ، إلى حجرة محمد محمود باشا فى فندق سان استفانو ، واستقبلنى دولته بظرف وحيانى تحية طيبة وأشار إلى الموجودين أن ينسحبوا ففعلوا ...

وسألنى دولته عن المجلة التى أحررها الآن فقلت له : مصر الحرة وكان دولته قد عطل لى قبل ذلك نحو ست مجلات .

قال وهو يبتسم : بتكتب كويس ... كتابتك صحيح حلوة .. بس جامدة ! ومع ذلك فانا لم اعطل لك مجلاتك من أجل اشتدادك فى نقدى ... ولكن لأنك طعنت فى وطنيتى وأنا لا أقبل أن اتهم فى وطنيتى !

ثم بدأ دولته يحدثنى فيما جئت لاجله ، وهو حديث طويل .. منه أن دولته لم يذهب إلى لندن بفكرة المفاوضات أو عقد معاهدة مع الانجليز ، وانما ذهب من أجل ثلاثة امور :

الأول . اقناع الحكومة البريطانية بسحب مندوبها السامى فى مصر اللورد لويد واستبداله بآخر ... (هكذا) !

وهنا قال دولته بشىء من الحدة « يقولون عنى اننى كنت صنيعة اللورد لويد ، وأنا أؤكد لك يا استاذ انه مامن وزير مصرى جسر على أن يكلم اللورد لويد باللهجة التى كنت اكلمه أنا بها ... وليس هناك وزير مصرى ضايق اللورد لويد كما ضايقته انا ... »

وكان يمكننى أن أقول لدولته : وكذلك ليس هناك وزير مصرى واحد هتف له اللورد لويد فى احتفال عام كما هتف لدولتك ثلاثة « هيب هورا » فى حفلة كلية فيكتوريا .

كان يمكننى أن أقول هذا وأسأل دولته إذن عن سر هتاف اللورد لويد لدولته

اللهم إلا إذا كان من عادة اللورد أن يهتف بحياة الذين يضايقونه ويشخطون فيه . ولكننى سكت ...

والأمر الثانى الذى كان دولته قد سافر من أجله إلى لندن هو مباحثة حكومتها فى اخلاء ثكنات قصر النيل ..

والأمر الثالث هو عودة الجيش المصرى إلى السودان .

ورأت الحكومة الانجليزية ان دولته يطرح مسائل لها علاقة بالمسائل المعلقة. فاقترحت هى ـ هكذا قال دولته ـ اقترحت هى ان تطرح على بساط البحث جميع المسائل المعلقة بقصد الوصول إلى اتفاق .

وقال دولته فى ختام حديثه :

ـ وتأكد يااستاذ انه لم يعد لى غرض فى الحياة ولا مطمع . وان أسعد يوم فى حياتى هو يوم تقبل البلاد مشروع الاتفاق .. وانا أعدك منذ الآن انه يوم تمضى المعاهدة مع انجلترا ، سوف أترك منصب الحكم واعتزل السياسة واذهب إلى مزارعى فأعيش فيها بين أولادى هادىء البال بعد ان حققت لمصر استقلالها المنشود .

وكان الحديث يدور يومها حول عودة الحياة النيابية التى كان دولته قد عطلها ثلاث سنوات قابلة للتجديد ، وحول الانتخابات وعلى أى أساس تدور .

وكان دولته يريد أن تجرى هذه الانتخابات على أساس مشروع الاتفاق : هل هو مقبول او مرفوض ؟

وكانت الاغلبية الوفدية قد أعلنت رأيها وهو أن لا رأى فى مشروع الاتفاق الا تحت قبة البرلمان .

وسألنى دولته : على أى أساس اذن تريدون أن تجرى الانتخابات ؟

قلت أنا : ان الوفديين يريدون أن تعود الحياة النيابية بلا قيد ولا شرط وأن تجرى الانتخابات على غير أساس .. بل ويفهمون من إلحاح دولتك فى جعل مشروع الاتفاق أساسا للانتخابات أن قبول هذا المشروع ثمن عودة الحياة النيابية !

وهز دولته كتفيه وقال : كلام فارغ !

والان ضع تصريحات دولته هذه إلى جانب اعمال دولته فى هذه الأيام ، وبعد عقد المعاهدة ـ التى اشترك دولته فى وضعها وفى إمضائها والتى حققت لمصر استقلالها ... ضع تصريحاته إلى جانب تصرفاته وأعماله الآن وتساءل معنا : هل من حاجة إلى تعليق !

وعن مذكرات سعد زغلول والصحفى الاول الذى إطلع عليها يكتب التابعى دون ان يوقع على ماكتبه عن قصته مع تلك المذكرات وعن بعض ما فيها فيقول :

نشر المستر لويد جورج مذكراته عن الحرب العظمى فقوبلت بضجة كبيرة فى الدوائر الصحفية الانجليزية ... وما كادت هذه المذكرات تظهر حتى اعترض المستر ونستن تشرشل السياسى الانجليزى المشهور على بعض فصول منها وهى تمسه شخصياً ، وتتناول بشيء من التقريع دور العكننة الذى لعبه مستر تشرشل فى اجتماعات مجلس الوزراء أثناء الحرب العظمى ...

ومنذ سنوات نشر أنجال المغفور له عرابى باشا مذكرات والدهم فى مجلد ضخم طبعته مطبعة مصر ، وكان مفهوما - لدى أنجال عرابى باشا على الأقل - أن هذه المذكرات سوف تثير دوياً فى عالم السياسة نظراً لما حوته من اسرار الثورة العرابية وتلم رجلها العظيم ...

ولكن تلك المذكرات قوبلت مقابلة خيبت آمال ناشريها - لا لأنها مذكرات تافهة فالواقع أنها مذكرات عظيمة لرجل عظيم - ولكن لأن ورثة عرابى باشا لم يتخيروا الوقت المناسب لنشر هذه المذكرات ، فقد نشروها بعد خمسين سنة مضت على قيام الثورة ، أى بعد أن انتقل الجيل الذى عاصر الثورة الى رحمة الله ولم يبق على الحياة رجل واحد يستطيع أن يناقش تلك الوقائع أو يهتم يها اللهم إلا بضع عشرات ممن يهتمون بالتاريخ القديم !

ولو كانت هذه المذكرات نشرت منذثلاثين أو عشرين عاماً لكانت أحدثت ضجة كبيرة ، وبيعت منها عشرات الألوف .

ومنذ ثمانية أعوام استطاع صديقنا الاستاذ محمود أبو الفتح أن ينتزع من المغفور له رشدى باشا مذكراته عن موقف مصر عندبدء الحرب العظمى وكيف اعتذر المغفور له الامير كمال الدين حسين عن قبول العرش الى غير هذه الوقائع التى أثارت اهتمام الجمهور

ولم يكن رشدى باشا يكتب مذكراته هذه فى كراسات خاصة ، بل كان يدونها فى أوراق لديه بخطه إحيانا وبخطوط آخرين فى بعض الاحيان .

ولقد حدثنا بعض المتصلين بأسرة رشدى باشا أن لديها عدة أوراق مهمة - فى هيئة مذكرات - وأن هذه الأوراق محفوظة عند أحد أقارب المرحوم رشدى باشا ، ولكنها تحتاج الى تبويب وترتيب ، وقريب رشدى باشا المذكور ليست عنده طولة البال ليقوم بهذا العمل المجيد !!

ولقد ترك المرحوم ثروت باشا مذكرات باللغة الفرنسية ، وأهمها على وجه

التأكيد وصف فترة المفاوضات السرية التى جرت بينه وبين اللورد اللنبى قبل صدور تصريح ٢٨ فبراير . وليست هذه المذكرات فى حاجة الى ترتيب ، لأنها مرتبة جاهزة . وكان أحد موظفى المحكمة المختلطة ـ فى حياة ثروت باشا ـ يبوب فصولها ويبيض المسودات المكتوبة بخط ردىء .

وقد قيل لنا إن انجال المغفور له ثروت باشا يرفضون نشر مذكرات والدهم فى الوقت الحاضر لأنها تتناول بعض الأحياء من اصدقاء الأسرة بسوء فى حين أن الأسرة لا تريد إغضابهم فى الوقت الحاضر !! ..

والذى نعرفه نحن ان بين هؤلاء (الاحياء) دولة صدقى باشا صديق المرحوم ثروت باشا الحميم !

وأهم مذكرات سياسية فى الوقت الحاضر هى بلا جدال مذكرات المغفور له الزعيم الخالد سعد زغلول ..

ولقد أتيح لصحفى واحد فى مصر ان يطلع على جزء كبير من هذه المذكرات وهو الأستاذ محمد التابعى محرر هذه المجلة .

وكانت ظروف اطلاعه عليها ظروفاً عجيبة لم يحن بعد أوان كشف الستار عنها ، ولكن الأستاذ التابعى نقل جزءاً منها ونشره فى أواخر عام ١٩٢٧ فى المجلة التى كان يرأس تحريرها فى ذلك الوقت . أما الجزء الآخر فاحتفظ به عنده .

ولما نشر الجزء الأول أحدث ضجة كبيرة فى الدوائر السياسية إذأن هذا النشر كان عقب وفاة سعد باشا باسابيع قليلة ، وقد تناول بعض الشخصيات البارزة مثل المرحوم محمد محمد سعيد باشا ورأى سعد فيه !!

واهتم الوفد المصرى بالأمر . ورؤى للظروف السياسية فى ذلك الوقت أن يكتب الأستاذ التابعى كلمة يقول فيها إن ما نشره غير صحيح ويجب اعتباره كأنه لم يكن !! ..

والمذكرات فى الوقت الحالى مودعة بأحد البنوك ـ بنك مصر ـ وقد كتب الورثة تنازلا عن حق نشرها لصاحب الدولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا والسيدة الجليلة أم المصريين ، وترك لهما الورثة الحق فى اختيار الوقت المناسب لنشر هذه المذكرات .

وبهذه المناسبة نذكر أن احدى شركات النشر الانجليزية عرضت عقب وفاة المغفور له سعد باشا على ورثته خمسة آلاف جنيه ثمناً لنشر هذه الذكرات باللغة الانجليزية فرفض الورثه وآثروا أن يتنازلوا عن حق نشرها للرئيس الجليل وأم المصريين ...

وقد تساءل كثيرون عن السبب الذى من أجله لم تنشر المذكرات حتى الآن . والذى نعرفه نحن ـ وقد يكون فيه الرد على هذا السؤال ـ الذى نعرفه أن هذه المذكرات تتناول بعض المقامات والشخصيات السياسية البارزة وكذلك الحوادث السياسية الكبرى بالنقد الصريح وسرد الوقائع من غير تزويق وهى أمور لايمكن نشرها فى الوقت الحاضر ، ولما كان أصحاب الشأن فى هذه المذكرات يصرون على أن تنشر برمتها دون أن يتناولها حذف أو تغيير ـ وإلا فقدت قيمتها كوثيقة تاريخية ـ فقد رأوا لهذا السبب أن الأوفق تأجيل النشر إلى الوقت المناسب ..

ومن الأشياء التى تثير الاهتمام فى هذه المذكرات الفصل الخاص الذى تناول فيه سعد رحمه اشوصف الخلاف الذى قام بينه

وبين صاحب السمو الأمير فؤاد ـ جلالة الملك ـ بشأن الجامعة المصرية التى كان جلالة الملك حفظه الله رئيسها الأكبر وصاحب الفضل فى انشائها . وفى هذا الفصل وصف بديع للمناقشات التى جرت بين (سمو الأمير) أحمد فؤاد .... والمغفور له سعد باشا ، وكان الواسطة فيها المرحوم ابراهيم باشا سعيد .

ومن الأشياء التى استلفتت نظرنا أيضاً وصف مسهب وبليغ لشعور البلاد قبل اشتعال نيران الثورة فى سنة ١٩١٩ ، ثم وصف للمحادثات التمهيدية التى بدأت بتأليف الوفد فى بيت المغفور له سعد زغلول باشا وكيف كان سعد باشا يعرض الفكرة على أصدقائه وكيف كان كل منهم يقابل الفكرة بالتحبيذ أو بالاعراض وقد دون سعد مختلف الآراء التى عرضت فى ذلك الوقت ووصف وصفاً دقيقاً بعض الكبراء الذين كانوا يهربون منه كما يقول رحمه الله ـ هرب السليم من الأجرب !

ومن الفصول التى اطلع عليها محرر هذه المجلة الفصل الذى كتبه الزعيم الخالد بعد حادث السردار وقد بدأه بمقدمة شكا فيها سعد مايلقاه من نكران الجميل من بعض الذين خلقهم من العدم وبعثهم من جديد وشملهم بعطفه حتى جعل لهم مكانة وكرامة بين الناس ، ثم كانت حادثة السردار وتكوين حزب الاتحاد ، وكان ماكان من أمر الاستقالات التى انهالت على الوفد من هؤلاء (النمر) الناكرى الجميل .

وكان الزعيم الخالد يعانى فى تلك الأيام أزمة نفسية شديدة وكان اليأس فى بعض الاحايين يكاد يتمشى فى نفسه ، فقد استعمل رحمه الله فى هذه المقدمة هذه العبارة : وانهالت علىَّ الاستقالات من أنصار الوفد من كل صوب وحدب ، وأظلمت الدنيا فى وجهى .

ويبدأ سعد بعض أقسام المذكرات بكلمات مأثورة له ، فقد بدأ فصلاً من فصول المذكرات بهذه العبارة البليغة !

الوطن واحد والحق واحد والعدو واحد !! وبدأ القسم الخاص بسنة ١٩١٦ بكلمة عن السعادة جاء فيها : إن الذين أرادوا أن يعرفوا السعادة شنقوا قبل أن يصلوا إلى تعريفها !

وابتدأ مذكرة سنة ١٩٢٢ بكلمة عنوانها التضحية ذكر فيها تعريف التضحية ، ثم عرف الزعيم بأنه هو الذى يحرق نفسه لينير لأمته السبيل ، وهو الذى يتعب لتستريح ، ويشقى لتسعد ... هو الذى يموت ليحيا الوطن !

وعند ظهور الجزء الثانى من كتاب اللورد لويد مصر من عهد كرومر ـ وقد اثار ظهور الكتاب ـ كما يقول التابعى ـ ما هو خليق ـ من الضجة والعجيج ، أبى التابعى الا ان يكتب عن الحقائق التى لم يذكرها لورد لومبر وكان عنوان تلك الحقائق مصطفى النحاس ، يحمى لورد لويد ولا يعرف فى مصر ملكا سوى جلالة الملك فؤاد ، وقد جاء فى مقدمته تلك الحقائق ، التى كتبها التابعى .

كانت أزمة قانون الاجتماعات المعروفة وذهب صاحب الدولة رئيس الوفد ورئيس الوزراء وقتئذ .. ذهب الى دار المندوب السامى ليتحدث الى اللورد لويد فى القانون المذكور .

واشتدت المناقشة بين الاثنين وقال اللورد لويد فى تبرير موقفه « ان هذه التدابير انما هى من أجل حماية الاجانب فى مصر لأننا قد أخذنا على عاتقنا ذلك ، ولاتنس يا باشا أن هناك تصريح ٢٨ فبراير والتحفظ الخاص بحماية الاجانب »

وردَّ عليه صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رداً يجب أن يسجله التاريخ وما نظن أن رئيس وزارة ما فى مصر خاطب مندوبا سامياً ما بهذه اللهجة ..

بدأ النحاس باشا رده بقوله إن تصريح ٢٨ فبراير صدر من جانب واحد فهو لا يقيد مصر بشىء . ثم قال عن حماية الاجانب : « إننى أنا رئيس الحكومة والمسئول الاول الوحيد عن حماية الاجانب فى مصر وأنت منهم ، فاذا عجزت يوما عن حمايتهم أو حمايتك أنت من أى اعتداء وجب علىَّ أن أتخلى عن منصبى وأترك كرسىَّ لمن هو أقدر منى على حماية الاجانب فى مصر »

وكانت كبيرة على كبرياء اللورد لويد أن يقول له رئيس الوزارة المصرية إنه المسئول الاول عن حماية الاجانب وحمايته هو ، ووثب واقفا وراح يتمشى فى الغرفة بخطى عصبية ومن وقت لآخر يتناول قدحا ويملأه بعصير البرتقال ـ وكان موضوعا على مائدة بينه وبين دولة الرئيس الجليل ـ ثم عاد الى مقعده وقد كظم غيظه وأخذ يلاين دولة رئيس الوفد لعله يقنعه بالنزول عن رأيه ولكن عبثاً ما حاول . وأخيرا قال اللورد :

– والآن يا باشا قد عجزت عن إقناعك بوجهة نظرى وإذن فنحن لم نتفق . وأنا أسف لان هذا الموقف الذى تقفه سوف يغضب الحكومة البريطانية »

وأجابه دولة النحاس باشا : « اننا ندافع عن مصر وحقوقها ولا نبتغى غير مرضاة الضمير بعد مرضاة الله »

وتصافح الاثنان وانتهت المقابلة .

وبعد ساعات أعلن أن بعض البوارج البريطانية فى طريقها الى مصر !!

وفى مقابلة أخرى لاحظ دولة الرئيس الجليل أن اللورد لويد يتكلم بلهجة ملك آمر ! وانه يطلب طلبات ليس لمثله أن يطلب مثلها فلم يسع دولته إلا أن يقف ويقول :

أنا لا أعرف يا صاحب الفخامة فى مصر ملكا سوى الملك فؤاد !

« Excellence ! Je ne recinnais en Egypt qu'un seul roi . C'est le Roi Found .

وتألفت وزارة النحاس باشا و « خرج » الوزراء على التقليد المتبع فلم يذهبوا لزيارة المندوب السامى فى داره . وتصادف أن زارت مصر يومها صاحبة السمو الملكى الاميرة مارى ابنة ملك انجلترا وأدب لها جلالة الملك مأدبة كبرى دعا اليها رئيس الوزراء والمندوب السامى .

وخاطب صاحب الدولة الرئيس الجليل اللورد لويد وقال له انه يرى أن يترك اللورد بطاقته للوزراء بمناسبة تعيينهم فى مناصبهم وبعدها يرد له الوزراء الزيارة وهكذا يتم التعارف بينهم وبينه قبل المأدبة والا فلن يكون هناك تعارف فى المأدبة !

واعترض اللورد لويد على هذا الطلب بحجة أن التقاليد لم تجربه وان على الوزراء أن يزوروه أولا .

ولكن النحاس باشا رفض هذا الحل وتمسك بما اقترح وترك اللورد على ان لايكون تعارف فى المأدبة الملكية بين فخامته وبين الوزراء !

زار المستر ماكدونالد مصر فى عام ١٩٢٢ وهو لايزال من نواب الأقلية المعارضة فى مجلس العموم البريطانى فرحب به الوفد المصرى أجمل ترحيب وأفهمه حقيقة المطالب المصرية وعدالة قضية مصر . ولما قدمت اليه القهوة فى بيت الأمة قال كلمته المشهورة :

« إن حل القضية المصرية لا يستغرق منى أكثر مما يستغرقه شرب هذا القدح (الفنجان) من القهوة »

وفى عام ١٩٢٢ تولى المستر ماكدونالد زعامة المعارضة فى مجلس النواب

البريطاني وأحسن قياد هذه المعارضة حتى فاز حزب العمل فى الانتخابات التالية التى جرت فى عام ١٩٢٤ . وألف المستر ماكدونالد الوزارة وأعقب ذلك تأليف وزارة الزعيم الأكبر المغفور له سعد زغلول الذى استبشر خيراً بوزارة العمال ولكن ثبت بعد ذلك أن زعيم العمال لايقل محافظة عن المحافظين فأدى ذلك إلى فشل المفاوضات .

والمعروف أن القضية المصرية لم تحل نهائيا إلا فى أغسطس من عام ١٩٣٦ بعقد المعاهدة المصرية البريطانية فكأن المستر ماكدونالد استغرق ١٣ عاما فى شرب فنجان القهوة المصرية المشهور !!

وقد ذكر المغفور له سعد زغلول فيما بعد أنه يظن أن السبب الأكبر الذى أدى الى فشل المفاوضات هو شعور المستر ماكدونالد بضعف وزارته . وكان سعد يبدأ المناقشة فى احدى المسائل فما يلبث ماكدونالد أن يسأله قائلا :

ـ والمصالح البريطانية ؟ !

فيضطر سعد أن يبدأ المناقشة من جديد !

أما ماكدونالد فقد قال بعد أن فشلت المفاوضات :

وفى اليوم التالى قابل المندوب السامى دولة الرئيس الجليل وقال له : « ألا ترى أن أكتفى بزيارة وزير الخارجية مؤقتاً ؟ »

وأجابه دولة الباشا : « بل جميع الوزراء » !

وانصرف اللورد لويد غاضباً يتوعد .. ولكن ، بعد ساعة واحدة تكلمت دار المندوب السامى بالتليفون وأبلغت صاحب الدولة رئيس الحكومة بأن اللورد لويد سيزور الوزراء .

وقد حصل !

ويكتب التابعى عن فنجان القهوة الذى شربه ماكدونا فى ١٣ سنة قائلا :

« لولا مغالاة سعد وتطرفه لوقعت المعاهدة المصرية . »

وفى عام ١٩٣١ كان المستر ماكدونالد على رأس الوزارة القومية وكان قد تحول عن مبادئه وهجر حزب العمال . ولم يكن سرا فى انجلترا أن زعيم العمال قد هجر حزبه بسبب ميله الى زوجة أحد كبار وزراء المحافظين وكانت هذه الزوجة تحمل لقب « لادى » ويقال أنها كانت ذات تأثير عظيم عليه وانها هى التى جعلته يغير مبادئه الاصلية ويترك صفوف العمال .

وفى عام ١٩٣٠ جرت المفاوضات من جديد بين النحاس باشا والمستر هندرسن فى لندن وسارت تلك المفاوضات فى بادىء الأمر سيراً حسناً ولكنها لم تلبث أن فشلت

دون أن يكون لفشلها سبب ظاهر وقد عرف بعد ذلك أن غيرة المستر ماكدونالد من هندرسن كانت السبب الأكبر فى فشل المفاوضات فإن ماكدونالد لم يكن ليسمح لهندرسن ، مع ما بينهما من تنافس ، أن يحوز شرف حل المسألة المصرية التى فشل هو من قبله فى حلها .

وفى انتخابات عام ١٩٣٥ تقدم ماكدونالد إلى الانتخابات فقوبل من العمال أسوأ مقابلة وصاحوا به فى أحد الاجتماعات :

ـ لسنا من المعدنين ! إننا من العبيد ! إننا طائفة من المحكوم عليهم !

ورد عليهم ماكدونالد قائلا :

ـ لقد كنتم عبيداً منذ ست سنوات ! وهنا صاحوا به :

ـ خائن ! خائن !

ولما اشتد غضب الجمهور لم يجد بداً من ان يترك الاجتماع بعد ان قال :

ـ إن كلمة « خائن » تصبح شرفا عظيما لمن توجه اليه إذا خرجت من أفواه أمثالكم !

ولما ظهرت نتيجة الانتخابات كان ماكدونالد جالساً مع أحد الصحفيين ومالبث ان تلقى برقية جاء فيها :

« هزموك بعشرين ألف صوت ! »

وكانت ضربة مؤلمة ولكن ماكدونالد التفت إلى الصحفى وقال له :

ـ إننى مسرور على كل حال لأننى ناضلت !

وبعد لحظة دق جرس التليفون ولما أمسك بالسماعة قال له المتكلم :

ـ لقد سقط ابنك ملكولم فى الانتخابات !

وكانت هذه الضربة أقوى من الضربة الأولى فرأى الصحفى سحابة من الحزن تخيم على وجه السياسى الكبير وسمعه يقول :

ـ نعم ! هذا مايحزننى حقا .. فقد سقط فى الوقت الذى كان قد بدأ فيه يسير إلى الأمام !

وفى اليوم التالى تلقى ماكدونالد اكليلا من الزهور من النوع الذى يوضع على قبور الموتى ! وقد أرسله إليه بعض خصومه السياسيين ولكنهم وضعوا عليه بطاقة تحمل اسم « اللادى .. » (وهى التى أشيع أنه قد تحول عن مبادئه بسببها) . وقد كتبت على الكليل الزهر العبارة الآتية :

« سوء الحظ فى الانتخابات .. حسن الحظ فى الحب »

وابتسم ماكدونالد ابتسامة ألم وهو يودع البطاقة جانبا .

وكانت هذه اللادى نفسها قد أعدت حفلة لرئيس الوزارة الانجليزية على اعتبار أن هذا الرئيس هو المستر ماكدونالد فلما سقط فى الانتخاب واستقال من الرئاسة وجهت الدعوة إلى المستر بولدوين الرئيس الجديد ولكن المستر بولدوين اعتذر عن حضور تلك الحفلة .

وفى اليوم التالى صدرت جريدة الشيوعيين فى لندن وفى صدرها العنوان التالى وقد نشر بحروف كبيرة:

« سيدتى ! لن أرقص معك .. »

وقد أخذت الجريده هذا العنوان من أغنية للممثل السينمائى المشهور فريد استير ، وكانت تشير به إلى فشل حفلة اللادى .. التى كانت صداقتها سببا فى سقوط السياسى العظيم .

وبعد امضاء المعاهدة الانجليزية ذهب أحد كبار المصريين من أصدقاء المستر ماكدونالد إلى انجلترا وزار السياسى الانجليزى فوجده سعيداً جداً بحل القضية المصرية . وقال المستر ماكدونالد للكبير المصرى :

ـ إننى سعيد بتحقيق مصر لأمانيها الوطنية وعقد المحالفة مع بريطانيا ... لقد كنت أتمنى لو اننى كنت موقع المعاهدة المصرية البريطانية !

وقبل أن تنتهى زيارة المصرى للمستر ماكدونالد قال له هذا الأخير :

ـ لقد كنت اقترحت على مجلس الوزراء البريطانى أن يبعث برسالة برقية باسمه إلى حرم سعد زغلول باشا يقول لعصمتها فيها :

« نهنئك باتمام العمل الذى بدأه زوجك العظيم »

وقد وافق المجلس على اقتراحى ولكنه مالبث أن تبين صعوبة تنفيذه إذ لم تجر العادة فى انجلترا بأن يخاطب مجلس الوزراء إلا الهيئات الرسمية .. مما لا ينطبق على هذه الحالة . ولولا هذا لما تردد فى تهنئة عصمتها .

وحمّل المستر ماكدونالد المصرى الكبير المذكور تحيته الشخصية إلى عصمة أم المصريين .

وعن الشفرة المصرية ، والموظف الكبير الذى أفشى شفرة وزارة الخارجية وكلمة ناقصه فى برقية تحدث ثورة فى مصر ، وكيف عرف الانجليز سر شفرة وزارة الخارجية .

وعن اشتراك الاستاذ محمد التابعى فى وضع شفرة الحكومة المصرية جاء فى آخر ساعة العدد (٢٢٣) ما يلى :

سمع القراء أثناء الأزمة الدولية الأخيرة بالبرقيات التى كانت ترد فى كل ساعة على الوزارة من وزرائنا المفوضين فى الخارج وفيها تفاصيل الأزمة وتطوراتها

ولقد رددت الصحف المصرية كلمة « الشفرة » فى صدد الكلام عن هذه البرقيات وكثيرا ما قرأ القراء هذه العبارة فى الصحف : (وقضى موظفو وزارة الخارجية معظم الليل وهم يفكون رموز الشفرة) !

فما هى الشفرة وما هو تاريخها فى مصر ..
هذا ما عرضنا له فى المقال الآتى

قبل سنة ١٩٢٢ لم يكن للحكومة المصرية شفرة خاصة ، ولاعجب فقد كانت دار المندوب السامى تقوم بمهمة وزارة الخارجية المصرية خير قيام !

ثم أنشئت وزارة الخارجية فى سنة ١٩٢٢ وتولاها المغفور له عبد الخالق ثروت باشا ، والطريف أنه عين مستر كوين بويد السكرتير الشرقى يومئذ بدار المندوب مديرا عاما للوزارة ، وكان تعيين سكرتير مفوضية دولة أجنبية سكرتيرا عاما لوزارة خارجية أول حادث من نوعه فيما نعلم !

ولكن هكذا شاء الاستقلال التام ماركة سنة ١٩٢٢ ! ...

وقبل أن يتم تنظيم وزارة الخارجية استقالت وزارة ثروت باشا وتولت وزارة نسيم باشا الحكم وأسند منصب وزير الخارجية الى صاحب المعالى محمود فخرى باشا وزيرنا المفوض فى باريس الآن .

وكلفت وزارة الخارجية المرحوم محمد بك عفت أحد كبار موظفى وزارة الخارجية فى ذلك الحين والأستاذ محمد التابعى صاحب آخر ساعة ـ وكان فى ذلك الوقت موظفا بوزارة الخارجية ـ كلفتهما بوضع شفرة خاصة للوزارة .

ووضع الاثنان الشفرة المطلوبة وكانت لها سبعة مفاتيح مختلفة .

ثم كتبها الأستاذ فريد غنوم (وهو الآن موظف بوزارة الحقانية) على الآلة الكاتبة وطبعت بالبالوظة وتشرف محمد بك عفت بمقابلة المغفور له الملك فؤاد وعرضها على جلالته فنالت حسن القبول وأمر بجعلها الشفرة الرسمية للدولة ...

وبقيت هذه الشفرة معمولا بها إلى سنة ١٩٣٢ ، ثم اتصل يومها بصاحب الدولة عبد الفتاح باشا يحيى ـ وكان وزيراً للخارجية ـ أن نسخة من الشفرة المصرية موجودة فى دار المندوب السامى فأمر بعمل شفرة جديدة .

وتولى عمل هذه الشفرة الاستاذ محمود بيرم وكان قنصلا فى نيواورليانس بأمريكا وكان قبل ذلك قنصلا لمصر فى مرسيليا ثم فى جدة ثم فى كوبية ، وهو يجيد الفرنسية والانجليزية والتركية والألمانية والايطالية والاسبانية .

وقد قضى الاستاذ بيرم عامين كاملين فى إعداد هذه الشفرة ثم قدمها إلى وزارة الخارجية فأبدلت فيها وغيرت ثم طبعتها ، ومن الظريف أنه كان يقف أمام المطبعة التى طبعتها جندى شاكى السلاح باستمرار ! ..

ومن المصادفات الغريبة أنه فى نفس اليوم الذى طبعت فيه هذه الشفرة أحيل واضعها الاستاذ محمود بيرم إلى المعاش !

وللشفرة الجديدة ٤٤ مفتاحا ، وهى موضوعة بطريقة الأرقام ، ولاتقل فى غموضها وابهامها عن شفرة الدول الحديثة !!

وهذه الشفرة خاصة بالسفارات والمفوضيات والسراى ، اما القنصليات فلها شفرة خاصة .

وتقضى تقاليد وزارة الخارجية أن يرسل السفير أو الوزير المفوض البرقية بالشفرة ثم يتبعها بخطاب بالبريد الجوى فيه صورة ماجاء ببرقية الشفرة حتى تراجعها وزارة الخارجية إذا حدث خطأ فى التلغراف .

وقص علينا أحد وزرائنا المفوضين القصة الآتية :

فى سنة ١٩٢٨ كان حسين رمزى بك قنصلنا فى باريس الآن قنصلا فى ميناء بيريه باليونان .

وذات يوم اتصلت إحدى شركات البواخر اليونانية بوزير مصر المفوض فى أثينا تسأله هل حقيقة توجد ثورة فى مصر ؟!

فسأل الوزير المفوض الشركة عن مصدر الخبر .

فقالت الشركة إن راوى الخبر هو قنصل مصر فى بيريه !

واتصلت المفوضية بحسين رمزى بك فأكد لها أن هناك ثورة ، وأن وزارة الخارجية المصرية أرسلت إليه تلغرافا بمعنى ذلك .. فطلب الوزير المفوض من القنصل أن لايتصرف قبل حضوره وغادر أثينا إلى بيريه وهناك وجد حسين بك رمزى يسير فى غرفة مكتبه بالقنصلية ذهابا وايابا ، وهو يمسك بيده التلغراف المكتوب باللغة الفرنسية يقرأه ويعيد قراءته وهو يقول :

- ثورة ياناس ! هاتوا قنصل فرنسا يشوف إذا كان التلغراف له معنى غير كده !

وقرأ الوزير المفوض التلغراف فاذا نصه هكذا :

(اخطروا شركات البواخر أن ركاب البواخر لايمكن أن يدخلوا اى ميناء مصرى حتى ولو كان معهم تأشيرات بدخول مصر .
والامضاء وزير الخارجية .

والمعنى الطبيعى لبرقية مثل هذه أن الأمن العام مضطرب او أن هناك ثورة قامت فأصبح دخول الأجانب فى مصر غير مرغوب فيه ، ولكن كيف ترسل وزارة الخارجية نبأ مثل هذا إلى قنصلها فى بيريه ولا ترسله إلى وزيرها المفوض فى اليونان ؟

وظن الوزير المفوض أن البرقية مدسوسة لأنه من غير المعقول أن تقوم ثورة فى مصر فى يوم وليلة ، ومن هنا أرسل سعادته إلى وزارة الخارجية يطلب منها « تأييد » أو نفى التلغراف الذى أرسلته إلى قنصلنا فى بيريه .

وأرسلت وزارة الخارجية البرقية من جديد فاتضح أن بها كلمة ناقصة وهى كلمة « سوفيتية » وأصل البرقية هو :

(أخطروا شركات البواخر أن ركاب البواخر السوفيتية لا يمكن أن يدخلوا أى ميناء مصرى حتى ولو كان معهم تأشيرات بدخول مصر .. !!) .

اى أن المنع قاصر على البواخر السوفيتية تجنبا للدعاية الشيوعية فى مصر !!
وهكذا كانت كلمة ناقصة فى تلغراف سبباً فى قيام ثورة وهمية فى مصر !!

واذكر أن مستر جاردين وزير أمريكا السابق فى القاهرة قال لى مرة ـ وكان ذلك بحضور مستر تشايلدز السكرتير الأول بالمفوضية ـ إنه يفضل أن يرسل الأخبار السرية لحكومته بالبريد لأنه يعتقد أن مفتاح الشفرة الأمريكية فى يد الحكومة الانجليزية ولذلك فهو لا يطمئن على ارسال اخباره بالتلغراف مخافة ان تلتقطها المحطات الانجليزية .

وقص على سعادته القصة الآتية :
كان ذلك فى أثناء الخلاف بين الحكومتين المصرية والأمريكية بشأن قضية جورج سالم ..

فقد حدث ان اقترح مستر تشايلدز على الوزير مستر جاردين أت يتقدم سعادته باقتراح إلى الحكومة المصرية بشأن المفاوضات القائمة .. وأرسل الوزير المفوض إلى وزارة الخارجية الامريكية برقية بالشفرة يعرض عليها صيغة الاقتراحات قبل تقديمها للحكومة المصرية .

وردت وزارة الخارجية الامريكية على البرقية ببرقية أخرى بالشفرة وفيها ترفض الاقتراحات المذكورة .

ثم حدث بعد ذلك أن ذهب مستر جاردين ومعه مستر تشايلدز بصفة مترجم لزيارة وزير الخارجية عبد الفتاح باشا يحيى - فى ذلك الحين - وكان دولته لا يعرف اللغة الانجليزية ومستر جاردين لا يعرف اللغة الفرنسية ..

وإذا بعبد الفتاح باشا يحيى يعرض نفس الاقتراحات التى عرضها مستر جاردين على وزارة الخارجية الامريكية ورفضتها - يعرضها دولته بألفاظها بالضبط على أنها اقتراحات الحكومة المصرية !

ودهش مستر تشايلدز وراح يترجم ماقاله عبد الفتاح باشا يحيى بعد ان لف ودار حتى لاتظهر الدهشة على وجه مستر جاردين وهو يسمع اقتراحاته على أنها اقتراحات الحكومة المصرية !

وقال لى مستر جاردين إنه حار يومها فى كيفية تسرب هذه الاقتراحات إلى الحكومة المصرية ، والذى يعتقده أن لدى الحكومة البريطانية مفتاح الشفرة الأمريكية ، وأنها اطلعت على برقية المفوضية الأمريكية وحلت رموزها وأخبرت الحكومة المصرية بمضمونها ...

وكان دولة عبد الفتاح باشا يحيى « ساذجا » ساعة تقدم بنفس الاقتراحات كما هى دون أن يهتم حتى بتغيير الألفاظ ! ..

وقد ترددت إشاعات مختلفة حول كيفية تسرب مفتاح الشفرة المصرية الى دار المندوب السامى ..

فقال بعضهم إن موظفا كبيراً سابقا بوزارة الخارجية أعطى الشفرة للدار وقبض فى ذلك ثلاثة آلاف جنيه ، وقال آخرون إن الموظف كان رجلا شريفاً فأعطى الشفرة لدار المندوب ببلاش ! ....

ولكن الشىء الثابت أن هذه الاشاعات اتصلت بالمغفور له الملك فؤاد فأحال الموظف الكبير إلى المعاش دون أن يأبه لاحتجاجات دار المندوب ..

ومن الطرائف التى حدثت بخصوص الشفرة أن مستر رامزى ماكدونالد لما كان رئيساً للوزارة سنة ١٩٤٢ القى خطاباً هاما فى مجلس العموم ..

وشمر وزيرنا المفوض - وكان صاحب المقام الرفيع عزيز عزت باشا - عن ذراع الجد وأرسل نص الخطبة إلى وزارة الخارجية المصرية ولكن بالشفرة .. مع أن الخطبة كانت علنية ونشرتها الصحف قبل وصول التلغراف السرى لوزيرنا النشيط ! ...

وسارعت الصحف المصرية تزف الى قرائها خبر نشاط وزيرنا فى لندن وتقول إنه أرسل نص خطبة مستر ماكدونالد بالشفرة !

وتنبهت دار المندوب السامى وحصلت على نص البرقية من مكتب التلغراف فى لندن ونص خطبة مستر رامزى ماكدونالد ، وبمقارنة النصين أمكنها معرفة مفتاح الشفرة المصرية !

وقص علينا صاحب السعادة حسن أنيس باشا مرة أنه لما كان وكيلا للخارجية اتصل به ان مفتاح الشفرة موجود لدى دار المندوب ..

وذهب سعادته الى المعفور له سعد زغلول باشا ـ وكان رئيساً للوزارة ـ وأبلغه بما سمع وكان ذلك فى حضور المغفور له محمد توفيق نسيم باشا ..
واقترح أنيس باشا عمل شفرة جديدة !

وابتسم نسيم باشا وقال :

ـ مفيش فايدة .. مهما غيرنا الشفرة برضه يعرفوها !

وعن الاسرار المتعلقه ببعض الامور الهامة كتب التابعى مئات من الصفحات فى اخر ساعة فى عهدها الأول وقع بضعها ولم يوقع البعض الآخر خشية أن تظهر المجلة كلها بقلم التابعى ، وهو مالا يريده أصلا :

عن عقد قران الملك فؤاد بالآنسه نازلى عبد الرحيم صبرى باشا نشرت آخر ساعة التابعى هذه المعلومات الطريفة .

كان المغفور له عبد الرحيم باشا صبرى مديراً للمنوفية من عام ١٩١٣ إلى عام ١٩١٧ ، وفى تلك الأثناء توطدت العلاقة بين المغفور لهما جلالة الملك فؤاد وعبد الرحيم باشا صبرى .

ولما تولى جلالة الملك فؤاد سلطنة مصر عين عبد الرحيم باشا صبرى محافظاً للعاصمة .

وطلب المغفور له الملك فؤاد من عبد الرحيم باشا يد ابنته الكبرى الآنسة نازلى ، ومع أن الملك فؤاد كان سطاناً على البلاد إلا أن المغفور له عبد الرحيم باشا صبرى لم يقبل أن يبت فى الموضوع إلا بعد استشارة كريمته وجعل لها الرأى الأول والأخير .. ولما عرض عبد الرحيم باشا الرأى على كريمته قبلت .

ومن المصادفات الظريفة أن الوزارة استقالت قبل عقد قران الملك فؤاد بثلاثة أيام وألف المغفور له محمد سعيد باشا الوزارة الجديدة واختار المرحوم عبد الرحيم باشا صبرى وزيراً للزراعة ، وقد يدهش القراء إذا علموا أن عبد الرحيم باشا رفض دخول الوزارة وقال إنه يفضل منصب محافظ مصر على منصب الوزير وأنه لايحب الاشتغال بالسياسة وأخيراً تدخل المغفور له الملك فؤاد وألح على عبد الرحيم باشا صبرى حتى قبل دخول الوزارة .

وفى صباح يوم السبت ٢٤ مايو سنة ١٩١٩ كنت ترى أمام سراى البستان ـ بشارع الحوياتى ـ صفوفا من السيارات والعربات فاذا سألت عن الخبر قيل لك هذا « فرح السلطان » .

وقد كان فرح السلطان بسيطاً للغاية فقد جلس المدعوون فى القاعة اليمنى بالسراى ـ التى كانت فى وقت من الاوقات غرفة الاستقبال فى وزارة الخارجية ـ وكان يستقبلهم صاحب المعالى محمود باشا شكرى رئيس الديوان الملكى فى ذلك الحين ...

وكان المنتظر أن الذى سوف يتولى صيغة العقد هو الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى شيخ الازهر خصوصاً وانه قبل ذلك اليوم بعشرة أيام تقريباً تولى صيغة العقدين سمو الأميرة فوقية ومعالى محمود فخرى باشا ، ولكن الشيخ ابو الفضل كان مصاباً ببرد شديد وأراد ان يخرج رغم ذلك لعقد القران فلما علم بذلك السلطان منعه من الحضور .

وباشر صيغة العقد مكانه صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد ناجى رئيس المحكمة العليا الشرعية فى ذلك الحين بحضور الشيخ احمد هارون رئيس محكمة مصر الابتدائية الشرعية فى ذلك الوقت .

ورفض المغفور له الملك فؤاد أن يعين لنفسه وكيلا بل أصر على قبول العقد لنفسه بنفسه إجلالا لاحكام الشريعة الاسلامية وكان الوكيل عن جلالة الملكة نازلى والدها المغفور له عبد الرحيم صبرى باشا ، وكان شاهدا العقد صاحب المعالى محمود باشا شكرى رئيس الديوان العالى السلطانى وسعيد باشا ذو الفقار كبير أمناء الحضرة المعظمة السلطانية فى ذلك الحين .

وحضر هذا الاحتفال أصحاب السمو الأمير كمال الدين حسين والامير محمود حمدى والامير على حيدر حجازى والامير يوسف كمال والامير عمر طوسون والمغفور له محمد سعيد باشا رئيس مجلس الوزراء فى ذلك الحين ، ويوسف وهبه باشا وتوفيق نسيم باشا واحمد ذو الفقار باشا وجميع أعضاء الوزارة السعيدية ، وحضره كذلك المغفور له احمد مظلوم باشا بصفته رئيس الجمعية التشريفية ومعالى محمود فخرى باشا وكان الأمين الأول « للحضرة السلطانية » وكان بين الحاضرين حسين افندى صبرى وشريف افندى صبرى وكبار رجال الحاشية السلطانيه .

وقدمت اكواب الشربات الأنيقة وعلب الملبس الثمينة وتفضل المغفور له جلالة الملك وأهدى الشيخ محمد ناجى ساعة من الذهب المرصع بالماس ومبلغ مائتى جنيه وقدم كذلك للشيخ احمد هارون هدية ثمينة .

ولم تقم حفلة زفاف أو مغنى بل اكتفى بسهرة خاصة حضرتها شقيقات جلالة الملكة .

وفى اليوم التالى أذاع ديوان كبير الامناء بلاغا رسميا جاء فيه .

نظر حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد الأول سلطان مصر المعظم بعين الحكمة العالية الدينية فى وجوب التمسك بما وصى به الدين الحنيف من أمر الزواج والاهتمام به عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى وفقه الله وأسعد أيامه انجاز ماعقد عليه عزمه الشريف نحو ذلك وتم عقد القران السلطانى السعيد بقصر البستان فى صبيحة يوم السبت المبارك الموافق ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧ ـ ٢٤ مايو سنة ١٩١٩ على سليلة ببوتات المجد والشرف حضره صاحبة العظمة السلطانه نازلى « إلى ان قال البلاغ » .

جعله الله قرانا سعيداً محفوفا باليمن والبركات عائداً على البلاد بالخير والسعادات بجاه سيد العرب والعجم القائل « انى مباه بكم الأمم صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين » .

وكانت أول برقية تهنئة من ملك تلقاها المغفور له الملك فؤاد هى من جورج الخامس وهذا هو نصها :

صاحب العظمة سلطان مصر :

أرجو من عظمتكم ان تتفضلوا بقبول صادق تهانئ وأحسن أمانئ لمناسبة زواج عظمتكم . وأدعو الله ان يكون هذا القران الميمون مبشراً بعودة النظام والاطمئنان فى مصر وطالع سعد لخير البلاد ومستقبلها .

جورج

الملك والامبراطور

فرد عليه المغفور له الملك فؤاد بمايأتى :

صاحب الجلالة الملك . لندن .

أرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول فائق تشكراتى للتمنيات والتهانى اللطيفة التى تفضلتم بتوجيهها الىّ لمناسبة قرانى ولما أعربتم عنه من أمانى الخير وسعادة المستقبل لمصر .

(فؤاد)

وكان لقران السلطان احمد فؤاد ، ولما أحيط به من تدخل السلطات البريطانية فى وراثة عرش مصر ، صدى عميق فى نفوس الشعب تجلى فيما صدر وقتذاك من منشورات معادية ، وأزجال لبيرم التونسى نفى على أثرها خارج البلاد .

اما عن ولادة فاروق فتقول آخر ساعة انه فى صباح ١٠ فبراير ١٩٢٠ ذهب يوسف وهبه باشا رئيس مجلس الوزراء الى سراى عابدين لمقابلة السلطان فؤاد فاستبقاه لتناول الغداء .

ولاحظ يوسف باشا أن السلطان يلوح عليه الاضطراب فلم يشأ أن يسأل عظمته ولكن مالبث أن قال السلطان :

ـ إن السلطانة ستضع بعد يومين .. وإن شاء الله يكون ولد ..

وكان السلطان فؤاد شديد الرغبة فى أن تنجب السلطانة ولداً ليخلفه على عرش البلاد .

وكثيرا ماكان يلتفت إلى يوسف باشا وهبه ويقول له :

ـ ادعو أنت أيضاً أن يكون ولداً ..

وعلى الغداء التفت السلطان إلى يوسف باشا وهبه وقال له :

ـ إذا جاء ولداً ماذا نسميه ؟

فقال يوسف باشا :

ـ نسميه اسماعيل على اسم والدكم العظيم .

فقال السلطان :

ـ لا . لا . لقد كان لى ولد اسمه اسماعيل من البرنسيس شويكار ومات .

فاقترح يوسف باشا وهبه تسميته محمد على باسم محمد على الكبير ولكن السلطان قال انه يتفاءل بحرف الفاء فاسمه فؤاد واسم كريمته الأولى فوقية واسم زوج كريمته فخرى ..

راح موظفو السراى يبحثون عن أسماء تبدأ بحرف الفاء .. فائز ، فريد ، فاضل ، فتحى ، فتح الله ، فكرى ، فايد ، فهمى ، فائق . فؤاد .

وأخيراً قال معالى محمود باشا شكرى ناظر الخاصة الملكية ورئيس الديوان السلطانى فى ذلك الحين :

ـ فاروق . هو اسم عمر بن الخطاب

فى الساعة العاشرة والنصف تمت الولادة واسرع الدكتور محمد شاهين باشا الى السلطان الذى كان يقطع غرفة المكتب ذهابا وإيابا ، دخل شاهين باشا بدون إستئذان وصاح ولد يامولانا ولد ولم يصدق السلطان فؤاد لأول وهلة وتم إبلاغ مجلس الوزراء الذى اجتمع فوراً وأبلغ الخبر للمندوب السامى البريطانى و .. و .. إلخ ...

وعن أخطر رجل فى القصر كتب التابعى :

رجل واحد استطاع دائما ودائماً أبداً أن يبقى فى القصر الملكى على تطاول السنين وامتداد العهد دون أن يتقلص نفوذه أو تخفت كلمته أو يعترى ماكان له من سلطان وهن أو ضعف .

فقد توالت على القصر شخصيات كثيرة كان لكل منها فى وقت من الاوقات نفوذ وجاه وسلطان ، ثم جاءت الساعة التى أصبحت فيها هذى الشخصيات هباء لاقيمة لها ، وفقدت سلطانها ونفوذها ، وانقطعت مابينها وبين القصر من صلات وعلاقات ، ولكن بقى إدريس فى مكانه لايتزعزع ولا يعترى صلته برب القصر جفاء أو قطيعة .

كان « السيد ادريس » هو الامين الخاص والمشرف على كل شئون الامير احمد فؤاد المنزلية ، فلما تولى الامير العرش وأصبح صاحب العظمة السلطان ثم صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ، لم ينس خادمه الامين وانتقل ادريس من قصر الامير الى قصر السلطان فالملك وبقيت له حظوته بل امتد نفوذه وسلطانه وأصبح هو المهيمن الاول على كل صغيرة وكبيرة فى القصور الملكية .

وكان عمله الظاهرى ـ أو الرسمى إن صح التعبير ـ الاشراف على خدم القصر فيولى منهم من يشاء ويعزل من يشاء ، ولكن الواقع أن هذا كان أبسط نواحى نفوذه الواسع الشامل ، فقد كان يشرف إلى جانب هذا عـلى المطابـخ الملكية وبنفـوذه كان متعهدو توريدات حاجيات القصور الملكية يبدلون ويغيرون ، والويل ان يغضب منهم الامين الخاص .

ولم يكن هذا فى الواقع مما يتطلبه عمله الرسمى ولكن نفوذه المستمد من صلته بمولاه كان يسمح له بهذا وبكثير غيره ، بل كان المشرفون رسميا على شئون القصر فى هذه الاشياء من موظفين ، كباراً كانوا أم صغاراً ، لم يكن فى وسعهم معارضة أية رغبة يبديها ادريس فى هذه الناحية .

وحدث ذات مرة أن احد موظفى الحسابات فى القصر لاحظ وهو يراجع كشوف الاشياء الموردة ان أحد المتعهدين يورد رطل الكنافة بأربعة قروش بينما يباع فى الاسواق بأقل من نصف هذا الثمن .

وأبى الموظف النشيط إلا أن يثير حول المسألة الزوابع والاعاصير ، ورفض أن يمضى على الفاتورة إلا إذا خفض المتعهد الثمن .

واتصل الامر بالسيد ادريس ، وكان المتعهد من رجاله وممن يلوذون به ، فأمر فى الحال بأن تصرف قيمة الفاتورة كاملة ، بل وان يظل الثمن على ماهو عليه ، وكان ماأمر

حادث بسيط فى ذاته ولكن له دلالته ومغزاه .

واليك هذا الحادث الذى كانت له فى وقته ضجة كبيرة ولكن خلف الستار ، وهو يدلك على مبلغ نفوذ الرجل .

فى احدى السنين مر بمصر فى زيارة قصيرة البرنس أوف ويلز ولى عهد العرش البريطانى فى ذلك الوقت ـ الملك ادوارد الثامن أو دوق وندسور الحالى ـ ودعاه المغفور له الملك فؤاد ليقضى ليلة فى ضيافته فى يخته « قاصد خير » بالنيل .

وأعدت للأمير وليمة عشاء فاخرة فى اليخت وأمر جلالة الملك بان يقدم فيها أشهى الاطعمة وأفخر المشروبات وان تزين المائدة بزهور من الحدائق الملكية اكراما للضيف الكبير .

وأعدت قائمة بألوان الطعام الذى سيعد للمائدة ، وطلب ادريس أن يطلع على القائمة وأرسلت اليه وإذا من بين الاصناف المعدة لحم الخنزير .

وهنا ثار ادريس وأمسك بالقلم الاحمر وشطب على لحم الخنزير .. وأرسل القائمة لمن سيتولون اعداد المأدبة .

واتصل به المكلفون بالاشراف على الوليمة وأخبروه ان هذا اللون من ألوان الطعام من أحب الاشياء الى الضيف الكبير وتقديمه محتم ..

وأصر إدريس على رأيه وأخذت المسألة دوراً كبيراً فى أخذ ورد وأخيراً صاح ادريس بالمتحدثين معه فى الموضوع قائلا :

ان ملك مصر وهو مسلم لايمكن ان تقدم على موائده هذه الالوان المحرمة من الطعام .

وخشية أن يقدم لحم الخنزير دون علمه على المائدة ذهب ادريس بنفسه الى اليخت « وفتش » ألوان الطعام المقدم واشرف على اعداد الوليمة بنفسه وبقى فى اليخت حتى انتهى الضيف الكبير من تناول الطعام .

وأبلغت هذه الحادثة فيما بعد الى جلالة الملك فكان من صف ادريس على طول الخط .

ولم تكن تجرى فى القصور الملكية صغيرة أو كبيرة إلا ويتصل أمرها بادريس فوراً بفضل اتباعه المخلصين من الخدم المتغلغلين هنا وهناك وفى كل مكان . وكان ادريس ينقل مايتصل به إلى مولاه فوراً .

وبفضل اتصال ادريس المستمر بجلالة الملك ، وكان يراه فى اليوم الواحد مرات ، بل كان الى جانبه طول الوقت ، وكان هو كثيراً مايتولى مهمة إيقاظ جلالة الملك

فى الصباح ، وإطفاء النور فى مخدعه الخاص فى المساء ، فيكون بذلك أول من يرى جلالته فى مستهل النهار وآخر من يراه فى ختامه . بفضل هذا الاتصال المستمر كان ادريس يعلم من آراء جلالة الملك فى أخص الشئون حتى السياسية منها مالا يعلمه أحد ولا أشد المقربين الى جلالته ولا الوزراء أنفسهم .

ولكن كان من المستحيل أن تنزع من ادريس كلمة واحدة فى هذا الصدد ، كان يسمع فقط ولا يتكلم أبداً .

والمرة الوحيدة التى قام فيها خلاف بين ادريس وبين مولاه كانت بسبب سعادة زكى الابراشى باشا عند توليه نظارة الخاصة الملكية وتغلغل سلطانه ونفوذه فى كل صغيرة وكبيرة على نحو ماهو معروف .

كان ادريس يكره ناظر الخاصة ويمقت أساليبه ولايكاد يخفى هذا بل كان يجاهر به علانية وأمام مولاه نفسه على رغم مايعرفه من سطوة الابراشى ومدى سلطته وقوته التى بلغت فى وقت من الاوقات حداً لا نهاية له .

وكان الابراشى باشا من ناحيته يعرف مايكنه له ادريس من العواطف .. ولكنه تحاشى ان يصطدم به علانية وإن كان قد سعى فى الخفاء للحد من نفوذه ولكنه لم يفلح وبقيت ثقة جلالة الملك فى أمينه الخاص لاتتزعزع ولا يعتورها فتور .

كان الابراشى باشا يتحاشى الاصطدام بإدريس ، ولكن هذا كان على العكس يتحداه سرا وعلانية .. غير آبه لنفوذه وسلطانه وجبروته .

على أن أحداً منهما لم يفلح فى اقتلاع زميله من مركزه .. وجاء الوقت الذى خرج فيه الابراشى باشا من القصر كما خرج من قبله توفيق نسيم باشا وحسن نشأت باشا ، ولكن بقى ادريس وحده ثابتا فى مركزه كالطود .

وقد كان جلالته ينفح ادريس بكثير من العطايا والمنح المادية فى مناسبات كثيرة ، فوق ما كان مربوطا له من مرتب لا بأس به ، ولكن ادريس كان سخيا متلافا فكان ينفق كل مايصل الى يده من مال قل أو كثر ، وكان بدوره كثير المنح لخاصته ومن يلوذ به من بطانة .

وعن ثورة ١٩١٩ نشرت آخر ساعة فى العدد ١٣٦ مقالا كمايلى :

لايزال الكثير من اسرار ثورة سنة ١٩١٩ فى طى الخفاء والكتمان ، اما لانه لم يحن الوقت بعد لإذاعته ، واما لان الذين يعرفونه يمنعهم تواضعهم من اذاعته حتى لايقال انهم يمنون على بلادهم بما قدموا من خدمات وتضحيات .

ومن اهم مميزات الثورة المصرية تلك المنشورات والمطبوعات التى كانت توزع فى

جميع انحاء القطر وتحمل الى الشعب من الاسكندرية الى اسوان انباء الثورة واخبار الجهاد اولا باول وهو ماكانت الصحف لا تستطيع نشره حتى ولا مجرد الاشارة اليه اذ كانت الرقابة العسكرية تحول دون ذلك .

وكانت تتولى عملية كتابة هذه المنشورات وتوزيعها لجان وجمعيات عدة بعضها فى القاهرة وبعضها فى غيرها من سائر المدن ، ولكن جمعيات القاهرة كانت هى الرأس ، والجمعيات الاخرى بمثابة الفروع وكانت تتألف كلها من الطلبة ومعهم بعض الموظفين ولكن الاغلبية الكبرى كانت من الأولين ، وكانوا هم عماد الحركة ورأسها المدبرة ويدها المنفذة .

ويهمنا من هذه الجمعيات كلها جمعية « اليد السوداء » وكان مقرها القاهرة وكانت هى أنشط الجمعيات وأقواها ، وكان أعضاؤها من طلبة المدارس العليا ومن مدرسة الحقوق على الاخص ..

وقد بذلت الحكومة فى ذلك الوقت جهداً كبيرا فى معرفة مقر فى هذه الجمعية للقبض على أعضائها ومحاكمتهم وشل عملهم ولكن جهودها فى هذا السبيل لم تأت بنتيجة واستمرت الجمعية فى عملها الى النهاية .

ونذكر هنا طرفا من أخبار هذه الجمعية مستقاة من أوثق المصادر ..

عندما هب الشعب فى سنة ١٩١٩ وقامت الثورة فى جميع أنحاء البلاد اجتمع فريق من طلبة الحقوق وقرروا أن يؤلفوا من بينهم ـ ومن ينضم اليهم من طلبة المدارس الاخرى ـ جمعية تكون مهمتها طبع المنشورات واذاعتها فى جميع انحاء البلاد ليبثوا فى الشعب روح الجهاد والتضحية وليكون الشعب فى جميع جهات القطر متصلا بأنباء الثورة مطلعا على حركاتها وكل مايجدفيها .

وكانت أول معضلة واجهت أعضاء هذه الجمعية اختيار المكان الذى يعملون فيه بحيث لاتصل اليهم يد البوليس ويكونون بمأمن من الاعتقال والمحاكمة فالسجن أو الاعدام !!

ولم تكن المشكلة سهلة الحل لان البوليس كان يبث عيونه وجواسيسه فى كل مكان ، وقد استطاع بذهب المعز وسيفه ان يجد له اعوانا فى كل وسط وفى كل بيئة !!

ودار اعضاء الجمعية يبحثون فى مختلف الزوايا والاركان ، وفى جميع الاحياء ، عن مكان متواضع يستطيعون العمل فيه بهدوء واطمئنان ، واخيرا عثر احدهم على منزل صغير يقع الى جانب محافظة مصر ولا يفصله عنها غير جدار بسيط بل وفيه كوة تطل على ساحة المحافظة الداخلية .

ورأى البعض ان العمل فى هذا المنزل جرأة واستهتار ، كجراة من يدخل عرين الاسد ليشهر الحرب على الاسد نفسه ورأى آخرون ان البوليس لايمكن ان يخطر بباله ان الثوار يسكنون على مقربة منه بل يكادون يعيشون معه تحت سقف واحد !!

وتغلبت هذه النظرية وأخذ بها فعلا واستؤجر المنزل المذكور وأعدت فيه كل معدات الطباعة والنشر .. وبدأ العمل .

وهكذا حلت مشكلة اختيار مقر دار الطباعة والنشر .. وبقيت مشكلة التوزيع وهى أعقد وأكثر صعوبة .. وفى ذلك الوقت كانت المواصلات بين انحاء القطر مقطوعة او فى حكم المقطوعة تماما ، وكانت السكك الحديدية قد خربها الثوار ، والرقابة مفروضة على الطرق البرية التى تجتازها السيارات ، والتنقل بالنيل مسألة تكاد تكون فى حكم المستحيل ، لبطئها على الأقل .

وحارت الجمعية فى طريقة توزيع منشوراتها ، واخيرا اتصل بعض اعضائها ببعض سعاة مصلحة البريد وأبدى هؤلاء من الغيرة الوطنية والشجاعة مايستحق أن يسجل لهم فى تاريخ الثورة بمداد من ذهب .

وتم الاتفاق على أن يتولى سعاة مصلحة البريد توزيع منشورات الثورة ، ولما كانت الرقابة مفروضة فى ذلك الوقت على جميع المراسلات وكان الرقيب يفتح حقائب البريد ويفتشها بنفسه فقد كان الاتفاق على انه بعد ان يفتش الرقيب حقائب البريد وتسلم للسعاه لتوزيعها على الجهات المرسلة اليها ، بعد هذا توضع المنشورات فى الحقائب وتختم كالعادة وترسل الى الجهات المصدرة نفسها .

وهكذا كانت منشورات الثورة تصل الى جميع انحاء القطر وتوزع فى نفس الوقت الذى توزع فيه فى القاهرة نفسها .

وكان رجال الحكومة والبوليس يفاجأون بهذه المنشورات ويدهشون لهذه الدقة فى تنظيمها وتوزيعها ، ويحاولون أن يصلوا الى السر فى ذلك دون جدوى .. وسار العمل بهذه الطريقة أشهر عدة دون أن يفطن اليها أحد .

على ان تدبير المال اللازم لهذا العمل الواسع النطاق كان من المشاكل التى جابهتها الجمعية وكادت تحد من نشاطها ، وأخيرا فتقت لهم الحيلة فلجأوا الى وسيلة مأمونة العاقبة وإن كانت لاتخلو من مجازفة .

كان كلما نضب المال من يدى الجمعية اعدت اعلانات كبيرة رسمت عليها يد سوداء غليظة تبث الرعب والهلع فى القلوب ، ثم الصقوا هـذه الاعلانـات فى ساعـة متأخرة من الليل على الجدران فى طول العاصمة وعرضها .

وتستيقظ القاهرة فى الصباح فاذا باليد السوداء تملأ كل زاوية وكل جدار ، فيداخل الناس الرعب والفزع وفى نفس اليوم يطوف وفد من أعضاء الجمعية على بعض بيوت كبار الثريين ويطلبون مقابلة رب الدار .

ويدخل الرجل فيقولون له صراحة إنهم أعضاء جمعية اليد السوداء وانهم يطلبون أن يساعدهم بما لديه من مال خدمة للثورة وللمجاهدين من ابناء البلاد .

ويرتجف المسكين من الرعب ويفتح محفظته ويفرغها فى جيوب اعضاء الوفد ويشيعهم بمثل مااستقبلوا به من الحفاوة والترحيب .. وكان اعضاء الجمعية يتعمدون أن يقصدوا لهذا الغرض اشخاصا معينين عرفوا بابتعادهم عن الثورة ووقوفهم على الحياد فى تلك الظروف الدقيقة .. وهكذا استطاعت الجمعية ان تواصل عملها اشهر طويلة دون أن يعرقل مساعيها قلة الموارد التى بين ايديها من ناحية ، ودون أن يفطن لها رجال البوليس من ناحية أخرى ومن حق هذه الجمعية ان تفخر بأنها كانت تعمل تحت حماية البوليس وتحت سمعه وبصره ، وأن الحكومة نفسها كانت تتولى توزيع منشوراتها بصفة رسمية دون أن تفطن الى ذلك ، بل فى الوقت الذى كانت تبحث فيه عنها بحثا جديا مستمرا .

وعن المعلومات التى نشرتها آخر ساعة نقلا عن مراد الشريعى الذى اجتمع البرلمان فى منزله سرا .

كان لنعى المغفور له مراد بك الشريعى رنة حزن وأسى فى قلوب الجميع ، لما كان للفقيد الكريم من مكانة ومنزلة فى القلوب ولما أوثـر عنه من دمـاثة الخلق وطيب النفس .

والفقيد من كبار رجال مصر الذين تقدموا الصفوف وبرزوا فى طليعة المجاهدين ، وقدم فى وقت من الاوقات الى المحاكمة العسكرية وحكم عليه بالاعدام فلم يلن او يتزعزع ثم ابدل الحكم بالسجن ويبقى سجينا الى ان افرج عنه وعن زملائه بعد ذلك بأشهر ..

وهو ينتمى الى بيت من اكرم البيوتات واعرضها حسبا ونسبا ، وهو بيت الشريعى المعروف ..

كان رحمه الله من اكبر هواة الرياضة وكان حريصا على حضور الحفلات الرياضية الكبرى فى الاندية المختلفة وفى الاشهر الاخيرة كان كثيرا مايخرج للتمشى ساعات طويلة فى طريق الهرم ويقف من حين لآخر يحادث الفلاحين وهم يعملون فى حقولهم ويتبسط معهم فى الحديث ويسألهم عن شئونهم الخاصة وعن زراعاتهم ومحصولاتهم وما الى ذلك من مختلف المسائل التى كان يعنى بتقصى دقائقها عناية كبيرة ..

ولعل أكبر حادث يلازم اسم المرحوم مراد بك الشريعى ويقترن به ، ذلك الحادث الذى يعد من أبرز الحوادث السياسية التى وقعت فى تاريخ مصر السياسى الحديث ، وذلك اجتماع البرلمان سراً فى داره فى عهد الدكتاتورية المعروفة ، ورغم ما اتخذته حكومة ذلك العهد من احتياطات شديدة .

كانت الوزارة التى تألفت فى تلك الايام معادية للوفد وللوفديين ، ولم تكد تتسلم زمام الحكم حتى اعلنت حل مجلس النواب وكانت اغلبيته الكبرى الوفد ، فاجتمعت الهيئة الوفدية البرلمانية واعلنت ان قرار الحل هذا غير دستورى وان مجلس النواب لايزال قائما وحددت موعداً لاجتماعه وذكرت فى قرارها اليوم والساعة اللتين سيجتمع فيهما ..

ونشر هذا القرار فى الصحف وكان تحديا صريحا للوزارة المتقلدة الحكم ، فلم يجىء اليوم المحدد حتى كانت الوزارة قد بثت عيونها فى كل مكان ووزعت قوات البوليس والجيش فى مختلف انحاء القاهرة ، وروقبت كل الاماكن التى يمكن ان يجتمع .

فيها النواب مراقبة شديدة ، ووضع اعضاء الوفد وكبار الزعماء والنواب البارزون من اعضاء المجلس تحت المراقبة وكلف رجال البوليس السرى بتتبع خطواتهم فى ذلك اليوم حتى تعلم الحكومة المكان الذى يقصدون اليه ، مكان الاجتماع ، فتأتى بخيلها وقواتها وتفض الاجتماع .

ولم يكن هذا مما يغيب عن فطنة رجال الوفد ولكنهم اصروا على عقد اجتماعهم مهما كانت الظروف ، وترك لمعالى محمود فهمى النقراشى باشا وزير المواصلات مهمة اختيار المكان الذى يتم فيه الاجتماع وكيفية اطلاع النواب على ذلك ، ووضع الخطة الكفيلة بنجاح هذا العمل على النحو المطلوب .

وكانت مهمة شاقة ودقيقة وأى تهاون فى إحكامها قد يؤدى الى فشل الخطة كلها أو تسرب أسرارها الى رجال الحكومة فتعمل على إحباطها ، ودام التفكير اياما ثم انتهى باختيار دار الشريعى مكانا للاجتماع ، وتقع هذه الدار الى جانب محافظة مصر بالذات ، وكان هذا تحديا آخر بلغ منتهى الجرأة ولكنه كان مقصودا بالذات لأن الحكومة لايمكن ان تتصور او يخطر ببالها ان المجتمعين سيختارون لاجتماعهم مكانا يقع على قيد خطوة من المركز الرئيسى لاسكتلند يارد مصر أى لمحافظة العاصمة مقر البوليس :

وحدث فعلا ما توقعه واضعو الخطة فقد كانت دار الشريعى تكاد تكون هى الوحيدة التى أعفتها الحكومة من الرقابة للسبب المتقدم .

وتقرر الا يخطر النواب بمكان الاجتماع الا قبيل الموعد المحدد له بدقائق ، وهى المدة الكافية لوصولهم اليه لا أكثر ، وذلك حرصا من سهو أو خطأ يقع فيه احدهم فيتسرب السر الى الخارج ، واختير نائب من كل مديرية يكون هو واسطة الاتصال بين نواب مديريته وبين الهيئة الرئيسية المطلعة على السر ، وتكون مهمته ان يتصل بها فى الساعة الثالثة ويعلم منها مكان الاجتماع ثم يذهب توا الى زملائه فيخطرهم به .

وفى الساعة الثالثة تماما اجتمع معالى النقراشى باشا والسيد عبد الحميد البنان ، وكان هو الوحيد الذى يعلم بتفاصيل الخطة كلها وقد اشترك فى وضعها ، اجتمع الاثنان فى دار السيد عبد المجيد الرمالى بحى السيدة زينب ، وهناك وافاهم مندوبو المديريات فأبلغوهم مكان الاجتماع ، وخرج كل نائب الى المكان المعين الذى واعد فيه نواب مديريته وأخطرهم بما علم .

وكانت الأمكنة التى اختارها النواب ليوافيهم فيها زملاؤهم بالسر من الأمكنة العامة كالمشارب والمطاعم والقهوات وذلك منعا للفت الانظار ، بل وايهاما لرجال البوليس بأن النواب سيقضون الوقت فى لعب الطاولة أو قراءة الجرائد على قارعة الطريق مما يظن معه انهم عدلوا عن الاجتماع تحت ضغط الاحتياطات الشديدة التى اتخذتها الحكومة .

وكان السيد عبد الحميد البنان هو النائب المختار من نواب القاهرة ليطلع اخوانه على مكان الاجتماع ، واتفق معهم على أن يلاقوه الساعة الثالثة والنصف فى محل شيكوريل فى القسم الخاص بالأثاث ليفضى اليهم بالسر ومنعا للشبهات تردد هو على محل شيكوريل اكثر من مرة ، وقبل ذلك بأيام عدة ، وأخذ يزوره يوميا طوال أيام ثلاثة سابقة على اليوم الموعود بحجة شراء بعض الأثاث اللازم له وقد بالغ فى حرصه لأنه كان مراقبا أشهد المراقبة ، وعندما ذهب فى اليوم الموعود الى شيكوريل لم تلفت زيارته نظر رجال البوليس اذ كانوا قد ألفوا ذلك منه ، وهناك فى داخل المحل لقى زملاءه نواب القاهرة وافضى اليهم بالسر فخرجوا واحدا أثر واحد قاصدين دار الشريعى .

ومن طريف ما نذكره هنا أيضا أن كل عضو من أعضاء الوفد وغيرهم من النواب البارزين المراقبين ، كل منهم وضع خطة خاصة تكفل تضليل رجال البوليس المراقبين له فى ذلك اليوم حتى لايصل أحدهم الى مكان الاجتماع وفى ركابه أحد أحفاد شارلوك هولمز !!

من ذلك أن صاحب المقام الرفيع الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا ، وكان رجال البوليس يرابطون أمام داره ليلا ونهارا ، أمر سائق سيارته الخاص ان يخرج بالسيارة حوالى الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم وقد أسدل الستائر على نوافذ السيارة ويندفع بها بأقصى سرعة خارجا من الدار ..

ولمح رجال البوليس سيارة الرئيس الجليل خارجة فظنوا أن مقامه الرفيع يستقلها فاندفعوا وراءها بسياراتهم الخاصة .

ولما ابتعد الاذكياء عن الدار خرج الرئيس فى سيارة أخرى وسار فى اتجاه مخالف للذى سار فيه رجال البوليس ، ثم تناول طعام الغداء خارجا وفى الموعد المحدد كان فى مكان الاجتماع بين نواب البلاد .

وكان النظام الذى وضع فى ذلك اليوم يقضى بان يخرج النواب المراقبون من دورهم صباحا مضللين رجال البوليس الذين يتعقبونهم ثم يمضون اليوم كله خارج دورهم ولايعودون اليها الا بعد حضورهم الاجتماع .

وقد تم كل ذلك بحنكة نادرة واستطاعوا جميعا ان يصلوا الى مكان الاجتماع دون علم البوليس .

على أنه رؤى - زيادة فى الحيطة ومبالغة فى الحذر - ان تكتب القرارات التى سيوقع عليها المجتمعون بعد أن تتلى عليهم ويصدر قرارهم بالموافقة عليها ، تقرر أن تكتب هذه القرارات على أوراق عدة ليوقع كل عشرة أو عشرين من النواب على ورقة مستقلة فتتم عملية التوقيع فى أقصر وقت ، فاذا حدث ان تنبهت الحكومة الى مكان الاجتماع وحضرت قواتها لفضه ، تكون القرارات قد وقعت وانتهى الاجتماع .

على ان الاجتماع تم على نحو ماذكرنا وتحت انف الحكومة وسمعها ودون ان تدرى عنه شيئا ، ولولا ان احد النواب فى نهاية الاجتماع اخذته نشوة الحماس والفرح وهتف « تحيا مصر » وردد المجتمعون هتافه فبلغ مسامع رجال البوليس فى الخارج ، لولا ذلك لانتهى انعقاد مجلس النواب السرى دون ان تعلم الحكومة المكان الذى انعقد فيه .

وقد رأت الوزارة ان نجاح الخطة التى وضعت لتحديها هذا النجاح الكبير مما يشين سمعتها ويحط من قدرتها وهيبتها ، وبلغ الغيظ منها مبلغه ولم تجد غير مأمور القسم الذى تم الاجتماع فى دائرته من « تفش » فيه همها فعاقبته ، وكان الاولى بالعقاب وزير الداخلية نفسه أو الوزارة كلها ، ولكن العدل والقسطاس المستقيم كانا على الرف فى ذلك العهد الميمون !!

وعن العلاقات بين الملك فؤاد ودار المندوب السامى البريطانى قالت اخر ساعة :

كان سير ريجنالد ونجت هو الوحيد بين المندوبين السامين الذى كان يعرف مصر معرفة تامة قبل ان يسند اليه المنصب ، فقد كان ملما بكل صغيرة وكبيرة فى مصر ، وكان يفهم أخلاق الشعب كما كان يجيد اللغة العربية إجادة تامة ، حتى أنه كان يتكلمها طبقا لأصول النحو والصرف .. وزيادة على ذلك كان يجيد التكلم بجميع

اللهجات المصرية ! وكان العرب يستظرفونه ويحبون مجلسه ومع ان العادة جرت ان تبذل جهود كبيرة فى جمع العرب لاستقبال المندوب السامى ، إلا أنهم كانوا يذهبون من تلقاء أنفسهم لمقابلة هذا الرجل العظيم وسماع حديثه العذب وذكرياته المسلية .

وقد حدث فى أثناء الحرب ان اقتدى سير ونجت بالملك جورج فى منع تقديم الخمور فى حفلاته !

ولقد ضايق هذا القرار جميع الموظفين الانجليز ، لا لأنهم السكارى المدمنون ، ولكن لأن كلامنهم كان قد اعتاد ان يتناول مع عشائه كأسا من الويسكى أو قدحا من البيرة .

ونتج عن هذا القرار الخطير ان المدعوين الى قصر الدوبارة كانوا يملأون بطونهم بالخمور قبل حضور حفلات المندوب ! ولكن العشاء كان يستغرق أكثر من ساعتين فيضيع مفعول الخمر عند منتصف العشاء وعلى ذلك كان يظهر على المدعوين قبيل انتهاء العشاء مظاهر الألم المكبوت والحزن الشديد وكأنهم مدعوون الى مأتم وليس الى مأدبة عشاء !

وفى المرة الأولى التى ذهبت فيها الى دار المندوب كنت ظمآنا جدا وما كدت اصل الى عتبة الباب حتى ازداد عطشى ، فسألت خادم الدار عن موعد العشاء فقال إنه بعد نصف ساعة !

وانفرجت اسارير وجهى وقلت :

ـ اذن استطيع ان اعود الى فندقى لأحضر بعض لوازمى !

فاجاب الخادم :

ـ لاداعى الى ذلك .. تفضل إجلس ونحن نرسل من يحضر لوازمك ! ولكنى رفضت وقفزت سلم الدار واسرعت الى أقرب بار لأرطب جوفى بكأس من الويسكى !

وقد لاحظت عند انتهاء السهرة ان بعض المدعوين يتسللون الى الدور الأرضى فما كان منى الا ان تبعتهم !

وفى حجرة صغيرة رأيت بعض المدعوين وقد التفوا حول خادم الدار وهو يقدم اليهم كؤوس الويسكى واقداح البيرة !

ولما وقع نظر الخادم على قال :

ـ كما قلت لك ياسيدى .. كان من الممكن ان نحضر لوازمك !

عندما اختارت وزارة الخارجية اللورد اللنبى ليملأ المنصب الشاغر فى دار المندوب ، نصحته بأن يكون لينا وسهلا ودبلوماسيا وهذه الاشياء لم يتخصص فيها جناب اللورد !

ولكى تفهم صعوبة النصيحة يجب ان تلم بالموقف السياسى فى مصر . فمع ان حزب الوفد الذى يطالب بالاستقلال التام كان يمثل ٩٠ ٪ من سكان مصر ... مع ذلك فقد كانت هناك قوات اخرى يجب أن يحسب حسابها !

فأولا وقبل كل شىء كان الملك فؤاد - مهما كان موقفه الرسمى - ضد حرية الأمة وخروج الانجليز (كذا) وكان البشوات وطبقة أصحاب الأملاك يخشون الشيوعية التى تفشت فى الفئة المتطرفة من الوفديين (كذا) .

وأخيرا وليس آخرا كان أصحاب المصالح والكفاءات من المصريين يكرهون الوفد لاسباب شخصية ، وكانوا عند التشجيع اللازم ينفذون السياسة الانجليزية حرفا بحرف !

فاذا عرفت انه فى عام ١٩٣٠ كانت الامة بأكملها مع الوفد ومع ذلك استطاع صدقى باشا بمعاونة الملك فؤاد أن يتولى الوزارة وأن يحكم مصر خمس سنوات ضد رغبة الأمة بأجمعها .. إذا عرفت ذلك سوف تقرأ بأنه رجل قوى يستطيع ان يحكم مصر برغم المعارضات والعقبات !

ومع ما عرف عن اللنبى من القوة - ولا أقول القسوة - حتى شبهه الناس بالثور ، ومع أن الكرة كانت تحت قدمه يستطيع أن يصوبها بسهولة الى المرمى .. مع ذلك فقد أرسل الكرة الى خارج الملعب .. واستمرت « الكرة » خارج الملعب حتى ضاعت منا فى ٢٦ اغسطس سنة ١٩٣٦ !

لما وصل اللورد لويد الى مصر كان أول واجباته ان يعيد لمنصب المندوب السامى الاحترام اللائق والكرامة الكاملة والأبهة اللازمة ! وذلك أن كل هم رجال الوفد فى الماضى كان متجها الى تخفيض مقام المندوب السامى ومعاملته كواحد من الوزراء المفوضين .. متناسين أن منصب المندوب هو أعظم وأهم المناصب الرسمية فى البلاد !

حتى أنه فى حفلة افتتاح البرلمان المصرى لم يعد للمندوب السامى مكان خاص ولم يوضع الترتيب اللازم لخروجه ودخوله الى قاعة الاحتفال .

ورأى الناس اللورد اللنبى وسط زحام رجال السلك السياسى والموظفين ومراسلى الصحف وهو يكافح للوصول الى مقعده !

ولاشك ان الانجليزى العادى سوف يعجب بهذه الظاهرة الديمقراطية فلا شىء يملأ مخ رجل الشارع بالاعجاب اكثر من اختلاط العائلة المالكة بمجموع الشعب وتجردهم من التقاليد التى تفرق بين الطبقات .

ولكن الشرق لايقبل هذا النوع من الديمقراطية ويعتبره جرحا « للأبهة »

فالشرقيون يرون أن الرجل الكبير يجب ان يبقى كبيرا فى كل لحظة ، ويعتقدون ان الرجل الذى لايحتفظ بأبهته لابد وانه من وسط حقير ، أو ان البلد الذى يمثله لايحترمه الاحترام الكافى !!

وتستطيع ان تشاهد هذه الظاهرة فى مصر ، فى كل يوم ، بل فى كل ساعة ! فالفلاح الصغير اذا تحسنت حالته اعلن عن ذلك فى الحال بشراء حمار واستخدام سائس يجرى وراء الحمار !

والكاتب البسيط الذى يتقاضى مرتبا لايزيد على تسعة جنيهات لايرضى ان يسير فى الشارع حاملا مظروفا حكوميا لايزيد وزنه على نصف رطل .. فهو يصطحب معه ساعيه بملابسه الرسمية ليحمل المظروف .

فهل هناك شعب يحب الأبهة مثل الشعب المصرى !

كان اللورد لويد يفهم هذه العقلية المصرية لذلك فقد ذعر عندما وجد ان « ابهة » المندوب السامى فى مصر ، تسير الى طريق الزوال ! وكان ان أصر جنابه على اعادة جميع الحقوق والامتيازات التى كان يتمتع بها المندوب السامى فى الماضى . فكان اذا سافر أمر بأن يعد له قطار مخصوص وكان لا يخرج من محطة مصر ولايدخلها الا من الباب الملكى وفى الحفلات العامة كان يحضر قبل وصول الملك بلحظات ويغادر الاحتفال بعد خروج جلالته بثوان معدودات !

وظن الناس الذين لايفهمون العقلية المصرية ، ان اللورد متغطرس اكثر من اللازم ، وهذا يخالف الواقع فاللورد لويد كان يعرف ان معنى المساواة بينه وبين باقى الوزراء المفوضين فى الحفلات العامة ، هو اعتراف ضمنى من بريطانيا بأنه لم يعد لها مركزها الخاص فى مصر !

ولاشك ان « عنطزة » اللورد كانت لازمة فى بلد يعبد « الابهة » الى هذه الدرجة !

ولقد كان بين ضباط محافظة العريش احد زملاء لورد لويد فى حملة الحجاز . وكان هذا الضابط رجلا طيبا ، غير انه فقد حماسته للانجليز فى السنوات الاخيرة ، وأصبح يميل الى الفريق المعادى لبريطانيا .

وحدث عند وصول اللورد لويد الى محطة العريش أن قمت بتقديم الضابط الى جنابه ، ولما جاء دور الضابط المذكور ، قال اللورد لويد :

- لاحاجة الى تعريفى بصديقى القديم « محمد افندى » فقد حاربنا جنبا الى جنب فى الحجاز .

ثم التفت جنابه الى محمد افندى وقال :

ـ هل تذكر يومْ احترقت بردعة جوادك ؟

وقد سر محمد افندى بحديث اللورد وانقلب بريطانيا اكثر من الانجليز . ومنذ ذلك اليوم وضع على سيارته العلم البريطانى وكان لاينتقل الى مكان قبل ان يتأكد من وجود العلم !

ومع ان شرف وضع العلم البريطانى على السيارة من حقوق المندوب السامى فقط ، فانى لم اهتم بلفت نظر الضابط المصرى الى ذلك !

وننتقل الى بعض الصفحات التى نشرتها آخر ساعة من مذكرات او ذكريات .. بعض السياسيين القدامى .. ونبدأ بماكتبه محمد سعيد باشا احد رؤساء وزارات مصر .. وجد الملكة السابقة فريدة :

كان ذلك فى شتاء سنة ١٩٢٢ وبلغنى بطريق شبيه بالرسمى ان عريضة قدمت لجلالة الملك فؤاد نسب الى فيها انى ساعدت وفد الحزب الوطنى على السفر الى مؤتمر لوزان ، وأعنته بمال من عندى ، ومن عند جهة اخرى ، وانى اشتغل مع هذا الوفد لفائدة سمو الخديو السابق .

ورأيت ان هذه التهمة هى محض فرية لا أقبلها على نفسى ، وليس لها أثر من الصحة ، فأردت نفيها ، وطلبت من حضرة صاحب المعالى سعيد ذو الفقار باشا كبير الامناء أن يلتمس لى إذنا بشرف المثول بين يدى حضرة صاحب الجلالة ملكنا المعظم لأتمكن من دفع هذه الدسيسة ، فوعد معاليه برفع التماسى هذا الى جلالة الملك .

ثم بعد بضعة ايام حضر عندى بدائرة سمو الامير احمد سيف الدين (وكان سعيد باشا قيما على سموه) كل من حضرة صاحب المعالى اسماعيل سرى باشا ، وحضرة صاحب العزة حسن صبرى بك (حسن صبرى باشا وزير الحربية الآن) ، وصاحب العزة اسماعيل شيرين بك واتفقنا على أن نتناول الطعام فى مطعم قريب من مركز الدائرة .

وبالفعل ذهبنا اليه ، وبعد الانتهاء من تناول الطعام رأينا أن نزور صاحب الدولة يوسف وهبة باشا فى منزله فذهبنا اليه ، وفى اثناء وجودنا هناك دار الحديث حول مواضيع مختلفة . فقلت أنا « إن وشاية نقلت عنى الى البلاط أنى أشتغل لمصلحة سمو الخديو السابق » .

وعندئذ قال حضرة حسن صبرى بك : « إن الاقرب الى العقل أن توجه هذه التهمة الى ثروت باشا لوجود علاقات بينه وبين سمو الخديو السابق للرابطة التى بين أسرته وبين قصر الحلمية ، فوالد ثروت باشا كان متزوجا من جارية من جوارى عباس باشا الأول والد إلهامى باشا والد والدة الخديو . ولما كنا فى أوربا أخيرا وتقابلت مع

سمو الخديو السابق وكلفنى بمسألة الأمـوال التى تطلب له من الحكـومة المصريـة فأخبرت سموه فى أثناء هذا الحديث بانى أخشى صعوبات من قبل الوزارة المصرية فاجابنى سمو الخديو قائلا « لاتخش ذلك فان ثروت باشا من رجالنا » .

هذا كل ما قاله حسن صبرى بك وسمعته منه فى ذلك المجلس وسمعه منه من كان معى .

وفى اليوم التالى على ما أتذكر حضر عندى حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء ليبلغنى ان جلالة الملك سيحدد وقتا لمقابلتى كما التمست ، ثم أخذنا فى الحديث عن تلك الوشاية التى أردت ان اتبرأ منها ، وبهذه المناسبة قلت لمعاليه فى سياق الحديث ما سمعته من حسن صبرى بك ؟ ...

ومضت أيام بعد ذلك ، ثم جاءنى الإذن بالمقابلة ، فمثلت بين يدى جلالة الملك فؤاد .

وعرضت على مسامع جلالته ما أظنه كافيا لنفى ما وشوا به فى حقى . وفى آخر الحديث سألنى جلالته عما سمعته من حسن بك صبرى عن ثروت باشا والخديوى .

فأخبرت جلالة الملك بما سمعته وقلت ان ذلك كان بمنزل صاحب الدولة يوسف وهبه باشا وبحضور دولته وصاحب المعالى اسماعيل سرى باشا .

وكانت مقابلتى لحضرة صاحب الجلالة الملك بعد ظهر يوم الخميس ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ .

وبعد يومين استدعى جلالة الملك صاحب الدولة يوسف وهبه باشا وسأله عما سمع فأيد الرواية .

وبعد اسبوع استدعى جلالة الملك اسماعيل سرى باشا وسأله عما سمع فأكد الرواية كما سمعها من حسن بك صبرى .

وأرسل ثروت باشا يستدعى حسن بك صبرى لمقابلته . ففى يوم الثلاثاء ٢٨ نوفمبر حضر حسن بك صبرى لمقابلة ثروت باشا فى ديوان رياسة مجلس الوزراء . وكان ثروت باشا قد أعد للامر عدته فقابل حسن بك صبرى فى حضور عبد الرحمن رضا باشا النائب العمومى ، واسماعيل صدقى باشا وزير المالية ، ومصطفى فتحى باشا وزير الحقانية وجعفر ولى باشا وزير الاوقاف ومحمد شكرى باشا وزير الزراعة .

ثم أرسل جلالة الملك إلى ثروت باشا يبلغه الخبر .

وسأله ثروت باشا عما وصل الى مسامع جلالة الملك فأجاب حسن بك صبرى أن

هذا كذب محض وانه يعجب كل العجب من نسبة هذا القول اليه ويأسف كل الأسف لذلك وسمح حسن بك صبرى لثروت باشا ان يبلغ جلالة الملك ما قال :

حدث هذا فى صباح يوم ٢٨ نوفمبر ، وبعد ظهر اليوم ذهب حسن بك صبرى الى منزل ثروت باشا وكان عنده اسماعيل صدقى وقال انه قابل اسماعيل باشا واخبره بما نسب اليه انه قاله فى حضرته فأكد اسماعيل سرى باشا انه لم يحضر مجلسا صدر فيه عن حسن صبرى بك هذا القول ولم يسمعه منه فى ظرف من الظروف :

ودهشت أنا مما قاله حسن بك صبرى لأن حديثه كان على مسمع من يوسف وهبه باشا واسماعيل سرى باشا واسماعيل بك شيرين .

ويظهر ان حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد اكتفى بالتحقيق الذى أجراه بنفسه لأنه فى اليوم التالى طلب من ثروت باشا ان يستقيل . وفى يوم ٢٩ نوفمبر قدم ثروت باشا استقالته فى سبعين سطرا .. وفى نفس اليوم تلقى خطاب قبول الاستقالة فى أربعة سطور :

وعن القنبلة الأولى التى القيت على توفيق نسيم باشا ، كتب نسيم باشا فى مذكراته يقول :

كان المغفور له محمد توفيق نسيم باشا يصطفى شابا وطنيا معروفا وكاتبا أديبا يشغل الآن وظيفة من وظائف الحكومة فى احدى الوزارات ، وكان فى آخر أيامه يملى عليه كثيرا من مذكراته التى تفصح عن نواياه وأغراضه النبيلة ، وقد استطعنا أن نحصل على صفحة طريفة من هذه المذكرات :

وهذه الصفحة خاصة بالقنبلة الأولى التى ألقيت على نسيم باشا رحمه الله .

كنت بالسيارة من دارى بالحلمية الجديدة فى طريقى الى وزارة الداخلية ، وعند تقاطع شارعى الشيخ ريحان وعماد الدين سمعت دويا هائلا ، ورأيت أمين هاشم بك الضابط الياور ، الذى كان الى جانبى فى السيارة يلقى بنفسه على فجأة ويحوطنى بذراعيه وتوقفت السيارة عن المسير . وأفلتت عجلة القيادة من يد سائقها ، وارتمى الحرس على الأرض . وأدركت أن محاولة للاعتداء على الحياة قد وقعت وأن الدوى الهائل دوى قنبلة . ونحيت أمين بك هاشم عنى قائلا : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا »

وهممت بترك السيارة الى الشارع ، وهم أمين بك يمنعنى من ذلك ، ولكننى صممت على النزول ونزلت فعلا ، ووقفت الى جانب السيارة ورأيت السائق فى حالة شديدة من تأثير الاصابة ، واجتمع المارة فطلبت من بعضهم دعوة صيدلى كانت

صيدليته قريبة من مكان الحادث لاسعاف السائق والحرس فحضر الصيدلى وأخذ فى اسعاف السائق .

أما السيارة فقد نظرت اليها فاذا هى قد دكت دكا ، وتفككت أوصالها مما دلنى على أن القنبلة كانت جهنمية فتاكة . واتجه تفكيرى فى تلك اللحظة الى تلك الطريقة التى أذهب بها الى عملى بالداخلية وبحثت عن سيارة أجرة فلم أجد فى تلك اللحظة . فتذكرت صديقى وزميلى احمد ذو الفقار باشا ، وتقع داره على بعد خطوات من محل الحادث فنظرت الى نافذة داره المطلة على المكان فوجدتها منفرجة عن فتحة صغيرة ، والباشا إذا لم يخنى نظرى يطل منها : ويظهر والله أعلم بالسرائر أنه أشفق على نفسه من رؤيتى فى هذه الحالة ، أو مما قد يتبع القنبلة من قنبلة أخرى أو طلقات المسدس الذى كان يشهره الجانى وهو يلوذ بالفرار .. وقد أرسلت حاجبى « عيسى » إلى دار احمد باشا ذو الفقار لاستحضار عربته وسائقه فحضرا بعد قليل ، وذهبت الى الداخلية .

وقد قال المارة أمامى إن الجانى القى القنبلة ، وأخذ يعدو عدوا سريعا وفى يده مسدس وتفقدت عند ركوب السيارة الياور فقيل لى إنه ذهب يعدو فى أثر الجانى .

وصلت الى وزارة الداخلية ، والدنيا قائمة قاعدة ، وأنا قادم من حادث جلل . وإذا بمحمد علام باشا (المرحوم) وكان مديرا لاحدى المديريات فى ذلك الوقت يقابلنى عند نزولى من السيارة ، وبدلا من أن يبادرنى بالتهنئة بالنجاة من الحادث فاتحنى من جديد بطلب التصريح له بأجازة كان قد طلبها ولم أوافق عليها . وقد ظن الباشا المشار إليه أنها فرصة للفوز بالأجازة ، وأننى قد اكون « مهزوزا » فى هذه اللحظة من أثر « الخضة » فما كان منى الا ان انتهرته ، ورفضت فى شدة واستهجان فما أعجب عقليات بعض الناس ! ...

وعلى أثر وصولى الى مكتبى بالداخلية أقبل كبار الموظفين مهنئين بالنجاة ثم تعاقب المهنئون من مصريين وأجانب حتى أنى لم أتمكن من التفرغ للعمل الرسمى دقيقة واحدة .

وتفضل عظمة السلطان فاتصل بى تليفونيا مستفسرا مهنئا ، وبعد قليل أبلغنى ديوان كبير الأمناء أن عظمته قد تعطف على بتقرير زيارتى فى دارى بالحلمية الجديدة بعد ظهر ذلك اليوم فلم استغرب ذلك على منته الجليلة ونعمه السابغة .

أما والدى فقد كان جالسا فى حديقة الدار بالحلمية ، وكان مريضاً ، وسمع الدوى الهائل الذى هز الحى كله هزا فظنه فرقعة سيارة أو لغما من الألغام التى تنسف

الصخور فى جبل المقطم – لكنى بعد أن وصلت الى الداخلية سألت عن « عيسى » الحاجب فقيل لى إنه ركب سيارة وذهب إلى دارى ، وعلمت بعد ذلك أن الوالد وهو جالس فى الحديقة رأى عيسى الحاجب مقبلا على عجل وبادره عيسى بالسؤال عما إذا كان قد سمع فرقعة هائلة أو لم يسمع فقال والدى إنه سمعها وسأله الوالد فى لهفة عن سبب هذا السؤال فقال « عيسى » : إنها قنبلة هائلة ألقيت على دولة الباشا ونجاه الله منها .

فقام والدى من مكانه وصعد رحمه الله درجات السلم ولكنه سقط فى منتصفه مغمى عليه من وقع النبأ ، وكان مسرعا إلى التليفون للاتصال بى ، وللاطمئنان بنفسه على ، فلم يتمكن وشغل آل المنزل بحالة والدى الصحية حتى عدت إلى الدار فى موعدى اليومى للغداء .

اتصل بى فى ذلك اليوم المحافظون والمديرون مهنئين ، وقالوا إنهم سيحضرون مع وفود للتهنئة فشكرتهم ، ونهبت عليهم بشدة أن لايفعلوا .

وعند الأصيل على أثر الزيارة الميمونة التى شرفنى بها عظمة السلطان يممت وجهى شطر القصر العامر بعابدين وتشرفت بالمقابلة للاعراب عن جزيل الشكر على جزيل النعم ، ورفع آيات الصدق من شعائر الاخلاص ومشاعر الولاء – عند ذلك فتح عظمة السلطان أحد ادراج مكتبه وهو يقول « أنا محضر لك مفاجأة » .

واخرج عظمته من الدرج قطعة ضخمة من الصلب غير منتظمة الأطراف وقال لى عظمته : « هذه شظية من شظايا القنبلة ، عثر عليها الجناينية فى حدائق السراى ، فانظر كيف وصلت من مكان الحادث الى هنا ، وقد احتفظت بها تذكارا لتضحياتك من اجلنا ومن اجل البلاد » .

وقد خرجت من لدن سدته العلية مشمولا بعميم الفضل ووافر النعمة .

بعد ان استقالت وزارتى الأولى : أوعز بعض الشانئين الى فريق من الصبية والاهلين بالتظاهر أمام دارى فى الحلمية الجديدة صاخبين شاتمين ، مرددين عبارات عدائية بعضها مضحك يصلح للتفكهة والترويح عن النفس مثل « احيه يا نسيم » ... الخ .

وبينما كنت فى دارى فى مساء يوم الاستقالة اتصل بى ثروت باشا ، وكان قوام الوزارة التى خلفتنى ثلاثة رجال هم عدلى باشا وثروت باشا وصدقى باشا – قال لى ثروت باشا فى تلك الليلة – وكان ثلاثتهم مجتمعين بمكتب رئيس الوزارة فى ديوان مجلس الوزراء – قال ثروت باشا : (ياباشا احنا خايفين عليك . ونرجو أن تغادر دارك

الى مكان آخر غير معلوم للاهالى لأن الجمهور فى حالة تهيج وانفعال ، ونخشى أن يصيبك بسوء) .

وكانت وزارة الداخلية اسندت فى الوزارة الجديدة الى ثروت باشا

فقلت له : (ياباشا اذا كنتم خايفين على فلست خائفا على نفسى ، وسأبقى فى دارى واذا كنتم عاجزين عن حفظ الأمن « فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين .. » .

وانهيت المحادثة التليفونية على ذلك ، وبعد قليل اتصل بى عدلى باشا وأعاد على ما سمعته من ثروت باشا، ولكن فى كثير من التلطف والمجاملة . فشكرته واعتذرت عن اجابتهم الى ما يطلبون .. وبعد قليل زارنى فى دارى مدير الأمن العام الانجليزى واذا لم تخنى ذاكرتى فهو المستر هورنباور .

وقال لى : إن جناب المستشار (يقصد مستشار الداخلية)يبعث الى دولتك بتحيته ويرجو ويلح فى الرجاء أن تغادر الدار إلى مكان آخر لأن الانباء السرية التى تجمعت لدينا تؤكد أن حادثا خطيرا سيحل بك وبمنزلك هذا ..

فقلت له : إننى انتظر وقوع هذا الحادث الجلل ولن انزل على رأى أحد والله الواقى فألح على إلحاحا شديدا إستغرق مدة طويلة فقلت له : (ثق اننى سأتبع وحى ضميرى وإذا أردت أن أبقى فى دارى فسأبقى وإذا عَنَّ لى أن اغادرها فسأغادرها باختيارى إلى المكان الذى اختاره) .

وانصرف مدير الأمن العام على ذلك ولما وصل مدير الأمن العام إلى وزارة الداخلية ، وكان الأقطاب الثلاثة (عدلى وثروت وصدقى) مجتمعين إلى ساعة متأخرة من الليل ومعهم المستشار اتصل بى ثروت باشا من جديد تليفونيا وقال لى :

– جناب المستشار ح يكلمك ياباشا .

وناوله سماعة التليفون .

فقال المستشار ما مؤداه إنه مكلف من قبل الحكومة البريطانية بدعوة دولة نسيم باشا للنزول ضيفا عليه فى دار المندوب السامى بجناح خاص أعد له لمدة أيام إلى أن تهدأ الأحوال ، وقال إنه سيرسل إلى دارى سيارتين من سيارات دار المندوب السامى لنقل الامتعة من منزلى بالحلمية إلى قصر الدوبارة .

فضحكت بملء شدقى طويلاً ... وقلت له إنى أحملك شكرى للحكومة البريطانية على هذه الدعوة وأقول لك إنى لا أعتصم من غضب قومى وان جاروا على بدار دولة اجنبية ، فاذا كانت الحكومة المصرية تعجز عن المحافظة على الأمن فى البلاد ، وفى قلب القاهرة ، فلست أنا الذى أغطى عجزها بالالتجاء إلى دار المندوب السامى ، إننى

أرفض هذا العرض ، وأسف للقول بأنه غير معقول ، وغير جدير بالقبول .
وانتهت المحادثة على ذلك .

ووضعت السماعة ودخل على بعض خاصتى فى المنزل وكنت ساهرا بحجرة المكتب وأشار على – هذا البعض – بضرورة التوجه الى فندق مينا هاوس بسفح الأهرام ، والاقامة هناك للراحة بضعة أيام وكان هذا الرأى معقولا فاقتنعت به .

وفى اليوم التالى قصدت الى فندق مينا هاوس فى الساعة الثامنة صباحا .. وبعد وصولى بقليل كانت دهشتى كبيرة عندما سمعت نداءات عدائية ضدى فى حديقة الفندق ! .. وأخبرنى تابعى الخاص ان تلاميذ يحملون علما مكتوبا عليه « مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية » قد حضروا فى سيارات كبيرة قصد التظاهر ضدى ...

دهشت وتساءلت ترى من أبلغهم فى هذه الساعة المبكرة من الصباح اننى نزحت إلى هذا المكان قبل وصولهم بساعة أو أكثر قليلا ، ولم يعلم أحد نيتى غير خاصتى ، ولم يرنى أحد بالمرة عند خروجى فى الصباح الباكر من دارى بالحلمية الجديدة – اللهم إلا الوزارة فقد علمت بطبيعة الحال من رجالها الذين نشرتهم حول دارى فى ذلك اليوم بحجة المحافظة عليها ...

وسألت نفسى بعد ذلك : ترى هل يكون بين رياسة عدلى باشا للجمعية الخيرية الاسلامية وبين هذه الحركة أى اتصال ؟

والجواب على هذا لايمكننى الجزم به ولايظلم ربك احدا ... ولايزال الجواب على هذا السؤال غامضا على حتى الآن .

صفحة اخرى من مذكرات توفيق نسيم باشا جاء فيها :
كنت وزيرا للمالية ووزيرا للداخلية بالنيابة فى الوزارة السعدية عام ١٩٢٤ .
وكنا فى سراى عابدين نشهد جلسة مجلس الوزراء برياسة حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد .

وانتهى مجلس الوزراء من نظر « رول » الجلسة ، ووقفنا جميعا وأخذ جلالة الملك يتحدث إلى كل واحد منا قليلا قبل الانصراف بادئا بسعد باشا . ولما جاء دورى قال لى جلالته : (لاتنصرف الآن والبث هنا حتى يخرج الجميع فانى أريدك فى أمر من الأمور) .

وأخذ رئيس الوزراء والوزراء يغادرون السراى منصرفين وبقيت أنا ماثلا بين يدى جلالته فتفضل وعرض على القوامة على إحدى صاحبات السمو أميرات البيت المالك فقبلت شاكرا . ثم سألنى جلالته وكان عطوفا يفيض قلبه بالحساسية وقال :
– « كم يرضيك نظير قيامك بهذه المهمة ؟ »

قلت : يامولاى إن عطفك الكريم يسبغ علينا نعمة تغنيني عن الماديات وحسبى هذه الثقة وهذا التقدير وإنى لسعيد بان أخدم بيتكم المالك دون مقابل .

فربت جلالته بيده على كتفى وقال :

– « إذن ما دمت لاتريد أن تقدر لنفسك فدع لى أنا تقدير ذلك وإنك لاشك ترضى بحكمى » .

فرفعت الشكر الى مقام جلالته وانصرفت داعيا .

بعد انصرافى قابلت رئيس الوزراء « سعد زغلول باشا » فى المساء وكان لعينيه بريق أعرفه وتجلى هذا البريق فى تلك الليلة وكأنما ارتسمت فى عين سعد زغلول باشا مجموعة من علامات الاستفهام . فقد لاحظ دولته حركة جلالة الملك عندما حدثنى على انفراد وكيف استبقانى فى حضرته بعد انصراف الرئيس وانصراف الزملاء .

لكن سعداً وإن ظل تواقا إلى مفاتحتى بما كان من أمر هذا الاستبقاء وما أفضى به جلالة الملك إلى وماجرى بيننا من حديث لم يشأ أن يسألنى وكنت أنا من جهتى فى موقف حرج فهذا رئيس الوزراء وكلنا متضامن مع الآخر وعلىَّ ان أحيطه علما بمثل هذه الأمور . لكن واجبا آخر رأيته مرتسما أمامى يحول بينى وبين الافضاء بما كان لأنى فى الواقع لم أكن قد أستأذنت جلالة الملك فى ذلك .. وازنت بين الواجبين فرجحت الواجب الأخير ألا وهو واجب كتمان سر أؤ تمنت عليه وقد تكون لجلالة الملك من وراء كتمانه حكمة وقد يكون لجلالته على الافضاء به اعتراض .

فتحملت الحرج وآثرت التريث والاصطبار ريثما أستأذن جلالته فى الأمر غير غافل عن واجبى نحو رئيسى وزميلى .

وفى اليوم التالى وأنا مدفوع بواجبى نحو رئيس الوزراء تشرفت بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك وسألت جلالته عما إذا كان لدى سدته مانع من الافضاء لسعد باشا بهذه المسألة فرحب جلالته بذلك قائلا :

ـ هذا واجبك .. قل له واستأذنه فى القبول .

وفى اليوم نفسه أفضيت لسعد باشا بذلك وبما أشار به جلالة الملك من أمره الكريم بإبلاغ رئيس الوزراء ذلك واستئذانه فى القبول .

سر الرئيس كثيرا وانبسطت أساريره ودعا لجلالته ثم علمت بعد هذا اليوم أن رئيس الوزراء قد اغتنم أول فرصة ورفع الى المليك شكره الجزيل على هذا الالتفات السامى ..

واحد من كبار الموظفين فى وزارة الداخلية ـ فى المعاش ـ كتب مذكراته ، واطلع التابعى على صفحات منها وأجاز نشر بعضها .. وكان مانشر من مذكرات ذلك

الموظف ، عن اتهام احد الوزراء لعدلى باشا وثروت باشا بمنع القنابل ويلاحظ هنا أن العنوان مثير للغاية .. عن الاتهام كتب الموظف الكبير يقول :

سنة ١٩١٩ كانت الساعة الثالثة صباحا ، وكان الشتاء قارصاً فى القاهرة وإذا بى أسمع طرقا متواليا على باب دارى .

وإذا بصول انجليزى يحمل لى خطابا من مستر هورنبلو مدير إدارة الأمن العام يطلب الى أن اذهب فى الحال الى وزارة الداخلية لمقابلة مدير الأمن العام .

وارتديت ملابسى سريعا وركبت عربة أجرة أقلتنى إلى وزارة الداخلية فوجدت فى مكتب مدير الأمن العام جنابه ومستشار الداخلية وسير مايلز شيتهام مستشار الحماية .

وكانت تبدو على الثلاثة علائم الاهتمام والتفكير .

ودخلت الغرفة فقطعوا الحديث ونظر لى مستر هورنبلو شذرا وقال :

ـ هل تقدمت ببلاغات ضد بعض العظماء تتهمهم بالحض على الجرائم ولم تطلعنا عليها ؟

قلت : كلا .. إن كل البلاغات التى ترد أدونها فى دفتر « الوارد » وأعطى لها نمرا مسلسلة .

فقال : هل لم يذكر اسم عدلى باشا فى أى بلاغ ..

قلت : لا ..

قال : ان دار الحماية تقول ان بلاغا من صورتين أرسل لوزارة الداخلية ولدار الحماية ووصل دار الحماية فكيف لم يصل الى وزارة الداخلية .. إذا كانت الوطنية ان تخفوا البلاغات الجنائية فاننى سأطلب ان تكون وزارة الداخلية كلها من السوريين والاروام واليهود ولايكون فيها أحد من المصريين .

وحدثنى مستر هورنبلو فقال ان وزيرا سابقا أرسل إلى دار الحماية رسالة يقول فيها إنه اتصل به ان كلا من عدلى باشا ورشدى باشا وثروت باشا له علاقة بحوادث القنابل ، وان رشدى باشا شخصيا اتصل بأحد الشبان المتطرفين وأعطاه خمسين جنيها ليلقى قنبلة على دار الحماية .

وأن الوزير السابق يقول إنه سبق ان أرسل صورة من هذا البلاغ إلى ولكنى لم أهتم بالحادث فعاد وأرسل البلاغ من جديد إلى دار الحماية ..

ثم طالب مستر هورنبلو المغفور له محمد سعيد باشا فى داره ـ وكان رحمه الله رئيسا للوزارة الادارية التى تألفت سنة ١٩١٩ ـ وقص عليه الحادث ولكنه لم يخبره

باسم الوزير وأبلغه ان سير مايلز شيتهام يرى تفتيش دار عدلى باشا وثروت باشا ورشدي باشا وعدم التردد فى القبض عليهم فى الحال إذا ثبت ضدهم شىء . وان من رأيه هو - مستر هورنبلو - ورأى المستشار الانجليزى لوزارة الداخلية التأنى فى هذه المسألة حتى يثبت صحة البلاغ أو تتجمع قرائن أخرى حول هذا الاتهام .

وقال محمد سعيد باشا إن المسألة خطيرة ويجب أولا استشارة عظمة السلطان فؤاد .

فأجاب مستر هورنبلو أنه يرى عدم تبليغ السلطان أى شىء من هذا حتى تثبت التهمة ...

وتولى مستر هورنبلو بنفسه تحقيق التهمة وقابل الوزير السابق بنفسه فقال إنه سمع هذا فى كلوب محمد على ولايذكر بالضبط من قال له هذا الكلام .

واستدعى اللورد اللنبى عدلى باشا وثروت باشا ورشدى باشا لمقابلته فى دار الحماية وواجههم بالتهمة فاجمع الثلاثة على أنها تهمة ملفقة .

ثم ثبت بعد ذلك أن معالى الوزير السابق كان فى الليلة التى يقول إنه سمع فيها هذه الحكاية ثملا فى كلوب محمد على وقامت بينه وبين ثروت باشا وعدلى باشا ورشدى باشا مشاجرة ، خرج منها ليكتب هذا البلاغ ضد ثلاثة من أكبر الوزراء المصريين ...

وكان من رأى جناب مستشار الداخلية محاكمة هذا الوزير السابق بتهمة البلاغ الكاذب ولكن دار الحماية رفضت هذا وقالت إن مثل هذا العمل لايشجع الوزراء على موافاتها بما يسمعون ...

وحدث أن وقعت سنة ١٩٢١ ثورة الاسكندرية المعروفة واتهم بعض الوزراء صاحب المعالى - فى ذلك الحين - اسماعيل صدقى باشا بتدبير هذه الثورة للوقيعة بين الوفد والانجليز .

وكان لهذه الحكاية ضجة كبيرة .

وشهد بعض الوزراء السابقين بأن معالى اسماعيل صدقى باشا كان يضع على رأسه قبعة أثناء الحادث حتى لايعرفه الناس .

واهتمت دار الحماية بهذه التهمة ، وأجرت فيها تحقيقا سريا ، ولكن نبأها وصل إلى الخارج فكتبت الصحف تتهم علنا صدقى باشا بتدبير ثورة الاسكندرية .

وجرى تحقيق دقيق فى هذه المسألة أثبت أن صدقى باشا لا علاقة له بهذه الثورة .

وحدث فى أوائل ديسمبر سنة ١٩٢٢ أن كان جمال الدين بك - ويسمونه فى دوائر

الامراء .. البرنس جمال الدين ـ نجل المغفور لها الاميرة فاطمة اسماعيل كان جالسا فى فندق شبرد مع أحد كبار الانجليز لما دخل النبيل عباس حليم الى الفندق وصافح الانجليزى ولم يصافح جمال الدين بك . ثم بلغ النبيل عباس حليم أن جمال الدين تناوله بالطعن فسأله فى اليوم الثانى فقال له « لا . انا لم أقل عنك وإنما قلت عن محمد بك ثابت »

وبلغت العبارة حضرة محمد بك ثابت فذهب إلى جمال الدين بك وسأله فيها فقال « لا . أنا لم أقل عنك وإنما قلت عن الكونت جاك لافيزون » وبلغت العبارة الكونت جاك لافيزون فانتظر جمال الدين بك فى اليوم التالى حتى حضر الى فندق شبرد واعترضه فى مدخل الفندق وسأله عن حقيقة الواقعة فأنكر ايضا . غير أن الكونت لافيزون بادره بلكمة وحضر سائق سيارته للدفاع عنه فلكمه الكونت ايضا .

وفى اليوم التالى دخل الكونت جاك لافيزون الفندق ، وفى الهول التفت إلى صوت يقول له « مساء الخير يامسيو جاك »

والتفت إلى مصدر الصوت فاذا به جمال الدين فعجب كيف يناديه حتى باسمه الصغير وقد حدث بينهما ماحدث فى اليوم السابق .

ورد عليه الكونت جاك التحية فتقدم منه جمال الدين بك وقبض على يديه وسرعان ما انهال على الكونت لافيزون بعض الاشخاص بالعصى ومازالوا به حتى أغمى عليه .

وقرر الكونت لافيزون أن ينتقم من جمال الدين بك فدعاه الى المبارزة وأحضر معه بعض العظماء والامراء واتفقوا فيما بينهم على اطلاق الرصاص على جمال الدين بك .

واتصل الخبر بجمال الدين فقرر أن يحضر هو وبعض الأمراء الشبان ويعتدوا على الكونت لافيزون ومن معه ..

واتصل الخبر بادارة الأمن العام واتصل مستر هورنبلو بقصر عابدين ونال أمرا من السلطان بالقبض على جميع الموجودين فى المبارزة مهما كانت مراكزهم وصفاتهم ..

وذهبنا الى مكان المبارزة وكانت فى حديقة الازبكية .. وحل الموعد ولم يحضر أحد .

وانتظرنا ولم يحضر احد وأخيرا جاءنا من يخبرنا بان السلطان أرسل الى الجماعتين من يخبرهم بأنه اصدر أمره بالقبض عليهم جميعا إذا ذهبوا للمبارزة وهكذا لم يذهب واحد منهم ..

وقيل إن الكونت لافيزون ينوى مقاضاة جمال الدين ومطالبته بتعويض قدره عشرة آلاف جنيه ، غير أنه ثبت أنه روسى وروسيته منعت المحاكم المختلطة من النظر فى قضيته فى ذلك الحين . ولذلك قرر أن يرفعها إلى المحاكم العسكرية ...

ثم بعد ذلك تم الصلح بين جمال الدين بك وكونت لافيزون وهكذا كفى الله المؤمنين وغير المؤمنين شر القتال .

ومن مذكرات عبد العظيم راشد باشا وكان أحد وزراء الداخلية ، ومن المحيطين ببواطن الامور ننقل هذه الصفحة وفى بدايتها حديث لعبد العظيم راشد باشا مع محمود يوسف رشاد باشا :

بمناسبة الحديث فى المعاهدة قال لنا إن دولة ثروت باشا رجا فتح الله بركات باشا بأن يوقف الصحف عن الكتابة ضده بهذه اللهجة التى تفيد أنه « قتل سعد باشا » بفعل تأثير شروط المعاهدة عليه .

ومن هنا استطرد الى القول بان ثروت باشا عند زيارة سعد باشا للمنصورة وكان رشاد باشا مديرا للدقهلية كان يريد قتل سعد باشا بالفعل لأن بدر الدين بك (مدير الأمن العام وقتئذ) حضر إلى المنصورة وأسر الأمر الى حكمدار البوليس قائلا له : « نريد أن نخلص من سعد باشا هنا » . فنقل الحكمدار ذلك الى المدير ولما حضر المحامى .. (لم يذكر راشد باشا اسمه) يقول للمدير إنه يريد أن يمشى فى حفلة سعد باشا ومعه ١٥٠ نفراً من البحر الصغير لينادوا « يحيى عدلى باشا » وعلم المدير أنهم يحملون نبابيت قال للمحامى أمام بدر الدين بانه اذا فعل ذلك يحبسه ومن معه . وعندما اعترض بدر الدين وطلب فى النهاية الى رشاد باشا أن يطلب تعليمات ثروت باشا تليفونيا أبى رشاد باشا ذلك ثم تلقى تليفونا من ثروت باشا وبالطبع سيحصل هيجان فى الخيمة والباقى معروف ـ فاهمنى !... »

ويفسر رشاد باشا ذلك مع ما قال بدر الدين للحكمدار بأن ثروت باشا كان يريد قتل سعد باشا .

وأضاف إلى ماتقدم أنه لما لام محفوظ باشا على ماصنع نحو سعد باشا بأسيوط يقول رشاد باشا إن جواب محفوظ باشا كان بمثابة اعتراف حيث قال إنه طلب منه قتل سعد باشا ولكنه رفض ذلك . ويضيف رشاد بأن محفوظ باشا لم يقل كل الحقيقة لأنه كان هو الآخر يريد قتل سعد باشا بالاشتراك مع عبد الرحمن بك محمودوقال : هاهو ذا عبد الرحمن بك محمود قد فقد ماله فى المضاربات بالبورصة .

ثم قال : ان حرم سعد باشا قالت إن سعد بعد ماقرأ المشروع المرسل من ثروت باشا القاه وقال : شىء فارغ . وبعد ذلك بقى يوما لايتكلم وفى اليوم الثانى توفى ويقول رشاد باشا بأن المشروع أجهز عليه .

ثم قال إن الملك يقول بأن ثروت باشا لم يطلعه على تفاصيل المشروع (٧ مارس سنة ١٩٢٨ بمنزل رشاد باشا) .

وفى تاريخ ٥ مايو سنة ١٩٢٨ ـ أى بعد نحو شهرين من استقالة وزارة المغفور له عبد الخالق ثروت باشا وقيام الوزارة النحاسية الأولى ، كتب المغفور له عبد العظيم راشد باشا فى مذكراته مايأتى :

٥ مايو سنة ١٩٢٨ طلب مولانا الملك من وزارة وهبة باشا .. تعيين مرتب لسمو ولى العهد فتوقف يوسف وهبة باشا وقال : (للسراى وفورات من مرتبات العائلة فيمكن الأخذ منها الى أن يحين الوقت المناسب لتقرير مرتب .)

ومن هنا نشأ الغضب وبدأت الدسائس . واتفق أن كان هنا أمير شرق الأردن ودعاه مولانا للغذاء ومعه الوزراء . وبعد النداء خلا بيوسف وهبة باشا زمنا طويلا وكان يوسف باشا مريضا فتساءل الوزراء عن ذلك . فقال محمد شفيق باشا : « إنه سيقضى عليه اليوم من هذه الخلوة »

وفعلا خرج وقدم استقالته . واجتمع به نسيم باشا ودعا الوزراء بمنزل يوسف وهبة باشا لمفاوضتهم فى تشكيل وزارة برئاسته فاشترط حسين باشا درويش أن تكون الوزارة إدارية وأن يعلن ذلك للجمهور حتى لايكون الوزراء عرضة مرة ثانية لضرب القنابل . وكذلك اشترط أحمد ذو الفقار باشا . ورفض يحيى باشا الدخول باعتبار أنه أقدم من نسيم باشا وكذلك زيور باشا

فاستدعاهم الملك فصمم درويش باشا على طلبه فقال له الملك :
(j'en garderi un bon souvenir) أى (سوف أحتفظ من موقفك هذا بذكرى طيبة)

ولكن ذو الفقار باشا وزيور باشا امتثلا لامر الملك .

وعرض الأمر بعد ذلك على اللورد اللنبى فلم ير مانعا من إجابة طلب درويش باشا وفعلا تم الامر على هذا الشرط وتشكلت الوزارة .

وذهب الوزراء للتشكر ولزيارة اللورد اللنبى فقدم لهم القهوة ، فاعتذر شفيق باشا ودرويش باشا بالصيام ، وشرب نسيم باشا القهوة رغم رمضان ورغم صيامه ضعفا وجبنا كما يقول الراوى درويش باشا .

وفى أثناء قيام هذه الوزارة أراد الملك تخويل مجلس الاوقاف الاعلى سلطة رفت الموظفين وقام خلاف بشأن ذلك بين نسيم باشا ودرويش باشا وعرض على جلالة الملك ، فاستشهد درويش باشا بأحكام من المحاكم المختلطة وأخذ رأى بيولا كازيللى ووافق درويش باشا على رأيه .

وكان الغرض رفت بعض موظفين من الاوقاف بدون محاكمة (لأنهم لا يتمتعون بسمعة طيبة)

وتكلم درويش باشا عن مسألة خزان مكوار وكيف كان يوسف وهبه باشا جبانا فى هذه المسألة أمام « بول هرفى » المستشار المالى وكيف أنه لما دخل عليهم بمجلس الوزراء قام وقدم له الكرسى من فوق الرؤوس . ولما ادعى أنه يتعهد نيابة عن حكومة السودان بأن لايروى السودان أكثر من ٣٠٠٠٠٠ فدان لم يعترض أحد على هذه الصيغة غير حسين درويش باشا وطلب منه على الأقل ان يوقع اقرارا بذلك ، وكيف ان محمد شفيق باشا كان شجاعا فى هذه المسألة وكيف احتال على السير مكدونالد مستشار الاشغال حتى أخذ توقيعه على تقرير فى مصلحة مصر يخالف تقريره الأول ، مما ترتب عليه أن يستدعيه اللورد اللنبى ويأمره بمغادرة مركزه والقطر المصرى فى الحال .

وخلاصة هذا الموضوع أن انشاء خزان مكوار وحده مضر بمصلحة مصر . وكى لايكون مضرا يجب تعلية خزان اسوان والخزانات الأخرى ومشروع التعلية يتكلف ٢٠ مليون جنيه مع أن اللورد اللنبى افهم الحكومة الانجليزية بأن مشروع مكوار يتكلف ٤ ملايين جنيه فقط ورتبت سياستها مع الشركة الانجليزية على ذلك .

وكان من نتائج هذه المشروعات أيضا أن أحيل ويلكوكس الى المعاش وكذلك الى المحاكمة .

وعاد المغفور له عبد العظيم راشد باشا فى موضع آخر من مذكراته فكتب مايأتى :

عود على بدء فى مسألة خزان مكوار لما اعترض درويش باشا على صفة نيابة المستشار المالى عن حكومة السودان أخذ ذو الفقار باشا ونسيم باشا يتغامزان عليه . وبعد أن فاز بغرضه قال له ذو الفقار باشا : (برافو يامنشير !)

فرد عليه درويش باشا وقال : (كنت قل كلمة من هذا فى الأول) !

ومن أسرار القضاء والقضاة يقول عبد العظيم راشد باشا ـ وهو نفسه أحد رجال القضاء ـ عن قضية الأستاذ عباس محمود العقاد ، وقد جاء ما كتبه راشد باشا فى مذكراته تحت عنوان ٣١ مارس ١٩٩٠ : كانت جلسة الأستاذ العقاد قد أجلت الى جلسة ٣١ ديسمبر ١٩٣٠ بناء على طلب الأستاذ مكرم عبيد للاستعداد وفى الساعة السابعة والنصف من صباح ذلك اليوم ضرب لى عبد الباقى زكى القشيرى بك ، تليفونيا يعتذر عن الحضور للجلسة ، بدعوى أنه مصاب بالزكام :

ولم يكن فى صوته شىء يدل على ذلك . وطلب انتداب غيره محله . وأفهمته بضرورة مخاطبة رئيس المحكمة بذلك منه مباشرة .

فخاطبه ثم ضرب لى التليفون مرة ثانية يقول بأن رئيس المحكمة لايرى مانعا من انتداب قاض من محكمة مصر للجلوس محله .

عند ذلك دهشت من أمر الموافقة على انتداب قاض فى مثل هذه القضية فخاطبت عبد العزيز باشا فهمى بالتليفون وقلت له كيف يوافق على أمر كهذا فى مثل هذه القضية فاستغرب مندهشا وقائلا : « إنه لم يخبرنى بأن القضية منظورة اليوم وإذن فهو يتهرب ولابد من إلزامه بالحضور للجلسة »

بعد ذلك ذهبت إلى المحكمة وعلمت أن عبد الباقى بك أصر على عدم الحضور اليوم فاتفقت مع رئيس المحكمة على تأجيل الدعوى ليوم آخر وجلس معنا محمود سامى بك

وعند نظر الدعوى تكلم الأستاذ مكرم عن الحالة المسجون بها عباس العقاد ، وطلب العقاد المثول أمامنا لأن صوته ضعيف فأذنا بذلك وخرج من القفص وشرح حالته أمامنا وردت النيابة على ذلك وتأجلت القضية ليوم الخميس ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٠ ليحضر القشيرى بك فى هذه القضية . وفى هذه الجلسة لم يحضر رغم قوله بأن مرضه يستلزم ٣ أيام وحضر بدله احمد يسن بك واستمر حتى حكم فيها (هكذا ذكر الاسم فى المذكرات وصحته يسن احمد بك) .

وتمسك آخر ساعة إحتراما للقانون الذى يحرم نشر أسرار المداولة ماذكره عبد العظيم راشد باشا فى مذكراته عن المداولة فى الحكم ، وكيف أن أحد أعضاء المحكمة من حضرات المستشارين كان يقول بالحكم مع ايقاف التنفيذ .

وكان عبد العظيم راشد باشا هو رئيس المحكمة بينما كان زميلاه فى الهيئة التى نظرت القضية فى آخر مراحلها المستشاران يسن احمد بك ومصطفى حنفى بك ، ويذكر راشد باشا ايضاً ضمن مذكراته :

حضر محامى كبير عندى ليلة الحكم وهرف بكلام كثير كان جوابى عليه : « إذن فبهى الدين بركات بك أشرف من هؤلاء الناس الذين ذكرهم بمناسبة القضية »

وجاءنى بعد ذلك نبأ بأن المحامى الكبير أشاع فى السراى انى سأحكم بالبراءة .

وتبلغ ذلك لجلالة الملك من شوقى باشا وكان ذلك البلاغ أى الاشاعة والتبليغ فى صباح يوم الحكم وقت المداولة ، وكان القصر فى هذه الساعة فى غاية الاضطراب .

بلغنى بعد ذلك ان الملك لم يرض عن الحكم واعتبره خفيفا وابتدأت عنده الوشايات عن الحكم بأنه خفيف .

وأخبرنى مصطفى حنفى بك أنه بلغه عن وزير حالى بأنه كان يرى إما البراءة أو الحكم بسنتين وذلك فى باب التنديد على الحكم والتقرب بذلك للسراى .

ولعل من أخف ما ذكره عبد العظيم راشد باشا فى مذكراته ما جاء تحت عنوان « يوم ٣ سبتمبر ١٩٢٧ » .

زرنا حرم راتب باشا وكان عندها نعيمة هانم أبو اصبع فقالت بأنها كانت منذ ايام فى ترابيا بلوكاندة توكاتليان وكانت نعيمة هانم رياض وابنتها فى اللوكاندة ، وكانت ابنتها ترقص فحضر الغازى (الغازى أتاتورك) ومعه بعض حاشيته وبينهم رجل سمين فأمر الغازى البنت بأن ترقص معه وتترك الشخص الأول ففعلت ثم أجلسها معه ، ودعا والدتها باشارة بالاصبع وتحدث معها ساعة وهى واقفة وهو جالس ولم يدعها للجلوس وسألها إذا كانوا فى مصر يحبون الملك وهل تذهب للسراى أم لا وهل يجلسون مع الملك أم لا . ثم قال لها : لا تسافرى على عجل ، واعداً بأنه يحضر إلى اللوكاندة من حين لآخر .

وكان التابعى مولعا بنشر الخطابات التاريخية النادرة وقد نشر فى عدد من اعداد اخر ساعة رسالة كان قد بعث بها احمد شوقى بك (امير الشعراء) الى صديقه شفيق بك الهرهل بمجلة مرموم وهذا هو نص الكتاب :

أخى العزيز شفيق بك

لا أعلم أن لى ذنبا اليك حتى تهجرنى كل هذا الهجران ولا تسأل عنى كعادتك بالمقابلة والمراسلة ومع ذلك فإنى أصفح عنك من صميم فؤادى .

إن كان الاستعداد للافراح والليالى الملاح قد شغلك عن أعز اصدقائك فانى أنا أيضا مشغول بجهاز أمنية (السيدة أمنية هانم كريمته وحرم النائب المحترم حامد بك العلايلى) ودخلتها عن قريب إن شاء الله وربما كان فرحها قبل فرحك وعلى كل حال فان الدعوة ستأتيك ...

لعلمى أنك تقصد البورصة لترانى كلما وجدت بمصر أقول لك إننى غيرت البورصة لأنها رخصت حتى عرفها العربجية والشغالة وأصحاب الجرائد الساقطة (!) والآن أتردد على محلين لاغير قهوة البورصة الجديدة أمام سان جمس بالضبط وهو محل رايق معتبر وبار الحرية الجديد وهو ثانى بار بعد البورصة القديمة وفى صفها وانت رايح على بسكال وهو محل فتح حديثا وصاحبه رجل طَيِّبْ (!) ويضحك جدا فإذا حضرت للعاصمة فاسأل عنى فى أحد هذين المحلين لأننى فى غاية الشوق إلى رؤيتك ولو كنت أعلم بأى مكان أنت وفى أى وقت تكون فى محلة مرحوم لحضرت إليك ومضيت ليلة معك .

قبل لى وجنات سى ابراهيم واسأل لى الدعا من الحاج احمد .

المسألة التى كلفتك بها وتنحيت عنها ولم تتنازل الى الرد على تلغرافى ولا جوابى اخذت دورا مهما وسأخبرك بالتفصيل عند الملتقى .

كنت « بأمدح فيك » ليلة الاحتفال الشاهانى بالازبكية وانا فى صيوان المحسن

الكبير وعن يمينه وكان عطوفته يثنى معى عليك وعلى المرحوم الوالد اجمل الثناء وأمس ايضا كنت فى سيرتك فى مجلس حافل وانت تنسانى كل النسيان ياخاين ياخوان .

المخلص

شوقى

والطريف ان شوقى يكتب فى اعلى الخطاب ملحوظة جاء فيها : لانؤاخذ على نقطة الحبر لانها تجلب الجنة ، وكانت نقطة حبر قد سقطت على الخطاب ، فى السطرين الاولين منه .

وكانت آخر ساعة قد نشرت نبذة تحت عنوان أول محسوبية قالت فيها إن « نجيب باشا غالى كان صاحب أول حادث محسوبية فى تاريخ مصر الحكومى فقد كان المغفور له بطرس باشا غالى رئيسا للوزارة سنة ١٩٠٨ ورقى ولده من وكيل نيابة محكمة المنصورة بمرتب ٢٠ جنيها فى الشهر إلى وكيل وزارة الخارجية بمرتب قدره ١٥٠ جنيها فى الشهر »

ورأى فخرى بك عبد النور ان يعلق على هذه النبذة التاريخية فيذكر تفاصيلها التى تحتوى على قدر كبير من الطرافة كما قال فخرى بك ، ومن بين ما قاله فخرى : اول محسوبية فى مصر ، ليست هى التى اشرتم اليها .. ان المحسوبية فى مصر أقدم تاريخيا من العهد الذى نحن بصدده ، وقد اشتهر بها عهد نوبار باشا ورياض باشا بصفة خاصة كما هو ثابت فى كثير من المراجع التاريخية : أما ترقية نجيب باشا غالى فلم يكن للمحسوبية أقل دخل فيها كما تنطق بذلك الوقائع التالية :

فقد عين نجيب غالى وكيلا لنيابة المنصورة بمقتضى مؤهلاته ، ونقل منها إلى الاسكندرية ، فالقاهرة كما لا تزال تجرى بذلك العادة حتى الآن ، ثم نقل إلى وزارة الخارجية ، وظل بها مدة رقى فى أثنائها إلى وظيفة مدير أقلام .

وفى فبراير سنة ١٩١٠ وقع حادث الاعتداء على حياة المغفور له بطرس باشا غالى . فتعطف سمو الخديوى عباس حلمى الثانى بزيارته بشخصه ومعه المرحوم محمد سعيد باشا ناظر الداخلية ، فى مستشفى ملتون حيث كنا الى جوار الجريح العظيم . وفى اليوم الثالث لوفاة الفقيد تفضل سمو الخديوى بزيارة منزل الفقيد بالفجالة معزيا اخاه امين بك غالى وانجاله نجيب وواصف ويوسف وزوج كريمته يعقوب بك صبرى . وفى أثناء هذه الزيارة تفضل سمو الخديوى فأحاط نجيب بك غالى نجل الفقيد بكثير من الرعاية وقال له انه سيعينه وكيلا للخارجية وينعم عليه بالباشوية . وفى ٢٥ فبراير صدر الدكريتو الخديوى بتعيين اسماعيل صدقى بك سكرتير عام الداخلية وكيلا لها والانعام عليه بالباشوية ، وكذلك بتعيين نجيب بك غالى وكيلا للخارجية مع الانعام عليه بالباشوية .

ومن هذه الوقائع يتبين لكم ان تعيين نجيب باشا غالى وكيلا للخارجية كان عقب وفاة المغفور له والده ، واذن لم يكن والده هو الذى رقاه كما جاء فى روايتكم .

هذا وقد كنت أود أن أقصر كلمتى هذه على التصحيح دون التعليق ، ولكننى استميحكم عذرا فى القول بأن اتهامكم عهد المغفور له بطرس باشا غالى بالمحسوبية قلما يستند من الواقع إلى أساس صحيح . إذ أن بطرس باشا كان من أشد الوزراء نفورا من المحسوبية العائلية أسوة بأستاذه العظيم شريف باشا الكبير (الملقب بالفرنساوى) . وليس أدل على ذلك من أن شقيقه المرحوم أمين باشا غالى ظل أكثر من عشرين عاما رئيسا لنيابة مصر المختلطة دون أن يحظى بأية ترقية فى عهد تولى شقيقه نظارة الحقانية أو رياسة النظار . وكذلك نجله النابغة واصف غالى الذى نال أرقى الشهادات وشهد له الجميع بالنبوغ والكفاءة لم يشأ والده أن يلحقه بأية وظيفة حكومية من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩١٠ الى ان عينه سمو الخديوى مديرا لإدارة الترجمة بالمعية السنية .

وبمناسبة الحديث عن المرحوم بطرس باشا اذكر هنا ان سمو الخديو السابق حين علم بحادث الاعتداء عليه سارع بزيارته فى المستشفى وكان إلى جانبه المغفور له محمد سعيد باشا جد صاحبة الجلالة الملكة فريدة .

وحين التقى به فى حجرته بالمستشفى قبله سموه فى وجنتيه وقال :

ـ سلامتك يا باشا .

وهنا انحنى بطرس باشا على يد الخديو وقبلها وقال بالفرنسية :

ـ مرسى موسيو .

وانهمرت الدموع من عينيه ، فتلطف الخديو وكفكف الدموع بمنديله .

وآخر جملة خرجت من فم بطرس باشا حين حضرته المنية « يعلم الله اننى ما أتيت أمرا يضر البلاد » ومازالت هذه الجملة الخالدة منقوشة على قبره .

وأذكر كذلك ان من بين كبار المشيعين الذين صاروا فى جنازته المغفور له حسين باشا كامل رئيس مجلس شورى القوانين « السلطان حسين فيما بعد » والمرحومين محمد سعيد باشا ناظر النظار وسعد زغلول باشا وحسين رشدى باشا واسماعيل سرى باشا واحمد حشمت باشا .

وعندما وضعت الجثة فى مقرها الأخير أخذ حسين رشدى باشا يبكى الى ان أغمى عليه .

وفى هذا الموقف الرهيب وقف مرقص افندى جنا « مرقص باشا فيما بعد » وألقى مرثية مؤثرة استدرت دموع المشيعين وبعد أيام من وفاة بطرس باشا كثرت الاشاعات

والاقاويل حول الوفاة ، وقيل إن الاطباء كانوا مقصرين فى العملية الجراحية التى عملت له لاستخراج الرصاص من امعائه .

وكان الدكتور فورنوف فى ذلك الوقت مقيما فى مصر وله عيادة فى القاهرة وقد كتب تقريرا يقول فيه إن العملية لم تنجح بسبب اهمال الاطباء ، وقد اعتمد الدفاع عن المتهم على هذا التقرير ولكن مستر دوين الطبيب الشرعى فى ذلك الحين فند أقوال الدكتور فورنوف وأثبت أن العملية أجريت على الوجه الأكمل وانتهى الأمر بنفى الدكتور فورنوف من مصر .

وكأن هذا الحادث كان سببا مباشرا للمستقبل اللامع والشهرة الواسعة التى يتمتع بها فورنوف اليوم .. لأنه لو لم ينف من مصر لظل فيها طبيبا عاديا خامل الذكر .

وكانت آخر ساعة قد نشرت ذات مرة أن الأستاذ سليمان فوزى صاحب جريدة الكشكول كان وكيلا للخديو فى مصر وقد عاد من اوروبا بالطائرة ، ليبدأ عمله بهمة ونشاط .

وكان سليمان فوزى قد تقدم إلى النائب العام بأعداد من المجلات التى تناولت سمو الخديوى السابق بالتجريح طالبا التحقيق معها بلسان سموه وكانت آخر ساعة قد تساءلت هل يعتزل الأستاذ سليمان فوزى الصحافة ، أم يبقى بها إلى جانب عمله كوكيل لسمو الخديو السابق فى مصر .

وقد رد الأستاذ سليمان فوزى ـ بناء على وعده من آخر ساعة ـ بمقال قال فيه :

عزيزى صاحب « آخر ساعة » .

لقد كنت قاسيا ـ جدا ـ حين طلبت الىَّ ان أوفى قراء « آخر ساعة » بأسباب اعتزالى الصحافة ، ولقد تسرعت إذ وعدتك باجابة الطلب . لأن الصحفى الذى يشتغل بالصحافة لها ، بل الذى يصاب بها ، لايبرأ منها أبدا !!

وإذا كان العلم قد مكن علماء الأمراض الخبيثة من « زراعة » أغلب الميكروبات ، وجعلتهم على وشك أن ينجحوا فى زراعة الباقى ، فان ميكروبا واحدا سيبقى لايزرع ولايقلع ولا يشفى منه جسم أصيب به ، هو ميكروب الصحافة !!

فأنا ياصديقى لم اعتزل الصحافة ، لأن هذا ليس فى مقدورى ، وانما أنا « ركنت » كما « تركن » الساعة ، وسأبقى صحفيا كما تبقى الساعة ساعة ، سواء دارت أو « ركنت » !!

إشتغلت بالصحافة نحو ثلاثين عاما بلوت فيها كثيرا ، وجهت إلىَّ النيابة العمومية التهم ، ووقفت مرات ومرات أمام محكمة الجنايات ، وقضى علىَّ فى كل القضايا التى

تقررت محاكمتى فيها بغرامات الا فى العام الماضى ، فقد حبست حول اربعة شهور كان بعضها تحت التحقيق ، ثم شملنى فيها العفو الشامل وعفا الله عما سلف !!

ومع أن بعض رجال النيابة وبعض رجال القضاء وبعض رجال السجون كانوا يتجهون فى معاملتى اتجاهات شخصية بباعث نزعات خاصة الا انهم كانوا أرحم بكثير من زعماء السياسة الذين قاموا على عمد ، بعضها جريدتى وعملى الصحفى فيها !!

لقد كنت فى لبنان فى صيف كانت تتولى الحكم فيه وزارة صديقة ، وقرأت فى الصحف أن هذه الوزارة الصديقة انذرت الكشكول لأنه أسفَّ فى بعض العبارات ، وعدت من لبنان لأرى هذا الاسفاف فوجدت أنه انما كان بسبب أن هذه الوزارة كلفت مدير مطبوعاتها بكتابة مقالات عن بعض الشخصيات ، وأن مدير المطبوعات هذا أرسل مقالاته لادارة الكشكول بصفة رسمية ، ورأى قلم تحرير الكشكول أن لايوافق على بعض الالفاظ النابية فشطبها من المقالات ، ومع أن المقالات نشرت مع التخفيف الذى رأى قلم التحرير وجوبه فإن الكشكول قد أنذر لأنه أسفَّ ؟

وخلق حزب الشعب فى إدارة مكتبى ، ورشحنى هذا الحزب للانتخابات عن دائرة عابدين ، وأحسست ان حكومة هذا الحزب تحارب ترشيحها لى ، وليس لها للدفاع عنها إلا جريدتان ـ جريدة الثغر والكشكول ، واشتد النضال بينى وبينها الى درجة انى نلت اثنين وسبعين صوتا شفهيا من واحد وتسعين هى كل الاصوات الناخبة ، ولكن (شغل الورقات الثلاثة) اشتغل قبل ظهور النتيجة بساعتين اثنتين ، فكان ان أعلنوا أنى نلت ستة وثلاثين صوتا بينما نال مرشح ثان واحدا وأربعين .

واضطررت دفاعا عن الوزارة التى قامت على عضدى وعاشت بدفاع جريدتى عنها ان أقول ـ وقد وقع التزوير علىَّ ـ ان انتخاباتها حرة بنت حرة !!

ومن حوادث الصحافة التى لا أنساها أنى بعد ان أبليت ما أبليت فى فشل المؤتمر الاسلامى فى فلسطين سنة ١٩٣٢ وبعد ان نجوت من الموت ليلة انعقاده بأعجوبة ، طلب الىَّ فى مصر ان أطلب الى الذين كانوا يعرضون مئات الجنيهات فيردون ، تذكرتين الى بومباى ، وكان الطلب قبل قيام القطار من القاهرة الى بور سعيد بساعات ، وكان لابد لستر وجه مصر من إجابة الطلب فقصدت الى حضرة صاحب السعادة طلعت حرب باشا مدير بنك مصر أطلب اليه التذكرتين من شركة السياحة التابعة للبنك على ان يكون ثمنهما كمبيالة علىَّ ادفعها عندما يتسع الوقت للمطالبة ، وتشهد حسابات بنك مصر ان هذه الكمبيالة بقيت بعض دينى وأنى أنا الذى دفعت ثمن التذكرتين ، للمضيفين ، العزيزين !!

بل من حوادثها ان القيامة ـ فى هذا المؤتمر الاسلامى ـ قامت علىَّ بتحريض

زعيمه ، وان سيوفا وسكاكين شرعت لذبحى ، وأنى خرجت من المسجد الاقصى وقد ضاع طربوشي وبلطوى وحذائى ونقودى وأوراقى وقطعت بذلتى ، وان بعض الصحف فى مصر كانت تصدر الملاحق ضدى بوصف هذه المأساة الأليمة على انها مما يشهر بوزارة مصر ، وعلىَّ ، إن ما حل بى انمــا حل بــالرجـل الذى زودتــه وزارة مصر بآلاف الجنيهات !!

وتأثرت الوزارة ورثت لحالى ورأت أن تعوضنى الخسائر التى لحقتنى ، وتفضل حضرة صاحب الدولة اسماعيل باشا صدقى فاتفق مع صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا ـ وزير خارجية وزارته وقتذاك ـ أن يحملا حضرة ابو خضره بك قنصل المملكة المصرية فى القدس أمانة يوصلها لى ، وهى ثلاثون جنيها مصريا فقط لاغير !!

واضطررت لاسدد ديونى ـ فى القدس ـ التى هى أجرة فندق وأجرة مخابرات تليفونية وثمن ولائم للاكل والشاى وأقيمت للمؤتمر ولخدمة الفكرة التى كانت ترمى لفشله ، أن ألجأ لبنك مصر أقترض منه مائة جنيه ، وأن أقترض الباقى من حضرة صاحب العزة شعبان بك أبو شبانه الذى كان عضو المؤتمر !!

ومالنا ياسيدى نذهب بعيدا فى التدليل على أن نار الصحافة تحرق الصحفيين وهذا البرلمان القائم الآن ، على أساس مجهودات صحفية كان نصيبى فيها الحبس اربعة شهور واعلان وزير من وزراء الدولة فى جلسة من جلسات مجلس الشيوخ أنه لو كان فى مصر وقت ظهور المقال الذى حوكمت عليه لقتلنى ، لم تفكر الاحزاب التى رشحت اعضاءه له فى ترشيحى لانه كان يحب أن ادور على اعتابها اقبلها ، ولانى مادمت لم أقبل الاعتاب فلا استحق الترشيح !!

هذه بعض الاسباب ـ وهى قليل جدا من كثير جدا ـ التى جعلتنى « اركن » أملا أن يصفو الجو وتهدأ النفوس وتتزن العقول وتقدر المسئوليات ، وقد تطول « الركنة » وقد لاتطول فالأمور مرهونة بأوقاتها ، والى اللقاء !!

الثلاثاء ١١ اكتوبر سنة ١٩٣٨ .

وهكذا تمضى آخر ساعة التابعى فى نشر الجيد ، والخفيف واللطيف من المذكرات السياسية والذكريات التاريخية معتمدة على سعة معلومات صاحبها مؤثرة دائما أن تقول الحق ، وأن تترك لكل ذى مصلحة حق الرد على ما نشرته دون أن تتدخل من قريب أو بعيد فى اختصار ذلك الرد ، أو نشره مشوها ، أو نشره بعد التعقيب كما كان يفعل وقت ذلك ـ وربما الآن ـ الكثيرون .

الفصل السادس

- الفن والفنانون فى آخر ساعة
- التابعى : سجل حافل بالمعلومات الحلوة ، اللذيذه

كانت آخر ساعة التابعي وخاصة فى سنواتها الاولى تولى اهتماما كبيرا بالفن ، وبالفنانين وكانت علاقة التابعى بكل الفنانين والفنانات فى مصر علاقة قوية ، وثيقة لاسباب عديدة من بينها - مثلا - أن نشأته الاولى فى الصحافة كانت فى دنيا الفن ، ناقد مسرحى كبير ينشر الاهرام - ولاول مرة - مقالاته الفنية فى الصفحة الاولى ثم انه تابع عشقه للفن فى مجلة - روز اليوسف التى اصدرها والسيدة روزاليوسف ، ومن بين تلك الاسباب ايضا أن التابعى كان بطبعه ، وسليقته فنانا كبيرا وعاشقا اكبر للفنون كل الفنون .

وعندما بدأت أنا بكتابة هذا الفصل ، وقعت فى حيرة شديدة لم أقع فى مثلها من قبل ، فما تكتبه آخر ساعة التابعى عن الفن والفنانين فى مصر حلو ، لذيذ ، تجد متعة فى قراءته ولو بعد مائة سنة ثم ان اخر ساعة التابعى - وخصوصا فى سنواتها الاولى - تعتبر انسكلوبيديا ، فنية من الطراز الاول وانا اريد أن امتع القارىء بالكثير من اللذيذ الحلو الذى نشرته آخر ساعة ولكننى أخشى التطويل : اخشى أن يتوهم البعض أننى استسهل النقل والله وحده أعلم ، وكثير ممن عانوا محنة الكتابة الصادقة يعرفون ان مهمة الاختيار ، وخاصة عندما تكون المادة موضوع الاختيار حلوة ولذيذه ، هذه المهمة شاقة للغاية ، هذا بالاضافة الى حرصى الشديد ان تكون المادة المختارة متلائمة تماما مع تقاليدنا فى هذه الايام ، ففى السنوات الاولى من عمر آخر ساعة التابعى ، كانت بعض الاقلام تقسو فى الحديث عن الفنانين والفنانات ولو اننا نقلنا كما نشر كما هو لعرضنا هذا الكتاب للكثير من المخاطر ولما أتيح له ان يدخل الكثير من الاقطار العربية الشقيقة

وقد كان فى مقدمة الاسباب التى حرضتنى على الاطالة فى هذا الفصل اننى اعتبره ، وبحق - لمن شاء من الكتاب - سجلا لفترة زمنية هامة-تألق فيها الفن والفنانون (الفنانات بطبيعة الحال - بصورة مشرفة للغاية وفى غياب الاستاذ محمد التابعى يبدأ الاستاذ محمد على حماد كتابة قصة أم كلثوم بعنوان « من ذكريات لامذكرات. ام كلثوم » .

وكانت بداية تلك الذكريات فى العدد ١٧٨ على النحو التالى :

منذ عشر أو اثنى عشر عاما شهدت مصر نشاطاً فى المسرح وكل ما يتعلق بفنون التمثيل والغناء .. وكان من آثار هذا النشاط أن ظهرت صحف تخصصت للمسرح وما اليه وملأت ما بين غلافيها بالحديث عن التمثيل والسينما والغناء .

وشهد جمهور القراء فى مصر لأول مرة صور المطربات والمطربين والممثلات والممثلين تنشر بعناية وبالحاح ، وقرأ لبنات الفن وأبنائه هؤلاء الأحاديث فى مختلف الشئون المسرحية ، وعرف عن حياتهم العامة وحياتهم الخاصة الشىء الكثير .

وليس يعنينا هنا أن نتتبع سير هذا النشاط وما انتهى اليه . وإنما نريد أن نعرض لناحية واحدة لها فكاهتها الخاصة ولها علاقتها بموضوع هذا المقال .

أذكر أن مجلة مسرحية معروفة نشرت فى ذلك الوقت سلسلة مقالات أو أحاديث مع طائفة من المطربات والممثلات . فتحدث كل منهن عن أصلها وفصلها وأين تلقت العلم وكيف شغفت حباً وهامت بالفن الجميل .

وقالت ممثلة سينما معروفة إن أباها كان (لواء) فى الجيش ، وإنها تلقت دروسها فى مدرسة (المير ده دييه) .

وقالت مغنية معروفة إنها إبنة فلان بك من مدينة كذا فى الوجه البحرى .. وإنها كانت فى المدرسة السنية .

وقالت أخرى إنها كانت تعود من المدرسة مع طائفة من زميلاتها وتنشد ويرددن هن وراءها الأغنية حتى انتهى صيتها فى البلدة إلى مدرس للموسيقى فأخذ على نفسه أن يقنع أسرتها العريقة فى المجد الحريصة على التقاليد بتعليمها أصول الموسيقى وقواعد الغناء ..

وقالت كل واحدة منهن شيئا من هذا وشيئا من ذاك .

والخلاصة أنهن جميعهن بنات مجد وعز قديم قد انحدرن من صلب باشا أو من ظهر بك ، وأنهن تلقين العلم فى المدارس الراقية .

وكان محرر المجلة المسرحية التى نشرت هذه الأحاديث أكثر ذوقا وأدبا من آن يسألهن صراحة ـ وقد تلقين العلم فى المدارس ـ لماذا الواحدة منهن إذن لاتستطيع أن تمضى إسمها إلا بصعوبة ؟ .. ولماذا مثلا تلك التى تعلمت فى مدرسة (الميرد ده دييه) لاتعرف من اللغة الفرنسية حتى ولا الطراطيش ؟

ولكنه ـ الزميل المحرر ـ كان خبيثا ، فقد رجا كلا منهن ان تكتب عبارة ما بخطها وتمهرها بإمضائها كتحية لمجلته ، وراح ونشر هذه الخطوط بالزنكرغراف .

وقارن القارىء بين متخرجات السنية والمير ده دييه وبين هذه الخطوط وأدرك انه الغرور أو حب الادعاء هو الذى حمل كلا منهن على ان تنكر أهلها وماضيها وان تنسب إلى نفسها مالا حق لها فيه .

هذه هى القاعدة العامة ....

مامن مطربة أو ممثلة فى مصر تتحدث اليك عن ماضيها إلا وتذكر بيت المجد والجاه الذى نشأت فيه ، والنعمة التى ربيت فيها .

إلا واحدة . واحدة فقط هى التى تفخر اليوم وتقول لك صراحة انها ولدت فقيرة

من أسرة طيبه نعم ولكن فقيرة وانها عرفت الفاقة وعرفت الحرمان .. ثم تحمد الله على النعمة التى هى فيها الآن وتشكر فضله عليها سبحانه وتعالى .

هى أم كلثوم . ولو ان أم كلثوم جلست يوما لتكتب مذكراتها لاستهلت الفصل الأول منها بعبارة كهذه :

(أنا أم كلثوم ابنة المرحوم الشيخ ابراهيم السيد من قرية طماى الزهايرة مركز السنبلاوين دقهلية ادخلنى والدى كتاب القرية لأتعلم فك الخط والحساب ولأحفظ القرآن ، ولكنه رحمه الله اضطر إلى اخراجى من الكتاب قبل ان أتم دراستى بسبب ضيق ذات اليد) !!

تقولها أم كلثوم ولاترى فى قولها هذا حرجا ولا عاراً لأنها أولا تأنف ان تنسب نفسها إلى بيت مجد ليس له وجود ، ولأنها ثانيا أبر بأهلها وأكثر ولاء لبيتها وأسرتها من ان تتنكرهم فى نعمة اليوم ولأنها ثالثا تحس انها اليوم أعظم من ان تحتاج الى بيت مجد قديم يشفع لها عند الناس أو يسند مقامها عند الجمهور .

خالد

أم كلثوم

الوالد والوالدة

هذه هى الاسرة الصغيرة ، أسرة أم كلثوم ، التى نشأت بين أحضانها مطربتنا الشابة وترعرعت فى دارها المتواضعة بقرية « طماى » من قرى مركز السنبلاوين بمديرية الدقهلية .

وفى ريف مصر ، وبين أحضان طبيعتها الجميلة الدائمة الاخضرار ، شبت القروية الصغيرة تنشق نسيم مصر العليل ، وتنعم بطفولة مرحة بين المروج والمزارع النضرة ، ترتع وتلعب مع لداتها من صغار القرية ، وتقصد معهم كل صباح إلى « كتاب » القرية تتلقى مبادىء القراءة والكتابة وتحفظ كتاب الله بين « مقرعة » عريف الكتاب وعصاه القاسية التى لا تعرف هوادة ولا لينا .

لم تكن طفولة أم كلثوم بالطفولة الهنية المدللة ، ولا حياتها بالرغدة الموفورة الحظ من خفض العيش والرفاهية ، ولقد وجدت أم كلثوم نفسها وهى بعد لم تعد العاشرة أو قبل ذلك وعلى كتفيها الصغيرتين عبء العمل والجهاد فى سبيل الحياة وكسب الرزق لها ولاسرتها الصغيرة ، فقامت بالعبء ولم تعى به وأدت واجبها الشاق كاملا وانها لسعيدة قريرة العين أن أعانها الله وحباها من فضله برضى الوالدين ورضى الناس وليس هذا بالقليل .

كان الشيخ خالد شقيق الانسه أم كلثوم هو الذى يحمل بين أفراد الاسرة لقب

« مطرب العائلة » وكان يدعى الى حفلات الريفيين فى الاعياد والموالد أو الافراح .. ينشد القصائد الدينية والاناشيد الريفية الساذجة لقاء أجر مناسب .

وذات صباح تصادف ان كان المرحوم الشيخ ابراهيم السيد والد الآنسة أم كلثوم ـ فى طريقه الى خارج الدار لبعض شأنه فوجدها فى « صحن » الدار تترنم فى صوت خافت ببعض الأناشيد وقد جلست تلهو بعروستها الصغيرة عروسة ليست من « شيكوريل » أو « ريفولى » ولكنها من عرائس الارياف شغل يد محشوة بالقديم من الثياب أو نتف القطن الاسكرتو .

شىء ما فى صوت الصغيرة أم كلثوم إستوقف والدها فوقف يستمع لها فى صمت وهى تغنى أحد اناشيد أخيها بصوت رخيم وفى دقة بالغة لاتخرج فيها عن حدود النغم ولا تحيد عن طريقه المرسوم ...

وانتهت الصغيرة من النشيد واذا بها تفاجأ برؤية والدها الذى طلب اليها أن تعيد النشيد فداخلها الخوف والذعر وانكرت انها كانت تغنى وأقسمت الف يمين ويمين منكرة هذة « التهمة » أشد الانكار . وبلغ بها الخوف أن بكت .

وطيب والدها خاطرها وألح عليها فى معاودة الغناء ، وألحت هى فى الانكار والبكاء ، وأخيرا أخرج لها الوالد « ملبسة » من جيبه ووعدها بها اذا هى غنت ثانية ..

وأمام هذا الاغراء الشديد غنت سومة الصغيرة وأعادت النشيد الذى كانت تترنم به ، فما انتهت منه حتى سألها والدها .

– وهل تحفظين القصيدة الفلانية .. والنشيد الفلانى. والقطعة التى مطلعها كذا والأخرى التى تبدأ بكيت .

وهى (مجموعة) ما كان يحفظه الشيخ خالد (مطرب العائلة) وكانت سومة تجيب على كل سؤال عن كل نشيد .

– أيوه ... ايوه ... ايوه ...

وفجأة هبط الوحى على الوالد ...

كان هناك اتفاق على « سهرة » فى تلك الليلة بالذات وخطر للوالد أن يحل أم كلثوم محل أخيها الشيخ خالد فى الانشاد وعرض عليها الفكرة .

– تغنى الليلة ياأم كلثوم ؟ ...

وهزت الصغيرة رأسها وقالت : لا .

وعاد الوالد الى الحاحه وأم كلثوم تعود الى رفضها وإبائها ، وأخيرا اغراها الوالد بطبق مهلبية يعطيه لها تأكله كله وحدها اذا قبلت الغناء هذه الليلة .

كان الاغراء شديدا ... وكان الجواب بالقبول سريعا ... وأمام طبق المهلبية تلاشت كل اعتراضات أم كلثوم ، وغنت تلك الليلة وأطربت وحازت الاستحسان والنجاح ... ووضعت قدمها على أول درجة من درجات سلم المجد الصاعد الى السماء ... سماء الشهرة والخلود .

الى ان يقول الاستاذ محمد على حماد :

انقطعت أم كلثوم عن الذهاب إلى كتاب سيدنا الشيخ عبد العزيز حسن فى طماى لفداحة المصاريف المدرسية – غير انها مالبثت ان عادت اليه بعدما توفر لدى والديها البارين مصروف الكتاب من كسب الصغيرة المتواضع فاستأنفت تعليمها من عرق جبينها مع قيامها باحياء الحفلات التى تدعى اليها . فنشأت عصامية بكل معانى الكلمة .

ولم تكن الرغبة فى التعليم وحدها هى الدافعة لبلبل الشرق الموعود للعودة للكتاب بل كان ولعها باللعب (والشقاوة) من أكبر المرغبات لها فى الوجود وسط أترابها من صبية وبنات . وزاد فى رغبتها فى الكتاب انها أصبحت بفضل كسب القليل قادرة على كسب رضى عريف الكتاب الاعرج الشيخ حسن شلاطه . وكان هو المختص بالفلقة والمقرعة – فكانت فى صباح كل سبت تحمل له الهدايا كما تحملها لسيدنا فتضمن بذلك بعض الرعاية والمحاباة :

غير أن رشوة سومة لسيدنا وعريفه لم تشفع لها أمام شقاوتها التى تتجلى فى الحادثة الآتية :–

كان يوم الخميس يوم السوق فى البلدة فكان « سيدنا » يعطى نفسه والأولاد أجازة فى ذلك اليوم من كل أسبوع وكانت تلك الاجازة عرفية غير مصرح بها من الوزارة . فانتهزت سومة خلو الكتاب ذات خميس وبكرت بالذهاب الى الكتاب لاالتذاكر دروسها وتحفظ لوحها .. بل عمدت إلى تقصيف أقلام بعض خصومها وتقطيع كراريسهم وتكسير ألواحهم ووضع التراب فى محابرهم بدل (الليفة) – وفيما هى منشغلة بعملها إذا بمفتش المعارف الشيخ قنصوه داخلا فجأة فاضطربت الصغيرة واستوت جالسة تهز رأسها مرتلة بعض آيات الذكر الحكيم ... فسألها المفتش عن سيدنا فقالت بأنه لايحضر فى أيام الخميس لاهو ولا الأولاد بسبب السوق . ولكنها حضرت لتراجع درسها : فأرسل المفتش فى طلب الشيخ فحضر فأشبعه توبيخا ولوما وقال له أليس عيبا ان تهتم بنت صغيرة بواجبها لادائه بينما هو يهمل واجبه ويفرط فيه ؟

وأراد سيدنا أن يؤكد لحضرة المفتش ان غيابه اليوم هو والأولاد كان بمحض

الصدفة والاستثناء ولكن صراحة سومة أبت، عليها إلا أن تقول الحق للمفتش ورزقها على الله .. فضاعف التأنيب والجزاء . ومن ذلك اليوم توترت العلاقات بين سيدنا وبين سومة الى أقصاها ولم يبق بين الطرفين أى أثر لحب مفقود وضاعت عليها فى طرفة عين نتائج الفطير والسكر والبلح والقصب وما اليها .. وأصبحت التليمذة الصغيرة هدفا لانتقام سيدنا وتعسفه فكان يتحداها فى (التسميع) ويشبعها (قرصا) وضربا .. ولاتكاد تجلس أمامه للتسميع حتى يقول لها ..

– هيه .. عاملالى مطربة وتغنى .. هيه قول أمال القارعة ما القارعة .. ما تقولى أمال .. هيه .. سمعى كويس .. بس شاطره تيجى يوم الخميس وتفتنى لحضرة المفتش ياختى .. هيه .. ماتقولى ..

وبقيت العلاقات بين الطرفين متوترة والحرب قائمة رغم مضاعفة سومة لكمية الهدايا التى تحملها صباح كل سبت إلى « سيدنا » بل رغم اشتراكها مع أترابها من بنات الكتاب فى تنقية الغلة لخالتى « أم الخير » حرم سيدنا المصون .. بل ورغم أنها كانت « تحمى » خالتى أم الخير وتدعك لها ظهرها ..

مات سيدنا الشيخ عبد العزيز حسن فقيه كتاب طماى إلى رحمة الله فانتقلت أم كلثوم وشقيقها خالد إلى مدرسة سيدنا الشيخ ابراهيم جمعة بالسنبلاوين وهى تقع بقرب محطة السكة الحديد فى ناحية تدعى « عزبة الحوال » .

ولما كانت سومة (واعية) من صغرها فقد كانت فى فترات الراحة بين الحصص فى الكتاب الجديد أو المدرسة الجديدة بالسنبلاوين تذهب الى بيوت بعض الجيران – جيران المدرسة – فتغنيهم فيغدقون عليها الجزاء الذى لم يكن يقل عن الخمسة أو العشرة مليمات فتعود فرحة سعيدة تعير زملاءها وشقيقها وقريبها بالنقود فتثير حسدهم وغيظهم .

وتحت عنوان : أول نقود ربحتها أم كلثوم .. ستة قروش ونصف :

كانت شهرة أم كلثوم أول عهدها بالغناء محصورة فى دائرة ضيقة، هى دائرة القرية وما حولها من القرى المجاورة وبعض « البنادر » القريبة التى لم يكن يتطلب الانتقال اليها أكثر من المشى سعيا على الاقدام أو على ظهور الدواب ..

ثم ذاع صيت أم كلثوم وانتشر فى انحاء المديرية كلها وفى المدن البعيدة وجاء الوقت الذى اضطرت فيه سومة الصغيرة وأفراد تختها الصغير المؤلف من أفراد الاسرة نفسها ، نقول جاء الوقت الذى اضطرت فيه أم كلثوم إلى ركوب قطار السكة الحديد للوصول الى حيث وصلت شهرتها .. هناك فى المدن والبلدان النائية البعيدة .

وكان هذا الحادث هو الأول من نوعه فى تاريخ حياة سومة الصغيرة ، وكان حادثا جللا ..

ركبت سومة القطار ولم يكد يبدأ سيره حتى تعلقت بالنافذة وتركت رأسها الصغير للهواء وغبار الطريق يعبثان به ما شاء .. وظلت فى وقفتها تشاهد المناظر المختلفة التى يمر بها القطار فى سيره السريع وهى لاتكاد تخفى ماشملها من الفرح بهذا الحادث الجلل ، حادث ركوب القطار ، فكانت تضحك ملء فمها وتصفق بيديها الصغيرتين وتشير الى مايمر أمامها من المشاهد المختلفة وتلفت اليها نظر الحاشية وهى مرحة طروب ، وأخيرا .. اذن الله ووقف القطار فى المحطة التى يجب النزول فيها للذهاب إلى السهرة المتفق عليها ، وقيل ياأم كلثوم هيا ..

ـ هيا على فين ؟

ـ هيا ننزل بقى ... احنا وصلنا بقى .

وتشبثت سومة الصغيرة بجدران النافذة وأبت النزول من القطار وللقوة أن تفعل بنا ما تشاء .

ولم تفد معها حيلة ولا أية وسيلة من وسائل الاغراء ولما رأت اصرارهم الغريب والغير مفهوم ... على النزول وترك هذا « الوابور » البديع الساحر بكت وعادت إلى مطر اللؤلؤ من نرجس العيون ولكن من غير ملح هذه المرة ..

على أن النزول من القطار كان أمراً مقضيا .. فلما أعيتهم الحيلة وظلت سومة على عنادها لم يجدوا بدا من استعمال القوة ولسومة أن تبكى ما تشاء .. وحملوها هيلا بيلا وانزلوها من « الوابور » بالقوة وهى « ترفص » وتضرب وتبكى ولكن لاحياة لمن تنادى ... وأخيراً سكتت بعد أن وعدوها أن يركبوها « الوابور » فى اليوم التالى ..

كان الحادث ـ حادث ركوب القطار ـ هو الأول من نوعه كما قلنا ، ولكنه لم يكن الأخير ، فقد ركبت سومة بعد ذلك القطار وما تزال تركبه إلى اليوم ولكنها تعلمت الآن أن تنزل فى محطة الوصول بمجرد وقوف القطار دون أن تبكى أو تحمل على الاعناق

كانت هذه الحفلة المشار اليها تاريخية من عدة أوجه ..

أولا : كانت أول حفلة تركب اليها أم كلثوم قطار السكة الحديد .

ثانيا : كانت كذلك أول حفلة تسمع فيها أم كلثوم بتذاكر ..

اقيمت هذه الحفلة فى بلدة « أبو الشقوق » وصاحبها هو بائع سجاير فى محطة البلدة نفسها يدعى حسين افندى حلمى وقد دفع أجراً لأم كلثوم وتختها مبلغ ١٠٠ قرش لاغير منها نفقات السفر ذهابا وإيابا لأم كلثوم والتخت .. أما ايراد الشباك .. فقد بلغ ٨٠ جنيها كاملة القروش والملاليم .. وهو رقم قياسى كما ترى لامنذ حوالى ٢٠ سنة يوم اقيمت الحفلة بل يعد رقما قياسيا اليوم فى سنة ١٩٣٧ .

أم كلثوم من هواة الارقام القياسية كما سترى فى الاسطر التالية .

روبية

روبية واحدة فقط لاغير كانت أول مبلغ من المال قبضته أم كلثوم من كسبها الخاص ومن عرق جبينها أو حنجرتها على الأصح .

والروبية عملة هندية من الفضة كانت منتشرة فى مصر أيام الحرب وهى تساوى ستة قروش ونصف بعملتنا الصاغ الميرى .

واليك تفاصيل الظروف التى وصل فيها هذا المبلغ من المال إلى يدى سومة الصغيرة .

كان ذلك فى أوائل سنى الحرب ودعيت أم كلثوم لاحياء حفلة ساهرة فى « بندر » السنبلاوين مع أفراد تختها الصغير ، وغنت أم كلثوم وأطربت وحازت الاستحسان ونجحت السهرة نجاحا سر له أصحاب الحفلة واظهارا لسرورهم ورضائهم عن المطربة الصغيرة منحوها فى ختام السهرة روبية .

ـ زيادة عن الأجر المتفق عليه ـ واعطوها الروبية فى يدها ..

وأخذت سومة قطعة الفضة الصغيرة وربطتها فى طرف منديلها وأمسكتها بيدها وشدت عليها بقوة حتى لا تفلت منها .

وجاء موعد الانصراف بعد انتهاء السهرة وكانت سومة قد غلبها النوم فنامت فحملها أحدهم إلى « طماى » على كتفه ، ورغم استغراق سومة فى النوم فقد ظلت يدها طول الطريق قابضة على طرف المنديل حيث أودعت الروبية العزيزة فلم تفلتها أو تقع منها ..

ووصلت سومة الدار واستيقظت وكانت لاتزال يدها قابضة على الروبية فأخرجتها من خزانتها الأمينة فى طرف المنديل واعطتهالوالدتها .. ثم استأنفت نومها العميق .

وبمناسبة هذا الحادث .. وعلى ذكر أول نقود قبضتها أم كلثوم ..

فى اول عهد أم كلثوم بالغناء وأحياء الافراح والليالى الملاح .. كان أجرها فى الليلة لا يزيد عن الجنيه أو الجنيه ونصف إذا شط المزار وبعدت الدار ـ دار الفرح ـ وسيرى القراء فيما سيأتى من « ذكريات لامذكرات أم كلثوم » كيف أنها سافرت ذات مرة سبع ساعات متوالية لإحياء حفلة بأجر لا يزيد عن مائة وخمسين قرشا ..

ولكن لم تمض فترة بسيطة على اعتلاء أم كلثوم تخت الغناء والطرب حتى ذاع صيتها واشتهر اسمها وتضاعف أجرها لامرة واحدة بل عشرة اضعاف ، وبلغ رقما كان يعد قياسيا فى ذلك الوقت إذ وصل إلى حدود العشرة جنيهات على نحو ما يرى القراء فى العقد الذى نشرنا صورته بالزنكغراف فى الصفحة الثانية من هذا المقال ،

وهو بين المرحوم الشيخ ابراهيم السيد والد الآنسة أم كلثوم والمدعو احمد اسماعيل صاحب الحفلة .

وتاريخ العقد يرجع الى سنة ١٣٣٨ هجرية المقابلة لسنة ١٩٢٠ ميلادية أى الى حوالى ١٧ سنة ميلادية أو ١٨ سنة إذا أخذنا بالارقام الهجرية ...

فى ذلك التاريخ كان هذا المبلغ الذى اتفق عليه أجرا لأم كلثوم ، وهو مبلغ ٩٥٠ قرشاً ، يعد رقما قياسيا كما قلنا ، بل لعله يعد كذلك إلى اليوم بالنسبة إلى الكثيرات وإلى الكثيرين من مطرباتنا ومطربينا ..

على أن سومة لم تقف عند هذا الرقم القياسى ، والظاهر أنها من هواة الارقام القياسية فتاريخ حياتها الفنى حافل بجلائل الارقام ...

وإذا كانت سومة غنت حفلات تدوم ساعات طوال بأجر هو حوالى المائة القرش فقد جاء وقت غنت فيه سومة بأجر هو ٣٠٠ جنيه ، لافى حفلة أو سهرة أو ساعات طوال بل فى ثلاث دقائق لاأكثر ..

بواقع مائة جنيه عملة صاغ ميرى لكل دقيقة واحدة ..

وذلك جزاء النبوغ وثمرة العمل المتواصل والجهد المستمر الدائم فى سبيل الفن وبلوغ اسمى مراتب الاجادة والتفوق فيه ، فاذا كانت ام كلثوم قد بلغت اليوم الذروة وحلت مكانها فى القمة وارتفعت إلى سماء الشهرة والمجد فلم يكن ذلك عفواً ولامن عمل الصدفة أو الحظ وحده ...

هناك وراء هذا الجهد المتصل به الفنان الحق الذى ينفق على فنه من لحمه ودمه وأعصابه ، وهناك قبل هذا موهبة ونعمة المولى سبحانه الذى وهبنا فى صوت أم كلثوم مزماراً ساحراً من مزامير داوود

وتحت عنوان شرب الكازوزه مجانا : « نص صريح فى عقود أم كلثوم » ١٥٠ قرشا ..

كان هذا هو كل الأجر الذى تعاقدت عليه أم كلثوم لإحياء تلك السهرة فى إحدى القرى النائية ، وكان الفصل شتاء والشقة بعيدة والطريق متعبا ، ولكن شيئا من هذا كله لم يقعد سومة الصغيرة عن الذهاب فى الليلة المحددة لاحياء تلك السهرة متحملة فى سبيل المائة والخمسين قرشا من المتاعب والمشقات مايذهب بجلد الرجال الأقوياء .

ركبت سومة قطار الدلتا ثلاث ساعات كاملة ، وقطارات الدلتا فى مصر لاتضم عربات البولمان الفاخرة المريحة ، ولاتعترف بما يقوله علماء الرياضة من أن المستقيم هو أقصر الخطوط ، وهى بعد هذا كله تسير كما يسير السكير بعد ليلة قضاها فى السكر والعربدة !!

وليت الأمر اقتصر على هذه الساعات الثلاث المضنية المتعبة فى قطار الدلتا .. فقد نزلت سومة من القطار لتركب حمارا مدى أربع ساعات أخرى فى طريق مجهد متعب ، وفى شدة البرد وزمهرير الشتاء القارص حتى تجمد الدم فى قدميها وتصلبت ركبتاها فلم تستطع الوقوف عندما نزلت من على ظهر الحمار وحملت إلى دار الفرح حملا وبقيت طويلا وهى لاتستطيع تحريك قدميها ولا ساقيها من أثر البرد وشدة ما عانت من التعب .

وآن موعد العمل والغناء وصعدت الطفلة أم كلثوم إلى المنصة المرتفعة التى أعدت فى صدر المكان لها ولأفراد تختها ، ويشاء سوء الحظ أن يزيد فى متاعب الصغيرة فجاء موضع المنصة فى ملتقى التيارات الهوائية الشديدة البرد حتى أخذت سومة ترتجف وتنتفض و« زنهرت » أنفها وعلتها زرقة قاتمة من شدة البرد ..

ولم يفت والدها أن يلاحظ كل هذا فخلع عباءته ووضعها على كتفيها ليضمن لها ولو قليلا من الدفء والحرارة ، ولكنه لاحظ انها ما تزال ترتجف وتنتفض .. ورمى الوالد بنظره هنا وهناك فوجد أصحاب الفرح والمدعوين وقد تألفوا جماعات وبين يدى كل جماعة منهم « دفاية » مشتعلة وهم حولها ينعمون بالدفء اللذيذ ، هذا بينما جلس هو وابنته ومن معه من أفراد التخت على المنصة المرتفعة وسط التيارات الهوائية الباردة ، وبعيدا عن هذه النار الموقدة .. وهنا لم يتمالك نفسه فوقف صائحا ...

ـ ياتبعتوا لنا دفاية إحنا كمان يامش حنغنى ...

وأسرع اصحاب الفرح فوضعوا تحت قدمى سومة « دفاية » كفلت لها قليلا من الحرارة استطاعت معها أن تحيى السهرة وأن تنشد أناشيدها الطروبة العذبة .

«كانت ليلة ـ يالها من ليلة ـ وما اظن أن ام كلثوم وإن تباعد الزمن تنسى تلك السهرة ولاظروفها القاسية ولا ما تحملت فى سبيلها وسبيل المائة والخمسين قرشاً المذكورة أعلاه ... من جهد ومشاق ، وما عانته من قطار الدلتا أولا والحمار ثانيا والبرد ثالثا ...

وفى ليلة أخرى اضطرت أم كلثوم هى وتختها إلى الغناء فى سرادق خال تماما إلا من الكراسى المصفوفة إذ هرب المدعوون من شدة البرد وتبعهم أصحاب الفرح أنفسهم وتركوا سومه تغنى للهواء الطلق ..

ولما كانت سومه قد حضرت للغناء فقد غنت وأطربت ولكن من غير سميع واحد يقول لها آه أو أعد .. والواجب واجب قبل كل شيء .

على ان هذا لم يكن إلا القليل من كثير تحملته أم كلثوم فى مستهل عهدها بالغناء فعانت من ذلك ضروبا عدة من التعب والمشقات التى ينوء بها الرجال كما لقيت الكثير

من « الفصول الباردة » التى كانت تقابلها بابتسامة الصابر المطمئن الواثق بنفسه ومنه وانه واصل الى ما يبلغ من الشهرة والمجد ان «عاجلاً» أو آجلا ..

وفى حفلة كانت فى « دكرنس » كان المدعوون اليها « مبلمين » وكأن على رءوسهم الطير .. وغنت أم كلثوم وأخذت تلقى أناشيدها وقصائدها الواحدة بعد الاخرى دون ان يتحرك حضرات السميعة أو يظهروا شيئا ـ شيئا ولو بسيطا ـ من علامات الاستحسان فلا آه .. ولا أعدولا يحزنون .. بل يحزنون !! وكأنهم فى مأتم لا فى حفلة طرب وغناء .

وألقت سومة كل ماتحفظه من الاغانى والمقطوعات ثم سكتت بعد ان نفذت ذخيرتها .

وتطلع المرحوم الشيخ ابراهيم والدها فى الساعة فاذا هى الحادية عشرة فقط لاغير .. وباقى على طلوع الفجر ساعات وساعات .. وأفراح الريف لا تنتهى إلا عند صياح الديك فما العمل ؟

وأعادت سومه الاسطوانة من أولها وكرّت للمرة الثانية كل ماأنشدته فى المرة الأولى .. كل هذا وحضرات المدعوين ولاهم هنا .

وباتت سومه وأفراد تختها عند صاحب الفرح الذى احضر اليهم فى الصباح مائدة عامرة بأشهى الألوان للفطار ، ومنها الفراخ الدسمة اللذيذة .

ونظر المرحوم الشيخ ابراهيم الى الطعام الفاخر المقدم ثم التفت الى صاحب الفرح وقال له :

ـ احسن الى من أساء اليك ..

وهل بعد الفراخ احسان ؟ !

ودعيت أم كلثوم ذات مرة لاحياء حفلة فى « القرشية » على مقربة من طنطا ، ولم تكد تعتلى التخت وتستعد للغناء حتى حضر أحد اصحاب الحفلة ولفت نظرها الى « فانوس » معلق فى احد أركان السرادق وقال لها :

ـ خدى بالك ياست أم كلثوم من الفانوس ده .. اول ماتشوفيه انكسر انزلى من التخت انت واللى معاك وخشوا الحجرة اللى وراكم ..

ودهشت أم كلثوم من هذا الطلب الغريب واتضح ان اصحاب الحفلة لم يدعوها حبا فى سوادعيونها أو شغفا بصوتها او لان صاحب الليلة تزوج او « طاهر » نجله الكريم .. بل كان كل غرضهم من الحفلة أن يدعو اليها اهل البلدة المجاورة لهم « ميت يزيد » ليضربوهم .

وكانت ام كلثوم هنا وسيلة لا غاية ...

وغنت ام كلثوم وهى ترتعد من الخوف وقد تشعلقت عيناها بالفانوس اياه لتزوغ فى الوقت المناسب .

وحضر اهل « ميت يزيد » فعلا وضربوا فعلا ، وكان هذا هو المراد من رب العباد !

أما أبرد فصل حقيقى لقيته أم كلثوم فى مستهل عملها فلعله الفصل الآتى ..

اتفق احد اهالى قرية من قرى مركز السنبلاوين مع والد الآنسة ام كلثوم على احياء فرح فى بلدته المذكورة نظير اجر هو مبلغ ٣٥٠ قرشا بما فى ذلك نفقات السكة الحديد ذهابا وايابا لسومه ولافراد التخت جميعا ودفع مبلغ ١٠٠ قرش عربونا .

وفى اليوم المحدد سافرت سومة وافراد تختها من « طماى » الى القرية المشار اليها ، وانتقل الركاب العالى من « طماى » الى السنبلاوين على ظهور الدواب ، ومن السنبلاوين ركبوا قطار السكة الحديد الى المنصورة ، ومن المنصورة عبروا النيل الى البر الثانى فى طلخا حيث ركبوا قطار الدلتا الى محطة « نبروه » وكان عليهم ان يركبوا الركايب من « نبروه » الى القرية وهى مسافة يقطعها الحمار النشيط فى ساعتين .

كانت الرحلة على طريقة « البحر الطويل » أو Long Sea كما يقولون ...

ونزلوا فى محطة « نبروه » فلم يجدوا أحداً فى انتظارهم كالعادة لاصاحب الحفلة ولا أحداً من طرفه ، وانتظروا فى المحطة حوالى ساعتين فى انتظار الركايب وصاحب الفرح ولكن دون جدوى ، وأخيراً إستأجروا « ركايب » من المحطة وذهبوا إلى القرية وهناك أخرج المرحوم الشيخ إبراهيم عقد الاتفاق وقرأ إسم صاحب الفرح الموقع بختمه أدناه وسألوا عنه حتى اهتدوا إلى داره فلم يجدوا عليها علائم الزينات مما اعتاد أن يقيمه أهل الريف فى أفراحهم ، ولكن ذلك لم يمنعهم بطبيعة الحال من دق الباب .

وخرج صاحب الفرح فسألوه .

- لماذا لم ترسل لنا الركايب ؟

- ركايب ليه ؟

- علشان نيجى ...

- وتيجوا ليه ؟

- علشان الفرح اللى عندك واللى حنغنى فيه !!

- فرح ايه .. ماأجلناه ....

- أجلته ازاى ؟ طيب ولا بعتش ليه تقول لنا ؟

ـ وأقول لكم ليه مادام أجلناه ..
ـ طيب واحنا اش عرفنا انك أجلته ؟
ـ ماتعرفوش ازاى . دى أهل البلد كلها عارفه ...
والبلد هنا هى بلد حضرته طبعا لابلد أم كلثوم !!

ولم يكن هناك داع بعد هذا لطول الجدال والمناقشة وعادت أم كلثوم وتختها كما جاءت عن الطريق الـ *Long sea* ، وكانوا قد تأخروا فلم يستطيعوا اللحاق بآخر قطار يقوم من المنصورة الى « السنبلاوين » واضطروا الى المبيت فى المنصورة وتكلفوا من أجرة طريق ومصاريف النوم فى اللوكاندة مايزيد على المائة قرش العربون المدفوع ..

حتى خفى حنين .. لم يعودوا بهما !!

على انه سرعان ماذاع صيت أم كلثوم واشتهر اسمها وأصبح فى وسعها أن ترفض مثل هذه الحفلات .. وبلغ اجرها فى الليله الواحدة حوالى العشرة جنيهات على نحو ماطالع القراء فى مقال الاسبوع الماضى ولكن بقيت بعد كل هذا مسألة كانت موضع تفكير المرحوم الشيخ ابراهيم وأم كلثوم ، وكانت تشغل فكره واهتمامه آناء الليل وأطراف النهار وهو يحاول أن يجد حلا مناسبا لها فلا يستطيع ..

... صحيح أن ابنته سومه قد أصبح اسمها ملء السمع والبصر ، وصحيح ان الجنيهات قد أصبحت تنهال عليها من هنا ومن هناك ، وصحيح وصحيح .. الخ الخ ولكن كل هذا لم يقنع الوالد ولم يرقه مادام ان لابنته منافسا فى عملها ، ومنافسا قويا خطيرا مايزال يتمتع بشهرة واسعة وصيت ذائع فى نفس المحيط الذى تعمل فيه أم كلثوم !! .

كان تفكير الوالد ينحصر كله فى أن يشعر هذا المنافس بأن ابنته أم كلثوم قد أصبحت نداً له وأصبح لها ماله من المكانة والمنزلة .

كان هذا المنافس يدعى « الشيخ حسن جابر » وكان من مشاهير المقرئين والمطربين فى ريف مصر ، وكان مغرما بشرب « الكازوزة » والاكثار منها ، ولعله كان يظن أن لها تأثيرا فى جلاء الصوت وصفائه وكانت مكانته تسمح له باملاء مايريد من الشروط على أصحاب الافراح والليالى ممن يتعاقدون معه ..

وكان أول شرط يضعه فى رأس العقد المذيل بالامضاء أدناه شرطا صريحا ينص على أن أصحاب الفرح ملزمون بأن يقدموا اليه ـ إلى الشيخ حسن جابر ـ كل مايطلبه من زجاجات الكازوزة يشربها هنيئا مريئا دون أن يدفع ثمنها ، ودون أن يخصم ذلك من الاجر المتفق عليه ... وعلى أن تكون الكازوزة « سباتس » !!

وكان المرحوم والد أم كلثوم يعرف أمر هذا الشرط ، فلما أعيته الحيلة فى ايجاد الوسيلة التى يثبت بها مكانة ابنته وأنها أصبحت هى والشيخ حسن جابر رأس برأس .. فكر فى أن يضع فى عقد اتفاق لحفلات سومه مثل هذا الشرط ويلزم أصحاب الفرح أن يقدموا اليها زجاجات الكازوزة تشربها هنيئا مريئا دون أن تدفع ثمنها ، ودون أن يخصم ذلك من الاجر المتفق عليه ..

ونذكر هنا للحقيقة والتاريخ أن أول حفلة وضع فى عقد الاتفاق عليها هذا النص كانت حفلة اقيمت فى بلدة « شبراويش » مركز أجا .

ومن يومها اصبح من حق سومه أن تنعم بشرب ماشاءت من الكازوزة مجانا .. وعلى حساب أصحاب الفرح ، ومن يومها أصبحت ـ بنص العقد ـ هى والشيخ حسن جابر سواء بسواء ..

ولافيش حد أحسن من حد ...

وكان هذا هو المطلوب ... أما الكازوزة وشرب الكازوزة فكانت وسيلة لاغاية وفيما يلى أحد العقود التى وقعها الشيخ ابراهيم والد أم كلثوم :

فى تاريخه أدناه اتفقت الموقع اسمى بخطى فيه أدناه ابراهيم السيد من طماى مركز السنبلاوين دقهلية مع احمد اسماعيل من الكوم الطويل مركز كفر الشيخ غربية عن حضورى مع كريمتى السيدة أم كلثوم لتلاوة القصة الشريفة النبوية والحضور هو يوم الجمعة ٤ ذو الحجة سنة ١٣٣٨ ليلة الجمعة ٥ منه على مقاولة قدرها مبلغ ٩٥٠ تسعمائه وخمسون قرش صاغ ميرى وصلنا عربون مبلغ ٤٠٠ اربعمائة قرش صاغ ميرى وباقى لنا طرف المذكور مبلغ ٥٥٠ خمسمائة وخمسون قرش صاغ ميرى وقد تحررت هذه شروطا بذلك

المقر بما فيه كاتبه

احمد اسماعيل

ابراهيم السيد

من كوم الطويل غربية

طماى

ويكتب ناقد قديم فى مذكراته ـ وهو بلا جدال الاستاذ محمد على حماد ـ فى العدد ١٤٨ عن الخروج من الجنة ، والانسه أم كلثوم فيقول :

فى مساء أحد الأيام ـ منذ كم من السنين كان ذلك لست أدرى ؟ ! ـ كنت على موعد مع فنانة معروفة لأخذ منها حديثا للصحيفة التى أعمل فيها .

أثناء الطريق كنت أتسلى بقراءة كتاب انجليزى من قلم منجمة فرنسية مشهورة ، ولست أدرى لم استوقفت نظرى هذه العبارة أثناء القراءة :

ـ لاتزر سيدة يوم الثلاثاء إذا كنت حريصاً على ألا يحدث بينكما خصام أو شقاق خصوصاً إذا كانت ممثلة أو مغنية ..

وضحكت من سخف هذه النصيحة وساءلت نفسى ماالعلاقة بين يوم الثلاثاء المسكين والسيدات ؟ أليس هو يوما من أيام الاسبوع كبقية اخواته الست ؟ !

ولم يطل بى التفكير لأن التاكسى وقف فجأة على باب المنزل .. فاقفلت الكتاب ودخلت .

وكانت الفنانة الكبيرة فى انتظارى على أحر من الجمر .... لاشوقا إلى طلعتى البهية أو تلهفا على رؤية شخصى الضعيف بل لأنها كانت مرتبطة بموعد هام يستدعى مبارحتها المنزل وكنت حضرتى قد تأخرت مايزيد على نصف ساعة جريا على عادتى المحبوبة كلما كان لدى عمل هام يتطلب شيئا من النشاط والهمة .

لم يتسع الوقت اذا للحديث وتركت الاسئلة التى أعددتها على أن تجيب الفنانة الكبيرة عليها كتابة ، وقد فضلت هى هذه الطريقة لا بسبب ضيق الوقت فقط بل أيضاً لأنه كان بين الأسئلة سؤال تتطلب الاجابة عليه كثيراً من الدقة والحذر لأنه يمس موضوعا خطيراً خصوصا إذا كانت المتحدثة سيدة أولا وفنانة كبيرة لها مقامها الأدبى والاجتماعى ثانياً .

وبعد يومين واذا بالتليفون يدق والفنانة الكبيرة ـ ولنرمز اليها بحرف « س » ـ تقول لى فى دعابة حلوة :

ـ ما وحشتكشى قهوتنا ؟ احنا طحنا رطل بن جديد ؟

وكان ذلك بمثابة دعوة كريمة لزيارتها لتسلم الاجابات على الأسئلة التى تركتها ..

وذهبت وشربت قدح القهوة المعطر واستلمت الاجابات ونشرتها .. ولكن شاءت المهنة الملعونة أن اضيف مقدمة طويلة ما أنزل الله بها من سلطان على اجابة الفنانة الكبيرة حول ذلك الموضوع الخطير الذى أشرت اليه !!

ونشر الحديث ومضت أيام وإذا بمن يبلغنى ان الآنسة « س » غاضبة وغضباً شديداً . بسبب هذه المقدمة الملعونة التى أضفتها دون استئذان بل حتى دون أن أطلعها عليها .

وتصبب العرق من الجبين . « لم » يكن من المستطاع عمل أى شىء فما نشر قد نشر وطالعه ألوف القراء وفات وقت الاصلاح او التغيير .

واستنجدت بالتليفون .. ولكن فى كل مرة كانت الآنسة « س » خارج المنزل .. أو

نائمة .. أو غير موجودة .. إلى آخر هذه السلسة من الاعذار التى يفهم منها أى حمار ان الحديث معه شيء غير مرغوب فيه بأى حال من الاحوال .

إذا .. لقد كان صحيحاً ما بلغنى عن غضبها ؟ ! ويلاه ماحيلتى ويلاه ماعملى !!

كان على ان أتدبر أول فرصة لأقابلها فى أى مكان وأى زمان لأنهى الأمر وأرجع المياه إلى مجاريها بأسرع مايمكن ، ومن حسن الحظ انها كانت مدعوة للاشتراك فى احدى الحفلات العامة فى نفس الأسبوع ، وكانت الحفلة فى مسرح معروف ، وصفتنا الصحفية تفتح أمامنا الأبواب المغلقة ، فلم يكن من العسير علىَّ إذن أن أصعد اليها فى المسرح وأحادثها . ولمحتها خارجة من المسرح فهجمت وعلى فمى ابتسامة من النوع الساحر أدخرها دائما لمثل هذه المواقف العصيبة ، وحييتها فردت التحية بأحسن منها وصعد قلبى من كعب الحذاء إلى مكانه المعهود ، وأخذنا طول فترة الاستراحة نتحدث أعذب الأحاديث وكانت فرحة متهللة تبتسم وتضحك كالطفل الغرير وظننت انى كسبت الموقعة وان مابلغنى لم يكن صحيحاً أو على الأقل كان مبالغا فيه .

ونوديت لتدخل المسرح ثانياً فجمعت أطراف شجاعتى المبعثرة وقلت والابتسامة الساحرة على فمى ..

ـ أنا وحشتنى قهوتكم ..

وأجابت :

ـ لسه ماطحناش البن ..

وأسرعت بالدخول إلى المسرح ... وأحسست بلوح من الثلج ينزلق فى ظهرى !

وتشاء الصدف أن أقابلها بعد ٢٤ ساعة فى حفل عام آخر وأصررت من ناحيتى على « ان قهوتكم وحشانى قوى » وأصرت من ناحيتها على « أنهم لسه ماطحنوش البن » وإن كانت بهذا الاصرار قد طحنت عظامى أنا !!

لقد كان عزاء آدم عندما خرج من الجنة أن حواء كانت هى السبب أولا وأنها خرجت معه ثانيا ، أما أنا فلم يكن لى حتى هذا العزاء فقد كنت أنا الذى أخرجت نفسى من الجنة أولا ، وخرجت وحدى ثانيا !!

وعدت إلى المنزل كاسف البال ، كسير الخاطر ، ولست أدرى أية مصادفة جعلت كتاب المنجمة الذى اشرت اليه أول شيء يقع عليه نظرى بمجرد دخولى غرفة النوم وكان على المائدة التى بجوار السرير والتى أضع عليها بعض الكتب لأقرأها فى هدوء الليل وأنا متمدد على الفراش .

ومددت يدى وفتحت الكتاب وإذا بى أطالع تلك الجملة .

ـ لاتزر سيدة يوم الثلاثاء إذا كنت حريصا على الا يحدث بينكما خصام أو شقاق خصوصا إذا كانت ممثلة أو مغنية ..

وكدت أمر على هذه الجملة مر الكرام ولكن فجأة قفزت إلى رأسى فكرة ، فقفزت من السرير وهرولت إلى مفكرتى الصغيرة التى أسجل فيها مواعيدى ، وراجعتها بسرعة وإذا باليوم الذى زرت فيه الآنسة « س » لآخذ الحديث كان يوم ثلاثاء !!

ولعنت أيام الثلاثاء كلها من عهد آدم إلى اليوم ، ولعنت المنجمين ولو صدقوا .

ومن يومها حرصت على الا أزور سيدة ـ خصوصاً إذا كانت ممثلة أو مغنية ـ فى يوم ثلاثاء ولو كان آخر ثلاثاء فى الدنيا كلها ، بل ولو كان آخر يوم من أيام حياتى الغالية .

ويكتب الناقد الفنى فى نفس الصفحات عن ام كلثوم قائلا :

كانت الأولى فى حفلة كلية الطب بمسرح حديقة الازبكية ، وكانت الثانية فى حفلة كلية الآداب بمسرح الاوبرا ، وكان جمهور الحفلتين من الشباب الناهض ، وإن كان هذا اللقب فى حاجة إلى تعديل خصوصاً بعد هاتين الحفلتين إذ أثبت شبابنا ان لقب « ناهض » لقب متواضع بالنسبة اليه ومن حقه أن يسمى بالشباب الصارخ الزاعق الضاجج ..

كانت كل حفلة أشبه بحمّام بلا ميّه .. كما يقول المثل البلدى الظريف ، وكانت الفوضى ضاربة أطنابها ، وكانت الضجة أيضاً ضاربة أطنابها ، وقد حدث فى حفلة كلية الآداب حادث يؤسف له ـ راجع أخبار المسارح من فضلك ـ وتوقف التمثيل دقائق .

على أن هذه لحفلة كانت مثال الهدوء والوقار بالنسبة إلى حفلة كلية الطب التى كانت من أولها إلى نهايتها أشبه بمظاهرة حارة من مظاهرات موديل سنة ١٩١٩ ، فلم تكن سومة تكاد تلقى حركة من حركات الغناء قد لا تستغرق أكثر من دقيقة ، حتى يعلو الهتاف والتصفيق والزعيق والضجيج من كل ناحية ويستمر ١٠ دقائق أو أكثر .

وفى هذه الأثناء يسكت التخت عن العزف وتقف سومة صامتة حتى تهدأ أعصاب الشباب الثائر فتعود وتلقى حركة أخرى وإذا بنفس الضجة ونفس الصريخ .. كأنه شريط ماركونى المسجل !!

وكانت سومة يومها مريضة متعبة وقد نصح لها الاطباء بملازمة الفراش ، رغم أنها حفلة كلية الطب !! ولكن سومة أصرت على الحضور والغناء ـ راجع برضه أخبار

المسارح من فضلك ـ وكنت بين المتفرجين وخيل إلىّ أن سومة ستترك المسرح وتنصرف لانه من العبث الغناء وسط هذه العواصف والاعاصير ، هذا فوق ماهى فيه من ضعف وألم وتوعك الصحة ، ولكنها ثبتت كالطود الشامخ واستمرت فى غنائها حتى أكملته على أحسن مايكون ، بل تعد هذه الحفلة من أحسن حفلات سومة ..

وكذلك ثبتت لكلية الآداب فى اليوم التالى وأنشدت نشيد عيد الجلوس الجديد ، بقوة وحرارة كأحسن ماعرف منها فى لياليها الزاهرة وكانت لاتزال متوعكة الصحة .

وآمنت بان لسومة أعصابا من حديد ..

وحول انشاء ايطاليا لمحطة اذاعة عربية فى مدينة بارى تنشر اخر ساعة (العدد ١٧٦) موضوعا عن أم كلثوم بين السنيور موسولينى ، والأسد البريطانى :

يعرف القراء فيما يطالعونه فى الصحف ، بل ومما يجرى أحيانا من مناقشات فى مجلس العموم البريطانى ، أن الحكومة الايطالية أنشأت محطة اذاعة لاسلكية – هى محطة « بارى » – ومهمتها الوحيدة هى عكننة مزاج الإمبراطورية البريطانية بنشر أسوأ الدعايات عن الاستعمار البريطانى .

والغرض الاول الذى ترمى اليه الحكومة الايطالية من نشر هذه الدعاية هو تشويه سمعة الحكومة الانجليزية فى الاقطار العربية واثارة الأحقاد والضغائن فى نفوس الناطقين بالضاد ضد الأسد البريطانى ، ولهذا اختارت محطة « بارى » اللغة العربية لنشر هذه الدعايات البريئة ! ..

وتشويقا للمستمعين ، وحتى لايكون البرنامج العربى لمحطة « بارى » برنامجا سياسيا جافا يمله الناس فلا يصغون اليه ، تضمن البرنامج المذاع بعض الاغانى الشرقية والقطع الموسيقية إلى جانب مافيه من أخبار ودعايات سياسية .

واعترف للمشرفين على هذا العمل ببعد النظر وسعة الحيلة .

والظاهر ان أصدقاءنا الفاشست أرادوا أن يجذبوا الانظار نحو البرنامج العربى المذاع من محطة « بارى » أكثر من ذى قبل ، وأن يضمنوا أن يصغى اليه الشرق العربى أجمع ، فرأوا أن تشمل اذاعتهم أكبر عدد ممكن وأوسع دائرة ممكنة ...

من أيام .. وصل إلى الآنسة أم كلثوم خطاب من السلطات الايطالية يعرض عليها فيه احياء ١٥ ليلة فى محطة الاذاعة المذكورة والمطلوب الرد برجوع البريد بدوح ٧٦٤٢ :

والمفهوم أن أغانى سومة ستذاع باللاسلكى عن طريق محطة « بارى » وضمن برنامج الدعاية العربى الذى تذيعه المحطة ، فيقف المذيع – مثلا – يتحدث عن آخر فظائع الاستعمار البريطانى فى مدينة كسرى مثلا ـ برضه – قائلا :– لقد قتل الانجليز

١٠٠ وذبحوا ٥٠٠ وجرحوا ٤٠٠٠ والآن آلو ... آلو ... تسمعون « يافايتنى وأنا روحى معاك » للآنسة أم كلثوم .

وقد أجابت سومة على الخطاب وطلبت مبلغ ٣٠٠ جنيه عن الحفلة الواحدة والمجموع ٤٥٠٠ عن الحفلات المطلوبة والمذكورة أعلاه .. هذا طبعا بخلاف مصاريف الانتقال ذهابا وإيابا ومصاريف الاقامة هناك لها ولأفراد التخت .

والرد الآن على روما العزيزة .

والظاهر ان الامر لن يقتصر على الآنسة ام كلثوم وحدها بل سيشمل كثيرا وكثيرات غيرها .

بل ولن يقتصر الامر على اهل الطرب ذكورا وإناثا فقد اتصل بنا ان مقرئى مصر سيكون لهم نصيب كبير فى برنامج الاذاعة الايطالى ليتلوا القرآن الكريم فى محطة « بارى » المذكورة ، وقد يطلب منهم ايضا تلاوة « آية الكرسى » على الاسد البريطانى .

وقد علمنا أن الاتفاق تم فعلا بين السلطات الايطالية وبين المقرىء الشهير الشيخ محمد رفعت .

أما اتفاق الآنسة أم كلثوم فلا يزال موضع الاخذ والرد حتى الآن .

ومن الصفحات الفنية فى اخر ساعة التابعى نقرأ مقالا للاستاذ محمد عبد الوهاب فى العدد ٢٢٣ بعنوان : لما غنيت فى حضرة صاحب الجلالة الملكة نازلى وقد جاء فى المقال :

أنا أسافر الى أوروبا للاستشفاء فلا أفكر فى إقامة الأفراح والليالى الملاح ، ولا أصحب معى من أدوات الطرب سوى « العود » ، لأننى أحب فى بعض الأحيان أن أغنى لنفسى ، وأسعد ساعاتى هى التى أجلس وحدى أدندن لنفسى وأداعب أوتار العود ...

ثم أنا لا أحمل فى حقائبى السموكن والفراك ، لأننى أكرههما ، ولاننى أشعر أن ضغط الياقة المنشاة على رقبتى مثل ضغط المشنقة على رقبة المحكوم عليه بالاعدام .. ولهذا لا أحمل معى فى السفر سوى الملابس الخفيفة البيضاء ، وأغمق بدلة عندى هى بدلة كحلى مسخسخ :

وقد سافرت على الباخرة النيل للاستشفاء ، ولم أكن أنتظر أن أنال شرف الغناء فى حضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلى ..

وقبل وصولنا إلى جنوة جاءنى الاستاذ محمود ابو الفتح أحد أصحاب جريدة المصرى وقال لى إن معالى حسين سرى باشا وزير الاشغال يريد مقابلتك ...

وقال يومها خبيث إن معالى وزير الاشغال يريد أن يحدثنى فى شئون الفيضان ، وإن وزارة الأشغال تريد أن تستعير منى أغنية « النيل نجاشى حليوه أسمر » حتى تهدىء من ثورة النيل الغاضب فى تلك الايام ..

وذهبت وقابلت معالى وزير الأشغال فقال لى معاليه إنه ستقام حفلة ساهرة على ظهر الباخرة ، تشرفها جلالة الملكة نازلى والاميرات وطلب منى أن ألقى قطعة فيها .

وتذكرت أننى لم أحضر معى بدلة تليق كالفراك ، أو السموكن أو الردنجوت أو البنجور .. ولاحتى بدلة سوداء :

وضربت لخمة ... وقلت لمعالى الوزير أن ليس لدى بدلة رسمية فما العمل ؟

وأجاب معالى الوزير : معلهش ...

وقبل الحفلة ، خلوت بنفسى ، كما هى عادتى ، وقلت للقائمين بالحفلة أن يخبرونى قبل ابتداء دورى بعشر دقائق .

وجاء دورى ودخلت الى مكان الحفلة ببدلة كحلى مسخسخ : وكنت فى غاية الخجل والكسوف ، فقد شاءت الظروف القاهرة أن أغنى فى حضرة جلالة الملكة وأنا ببدلة كحلى مسخسخة بينما أن تعودت أن أرتدى السموكن فى فرح المعلم محمد دقدق الجزار أو فى زفة محمد كعب الغزال كاتب محكمة أخميم ! ..

وزاد كسوفى ان جميع الركاب كانوا بملابس السهرة ، وحتى الجرسونات ارتدوا السموكن ، وأنا الوحيد الذى بقيت خارجا على النظام والبروتوكول !

وزاد ارتباكى أننى لم أحضر معى سوى العود ، أما باقى التخت فلم يكن معى. وأنا لا أغنى فى الحفلات العامة إلا ومعى تختى العزيز ... ما العمل إذن ...

قلت لنفسى : فلتغن لنفسك وكأنه ليس فى الغرفة سواك !

وخلعت نظارتى ، ونظارتى لها خمسون فى المائة من اجادتى للغناء ، لأننى إذا خلعتها لا أرى إلا على بعد خمسة أو ستة أمتار فقط فعندئذ أتخيل ما يهىء لى جو الأغنية التى أنشدها ..

خلعت نظارتى وبدأت أغنى ...

والناس صامتون فى حضرة صاحبة الجلالة ، وزاد فى سكرتهم أن أغلبهم من الافرنج ، عندئذ بدأت أعزف على العود ، وإذا بأحد الجالسين يطلب « واحد قهوة مضبوط وآخر يطلب « كباية ميه بارده » !

وعندئذ توقفت عن الغناء لأنى لا أحب الغناء إلا فى الهدوء والسكون ...

وتنبه الدكتور ابراهيم شوقى إلى ما أشعر به ووقف ونبه الحضور إلى مزاجى الذى يتعكر بالمقاطعة والضجيج .

وعاد السكوت والهدوء ، وغنيت أنشودة عندما يأتى المساء ولا أقول إننى أجدت أو أن فلانا قال كذا أو كيت لأن هذا يعتبر من دلائل المديح والاطراء فى النفس ، ومادح نفسه يقرؤك السلام !

ثم جاء معالى حسين سرى باشا إلىَّ وقال :

ـ فيه حاجة اسمها يا وابور قوللى رايح على فين ! ... فقلت : نعم !

فقال : اظن مفيش مناسبة أحسن من دى لتغنى هذه الانشودة !

وغنيت يا وابور قوللى رايح على فين .. ياوابور قوللى وسافرت منين ! ..

وكان الأجانب مندهشين كيف أسأل مثل هذا السؤال والناس كلها تعرف أن « وابور النيل » جاى من الاسكندريةورايح جنوه ومارسيليا !

ومن الذكريات اللطيفة التى اهتمت بها آخر ساعة ما قالته السيدة منيرة المهدية ، وكان تحت عنوان : أيام كان مجلس الوزراء ينعقد فى دارى نشرت آخر ساعة العدد (٢٠٩) لا وقدمت اخر ساعة للمقال بالكلمة التالية :

تعتبر السيدة منيرة المهدية صفحة من أطلى وأبهج صفحات تاريخ فن الغناء فى مصر ، ولقد كانت السيدة منيرة أول مطربة سمت بفن الغناء إلى الحد الذى استطاعت معه ان تفرض على الناس احترامها واحترام فنها الجميل .

ولقد كان « صالونها » فى وقت ما ندوة يلتقى فيها كبراء البلد وعظماؤه ، بل لم يكن سراً مجهولا أثناء سنى الحرب العظمى أن فى صالون السيدة منيرة المهدية بدارها فى مصر الجديدة كان يلتقى المغفور له حسين رشدى باشا رئيس الوزراء بزملائه الوزراء ، وكثيراً ما بحثوا فى مشاكل تلك الأيام السياسية فى الصالون المذكور حول مائدة اللعب أو مائدة الشراب ..

ولقد رجونا سلطانة الطرب أن تكتب لنا مقالا تتحدث فيه عن بعض الذين عرفتهم من عظماء مصر فتفضلت وكتبت لنا المقال الآتى :

لست أذكر متى وأين كانت المرة الاولى التى التقيت فيها بالمغفور له حسين رشدى باشا ، ولكنى أذكر أننى عرفته وهو رئيس مجلس الوزراء ...

وكان رشدى باشا مثقفا ثقافة فرنسية ، وقد قال لى مرة إنه مكث فى شبابه سبعة عشر عاما فى باريس ، ولكنه مع هذا كان يحب الغناء العربى ، وكثيراً ما كان يحضر الرواية الواحدة خمس مرات أو ستا ...

وكثيرا ما دخل المسرح بين الفصول ، وزارنى فى غرفتى فى المسرح ليشجعنى بكلمة أو يداعبنى بنكتة أو يهمس فى أذنى الممثل الفلانى دمه ثقيل ! ...

وأقمت مرة حفلة خاصة فى دارى بمصر الجديدة ، ودعوت رشدى باشا بين من دعوت ، ويظهر أنه أحب سهراتى ، أو لعله أعجب بروح المرح والسرور التى تسودها فأصبح يزورنى باستمرار ...

وكان رشدى باشا لايحضر منفرداً ، بل كثيراً ما كان يصحبه ثلاثة أو أربعة من زملائه الوزراء ، وأحيانا كان يحضر ومعه الوزراء جميعهم وكان يضحك ويقول :
ـ آدينى جايب لك مجلس الوزراء بحالة ! ..

وقد صادفت رشدى باشا أزمات سياسية كثيرة ، بل لا أعتقد أن هناك رئيس وزراء تعب كما كان يتعب رشدى باشا فى تلك الايام فكان يخرج من عمله وهو فى حالة عصبية مؤلمة ، مضعضع الحواس ، مشتت الفكر ، منهوك القوى !

وكنت أراه على هذه الحالة فأداعبه وأحاول أن أسرى عن نفسه ، وسرعان ما أرى الابتسامة على شفتيه ، وأسمع ضحكته الرنانة تعلو فى جوانب الصالون ! ...

وكم من مرة تعقدت الأمور ، وتحرج الموقف السياسى ، فكان رشدى باشا يجتمع بوزرائه فى بيتى ، يتباحثون ويتناقشون ، ثم يجدون حلا لمأزق سياسى أو يتخذون قراراً خطيراً فى سياسة مصر ومستقبلها ..

ولو فكر يومها صحافى فى أن يسترق السمع من وراء صالونى لعرف أسرار البلد « ولكن احدا لم يدر بخاطره يومها أن مجلس الوزراء ينعقد فى منزل المغنية منيرة المهدية !

وكان رشدى باشا يقول لى :
ـ لما آجى عندك بالى يروق .. ومخى يستريح .. وألاقى أفكار جديدة وحلول كويسة .. أنا من بكره لازم أجيب مكتبى هنا !! ..
وكنت أنا أضحك وأقول له :
ـ طيب ما تعملنى وزيرة معاك ! ... فكان يقول لى وهو جاد :
ـ تعرفى يامنيرة ... انت تقدرى تبلفى الانجليز عال .. يمكن غنوة منك تجيب الاستقلال التام ! ...

وسمعه ثروت باشا يقول هذا مرة فقاطعه قائلا :
ـ بالعكس يا باشا .. يمكن الانجليز يسمعوها وتعجبهم فيقعدوا فى مصر على طول !!

واذكر مرة أننى كنت أمثل رواية مارك أنطونى وكليوبترا ، وكنت أنا أمثل كليوبترا ، وكان يمثل دور أنطونى الاستاذ محمد عبد الوهاب .

وكنت يوما جالسة فى غرفتى بالمسرح واذا برشدى باشا يدخلها بلا استئذان ! .. وكان رشدى باشا يصيح :

ـ إيه الواد المفعوص عبد الوهاب ده .. أنا أنفع فى دور أنطونى أحسن منه ! ....

وكان رشدى باشا فى ذلك الوقت رئيسا لمجلس الشيوخ فقلت له على الفور :

ـ مفيش مانع تبقى انطونى ... بس على شرط تعمل عبد الوهاب رئيس مجلس الشيوخ ! ...

وحدث مرة أن أقيم « بال ماسكيه » ـ مرقص متنكر ـ فى تياترو الكورسال .. وأعدت جوائز ثمينة لأفخر الأزياء وذهبت أنا إلى « البال » بملابس كليوبترا ومعى الجوارى والحاشية والجنود ...

وكان نظام الحفلة يقضى بأن يمر المتقدمون إلى المباراة بين صفوف المتفرجين وسط عزف الموسيقى ودقات الطبول ..

وسرت أنا بين الصفوف وورائى الجوارى والحاشية والجنود ...

وإذا بالمغفور له رشدى باشا يقفز من بين المتفرجين ويسير إلى جانبى فى الاستعراض ، ثم يأخذ بذراعى فى ذراعه ويصيح بصوت عال :

ـ أنا انطونيو الوحيد ! ...

ونلت ليلتها الجائزة الأولى ، ولا أعرف هل نلت الجائزة لأننى مثلت كليوبترا كما يجب ، أم لأن انطونى كان صاحب الدولة رئيس مجلس الشيوخ !!

وعرفت أيضاً المغفور له الفريق ابراهيم باشا فتحى وزير الحربية الأسبق ، وكان رحمه الله خفيف الظل ، سريع النكتة ، حاضر البديهة ، وكانت مجالسه كلها مجالس ضاحكة باسمة يظللها السرور والانشراح !

وكثيراً ما كان يحضر السهرات فى بيتى وقد ارتدى ملابس التشريفة وغطى صدره بعشرات المداليات والنياشين !

وكانت تقيم عندى صديقة اسمها أمينة ، وكانت مطربة قديمة ، خفيفة الروح فما تكاد ترى فتحى باشا حتى تقول له :

ـ إيه يا راجل الصفيح ده كله اللى على صدرك ده ؟ ! ..

وكان فتحى باشا يتقبل النكتة بصدر رحب ، ويشترك الاثنان فى الدعابة والهزار بين ضحك الحاضرين ...

أما المغفور له عبد الخالق ثروت باشا فكان خير « سميع » عرفته ، فقد درس طباعى وفهمنى جيداً ، وكنت استريح كثيراً إذا رأيته حاضراً فى مجلس غناء ..

وكان ثروت باشا يحب أن يسمع غنائى بين الهدوء والسكون ، بينما كان غيره يحب المرح والصياح ، وكنت أنا أتضايق من الضجة ، بل كثيراً ما كنت امتنع عن الغناء إذا سمعت نكتة خارجة أو قاطعنى أحد الجالسين أثناء الغناء !

وكان ثروت باشا يحمينى دائما ، وكان هو الذى يطلب من الحاضرين أن يسكتوا ولا يقاطعونى .. وإذا تقدم إلى واحد منهم بكأس من الخمر نهره ثروت باشا وقال له :

ـ الا تعرف أن منيرة لاتحب الخمر ! .. وكان ثروت باشا « يتنرفز » من الضجة ويكره صياح « الله .. الله » و « كمان » و« تانى » وغيرها من الالفاظ التى اعتاد الناس عندنا أن يقاطعوا بها المطربين والمطربات ...

ولكن ثروت باشا كان يتحكم فى عواطفه تحكما غريبا ، فلا أذكر اننى سمعته ينهر آخر أو يجرحه بكلمة .. بل لا أذكر اننى رأيت ثروت باشا يحتد أو يقول لأحد المقاطعين رأيه فيه بالتفصيل !!

وقد مات رشدى ، ومات ثروت ، ومات ابراهيم فتحى ، ولكن رنين ضحكاتهم فى صالونى لايزال صداه حيا لايموت !

ونختار ـ ايضا ـ بعض الموضوعات الحقيقية التى نشرتها آخر ساعة التابعى عن الفنانين والفنانات فى مصر وعن استقبال العراق للفرق المصرية بعد رحلة قامت بها السيدة فاطمة رشدى .

تنقل آخر ساعة كيفية استقبال الشعب العراقى والصحف العراقية للفرق المصرية فى العدد ١٣٧ فتقول :

كانت رحلة السيدة فاطمة رشدى الأخيرة الى العراق فضيحة لا للسيدة فاطمة وحدها بل لمصر ولفرقها التمثيلية ولسمعة الفن المصرى على الاطلاق والسبب الأول لذلك هو ضعف تكوين الفرقة واضطرار فاطمة الى جمع افرادها من بين كل من هب ودب ..

وقد كانت الرحلة من البداية الى النهاية سلسلة من الفضائح والمخازى ، ونددت الصحف العراقية بفرقة فاطمة وأصاب الرشاش سائر الفرق حتى لقد قالت احدى الصحف فى بغداد « ان غاية هذه الأجواق ابتزاز المال لا أكثر ولا أقل » فنالت بذلك من كرامة الجميع ..

وقد سبق ان نشرنا ما اتصل بنا من أخبار هذه الرحلة ، كما نشرنا كذلك رسالة بعث بها الينا احد الادباء من أهل بغداد ، واليوم نضع تحت نظر القراء كلمة كتبتها

احدى صحف العراق عن فرقة السيدة فاطمة رشدى ليروا الى اى حضيض وصلت سمعة مصر والمصريين بفضل صديقة الطلبة وسوء اختيارها لافراد فرقتها .

وهذه هى المقالة :

استقبلت البصرة من أيام فرقة ، بل استغفر الرب (جوق السيدة فاطمة رشدى) بطلة التمثيل المسرحي والسينمائى على (رمح وسيف) فاستبشر الناس وخفوا ليروا وليذوقوا طعم الفن من رسل مصر الكريمة فاذا بها صدمة قوية تلقوها بصبر وثبات وخاب ذلك الأمل وعوضا عن أن يروا فاطمة الممثلة القديرة اذا بهم أمام راقصة خليعة ، وبدلا من أن يروا الفن الصحيح والتمثيل المتقن اذا بهم امام (كمبارس) المسارح المصرية وحثالة شارع عماد الدين ، وعندها توارت من مخيلتهم فاطمة رشدى الممثلة وحلت معها فاطمة رشدى الراقصة المتاجرة باسم الفن !

ولا ندرى أى القطرين العزيزين ، هو المسكين أمصر أم العراق ؟ أما نكبة مصر بأبنائها فأشد من نكبة العراق بماليته ، وذلك لانه الى ماقبل مجىء هذا الجوق الى العراق كان ابناؤه يعتقدون واعتقادهم هذا كان فى محله من أن المنفعة المعنوية التى يجنوها والموعظة التى يتلقونها من المسرح تزيد عما يخسره العراق من أصفر رنان أما اليوم فقد انكشف الستر وبانت الحقيقة لذى عينين ، وصار ما يعتقده البعض اعتقاد الجميع من أن غاية هذه الاجواق ابتزاز المال لا اكثر ولا اقل ، والا بم تعلل جلب حضرة السيدة المصونة هذا الخليط من البشر واطلاق اسم ممثلين عليه وهم لايصلحون للعمل وراء الكواليس .

ولا نستغرب هذا الامر من (أم عزيزة) بعد أن أعلنت عن نفسها راقصة فاتنة قبل أن تذكر أنها ممثلة وقد ذكرت بمجلس خاص لاحدهم انه سيرى راقصة بارعة أثناء التمثيل .. فاذا الموعودة هى فاطمة نفسها وقد كشفت ساقيها واسدلت الخمار على وجهها واذا بها بارعة حقالا فى التمثيل بل فى الرقص .

وتصف آخر ساعة واحدة من الحفلات التى غنت فيها أم كلثوم بمناسبة عيد الميلاد الملكى فى قصر عابدين وذلك فى (العدد ١٣٧) على النحو التالى :

أقيمت يوم الخميس الاسبق فى قصر عابدين العامر حفلة ساهرة احتفاء بعيد ميلاد صاحب الجلالة الملك المحبوب ، وقد شرفها جلالة الملك وبقى الى ما بعد منتصف الليل بقليل ثم بارح القصر عائدا الى سراى القبة العامرة ..

وقد بدأت الحفلة بمقطوعة موسيقية ثم الاستاذ محمد عبد القدوس فألقى منولوجه المعروف « التلميذ العبيط » أو قصيدة السموأل ورفعت الستار بعد ذلك عن الآنسة ام كلثوم وسط افراد تختها الخاص فألقت نشيد عيد ميلاد جلالة الملك الذى

أعدته خصيصا لهذه المناسبة السعيدة ، وهو من نظم الاستاذ احمد رامى وتلحين الموسيقار رياض السنباطى ومطلعه :

اجمعى يامصر أزهار الأمانى   يوم ميلاد المليك

وقد سبق أن نشرناه على صفحات هذه المجلة من اسبوعين .

وكان يعقب ذلك حسب البرنامج الموضوع للحفلة مقطوعات اخرى ونمر مختلفة ولكن لم تكد الآنسة ام كلثوم تنتهى من نشيدها حتى صفق صاحب الجلالة الملك بيديه الكريمتين وتابعه الحضور وطلب منها ان تلقى أغنية اخرى من اغانيها المعروفة ، وازاء هذا العطف الكريم لم تجد الآنسة ام كلثوم بدا من مواصلة الغناء فالقت أغنيتها المعروفة « يا اللى ودادى صفالك » وهى من أغانى فيلم « وداد » ومن تلحين الاستاذ القصبجى .

وانتهت المقطوعة وانتظرت أم كلثوم ان ينزل الستار وتنتهى بذلك وصلتها الغنائية واذا بصاحب السعادة احمد حسنين باشا رائد صاحب الجلالة الملك يصعد الى المسرح ويبلغها رغبة مولانا جلالة الملك فى سماع نشيد الجامعة .. (أحد أناشيد فيلم نشيد الأمل) .

وكان جلالة الملك قد سمع هذا النشيد عندما شاهد فيلم « نشيد الامل » وقد عرض الفيلم أمام جلالته أثناء رحلة الصعيد وأعيد عرضه ثلاث مرات وكانت الاخيرة بناء على طلب صاحبات السمو الأميرات شقيقات جلالته .

وكان العرض فى المرات الثلاث فى قاعة السينما باليخت الملكى « قاصد خير » ..

وعلى الرغم من أن رجال الموسيقى المرافقين للآنسة أم كلثوم لم يكونوا على استعداد لعزف النشيد ، وعلى الرغم أيضا من ضرورة وجود « كورس » ليشترك معها فى الغناء ، رغم هذا كله ألقت أم كلثوم النشيد تلبية لطلب جلالة الملك وأبدعت فى القائه حتى دوت الصالة بالتصفيق مظهرا بذلك تقديره السامى وشكره لمطربة مصر وكروانها المغرد .

والى هنا كانت الآنسة أم كلثوم قد شغلت كل الوقت المخصص للقسم الأول من برنامج الحفلة وكان يتضمن كثيرا من النمر المختلفة ولم يكن لها فيه إلا وقت محدود لالقاء نشيد عيد الميلاد ، ولكنها استغرقت الوقت كله كما تقدم وتخطت البرنامج تلبية لأمر جلالة المليك واستعادته لها ، وحان بذلك موعد افتتاح المقصف الفاخر الذى أعد للمدعوين فوقف صاحب الجلالة الملك وقصد الى البوفيه وتبع جلالته سائر الموجودين .

ونزلت أم كلثوم من المسرح وذهبت الى الغرفة الخاصة التى أعدت لها لتستريح

وإذا بصاحب العزة محمد بك حسين الأمين الثانى يحضر ويستدعيها لمقابلة جلالة الملك بناء على أمر جلالته .

وحدث هنا ولا حرج عن لخمة ولبخة أم كلثوم .. وعما كان لهذه المفاجأة من أثر كبير عليها حتى لم تعد تدرى كيف تسير ولا ماذا تقول ، وسارت كالحالم تتبع محمد بك حسين حتى القاعة التى اعد فيها البوفيه ، وسارت فيها الى إن مثلت بين يدى المليك . وهنا مدجلالته يده وابتسم وهو يقول :

« أهنيك يا أفندم .. دى حاجة عظيمة جدا »

وزادت أم كلثوم ربكة على ربكة وضربت معها لخمة فى هذا الموقف الحرج وتمتمت بضع كلمات على سبيل الشكر وإن كانت لم تعرف ماذا قالت ولابماذا ردت على هذا النطق السامى الكريم من صاحب العرش ومليك البلاد .

والتفت صاحب السمو الملكى الأمير محمد على وكان على مقربة من جلالة الملك فقال لها وهو يبتسم :

– اوعى تفتكرى علشان اننا ماقلناش آه .. وكمان .. أننا لم نكن مبسوطين .. بالعكس احنا ممنونين جدا ومبسوطين خالص .

وعادت أم كلثوم الى مقصورتها الخاصة وهى لا تدرى كيف عادت من الربكة التى اصابتها إزاء كل هذا العطف السابغ وهذه الرعاية السامية .

وعقب ان غادرت أم كلثوم قاعة البوفيه التفت جلالة الملك إلى من حوله متحدثا عنها ، مثنيا عليها ، ثم قال عن أغانيها وفنها : دى حاجة تشرفنا صحيح أمام الأجانب .

وقد سمعت صاحبة الجلالة الملكة وصاحبات السمو الاميرات أغانى أم كلثوم من مقصورة خاصة أسدلت عليها الستائر الحريرية ، وقد اتصل بنا ان جلالة الملكة أبدت إعجابها بذوق الآنسة أم كلثوم فى اختيار ملابسها التى تجمع بين الحشمة والاناقة فى ذوق سليم واختيار موفق .

وفى العدد ١٤٣ من آخر ساعة حديث عن الدعاية الخاصة بالفرق الفنية المصرية ، والفنانات المصريات فتقول :

اشتهرت أمريكا بتفوق أبنائها فى طرق النشر والبروباجندة كما اشتهرت ألمانيا باللعب واليابان بكل ما هو سعره من سعر التراب !

وفى عالم الفن ضربت « هوليوود »الرقم القياسى فى الفشر والنتش وابتكار أحدث وسائل التهويش فى الدعاية لكواكبها ونجومها حتى أن إحدى الشركات السينمائية أرادت ذات مرة أن تنشر دعاية واسعة النطاق للنجمة الشهيرة « جانيت مكدونلد »

فاذاعت أن بينها وبين ولى عهد ايطاليا علاقات وطيدة من الصداقة أثارت غيرة قرينة الأمير فدعت الممثلة إلى المبارزة !

على أنه يخطىء من يظن أن « هوليوود » وحدها هى التى تنفرد بهذه المهارة فى الفشر والنخع ففى وقت من الاوقات كادت الصحف المسرحية فى مصر أن تنتزع هذه البطولة من « هوليوود » وتنفرد هى بها .

ونسوق الى القارىء على سبيل المثال بعض ما نشرته الصحف المسرحية فى مصر فى هذا الباب ومنه ما هو طريف يدل على خيال خصب لابأس به ومنه ما هو سخيف كما سترى .

كانت السيدة دولت أبيض قد انضمت الى فرقة رمسيس هى والاستاذ جورج أبيض ، وعهد اليها بتمثيل دور « كليوبترا » فى رواية بهذا الإسم أخرجتها الفرقة .

واعتنت السيدة دولت بدورها واهتمت باخراجه على أحسن ما يكون ، ومن ذلك أنها أعدت طقما كاملا من « الصيغة » من أول التاج العظيم إلى الصولجان المزدان بالجواهر إلى الخواتم المرصعة باللآلىء والزبرجد والمرجان الخ الخ .

وكانت « صيغة » فخمة فى الواقع تبهر العيون ... وشاء أحد النقاد أن ينشر دعاية لرواية « كليوبترا » ولبطلتها السيدة دولت فكتب مقالا قال فيه إن الجواهر التى تلبسها السيدة دولت فى هذا الدور ثمنها ١٠٠٠ جنيه !!

وتنبه بعض اللصوص الى المسألة فسطوا على منزل السيدة دولت وسرقوا مجوهرات كليوبترا وأبلغت السيدة دولت الخبر وكانت تمثل فى تلك الليلة رواية « عاصفة فى بيت » فلم يغم عليها أو ترقع بالصوت كما كان ينتظر إزاء خطب فادح كهذا أو مصيبة كبرى تساوى ١٠٠٠ جنيه !!

وفى محضر البوليس أثبتت السيدة دولت أن ثمن « الصيغة » يساوى بضعة جنيهات لا أكثر !!

وحدث فى احدى السنوات ان كانت فرقة رمسيس تستعد لافتتاح موسمها الجديد .

وتحدثت الصحف المسرحية عن استعداد يوسف الهائل ونشرت احداها ان من بين ما اشتراه يوسف لفرقته ١٠,٠٠٠ زوج من الأحذية .

وعلق أحدهم على هذا الخبر قائلا ان يوسف لابد وانه سيضم الى فرقته الجيش المصرى وتعداده حوالى ١٠,٠٠٠ جندى .. يعنى يدوبك عدد الأحذية الموجودة يكفيه !!

وأراد أحد الزملاء ذات مرة أن يرضى السيدة منيرة المهدية - وكان قد وقع خصام بينه وبينها بسبب لا أذكره الآن - فكتب عنها مقالا مسهبا ملؤه المدح والثناء والاطراء ، وفى ختام المقال ذكر الكاتب أن عند السيدة منيرة المهدية فرقة من « الوز » تعزف السلام الملكى !!

وكان ان زاد ما بينه وبين السيدة منيرة من نفور وخصام بفضل هذا السخف .

وفى خبر آخر نشره نفس الزميل عن السيدة منيرة المهدية ذكر فيه انها اشترت بالطو من الفراء ... ثمنه ٣ جنيه !! .

وقياسا على حكاية الوز الذى يضرب السلام الملكى ... لم يصدقه أحد ولكن الخبر كان فى هذه المرة صحيحاً .

وضاع البالطو مع الأسف بسبب الوز !!

وفى سنة ١٩٢٥ عندما عادت السيدة فتحية أحمد من سوريا بعد غيبة خمس سنوات عن مصر ، وكانت عودتها أثر الاتفاق الذى تم بينها وبين الأستاذيز نجيب الريحانى وأمين صدقى ، نشرت إحدى المجلات المسرحية أن مرتبها الشهرى الذى اتفقت عليه هو ١٧٠ جنيهاً !!

وكان رقما قياسياً لم يعرف بعد فى الوسط المسرحى فى مصر فأثار ضجة كبرى ولم يصدقه إحد ولكنه كان مع الأسف صحيحا ولكن فشر الصحف المسرحية وما تعوده الجمهور من نتشها ومعرها قلل من أهميته .

وعلى ذكر السيدة فتحية نقول إن أحد الكتاب أراد مرة أن يرضيها وكان يكتب فى أحدى المجلات المصورة بامضاء « ع » فكتب كلمة أراد أن يقول فيها إن ابناء السيدة فتحية ضربوا الرقم القياسى فى الذكاء فقال إنهم بمجرد النظر إلى أية اسطوانة غنائية يعرفون ما إذا كانت هذه الاسطوانة لوالدتهم أم لا ؟

هذا دون أن يقرأ وا ماعليها من الكتابة ، ودون أن يضعوها على الفوتغراف وسماع مافيها ... يعنى كده من بعيد لبعيد .. !!

ومن باب العلم بالشىء نذكر هنا أن اكبر ابناء السيدة فتحية فى ذلك الوقت كان فى حوالى السادسة من عمره !!

وكانت السيدة فتحية أول من ضحكت من سخف الكاتب الفاضل .

ولعل اطرف من كل هذا مانشره زميل كان متصلا باصحاب احدى دور السينما فى مصر وكانت الدار تعرض فيلما لجانيت ماكدونالد فكتب ان النجمة الشهيرة هى ابنة مستر رمزى مكدونلد وكان رئيساً للوزارة الانجليزية فى ذلك الوقت .

ولم يكد ينشر المقال حتى تحركت دار المندوب السامى وكادت تحدث مأساة لولا أن أسرع أصحاب السينما بالاعتذار والتبرؤ من المقال ونشروا تصحيحاً له فى جميع الجرائد العربية والافرنكية ، كلفهم عشرات الجنيهات .

وهكذا لم تنفرد « هوليوود » بالنتش وكدنا ننافسها فى ذلك غير أن نتشها معقول ومنظم وتبدو عليه مسحة الحقيقة ، أما نتشنا فقد قدمت لك عينة منه !! واقرأ المقال من الأول .

وعن بعض الحوادث الطريفة أثناء تصوير الافلام تقول آخر ساعة (العدد ١٤٤) .

من بين مناظر فيلم « وداد » لبطلته الآنسة أم كلثوم منظر المأدبة الفخمة التى يقيمها « باهر » فى قصره ، وأعدت الموائد وصفت عليها الأوازى والدجاج وأطباق الفتة والفاكهة وكل ماتشتهيه الانفس من أفخر أنواع المأكولات والمشروبات ، ولكى يكون المنظر طبيعياً اضطر المخرج الى ارجاء التقاط المنظر حتى آذان المغرب ليستطيع المدعوون من « الكومبارس » ومن احفاد ابن حنبل أن يأكلوا حقيقة ، وكان اليوم من أيام رمضان المكرم .

وبمجرد حلول ميعاد الإفطار أديرت « الكاميرا » وبين طرفة عين وانتباهتها .. كان حضرات المدعوين قد أتوا على مافوق الموائد من أصناف الطعام بسرعة الاكسبريس ووقفت « الكاميرا » ولما أريد التقاط المنظر مرة ثانية لم يكن فوق الموائد إلا أكوام من العظام وقشر الموز والفاكهة فلم يكن هناك بد من إرجاء التصوير إلى اليوم التالى بعد هذا الانتظار الطويل وبعد أن صرفت أجور حضرات المدعوين الفجعانين !!

وحدث فى مرة أخرى أن اجتمع ممثلو الفيلم وعدد من « الكومبارس » يزيد على المائتين واستعد الجميع للعمل ، وبعد عمل « الماكياج » لهذا الجمع الغفير والاستعداد وتهيئة الأنوار مما استغرق ساعات طويلة ، بعد هذا جاء دور بطلة الفيلم الآنسة أم كلثوم للوقوف أمام « الكاميرا » وإذا بطرحة من « التل » الاسيوطى ظهرت بها سومة فى منظر سابق مرتبط بالمنظر الذى سيلتقط قد اختفت .

ودار البحث والتحرى عن الطرحة وأخيراً اتضح أنها فصلت سروالا لإحدى الراقصات .. ودار البحث من جديد عن طرحة مشابهة للفقيدة العزيزة وأخيراً وجدوا شبيها لها فى « خان الخليلى » ولم يبدأ العمل بسبب هذا التأخير إلا فى الساعة الخامسة بعد الظهر ، وفى خلال ذلك كان ممثلو الفيلم وممثلاته والحاشية والاتباع .. كان الجميع يلهجون بالدعاء على من كان السبب فى هذا التأخير وفى تعطيلهم ساعات طويلة دون فائدة .

ومن أطرف ماحدث أثناء العمل فى فيلم « نشيد الأمل » فى مشهد بين الآنسة أم كلثوم بطلة الفيلم وبين الأستاذ عباس فارس حيث تقع بينهما مشادة كبيرة فيمسكها من يديها ويوقعها فى الأرض ، حدث أن اندمج عباس فى التمثيل وأمسك بيدى سومة بشدة حتى صرخت من الألم حقا ، وبدل أن تقول له « يا سافل » « يامجرم » كما جاء فى دورها قالت له عفوا « يا ابن الكلب » ولم يستطع عباس كبح الضحك الذى غالبه فقال « لاياستى .. ابن الكلب دى مش فى الكونتراتو » .

وفى آحد مناظر فيلم « دموع الحب » يجلس الأستاذ عبدالوهاب بطل الفيلم مع الممثلة التى كانت تقوم بدور « نوال » ـ واسمها نجاة إذا لم تخنى الذاكرة ـ فى قارب فى النيل يبثها حبه وغرامه فى مشهد شعرى بديع بين الأزهار والورود وجمال الطبيعة الفاتن .

وأثناء التقاط المنظر لمح عبدالوهاب « جرادة » تطير على مقربة ، فترك « نوال » والشعر والخيال والطرب وقذف بنفسه فى النيل هربا من الجرادة ...

وعبدالوهاب على فكرة يخاف من الجراد كما أخاف أنا وأنت من الاسد المفترس .

وأعيد التقاط المنظر من جديد ولكن بعد أن وضعت نطاقات من الحراس حول عبدالوهاب وبأيديهم المنشات الخوص الطويلة لطرد الأعداء ... أى الجراد ومنعه من الاقتراب .

ووقعت أثناء التقاط فيلم « ليلى بنت الصحراء » للسيدة بهيجة حافظ كثير من الحوادث التى عطلت العمل وأخرت اخراج الفيلم وقتا طويلا وكلفت أصحاب الفيلم نفقات طائلة دون مبرر .

وحدث ذات مرة أن اجتمع الممثلون والممثلات و« الكومبارس » فى الصحراء الواقعة على مقربة من الهرم لالتقاط أحد المشاهد وبعد الاستعداد وتهيئة « الكاميرا » وعمل الماكياج لهذا العدد الكبير من « الكومبارس » والممثلين وإلباسهم لبسهم التاريخى ، بعد هذا غابت الشمس فجأة وتوارت خلف السحاب وجلس الجميع فى انتظار سطوع الشمس ، ومضت ساعة واثنتان وثلاثة والشمس تأبى الظهور وأخيرا تقرر ارجاء العمل لليوم التالى رغم المجهود والنفقات التى بذلت .

ولم يكد الممثلون والكومبارس يخلعون ملابسهم ويزيلون الماكياج وينصرفون حتى سطعت الشمس فجأة !!

ولم يكن من المستطاع الاستعداد مرة ثانية وأرجىء العمل رغم الجميع بسبب دلال الشمس وبغددتها .

وحدث فى اخراج فليم « المعلم بحبح » ان اتفق أصحاب الفيلم مع أحد باعة اللبن

على أن يورد لهم عدداً من سلاطين اللبن الزبادى لضرورة ذلك فى أحد المشاهد ..
وكان هذا المشهد يلتقط فى أرض سموحة بعيداً عن العمار وعن الأنظاركمان .

واستقل الممثلون والممثلات سيارة كبيرة من سيارات الأمنبوس إلى المكان الذى سيلتقط فيه الفيلم ، واستقل المصورون بآلاتهم وعددهم وحاشيتهم سيارة أخرى .. ووصلوا إلى المكان المطلوب فلم يجدوا بائع اللبن كما كان الاتفاق . وانتظر الجميع قدوم البائع النشيط ولكن حضرته لم يصل ، ولم يكن من المستطاع احضار السلاطين المطلوبة لبعد المكان ، وطال الانتظار ساعات وأخيراً عاد الجميع وأرجىء العمل لليوم التالى بسبب تأخير حضرة النشيط بائع اللبن !!

وعن العصبية فى التمثيل تقول آخر ساعة (العدد ١٥١)

كان الاستاذ جورج أبيض يمثل فى تلك الليلة رواية « شارل السادس »وكان صاحب الجلالة ـ شارل ـ مجنون أو شبه مجنون ، وحدث ان كنت على المسرح قبل دخول الاستاذ جورج فى أحد المشاهد واقتربت منه لأحدثه ، فرأيته كالنحلة يلف ويدور حول نفسه ويتمتم بعبارات غريبة ، واقتربت أيضاً والتفت ناحيتى فى تلك اللحظة وإذا بالشرر يتطاير من عينيه وهو يهدر كالجمل الهائج .

وأسرعت بالزوغان مرجئا الحديث إلى فرصة أخرى .. وقصصت الحكاية على أحد الأصدقاء من الممثلين فضحك وقال ان هذه عادة الاستاذ أبيض كلما هم بدخول المسرح فى مشهد من المشاهد التى تتطلب الانفعال والغضب والثورة كالمشهد الذى كان على وشك أن يمثله ، وهو بهذا يستعد للظهور أمام الجمهور ثائراً عنيفاً كما يتطلب ذلك الدور ، وحتى يجىء التمثيل طبيعياً لا تكلف فيه .

وكل من يعرف الاستاذ أبيض يعرف أنه يكون فى خير لياليه تمثيلا واجادة كلما كان أكثر غضباً وعصبية ، وفى كثير من الظروف يعمد زملاء الاستاذ إلى إثارته حتى يضمنوا لأنفسهم وللمتفرجين ليلة من ليالى جورج الخالدة .

وحدث فى مرة من المرات ان فرقة الاستاذ أبيض كانت فى رحلة فى الوجه البحرى ثم وصلت إلى القاهرة ظهراً وكان عليها أن تمثل فى المساء رواية « أوديب الملك » ولم يكد يقترب موعد التمثيل حتى كانت الصالة قد اكتظت بمئات المتفرجين ، ومر وقت رفع الستار ولكنها لم ترفع ولم يبدأ التمثيل ..

وضج الناس وتعالى تصفيقهم من كل جانب ، ومرت العاشرة والنصف والستار لم ترفع وكادت ثورة الناس تحدث مالا تحمد عقباه ..

وكان السبب فى هذا التأخير ان ملابس الفرقة ـ ومن بينها ملابس رواية أوديب ـ لم تكن قد وصلت بعد من محطة السكة الحديد .

وكانت ثورة الاستاذ أبيض فى داخل المسرح لا تقل عن ثورة الجمهور خارجه ، وفى الحادية عشرة تماما وصلت الملابس وبعد قليل رفعت الستار وسط الضجيج والهتافات العدائية من المتفرجين ..

ومرت دقائق ثم ظهر الاستاذ أبيض على المسرح وبدأ يلقى كلماته الأولى وكانت ثورة الجمهور قد بلغت أشدها ، ولكن لم تمض دقيقة أو دقيقتان حتى ملك فناننا القدير زمام الجمهور وإذا بالسكون يغمر الصالة ومضى جورج الخالد فى تمثيله حتى

انتهى الفصل واذا بالتصفيق والهتافات الودية تعلو من كل جانب ، وترفع الستار اكثر من خمس مرات .

ويقول الذين شاهدوا تلك الليلة ان جورج لم يبلغ قمة مجده الفنى كما بلغها ذلك المساء وهذا بفضل ما كان عليه من الغضب الشديد والثورة البالغة بسبب تأخير الملابس وما ترتب على ذلك من تعطيل العمل وغضب الجمهور ...

وحدث فى مرة اخرى ان كانت فرقة الاستاذ ابيض فى مدينة الزقازيق وكانت تمثل رواية « مضحك الملك » وقبيل موعد رفع الستار بقليل اضرب اكثر ممثلو الفرقة عن العمل لاختلاف وقع بينهم وبين الاستاذ ابيض ، وكانوا يتوقعون ان يلغى الاستاذ الحفلة ولكنه اصر على العمل مع البقية الباقية الذين ظلوا على ولائهم القديم له .

ووزعت ادوار الرواية على الاقلية الموجودة ونال كل ممثل دورين او ثلاث وفطن الجمهور الى هذا فكان لايفتأ يبدى امتعاضه وزاد ذلك فى ارتباك الممثلين فوق ما كانوا فيه من ارتباك لتمثيلهم ادوارا جديدة عليهم .

وكانت الحفلة مضرب الامثال فى البوظان .

وقد استمر الحال على هذا الى المشهد الاخير من الرواية وفيه يلقى جورج مونولوجه المعروف فوق جثة الملك ، وهو من قطع جورج الخالدة واستجمع جورج كل قواه وكل غضبه على الجمهور وعلى الممثلين المنشقين وصبها كلها فوق الجثة الطريحة بين يديه .

وهنا نترك الكلام لاحد المنشقين من ممثلى الفرقة قال :

كنا فى الفندق وهو الى جانب المسرح مباشرة نسمع صوت ابيض وزئيره وهو يلقى مقطوعته الخالدة وهتاف الجماهير له وتصفيقها الحاد المتواصل كما نسمع كل هذا ونحن نكاد نتمزق من الغيظ والحقد لقد كانت ضربة قاسية موجهة الينا جميعا وثبت لنا اننا اصفار الى جانب هذا الرجل الجبار وان اضرابنا لم يؤثر لاقليلا ولا كثيرا بل لم تكد الستار تسدل فى نهاية الرواية حتى صعد الى المسرح مدير الاقليم وكبار الاعيان

وجمع غفير ممن شاهدوا الرواية فى تلك الحفلة الحوا على الاستاذ ابيض ان يعيد تمثيلها فى الليلة القادمة .

ولم نكد نرى استاذنا يدخل باب الفندق وكنا نحن المنشقين قد اجتمعنا كلنا امام الباب ، حتى انهلنا على يديه تقبيلا والدموع تطفر من اعيننا ايمانا بقدرة هذا الفنان الخلاق وطلبا للصفح والمغفرة .

وهذه ليلة من ليالى ابيض الخالدة الفضل فيها لما كان عليه من ثورة وغضب بسبب اضراب ممثليه .

وبارك الله فيمن اغضب جورج .

وعلى العكس من هذا تجد الكثيرين من ممثلينا وممثلاتنا لا يحسنون اداء ادوارهم الا اذا كانوا فى حالة هدوء طبيعى واقل اثارة لشعورهم داخل المسرح او خارجه تربكهم وتلخبط غزلهم كما يقولون .

ومن هؤلاء الاستاذ حسين رياض فاذا اتفق وحدث له ما يهيج غضبه اكتفى من تمثيل دوره بمجرد القاء كلماته لا اكثر وهو يعمد الى هذه الطريقة اذا كانت الممثلة التى تقوم بدور البطولة امامه فى حالة لا ترضيه كأن تخطىء فى جملتها وعباراتها او تشرد بذهنها اثناء التمثيل فلا « تندمج » معه فى العاطفة والشعور .

هنا يتحول حسين الى كتلة من الرخام البارد « ويكر » دوره كرا دون اقل عناية بالتمثيل او الالقاء .

ويعلل حسين هذا بانه لا يستطيع ان يجيد تمثيل دوره الا اذا وجد صدى لحسه وشعوره فى الممثل الذى يمثل امامه ، واعتقد ان هذا التعليل معقول لان حسين ليس من الممثلين الذين يتكلفون على المسرح بل هو فى اغلب مشاهده طبيعى جدا لا تحس منه تكلفا او صناعة تطغى على الجو الطبيعى الخليق بما يمثله من مشاهد ومن المستحيل ما دام الامر كذلك ان يستطيع ان يخلق الجو المطلوب لعمله ما دام ان الممثل الذى امامه لا يعاونه فى هذا معاونة صادقة .

والاستاذ حسين رياض من القلائل الذين لا تحس فى تمثيلهم صناعة او حذلقة بل تحس فيه الطبيعة ودقة الخلق والتصوير لدوره حتى ليجعل منه حياة صادقة لامجرد تمثيل وعرض مسرحى .

والسيدة زينب صدقى عصبية ياحفيظ !!

وأقل خطأ من « الرجسير » أو إهمال من الممثلين فى مشهد تشترك فيه ، أو غير ذلك من عشرات الأشياء التى قد تقع كل ليلة ، أقل شىء من هذه يثير عصبيتها الى درجة الغليان وما فوق الغليان كمان .

ولكنها تعرف كيف تمتلك نفسها فلا يحس الجمهور المشاهد بشيء غير مألوف منها ولكن ماتكاد الستار تسدل حتى ترى زينب وقد ثارت عصبيتها بشكل فظيع ولكن المسكينة تضع همها فى نفسها ، وكل ما تفعله أنها تمسك شعرها بيديها تقطعه شدا وجذبا وتلطم وتصرخ وتمزق ملابسها واخيرا تبكى طويلا حتى تهدأ وتستريح .

وحدث ذات مساء عند تمثيل رواية « المعجزة » أن أخطأ عامل المسرح فأغلق النافذة التى فى غرفة « اليزابث باريت » بطلة الرواية ولزينب فى ختام الفصل الثانى مشهد من مشاهدها الخالدة على المسرح اذ تزحف من السرير مجتازة الغرفة الى النافذة فتطل على حبيبها « روبرت » وينتهى المشهد بأن تلقى زينب نفسها على النافذة ضاربة درفتيها بيديها فتفتحها على مصراعيها وهى تتنفس بسرعة من اثر الجهد الذى بذلته فى اجتياز الغرفة وهى المقعدة المشلولة ..

وتدوى الصالة بالهتاف والتصفيق .

وحدث فى تلك الليلة لسوء الحظ أن نسى عامل المسرح وأغلق النافذة كما قلنا فعندما ارتمت عليها زينب وضربت درفتيها بيديها لم تفتح وظلت مغلقة ، وضاع على بطلة الرواية « الأفيه » المسرحى المطلوب .

وجريا على عادة زينب المحبوبة ، لم تكد تسدل الستار حتى ثارت ونزلت على شعرها وخديها وهات وهات .. لما قالت ياكفا ..

ومن يومها تولى زميلنا « حماد » مترجم الرواية مهمة الإشراف على النافذة بنفسه خوفا من ان يتكرر هذا الفصل مرة اخرى .

ويحق للاستاذ يوسف وهبى أن يفخر باعصابه الحديد ، فقد تقوم القيامة وتزلزل الارض زلزالها وتندك الجبال ويحدث فى العالم ما يحدث ولكن هذا كله لا يؤثر فيه اقل تأثير فيمضى فى « تمثيل » دوره كأن شيئا لم يقع وكأن الدنيا بخير ..

وتنفعه أعصابه هذه فى الخروج من المآزق المسرحية بسهولة ودون ان يترك للجمهور فرصة لإدراك ما يحدث او ليفهم أن يوسف فى حالة غير عادية .

ونذكر على سبيل المثال ان يوسف فى احدى الليالى قام بينه وبين احد ممثلى فرقته خلاف كبير لم يتمالك فيه يوسف وهبى نفسه فصفع الممثل صفعة قاسية وامسك الممثل بتلابيبه وكان شجارا عنيفا بين الاثنين ..

وبينما المعركة على اشدها نادى مدير المسرح الاستاذ يوسف ليدخل ويظهر امام الجمهور ، ويترك يوسف خصمه وأصلح جاكتته ودخل المسرح هادئا رزينا وكأنه قادم من حفلة راقصة او موعد غرامى رفع فيه رأس مصر عاليا .. لا من شجار وعراك من أعنف ما يكون !!

وقليل من بين ممثلينا أو ممثلاتنا من له قدرة يوسف هذه او ما يماثلها .

ومن حق يوسف ان يلقب بصاحب الاعصاب الحديدية كما يقولون عن محمد محمود صاحب اليد الحديدية ..

والقياس مع الفارق طبعا .

وهو فارق فى صالح يوسف لا فى صالح الزعيم النبيل .

وعندما مات كامل الخلعى كتبت آخر ساعة (العدد ١٨١) تحت عنوان « كامل سانسنس الشرق » تقول :

وأخيرا مات الموسيقى الكبير داود حسنى بعد ان قضى عدة سنوات فى اواخر أيامه وكأنه موقوف عن العمل .

مات فاستراح وأراح رأسه الكبير المكدود وأراح نفسه التى ذاقت مرارة الحرمان من فيض غزير ساهمت فى غزارته بنصيب كبير .

أدوار دواود حسنى تحاول عبثا أن تحصيها ، ولقد ذكر بعض الموسيقيين أن ما يغنى له من ادوار الآن يزيد على المائتى دور . بل لقد اجاب بعضهم بأنه من السهل حصر الأدوار التى لم يلحنها هذا الرجل وما بقى فهو لداود .

إنتاج غزير وليد رأس موسيقية موهوبة وروح منغومة ..

لم يعرف دواد علامات النوتة الموسيقية التى يعرفها الجميع ولكنه مع هذا وضع لنفسه علامات وأرقاما يقرأها هو بل يقرأها بسهولة ويسر كما يقرأ العلامات الموسيقية اى ملم بالسولفيج .

على ان انتاج الاستاذ داود لم يقف عند حدود التخت الشرقى بل تعداه الى التلحين المسرحى فلقد لحن بعض الروايات المسرحية الغنائية وكانت رواية شمشون ودليلة فى المقدمة ولقد شاهدها بعض ممثلى ادوار هذه الرواية الاجانب واعجبوا بها حتى اطلقوا على الرجل اسم « كاميل سانسنس الشرق » .

وكاميل سانسنس هو ملحن الأوبرا العالمية المشهورة « شمشون ودليلة » .

كان الرجل حركة خير وبر للموسيقى طول حياته وكان لأيقيم وزنا للمادة ولو أراد هذا الرجل أن يكون غنيا لكان ولتوفى وهو مطمئن البال على معيشة عائلته وأولاده .

ولكنه توفى فقيرا كما عاش فقيرا إلا من عزة النفس والشمم والإباء فلقد كان داود شخصية تفردت بكل مايشرف الرجل الجنتلمان ..

كان داود « الاسرائيلى » ينذر النذور للأولياء والصالحين !! ويحسن على الفقراء والمعوزين كان القرش الذى فى جيبه ليس له وحده بل للغير فيه حصة ..

ودارت الأيام وأصبح داود يجد نفسه وكأنه غريب عن هذا الحقل الخصب من العمل ... هذا الحقل الخصب من العمل الذى اشترك فى خصبه وثروته ونمائه مع أبطال الموسيقى والتلحين والغناء فى مصر أمثال المرحومين عبده الحمولى ومحمد عثمان و الشيخ سيد درويش ...

عاشر داود هؤلاء وعمل مع هؤلاء وكان مركزه محفوظا بين كل هؤلاء ...

قاسى فى أواخر سنى حياته مالم يقاسه موسيقى من قبل ، ولكن روحه الساخرة الضاحكة كانت تتغلب على اليأس ...

ومن فكاهاته الطريفة التى تضحك وتؤلم فى وقت واحد أنه قابل مطربا معروفا وجلس إليه يتحدث قليلا ثم قال عاتبا :

« يا أخى انت ما بتخلنيش ألحن لك حاجة ليه ؟ ... والله أنا أقدر ألحن ألحان سيهاش طرب أبدازى اللى بتقولهادى !! »

وموضع النكتة مع وخز الإبرة مفهوم طبعا ...

كان داود يستحق يوم وفاته أن يؤبن فى محطة الإذاعة أحسن تأبين وكان يستحق أن يودع أحسن وداع وهو فى طريقه الاخير إلى قبره ...

ولكن كان داود مسماحا طيبا فى حياته فلا أقل من أن يتلمس الأعذار لمن أحبهم وحنا عليهم وكان بارا بهم وهو فى غيابة لحده ...

كان الله فى عون عائلته ..

وفى العدد (٢١٠) كتبت آخر ساعة تحت عنوان « ابطال الكذب فى مصر هم المطربون والمطربات » كتبت آخر ساعة تقول :

حدث أثناء الحرب العظمى أن انخرط موريس شيفالييه فى سلك الجندية وراح يحارب فى صفوف الجيش الفرنسى ولكن مالبث الجنود الألمان أن هزموا فرقة موريس شيفالييه ووقع الكوكب فى أيديهم أسيراً .

وكان موريس يعبد باريس فقد عاش فيها منذ طفولته فكان فى السجن والأسر دائم التفكير فى حبيبته باريس ...

وحدث بينما كان يدندن وحيداً فى زنزانته أن كتب قطعة « باريس ... باريس إننى أحبك »

وكانت قطعة خالدة من الموسيقى .. ولما أفرجت عنه السلطات الألمانية ذهب الى كازينو دى بارى وغنى تلك القطعة الخالدة فتناقلها الباريسيون .

وعندما مثل فيلمه السينمائى الأول عام ١٩٢٦ طلب أن يلقى فيه هذا اللحن البديع لأنه كان عبارة عن عصارة قلبه المتوجع !

والآن وقد مضى على اللحن عشرون عاما مازالت باريس تردده وتتغنى به وقد حدث أيضا أثناء الحرب أن كان الموسيقى الانجليزى جاك هيلتون يسير مع فرقته إلى بلدة « تيبارارى » وكان الجنود منهوكى القوى بسبب طول الطريق فألف الموسيقى الانجليزى الأنشودة المشهورة « ما أطول الطريق الى تيبارارى .. ماأطول المسير ! » وقد نالت هذه الأنشودة نجاحا باهراً حتى أن الجنود الانجليز أصبحوا الآن يتغنون بها فى كل لحظة !

بل إن وزارة الحربية الانجليزية اعتبرت النشيد لحنا رسميا وأصدرت أمرها بتلقينه لجميع الجنود !

وهناك الحان كثيرة وضعها المطربون والمطربات والأجانب فى مناسبات شتى وكانت عصارة قلوبهم وشعورهم وأعصابهم .

ويختلف مطربونا ومطرباتنا عن هؤلاء فى كذبهم على عواطفهم وضربهم الرقم القياسى فى التغنى بما ليس فى قلوبهم وبما لا يشعرون به ويحسون .

فالآنسة أم كلثوم دائمة الشكوى فى أغانيها من قلة النوم وطول السهاد من ألم البعاد .

ولكن أم كلثوم تنام اكثر من ١٣ ساعة كل يوم .. واذا أصيبت بأرق شديد نامت ١٢ ساعة !

وقد حدث منذ سنوات عديدة أن سهرت « سومة » حتى الصباح وذلك عندما أشار عليها بعض اولاد الحرام بوضع أموالها فى البنك الأهلى .

وعملت أم كلثوم بالنصحية ... ولكن بعد أن عادت الى بيتها لعب فى عبها الفار وخافت أن يعملها اللصوص ويسرقوا خزائن البنك الاهلى !

ووقفت سومة فى الشباك سارحة الفكر وفى الصباح المبكر وقبل أن يفتح البنك أبوابه ذهبت سومة الى البنك وعاينت بإمعان قفل باب البنك خوفا من أن يكون اللصوص قد كسروه ... وراحت تنشد ياغائبا عن عيونى وحاضرا فى خيالى ومالبثت سومة أن اقتنعت بمتانة أقفال البنك الاهلى فانقطعت عن معاينة الاقفال كل يوم !

وأغانى المطرب المعروف محمد عبد الوهاب لا تخلو من البكا والنوح والدموع

ولا يذكر كاتب هذه السطور ولا عبد الوهاب نفسه أن الدموع تشرفت بمصاحبة خدوده فى يوم من الايام .

هى مرة واحدة رأيت دمعة كبيرة (تتمرجح) فى مقلتيه وكان ذلك منذ عامين فى حفلة عشاء أقامها أحد الاصدقاء وكان الداعى بخيلا فوضع على المائدة زوجا من الفراخ

وعبد الوهاب لا يأكل إلا الفراخ وعلى ذلك امتدت يده إلى احداهما ووضعها فى صحنه .

وفى غفلة من عبد الوهاب امتدت يد أحد الاصدقاء إلى الفرخة والتهمها فى لمح البصر !

وهنا فقط رأينا دموع الحب ... حب الفراخ تكاد تفر من عينى المطرب الجميلتين !

وبمناسبة الفراخ نذكر أن عبد الوهاب قد صرح مرة أنه لم يعثر بعد على الفتاة التى يفضلها على الفراخ !

ومن الانصاف ألا نجرد جميع المطربين

من التغنى بما يشعرون ويحسون فالسيدة فاطمة سرى انشدت مرة انشودة وضعت فيها قلبها وشعورها وأعصابها .

فقد حدث عقب زواجها من الاستاذ محمد شعراوى أن شعرت بالفتور يتسرب إلى قلب زوجها الشاب ، ثم حدث أن ابتعد عنها بناء على طلب والدته هدى شعراوى وشرحت فاطمة لوعتها وآلامها فى الطقطوقة التالية :

يالى بعادك على عينى ...

يوم المنى يوم ماتجينى يامدّلع !

وقد دام زواج السيدة منيرة المهدية من زوجها السابق حسن جبر ثلاثة عشر عاما .

ولم تكن منيرة سعيدة بهذا الزواج فلما وقع الطلاق راحت منيرة تنشد قطعتها المعروفة : من بعد ١٣ سنة ارتحت من بعد التعب !

وتحت عنوان « هل فاطمة رشدى نحس ؟ » كتبت آخر ساعة التابعى (العدد ٢١٢) تقول :

يتهم العواذل السيدة فاطمة رشدى بأنها نحس يشار اليه بالبنان .. ويقولون إنها سافرت مرة الى العراق فقامت ثورة الاشوريين ، وفى المرة الثانية مات الملك فيصل ، وفى المرة الثالثة هربت احدى الاميرات مع جرسون يونانى ، وحدث أن كتبت الى صديق لها فى العراق تقول إنها قادمة إلى بغداد فكانت حادثة العراق الأخيرة التى راح ضحيتها الدكتور سيف وليس الدكتور زكى مبارك .

سافرت مرة إلى فلسطين فقامت ثورة اليهود والمسلمين ولم تقعد حتى الآن !...

وسافرت أخيرا إلى تونس ... وماكادت تحط عصا التسيار ـ وعصا التسيار هى

ياورها الاستاذ إبراهيم يونس ـ ماكادت تفعل ذلك حتى قامت ثورة وكانت اضطرابات سالت فيها الدماء وتحطمت فيها الجماجم والرؤوس !...

وتركت فاطمة تونس إلى الجزائر فانتقلت معها الثورة إلى هناك ، وتركت الجزائر إلى باريس فقامت فيها الاضطرابات والاضرابات وسقط الفرنك .. وأصبحت الوزارة على كف عفريت !

هذا مايقوله العواذل أما مانقوله نحن ـ نحن لسنا العواذل والحمد لله الذى لايحمد على مكروه سواه ـ نقول إن السيدة فاطمة رشدى نجحت فى رحلتها إلى الجزائر وتونس وباريس .. وأن مخرجا فرنسيا معروفا يفاوض فاطمة رشدى لتمثل بعض الأفلام العربية التى تجرى حوادثها فى الصحراء .

ويقول أحد أصدقاء فاطمة ـ وهو فشار حبتين ـ إن الاتفاق كاد يتم بين المخرج والسيدة فاطمة رشدى على مرتب سنوى قدره ثلاثة آلاف جنيه .. أى مثل مرتب رفعة رئيس الوزراء !.

فاذا كان هذا هو « النحس » فإننا نعلم أن أغلب ممثلاتنا يتمنين نحسا كهذا النحس العجيب !

وحول مرتبات اعضاء الفرقة القومية تكتب آخر ساعة ان مجموع مرتبات موظفى الفرقة لاقومية وعددهم ٦٢ شخصا هو ٦٨٢ جنيها بينما مرتب الممثلة السينمائية ميرنالوى هو سبعمائة جنيه وان مرتب صراف ألفرقة القومية اكبر من مرتب كل من عمر وصفى ، وفؤاد شفيق وروحيه محمد وعلى خالد وفؤاد سليم وفؤاد فهيم وابراهيم الجزار .

يقرأ الجمهور فى الصحف والمجلات عن كواكب ونجوم المسرح المصرى . ويراهم على المسرح يلعبون أدوار الملوك والأمراء ويرفلون فى أفخر الثياب دون أن يعرف المرتب الذى يتقاضاه الواحد منهم ولو علم كثير من الهواة بمرتبات ابطال التمثيل فى مصر لآثروا أن يشتغلوا فى صناعات أخرى ، فايراد المعلم أبو ظريفة مثلا فى شهر واحد أكثر من مرتب الأستاذ جورج ابيض فى عام ، وايراد مدام مارى لويز الخياطة فى يوم واحد أكثر من مرتب الآنسة فردوس محمد فى شهر !...

وهذه هى ارقام رسمية لمرتبات موظفى الفرق فى الشهر .

الاساتذة جورج ابيض ٣٠ جنيها ، وحسين رياض ٢٥ ، وأحمد علام ٢٥ ، ومنسى فهمى ٢٠ ، وعباس فارس ١٨ ، وفؤاد شفيق ١٢ ، وعمر وصفى ١٢ ، وفؤاد سليم ١٠ ، وفؤاد فهيم ٩ ، وابراهيم الجزار ٧ ، وأنور وجدى ٧ ، وعلى رشدى ٧ ، ويحيى حسن شاهين ٥ ، وسعيد خليل ٥ .

وتتقاضى السيدة زينب صدقى ٢٥ ، والسيدة دولت ابيض ٢٠ ، والآنسة فردوس حسن ١٨ ، والسيدة نجمة ابراهيم ١٣ ، والسيدة زوزو حمدى الحكيم ١٣ ، والسيدة روحية خالد ١٢ والآنسة راقية إبراهيم ١٠ ، والآنسة أمينة نور الدين ١٠ ، والسيدة ثريا فخرى ٧ جنيهات مصرية فقط لاغير .

ويتقاضى عبد السيد افندى ٩ جنيهات وحسن شلبى افندى ثمانية جنيهات .

يتقاضى مسيو فلاندر رئيس المخرجين ٥٠ جنيها شهريا ، والاساتذة المخرج عزيز عيد ٢٥ جنيها ، وأدمون تويما مدير المسرح ١٦ ، والمخرج عمر جميعى ١٢ ، والمنظم على هلال ١٠ ، والمنظم محمد حجازى ٨ ، والمنظم أحمد نصار ٧ جنيهات .

ويتقاضى الهواة مرتبا قدره ثلاثة جنيهات فى الشهر تشجيعا لهم ، والذين يتقاضون هذا المبلغ هم : شفيق نور الدين ومحمود محمد اسماعيل وحسن اسماعيل والآنسة نادية توفيق والسيدة نعمت عاشور والسيدة فوزية أحمد .

ويشغل حضرات عبد الله عكاشة وظيفة أمين مخازن الفرقة بمرتب ١٦ جنيها ، وأحمد عسكر معاون ادارة وللنشر والدعاية ١٦ جنيها ، ويوسف عنحورى صراف الفرقة ١٢ جنيها والكاتب أحمد صادق ٤ جنيهات وليلى فهمى على الآلة الكاتبة ثلاثة جنيهات وعلى طبنجات النساخ بالفرقة ٣ جنيهات .

ويتولى الدكتور صالح الملاح العناية بصحة أفراد الفرقة مقابل مكافأة قدرها خمسة جنيهات فى الشهر .

ويتقاضى أحمد حلمى ترزى الفرقة ٩ جنيهات وحسنى السعدنى الميكانست ٨ جنيهات وعجيب سكر الكهربائى ٧ ، ومعوض ابوزيد « الاكسوارست » ٦ واحمد مصطفى مساعد ترزى ٥ جنيهات ، وابراهيم عثمان نجار الفرقة ٥ جنيهات ، وابراهيم السيد عامل التنكر خمسة جنيهات ، ومحمود متولى عامل الشعور المستعارة خمسة جنيهات ، ومنصور سامى مساعد الكهربائى ثلاثة جنيهات ونصف .

وفى الفرقة أربعة فراشين ثلاثة يتقاضى كل منهم جنيهين ونصف وواحد يتقاضى جنيهين ....

فكأن مرتب الفراش ينقص عن مرتب الهاوى نصف جنيه !

ويتولى الأستاذ محمد أبوالمجد وظيفة أستاذ اللغة العربية ومصحح الفرقة ويتقاضى ثمانية جنيهات ، ويتقاضى الاستاذ حلمى رفلة ١٦ جنيها وهو عضو بعثة الفرقة القومية فى فن التنكر...

وبعد ....

هل تريد أن تكون ممثلا بعد الآن ! لا ... ولا ... ولا !

هل يمكن ان تعقد مقارنة ـ عزيزى القارىء عزيزتى القارئة ، بين هذه الارقام ـ منتصف الثلاثينيات ـ وبين أرقام اليوم (اوائل التسعينات) ..!

الفهرس

●● الفصل الخامس :

●● الفصل السادس :

■□■□■□■□■

الآراء والأفكار الواردة فى هذا المطبوع مسئولية المؤلف

مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م

رقم الايداع ٧٧٩٧ / ٩٣

رقم دولى ٦ ـ ٠٢٨ ـ ٢٢٩ ـ ٩٧٧ ـ I . S . B . N

١٥ جنيها

دار التعاون للطبع والنشر